ذَمُّ الهَوَىٰ

للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧هـ

تحقيق وتعليق وضبط
خالد عبد اللطيف السبع العلمي

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون ٨٠٠٨١١ - ٨٦١١٧٨ - ٨٦٢٩٠٥
فاكس: ٨٠٥٤٧٨ (٠٠٩٦١١) برقياً: الكتاب - بيروت - ص.ب. ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

ذَمُّ الهَوَىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِه ولا تَمُوتُنَّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

﴿يا أيّها الناسُ اتقوا ربّكمُ الذي خلقكم من نَفْسٍ واحدة وخلَقَ منها زوْجَها وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً، واتقوا الله الذي تساءَلونَ به والأرحامَ، إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء/ ١].

﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قَوْلاً سديداً، يُصْلِحْ لكم أعمالَكم ويَغْفِرْ لكم ذنوبَكم، ومن يُطعِ الله ورسُولَه فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب/ ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

وبعد:

فإن الإسلام جاء بالهداية، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة، وتحذيرهم من مكايد الشيطان ومصايده، وإيجاد المجتمع الصالح الملتزم بالإسلام في عقيدته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه.

فكان أن بعث الله محمداً ﷺ ليقوم بالدعوة إلى الإسلام وتوحيد الله وعبادته وحده، على النهج الذي شرعه، وليقوم بتزكية النفوس وتربيتها، ومحاربة كلّ ما يؤدّي إلى فسادها وفساد المجتمع تبعاً لها.

ولمّا كان العلماء هم ورثة الأنبياء في تبليغ هذا الدِّين، قام الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح بدعوة الناس إلى الخير وإرشادهم إلى سلوك الصراط المستقيم.

ومن هنا انبرى العلماء لبيان تعاليم هذا الدِّين، والدّفاع عنه وردّ دعاوى المُغْرِضِين، وبيان الحقّ المُبِين، ودَحْض وساوس الشياطين، وردّ عُدوان المعتدين.

ولما كانت النفس كثيراً ما تُنازع صاحبها بالوساوس والشهوات وطلب ما حرّم الله تعالى، قام العلماء بتأليف الكتب التي تتكلم عن ضبط النفس، وذمّ الهوى، والتحذير من مكايد الشيطان ونحو ذلك.

ومن هذه الجهود كتابنا هذا الذي عرض فيه ابن الجوزي لمسألة هي من أهم المسائل التي تَعْتري الإنسانَ وقَلْبَهُ؛ ألا وهي العِشق والحبّ، فانبرى لهذه المسألة الفتّاكة التي أفسدت القلوب والأبدان، وحمل معاول الهدم يهدم صَرْحها ويُبَيِّنُ لنا خطرَها، مُتَسلّحاً بأحاديث النبيّ ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين، وما ذُكر من قَصَص المُغْرَمِين، وما ذلك إلاّ ليُبْعِدك عن السقوط فيما سقطوا، ولتعتبر بهم قبل أن تُصبح منهم.

فمن هنا تتضح أهمية هذا الكتاب والباعث على تحقيقه ونشره من جديد، فإنّا نرى أن الشيطان قد غرز مخالبه في كثير من قلوب الناس، وعلّقها بكثير من الصُّوَر، وحوّلها عن التعلّق بربِّها وخالِقها إلى التعلّق بما يضرّ ولا ينفع. ومن هنا كانت تسمية المؤلِّف للكتاب بذمِّ الهوى، رغم أنه ليس كلّ الهوَى مذموم، ولكن بما أن أغلب رغبات النفس تَنْزِع بها إلى ما فيه ضررها، استحق أن تُطلق عليه هذه الكلمة من غير تقييد.

بين يدَي الكتاب

* سبب تأليف الكتاب: سؤال.

قال ابن الجوزي رحمه الله ص١٩: «شكا إليّ بعضُ من أَثَّرت شكواه إثارة هِمَّتي في جمع هذا الكتاب، من بلاءٍ ابتُلِي به، وهوًى هوَى به، وسألني المبالغة في وصف دواء دائه.

فأهديتُ له نصيحة وَدِيد لأوِدّائه، وقد أتيتُ بها على أبلغ ترتيب، وما توفيقي إلاّ بالله، عليه توكَّلْت وإليه أُنيب».

* نهجه في كتابه: السهولة واليسر والإطالة.

قال رحمه الله ص١٩: «واعلم أنّي قد نزلتُ لأجلِك في هذا الكتاب عن يفاع الوقار، إلى حَضِيض الترخّص فيما أُوْرِد، اجتذاباً لسلامتك، واجتلاباً لعافيتك.

وقد مددتُ فيه النفس بعض المدّ، لأن مثلك مفتقرٌ إلى ما يُلهيه من الأَسْمَار، عن الفكر فيما هو بصدده من الأخطار، فليكُن هذا الكتابُ سَمِيرَك، واستعمالُ ما آمُرك به فيه شُغلَك، والله وليّ صلاحِك، فإنه لا عاصم إلاّ من رَحِم».

* سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم،

قال رحمه الله ص٣٥: «اعلم أن الهوى: مَيْل الطبع إلى ما يُلائمه.

وهذا الميل قد خُلِق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المَشْرب ما شَرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مستجلب له ما يُفيد، كما أنّ الغضب دافع عنه ما يؤذي.

فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنّما يُذَمّ المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضارّ.

ولمّا كان الغالب مِن موافِق الهوى أنه لا يقف منه على حدّ المنتفع، أُطلِق ذمُّ الهوى والشهوات، لعموم غلَبَة الضرر، لأنه يبعُد أن يفهم المقصود مِنْ وضع الهوى في النفس، وإذا فهم تعذّر وجود العمل به وندَر.

. . . فلما كان هذا هو الغالب ذكرتُ في هذا الباب ذمّ الهوى والشهوات مطلقاً، ووَسَمْتُ كتابي بـ «ذمّ الهوى» لذلك المعنى».

* نوع الهوى الذي سيعالجه في هذا الكتاب:

قال رحمه الله ص٣٨: «واعلم أن الهوى يَسْرِي بصاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون.

وقد يكون الهوى في العِلم فيخرج بصاحبه إلى ضدّ ما يأمر به العِلم.

وقد يكون في الزهد فيخرج إلى الرياء.

وكتابنا هذا لذمّ الهوى في شهوات الحِسّ، وإن كان يشتمل على ذم الهوى مطلقاً».

ترجمة ابن الجوزي[1]

نسبه ـ مولده ـ نشأته ـ شيوخه

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن عبد اللّه بن حُمَّادى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي، القرشي التَّيمي البكري البَغْدادي، الفقيه الحنبلي، الواعظ الحافظ المفسر، الأديب الملقب: جمال الدين.

وقد اختُلف في نِسْبتِهِ، فقيل: إنَّ جدَّه جعفر نُسبَ إلى فُرْضَةٍ[2] من فُرَضِ البصرة يقال لها «جوزة». قال المنذري: هو نسبة إلى موضع يقال له «فُرضة الجَوز». وذكر الشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش: منسوب إلى محلة بالبصرة تسمى «محلة الجوز»، وقيل: بل كانت بداره في واسط جوزة، لم يكن بواسط جوزة سواها.

وكما اختلف في نسبته، اختلف كذلك في مولده، فقد وجد بخطه: لا أُحَقِّقُ مولدي، غير أنه مات والدي في سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة كان لك من العمر نحو ثلاث سنين. فعلى هذا يكون مولده: سنة إحدى عشرة، أو اثنتي عشرة وخمسمائة.

وكان مولده ببغداد بدرب حبيب، فلما توفي والده، وهو صغير، كفلته أمه وعمته؛ وكان أهله تجاراً في النحاس، ولهذا يوجد في بعض سماعاته القديمة: ابن الجوزي الصفار، والصُّفْر هو: النحاس.

ولما ترعرع حملته عمته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر الحافظ الثقة البغدادي فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وقد قيل: إن أول سماعه كان سنة ٥١٦ هـ. وحفظ القرآن، وقرأه مجوداً على جماعة من أئمة القراءة، وفي كبره قرأ بالروايات بواسط على ابن الباقلاني، قال في أول مشيخته: حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر، وأسمعني العوالي، وأثبت

---

(١) أخذت ترجمة ابن الجوزي عن كتاب «الذيل على طبقات الحنابلة» ١/٣٩٩، و «البداية والنهاية» لابن كثير ٢٨/١٣، و «وفيات الأعيان» لابن خلكان ٣٢١/٢. ومما ألفه ابن الجوزي نفسه، وانظر ترجمته في كتاب «القصاص والمذكرين» تحقيق الدكتور الشيخ محمد بن لطفي الصباغ.

(٢) فرضة النهر: ثلمته التي يستقى منها، وفرضة البحر: محط السفن.

سماعاتي كلها بخطه، وأخذ لي إجازات منهم، فلما فهمت الطلب، كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدد، لا تكثير العدد، ولما رأيت من أصحابي من يؤثر الاطلاع على كبار مشايخي، ذكرت عن كل واحد منهم حديثاً. ثم ذكر في هذه المشيخة له سبعة وثمانين شيخاً.

وسمع الكتب الكبار كالمسند للإمام أحمد، وجامع الترمذي، وتاريخ الخطيب البغدادي، وسمع صحيح البخاري على أبي الوقت، وصحيح مسلم بنزول، وما لا يحصى من الأجزاء، وتصانيف ابن أبي الدنيا، وغيرها.

ثم صحب أبا الحسن ابن الزاغوني، ولازمه، وعلق عنه الفقه والوعظ. قال ابن الجوزي: كان له في كل فن من العلم حظ وافر، ووعظ مدة طويلة، وصحبته زماناً، فسمعت منه الحديث، وعلقت عنه من الفقه والوعظ، وكانت له حَلْقة بجامع المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ثم يعظ فيها بعد الصلاة، ويجلس يوم السبت أيضاً.

وشهد ابن ناصر الدين للزاغوني، أنه كان فقيه الوقت، وأنه كان مشهوراً بالصلاح والديانة، والورع والصيانة. وتوفي ابن الزاغوني حين بلغ ابن الجوزي سن الحلم، فطلب ابن الجوزي خلفته[1]، فلم يُعْطَ ذلك لصغره، وأعطيت الخلفة لأبي علي الراذاني، فذهب ابن الجوزي إلى الوزير، فألقى بين يديه فصلاً في المواعظ، فأذن له بالوعظ في جامع المنصور؛ قال ابن الجوزي: فتكلمت فيه، فحضر مجلسي أول يوم جماعة من أصحابنا الكبار من الفقهاء، منهم عبد الواحد بن شعيب، وأبو علي ابن القاضي، وأبو بكر ابن عيسى، وغيرهم.

ثم تكلمت في مسجد معروف، وفي باب البصرة، ونهر المعلى، فاتصلت المجالس، واشتد الزِّحام، وقوي اشتغالي بفنون العلم، وانقطعت مجالس أبي علي الراذاني.

وقرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وتتبع مشايخ الحديث والفقه، فكان منهم القاضي أبو بكر الأنصاري، وأبو القاسم الحريري، وأبو السعادات المتوكلي، وأخوه يحيى، وأبو عبد الله البارع، وأبو الحسن علي بن أحمد الموحد، وأبو غالب الماوردي، وأبو منصور ابن خيرون، وأبو القاسم السَّمَرقَندي، وعبد الملك الكرخوي، وأبو سعد الزَّوزني، وأبو سعد البغدادي، ويحيى بن الطراح، وإسماعيل ابن أبي صالح المؤذن، وأبو القاسم علي الهروي الواعظ، وأبو منصور القزاز، وعبد الجبار بن منده.

قال: ولم أقنع بفن واحد، بل كنت أسمع الفقه والحديث، وأتبع الزهاد، ثم قرأت

---

(١) أي أن يحل محله في وظائفه.

اللغة، ولم أترك أحداً ممن يروي ويعظ، ولا غريباً يقدم، إلا وأحضره وأتخير الفضائل، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لئلا أُسبق، وكنت أُصبحُ وليس لي مأكلٌ، وأمسي وليس لي مأكل، ما أذلني الله لمخلوق قط، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح.

وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي أستاذ عصره في علوم العربية. وكان مدرسها في المدرسة النظامية، وكان إمام الخليفة المقتفي. وكان الجواليقي متديناً ثقة ورعاً، غزير الفضل، كامل العقل، مليح الخط، كثير الضبط، له التصانيف الكثيرة. قال ابن الجوزي: قرأت عليه كتابه: «المعرَّب» وغيره من تصانيفه.

صفاته وأخلاقه ـ مجالسه ـ مذهبه ـ ومحاربته البدع:

أكثر ابن الجوزي من الكلام عن نفسه في كتاب «صيد الخاطر» فذكر أنه نشأ في النعيم، ورُبِّي على الدلال، وأنه قد حُبِّبَ إليه العلم من زمن الطفولة، ولم يرغب في فن واحد من فنونه، بل رغب في كل فن، وأنه يتردد أبداً بين الزهد والعبادة، وبين العلم والبحث، وأن من لِداته[1] وأصحابه من أنفق عمره في اكتساب الدنيا، ثم لم ينل منها ما ناله هو، وأن عيشه ألين من عيشهم، وجاهه أعلى من جاههم، وتحدث كيف أنه كان في زمن الطلب يأخذ معه أرغفة يابسة، ويخرج في طلب الحديث، فيقعد على نهر عيسى ـ غربي بغداد ـ، لا يقدر على أكل هذا الخبز اليابس إلا عند الماء، كلما أكل لقمة شرب عليها شربة، وأنه وجد مع ذلك من لذة العلم وحلاوة الإيمان ما يخاف معه على نفسه العجب إن شرحه.

وقال عنه ابن العماد: وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة، لباسه الناعم الأبيض المطيب، وله مداعبات حلوة، وما تناول مالاً من جهة لا يتيقن حلها، ولا ذلّ لأحد، قال في «لفتة الكبد» يخاطب ولده: «وما ذلّ أبوك في طلب العلم قط، ولا خرج يطوف في البلدان كغيره من الوعاظ، ولا بعث رقعة إلى أحد يطلب منه شيئاً».

وقال ابن كثير: وكان فيه بهاء، وترفع، وإعجاب بنفسه، وسمو بها، أكثر من مقامها، وذلك ظاهر في كلامه في نثره ونظمه، ثم أورد له شعراً منه قوله:

لـو كـان هـذا العلـم شخصـاً نـاطقـاً وسـألتـه: هـل زار مثلـي؟ قـال: لا

---

(١) اللِّدَة: التِّرب، وهو الذي وُلد معك أو تربّى معك.

قال ابن رجب: مما عيب عليه ما يوجد في كلامه من الثناء على نفسه، والترفع والتعاظم، وكثرة الدعاوى، ولا ريب أنه كان عنده من ذلك طرف، سامحه الله.

قال ابن الجوزي في «لفتة الكبد»: ولقد وضع الله لي من القبول في قلوب الخلق فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته، وقد أسلم على يدي نحو مائتين من أهل الذمة... وقد قطعت أكثر من عشرين ألف سالف مما يتعاناه الجهال.

وقال سبطه أبو المظفر: أقل ما كان يحضر مجلسه عشرة آلاف، وكان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وسمعته يقول على المنبر في آخر عمره: «كتبت بأصبعيَّ هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مئة ألف». وما خرج من بيته إلا إلى الجامع للجمعة وللمجلس، وما مازح أحداً قط، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها، وما زال على ذلك الأسلوب حتى توفاه الله تعالى.

وكان يتصف بقوة البديهة، وحضور الذهن، والأجوبة النادرة، مع كثرة الحفظ وسعة الرواية. ومن أندر أجوبته أنه وقع النزاع على عهده في المفاضلة بين أبي بكر وعلي، بين أهل السنة والشيعة، ورضوا فيما بينهم بما يجيب به الشيخ أبو الفرج، فأقاموا له رجلاً وسط المجلس، فسأله عن ذلك، فقال على الفور: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ونزل في الحال حتى لا يراجع في ذلك. فقال السنية: هو أبو بكر رضي الله عنه، لأن عائشة رضي الله عنها تحت رسول الله ﷺ، وقالت الشيعة: هو علي رضي الله عنه، لأن فاطمة بنت رسول الله ﷺ تحته.

قال ابن خلكان: وهذه من لطائف الأجوبة، ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر.

ومن أجوبته أن رجلاً سأله: أيهما أفضل، أسبّح، أو أستغفر؟ فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون منه إلى البخور.

ومنزلته في الوعظ لم يكن يدانيه فيها أحد، ولقد أوتي من قوة العارضة، وحسن التصرف في فنون القول، وشدة التأثير في الناس، ما لم يؤت الكثيرون.

قال ابن رجب: قرأت بخط الإمام ناصح الدين ابن الحنبلي الواعظ في حق الشيخ أبي الفرج: اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره. وكانت مجالسه الوعظية جامعة للحسن والإحسان باجتماع ظراف بغداد، ونظاف الناس، وحسن الكلمات المسجعة، والمعاني المودعة في الألفاظ الرائجة، وقراءة القرآن بالأصوات المرجعة، والنغمات المطربة، وصيحات الواجدين، ودمعات الخاشعين، وإنابة النادمين، وذلّ التائبين... ووعظ وهو ابن عشر سنين إلى أن مات. حضرت مجالسه الوعظية بباب بدر عند الخليفة المستضيء، ومجالسه بدرب دينار في مدرسته، ومجالسه بباب الأزج على شاطىء دجلة.

ويصف ابن الجوزي نفسُه مجلساً من مجالسه فيقول: فسألني أهل الحربية أن أعقد عندهم مجلساً للوعظ ليلة، فوعدتهم ليلة الجمعة سادس ربيع الأول، وانقلبت بغداد، وعبر أهلها عبوراً زاد على نصف شعبان زيادة كبيرة، فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب، فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة، وصحبني منها خلق عظيم، فلما خرجت من باب البصرة، رأيت أهل الحربية قد أقبلوا بشموع لا يمكن إحصاؤها، فأضيفت إلى شموع أهل باب البصرة، فحزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالأضواء، وخرج أهل المحال والنساء والصبيان ينظرون، وكان الزحام كالزحام بسوق الثلاثاء، فدخلت الحربية، وقد امتلأ الشارع، وأكريت الرواشين من وقت الضحى، ولو قيل: إن الذين خرجوا يطلبون المجلس، وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلاثمائة ألف ما أبعد القائل.

قال ابن الجوزي: وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون في المذاهب فأعانني الله سبحانه عليهم، وكانت كلمتنا العليا.

وكان الشيخ رحمه الله يظهر في مجالسه مدح السنة والإمام أحمد وأصحابه، ويذم من يخالفهم، ويصرح بمذاهبهم في مسائل الأصول، لا سيما في مسألة خلق القرآن. وكلامه في كتبه الوعظية في ذلك كثير جداً.

وقال يوماً على المنبر: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقيل له مرة: قلّل من ذكر أهل البدع مخافة الفتن، فأنشد:

أتــوب إليــك يــا رحمــنُ ممــا جنيــتُ فقــد تعــاظمــتِ الــذنــوبُ
وأمــا مــن هــوى ليلــى وحبِّــي زيــارتهــا، فــإنــي لا أتــوبُ

وقال له قائل: ما فيك عيب إلا أنك حنبلي، فأنشد:

وعيّــرنــي الــواشــون أنــي أحبهــا وتلـك شكـاة ظـاهـر عنـك عـارهـا

ثم قال: أهذا عيبي؟! ولا عيب في وجه نقط صحنه بالخال.

علمه ومصنفاته:

قال الحافظ ابن الدُّبَيْثِيّ في ذيله على تاريخ السمعاني: شيخنا الإمام جمال الدين ابن الجوزي صاحب التصانيف في فنون العلم: من التفاسير، والفقه، والحديث، والوعظ، والرقائق، والتواريخ وغير ذلك، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه، والوقوف على صحيحه

من سقيمه، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال، ومعرفة ما يحتج به في أبواب الأحكام والفقه، وما لا يحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة، والانقطاع والاتصال، وله في الوعظ العبارة الرائقة، والإشارات الفائقة، والمعاني الدقيقة، والاستعارة الرشيقة، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأتمهم نظاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً، وبورك له في عمره وعمله، فروى الكثير، وسمع الناس منه أكثر من أربعين سنة، وحدث بمصنفاته مراراً.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين. وله في كل علم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كافٍ...

وقد ذكر ابن القادسي في تاريخه ما أخذ على ابن الجوزي من كثرة أغلاطه في تصانيفه فقال: وعذره في هذا واضح، وهو أنه كان مكثراً من التصانيف، فيصنف الكتاب ولا يعتبره، بل يشتغل بغيره، وربما كتب في الوقت الواحد في تصانيف عديدة. ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة. ومع هذا فكان تصنيفه في فنون من العلوم بمنزلة الاختصار من كتب في تلك العلوم، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقناً لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث، ولهذا نقل عنه أنه قال: أنا مرتب، ولست بمصنف.

قال ابن رجب: قرأ على الشيخ أبي الفرج جماعة؛ منهم طلحة العلثي، ومنهم أبو عبد الله ابن تيمية خطيب حران. وذكر في أول تفسيره أنه قرأ عليه كتابه «زاد المسير» في التفسير قراءة بحث ومراجعة.

وروى عنه خلق، منهم ولده الصاحب محيي الدين، وسبطه أبو المظفر الواعظ، والشيخ موفق الدين ابن قدامة، والحافظ عبد الغني المقدسي، وابن الدبيثي، وابن القطيعي، وابن النجار، وابن الخليل، وابن عبد الدايم، والنجيب عبد اللطيف الحراني، وهو خاتمة أصحابه بالسماع.

قال ابن رجب: وكان رحمه الله تعالى إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنّف مثله في الحال، وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه، وحدة ذهنه، فربما صنف لأجل ذلك الشيء ونقيضه بحسب ما يتفق له من الوقوف على تصانيف من تقدمه.

قال ابن خلكان: وبالجملة فكتبه أكثر من أن تعد، وكتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا: إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة، فكان ما خص كل يوم تسعة كراريس، وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبله

العقل، ويقال: إنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث رسول الله ﷺ فحصل منها شيء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك، فكفت وفضل منها.

وتصانيف ابن الجوزي كثيرة جداً بلغت ـ فيما يذكر الرواة ـ خمسين ومائتي كتاب، وقد نقل ابن رجب عن ابن القطيعي أن ابن الجوزي ناوله كتاباً بخطه سرد فيه تصانيفه.

قال أبو الفرج: أول ما صنفت وألفت ولي من العمر نحو ثلاث عشرة سنة. ومن تصانيفه[1]:

- «المغني» في التفسير، ٨١ جزءاً.
- «زاد المسير في علم التفسير» أربعة مجلدات.
- «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» مجلد.
- «نزهة العيون النواظر في الوجوه والنظائر» مجلد.
- «عمدة الراسخ في معرفة المنسوخ والناسخ» خمسة أجزاء.
- «منهاج الوصول إلى علم الأصول» خمسة أجزاء.
- «دفع شبه التشبيه» أربعة أجزاء.
- «بستان الواعظين ورياض السامعين».
- «الحدائق» أربعة وعشرون جزءًا.
- «غرر الأثر» ثلاثون جزءاً.
- «التحقيق في أحاديث التعليق» مجلدان.
- «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات» مجلدان.
- «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» مجلدان.
- «الكشف لمشكل الصحيحين» أربعة مجلدات.
- «الضعفاء والمتروكين» مجلد.
- «إخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث» جزء.
- «الفوائد عن الشيوخ» ستون جزءاً.
- «مناقب أصحاب الحديث» مجلد.
- «المشيخة» جزء.
- «الألقاب» جزء.

---

(١) وضع الأستاذ عبد الحميد العلوجي كتاباً بعنوان «مؤلفات ابن الجوزي» طبع في بغداد سنة ١٩٦٥ م. كما نشرت الأستاذة ناجية عبد الله إبراهيم رسالة بعنوان «ابن الجوزي ـ فهرست كتبه» في مجلة المجمع العلمي العراقي ع ٣١ س ١٩٨٠.

- «مناقب أبي بكر»
- «فضائل عمر بن الخطاب» مجلد.
- «مناقب علي» مجلد.
- «فضائل عمر بن عبد العزيز» مجلد.
- «فضائل سعيد بن المسيب» مجلد.
- «فضائل الحسن البصري» مجلد.
- «مناقب الفضيل بن عياض» أربعة أجزاء.
- «مناقب بشر الحافي» سبعة أجزاء.
- «مناقب إبراهيم بن أدهم» ستة أجزاء.
- «مناقب سفيان الثوري» مجلد.
- «مناقب الإمام الشافعي».
- «مناقب أحمد بن حنبل» مجلد.
- «مناقب معروف الكرخي» جزآن.
- «مناقب رابعة العدوية» جزء.
- «صفوة الصفوة» خمسة مجلدات.
- «منهاج القاصدين» أربعة مجلدات.
- «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير» مجلد.
- «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» عشرة مجلدات.
- «الإنصاف في مسائل الخلاف».
- «أسباب الهداية لأرباب البداية» مجلد.
- «منتخب المنتخب» مجلد.
- «المقتبس» مجلد.
- «المدهش» مجلدان.
- «لقط الجمان» جزء.
- «نزهة الأديب» جزآن.
- «تبصرة المبتدىء» عشرون جزءاً.
- «تحفة الوعاظ» مجلد.
- «صيد الخاطر» خمسة وستون جزءاً.
- «كتاب القصاص والمذكرين».
- «تقويم اللسان» مجلد.

- «الأذكياء» مجلد.
- «أخبار الحمقى والمغفلين».
- «تلبيس إبليس» مجلدان.
- «الثبات عند الممات» جزآن.
- «إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء».
- «بيان الخطأ والصواب عن أحاديث الشهاب» ستة عشر جزءاً.
- «الوفا بفضائل المصطفى ﷺ» مجلدان.
- «منهاج الإصابة في محبة الصحابة».
- «المنفعة في المذاهب الأربعة» مجلدان.
- «غريب الحديث» مجلد.
- «لفتة الكبد في نصيحة الولد».
- «ذم الهوى»؛ وهو هذا الكتاب الذي نقدم له.

وفاتــه:

قال سبطه أبو المظفر: جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان ـ يعني سنة سبع وتسعين وخمسمائة ـ تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً قطع عليها المجلس، ثم نزل عن المنبر فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في داره وعمره نحو التسعين، وغسل وقت السحر واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وحملت جنازته على رؤوس الناس، وكان الجمع كثيراً جداً، وكان في شهر تموز، فأفطر بعض من حضر لشدة الحر وكثرة الزحام، وما وصل حفرته إلا وقت صلاة الجمعة والمؤذن يقول: الله أكبر. ودفن بباب حرب، بالقرب من مدفن أحمد بن حنبل رضي الله عنه. وترك من الأولاد ثلاثة ذكور، وثلاث إناث. تغمده الله برحمته ونفع المسلمين بعلومه، وجعل أجر ذلك في صحيفة أعماله.

منهج التحقيق

- عزوتُ الآيات إلى مواضعها في المصحف، وراقبتها عليه، تلافياً لأي خطأ مطبعي.
- عزوتُ الأحاديث إلى مَن خرّجها، وذكرتُ الصحيح من الضعيف ما كان إلى ذلك سبيل.
- ترجمتُ للأعلام الوارِدين في الكتاب الذين عليهم مدار القصّة أو القول بحسب الطاقة.
- شرحت من الكلمات والمفردات ما وجدته يحتاج لذلك.
- عرَّفْت البلادَ الواردة في النص.
- ضبطتُ الكلمات والأسماء الغريبة.
- ضبطتُ أنسابَ الرواة، وبيَّنْتُ أصل النسب وإلى ماذا ينتسبون.
- علَّقْت على المواضع التي تحتاج لذلك قدر الطاقة.
- قدمتُ للكتاب بمقدمة صغيرة بيّنت فيها أهميّة الكتاب، وسبب تأليفه ومنهج المؤلف فيه.
- ترجمت للمؤلف ترجمة موجزة تُعطي القارىء نبذة عن حياته رحمه الله تعالى.

هذا وما كان فيه من حقّ وصواب فَمِن الله، فهو المانّ به، فإنّ التوفيق بيده.
وما كان فيه من زلل فمِنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.
فيا أيها القارىء الناظر فيه... لك غنمه وعليّ غرمه، ولك ثمرته وعليّ عائدته.
فإن عُدِمْتُ منك حمداً وشكراً، فلا أُعْدَم منك دعاءً وعذراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرَّحمَن الرحيم

خطبة المؤلف

الحمدُ للَّهِ حَمد الشاكرين، وصلواته على سيّد المُرسلين، محمّد النبيِّ الأميِّ وآله الطاهرين، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

شكا إليَّ بعضُ من أثَّرتْ شكواه إثارةَ هِمَّتي في جمع هذا الكتاب، من بلاءٍ ابْتُلي به، وهوًى هوَى فيه، وسألني المبالغةَ في وَصْف دواء دائه، فأهديتُ له نصيحةَ وَدِيدٍ لأَوِدَّائِهِ[1]، وقد أتيتُ بها على أبلغِ ترتيبٍ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فصـــل

اعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإيّاك لمراضِيهِ، وعَصَمَنَا وإيّاك عن معاصيه ـ أنّك لم تَشْكُ إليَّ مرضَك إلاَّ وفيك بَعْدُ بقيةٌ تُرْجَى بها السَّلامة، فبادرْ إلى استعمال الدواءِ، وبالغْ في ملازمة الحِمْيَةِ[2]، وقد رجوتُ لك العافية.

فأمّا إن كنتَ تَمْضِي في تَخْلِيطِكَ ولا تصبر على مَضَضِ[3] ما يُوصف لك، فإنك تُتْعِبُني وتَتْعَب.

وأعلم أنّي قد نزلتُ لأجلِكَ في هذا الكتاب عن يَفاع[4] الوَقَار، إلى حَضِيض الترخّص[5] فيما أُورِدُ، اجتذاباً لسلامتك، واجتلاباً لعافيتك، وقد مددتُ فيه النَّفَسَ بعضَ

---

(١) أي: حبيب لأحبّائه. والوُدّ: خالص المحبة، وهو من الحبّ بمنزلة الرأفة من الرحمة. الكليات للكفوي ص ٣٩٨، وانظر: والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٧٢٢.

(٢) أي بالغ في الاحتماء. قال في مختار الصحاح: «حِمْيَة وحِمْوَة ـ بكسر أولهما ـ واحتميتُ من الطعام احتماءً». وانظر الكليات ص ٤٠٩.

(٣) المَضَضُ: وجع المصيبة، تقول: أمضّه الجرحُ، إذا أوجعه.

(٤) اليَفَاع: ما ارتفع من الأرض، وقد أيفع: أي ارتفع.

(٥) أي أسفله وأدناه، وأصل الحضيض: القرار من الأرض عند منقطع الجبل.
ومعنى الكلام: أنّ المصنف رحمه الله سيَنْزِل لأجلِ السائل وفهمه عن مكانة الوقار ومنزلته إلى سبيل الترخّص والسهولة واليسر فيما يُورد من الأخبار والآثار وغير ذلك.

المدّ، لأنّ مثلَكَ مُفْتقرٌ إلى ما يُلْهِيه من الأَسْمَار[1]، عن الفِكْر فيما هو بصدده من الأخطار، فليكنْ هذا الكتابُ سَمِيْرَك، واستعمالُ ما آمرُك به فيه شُغلَك، والله وليّ صَلاحِك، فإنّه لا عاصم إلاّ مَنْ رَحِم.

فصـــل

وقد ضمّنتُ هذا الكتاب خمسين باباً، وهذه تراجم الأبواب:

---

(١) السَّمَر والمُسَامرةُ: الحديث بالليل.
(٢) المردان: جمع أمرد، وهو الذي لم تنبت له لحية.

---

(١) أي: خدعها وأفسدها. والخَبُّ: الخدّاع، وهو الجُرْبُزُ الذي يسعى بين الناس بالفساد، وقد تُكسر خاؤه.

(٢) الضنى: النحول والهزال الشديد.

الباب السادس والأربعون: في ذكر أخبار من قُتِلَ من العُشّاق.
الباب السابع والأربعون: في ذكر أخبار من قَتله العِشْق.
الباب الثامن والأربعون: في ذكر من قَتل نفسَه بسبب العِشْق.
الباب التاسع والأربعون: في ذكر أَدْوِيَةِ العِشْقِ.
الباب الخمسون: فيه مجموع وصايا وزَواجر ومَواعظ.

فهذه جميع أبواب الكتاب، وصلّى الله على سيدنا محمّدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آله وسلّم تسليماً.

البابُ الأوّل

في ذِكْرِ العَقْلِ، وفَضْلِه، وذِكْرِ ماهِيَّتِه

اختلف الناسُ في ماهيّة العقل اختلافاً كثيراً.

فقال قومٌ: هو ضَرْبٌ من العُلوم الضرورية.

وقال آخرون: هو غريزة يتأتّى معها دَرْك[1] العلوم.

وقال آخرون: هو قوة يُفَصَّل بها بين حقائق المعلومات.

وقال آخرون: هو جوهر بسيط.

وقال قومٌ: هو جسم شفاف.

وقال الحارث المُحَاسِبي[2]: هو نور. وبهذا قال أبو الحسن التّميمي[3] من أصحابنا.

وروى إبراهيم الحَرْبي[4]، عن أحمد[5] أنه قال: العقل غريزة. وقد روي عن المُحاسبي أيضاً مثله.

---

(١) درك العلوم: معرفتها وفهمها.

(٢) هو الحارث بن أسد المحاسبي، الزاهد المشهور، أبو عبد الله، البصري، ثم البغدادي، له تصانيف، أغلبها في الزهد والتصوّف، من هذه الكتب: التفكر والاعتبار، الرعاية في الأخلاق والزهد.. وغير ذلك، توفي في بغداد سنة (٢٤٣) هـ. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨/ ٢١١، تهذيب التهذيب ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٦، تقريب التهذيب (١٠٠٩) ص ١٤٥.

(٣) هو أبو الحسن عبد العزيز بن الحارث بن أسد التميمي، الحنبلي. فقيه، أصولي، فَرَضي. له تصانيف في الفقه وأصوله، وفي الفرائض، توفي سنة (٣٧١) هـ. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٠/ ٤٦١ ـ ٤٦٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٩٨.

(٤) هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، أبو إسحاق، من تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، محدّث فقيه، وله مشاركة في الأدب واللغة، أصله من مَرْو، وتوفّي في بغداد سنة (٢٨٥) هـ. له تصانيف كثيرة، منها: غريب الحديث، المغازي، مناسك الحج، وغيرها. انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ٦/ ٢٧ ـ ٤٠، البداية والنهاية ١١/ ٧٩، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨، ومعجم البلدان ١/ ١٣ ـ ١٤.

(٥) هو الإمام المُبَجَّل أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، وهو إمام مشهور، ومواقِفُه في حفظ السنّة والدفاع عنها والذّب عن أسوارها معروفة منتشرة أشهر من أنْ تُذكر، توفي رحمه الله سنة (٢٤١) هـ في بغداد. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء ١١/ ١٧٧، تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢ ـ ٤٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ١٧ ـ ١٨، البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥ ـ ٣٤٣، شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٩٦ ـ ٩٨.

والتحقيق في هذا أن يقال: العقل غريزة، كأنّها نورٌ يُقذَفُ في القلب، فيستعدّ لإدراك الأشياء، فيعلم جوازَ الجائزات، واستحالةَ المُستحيلات، ويَتَلَمّح عواقِبَ الأمور[١].

وذلك النّور يقلّ ويكثر، وإذا قويَ ذلك النّور قَمَعَ[٢] ـ بملاحظة العَواقب ـ عاجِلَ الهوَى[٣].

ذِكْرُ مَحَلِّ العَقْلِ[٤]

أكثر أصحابنا يقولون محلّه القلب، وهو مرويٌّ عن الشافعي رضي الله عنه. ودليلهم قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَ لَهُم قُلُوبٌ يَعْقِلونَ بِهَا﴾ [سورة الحج/ ٤٦].

وقوله: ﴿إنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرَى لمن كانَ له قلبٌ﴾ [سورة ق/ ٣٧] قالوا: المراد، لمن كان له عقل، فعبّر بالقلب عن العقل، لأنه محله.

ونقل الفضل بن زياد عن أحمد ـ رضي الله عنه ـ: أنّ محلّه الدّماغ. وهو اختيار أصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه.

ذِكْرُ فَضْلِ العَقْلِ مِنْ طريقِ النَّقْلِ[٥]

١ ـ أخبرنا عليُّ بن محمد بن أبي عمر، قال: أنبأنا علي بن الحُسين بن أيوب، قال:

---

(١) قال الجرجاني في كتاب التعريفات ص ١٩٦ ـ ١٩٧: «العقل: جوهر مجرّد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله، وهي النفس الناطقة التي يشير إليها كلّ أحد بقوله: أنا. وقيل: العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقاً ببدن الإنسان. وقيل: العقل نور في القلب يعرف الحقّ والباطل. وقيل: العقل جوهر مجرّد عن المادّة يتعلّق بالبدن تعلّق التدبير والتصرف. وقيل: العقل قوة النفس الناطقة، وهو صريحٌ أن القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة، وأن الفاعل في التحقيق هو النفس، والعقل آلة لها، بمنزلة السكين بالنسبة إلى القاطع. وقيل: العقل والنفس والذهن واحد، إلا أنها سميت عقلاً لكونها مدركة، وسميت نفساً لكونها متصرفة، وسميت ذهناً لكونها مستعدة للإدراك. ثم قال: العقل: ما يعقل به حقائق الأشياء». وقال الكفوي في الكليات ص ٦٧: «العقل هو جوهر تدرك به الغائبات بالوسائط، والمحسوسات بالمشاهدة».

* وللعَقْل أسماءٌ كثيرة منها: «اللُّبّ، والحِجَى، والحِجْر، والنُّهى، انظر الكفوي: ص ٦١٩ ـ ٦٢٠.

(٢) قَمَعَ: أي: قَهَر، تقول: فلان قَمع ـ وأقمع ـ فلاناً، إذا قهره وأذلّه.

(٣) معنى هذه الجملة: أن العقل إذا قوي نوره استطاع أن يَقْمع اللذّات ويقهر الهوى الذي يطرأ على الإنسان، وذلك لنظره ـ أي نظر العقل ـ في عواقب هذه اللذات والشهوات، فيرتدع عن مقارفتها والوقوع فيها.

(٤) انظر في هذه المسألة الكليات للكفوي ص ٦١٩.

(٥) لقد ورد في فضل العقل أحاديث كثيرة، لكنها ضعيفة منكرة، بل أغلبها موضوع، انظر في هذه =

أنبأنا عبد الغفّار بن محمد المُؤَدِّب، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مَخْلَد الجَوْهَرِي، قال: حدثنا الحارث بن محمد بن أبي أسامة، قال: حدّثنا داود بن المحبّر، قال: أنبأنا عبّاد بن كثير، عن ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن ابن عباس، أنه دخل على عائشة رضي الله عنها، فقال: يا أمّ المؤمنين؛ أرأيتِ الرجلَ يقلّ قيامُه ويكثر رُقَادُه، وآخر يَكثُر قيامُه ويقلّ رقادُه، أيهما أحبّ إليك؟ قالت سألتُ رسول الله ﷺ كما سألتني، فقال: «أحسنهما عقلاً»، فقلت: يا رسول الله، إنما أسألك عن عبادتهما، فقال: «يا عائشة إنهما لا يُسألان عن عبادتهما، إنما يُسألان عن عقولهما، فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة»[1].

٢ ـ أخبرنا عبد الحقّ، قال: أنبأنا محمد بن مرزوق، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا ابن رَزْقَوَيْه، قال: حدثنا جعفر بن محمد الخَلَدِيّ، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة التميمي، قال: حدثنا داود بن المحبّر، قال: حدثنا غياث بن إبراهيم، عن الربيع بن لُوط الأنصاري، عن أبيه، عن جدّه البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكلّ سبيلٍ مطيّة[2] وثيقَةً ومحجّةً واضحة، وأوثقُ النّاس مطية وأحسنهم دِلالة ومعرفة بالمحجّة الواضحة أفضلهم عقلاً»[3].

= الأحاديث كتاب العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص ٢٩ ـ ٤٠، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٧٢، واللآلىء المصنوعة ١/ ١٢٥ ـ ١٣٣، وتنزيه الشريعة المرفوعة ١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ و ٢١٣ ـ ٢٢٥، والفوائد المجموعة ص ٤٧٥ ـ ٤٧٩، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٨ ـ ٢٩.

(١) حديث موضوع. رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما ذكر السيوطي في اللآلىء ١/ ١٢٨، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٧٧. والعِلّة فيه من داود بن المحبِّر الطائي.
قال الدارقطني: «كتاب (العقل) وضعه أربعة، أوّلهم مَيْسَرة [بن عبد ربه]، ثم سرقه داود [بن المحبّر] فركّبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، ثم سرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السِّجْزي فركّبه بأسانيد أخر» انظر اللآلىء المصنوعة ١/ ١٢٨، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٠.
وقال ابن عدي: «وعند داود كتاب قد صنّفه في فضل العقل، وفيه أخبار كلها أو عامتها غير محفوظات، وله أحاديث صالحة غير كتاب العقل...» الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ١٠١.
وقال الحاكم: «حدّثونا عن الحارث بن أبي أسامة عنه بكتاب العقل، وأكثر ما أُودِعَ ذلك الكتاب من الحديث: الموضوع على رسول الله ﷺ». تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠١.
وعلماء الجرح والتعديل كلهم مجمعون على تضعيفه واتهامه بالكذب، ولا حجة لتحسين الكوثري له في مقدمته لكتاب العقل وفضله لابن أبي الدنيا اعتماداً على بعض أقوال ابن معين فيه؛ فابن معين لم يوثقه التوثيق الكامل. انظر تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٩ ـ ٢٠١.

(٢) مطيّة: أي ظهر يُركب، والمعنى أن لكل طريق لا بدّ لها من ظهر يركب عليه الإنسان ومن دليل وحُجّة واضحة تبيّن له وجه الحقّ وطريق الصواب، وخير الناس في ذلك أفضلهم عقلاً.

(٣) حديث موضوع. رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، كما في تنزيه الشريعة ١/ ٢١٥، حيث ذكره ابن عرّاق ضمن أحاديث في العقل، قال قبل ذكرها وسياقها ١/ ٢١٣: «أحاديث في العقل، أخرجها=

٣ ـ أخبرنا ابنُ ناصر، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن علي، قال: أنبأنا عبد الباقي، قال: حدثنا بشر بن موسى، قال: حدثنا منصور بن صُقَيْر، قال: حدثنا موسى بن أَعْيَن، عن أبي عُبيد الله بن عُمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل ليكون من أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الحج وأهل الجهاد، فما يُجزَى يوم القيامة إلاّ بِقَدْر عَقْلِه»(١).

٤ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا أبو علي بن المَهْدِيّ، قال: أنبأنا عُبيد الله بن عُمر بن شاهين، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن محمد البَاغَنْدِي(٢)، قال: حدثنا

= داود بن المحبّر في كتاب العقل، ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة في مسنده. وكلّها موضوعة كما قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية».

(١) حديث منكر باطل. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله رقم (١٤)، والطبراني في المعجم الصغير ١/١٠٨، وفي الأوسط كما في مجمع الزوائد ٨/٢٨، والخطيب البغدادي في تاريخه ١٣/٧٩، وابن الجوزي في الموضوعات ١/١٧٢، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٤/١٩٢، وذكره ابن عرّاق في تنزيه الشريعة ١/٢٠٣، والذهبي في ميزان الاعتدال ٤/١٨٥، والشوكاني في الفوائد المجموعة ص ٤٧٥.
قلت: سبب ضعف هذا الحديث:
١ ـ منصور بن صُقير، أبو النضر البغدادي: ضعيف، انظر التقريب (٦٩٠٣)، وستأتي ترجمته.
٢ ـ قال ابنُ معين: إن منصوراً ـ هذا ـ أسقط من سند الحديث إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة. قال ابن أبي حاتم في علل الحديث ٢/١٢٩: «قال أبي: سمعت ابن أبي الثلج يقول: ذكرت هذا الحديث ليحيى بن معين، فقال: **هذا حديث باطل**، إنما رواه موسى بن أعْيَن عن صاحبه عبيد الله بن عمر عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن نافع عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ، فرفع إسحاق من الوسط، فقيل: موسى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر. ثم قال أبو حاتم: **وهو حديث باطل في الأصل**، قيل لأبي بكر: ما كان منصور هذا؟ قال: ليس بقوي كان جندياً، وفي حديثه اضطراب».
وقال ابن حبان في المجروحين ٣/٤٠: «**هذا خبر مقلوب**، تتبّعته مرة لأن أجد لهذا الحديث أصلاً أرجع إليه، فلم أره إلاّ من حديث إسحاق بن أبي فروة عن نافع عن ابن عمر. وإسحاق بن أبي فروة ليس بشيء. وعبيد الله بن عمر سمع من إسحاق بن أبي فروة، فكأن موسى بن أعين سمعه من عبيد الله بن عمر ـ في المذاكرة ـ عن إسحاق بن أبي فروة، فسمعه منصور بن صُقير عنه، فسقط عليه إسحاق بن أبي فروة راوي [عبيد الله] بن عمر، فصار عبيد الله بن عمر عن نافع».
وقال ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٧٢: «**هذا حديث ليس بصحيح**».
قلت: فمدار الحديث على إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، وهو متروك. كما في التقريب (٣٦٨) ص ١٠٢. وأقوال العلماء في تضعيفه كثيرة، من ذلك: قال ابن معين: لا يكتب حديثه ليس بشيء، وقال في رواية أخرى: كذاب، وقال علي بن المديني: منكر الحديث، وقال عمرو بن علي وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي: متروك الحديث، وقال النسائي في موضع آخر: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه، وقال الدارقطني والبرقاني: متروك، وقال ابن عَدِيّ: لا يُتابع على أسانيده ولا على متونه.

(٢) البَاغَنْدِيّ: نسبة إلى باغند من قرى واسط. وهو محمد بن محمد بن سليمان، أبو بكر الحافظ المعمّر=

محمد بن عبد النور، قال: حدثني أحمد بن المفضّل، قال: حدثنا سفيان، عن حَبِيب بن أبي ثابت، عن عاصم، عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد سبق إلى جنّات عَدْن أقوامٌ، ما كانوا بأكثر الناس صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكنهم عَقَلُوا عن الله عزّ وجلّ مَوَاعِظَه، فوَجِلَتْ منهم قلوبُهم، واطمأنت إليه النفوس، وخَشَعتْ منهمُ الجوارح، ففاقوا الخَلِيْقَة بِطِيبِ المنزلة وحُسْن الدَّرجة، عند النّاس في الدنيا، وعند الله في الآخرة».

قلت: المنقول عن رسول الله ﷺ في فضل العقل كثير، إلا أنه بعيد الثبوت، فلنقتصر على هذا القدر منه.

قال أبو حاتم ابن حِبّان الحافظ(1): «لست أحفظ عن النبي ﷺ خبراً صحيحاً في العقل، لأنّ أبان بن أبي عياش(2)، وسلمة بنوزْدَان(4)، وعمير بن عِمران(5)، وعلي بن

= توفي سنة (٣١٢) هـ. وقد اختلفت أقوال العلماء فيه بين موثِّق مُعَدِّل وبين مُجرِّح طاعن. وخلاصة القول فيه: إنه رجل حافظ كثير الحديث، صدوق في نفسه أي لا يتعمّد الكذب، وإن كان فيه ضعف من جهة حفظه، بالإضافة إلى ما يُنكر عليه من تدليسه وتصحيفه. انظر ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٢٦ ـ ٢٧، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر ٥/ ٣٦٠ ـ ٣٦٢، والأنساب للسمعاني ١/ ٢٦٢.

حديث ضعيف، فيه: ـ الباغَندي، وهو ضعيف من جهة حفظه.

ـ أحمد بن المُفَضّل الحَفَرِي، أبو علي الكوفي: صدوق في حفظه شيء. التقريب ص ٨٤.

ـ حبيب بن أبي ثابت الأسدي الكوفي: ثقة فقيه، لكنه كثير الإرسال والتدليس، التقريب ص ١٥٠.

(١) هو الإمام الحافظ المحدّث المؤرّخ محمد بن حِبّان بن أحمد التميمي البُسْتِيّ، صاحب الصحيح، المسمّى بالتقاسيم والأنواع. ولد في مدينة بُسْت من بلاد سجستان سنة بضع وسبعين ومائتين، وسمع خلائق بخراسان والعراق والحجاز والشام ومصر والجزيرة وغيرها. فَقّه الناس بسمرقند، وولي قضاءها، ثم عاد إلى وطنه بُسْت وتوفي فيها سنة (٣٥٤) هـ. وله تصانيف كثيرة من أهمها: الصحيح، والثقات، وكتاب المجروحين، وروضة العقلاء ونزهة الفضلاء. وغيرها كثير. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٦/ ٩٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١١/ ٢٥٩، والكامل في التاريخ ٨/ ١٨٦، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ١٢٥ ـ ١٢٩.

(٢) هو أبان بن أبي عياش فيروز مولى عبد القيس البصري، متروك الحديث، واتهمه شعبة وغيره بالوضع والكذب على رسول الله ﷺ، ومما قيل فيه:

ـ قال أحمد بن حنبل: متروك الحديث، ترك الناس حديثه منذ دهر. وحكى الخليلي في الإرشاد ـ بسند صحيح ـ أن أحمد قال ليحيى بن معين وهو يكتب عن عبد الرزاق عن معمر عن أبان نسخةً: تكتبُ هذه وأنت تعلم أنّ أبان كذاب؟! فقال: يرحمك الله يا أبا عبد الله، أكتُبها وأحفظها حتى إذا جاء كذّاب يرويها عن معمر عن ثابت عن أنس، أقول له: كذبت، إنما هو أبان، وقال أبو عوانة: لا أستحلّ أن أروي عنه شيئاً، وقال ابن أبي حاتم: سُئِل أبو زرعة عنه فقال: ترك حديثه، ولم يقرأه علينا، فقيل له: كان يتعمّد الكذب؟ قال: لا، كان يسمع الحديث من أنس ومن شهر ومن الحسن فلا يميّز بينهم. وقال ابن عدي: عامّة ما يرويه لا يُتابع عليه، وهو بَيِّن الأمر في الضعف، وأرجو أنه لا يتعمد الكذب، إلاّ أنه يُشَبّه عليه ويغلط، وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق كما قال شعبة. وكان يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمٰن بن مهدي لا يُحدّثان عنه. وكان شعبة شديد الكلام فيه، =

زيد(١)، والحسن بن دينار(٢)، وعبّاد بن كثير(٣)، ومَيْسرة بن عبد ربّه(٤)، وداود بن

= فما قاله عنه: * لأن أشرب من بول حماري أحبّ إليّ من أن أقول: حدثني أبان. * لأن يزني الرجل خير من أن يروي عن أبان. قال حماد بن زيد: جاءني أبان بن أبي عياش فقال: أحبّ أن تكلّم شعبة أن يكفّ عنّي. قال: فكلمته، فكفّ عنه أياماً، ثم أتاني في الليل فقال: إنه لا يحل الكفّ عنه، إنه يكذب على رسول الله ﷺ. وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب ص ٨٧: «متروك». وقال ابن عرّاق الكناني في تنزيه الشريعة ١٩/١: «متروك اتّهم بكذب». وانظر: تهذيب التهذيب ١/٩٧ ـ ١٠١، وميزان الاعتدال ١/١٠ ـ ١٤.

(٤) هو سلمة بن وَرْدَان الليثي المدني أبو يعلى ت (١٥٦) هـ ضعيف منكر الحديث: قال أبو موسى: كان يحيى [ابن سعيد القطان] وعبد الرحمٰن [ابن مهدي] لا يُحدّثان عنه، وقال أحمد بن حنبل: منكر الحديث، ضعيف الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال ابن أبي حاتم: ليس بقوي، وتدبّرت حديثه فوجدت عامتها منكرة لا يوافِق حديثه عن أنس أحاديث الثقات إلاّ في حديث واحد، وقال ابن عدي: في متون بعض ما يرويه أشياء منكرة، وقال ابن حبان: كان يروي عن أنس أشياء لا تشبه حديثه، وعن غيره من الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات، كأنه كان قد حطمه السِّنّ، فكان يأتي بالشيء على التوهّم حتى خرج عن حدّ الاحتجاج، وقال أبو داود والنسائي والعجلي والدارقطني: ضعيف، وقال ابن سعد: قد رأى عدّة من الصحابة، وكانت عنده أحاديث يسيرة، وكان ثبتاً فيها، ولا يُحتجّ بحديثه، وبعضهم يُضعّفه.

(٥) هو عمير بن عمران الحنفي. قال ابن عديّ: حدّث بالبواطيل، والضعف على روايته بيّن، وقال العُقَيلي: في حديثه وهم وغلط. انظر: ميزان الاعتدال ٣/٢٩٦، ولسان الميزان ٤/٣٨٠، وتنزيه الشريعة ١/٩٤.

(١) هو عليّ بن زيد بن عيسى. قال الذهبي في الميزان ٣/١٢٩: «عليّ بن زيد بن عيسى عن يعقوب الفَسَوي ـ بإسناد نظيف ـ مرفوعاً: يؤتى يوم القيامة بشيخ تُرعَدُ فرائصه وتصطكّ ركبتاه. فذكر خبراً باطلاً. قال ابن عساكر: الحَمْل فيه على هذا، أو على محمد بن الحُسين البكري». وانظر: لسان الميزان ٤/٢٣٠، والباعث الحثيث لبرهان الدين الحلبي ص ١٨٧، وقال ابن عرّاق في تنزيه الشريعة ١/٨٧: «اتّهمه ابن عساكر».

(٢) هو الحسن بن دينار التميمي البصري، أبو سعيد. قال الحافظ في التهذيب: وهو الحسن بن واصل التميمي، ودينار زوجِ أمه. قال ابن حبان: تركه وكيع وابن المبارك، وأما أحمد [ابن حنبل] ويحيى [ابن معين] فكانا يكذّبانه، وقال البخاري: تركه يحيى [ابن سعيد القطان] وعبد الرحمٰن [ابن مهدي] وابن المبارك ووكيع، قال أبو حاتم: متروك كذّاب، وقال أبو خيثمة: كذّاب، قال أحمد: لا أكتب حديثه، قال النسائي: متروك، قال الحافظ ابن حجر في التهذيب: وذكره في الضعفاء كلّ مَن صنف فيهم، ولا أعرف لأحد فيه توثيقاً. ثم قال: وجاء عن شعبة ما يدلّ على أن الحسن كان لا يتعمد الكذب. وإلى هذا ذهب أبو داود حيث قال: حدثنا الحسن بن واصل. وما هو عندي من أهل الكذب، ولكنه لم يكن بالحافظ، وقال ابن المبارك: اللهم إني لا أعلمُ إلاّ خيراً، ولكن أصحابي وقفوا فوقفتُ. انظر: ميزان الاعتدال ١/٤٨٧، وتهذيب التهذيب ٢/٢٧٥، وقال ابن عرّاق في تنزيه =

المُحَبّر[1]، ومنصور بن صقير[2]، وذَوِيهم، ليسوا ممن أَحْتَجُّ بأخبارهم، فأُخَرِّج ما عندهم من الأحاديث في العقل»[3].

= الشريعة ١/ ٤٩: «الحسن بن دينار، أبو سعيد التميمي، كذّبه أبو حاتم، وأبو خيثمة، وقال الساجي: كان يُتّهم».

(٣) هو عبّاد بن كثير الثقفي البصري، عابد جاور بمكة. توفي بعد الأربعين ومائة. قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: هو أسوأ حالاً من الحسن بن عمارة وأبي شيبة، روى أحاديث كذب لم يسمعها، وكان صالحاً، قلت: فكيف روى ما لم يسمع؟! قال: البلَه والغفلة. وقال ابن معين: ضعيف الحديث وليس بشيء، وقال أيضاً: ليس بشيء في الحديث، وكان رجلاً صالحاً، وقال ابن المبارك: انتهيتُ إلى شعبة، فقال: هذا عبّاد بن كثير فاحذروه، وقال البخاري: تركوه، وقال النسائي: متروك، وقال الحاكم وأبو نعيم: أبو عبد الله ـ يعني عباداً ـ شيخ قديم، كان الثوري يكذّبه. ولمّا مات لم يُصَلِّ عليه. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٥، وتهذيب التهذيب ٥/ ١٠٠ ـ ١٠٢. وقال الحافظ في التقريب ص ٢٩٠: «متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب». وقال ابن عرّاق في التنزيه ١/ ٧٠: «قال الإمام أحمد أحاديثه كذب».

(٤) هو ميسرة بن عبد ربه الفارسي، ثم البصري. قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات، ويَضع الحديث، وهو صاحبُ حديث فضائل القرآن الطويل، وقال أبو داود: أقرّ بوضع الحديث. يقصد بذلك ما ذكره محمد بن عيسى الطبّاع، قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: مِنْ أين جئتَ بهذه الأحاديث، من قرأ كذا كان له كذا؟ قال: وضعته أرغِّب الناس، وقال أبو حاتم الرازي: كان يفتعل الحديث، روى في فضل قزوين والثغور، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول: إني أحتسب في ذلك، وقال البخاري: ميسرة بن عبد ربه يُرْمى بالكذب، وقال النسائي في كتاب التمييز: كذّاب، وقال الحاكم: يروي عن قوم من المجهولين الموضوعات، وهو ساقط، وقال أبو نعيم: يروي الأباطيل، وقال مسلمة بن قاسم: كذّاب، روى أحاديث منكرة، وكان ينتحل الزهد والعبادة، فإذا جاء الحديث جاء بشيء آخر. انظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٠، ولسان الميزان ٦/ ١٣٨، والمجروحين لابن حبان ٣/ ١١، والجرح والتعديل ٨/ ١٦١، والكشف الحثيث ص ٢٦٥، وتنزيه الشريعة ١/ ١٢١.

---

(١) هو داود بن المحبّر الطائي. وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٢) هو منصور بن صقير ـ ويقال: ابن سُقير ـ الحرّاني البغدادي. قال أبو حاتم: ليس بقوي في حديثه اضطراب. وقال العقيلي: في حديثه بعض الوَهم وكان الإمام أحمد يكتب الحديث عنه، وشدّد ابنُ حبان القول فيه، فقال: يروي المقلوبات، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.
ومما تقدم يُعلم أنّ ابن صُقير ليس من الكذّابين ولا المتهمين بالكذب، بل هو راوٍ ضعيف، وهذا ما قاله الحافظ ابن حجر في التقريب (٦٩٠٣) إذ قال عنه: «ضعيف» فقط.

(٣) قلت: ذكر ابن حبان هذا الكلام في كتابه روضة العقلاء ص ١٦، وما ذكره من أنه لا يحفظ عن النبيّ ﷺ خبراً صحيحاً في العقل، هو الصواب، فقد قال العراقي في تخريجه الكبير على الإحياء ورقة (١٥): «.. قال غير واحد من الحفّاظ أنه لا يصحّ في العقل حديث». وقال العقيلي كما في تنزيه الشريعة ١/ ٢٠٤: «لا يثبت في هذا الباب شيء». وقال ابن القيم في المنار المنيف ص ٦٦: «أحاديث العقل كلها كذب».

٥ ـ قال عُمر بن الخطاب: ليس العاقل من يعرف الخير من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين.

٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله الأنماطي، قال: أنبأنا أحمد بن الحسين المَرْوَزِيّ، قال: أنبأنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا جدّي محمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا الهيثم بن عَدِيّ، قال: حدثنا الأَعْمَشُ، عن عَمْرو بن مُرّة، عن عبد الرحمن بن سَابِط، عن ابن عباس قال: «لما خلَقَ اللَّهُ العقلَ قال له أدْبر فأدبَر، ثم قال له: أقْبِل فأقبل، فقال: وعزّتي ما خلقتُ خَلْقا قطّ أحسن منك، فبك أُعطي وبك آخذ وبك أعاقب»[1].

٧ ـ أخبرنا ابنُ ناصر، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن علي، قال: حدثنا ابن الصَّوَّاف، قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شَيْبَة، قال: حدثنا

---

(١) أثر موقوف موضوع، لأجل الهيثم بن عدي الطائي: قال عنه البخاري: ليس بثقة كان يكذب. وكذبه أيضاً ابن معين وأبو داود وغيرهم. انظر ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.
* وقد ورد هذا الأثر عن كُريب مولى ابن عباس، وفي آخره: وعزّتي وجلالي لا أجعلك إلاّ فيمن أحبّ، وما خلقت شيئاً هو أحبّ إليّ منك. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله (١٦) ص ٤٠. وفي إسناده: عبد الرحمٰن بن أبي الزناد: صدوق تغير حفظه لما قدِم بغداد، والراوي عنه: محمد بن بكّار من أهل بغداد، فالأثر ضعيف. والله أعلم.
* وورد مرفوعاً عن النبيّ ﷺ من طريق عدد من الصحابة، منهم:
ـ أبو هريرة رضي الله عنه: رواه عنه ابن عدي في الكامل، وابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله (١٥)، والطبراني في الأوسط ٢/٥٠٣، وفي إسناده: الفضل بن عيسى، قال فيه يحيى بن معين: رجل سوء. وفيه أيضاً: حفص بن عمر قاضي حلب، قال ابن حبان: يروي عن الثقات الموضوعات، لا يحلّ الاحتجاج به بالإجماع. ورواه الدارقطني من وجه آخر عنه، وفي إسناده: سيف بن محمد؛ وهو كذاب. والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أخرى، وقال: هذا إسناد غير قوي.
ـ أبو أمامة: رواه العقيلي، وفي إسناده مجهولان.
ـ عائشة: رواه أبو نعيم، وقال: لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلاّ سهلاً، وأراه واهماً فيه.
ـ الحسن البصري مرسلاً: رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد، وفيه: سيار بن حاتم، قال العقيلي: أحاديثه مناكير.
* وبالجملة فقد قال ابن الجوزي في الموضوعات: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ. وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات بعد ذكر طرق الحديث المذكورة: «وله طرق أخرى لم تصح». وقال البيهقي عن الحديث: وهو مشهور من قول الحسن البصري. (قال محقق الفوائد المجموعة: بأسانيد واهية). انظر: الموضوعات لابن الجوزي ١/ ١٧٤، والموضوعات للصغاني ص ٣٥، والتذكرة للفتني ص ٢٨، والمنار المنيف لابن القيم ص ٦٦، واللآلىء المصنوعة ١/ ١٢٩، والفوائد المجموعة ص ٤٧٧ ـ ٤٧٨، وكشف الخفاء للعجلوني ١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ٢٨.

هاشم بن محمد، قال: حدثنا الهيثم بن عَديّ، قال: حدثنا عبد الله بن حَبِيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن عَمرو بن العاص قال: «يَثَّغِرُ[1] الغلامُ لسبع سنين، ويحتلم لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين، وينتهي عقلُه إلى ثمان وعشرين، وما بعد ذلك تجارب»[2].

٨ ـ وقالت عائشة: قد أفلح من جعل اللَّهُ له عقلاً.

٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: أنبأنا أبو الحسن الحَمَّامي[3]، قال: أنبأنا إبراهيم بن أحمد القَرمِيسِيني[4]، قال: سمعت أحمد بن صالح، قال: حدثنا ابن عائشة[5]، قال: وُلِد لكسرى مولود، فأمر فجيء ببعض أهل الأدب وجيء بالمولود فوضع بين يديه، فقال له كسرى: «ما خير ما أوتي هذا المولود؟ قال: عقل يولد معه، قال: فإن عدمه؟ قال: أدب حسن يعيش به بين الناس، قال: فإن عدم ذلك؟ قال: صاعقة تحرقه!».

١٠ ـ وقال بعض العلماء: لما أهبطَ اللَّهُ آدم إلى الأرض أتاه جبريل بثلاثة أشياء: الدِّين، والعقل، وحسن الخلق. فقال: إنّ الله يُخَيّرك واحداً من هذه الثلاثة، فقال: يا جبريل ما رأيتُ أحسنَ مِنْ هؤلاءِ إلاّ في الجنّة، فمدَّ يده إلى العقل، فضمه إلى نفسه، فقال لِذَيْنِك: اصعدا. قالا: لا نفعل. قال: أتعصياني؟ قالا: لا نعصيك، ولكنّا أُمِرْنا أن نكون مع العقل حيثما كان، فصارت الثلاثة إلى آدم[6].

---

(١) ثُغِر الغلام: سقطت أسنانه الرواضع؛ واثَّغَر: نبتت أسنانه.

(٢) أثر موضوع، لأجل الهيثم بن عدي، كان يكذب، كما تقدم قريباً.

(٣) الحَمَّامي: نسبة إلى الحمّام الذي يغتسل فيه الناس، والمنسوبين المعروفين بذلك فيهم كثرة، منهم: أبو الحسن عليّ بن أحمد بن عمر الحمّامي المقرىء. وأما بالتخفيف ـ الحَمَامي ـ، فهو نسبة إلى الحمَام المعروف، أو إلى بني حمامة ـ بطن من أزد عمان ـ. انظر: الأنساب ٢/٢٥٥، واللباب ١/٣٨٥، ولبّ اللباب ١/٢٥٦.

(٤) القَرمِيسِيني (بكسر الراء): نسبة إلى قرمِيسِين، مدينة بالعراق. الأنساب ٤/٤٧٩ ـ ٤٨٠، واللباب ٣/٢٨ ولبّ اللباب ٢/١٧٧. وخالف الحموي في معجم البلدان ٤/٣٧٥، فقال: «قَرْمِيسِين (بسكون الراء): تعريب كرمان شاهان: بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخاً قرب الدينَور وهي بين همذان وحُلْوَان على جادة الحاجّ...».

(٥) هو عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر التيمي، المعروف بـ: ابن عائشة، والعائشي، والعيشي، نسبة إلى عائشة بنت طلحة، لأنه من ذرّيتها، ثقة جواد، رُمي بالقدر ولم يثبت. توفي سنة (٢٢٨) هـ. التقريب ص ٣٧٤.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله (٢٧ ـ ٢٨)، وابن حبان في روضة العقلاء ص ٢٠ نحوه، من طريق رجل مُبهم لمْ يُذكر اسمه، بالإضافة إلى وجود عدد من الرواة الذين لم أقف على ترجمة لهم. فالأثر ضعيف.

١١ ـ وقال وَهْب بن مُنَبِّه[١]: إنّي وجدتُ في بعض ما أنزل الله على أنبيائه أنّ الشيطان لم يُكابد شيئاً أشدّ عليه من مُؤمنٍ عاقل، وأنّه يُكابدُ مِائةَ جاهلٍ فيستجرّهم حتى يركبَ رِقابهم، فيَنْقادُون له حيث شاء، ويُكابدُ المؤمنَ العاقل فيصعب عليه حتى ما ينال منه شيئاً من حاجته.

١٢ ـ قال وَهْب: وَلإِزالةُ الجبل صخرة صخرة، وحجراً حجراً، أشدُّ على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل، فإذا لم يقدر عليه تحوّل إلى الجاهل فيستأْسِرُه ويَسْتَمْكِن من قِيَادِه، حتى يُسْلِمَه إلى الفضائح التي يتعجّل بها في الدنيا الجَلْدَ والحَلْق وتَسْخِيمَ الوجهِ[٢] والقَطْعَ والرَّجْمَ والصَّلْبَ. وإنّ الرجلَيْن يستويان في أعمال البرّ، ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد، إذا كان أحدهما أعقل من الآخر، وما عُبِدَ اللَّهُ بشيء أفضل من العقل.

١٣ ـ وقال مُعاذ بن جبل[٣]: لو أنّ العاقل أمسَى وأصبح وله ذُنوب بعدد الرَّمْل، كان وشيكاً بالنجاة والسلامة والتخلّص منها، ولو أنّ الجاهل أمسَى وأصبح وله من الحسنات وأعمال البِرِّ عدد الرمل لكان وشيكاً ألاّ يَسْلم له منها مثقالُ ذرّة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنّ العاقل إذا زلّ تدارك ذلك بالتوبة والعقل الذي قُسِمَ له، والجاهل إنّما هو بمنزلة الذي يبني ويهدم، فيأتيه مِنْ جهله، ما يُفسد صالح عمله.

١٤ ـ وقال الحسن[٤]: ما يتمُ دِين الرجلِ حتى يَتم عقلُه، وما أودع الله امرأً عقلاً إلاّ استنقذه به يوماً[٥].

---

(١) هو وهب بن مُنبِّه بن كامل اليماني، الأَبْنَاوي، أبو عبد الله، تابعي ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة. انظر تهذيب التهذيب ١١/١٦٦ ـ ١٦٨، وتقريب التهذيب ص ٥٨٥ (٧٤٨٥).

(٢) أي: تسويده.

(٣) معاذ بن جبل: صحابي جليل أشهر من أن يُعرّف به.
وهذا الأثر المذكور عنه ورد بمعناه مرفوعاً، ولفظه: من كانت له سجية من عقل، وغريزة من يقين لم تضره ذنوبه شيئاً. قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب توبة تمحو ذنوبه، ويبقى له فضلٌ يدخل به الجنة. فالعقل نجاة للعاقل بطاعة الله، وحجة على أهل معصية الله.
رواه العقيلي عن أنس مرفوعاً، وهو موضوع، آفته ميسرة بن عبد ربّه. وقد رواه الحكيم الترمذي من طريقه، ورواه أبو نعيم في الحلية، وفي إسناده: سليمان بن عيسى السجزي، وهو ضعيف. ذكر هذا الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٤٧٧.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، واسم أبيه: يسار، تابعي ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة (١١٠) هـ. التقريب (١٢٢٧) ص ١٦٠.

(٥) هذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العقل وفضله مقطّعاً، وكذا ابن حبان في الروضة.
ـ فروى ابن أبي الدنيا، جزءه الأوّل برقم (١٩) وابن حبان في روضة العقلاء ص ١٩، وفي إسناده: عمران بن خالد، وهو الخزاعي، قال أبو حاتم: ضعيف، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. انظر المجروحين لابن حبان ٢/١٢٤.
=

١٥ ـ وقيل لعطاء بن أبي رباح[١]: ما أفضل ما أُعطي الإنسان؟ قال: العقلُ عَنِ الله تعالى.

١٦ ـ وقال معاوية بن قُرّة[٢]: إنّ القوم لَيَحُجّون ويَعتَمِرون ويُجاهدون ويصلّون ويصومون، وما يُعطَوْنَ يوم القيامة إلاّ على قدر عقولهم.

١٧ ـ أخبرنا عبد الحق، قال: أنبأنا ابن مرزوق، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطِيب، قال: أنبأنا عبد الواحد بن محمد بن عثمان البَجَلِيّ، قال: حدثنا عمر بن محمد بن عُمر بن الفَيّاض، قال: حدثنا أبو طلحة أحمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبد الله بن خُبيق قال: حدثنا يوسف بن أَسْبَاط[٣]، قال: العقلُ سِراجُ ما بَطَن، ومِلاك ما عَلَن، وسائِسُ الجسَد، وزِينة كلّ أحد، ولا تصلُح الحياةُ إلاّ به، ولا تَدُور الأمور إلاّ عليه.

١٨ ـ وسُئل ابن المبارك[٤]: ما خَيْر ما أُعطيَ الرجل؟ قال: غريزة عقل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسن، قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ صالح يستشيره، قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويل، قيل: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل!

ذِكْرُ فَضِيلةِ العَقْلِ مِنْ جِهَةِ الاسْتِنْبَاطِ

إنّما تتبينُ فضيلةُ الشيء بثمرته وفائدته، وقد عرفت ثمرة العقل وفائدته، فإنه هو الذي دلّ على الإله وأمر بطاعته وامتثال أمره، وثبّت مُعجزات الرّسل وأمر بطاعتهم، وتلمَّح

= ـ وروى جزءه الثاني برقم (٩٢)، وفي الروضة ص ١٨، وفي إسناده: عمر بن إبراهيم الكردي، قال الدارقطني: كذاب، وقال الخطيب: غير ثقة.
قلت: فيُعلم مما تقدم أنهما أثران مستقلّان، وقد جمع بينهما المصنّف رحمه الله تعالى.

(١) هو عطاء بن أبي رباح ـ أسلم ـ المكي، تابعي ثقة فقيه فاضل، مات سنة (١١٤) هـ على المشهور. التقريب (٤٥٩١).

(٢) هو معاوية بن قُرّة بن إياس المزني البصري، أبو إياس، تابعي ثقة، مات سنة (١١٣) هـ، وهو ابن ست وسبعين سنة. التقريب (٦٧٦٩).

(٣) هو يوسف بن أسباط الشيباني، الزاهد الواعظ. روى عن سفيان الثوري وغيره، وروى عنه المسيّب بن واضح وعبد الله بن خُبَيق الأنطاكي. وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال البخاري: كان قد دفن كتبه، فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي. ميزان الاعتدال للذهبي ٤/ ٤٦٢.

(٤) هو الإمام الجِهبذ العَلَم عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة. قال الحافظ ابن حجر: ثقة، ثبت، فقيه، عالم، جَوَاد، مجاهد. جُمعت فيه خصال الخير. توفي رحمه الله (١٨١) هـ. تقريب التهذيب (٣٥٧٠).

العواقب فاعتبرها فراقَبها وعمل بمقتضَى مصالحها، وقاوم الهوَى فرَدّ غَرْبَهُ[1]، وأدرك الأمورَ الغامضة، ودبّر على استخدام المخلوقات فاستخدمها، وحثّ على الفضائل ونهى عن الرذائل، وشدّ أَسْرَ[2] الحَزْم، وقوّى أَزْرَ[3] العَزْم، واستجلب ما يَزين، ونفى ما يَشِين، فإذا تُرِكَ وسُلطانَه، أَسَرَ فُضول الهوَى فحصرَها في حَبْس المَنْع، وكفى بهذه الأوصاف فضيلة.

ولا ينبغي أن يُدالَ الهوى عليه فإنّه عدوّه، فيحطّه عن رتبته ويستنزله عن درجته، ولا يجوز أن يُجْعَل ـ وهو الحاكم عليه ـ محكوماً، ولا أن يصير ـ وهو الزِّمام ـ مزموماً، ولا أن يعود ـ وهو المتبوع ـ تابعاً، فمن صَبر على مَضِيض مشاورته اجتنَى حلاوة المُنَى في عواقبه.

١٩ ـ حدثني أبو القاسم ابن القاضي، عن أبي الوفا ابن عقيل، قال: حدثني حسن المُتَطَبِّب[4]، قال: استُدْعِيتُ إلى دار الخلافة فأُدْخِلْت حجرةً، فإذا بستر مُسْبَلٍ، وإذا رِجْلٌ قد أُخرجت من وراءِ السّتر وعليها أثرُ النِّعمة، فنظرت إليها فإذا بها قد انخلعت، فقلت: هذه الرِّجل يحتاج صاحبها إلى رَجُلَيْن قويَّيْن يَلْزَمانِهِ حتى لا يتحرّك لتُخلَعَ وتُرَدّ إلى مكانِها، فسمعتُ صوتاً من وراءِ الستر: أَقبِلْ على صِناعتك فإنّ العقل مُمْسِك.

* * *

---

(١) غَرْبُ كلِّ شيءٍ: حَدّه.

(٢) الأَسْر: شدّة الخَلْق، وعَقْد المفاصل والأوصال، وفي التنزيل: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أَسْرَهم﴾. والأَسْر كذلك: القوة، والحَبْل، والقِدّ الذي يُشدّ به.

(٣) الأَزْرُ: القوة، والظهر، قال تعالى: ﴿اشْدُد به أزري﴾ أي: ظهري.

(٤) المُتَطَبِّب: الذي يتعاطى عِلْم الطّب، أما الطبيب: فهو العالِم بالطّب.

البابُ الثَّانِي

في ذمّ الهَوَى والشَّهَوَاتِ

اعلم أنَّ الهوَى: مَيْلُ الطبع إلى ما يلائمه[١].

وهذا الميل قد خُلِقَ في الإنسان لضرورة بقائه، فإنّه لولا ميله إلى المَطْعم ما أكل، وإلى المَشْرب ما شرب، وإلى المَنْكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه، فالهوى مُسْتَجْلِب له ما يُفيد، كما أنّ الغضبَ دافع عنه ما يُؤذي.

فلا يصلح ذمُّ الهوَى على الإطلاق، وإنّما يُذمّ المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضارّ.

ولمّا كان الغالب مِنْ موافق الهوى أنه لا يقف منه على حدّ المنتفِع، أُطلق ذمُّ الهوى والشهوات، لعموم غَلَبة الضَّرَر، لأنّه يَبْعُدُ أن يفهمَ المقصود مِنْ وضع الهوَى في النفس، وإذا فهم تعذّر وُجود العمل به وندَر.

مثاله: أنّ شهوة المَطعم إنّما خُلِقَت لاجْتلابِ الغِذاء، فيندرُ مَنْ يتناولُ بمقتضَى مصلحته ولا يتعدّى، فإنْ وُجد ذلك انغَمَرَ[٢] ذِكْر الهوَى في حقّ هذا الشخص، وصار مُسْتَعمِلاً للمَصالح، وأمّا الأغلبُ منَ النّاس فإنّهم يُوافِقون الهوَى، فإنْ حصلَت مصلحةٌ حصلَت ضِمْناً وتَبعاً.

فلمّا كان هذا هو الغالب ذَكَرْتُ في هذا الباب ذمَّ الهوىَ والشهواتِ مطلقاً، وَوَسَمْتُ[٣] كتابي بـ «ذمّ الهوَى» لذلك المعنى.

---

(١) قال الجرجاني في التعريفات ص ٣٢٠: «الهوى: ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع». وكذا قال الكفوي في الكليات ص ٩٦٢. وقال أيضاً ص ٣٩٨ بعدما ذكر الحبّ وأنه عبارة عن ميل الطبع في الشيء الملذّ، فإن تأكد الميل وقوي يُسمّى عشقاً...، قال: «وأوّل مراتب الحبّ: الهوى، وهو ميل النفس، وقد يُطلق ويُراد به نفس المحبوب». وذكر المُناوي في التوقيف على مهمات التعاريف ص ٧٤٤ التعريف الأول، وقال: ذكره الجرجاني. ثم قال: «وقال الحَرَالّي: نزوعُ النفس لسفلِ شهواتها في مقابلةِ مُعْتلَى الرّوح المنبعث انبساطه».

(٢) أي اندثر وانغمس.

(٣) وَسَمه: جعل له علامة يُعرف بها.

٢٠ ـ وقد رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: ما ذَكَرَ اللَّهُ عزّ وجلّ الهوى في موضع من كتابه إلا ذمّه.

٢١ ـ وقال الشَّعْبِيّ[١]: إنّما سُمِّي هوًى، لأنّه يَهْوي بصاحبه.

فصـــل: [ذمّ الهوَى عقلاً]

اعلم أنّ مطلق الهوى يدعو إلى اللّذة الحاضرة من غير فِكرٍ في عاقبة، ويحثّ على نيل الشهواتِ عاجلاً، وإن كانت سبباً للألم والأذَى في العاجل ومَنْعِ لذاتٍ في الآجل.

فأمّا العاقل فإنه ينهَى نفسه عن لذّة تُعْقِب ألماً، وشهوةٍ تُوْرِثُ نَدَماً، وكفَى بهذا القدْر مَدْحاً للعقلِ وذمّاً للهوَى.

ألا ترىَ أنّ الطفل يُؤْثِرُ ما يهوَى وإنْ أدّاه إلى التّلَف! فَيَفْضُلُ العاقلُ عليهِ بِمَنْعِ نفسه من ذلك، وقد يقعُ التساوي بينهما في الميلِ بالهوَى.

وبهذا القدْر فُضِّل الآدميُّ على البهائم؛ أعني مَلَكَةِ الإرادة، لأنّ البهائم واقفة مع طِباعها، لا نَظَرَ لها إلى عاقبة، ولا فِكْر في مآلٍ، فهي تتناول ما يدعوها إليه الطبعُ من الغذاء إذا حضر، وتفعل ما تحتاج إليه من الرَّوْثِ والبَوْلِ أيَّ وقتٍ اتفق، والآدمي يمتنعُ من ذلك بقَهْرِ عقله لطَبْعِه.

وإذا عَرَف العاقلُ أنّ الهوى يَصير غالباً، وجب عليه أن يرفع كل حادثةٍ إلى حاكم العقل، فإنه سيشير عليه بالنظر في المصالح الآجلة، ويأمره عند وُقوع الشُّبْهَةِ باستعمال الأحوطِ في كفّ الهوى، إلى أن يتيقّن السلامة من الشرّ في العاقبة.

وينبغي للعاقل أنْ يتمرّن على دفع الهوَى المأمونِ العواقب ليستمر بذلك على ترك ما تؤذي غايته.

وليعلم العاقل أن مُدْمِني الشهواتِ يَصيرون إلى حالةٍ لا يَلْتَذُّونَهَا، وهمْ مع ذلك لا يستطيعون تركها، لأنّها قد صارت عندهم كالعيشِ الاضطراري، ولهذا ترَى مُدْمِنَ الخمر والجِماع لا يلتذّ بذلك عُشر التذاذ من لم يُدْمن، غير أنّ العادة تقتضيه ذلك، فيلقي نفسَه في المهالكِ لنيلِ ما يقتضيه تعوُّده. ولو زال رَيْنُ الهوى[٢] عن بصر بَصِيرته، لرأى أنّه قد شقيَ

---

(١) هو التابعي المشهور، الثقة الفقيه الفاضل: عامر بن شراحيل الشَّعْبِي، أبو عَمرو، قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بعد المائة، وله نحو من ثمانين. انظر تقريب التهذيب (٣٠٩٢).

(٢) الرَّيْن: الطَّبَعُ، والدَّنَس، والصدأ. وران ذنبُه على قلبه رَيْناً ورُيُوناً: غلب عليه وغطاه. وفي التنزيل العزيز: ﴿كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ أي غلب وطبع وختم. وقال الحسن رضي الله =

مِنْ حيثُ قَدَّرَ السّعادة، واغتَّم من حيث ظَنّ الفرح، وألِمَ من حيث أراد اللّذة، فهو كالحيوان المخدوع بِحَبِّ الفخ، لا هو نال ما خُدِعَ به، ولا أطاق التخلّص مما وَقَع فيه.

فإن قال قائل: فكيف يتخلص مِنْ هذا مَن قد نَشَب فيه[1]؟

قيل له: بالعَزْم القويّ في هجران ما يُؤذي والتدرّج في تَرْك ما لا يُؤْمن أذاه، وهذا يفتقر إلى صبر ومجاهدة، يهوِّنهما سبعة أشياء:

أحدها: التفكّر في أنّ الإنسان لم يُخلق للهوَى، وإنّما هُيِّىءَ للنظر في العَواقب والعمل للآجِل. ويدلّ على هذا أنّ البهيمة تُصيب من لذّة المَطْعم والمَشْرب والمَنْكح ما لا يناله الإنسان، مع عيش هنيٍّ خالٍ عن فِكرٍ وهمٍّ، ولهذا تُساق إلى مَنْحرِهَا وهي منهمكة على شهواتها، لفِقدان العِلم بالعواقب. والآدمي لا ينال ما تناله لِقُوَّة الفكر الشاغل، والهمّ الواغِل[2]، وضعف الآلة المستعملة.

فلو كان نيل المشتَهَى فضيلة لما بُخِسَ[3] حظّ الآدميّ الشريف منه، وزِيد حظ البهائم، وفي توفير حظّ الآدمي من العَقْل وبَخْسِ حظه من الهوى، ما يكفي في فضل هذا وذمّ ذلك.

والثاني: أنْ يُفَكِّر في عواقب الهوى، فكم قَدْ أَفَاتَ من فضيلة، وكم قد أَوْقَعَ في رَذِيلة، وكم مِنْ مَطْعَمٍ قد أوقع في مَرَض، وكم من زَلّةٍ أوجبَتِ انكِسَار جاهٍ وقُبح ذِكْرٍ مع إثم! غير أنّ صاحب الهوَى لا يرى إلاّ الهوى!

فأقرب الأشياء شَبَهاً به مَن في المَدْبَغَةِ، فإنّه لا يجدُ ريحَها حتى يخرجَ فيعلم أينَ كان.

والثالث: أن يتصوّرَ العاقلُ انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصورَ الأذى الحاصلَ عَقِيب اللّذة، فإنّه يراه يُرْبي على الهوى أضعافاً.

٢٢ ـ وقد أنشد بعض الحكماء:

وأفضلُ الناسِ مَن لم يرتكِبْ سبَبَاً ... حتى يميّز ما تَجْنِي عواقبُهُ

والرابع: أن يتصوّرَ ذلك في حقِّ غيره، ثم يتلمّح عاقبتَه بفِكْره، فإنّه سَيَرَى ما يعلمُ به عَيْبَه إذا وقف في ذلك المقام.

= عنه: هو الذنبُ على الذنب حتى يسوادّ القلب، وقال أبو عبيد: كلّ ما غلبك وعلاك فقد ران بك ورانَكَ وران عليك، ورِينَ بالرجُل: إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قِبَلَ له به. وقيل: رِين به: انقُطع به. انظر لسان العرب: مادة (ر ي ن).

(١) انظر في هذه المسألة كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص ٤١٧ فما بعدها (ط. مكتبة السوادي) فصل (٩١) الجواب عن أدوية داء تعلّق القلب بالمحبة المحرّمة.

(٢) مِنَ الإيغال، وهو السير السّريع والإمعان في الشيء.

(٣) أي: أُنقِص، تقول: بَخَسَه حقه، أي أنقصَه.

والخامس: أنْ يتفكرَ فيما يطلبُهُ منَ اللّذات، فإنّه سيخبرُه العقلُ أنّه ليس بشيءٍ وإنّما عينُ الهوَى عمياء.

٢٣ ـ وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أَعْجَبَتْ أحدُكم امرأةٌ فلْيَذْكُر مَنَاتِنَها».

٢٤ ـ وهذا أحسن من قول أبي الطِّيِّب[١]:

لو فكَّرَ العاشقُ في مُنْتَهى ... حُسْنِ الذي يَسبِيهِ لم يَسْبِهِ

لأنّ ابنَ مسعود ذكر الحال الحاضِرَة الملازمة، وأبو الطّيب أحال على أمور متأخرة، إلاّ أن يكون أشار إلى هذا المعنى.

والسادس: أنْ يتدبّرَ عِزَّ الغلَبَة وذلّ القهر، فإنّه ما مِنْ أَحَدٍ غلَب هواه إلاّ أحسّ بقوةِ عزّ، وما من أحد غلبه هواه إلاّ وَجَد في نفسه ذلّ القهر.

والسابع: أن يتفكّرَ في فائدةِ المخالفة للهوَى، من اكتساب الذِّكْرِ الجميل في الدنيا، وسَلامة النفسِ والعَرَض[٢]، والأجْر في الآخرة. ثم يعكس، فيتفكر لو وافق هواه، في حصولِ عكس ذلك على الأبد، وليفرض لهاتَيْن الحالَتَيْن حالَتَيْ آدم ويوسف عليهما السلام، في لذّة هذا، وصبر هذا[٣].

ويا أيّها الأخ النَّصُوح أَحْضِر لي قلبَك عند هذه الكلمات، وقلْ لي، بالله عليك، أين لذّة آدم التي قضاها، من همّة يوسف التي ما أمضاها؟.

من كان يكون يوسف لو نال تلك اللّذة! فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة، صار مَنْ قَدْ عرفتَ.

فصـــل:

واعلم أنّ الهوَى يَسْرِي بصاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقلِ إلى دائرة الجنون.
وقد يكون الهوى في العِلْم فيخرج بصاحبه إلى ضدّ ما يأمرُ به العِلْم.
وقد يكون في الزّهد فيخرج إلى الرِّياء.

---

(١) هو الشاعر أحمد بن الحسين الجعفي المعروف بالمتنبي، انظر ديوانه ١/٣٣٧.

(٢) العَرَض (بفتح الراء): ما نيل من الدنيا؛ وعَرَض الدنيا: ما كان من مالٍ قلّ أو كثر. والعَرْض (بسكون الراء): المتاع، وهو خلاف النقد من المال.

(٣) لقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى الشبهةَ والسؤالَ المذكورَيْن آنفاً، ثم أجاب عن ذلك بأجوبة عديدة بلغت الخمسين. انظر روضة المحبين: ٤٦٨ ـ ٤٨٢.

وكتابنا هذا لذمِّ الهوَى في شهواتِ الحسِّ، وإنْ كان يشتمل على ذمّ الهوَى مطلقاً.

وإذ قَدْ ذكرنا في هذا الفَصْلِ مِنْ ذمّ الهوَى ما أملاه العقلُ، فلنذكر من ذلك ما يَحْوِيهِ النقل.

فصـــل: [ما ورد في ذمّ الهوى]

قد مدَحَ الله عزّ وجلّ مخالفة الهوى، فقال: ﴿ونهى النفسَ عَنِ الهوَى﴾ [النازعات/ ٤٠].

قال المفسرون: هو نهيْ النفس عمّا حرّم الله عليها[١].

٢٥ ـ قال مقاتل[٢]: هو الرجل يَهمّ بالمعصية فيذكر مقامَه للحساب فيتركها[٣].

وقال عزّ وجلّ: ﴿واتَّبع هواه فمثَلُه كمثلِ الكلب﴾ [الأعراف/ ١٧٦].

وقال: ﴿واتبع هوَاه وكان أمرُه فُرُطاً﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال: ﴿أفرأيت من اتخذ إلَهَهُ هواه﴾ [الجاثية/ ٢٣].

وقـال: ﴿بـل اتَّبـع الـذيـن ظلمـوا أهـواءَهـم بغيـر علـم فمـن يهـدي مـن أضـلَّ الله﴾ [الروم/ ٧٩].

وقال: ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ [محمد/ ١٤].

وقال: ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومَن أضَلُّ ممن اتَّبَعَ هواهُ بغير هُدًى مِنَ الله﴾ [القصص/ ٥٠].

وقال: ﴿لَيضِلون بأهوائهم بغير علم﴾ [الأنعام/ ١١٩].

وقال: ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف/ ٢٨].

وقال: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ [البقرة/ ١٢٠].

وقال: ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ [النساء/ ١٣٥].

وقال: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [سورة ص/ ٢٦].

٢٦ ـ أخبرنا الحسين بن محمد البارع، ومحمد بن الحسين المَزْرَقي[٤]، وعلي بن

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٢٤: «﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ أي: عما تهوى من المحارم». وقال ابن كثير ٤/ ٥٠٠ ـ ٥٠١: «أي: خاف القيام بين يدي الله عزّ وجلّ وخاف حكم الله فيه. ونهى نفسه عن هواها وردّها إلى طاعة مولاها». وقال الشوكاني في فتح القدير ٥/ ٣٨٠: «أي: زجرها عن الميل إلى المعاصي والمحارم التي تشتهيها».

(٢) هو مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، نزيل مرو، ويقال له: ابن دَوَال دُوز، كذبوه وهجروه ورُمِي بالتجسيم، مات سنة (١٥٠) هـ. انظر تقريب التهذيب (٦٨٦٨) ص ٥٤٥.

(٣) انظر قوله في: زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ٢٤ وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٣٨٠.

(٤) في المطبوعة: المَزْرَفي ـ بالفاء ـ وهو خطأ، والمثبت ـ بالقاف ـ هو الصواب، وهذه النسبة إلى =

أحمد المُوَحِّد، وأحمد بن محمد الزَّوْزَنِيّ[1]، وبدر بن عبد الله الشَّيْخِيّ قالوا: حدثنا أبو جعفر [ابن] المسلمة قال: أنبأنا عبد الله بن عبد الرحمن الزُّهْرِي قال: حدثنا جعفر بن [محمد] الفِرْيابي قال: حدثنا شيبان بن فرّوخ قال: حدثنا مبارك بن فَضالة قال: حدثنا الحسن[2] في هذه الآية: ﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ [الجاثية/ ٢٣] قال: هو المنافق لا يهوَى شيئاً إلاّ رَكِبَه[3].

٢٧ ـ قال الفِرْيابي[4]: وحدثنا أحمد بن خالد، قال: حدثنا شُعَيْب بن حَرْب، قال: حدثنا أبو الأَشْهَب، عن الحسن، قال: المنافق يعبد هواه، لا يَهْوَى شيئاً إلاّ رَكِبه[5].

٢٨ ـ قال الفِرْيابي: وحدثنا هُدْبَةُ بن خالد، قال: حدثنا همّام بن يحيى، عن قتادة[6]، ﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ قال: إذا هوي شيئاً رَكِبَه[7].

٢٩ ـ أخبرنا هِبَةُ الله بن محمد بن الحُصَيْن قال: أنبأنا الحسن بن علي الواعظ قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا حسن قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أنّ النبيّ ﷺ قال: «حُفّت الجنةُ بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات»[8]. انفرد بإخراجه مسلم من هذه الطريق، وقد اتّفقا على إخراجه من

= المَزْرَقة قرية قرب بغداد. انظر: الأنساب ٥/ ٢٧٤، واللباب ٣/ ٢٠٣، ولبّ اللباب ٢/ ٢٥٣.

(١) الزَّوْزَني نسبة إلى زَوْزَن، وهي بلدة كبيرة بين هراة ونيسابور. انظر: الأنساب ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، واللباب ٢/ ٨٠، ولب اللباب ١/ ٣٨٦، ومعجم البلدان ٣/ ١٥٨.

(٢) هو الحسن البصري.

(٣) قال السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٣٢ عن الحسن، ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ قال: لا يهوى شيئاً إلا تَبِعه». وورد نحو هذا المعنى عن ابن عباس. إذ قال: «هو الكافر اتّخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان». انظر الدر المنثور ٥/ ٧٥٨، وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٨.

(٤) هو جعفر بن محمد، المتقدم ذكره في الإسناد السابق. وهو إمام عالم حافظ محدّث له كتاب السنن، ومناقب ابن مالك، وأحكام العيدين، ولد في بلاد الترك، وانتقل إلى مصر وأقام فيها، وتوفي سنة (٣٠١) هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٢٣٥.

(٥) انظر الهامش قبل السابق.

(٦) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطّاب البصري، تابعي ثقة ثبت، وُلِدَ أكمه، توفي رحمه الله سنة بضع عشرة ومائة. التقريب (٥٥١٨).

(٧) رواه ابن جرير عنه، وفي آخره زيادة: لا يخاف الله عز وجل. كما في الدر المنثور ٥/ ٧٥٨، وفتح القدير ٥/ ٨، وزاد المسير ٦/ ٩٢.
وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾ قال: كلما هوي شيئاً ركبه، وكلّما اشتهى شيئاً أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى. انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥/ ١٣٢.

(٨) رواه مسلم (٢٨٢٢)، والترمذي (٢٥٥٩)، والدارمي (٢٨٤٣) بتحقيقنا. وأحمد في المسند ٣/ ١٥٣،=

حديث أبي هُريرة[١]، إلاّ أنّ في لفظ حديث البخاري: «حُجِبَت»، مكان: «حُفّت»[٢].

٣٠ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد قال: أنبأنا أبو الحسن بن علي قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا محمد بن بشر قال: حدثنا محمد بن عَمْرو قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هُريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «لما خَلَقَ الله عزّ وجلّ الجنّة والنّار، أرسلَ جبريل، يعني إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أَعْدَدْتُ لأهلِها فيها، فجاء فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله عزّ وجلّ لأهلها فيها، فرجع إليه فقال: وعزّتك لا يسمع بها أحد إلاّ دخلها، فأمر بها فحُجِبَتْ بالمكاره، وقال: ارجع إليها فانظر إليها، فرجع فإذا هي قد حُجبت بالمكاره، فقال: لقد خشيتُ ألاّ يدخلَها أحدٌ. قال: فانظر إلى النار وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فجاءها فنظر إليها وإلى ما أعدّ لأهلها فيها، فإذا هي يَرْكَبُ بعضُها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزّتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلَها، فأمر بها فحفَّت بالشهوات، وقال له: ارجع إليها فانظر إليها، فإذا هي قد حفّت بالشهوات، فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خشيت أنْ لاَ ينجوَ منها أحدٌ إلاّ دخلها»[٣]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

= ٢٥٤، ٢٨٤، وابن حبان في صحيحه (٧١٦) و (٧١٨)، والبغوي في شرح السنة (٤١١٤).

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧). وعنده: حُجِبَت، بدل: حفّت، كما سيذكر المصنف، ومسلم(٢٨٢٣)، وأحمد في المسند (٧٤٧٧ ـ ٨٧٢١)، وابن حبان في صحيحه ٧١٩)، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٦٧)، ورواه أصحاب السنن مطوّلاً، انظر الحديث الآتي.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري ١١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١ في شرح هذا الحديث: «وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذمّ الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحضّ على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشقّ عليها. وقد ورد إيضاح ذلك من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه: لمّا خلق الله الجنّة. . . فذكر الحديث ـ وهو الحديث الآتي عند المصنّف. ثم قال: فهذا يفسّر رواية الأعرج. فإن المراد بالمكاره هنا ما أُمر المكلّف بمجاهدة نفسه فيه فعلاً وتركاً، كالإتيان بالعبادات على وجهها والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولاً وفعلاً، وأطلق عليها المكاره لمشقتها على العامل وصعوبتها عليه ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم لأمر الله فيها. والمراد بالشهوات ما يُستلذ من أمور الدنيا مما مَنع الشرعُ من تعاطيه، إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات، ويلتحق بذلك الشبهات والإكثار مما أبيح خشية أن يوقِع في المحرّم، فكأنه قال: لا يُوصل إلى الجنّة إلاّ بارتكاب المشقات المعبّر عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلاّ بتعاطي الشهوات. وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم.
ويحتمل أن يكون هذا الخبر وإن كان بلفظ الخبر فالمراد به النهي.
وقوله: (حُفّت) من الحفاف، وهو ما يحيط بالشيء حتى لا يتوصل إليه إلاّ بتخطّيه، فالجنة لا يتوصّل إليها إلاّ بقطع مفاوز المكاره، والنار لا يُنجى منها إلاّ بترك الشهوات».

(٣) حديث حسن، رواه: أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٣٧٦٣)، وأحمد في المسند (٧٥١٢ ـ ٨٤٣٤ ـ ٨٦٤٤)، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٦ ـ ٢٧، وابن حبان في صحيحه (٧٣٩٤). وفيه: محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص: صدوق له أوهام.

٣١ ـ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد السلاّل، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن سِياوُوش، قال: أنبأنا أبو حامد الإسفراييني، قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد بن عَبْدَك، قال: حدثنا الحسن بن سفيان، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسنَ الأَعْيَن، قال: حدثنا نعيم بن حماد، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثَّقَفِي، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن عقبة بن أَوْس، عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»(١).

٣٢ ـ أخبَرنا المباركُ بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخَرَائطي، قال: حدثنا أبو بدر، قال: حدثنا يحيى بن حماد، قال: حدثنا جعفر بن حيّان(٢)، عن أبي الحَكَم، عن أبي بَرْزَةَ الأسلَمِيّ(٣)، قال: قال رسول الله ﷺ: «أخْوفُ ما أخاف عليكم: شهواتُ الغيِّ في بطونكم وفروجكم ومضلاّت الهوى»(٤).

٣٣ ـ وبالإسناد حدثنا الخرائطي، قال: حدثنا علي بن زيد الفَرائضي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحُنَيْني، عن كثير بن عبد الله بن عَمْرو بن عوف المُزَنيّ، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوفَ ما أخاف على أمتي: حَكَمٌ جائر، وزَلّة عالم، وهوًى مُتّبع»(٥).

---

(١) حديث ضعيف. رواه الأصبهاني في الترغيب، بلفظ: لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به. كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٠٠.
قلت: في إسناده نعيم بن حماد، هو ابن معاوية الخزاعي: صدوق يخطىء كثيراً، فقيه عارف بالفرائض، كما ذكر الحافظ في التقريب (٧١٦٦).

(٢) في المطبوعة: جعفر بن حبّان ـ بالباء الموحّدة ـ وهو خطأ، وإنما هو: حيّان ـ بالياء المثناة التحتية ـ وهو: جعفر بن حيّان السعدي العطاردي البصري: ثقة. انظر التقريب (٩٣٥).

(٣) في المطبوعة: أبو بردة الأسلمي ـ بالدال المهملة ـ وهو خطأ، وإنما هو أبو برزة ـ بالزاي ـ، كما في مسند أحمد، والإصابة ٤/ ٥٥٦.

(٤) حديث صحيح. رواه أحمد في المسند (١٩٢٧٣ ـ ١٩٢٧٤ ـ ١٩٢٨٩) بلفظ: إنّ مما أخشى عليكم شهوات الغي. . . الحديث. وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٨ للبزار في مسنده والطبراني في معاجمه الثلاثة، ثم قال: «ورجاله رجال الصحيح».

(٥) حديث ضعيف. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٣٩ عن عمرو بن عوف مرفوعاً بلفظ: «إني أخاف على أمتي من بعدي من أعمال ثلاثة»، قالوا: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «زلة العالم، وحكم جائر، وهوىً متبّع». ثم قال: «رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات».
وكذا قال عنه في تقريب التهذيب (٥٦١٧): «ضعيف، أفرط من نَسَبَهُ إلى الكذب». وفيه أيضاً =

٣٤ ـ وبالإسناد حدثنا الخرائطي، قال: حدثنا علي بن عباد بن الوليد، قال: حدثنا إسماعيل الصفّار، قال حدثنا الحسن بن دِينار، عن حُصيب بن جُحْدُر، عن راشد بن سعد، عن أبي أُمامة البَاهِلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحت ظلِّ السماءِ إله يُعبد أعظمُ عندَ الله من هوًى متّبع»[١].

٣٥ ـ وبه قال: حدثنا الخرائطي، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكرٍ العَبْدِيّ، عن قتادة، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مهلكات: شُحٌّ مُطاع، وهوًى متّبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه»[٢].

= إسحاق بن إبراهيم الحنيني: ضعيف، التقريب (٣٣٧).

(١) حديث موضوع. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٨٨ وعزاه للطبراني في معجمه الكبير، ثم قال: «وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».
قلت: بل كذبه الإمام أحمد وغيره واتهمه بعضهم، وقد تقدمت.

(٢) حديث ضعيف. وهو جزء من حديث تمامه: «ثلاث مُنجيات: خشية الله تعالى في السرّ والعلانية، والعدل في الرّضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى. وثلاث مهلكات: هوى متّبع، وشحّ مطاع، وإعجاب المرء بنفسه». وإسناد المصنف ضعيف منكر، فيه:
١ ـ أيوب بن عتبة اليمامي: ضعيف، التقريب (٦١٩).
٢ ـ الفضل بن بكر العبدي، قال في الميزان ٣/٣٤٩: «لا يُعرف، وحديثه منكر» ثم ذكر الحديث بتمامه.
والحديث ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٣/٣٠٦ وعزاه لأبي الشيخ في التوبيخ، وللطبراني في الأوسط. وللطبراني ـ أيضاً ـ عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩١، ثم قال: «وفيه زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري، وكلاهما مختلف في الاحتجاج به».
وللحديث لفظ آخر عن أنس رضي الله عنه، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث كفارات، وثلاث درجات، وثلاث منجيات، وثلاث مهلكات. فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السبرات، وانتظار الصلوات بعد الصلوات، ونقل الأقدام إلى الجماعات. وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام. وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السرّ والعلانية. وأما المهلكات: فشحّ مطاع، وهوى متّبع، وإعجاب المرء بنفسه» ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩١ وعزاه للبزار، وذكر ما ذكره آنفاً من أن فيه: زائدة بن أبي الرقاد وزياد النميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.
قلت: فالحديث ضعيف من هذه الطريق، وقد قال المناوي في فيض القدير ٣/٣٠٧: «قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف». لكن الحديث ورد من طرق أخرى:
١ ـ فقد ورد من حديث ابن عمر بنحو رواية البزار، رواه الطبراني في المعجم الأوسط، كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير ٣/٣٠٨ ورمز لضعفه، والهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩١، وقال: «وفيه ابن لهيعة ومَن لا يُعرف». وقال المناوي في فيض القدير ١/٣٠٨: «قال العلاء: سنده ضعيف، =

٣٦ ـ وبه قال: حدثنا الخرائطي، قال: حدثنا أحمد بن مُلاعب، قال: حدثنا محمد بن مصعب القَرْقَساني، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن خالد بن محمد، عن بلال بن أبي الدّرداء، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «حُبّكَ الشيءَ يُعمِي ويُصِمّ»(١).

٣٧ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو أحمد الباقِلّاوي قال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد المَحاملي قال: حدثنا أبو جعفر بن

= وعدّه في الميزان من المناكير..» ثم ذكر قول الهيثمي.

٢ ـ ومن حديث ابن عباس، بلفظ: ثلاث مهلكات... فقط، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩١ وعزاه للبزار، وقال: «وفي سند [حديث] ابن عباس: محمد بن عون الخراساني، وهو ضعيف جداً». ومحمد هذا قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (٦٢٠٣): «متروك».

٣ ـ ومن حديث عبد الله بن أبي أوفى، بلفظ حديث ابن عباس. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٩١ وعزاه للبزار، وقال: «وفي سند [حديث] ابن أبي أوفى: محمد بن عون الخراساني، وهو ضعيف جداً».

٤ ـ من حديث أبي هريرة، وسيذكره المصنف بعد حديث. وفي إسناده: بكر بن سُلَيم الصوّاف، أبو سليمان الطائفي، المدني، مقبول ـ أي إذا توبع، وإلاّ فليّن الحديث ـ، انظر التقريب (٧٤١). وفيه أيضاً من لم أجد لهم ترجمة.

فالحديث ـ وكما تقدم ـ ضعيف، وقد حسّنه الشيخ الألباني ـ حفظه الله ـ بمجموع طرقه السابقة، انظر السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) وصحيح الجامع (٣٠٤٥).

(١) حديث ضعيف. رواه أبو داود (٥١٣٠). وأحمد في المسند برقم (٢١١٨٦ ـ ٢٧٠٠٠). والبخاري في التاريخ الكبير ٣/١/١٧٢. والعسكري، كما في المقاصد (٣٨١). والقضاعي في مسند الشهاب (٢١٩) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم به.

ورواه الخرائطي في كتاب اعتلال القلوب عن أبي برزة. وابن عساكر في تاريخه من حديث عبد الله بن أنيس. كما في الجامع الصغير ١/٣٧٢ ـ ٣٧٣. قال المناوي في فيض القدير ٣/٣٧٣: «قال الحافظ العراقي: وإسناده ضعيف. وقال الزركشي رُوِيَ من طرق في كل منها مقال. وقال المصنّف ـ يعني السيوطي ـ في الدرر ـ كأصله ـ: الوقف أشبه. وقد بالغ الصغاني فحكم على الحديث بالوضع، حيث ذكره في كتابه الدر الملتقط رقم (١٢). ولذا تعقبه العراقي، وقال: ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب، إنما سُرق له حليّ فأنكر عقله، وقد ضعفه غير واحد، ويكفينا سكوت أبي داود عليه، فليس بموضوع، بل ولا شديد الضعف، فهو حسن. قلت: والصحيح أن الحديث ضعيف، لا موضوع ولا حسن، ولذا قال الحافظ العلائي: «هذا الحديث ضعيف لا ينتهي إلى درجة الحسن أصلاً، ولا يُقال فيه: موضوع». وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٨٨): «ضعيف». وانظر: المقاصد الحسنة (٣٨١). وتمييز الطيب من الخبيث (٦٥)، وأسنى المطالب (٥٤٨)، والفوائد المجموعة (٢٥٥).

* ومعنى الحديث، كما قال السخاوي في المقاصد: «قال العسكري: أراد النبيّ ﷺ أنّ من الحبّ ما يُعميك عن طريق الرشد ويُصمّك عن استماع الحقّ، وأن الرجل إذا غلب الحبّ على قلبه ولم يكن له رادع من عقل أو دِين أصمّه حبّه عن العدل، وأعماه عن الرشد...».

يزيد قال: حدثنا أبو بكر بن المُرْزُبان قال: حدثنا محمد بن أحمد الأَذْرَمِيّ قال: حدثنا عبد الله بن محمد الجَحْشِيّ قال: حدثني بكر بن سليم الصوّاف[1]، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مُنجِيات وثلاث مُهلكات، فأمّا المُنجيات: فتقوى الله في السرّ والعَلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر. وأما المهلكات: فهوىً متّبع، وشحٌ مطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه، وهي شرهنّ»[2].

٣٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال: أنبأنا عبد العزيز بن محمد قال: أنبأنا أحمد بن عمر الجَزَريّ قال: حدثنا علي بن أبي حسّان قال: حدثنا الخليل بن خدّويه قال: مرّ إبراهيم الخليل فرأى عبداً في الهواء متعبّداً، فقال له: بم نلتَ هذه المنزلة منَ الله؟ قال: بأمرٍ يَسير، فَطَمْتُ نفسي عن الدنيا، ولم أتكلّم فيما لا يَعنِيني، ونظرتُ فيما أُمِرْت به فعملتُ به، ونظرتُ فيما نهاني عنه فانتهيت عنه، فأنا إنْ سألته أعطاني، وإن دعوتَه أجابني، وإن أقسمتُ عليه أبرَّ قسمي، سألته أن يُسكنني الهواء فأسكنني.

٣٩ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحسين بن أحمد بن طلحة:

وأخبرنا علي بن محمد بن حسّون، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن أبي عثمان؛ قالا: أنبأنا القاضي أبو القاسم ابن المنذر، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني سلمة بن شَبيب، قال: حدثنا سهل بن عاصم، عن سَلِيم بن ميمون، عن المُعافَى بن عِمران، عن إدريس، قال: سمعت وَهْب بن مُنَبِّه يقول: كان في بني إسرائيل رَجلان بلغَتْ بهما عبادتهما أن مَشَيا على الماء، فبينما هما يمشيان في البحر إذا هما برجل يمشي في الهواء، فقالا له: يا عبدَ الله بأيّ شيء أدركت هذه المنزلة؟ قال: بيسيرٍ من الدنيا، فطمتُ نفسي عن الشهواتِ، وكَفَفْتُ لساني عمّا لا يعنيني، ورَغِبْت فيما دَعاني إليه، ولزمتُ الصمتَ، فإنْ أقسمتُ على الله أبرَّ قسمي، وإن سألته أعطاني.

٤٠ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا حمد بن أحمد الحدّاد قال: أنبأنا أبو نعيم الحافظ[3] قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن الحجّاج

---

(١) في المطبوعة: بكر بن سليمان الصواف، والمثبت كما في الميزان ١/٣٤٥، وتقريب التهذيب (٧٤١)، وهو بكر بن سليم الصواف أبو سليمان، فلعله تصحّف الأمر على الناقل بين اسم أبيه وكنيته.

(٢) حديث ضعيف، انظر الكلام على الحديث رقم (٣٥).

(٣) هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الشافعي المحدّث المؤرّخ، صاحب حلية الأولياء، ودلائل النبوة، وتاريخ أصبهان، وغيرها من الكتب النافعة.. توفي سنة (٤٣٠) هـ. انظر ترجمته =

قال: حدثنا محمد بن علي بن خلف قال: حدثنا زهير بن عباد قال: حدثنا منصور بن عمّار قال: قال سليمان بن داود: الغالبُ لهواه أشدُّ من الذي يَفتحُ المدينةَ وَحْدَه.

٤١ ـ أخبرنا أبو بكر بن حبيب الصُّوفي قال: أنبأنا علي بن أبي صادق الحِيْرِيُّ[١] قال: أنبأنا أبو عبد الله بن بَاكَويه الشيرازي قال: أخبرني أبو يعقوب الخرّاط[٢] قال: أنبأنا أبو محمد الغُوطي[٣] قال: أخبرني عثمان بن علي الكَشّيّ[٤] قال: أخبرني نبهان بن المغلّس قال: أخبرني حُذيفة بن قتادة المَرْعَشِي[٥] قال: كنت في المركب فكُسِر بنا، فوقَعْتُ أنا وامرأةٌ على لوح من ألواح المركب، فمكثنا سبعة أيام، فقالت المرأةُ: أنا عطشى، فسألت الله تعالى أن يسقيَها، فنزلتْ علينا من السماء سلسلة فيها كوز معلقٌ فيه ماء، فَشَرِبَتْ. فرفعتُ رأسي أنظر السلسلة، فرأيت رجلاً جالساً في الهواء متربعاً، فقلتُ: مَنْ أَنتَ؟ قال: من الإنس، قلت: فما الذي بلَّغك هذه المنزلة؟. قال: آثرتُ مرادَ الله على هوايَ فأجلسني كما تراني.

٤٢ ـ أخبرنا أبو القاسم الحَرِيري[٦]، عن أبي طالب العِشَاري، قال: حدثنا مُبادِر بن عُبيد الله الصّوفي، قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: رأيت غُرفةً في الهواء وفيها رجل، فسألته عن حالِه التي بلّغته إلى تلك المنزلة، فقال تركتُ الهوى فأُدخلت في الهوا.

٤٣ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا علي بن عُمر القزويني والحسين بن علي الجَوْهري وعلي بن المحسّن التّنُوخي، قالوا: أنبأنا أبو عُمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خَلَف، قال حدثنا جعفر بن محمد المخرمي[٧]، قال:

= في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٥، وميزان الاعتدال ١/ ٥٢.

(١) الحِيري: نسبة إلى الحِيرة، وهي مدينة قديمة عند الكوفة، أو إلى بلدة بنيسابور. انظر: الأنساب ٢/ ٢٩٦، واللباب ١/ ٤٠٥، ولبّ اللباب ١/ ٢٦٥، ومعجم البلدان ٢/ ٣٢٨ ـ ٣٣١.

(٢) نسبة إلى خراطة الخشب. انظر: الأنساب ٢/ ٣٣٨، واللباب ١/ ٤٢٩، ولب اللباب ١/ ٢٧٧.

(٣) الغوطي نسبة إلى غوطة دمشق. انظر، الأنساب ٤/ ٣٢٢، واللباب ٢/ ٣٩٦، ولبّ اللباب ٢/ ١٣٨.

(٤) الكَشّي: نسبة إلى كَشّ، قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان. انظر: الأنساب ٥/ ٧٧، واللباب ٣/ ١٠٠، ولبّ اللباب ٢/ ٢٠٩، ومعجم البلدان ٤/ ٤٦٢.

(٥) نسبة إلى مَرْعَش بلد بالشام، وجدٌّ. انظر: الأنساب ٥/ ٢٥٨، واللباب ٣/ ١٩٦، ولب اللباب ٢/ ٢٥١.

(٦) هو هبة الله بن أحمد. انظر ترجمته في السير ١٩/ ٥٩٣.

(٧) المخرميّ، إما بفتح أوله والراء وسكون الخاء المعجمة (المَخْرَميّ)، نسبة إلى المِسْوَر بن مَخْرَمة. أو بالضم والفتح وكسر الراء مشددة (المُخَرِّمي) نسبة إلى المُخرِّم، محلّة ببغداد. انظر: الأنساب ٥/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣، ولبّ اللباب ٢/ ٢٤٤.

حدثني سعيد بن صالح، عن عبد الله بن الصَّلْت، قال: قال معاوية[1]: المروءَةُ تركُ اللَّذةِ وعِصْيان الهوَى.

٤٤ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا طراد بن محمد، قال: أنبأنا عليّ بن محمد بن محمد بن بِشْران، قال حدثنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن وَاقد، قال: حدثنا فرج بن فَضالة، عن معاوية بن صالح، عن أبي الدّرداء[2]، قال: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعملُه، فإن كان عمله تبعاً لهواهُ فيومُه يومُ سوءٍ، وإنْ كان هواهُ تبعاً لعَملِه فيومُه يومٌ صالحٌ.

٤٥ ـ أخبرنا أبو بكر الصّوفي، قال: أنبأنا علي بن أبي صادق، قال: أنبأنا ابن باكوَيه، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث، قال: حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دِينار[3] يقول: من غلبَ شهوات الدنيا فذلك الذي يَفْرَق[4] الشيطان من ظِلّه.

٤٦ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله ابن أخي مِيمِي، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال حدثنا عبد الله بن محمد القُرشي، قال حدثني العباس بن الفَضْل، قال: حدثنا السّري بن يحيى[5]، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: بئس العبدُ عبدٌ همّه هواه وبطنه.

٤٧ ـ قال القرشي: وحدثني أبو علي المروزي، قال: أنبأنا عَبَدان بن عثمان، قال: أنبأنا عبد الله، قال أنبأنا سعيد بن أبي أيوب، قال: حدثني بكر بن عَمْرو، عن صفوان بن سُلَيم[6]، قال: ليأتينّ على الناس زمان تكونُ همّة أحدهم فيه بطنه، ودِينه هواه.

---

(١) الظاهر: أنه معاوية بن أبي سفيان، الخليفة الأموي المشهور. والراوي عنه، لم أر مَن ذكره ممن صنف في الرجال، فلعله: عبد الله بن الصامت، وهو تابعي ثقة، التقريب (٣٣٩١)، والراوي عنه سعيد بن صالح؛ قال في الميزان ٢/ ١٤٥: «لا أعرفه».

(٢) هو الصحابي الجليل عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، توفي أواخر خلافة عثمان. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٤٥. وفي سنده: فرج بن فضالة: ضعيف، التقريب (٥٣٨٣).

(٣) هو مالك بن دينار البصري، الزاهد العابد، صدوق، من صغار التابعين، مات (١٣٠) هـ أو نحوها. تقريب التهذيب (٦٤٣٥).

(٤) أي: يخاف.

(٥) هو: السري بن يحيى بن إياس الشيباني البصري، ثقة، أخطأ الأزدي في تضعيفه، مات (١٦٧) هـ. التقريب (٢٢٢٣).

(٦) هو الزاهد العابد صفوان بن سُليم المدني، أبو عبد الله الزهري، مولاهم، تابعي ثقة مُفْتٍ، مات سنة (١٣٢) هـ وله اثنتان وسبعون سنة، انظر التقريب (٢٩٣٣).

٤٨ ـ أنبأنا علي بن عُبيد الله قال: أنبأنا عبد الواحد بن علي بن فهد، قال: أنبأنا أبو الفتح ابن أبي الفَوَارس قال: أنبأنا عُمر بن أحمد، قال: حدثنا عُبيد الله بن عبد الرحمن، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا الأَصْمَعِي[١]، قال: سمعت أعرابياً يقول: إذا أشكل عليك أمران لا تدرِي أيّهما أَرْشَد، فخالف أقربهما من هواك، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى.

٤٩ ـ أخبرنا أبو المَعْمَر الأنصاري، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد البَاقِلّاني، قال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن أحمد المَحاملي، قال: حدثنا أبو جعفر بن بريه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخَزّاز، قال: حدثنا المَدَائني[٢]، قال: قال ابن السّماك[٣]: إن شئتَ أخبرتك بدائِك، وإن شئتَ أخبرتك بدوائك، داؤك هواك، ودواؤك ترْكُ هواك.

٥٠ ـ وبالإسناد حدثنا ابن خلف قال: حدّثنا أبو محمد التميمي قال: حدثنا أبو الحسن المدائِني قال: قال رجل للحَسَن[٤]: يا أبا سعيد[٥]، أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك.

٥١ ـ أخبرنا ابن حَبيب، قال: حدثنا ابن أبي صادق، قال أنبأنا ابن باكوَيه، قال حدثنا الرِّياشي، عن الأصمعي، قال: مررتُ بأعرابي به رمدٌ شديدٌ ودموعه تَسيل، فقلت: ألاَ تمسح عينيك؟ فقال: زَجرني الطبيب، ولا خير فيمن إذا زُجر لا ينزجر، وإذا أُمر لا يأتمر. فقلت: أما تشتهي شيئاً؟ فقال: أشتهي ولكن أحتمي، لأن أهل النّار غلبت شهواتهم فلم يَحْتموا فهلكوا.

---

(١) هو الأديب اللغوي النحوي الأخباري عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الباهلي، أبو سعيد، له مشاركة في علوم الحديث والفقه والأصول، ولد بالبصرة سنة (١٢٢) هـ، وقدم بغداد أيام هارون الرشيد، ثم عاد إلى البصرة وتوفي فيها سنة (٢١٦) هـ. له تصانيف كثيرة مشهورة. انظر في ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد ٢/ ٣٦ ـ ٣٧، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢/ ١٩٠، ميزان الاعتدال ٢/ ١٥٢.

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله البصري، المدائني، أبو الحسن، مؤرّخ أخباري، راو للشعر، ولد بالبصرة سنة (١٣٥) هـ ونشأ فيها، وسكن المدائن، ثم انتقل عنها إلى بغداد، وتوفي فيها سنة (٢٢٥) هـ. من تصانيفه الكثيرة: أخبار المنافقين، أمهات النبي ﷺ، عهود النبي ﷺ، مقتل الحسين رضي الله عنه، التعازي. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، معجم الأدباء ١٤/ ١٢٤، الكامل في التاريخ ٦/ ١٧٥، شذرات الذهب ٢/ ٥٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٣٦، لسان الميزان ٤/ ٢٥٣.

(٣) هو سيِّد الوعّاظ، الزاهد القدوة، أبو العباس محمد بن صبيح العِجلي، الكوفي، توفي سنة (١٨٣) هـ وقد أسنّ. وله أقوال صالحة في الزهد والعزوف عن الدنيا، انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٨، وحلية الأولياء ٨/ ٢٠٣، وميزان الاعتدال ٣/ ٥٨٤، وشذرات الذهب ١/ ٣٠٣.

(٤) الحسن هو البصري، تقدمت ترجمته.

(٥) في المطبوعة: يا أبا سعد، وهو خطأ، لأن كنية الحسن أبو سعيد ـ بالياء ـ، انظر التهذيب ٢/ ٢٦٣.

٥٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكِيّ، قال أنبأنا عبد الله بن عبد الرحمن الزُّهْري، قال حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: سمعت وَهْب بن نُعيم يقول: قالَ بِشر[١]: اعلم أنّ البلاء كلّه في هواك، والشفاءُ كلّه في مخالفتك إيّاه.

٥٣ ـ أخبرنا عُمر بن ظَفَر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا ابن جَهْضَم، قال: حدثنا أبو بكر النَّقّاش[٢]، قال: حدثنا إدريس بن عبد الكريم، قال: حدثنا خَلَف بن هشام، قال سمعت الفُضَيْل بن عِيَاض[٣] يقول: مَنِ استحوذت عليه الشهواتُ انقطعتْ عنه موادّ التوفيق.

٥٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا علي بن أحمد بن البُسْري، عن أبي عبد الله بن بَطّة، قال: حدثني أبو صالح، قال: حدثني الحُسين بن عبد العزيز، قال: حدثنا سَعدان بن يَزيد، قال: قال لي سُنَيْد[٤]: سمعت حجّاجاً[٥] يقول: الكفرُ في أربعة أشياء: في الغضب والشهوة والرَّغبة والرَّهبة. ثم قال حجاج: رأيت منه اثنتين، رجلاً غضب فقتل أمه، ورأيت رجلاً عشق فتنصّر.

٥٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الجَوْهري، قال: حدّثنا ابن حيَّويه، عن ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أحمد بن عبد الرحمن، عن العباس بن الفضل الهاشمي، قال: حدثني محمد بن علي بن خلف، قال: حدثني حسين بن حسن الأسدي، عن أبيه، قال: كان عبد الله بن حسن بن حسن[٦] يطوف بالبيت، فنظر إلى امرأةٍ جميلةٍ، فمشَى إلى جانبها ثم قال:

---

(١) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي، نزيل بغداد، أبو نصر، المشهور ببشر الحافي، قال الحافظ ابن حجر: الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة. مات سنة (٢٢٧) هـ، انظر التقريب (٦٨٠).

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد المقري النقّاش، وهي نسبة إلى نقش السقوف ونحوها. انظر: الأنساب ٥/٥١٧، واللباب ٣/٣٢١، ولب اللباب ٢/٣٠١.

(٣) هو الفضيل بن عِياض بن مسعود التميمي، أبو عليّ، الزاهد المشهور، أصله من خراسان وسكن مكة، ثقة، عابد، إمام، مات سنة (١٨٧) هـ وقيل قبلها. التقريب (٥٤٣١).

(٤) هو الحسين بن داود المصيصي، المحتسب، صاحب التفسير، وسنيد لقب. ضُعّف مع إمامته ومعرفته لكونه كان يلقِّن الحجاج بن محمد شيخه. مات سنة (٢٢٦) هـ. انظر ميزان الاعتدال ٢/٢٣٦، وتذكرة الحفاظ ٢/٤٥٦، وتقريب التهذيب (٢٦٤٦)، ونزهة الألباب في الألقاب ص ١٧٠.

(٥) هو الحجاج بن محمد المصِّيصي، الأعور، أبو محمد، الترمذي الأصل، نزل بغداد ثم المصّيصة، ثقة ثبت، لكنه اختلط في آخر عمره لمّا قدم بغداد قبل موته فيها سنة (٢٠٦) هـ. التقريب (١١٣٥).

(٦) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي المدني، أبو محمد، ثقة جليل القدر مات سنة (١٤٥) هـ وله خمس وسبعون. تقريب التهذيب (٣٢٧٤) ص ٣٠٠.

أهْوى هوَى الدِّين، واللّذاتُ تُعجبني فكيفَ لي بهوَى اللّذَّات والدِّينِ؟

فقالت له: دع أحدهما تنل الآخر.

٥٦ ـ وقد رُويت لنا هذه الحكاية على غير هذا الوجه. فبلغنا عن عُمَر بن شبّة، قال: حدثنا أبو غسان أحمد بن عثمان، عن أبيه، قال: لَقِي عبد الله بن حسن امرأة جميلة في الطَّوَاف، فلما نظرت إليه وإلى جمالِه مالت نحوه وطَمِعَتْ فيه، فأقبل عليها وقال:

أهوى هوى الدِّين واللّذَّاتُ تُعجبني فكيف لي بهوَى اللذّات والدِّينِ

نفس تُزَيِّن لي الدنيا وزِينتَها وزَاجِري مِنْ حَذارِ الموتِ يُثْنِيني

فترَكَتْهُ ومَضَتْ.

٥٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أحمد بن عُمر بن رَوْح، قال: أنبأنا عُبيد الله بن أحمد المُقْرِي، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي سعيد، قال: حدثنا حسين بن محمد، يعني ابن فهم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثني إسحاق المَوْصِلي، قال: قال لي المُعتصم: يا إسحاق إذا نُصِرَ الهوى ذهب الرأي.

٥٨ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفتح، قال: أنبأنا ابن أخي ميمي، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثني محمد بن إدريس، قال: حدثنا أحمد بن أبي الحَوارِيّ، قال: سمعت أبا سليمان الدَّارَانِيّ[1] في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً﴾ [سورة الإنسان/ ١٢]، قال: صبروا عن الشهوات[2].

٥٩ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا ابن جَهْضَم، قال: حدثنا المُفيد، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أحمد، قال: سمعت محمد بن محمد بن أبي الوَرْد يقول: إنّ لله عزّ وجلّ يوماً لا ينجو من شرّه منقاد لهواه، وإنّ أبطأ الصرعَى نهضةً يوم القيامة صريع شهوة، وإنّ العقول لما جَرَتْ في ميادين الطلب كان أوفرها حظاً من يُطالبها بقدر ما استصحبته من الصبر، وإنّ العقل معدن والفكر معول.

---

(١) هو الزاهد المشهور أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني، نسبة إلى داريّا، وهي قرية من غوطة دمشق، وينسب إليها أيضاً بغير نون (الداريّ). انظر: الأنساب ٢/ ٤٣٦، واللباب ١/ ٤٨٢، ولب اللباب ١/ ٣٠٧، ومعجم البلدان ٢/ ٤٣١.

(٢) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٨٦ عن قتادة أنه قال في هذه الآية: الصبر صبران، صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله. وعزاه لعبد بن حميد.

٦٠ ـ أخبرنا ابن حبيب، قال: أنبأنا ابن أبي صادق، قال: أنبأنا ابن باكَويه، قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر، قال: حدثنا محمد بن أحمد المارِستاني، قال: حدثنا عبد الله بن سهل، قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: حفت الجنّة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلاّ كالمريض الشديد الداء، إن صبّر نفسه على مضض الدواء اكتسَب بالصبرِ عافيةً، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علّة الضنى.

٦١ ـ قال ابن باكويه: وحدثنا محمد بن داود، قال: سمعت الحسن بن علَويه، يقول: سمعت يحيى بن معاذ، وقيل له: من أصح الناس عزماً؟ قال: الغالب لهواه.

٦٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال أنبأنا أبو الحُسين الصَّيْرَفِي، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوهري، قال: أنبأنا ابن حيَّويه، قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف، قال: أخبرني سعيد بن الحسن الأسدي، قال: أنبأنا الوليد بن هشام القَحْذَمِيّ[1]، قال: دخل خلف بن خليفة على سليمان بن حبيب بن المهلب بالأَهْوَاز[2]، وعند سليمان جارية له يُقال لها: البدر، من أحسن الجواري وجهاً وأكمله، فقال سليمان لخلف: كيف ترى هذه الجارية؟ فقال: أصلح الله الأمير، ما رأت عيناي جاريةً قطُّ أحسنَ منها. فقال: خذ بيدها. فقال خلف: ما كنت لأفعل، ولا أسلبُها الأمير وقد عَرَفْتُ عُجْبَه بها. فقال: خذها ويحك على عُجْبِي بها، ليعلم هواي أني غالبٌ. فأخذ بيدها وخرج وهو يقول:

لقد حَباني وأعطاني وفضّلني ... عن غير مسألةٍ منّي سليمانُ
أعطانِيَ البدرَ خَوْداً في مجاسدها[3] ... والبدرُ لم يُعْطَه إنسٌ ولا جانُ
ولست حقاً بناسي عُرفِه أبداً ... حتى يُغيّبني لَحْدٌ وأكفانُ

٦٣ ـ أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل، قال: حدثنا أحمد بن مروان، قال: حدثنا أحمد بن محرز، قال: سمعت يحيى بن يحيى يقول: قال بعض العُبّاد: أشرف العلماء من هرب بدِينه من الدنيا، واستصعب قيادُه على الهوى.

---

(١) القَحْذَمي: نسبة إلى أبي عبد الرحمن الوليد بن هشام بن قحذم القحذمي البصري. انظر: الأنساب ٤/ ٤٥٥، واللباب ٣/ ١٦، ولب اللباب ٢/ ١٧٢.

(٢) الأهواز أصلها الأحواز ـ بالحاء المهملة ـ، اسم عربي سمّي به في الإسلام، وكان اسم تلك المنطقة في أيام الفرس: خوزستان، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها: خوز كذا، فالأهواز اسم للكورة بأسرها. وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٣٣٨ ـ ٣٤١.

(٣) والخَوْد: الجارية الناعمة. والمجاسد: جمع مِجْسَد، وهو القميص الذي يلي البدن.

٦٤ ـ أخبرنا ابن ظفر، قال: أنبأنا ابن السراج، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا ابن جهضم، قال: سمعت أبا علي المَغَازِلي[1] يقول: سمعت الحسن بن محمد الجريري يقول: أسرع المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا، وأسرع المطايا إلى النار حبّ الشهوات، فمن استوى على متن شهوة من الشهوات أسرع به القوْدُ إلى ما يكره.

٦٥ ـ قال ابن جهضم: وسمعت محمد بن علي يقول: قال ابن عطاء: من غلب هواه عقلَه وجزعُه صبره افتضح.

٦٦ ـ أخبرنا أبو بكر الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سعد الحِيْرِي، قال: أنبأنا ابن باكَويه، قال: سمعت ابن دادَوَيْه، قال: سمعت عبد الله بن سهل يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: من أرضى الجوارح في اللذّات فقد غرَس لنفسه شجر الندامات.

٦٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا عبد الجبار بن علي الطَّبري، قال: قال الحسن بن علي المُطَّوِّعِي[2]: صنم كل إنسان هواه، فإذا كسره بالمخالفة استحق اسم الفُتُوَّة.

٦٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا زكريا بن يزيد، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن واصل، قال: حدثنا أبو مسعود المُؤدِّب، عن أبي عَمرو الشّيباني، قال: لقي عالمٌ من العلماء راهباً من الرهبان، فقال له: كيف ترى الدّهر؟ فقال: يُخْلِقُ الأبدانَ، ويُجدِّدُ الآمال، ويُبعد الأمنيّة، ويُقرِّب المنية. قال له: فأي الأصحاب أبرّ؟ قال: العمل الصالح. قال: فأي شيء أضرّ؟ قال: النفس والهوى.

٦٩ ـ أخبرنا ابن ظفر، قال أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا علي بن جَهْضَم، قال: حدثني محمد بن جعفر الوَرّاق، قال: حدثني عبد الله بن يونس الرَّسْعَنِي[3]، عن أحمد بن أبي الحَواري، قال: لقي رجلٌ راهباً، فقال له: ما أفضل العبادة فيكم يا راهب؟ قال: ما نَصِبَتْ به الأبدان واسترخَتْ به المفاصل من المداومة. قال: فما أحسنها؟ قال: رِقّة القلوب عند التذكرة. قال: فما أعْدَلُها؟ قال: الاستكانة للحق. قال: فما حقها؟ قال: ترك الشهوات ولزوم الخَلُوَات.

---

(١) نسبة إلى المغازل. انظر: الأنساب ٥/ ٣٥١، واللباب ٣/ ٢٤٠، واللب ٢/ ٢٦٧.

(٢) نسبة إلى المُطَوِّعة، وهم الذين أرصدوا أنفسهم للجهاد. انظر: الأنساب ٥/٣٢٦ ـ ٣٢٧، واللباب ٣/ ٢٢٦، ولب اللباب ٢/ ٢٦٢.

(٣) الرَّسْعَنِيّ ـ بفتح الراء والعين وسكون المهملة ـ نسبة إلى رأس عين، مدينة بالجزيرة، وقرية بفلسطين. انظر: الأنساب ٣/ ٦٤، واللباب ٢/ ٢٥ ـ ٢٦ ولب اللباب ١/ ٣٥٢.

٧٠ ـ وبالإسناد عن ابن أبي الحَوَاري قال: مررت براهب فوجدته نحيفاً، فقلت له: أنت عَلِيل؟ قال: نعم. قلت منذ كم؟ قال: منذ عرفت نفسي. قلت: فتداوَ. قال: قد أعياني الدواء وقد عزمت على الكَيّ. قلت: وما الكَيّ؟ قال: مخالفة الهوى.

٧١ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا ابن النَّقُور[١]، قال: حدثنا المُخْلِصُ[٢]، قال: حدثنا أبو محمد السكَّري، قال: حدثنا أبو يعلى المِنْقَري، قال: حدثنا الأَصْمَعِي والعُتْبِي[٣]، قالا: سمعنا أعرابياً يقول: ما أشد تحويل الرأي عند الهوى، هو الهوان وإنما غُلط باسمه فاشتُق له من جنسه، وإنما يَعْرِفُ ما أقول من أبْكَته المنازلُ والطُّلُول[٤].

٧٢ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا ابن جهضم، قال: سمعت عُمر بن رُفَيْل ـ الشيخ الصالح ـ يقول: رأيت في جبل اللُّكام[٥] طائراً منكَّساً يَصِيح، فدنوتُ منه لأخلّصه، فإذا تحته صخرة عظيمة مكتوب عليها نقراً: داؤك هواك فإن غلبْت هواك فذاك دَوَاك.

٧٣ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا محمد بن الحسن السُّلَمِيّ، قال: أنبأنا عبيد الله بن عثمان، قال: حدَثنا أبو عَمْرو بن السمّاك[٦]، قال: حدثنا الحسن بن عَمْرو السَّبِيعِيّ، قال: سمعت بِشْر بن الحارث[٧] يقول: لا تجد حلاوة العِبادة حتى تجعلَ بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد.

٧٤ ـ قال السُّلَمِي: وسمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: قال أبو سليمان الدَّارَاني: أفضل الأعمال خِلاف هوى النفس.

---

(١) لعله عبد الله بن محمد النقور، أبو شكر، محدّث ولد سنة (٤٨٣) هـ، ومات سنة (٥٦٥) هـ. من آثاره: الفوائد الحسان عن الشيوخ الثقات. انظر معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٠.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في كتاب نزهة الألباب في الألقاب ص ٢٥٥: «المُخْلِص ـ بسكون الخاء المعجمة وكسر اللام ـ هو معمر بن الفاخر الأصبهاني». وقال السيوطي في لب اللباب ٢/ ٢٤٥: «المُخَلِّص ـ بالضم، والفتح، وكسر اللام المشدّدة ـ، نسبة إلى تخليص الذهب من الغش». وانظر الأنساب ٥/ ٢٢٨.

(٣) العُتْبِي هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو الأموي، البصري، إخباري أديب شاعر. مات سنة (٢٢٨) هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١١/ ٩٦، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٢٤، وشذرات الذهب ٢/ ٦٥.

(٤) الطُّلول والأطلال جمع طَلَل، وهو ما شَخَصَ وذَهَب من آثار الدار.

(٥) جبل في شمال سورية.

(٦) هو أبو عمرو عثمان بن أحمد البغدادي، ابن السمّاك، قال عنه الذهبي: الشيخ الإمام، المحدّث، المكثر، الصادق، مسند العراق. روى عنه الكبار كالدارقطني، وابن منده، والحاكم، توفي سنة (٣٤٤) هـ. انظر السِّيَر ١٥/ ٤٤٤، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٠٢، وشذرات الذهب ٢/ ٣٦٦.

(٧) هو بشر الحافي، الزاهد الورع المشهور. وقد تقدمت ترجمته.

٧٥ ـ قال: وسمعت محمد بن أحمد الفارسيّ يقول: سمعت السّريّ يقول: لن يَكْمُل رجلٌ حتى يؤثِرَ دِينَهُ على شهوته، ولن يهلك حتى يُؤثر شهوته على دينه.

٧٦ ـ قال: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: قال: أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رِقّ[١] أمْلَك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة.

٧٧ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا بكر بن شاذان يقول: قال يوسف بن الحُسين: عين الهوى عوراء.

٧٨ ـ وسمعت أبا الحُسين ابن فارس يقول: سمعت الحسن بن عَلُّوية يقول: قال أبو بكر الوَرّاق[٢]: أصل غلبة الهوى مقاربة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصّدْر، وإذا ضاق الصّدر ساءَ الخُلُق، وإذا ساء الخُلُق أبغضَه الخَلْق، وإذا أبغضه الخَلْق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطاناً رجيماً.

٧٩ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا بكر الرَّازي يقول: قال أبو علي الثَّقَفِي[٣]: مَن غلبه هواه توارَى عنه عقلُه.

٨٠ ـ وقال: ليس شيء أولَى بأن تمسكه من نفسك، ولا شيء أولى بأن تغلبه من هواك.

٨١ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا نصر الطُّوسِي يقول: سمعت أبا مسلم الأَصْبَهاني يقول: قال علي بن سهل: العقل والهوى يتنازعان، فمُعِين العقل التوفيق، وقَرِين الهوَى الخِذْلان، والنفس واقفة بينهما، فأيُّهما ظفر كانت في حيِّزه.

٨٢ ـ قال: وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا الحُسين الورَّاق يقول: الشهوة أغلب سلطان على النفس، ولا يزيلها إلاّ الخوف المُزْعِج.

٨٣ ـ قال: وسمعت أبا بكر بن شَاذان يقول: قال إبراهيم القَصَّار[٤]: أضعفُ الخَلْق مَن ضَعُفَ عن ردّ شهوته، وأقوَى الخلق من قويَ على ردّها.

---

(١) الرقّ: العبودية.

(٢) هو أبو بكر محمد بن عمر الورّاق الترمذي البلخي، صوفي، مؤدّب الأولياء، ولد بترمذ، وأقام ببلخ، كان حياً قبل (٢٤٠) هـ. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

(٣) هو الإمام المحدّث الفقيه العلاّمة الزاهد العابد، شيخ خراسان، أبو عليّ محمد بن عبد الوهّاب بن عبد الرحمٰن الثقفي، النيسابوري، الشافعي، الواعظ، من وَلَد الحجّاج، ولد سنة (٢٤٤) هـ. وتوفي سنة (٣٢٨) هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥/ ٢٨٠، والوافي بالوفيات ٤/ ٧٥.

(٤) هو إبراهيم بن عبد الله بن عُمر الخيبري، المحدّث المعمَّر الصادق، أبو إسحاق العبسي الكوفي القصّار، مات سنة (٢٧٩) هـ بالكوفة. انظر ترجمته في السير ١٣/ ٤٣، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٥.

٨٤ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا الفرج بن الصّائغ، يقول: قال المُرْتَعِشُ[١] ـ وقيل له: إن فلاناً يمشي على الماء ـ فقال: إنّ مَن مَكّنه الله من مخالفة هواه لهو أعظم من المشي على الماء.

٨٥ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد المُتَوَكّلي، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو سعيد بن شاذان، قال أنبأنا محمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدُّنيا[٢]، قال: بلغني أنّ بعض الملوك قال لبعض الحكماء: العجب لمن عرف الله وجلاله، كيف يخالفُ أمره ويَنْتَهِك حَرِيمه[٣]؟! فقال الحكيم: بإغفال الحذر، وبسط أَمَدِ الأمل، وبعسَى وسوف ولعل. قال الملك: بم يُعتصمُ من الشهوة، وقد رُكِّبَتْ في أبدانٍ ضعيفة، ففي كلِ جزءٍ من البدن للشهوة حلول ووطن؟ قال الحكيم: إنّ الشهوةَ من نتاج الفكر، وقرينُ[٤] كلِّ فكرة عبرة، ومع كل شهوة زاجر عنها، فمن قَرَنَ شهواتِه بالاعتبار، وحاط نفسه بالازدجار، انحلّت عنه رِبْقَة[٥] العُدوان، ودَحَض[٦] سيّء فكره بإيثار الصَّبْر على شهوته، لِمَا يرجو من ثواب الله على طاعته ويخاف من عقابه على معصيته.

٨٦ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: حدثنا إبراهيم بن عمر البَرْمَكِي، قال: أنبأنا عبد الله بن عبد الرحمن الزُّهري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن العباس بن الفضل، قال: سمعت وَهْب بن نُعيم بن الهَيْضم يقول: قال بِشْر الحافي لحَسن الفلاّس: من جعل شهوات الدنيا تحت قدميه فَرِق الشيطان من ظلّه، ومن غلب علمُه هواه فهو الصابر الغالب، واعلم أنّ البلاء كلّه في هواك، والشّفاء كلّه في مخالفتك إياه.

---

(١) هو الزاهد أبو محمد عبد الله بن محمد النيسابوري الحِيري، المرتعِش، وكان يُقال: عجائب بغداد في التصوّف ثلاث: نُكت أبي محمد المرتعش، وحكايات الخُلْدي، وإشارات الشِّبلي. توفي سنة (٣٢٨) هـ. انظر السير ١٥/ ٢٣٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٢١.

(٢) هو الحافظ عبد الله بن محمد بن عُبيد القرشي مولاهم، البغدادي، المؤدِّب، صاحب التصانيف السائرة، ولد سنة (٢٠٨) هـ، يروي عن خلقٍ كثير لا يُعرفون، وعن طائفة من المتأخرين. وتصانيفه كثيرة جداً، فيها مخبّآت وعجائب منها: القناعة، قِصَر الأمل، مُجابو الدعوة، ذم الملاهي، الصمت، الفرج بعد الشدّة وغيرها كثير جداً. توفي سنة (٢٨١) هـ وله ثلاث وسبعون. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٧، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٦٧٧. وتهذيب التهذيب ٦/ ١٢.

(٣) أي: ما حرّمه الله.

(٤) يجوز الفتح بالعطف على الشهوة، ويجوز الضم باعتبار الاستئناف، وهو الأقوى للمعنى، والله أعلم.

(٥) الربقة: العقدة والقيد والكُربة.

(٦) دَحَضَ: أي دفع وأبطل.

٨٧ ـ وقد حكي عن أنوشِرْوَان أنه سئل: أيُّ الأشياء أحقّ بالاتِّقاء؟ فقال: أعظمها مضرّة. قيل: فإن جهل قدر المَضَرّة؟ قال: أعظمها من الهوَى نصيباً.

٨٨ ـ وقيل للمُهَلّب بن أبي صُفْرَة[١]: بمَ نِلْتَ ما نِلت؟ قال: بطاعة الحزم وعصيان الهوى.

٨٩ ـ وقال بِشْر الحَافِي: لقيتُ عليًا الجَرْجَرائي[٢] بجبل لبنان على عين ماء، فلما بَصُر بي قال: بذنبٍ منّي لقيتُ اليوم إنساناً. فسَعَيْتُ خلفه وقلتُ: أوصِني. فالتفَتَ إليّ وقال: أمُسْتوصٍ أنت؟ عانق الفقرَ، وعاشر الصبر، وعَادِ الهوَى، وعَفِ الشهوات[٣]، واجعل بيتك أخلَى من لَحْدِكَ يوم تُنْقل إليه، على هذا طاب المسير إلى الله عزّ وجلّ.

٩٠ ـ قال أبو عليّ الدَّقّاق: من مَلك شهوته في حال شَبِيبته صيّره الله ملكاً في حال كُهولته، كيوسف عليه السلام، إنّه مَنْ يتّق ويصبر فإنّ الله لا يُضيع أجر المحسنين.

٩١ ـ وقال عبد الصمد الزَّاهد: مَن لم يعلم أنّ الشهوات فخوخ فهو لَعّاب[٤].

٩٢ ـ وقال أعرابي لابنه: يا بُني من خاف الموت بادَرَ الفَوْت، ومن لم يَكْبَحْ نفسَه عن الشهوات بادرت به إلى الهَلَكات، والجنة والنار أمامك.

٩٣ ـ وقال بعض الحكماء: أعْدَلُ الناس من أنصف عقلَه من هواه.

٩٤ ـ وقال آخر: العاقل من كان له على جميع شهواته رَقِيب من عقله.

٩٥ ـ وقال آخر: الهوَى مَلِكٌ عَسُوف[٥]، وسلطان ظالم، دانَتْ له القُلوب، وانقادت له النفوس.

٩٦ ـ وقال آخر: النفس إذا هَوِيتْ شيئاً مالت إليه، حتى تكون عند الذي هويت أكثر من كونها عند جسدها.

٩٧ ـ وقال آخر: إن لكلّ شيء أبا جاد[٦]، وإن أبا جاد الحكمة: طَرْد الهوى ووزن الأعمال.

---

(١) هو المُهَلّب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، وهو سيد أهل العراق، ولي إمارة البصرة، وقاتل الخوارج، ثم تولّى إمارة خراسان ومات فيها سنة (٧٩) هـ. انظر الأعلام للزركلي ٧/ ٣١٥.

(٢) قال ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢/ ٨٩٦: «كان من أستاذِي بشر الحافي، وكان ينزل جبل لبنان»، ثم ذكر القصة المذكورة هنا.

(٣) أي: اتركها، تقول: عاف الرجل الطعام والشراب يعافُه عيافةً: كرهه فلم يشربه، فهو عائف.

(٤) أي: كثير اللّعب، لانغماسه في الشهوات، واستخفافه بها.

(٥) أي: ظلوم.

(٦) أوّل الشيء، وبدايته، أي: إن لكل شيء بداية وبداية الحكمة..، وهي مأخوذة من الأحرف الأبجدية: أبجد هوز..، حيث إن (أبجد) أول هذه الحروف وبدايتها.

ذِكْرُ أشعارٍ قِيلَتْ في ذَمِّ الهَوَى

٩٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الخَبْرِي[١]، قالت: أنبأنا علي بن الحسن بن الفضل، قال: أنبأنا أحمد بن محمد الكاتب، قال: أنبأنا ابن المغيرة الجَوْهَرِيّ، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقي، قال: حدثنا الزُّبير بن بَكَّار، قال: حدثني علي بن صالح، عن عامر بن صالح، قال: دخل الوليد بن يزيد[٢] بعض كنائس الشام، فكَتَبَ في حيطانها بفحمة:

مـا أرى العيـشَ غيـر أنْ تَتْبَـع النَّفْـ ـسُ هـواهـا فمخطئـاً أو مصيبـا

فرأى ذلك البَيْتَ عبدُ الله بن علي، فكتب تحته:

إن كنْـتَ تعلـم حيـن تُصْبِـحُ آمنـاً أنّ المنـايـا إنْ أقمـتَ تُقيـمُ
فـالْـزَمْ هـوَاك كمـا رَضِيـت فـإنّـه لا مِثْـلَ ذلـك فـي النّعيـم نعيـمُ

٩٩ ـ ورأيت لبعض المتقدمين في هذا المعنى:

وبـالنّاس عـاشَ النـاسُ قِدْماً ولـم يَزَلْ مـنَ النّـاس مـرغـوبٌ إليـه وراغـبُ
ومـا يستـوِي الصَّـابِي ومـن تـرَكَ الصِّبا وإن الصِّبَـا لَلْعيـشُ لـولا العـواقـبُ

١٠٠ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا ابن النَّقُور، قال: أنبأنا المُخَلِّص، قال: حدثنا أبو محمد السُّكري، قال: حدثنا أبو يَعْلَى المِنْقَرِي، قال: حدثنا الأَصْمَعِي، قال: سمعتُ رجلاً يقول:

إنَّ الهـوانَ هـو الهَـوَى قُلِـبَ اسْمُـه فـإذا هَـوِيْـتَ فقـد لَقِيـت هَـوَانـا

١٠١ ـ قلت: وقد سُئِل ابن المُقَفّع[٣] عن الهوى، فقال: هوانٌ سُرقت نونه.
١٠٢ ـ فنظمه شاعر فقال:

---

(١) الخَبْرِي: نسبة إلى خَبْر، قرية بشيراز من بلاد فارس. انظر: الأنساب ٢/٣١٨، واللباب ١/٤١٨، ولب اللباب ١/٢٧٢، ومعجم البلدان ٢/٣٤٤.

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو العباس الدمشقي الخليفة الأموي، ولد سنة (٩٠) هـ وقيل: (٩٢) هـ، تسلّم الخلافة بعد وفاة أبيه، كان من أجمل الناس، وأشعرهم، وأشدّهم. عاش ستاً وثلاثين سنة، وكان مصرعه في جمادى الآخرة سنة (١٢٦) هـ. انظر: السير ٥/٣٧٠، الكامل في التاريخ ٥/٢٦٤، تاريخ الإسلام ٥/١٧٣، البداية والنهاية ١٠/٢.

(٣) هو عبد الله بن المقفّع، كاتب، شاعر، أديب، فارسي الأصل، ولد بالبصرة سنة (١٠٩) هـ ونشأ فيها، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم له بعض الكتب، واتهم بالزندقة فقتله أميرها سفيان بن معاوية المهلبي سنة (١٤٥) هـ في البصرة. له مؤلفات منها: الأدب الصغير، والكبير، والدرة اليتيمة، والجوهرة الثمينة في طاعة السلطان. انظر: السير ٦/٢٠٨، البداية والنهاية ١٠/٩٦.

نـونُ الهَـوانِ مِـنَ الهـوَى مسـروقـةٌ   فـإذا هَـوِيْـتَ فقـد لَقِيـت هَـوَانـا

١٠٣ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا محمد بن علي بن أبي الفتح، قال: أنبأنا ابن أخي مِيمِي[١]، قال: حدثنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرَشي، قال: أنشدني الحسن بن سَلْمان الأُبُلِّي[٢]:

كـم أسيـرٍ لشهـوةٍ وقتيـل   أُفٍّ للمُشْتهِـي خـلافَ الجميـلِ
شهـوات الإنسـان تُـورثـه الـذلّ   وتُلْقِيـه فـي البـلاءِ الطـويـل

١٠٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا ابن سِوَار، قال: أنشدنا أبو القاسم التَّنُوخي، قال: أنشدني علي بن عبد العزيز ابن حاجِب النّعمان[٣]:

رُبَّ مستـورٍ سَبَتْـهُ صَبْـوةٌ   فتعـرَّى سِتْـره فـانْتُهِكـا
صـاحـبُ الشهـوة عبْـدٌ فـإذا   غلـبَ الشهـوةَ صـارَ المِلِكـا

١٠٥ ـ وقد أنشدوا لابن المبارك[٤]:

ومِـنَ البـلاء، وللبـلاء عـلامـةٌ   أن لا يُـرى لـكَ عَـنْ هَـواك نُـزوعُ
العبْـدُ عبـدُ النّفـسِ فـي شهـواتِـه   والْحُـرُّ يَشبـعُ تـارةً ويجـوعُ

١٠٦ ـ ولمحمد بن عبد الله بن مناذر:

خيـرُ مـا اجتـنَّ بـه المـرءُ التُّقـى   فـاتَّخِـذْهـا عُـدَّةً دونَ العُـدَدْ
وأرَى الشهـوةَ مفتـاحَ الـرَّدَى   فـاجتنِبْهـا وَانْـأَ عنهـا وابتعـدْ

١٠٧ ـ ولصالح بن عبد القُدّوس:

---

(١) هو الشيخ الصدوق المسند، أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين البغدادي الدقّاق، أحد الثقات، يُعرف بابن أخي ميمي، مات سنة (٣٠٩) هـ. انظر: السير ١٦/ ٥٦٤، وتاريخ بغداد ٥/ ٤٦٥، والبداية والنهاية ١١/ ٣٢٧.

(٢) الأُبُلِّي ـ بضم الهمزة، وفتح الباء الموحدة، وتشديد اللام ـ نسبة إلى أبلّة، بلدة على أربعة فراسخ من البصرة، وهي اليوم منها، وقيل: إنّها مِن جِنان الدنيا. انظر: الأنساب ١/ ٧٥، ولبّ اللباب ١/ ٣٥، ومعجم البلدان ١/ ٧٨.

(٣) هو علي بن عبد العزيز بن إبراهيم، أبو الحسن، شاعر، من بلغاء الكتّاب، توفي سنة (٤٢٣) هـ. انظر: معجم الأدباء لياقوت ١٤/ ٣٥، وإيضاح المكنون للبغدادي ١/ ٤٨٥.

(٤) هو الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمٰن الحنظلي مولاهم، التركي، ثم المروزي، الحافظ، الغازي، ولد سنة (١١٨) هـ وتوفي رحمه الله سنة (١٨١) هـ. انظر: السير ٨/ ٣٧٨، حلية الأولياء ٨/ ١٦٢، تاريخ بغداد ١٠/ ١٥٢، صفة الصفوة ٤/ ١٣٤، تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٤.

عـاصِ الهـوَى، إنَّ الهـوَى مـركَـبٌ ... يصعـب بعـد اللِّيـن منه الـذّليـلْ
إنْ يجلـبِ اليـومَ الهـوَى لـذةً ... ففـي غـدٍ منـه البُكـا والعَـوِيـلْ
مـا بيـن مَـا يُحْمَـدُ فيـه ومـا ... يـدعـو إليـك الـذمّ إلاّ القليـلْ

١٠٨ ـ ولابن الرومي:

إتبَـع العقـلَ إنّـه حـاكـمُ اللـ ... ـهِ ولا تمـشِ فـي طـريـق عِنَـادِهْ
مـا الهـوَى فـي لَفِيفِـهِ إنْ تـأملـ ... ـت بِقِـرْنٍ للعَقْـلِ فـي أَجْنَـادهْ
لا تُعَـرّض سَـداد رأيـك للطّعـ ... ـن عليـه مِـنْ نـاقـصٍ فـي سَـدادهْ

١٠٩ ـ وقال آخر:

إذا أنـت لـم تعـصِ الهـوَى قـادَكَ الهـوَى ... إلـى بعـض مـا فيـه عليـك مَقـالُ

١١٠ ـ وقال غيره:

وَأَتْـرُكُ الشـيءَ أهـواه ويُعجبُنـي ... أخشَـى عـواقـبَ مـا فيـه مِـنَ العـارِ

١١١ ـ وقال غيره:

إنَّ المِـرَاةَ[1] لا تـريـك عيـو ... بَ وجهـك مـغْ صَـدَاهـا
وكـذاك نفسُـك لا تُـرِيـك عيـو ... بَ نفسِـك مـغْ هـواهـا

١١٢ ـ وقال آخر:

وكـل امـرىءٍ يـدرِي مـواقِـعَ رُشْـدِه ... ولكنّـه أعمَـى أسيـرُ هـواهُ
يُشيـر عليـه النّـاصحـون بجهـدهـم ... فيـأبَـى قَبـول النُّصـح وهـو يـراهُ
هـوَى نفسِـه يُعميـه عـن قَصْـدِ رُشْـدِهِ ... ويُبْصِـرُ عـن فَهْـمِ عيـوبَ سـواهُ

* * *

(١) أي: المرآة.

الباب الثّالث

في ذِكْرِ مُجاهَدَةِ النَّفْسِ ومُحاسَبَتِها وتَوْبِيْخِها

اعلم وفّقك الله، أنَّ النفسَ مَجْبُولةٌ على حبّ الهوى، وقد سبق بيان أذاه، فافتقرتْ لذلك إلى المجاهدة والمخالفة، ومتى لم تُزجر عن الهوى هَجَم عليها الفِكْرُ في طَلَب ما شُغِفَتْ به، فاسْتَأْنَسَتْ بالآراء الفاسدة، والأَطْماع الكاذبة، والأماني العَجِيبة، خصوصاً إنْ ساعَد الشبابُ الذي هو شعبة من الجنون، وامتد ساعِدُ القدرة إلى نيل المطلوب.

١١٣ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي البَزّاز، قال: أنبأنا أبو يعلى ابن الفَرّاء، قال: أنبأنا علي بن عمر السُّكّري، قال: أنبأنا أحمد بن الحسن الصُّوفي، قال: حدثنا الحارث بن شريح:

وأخبرنا ابن الحُصَيْن، قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا علي بن إسحاق:

وأخبرنا عبد الوهاب، وابن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن عليٍ الجَوْهري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأَنْبَارِي، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: حدثنا عبد الله بن سِنان الهَرَوِيّ:

قالوا[١]: أنبأنا عبد الله بن المبارك:

وأخبرنا محمد بن ناصر، وعبد الله بن عليٍ، قالا: أنبأنا طَرَّاد بن محمد، قال: أنبأنا ابن بِشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا الهيثم بن خارِجة، قال: حدثنا بَقِيّة بن الوليد:

قالا[٢]: أنبأنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم، قال: حدثني ضَمْرَة بن حَبِيب، عن شدّاد بن أَوْس، قال: قال رسول الله ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعَمِل لما بعد الموت، والعاجزُ مَن أتبع نفسَه هواها وتَمَنَّى على الله»[٣].

---

(١) أي: الحارث بن شريح، وعلي بن إسحاق، وعبد الله بن سنان الهروي.

(٢) أي: عبد الله بن المبارك وبقيّة بن الوليد.

(٣) حديث ضعيف. رواه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه(٤٢٦٠)، وأحمد في المسند (١٦٦٧٤)، =

وقال أبو بكر القرشي: «من أتبع نفسه هواه».

وقال ابن الأنباري: «الكيّس من أدان نفسه»، و «الفاجر» بدل: «العاجز».

١١٤ ـ قال: وقال لنا أحمد بن يحيى النَّحْوِي: الكَيِّس عند العرب: العاقل، والكَيْس: العقل[١]. وأنشدنا:

فكُـنْ أكيَـس الكيْسَـى إذا مـا لَقِيْتَهـم ... وكُـنْ جـاهـلاً إمّـا لَقيـتَ ذوي الجَهْـلِ

قال: وقوله: «من أدان نفسه» معناه: أخذ لنفسه من نفسه، من صحته لِسَقَمِه، ومن غِناه لفقره. ومن روى: «من دان نفسه» معناه: من استعبد نفسه وأذلّها لطاعة الله[٢]، قال الأعشى:

هـو دانَ الـرِّبـاب إذ كـرهـوا الـ ... دّيـنَ دِراكـاً بعـزةٍ وَصِيَـالِ

معناه: هو استعبد الرّباب.

١١٥ ـ أخبرنا عبد الله بن علي، ومحمد بن ناصر قالا: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران قال: حدثنا أبو بكر الآجُرِّيّ قال: حدثنا عبد الله بن محمد العَطَشِي[٣] قال: حدثنا أبو يحيى العَاقُوْلي[٤] قال: حدثنا الربيع بن روح:

وأخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو عبد الله الصُّورِي

= والحاكم في المستدرك ١/٥٧، و ٤/٢٥١، كلهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم به. وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن». وقال الحاكم ١/٥٧: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه». وتعقبه الذهبي في التلخيص فقال: «لا والله ـ يعني: ليس على شرط البخاري كما قال الحاكم ـ، أبو بكر واه». وقال المُناوي في فيض القدير ٥/٦٨: «قال ابن طاهر: مدار الحديث عليه ـ يقصد: ابن أبي مريم ـ وهو ضعيف جداً». وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (٧٩٧٤): «ضعيف، وكان قد سُرِق بيته فاختلط»، توفي سنة (١٥٦) هـ.

(١) قال المناوي في فيض القدير ٥/٦٧: «الكيّس، أي: العاقل. قال الزمخشري: الكيّس: حَسَنُ التأنّي في الأمور، و الكيّس المنسوب إلى الكيس المعروف به. وقال ابن الأثير: الكيّس في الأمور يجري مَجرى الرفق فيها. وقال الراغب: الكَيْس: القدرة على جودة استنباط ما هو أصلح في بلوغ الخير، وتسميتهم الغادر: كيّساً، إما على طريق التهكم، أو تنبيها على أن الغادر يعدّ ذلك كيساً».

(٢) قال الترمذي عَقِب الحديث: «ومعنى قوله: من دان نفسه، يقول: حاسَبَ نفسه في الدنيا قبل أن يُحَاسَب يوم القيامة». وقال المناوي في الفيض ٥/٦٧: «من دان نفسه: أي حاسبها وأذلّها واستعبدها وقهرها، يعني: جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربّها...».

(٣) العَطَشِيّ ـ بفتحتين ومعجمة ـ نسبة إلى سوق العَطَش، موضع ببغداد. انظر: الأنساب ٤/٢٠٩، ولب اللباب ٢/١١٧، ومعجم البلدان ٤/١٢٩.

(٤) العاقُولي: نسبة إلى دَيْر العاقُول، بلد قرب بغداد. انظر: الأنساب ٤/١١٢، ولب اللباب ٢/١٠٢.

قال: حدثنا عبد الرحمن بن عُمر قال: حدثنا أبو أحمد السَّعْدي قال: حدثنا يوسف بن يزيد القَرَاطِيسي قال: حدثنا المُعَلّى بن الوليد قال: حدثنا يوسف بن بَقِيّة ـ واللفظ له ـ:

قالا: حدثنا سِعد بن سنان، عن أبي الزَّاهِرِيَة، عن جُبَيْر بن نُفَير، عن ابن البُجَير[1]، ـ وكان من أصحاب النبيّ ﷺ ـ قال: أصاب النبيَّ يوماً جوعٌ شديد، فوضع حجراً على بطنه، ثم قال: «ألا رُبَّ نفسٍ طاعِمة ناعِمة في الدنيا، جائعة عارية يوم القيامة، ألا رُبَّ مُكْرِمٍ لنفسه وهو لها مُهين، ألا رُبّ مُهِينٍ لنفسه وهو لها مُكْرِم، ألا يا رُبَّ مُتَخَوِّضٍ مُتَنَعِّمٍ فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خَلاَق، ألا وإنّ عَمَلَ الجنة حَزْنَةٌ بِرَبْوة، ألا وإنّ عمل النار سَهْلة بسَهْوَة[2]، ألا يا رُبّ شهوة ساعة أَوْرَثتْ حُزناً طويلاً»[3].

ابن البُجَير: لا يُعرف اسمه، إلاّ أنّ الدارقطني قال: إنّ اسمه عَفَّان.

وفي الصحابة جماعة لا يُعرفون إلاّ بالنسبة إلى آبائهم فقط، منهم: ابن ثعلبة، وابن جارية، وابن جميل، وابن حماطة، وابن حنظلة، وابن الرسيم، وابن عايش ـ وليس بعبد الرحمن بن عايش ـ وابن عَبْس، وابن عصام، وابن غَنّام، وابن الفاكه، وابن مسعدة، وابن المنتفق، وابن نُضيلة، في آخرين.

وفي الصحابة من اشتهر بالنسبة إلى أبيه مع معرفة اسمه، كابن زَامِل، وابن سُبْرَة، وابن رِسلان، وابن الشياب، وابن عائذ، وابن القَشِيب، وابن اللُّتبِيّة، كلّ هؤلاء اسمه عبد الله، وإنما اشتهر بأبيه.

والحزْن: ضِدّ السَّهل. والرّبوة: المكان المرتفع من الأرض.

والمراد من الحديث أن عمل الجنة صعب، وعمل النار سهل، لأن ذلك يخالف الطباع، وهذا يوافقها.

---

(١) هكذا هنا: ابن البُجير، وقد ذكر هذا الحديث ابن سعد في الطبقات ٧/٤٢٣، فسمّاه أبو البُجَير، وكذا ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٣/١١٧، والمناوي ٣/١١٧، قال المناوي: «... عن أبي البُجير ـ بالجيم ـ صحابي ـ قال الذهبي له حديث».

(٢) قال في الفيض ٥/١١٧: «أرض ليّنة التربة. شبّه المعصية في سهولتها على مرتكبها بأرض سهلة لا حزونة فيها، وإيضاح ذلك أن طريق الجنة وإن كانت مشقة على النفس لاشتمالها على مخالفة هواها بتجنب ما تهواه وفعل ما يشقّ عليها، فلا يتوصل إليها إلا بارتكاب ما يشقّ على النفس وترك ما تشتهيه من لذاتها، لكن ليس في ذلك خطر الهلاك، إذ لا خطر في قهر النفس وترك شهواتها».

(٣) حديث ضعيف. رواه ابن سعد في طبقاته ٧/٤٢٣، وعزاه السيوطي في الجامع الصغير (٢٨٨٧) ٣/١١٧ له وللبيهقي في شعب الإيمان، وعزاه المناوي في الفيض ٣/١١٧ للديلمي في فردوس الأخبار، ونقل عن المنذري أنه عزاه لابن أبي الدنيا. قال: «ثمّ ضعّفه». وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢١٨١): «ضعيف جداً». وأحال إلى السلسلة الضعيفة (٢٣٦٨).

١١٦ ـ أخبرنا محمد بن ناصر وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا علي بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا أبو بكر الآجُرّي، قال: حدثنا جعفر الفِرْيَابي، قال: حدثنا المُسَيّب بن وَاضح، قال: حدثنا ابن المبارك، عن حَيْوَةَ[١] بن شُرَيْح، عن أبي هانىء الخَوْلاَني، عن عَمْرو بن مالك، عن فَضَالة بن عُبيد، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المُجاهد من جاهد نفسه في الله عزّ وجلّ»[٢].

١١٧ ـ أخبرنا سعيد بن أحمد، قال: أنبأنا ابن البُسْرِي، قال: أنبأنا المُخَلِّص، قال: حدثنا البَغَوي، قال: حدثنا ابن صاعد، قال: حدثنا لُوَيْن[٣]:

وأخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: حدثنا علي بن أحمد الحَمّامي[٤]، قال: حدثنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، قال: حدثنا مُسَدَّدُ:

قالا: حدثنا أبو الأَحْوَص، قال: حدثنا سعيد بن مسروق، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد مَن غلب النَّاسَ ولكن الشديد من غلب نفسه»[٥]. لفظ مسدد.

١١٨ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا واصل بن حمزة الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سهل عبد الكريم بن عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا محمد بن حاتم بن نعيم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عيسى بن موسى، عن الحسن ـ هو ابن هشام ـ، عن يحيى بن العلاء، قال:

---

(١) حَيْوة بن شريح التُّجيبي: ثقة، ثبت، فقيه، زاهد. مات سنة (١٥٨) هـ. التقريب (١٦٠٠).

(٢) حديث صحيح. رواه الترمذي (١٦٢١)، وأحمد في المسند (٢٧٧٢٥ ـ ٢٣٤٣٨ ـ ٢٣٤٤٥ ـ ٢٣٤٤٧)، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٤٤، والطبراني في الكبير ١٨/(٨٠٢)، وابن حبان في صحيحه (٤٦٢٤) وضمن حديث (٤٨٦٢). قال الترمذي عقبه: «حديث حسن صحيح». وقال المناوي في الفيض ٦/ ٢٦٢: «قال العلائي: حديث حسن، وإسناده جيد». وصححه الألباني في الصحيحة (٥٤٩).

(٣) لُوَيْن: بالتصغير، لقب لمحمد بن سليمان بن حبيب الأسدي، الكوفي، أبو جعفر، مات سنة (٢٤٥) هـ، وقد جاوز المائة. التقريب (٥٩٢٥) ونزهة الألباب في الألقاب ص ٢٤٧.

(٤) علي بن أحمد بن عمر الحمّامي ـ بالتشديد ـ المقرىء أبو الحسن. انظر: الأنساب ٢/ ٢٥٥ واللباب ١/ ٣٨٥ ولب اللباب ١/ ٢٥٦.

(٥) حديث صحيح. رواه العسكري في الأمثال، كما ذكر السيوطي في جمع الجوامع ١/ ٦٧٨.
قلت: والحديث متفق عليه بلفظ: «ليس الشديد بالصُّرَعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب». انظر صحيح البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

حدثنا ليث، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر، قال: قَدِم النبي ﷺ من غزاة له فقال لهم رسول الله ﷺ: «قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، قالوا: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: «مجاهدة العبد هواه»(١).

اعلم أنّه إنّما كان جهاد النفس أكبر من جهاد الأعداء، لأنّ النفس محبوبةٌ وما تدعو إليه محبوبٌ، لأنّها لا تدعو إلاّ إلى ما تشتهي، وموافقةُ المحبوبِ في المكروه محبوبةٌ، فكيف إذا دعا إلى محبوب؟!

فإذا عكست الحال وخولف المحبوب فيما يدعو إليه من المحبوب، اشتد الجِهاد وصَعُب الأمر، بخلاف جهادِ الكفار، فإنّ الطباع تحمل على خصومة الأعداء.

١١٩ ـ وقال ابن المبارك في قوله تعالى: ﴿وجاهدُوا في اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج/ ٧٨]. قال: هو جهاد النفس والهوى(٢).

١٢٠ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا طَرَّاد، قال: أنبأنا علي بن بشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل:

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب(٣)، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا محمد وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا ابن العَلّاف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا أبو بكر الآجُرِّي، قال: حدثنا بَنان بن أحمد، قال: حدثنا هارون بن عبد الله:

---

(١) حديث ضعيف. عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٤/ ٥١١ للخطيب البغدادي في تاريخه، وعزاه المُناوي في فيض القدير ٤/ ٥١١ للديلمي، وللبيهقي في كتاب الزهد قال: وهو مجلد لطيف. ثم قال: «وقال ـ أي: البيهقي ـ: إسناده ضعيف. وتبعه العراقي ـ أي على تضعيف الحديث».
قال الألباني في ضعيف الجامع (٤٠٨٠): «ضعيف».

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٥٥: في هذا الجهاد ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين.
والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحّاك.
والثالث: أنه جهاد النفس والهوى. قاله عبد الله بن المبارك».

(٣) هو أبو علي الحسن بن محمد التميمي البغدادي، قال الذهبي: الإمام العالم، مسنِد العراق، توفي سنة (٤٤٤) هـ. انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٦٤٠، وتاريخ بغداد ٧/ ٣٩٠، وميزان الاعتدال ١/ ٥١٠.

قالا[1]: حدثنا سفيان بن عيينة، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحسابِ غداً أن تُحاسبوا أنفسكم يوم القيامة. وتزيّنوا للعرْض الأكبر، يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية[2].

١٢١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف، قال: أنبأنا أبو علي التَّمِيمي، قال: أنبأنا ابن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله، قال: حدثني مالك بن أنس، عن إسحاق بن عبد الله، أنّ أنس بن مالك، قال: سمعت عُمر بن الخطاب يوماً ـ وخرجت معه حتى دخل حائطاً، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار ـ: عمر بن الخطاب! بَخٍ بَخٍ! والله بُنَيَّ الخطاب! والله لتتقينَّ الله أو ليعذبَنَّك.

١٢٢ ـ وبه قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا المبارك، عن الحسن، قال: أيسر الناس حساباً يوم القيامة الذين يحاسبون أنفسهم لله عزّ وجلّ في الدنيا، فوَقَفُوا عند هُمومهم وأعمالهم، فإنْ كان الذي همّوا به لله عزّ وجلّ مَضَوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا.

١٢٣ ـ قال: وإنما يَثْقُل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا اتخذوها على غير محاسبة فوجدوا الله عزّ وجلّ قد أحصى عليهم مثاقيل الذرّ. ثم قرأ: ﴿يا ويْلَتَنَا ما لهذا الكتابِ لا يُغادِرُ صَغِيرةً ولا كَبِيرةً إلاّ أحصاها﴾ [الكهف/ ٤٩].

١٢٤ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا ابن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا يحيى بن صاعد، قال: حدثنا ابن المُبارك، قال: حدثنا مَعْمَر، عن يحيى بن المختار، عن الحسن قال: إن المؤمن قوّام على نفسه، يحاسِبُ نفسَه لله عزّ وجلّ، وإنما خَفّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنّما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير مُحاسبة، إنّ المؤمن يفجؤه الشيءُ يُعجبه فيقول: والله إنّي لأشتهيك وإنّك لَمِن حاجتي، ولكنْ والله ما مِنْ صِلة إليك، هَيْهَاتَ

---

(١) كذا في المطبوعة، قالا والصواب: قالوا، لأن المقصود: إسحاق بن إسماعيل، والإمام أحمد، وهارون بن عبد الله. والله أعلم.

(٢) رواه الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق ٦١٨/٢، من طريق أبي بكر بن أبي الدنيا بإسناده، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٦١/٦ لابن المبارك في الزهد، وذكره الإمام الترمذي في جامعه عقب حديث (٢٤٥٩) حيث قال: يروى عن عمر بن الخطاب... فذكره. قال الحافظ ابن كثير عقبه: «أثر مشهور، وفيه انقطاع، وثابت بن الحجاج هذا جزري، تابعي صغير، لم يدرك عُمر، ولم يَرْوِ عنه سوى جعفر بن برقان».

هيهاتَ، حِيل بيني وبينك. ويفرُط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا، والله لا أعود إلى هذا أبداً إن شاء الله.

إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إنّ المؤمن أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عزّ وجلّ، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

١٢٥ ـ وبه قال: حدثنا الآجُرّي، قال: حدثنا ابن مَخْلَد، قال: حدثنا علي بن إبراهيم، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو مقاتل، قال: حدثنا عون بن أبي شَدّاد، عن الحسن، في وصية لقمان لابنه: يا بُنَيّ إنّ الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس حَرُون[١]، فإن فَتر سائقها ضَلّت عن الطريق، وإن فتر قائدها حَرَنَت، فإذا اجتمعا استقامت. إن النفس إذا أُطْمِعَتْ طَمعَت، وإذا فَوَّضْتَ إليها أساءت، وإذا حملتها على أمرِ الله صَلُحت، وإذا تركتَ الأمر إليها فسدت؛ فاحذر نفسَك واتّهمها على دِينك، وأَنزلها مَنزِلةَ من لا حاجة له فيها ولا بُدّ له منها. وإنّ الحكيم يُذِلُّ نفسه بالمكاره، حتى تعترف بالحقّ، وإنّ الأحمق يُخَيِّر نفسه في الأخلاق، فما أحبَّت منها أحبّ وما كرِهَتْ منها كره.

١٢٦ ـ وبالإسناد قال: حدثنا الآجُرِّي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الحَميد قال: حدثنا هارون بن عبد الله قال: حدثنا سَيّار قال: حدثنا جعفر بن سُلَيمان قال: حدثنا حجاج بن الأسود قال: سمعت قتادة يقول: يا ابن آدم، إن كنت تريد أن لا يأتي الخير إلاّ عن نشاط، فإنّ نفسك إلى السآمة والفتور والمَلَل أقرب، ولكن المؤمن هو العجَّاج[٢]، والمؤمن هو المتوقّي، والمؤمن هو المتشدِّد، وإن المؤمنين هم العَجّاجُون إلى الله عزّ وجلّ بالليل والنهار، والله ما زال المؤمنون يقولون: رَبّنا رَبّنا، في السرِّ والعَلانية، حتى استجاب لهم.

١٢٧ ـ وبه قال: حدثنا الآجرّي، قال: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد، قال: حدثنا الحسن بن محمد الزَّعْفَراني، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، قال: حدثنا أبو عبيدة النّاجي، أنه سمع الحسن يقول: حادِثوا هذه القلوب، فإنّها سريعة الدُّثور[٣]، وأَقْرِعُوا[٤] هذه الأنفس فإنّها طُلَعَة[٥]، وإنّها تُنازع إلى شرّ غاية، وإنكم إن تقاربوها لم تُبْقِ لكم من أعمالكم

---

(١) أي: جامحة لا تنقاد.
(٢) العجُّ: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة والتلبية.
(٣) أي: الذهاب والاندراس والانمحاء.
(٤) من التَّقْرِيع، وهو: التعنيف.
(٥) أي: تتطلّع إلى الأشياء وتأمل الحصول عليها.

شيئاً، فتصبّروا وتَشدّدوا، فإنّما هي لَيال تُعدُّ، وإنّما أنتم رَكْب وُقُوف، يُوشك أن يُدعَى أحدكم فيُجيب ولا يلتفت، فانقلِبوا بصالح ما بحضرتكم. إنّ هذا الحقَّ أجهدَ الناس وحال بينهم وبين شَهَواتِهم، وإنّما صبر على هذا الحق من عرَف فضله ورجا عاقبته.

١٢٨ ـ وبه قال: حدثنا الآجرّي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا شعيب بن عبد الحَميد، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا وَرْقاء، عن ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد[١]، في قوله: ﴿ولا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ﴾ [سورة القيامة/ ٢] قال: تندمُ على ما فات وتلوم نفسها[٢].

١٢٩ ـ قال أبو بكر بن أبي داود: وحدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا وكيع، عن جعفر بن بَرْقان، عن ميمون بن مِهران[٣]، قال: لا يكون الرّجل تقياً حتى يحاسبَ نفسه محاسبته لشريكه.

١٣٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا رِزقُ الله وطَرّاد، قالا: أنبأنا أبو الحُسين بن بشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني سُرَيْج[٤] بن يونس، قال: حدثنا سليمان بن حَيّان، عن جعفر بن بَرْقان، عن ميمون بن مِهْران، قال: لا يكون الرّجل تقياً حتى يكون لنفسه أشدَّ محاسبة من الشريك لشريكه.

١٣١ ـ وبالإسناد حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا خالد بن خِدَاش، عن حماد بن زيد، عن رُزَيق بن رُدَيْح، عن سلَمة بن منصور، عن مولًى لهم كان يصحبُ الأحنفَ بن قَيس[٥] قال: كنت أصحبه، فكان عامّة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه ثم يقول: حَسِّ[٦]. ثم يقول: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك على ما صنعت يوم كذا!

---

(١) هو مجاهد بن جبر، الإمام، شيخ القراء والمفسّرين، أبو الحجّاج المكي، روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه. مات سنة بضع ومائة عن نحو ثلاث وثمانين سنة. انظر: السير ٤/ ٤٤٩، وحلية الأولياء ٣/ ٢٧٩، وتذكرة الحفاظ ١/ ٨٦، وتهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٦٤ لعبد بن حميد وابن جرير.

(٣) هو الإمام الحجّة، عالِم الجزيرة ومفتيها، ميمون بن مِهران أبو أيوب الجزري الرّقي. ولد سنة (٤٠) هـ. وتوفي سنة (١١٧) هـ. انظر: السير ٥/ ٧١، وحلية الأولياء ٤/ ٨٢، وتذكرة الحفاظ ١/ ٩٨.

(٤) في المطبوعة: شُريح، والمثبت هو الصحيح، كما في ثَبَت أسماء شيوخ ابن أبي الدنيا، في السير ١٣/ ٣٩٨، وانظر التقريب (٢٢١٩).

(٥) هو الأمير الكبير، العالم النبيل، أحد مَن يُضرَبُ بحِلْمه وسُؤْدُده المثل، الأحنف بن قيس بن معاوية، أبو بَحْر التّميمي. توفي رحمه الله سنة (٦٧) هـ وقيل (٧١) هـ. انظر: السير ٤/ ٨٦، البداية والنهاية ٨/ ٣٢٦، تهذيب التهذيب ١/ ١٩١ والنجوم الزاهرة ١/ ١٨٤، وشذرات الذهب ١/ ٧٨.

(٦) حَسِّ: بفتح الحاء المهملة، وكسر السين، كلمة تُقال عند الألم المفاجىء.

١٣٢ ـ وبه حدثنا القُرشي، قال: حدثني إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا عامر بن يسار، عن مالك بن دينار، قال: إنّ قوماً من بني إسرائيل كانوا في مسجد لهم، فجاء شاب حتى قام على باب المسجد، فقال: ليس مثلي من يدخل معكم، أنا صاحب كذا، أنا صاحب كذا، يَزْرِي على نفسه، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّهم أنّ فلاناً صِدّيق.

١٣٣ ـ وبه حدثنا القرشي، قال: حدثنا سعد بن سليمان، عن محمد بن يزيد بن خُنَيْش، قال: قال وهب بن الوَرد: بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا رب ذهبت اللذّات وبقِيَت التَّبِعات، يا ربّ سبحانك إنّك لأرحم الرّاحمين، يا ربّ ما لك عقوبة إلاّ النار. فقالت صاحبة لها: يا أُخَيّة دخلتِ بيت ربّك اليوم؟ فقالت: والله ما أرى هاتين القدَمَيْن ـ وأشارت إلى قدَمَيها ـ أهلاً للطّواف حَوْل بيت ربّي عزّ وجلّ، فكيف أراهما أهلاً أطؤ بهما بيت ربّي، وقد علمتُ حيث مشتا وأين مشتا!

١٣٤ ـ وبه حدثنا القُرشي، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن محمد، عن عبد الجبار بن النّضر، قال: مرّ حسان بن أبي سِنان بغُرفة، فقال: متى بُنِيَت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألينَ عمّا لا يَعْنِيك، لأُعَاقِبَنّك بصومِ سنة، فصامها.

١٣٥ ـ قال: وحدثني محمد، قال: حدثني يونس بن يحيى، عن مُنْكَدِر بن محمد، عن أبيه، أنّ تميماً الدّاري[1] نام ليلة لم يقم يتهجّد فيها، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صَنَع.

١٣٦ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الجَوْهَرِيّ قال: أنبأنا ابن حَيّويه قال: أنبأنا أبو بكر بن الأَنْبَاري قال: حدثني أبي قال: حدثنا علي بن عبد الله الطُّوْسي، قال: قال معاوية بن هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان: بِمَ بلغَ فيكم الأحنفُ بن قيس ما بلغ؟ فذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: كان أشدَّ الناس على نفسِه سُلطاناً.

١٣٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، وعلي بن أبي عمر، قالا: أنبأنا رزق الله وطَرّاد، قالا: أنبأنا ابن بِشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني محمد بن سعيد الدارِمي، عن أبيه، قال: قيل لرجل: صِفْ لنا الأحنفَ بن قيس، فقال: ما رأيتُ أحداً أعظم سلطاناً على نفسه منه.

---

(١) هو صاحب رسول الله ﷺ أبو رقيّة تميم بن أوس الدّاري اللَّخْمي الفلسطيني، كان عابداً، تلاّءً لكتاب الله. وفد تميم سنة تسع، فأسلم، حدّث عنه النبيّ ﷺ على المنبر بقصة الجسّاسة في أمر الدجّال. توفي رحمه الله سنة (٤٠) هـ. انظر: الإصابة ١/٣٠٤، والسير ٢/٤٤٢ ـ ٤٤٨، وتاريخ الإسلام ٢/١٨٨، وتهذيب التهذيب ١/٥١١.

١٣٨ ـ أخبرنا عبد الوهاب، قال: أنبأنا شُجاع بن فارس، قال: أنبأنا شجاع بن علي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الدَّقّاق، قال: حدثنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم، قال: حدثنا حَفص بن عَمْرو العُمَرِيّ، عن شَبيب[1] بن شَيْبَة، قال: قال سليمان بن عبد الملك بن هشام لخالد بن صفوان: بِمَ بلغ فيكم الأحنف بن قيس؟ قال: إن شئتَ أخبرتُك عنه ألفاً وإن شئت حذفت القول فيه حذْفاً. قال: بل احذفه حذفاً. قال: إن شئت ثلاثاً، وإن شئت اثنتَيْن، وإن شئت واحدة. قال: هات الثلاث. قال: كان لا يشرَه، ولا يَحِيد، ولا يمنع أحداً من حقّ. قال: فهات الاثنتين. قال: كان موفَّقاً للخيرِ معصوماً عن الشرّ. قال: فهات الواحدة. قال: لم أرَ أحداً قط كان أقوَى سلطاناً على نفسه منه.

١٣٩ ـ أخبرنا علي بن عُمر، قال أنبأنا طرَّاد، قال أنبأنا ابن بشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال أنبأنا أبو بكر بن عُبيد، قال: حدثنا أبو محمد العَبْدِي، عن عبد الله بن محمد، قال حدثني ابن أبي شَميلة، قال: دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممن كان يُوصف بالعقل والأدب. فقال له عبد الملك: تكلّم. فقال: بمَ أتكلم، وقد علمتُ أنّ كلّ كلام يتكلَّم به المُتكلِّم عليه وبال، إلاّ ما كان لله! فبكى عبد الملك، ثم قال: يرحمك الله، لم يزَل الناس يتواعظون ويتواصَون. قال: يا أمير المؤمنين، إنّ للناس في القيامة جولةً لا ينجو من غُصص مَرارتها إلاّ مَنْ أرضَى اللّهَ بسخط نفسِه.

١٤٠ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال أنبأنا ابن النَّقُور، قال: أنبأنا المُخَلِّص، قال: حدثنا أبو محمد السُّكري، قال: حدثنا أبو يعلى المنقري، عن الأصمعي، قال: حدثنا الفضل بن عبد الملك، قال: قال عبد الله بن الأَهْتَم لابنه: يا بنيّ توَقَّ نفسَك، فإنّ في خِلافها رشدك.

١٤١ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا طَرَّاد، قال: أنبأنا ابن بِشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد القُرشي[2]، قال حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثنا سليمان بن حَرْب، قال: حدثنا مهدي بن ميمون، عن عبد الحميد صاحب الزِّيادي، عن وَهْب بن مُنَبِّه، أن رجلاً تعبَّد زماناً، ثم بدَتْ له إلى الله عزّ وجلّ حاجة، فصام سبعين سبتاً يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة ثم سأل حاجته فلم يُعْطَها، فرجع إلى نفسه فقال: منك أُتيت، لو كان فيك خيرٌ أعطيتِ حاجتَكِ، فنزل إليه عند ذلك

---

(١) وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله الأهتم، الخطيب، أبو معمر البصري، قيل له: الخطيب، لفصاحته، مات سنة (١٧٠) هـ. انظر تاريخ بغداد ٩/ ٢٧٤، وتهذيب التهذيب ٤/ ٢٧٠.

(٢) هو الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا، تقدمت ترجمته.

مَلَك فقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتَك.

١٤٢ ـ وبالإسناد قال: حدثنا القُرشي، قال حدثنا علي بن محمد، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني يعقوب بن عبد الرحمن القارىء، قال: قال محمد بن المنكدر: إني خلَّفت زياد بن أبي زياد[1] ـ مولى ابن عياش ـ وهو يخاصم نفسه في المسجد، يقول: اجلِسي، أين تُريدين؟ أين تذهبين؟ أتخرجين إلى أحسن من هذا المسجد؟ انظري إلى ما فيه، تريدين أن تبصري دار فلان ودار فلان؟!

١٤٣ ـ قال: وكان يقول لنفسه: ما لَكِ من الطعام إلاّ هذا الخبز والزيت، وما لكِ من الثياب إلاّ هذَين الثوبَيْن، وما لكِ من النساء إلاّ هذه العجوز، أفتحبّين أن تموتي؟ فقالت: أنا أصبر على هذا العيش.

١٤٤ ـ وبالإسناد قال: حدثنا القُرَشي، قال: حدثني سَلَمة بن شَبيب، قال: حدثنا سهل بن عاصم، عن أبي يزيد الرَّقِّي، قال: قال حُذيفة بن قتادة: قيل لرجل: كيف تصنع في شهوتك؟ قال: ما في الأرض نفس أبغض إليّ منها، فكيف أعطيها شهوتها!

١٤٥ ـ وبه قال: حدثنا القرشي، قال: حدثني أبو عبد الرحمن، قال: حدثني سَعدان بن سَمُرَة العِجْلي، قال: سمعت أحمد بن الزِّبرقان، قال: سمعت عبد الله بن المبارك، يقول: إنّ الصالحين فيما مضى كانت أنفسهم تُواتِيهم على الخير عفواً، وإنّ أنفسنا لا تكاد تُوَاتِينا إلاّ على كُرْه، فينبغي لنا أن نُكْرِهَها.

١٤٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا ابن المبارك، قال: حدثنا سفيان، عن يُسَيْر، عن جميلة بن الحارث، أنه كان يقول: اعكسوا هذه الأنفس عَكْنَسَ الخَيْل باللُّجُمِ، فوالذي نفسي بيده إنّي لأَلْبِسُ ما يساوي ثلاثة دراهم فأظلّ أنظر في عِطْفَيَّ[2]!

١٤٧ ـ أخبرنا محمد، قال: أنبأنا عبد القادر، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: حدثنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، قال: أنبأنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء، أنّ أمّه عَثَّامة كُفَّ بصرُها، فدخَل عليها ابنُها يوماً وقد صلَّى، فقالت: أصلّيتم بُنَيَّ؟ فقال: نعم، فقالت:

---

(١) هو الفقيه الربّاني، من مشايخ وقته بدمشق، وله بها دار وذرّية، وكان عبداً صالحاً قانتاً لله. توفي سنة (١٣٥) هـ. انظر: السير ٥/٤٥٦، تاريخ الإسلام ٥/٧٢، تهذيب التهذيب ٣/٣٦٧.

(٢) عِطْفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركَيْه، وكذا عِطفا كلّ شيء جانباه.

عَثَّامَ مـا لـكِ لاهِيَـةْ حَلّت بـدارِك داهِيَـةْ
إبْكِـي الصـلاةَ لـوقتِهـا إنْ كنتِ يـومـاً بـاكيـةْ
وابكِـي القُـران إذا تُلِـي قـد كنتِ يـومـاً تـاليـةْ
تَتْلينـه بتفكّـرٍ ودُمـوعُ عينِـك جـاريـةْ
فـاليـوم لا تتلينَـه إلاّ وعِنـدَك تـاليـةْ
لَهْفِـي عليـكِ صَبـابـةً مـا عِشْـتُ طُـول حَيـاتِيَـةْ

١٤٨ ـ أخبرنا علي بن أبي عُمر، قال: أنبأنا رِزق الله وطرّاد، قالا: أنبأنا ابن بِشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني مسلمة بن شبيب، قال: حدثنا سهل بن عاصم، عن أبي ربيعة، قال: قال عمر بن عبد العزيز: أفضل الأعمال ما أُكْرِهَت عليه النفوس.

١٤٩ ـ أخبرنا عمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو القاسم الأَزْجِي، قال: أنبأنا أبو الحسن بن جَهْضَم، قال: قال أبو بكر النقّاش: سمعت عُمر بن وَاصِل يقول: سمعت سهلاً[(١)] يقول: من صحب نفسه هلك، ومن صحبته نفسه لم يَسلم.

١٥٠ ـ قال ابن جَهضم: وحدثنا الحُسين بن الحَسن بن مَعْبد، قال: حدثنا محمد بن البَلْخِي، قال: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد، يقول: سمعت أبا بكر الورّاق يقول: استعن على سيرك إلى الله بترْكِ مَنْ شَغَلَك عن اللّهِ عزّ وجلّ، وليس بشاغلٍ يشغلُكَ عنِ الله عزّ وجلّ كنفسِكَ التي هي بين جنبيك.

١٥١ ـ قال: وحدثني أبو القاسم المُخَرِّميّ، قال: سمعت أبا علي الرُّوذبارِيّ[(٢)] يقول: النفس مجبولة على سوء الأدَب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بِطَبْعها في مَيْدَان المخالفة، والعبد مجتهد في ردّها، فمتَى أعانها فهو شرِيكُها في فسادها.

١٥٢ ـ قال ابن جَهضم: وحدثني خلف بن الحسن العَبَّادَاني[(٣)] قال: سمعت

---

(١) هو سهل بن يونس، أبو محمد التُّسْتُري، شيخ العارفين، الصوفي، الزاهد من أصحاب ذي النون المصري، قال الذهبي: له كلمات نافعة، ومواعظ حسنة، مات سنة (٢٨٣) هـ. انظر: السير ١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٣، والحلية ١٠/ ١٨٩ ـ ٢١٢ وشذرات الذهب ٢/ ١٨٢ ـ ١٨٤.

(٢) هو شيخ الصوفية، قيل اسمه: أحمد بن محمد، وقيل: حسن بن هارون، سكن مصر، وصحب الجُنَيد. توفي سنة (٣٢٢) هـ. انظر: السير ١٤/ ٥٣٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، تاريخ بغداد ١/ ٣٢٩.

(٣) العَبّاداني: نسبة إلى عَبّادان، بلد بنواحي البصرة. انظر: اللباب ٣/ ٣٠٩، ولب اللباب ٢/ ١٠٣.

سَمنونا[1] يقول: أول وِصال العبد للحقّ هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحقّ مواصلته لنفسه.

١٥٣ ـ قال: وحدثنا محمد بن أحمد الزُّبَيْرِي قال: حدثنا أبو بكر الكِناني قال: قال لي علي بن سعيد: رأيت في النوم امرأةً لا تشبه نساءَ الدنيا، فقلت: من أنت؟ قالت: حوراء. قلت: زَوِّجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيّدي. قلت: فما مهرك؟ قالت: حبْس نفسك عن مألوفاتها.

١٥٤ ـ أخبرنا علي بن أبي عُمر، قال: أنبأنا رزق الله وطرّاد، قالا: أنبأنا ابن بشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر بن عُبيد، قال: حدثنا سَلَمة بن شبيب، عن إبراهيم بن الأشعث، سمع الفُضَيْل بن عِياض يقول في قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [النساء/ ٢٩] قال: لا تغفلوا عن أنفسكم، فإنّ مَنْ غَفِل عن نفسه فقد قتلها[2].

١٥٥ ـ أخبرنا أبو بكر الصُّوفي، قال: أنبأنا ابن أبي صادق، قال: أنبأنا ابن باكَويه، قال: سمعت أحمد بن علي البَوَازِيجي[3]، قال: سمعت أبا عِمران الحَدِيثي[4]، يقول: ما مَدَدْتُ يدي مذ عقِلْتُ عنِ الله عزّ وجلّ، ولنفسي فيه نصيب، ولولا أنّ الله عزّ وجلّ أَوْدَعَنا هذه النفوس نحفظها له لجعلنا على ذِروة كل جبل منها قطعة!

---

(١) هو سمنون بن حمزة أبو الحسن الخوّاص، المحِبّ، وقيل: أبو بكر، بصري، سكن بغداد، ومات قبل الجنيد. انظر: حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٩، وتاريخ بغداد ٩/ ٢٣٤.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٦٠ ـ ٦٢: «قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ فيه خمسة أقوال:
أحدها: أنه على ظاهره، وأن الله حرّم على العبد قتل نفسه، وهذا هو الظاهر.
والثاني: أن معناه: لا يقتل بعضكم بعضاً، هذا قول ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وقتادة، والسدّي، ومقاتل، وابن قتيبة.
والثالث: أن المعنى: لا تكلّفوا أنفسكم عملاً ربّما أدّى إلى قتلها، وإن كان فرضاً، وعلى هذا تأوّلها عَمْرو بن العاص في غزاة ذات السلاسل حيث صلى بأصحابه جُنباً في ليلة باردة...
والرابع: أن المعنى: لا تغفلوا عن حظّ أنفسكم، فمن غفل عن حظها فكأنما قتلها، هذا قول الفضيل بن عياض.
والخامس: لا تقتلوها بارتكاب المعاصي».

(٣) **البَوَازيجي**: نسبة إلى بوازيج، بلدة قديمة على الدجلة فوق بغداد. انظر: الأنساب ١/ ٤٠٦، واللباب ١/ ١٨٣، ولب اللباب ١/ ١٥٠، ومعجم البلدان ١/ ٥٠٣.

(٤) **الحَدِيثي**: نسبة إلى: الحَدِيثة، وهي بلدة على الفرات، والنسبة إليها: حَدِيثيّ وحَـدَثيّ وحَدَثاني. أو إلى الحديث وطلبه. انظر: الأنساب ٢/ ١٨٨، ومعجم البلدان ٢/ ٢٣٠.

١٥٦ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله بن يوسف القَرِميسِيني أن أباه حدّثه قال: حدّثنا علي بن عبد الحميد الغَضَائِري قال: سمعت السّري يقول: أقوى الفُتُوّة غلبتك نفسك، ومن عَجَزَ عن أَدَبِ نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومِن علامة الاستدراج العمَى عن عُيوب النفس.

١٥٧ ـ قال السُّلَمي: وسمعت نصر بن أبي نصر العطّار، يقول: سمعت أحمد بن سليمان يقول: وجدت في كتابي عن حاتم الأصمّ[١] قال: الموتُ الأحمر مخالفة النفس.

١٥٨ ـ قال السُّلَمي: وأخبرنا محمد بن أحمد الرّازي، قال: حدثنا العباس بن حمزة، قال: سمعت أحمد بن أبي الحَواري[٢] يقول: من لم يعرف نفسه فهو مِن دِينه في غرور.

١٥٩ ـ قال السّلمي: وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: قال رجل لأحمد بن خِضْرَويه: أوصني. فقال: أَمِتْ نفسَك تُحييها.

١٦٠ ـ قال: وسمعت أبا الحُسين الفارسي يقول: سمعت الحَسن بن علوَيه يقول: قال يحيى بن مُعاذ: لا تربح على نفسك بشيء أجلّ من أن تشغلَها في كلّ وقت بما هو أولَى بها.

١٦١ ـ قال: وسمعت محمد بن أحمد الشبهي يقول: سمعت أحمد بن حمدون يقول: سمعت أبي يقول: من استطاع منكم أن لا يعمى عن نقصان نفسه فليفعل.

١٦٢ ـ قال: وسمعت أبا الحَسن الفارسي، قال: سمعت الحَسن بن علويه يقول: قال محمد بن الفضل: أَنْزِل نفسك منزلةَ من لا حاجة له فيها ولا بدّ له منها، فإنّ مَنْ ملَك نفسَه عَزّ، ومن ملكته نفسه ذلّ.

١٦٣ ـ قال السُّلمي: وحدثنا أحمد بن محمد بن يعقوب الهَرَوِيّ قال: حدثني أحمد بن عطاء قال: حدثني أبو صالح قال: قال أبو سعيد الخرّاز[٣]: مثلُ النَّفْسِ مثل ماء واقف طاهر

---

(١) هو الزاهد القدوة الربّاني، أبو عبد الرحمٰن حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، الواعظ الناطق بالحكمة، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يُقال له: لقمان هذه الأمة. توفي سنة (٢٣٧) هـ. انظر: السير ١١/ ٤٨٤، وحلية الأولياء ٨/ ٧٣، وتاريخ بغداد ٨/ ٢٤١.

(٢) هو الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام أبو الحسن أحمد بن أبي الحَواري التغلبي الغطفاني الدمشقي، الزاهد، أحد الأعلام، أصله من الكوفة. ولد سنة (١٦٤) هـ، وتوفي سنة (٢٤٦) هـ. انظر: السير ١٢/ ٨٥ ـ ٩٤ وحلية الأولياء ١٠/ ٥، وصفوة الصفوة ٤/ ١٢، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٩ . .

(٣) هو شيخ الصوفية، أبو سعيد أحمد بن عيسى البغدادي الخرّاز، صحب سَرِيًّا السَّقَطي وذا النون المصري. توفي سنة (٢٨٦) هـ. انظر: السير ١٣/ ٤١٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٦، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٧٦.

صاف، فإن حركته ظهر ما تحته من الحمأة. وكذا النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة، ومن لم يَعْرِفْ ما في نفسه كيف يَعْرِف ربّه!

١٦٤ ـ قال: وسمعت أبا الحُسين الفارسي يقول: سمعت أبا محمد الجَرِيري[١] يقول: من استولت عليه النفسُ صار أسيراً في حكم الشهوات، محصوراً في سِجن الهوَى، وحرّم الله على قلبه الفوائد، فلا يستلذّ كلامَه ولا يستحليه، وإن كثُر ترداده على لسانه.

١٦٥ ـ قال: وسمعت محمد بن عبد الله الرّازي، قال: قال محمد بن أحمد بن سالم البَصْري[٢]: من صبر على مخالفة نفسه أوصله الله إلى مَقام أُنْسه.

١٦٦ ـ قرأت على أبي القاسم الحَرِيري، عن أبي طالب العُشَاري[٣] قال: حدثنا عبد الواحد بن عبد العزيز التّميمي قال: سَمعت أبي يقول: سمعت أبا بكر ابن الضَّرِير المُقْرِي يقول: دافعتُ الشهوات حتى صارت شهوتي المدافعة.

١٦٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أحمد بن علي المحتسب، قال: أنبأنا محمد بن الحسين الصّوفي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرّازي، قال: سمعت الجريري يقول: سمعت الجُنَيْد[٤] يقول: ما أخذنا التصَوّف عن القِيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

١٦٨ ـ أنبأنا علي بن عبد الله، قال: أنبأنا عبد الواحد بن علي بن فهد، قال: أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفوارس، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الصّوفي، قال: قال فراس العابد: قلت

---

(١) هو شيخ الصوفية، الزاهد، أبو محمد، قيل: اسمه أحمد بن محمد، وقيل: عبد الله بن يحيى، وقيل: حسن بن محمد، لقي السّري السقَطي والكِبار، ورافق الجُنيد، وكان يتأدّب معه، مات سنة (٣١٢) هـ. انظر: السير ١٤/٤٦٧، وحلية الأولياء ١٠/٣٤٧، وتاريخ بغداد ٤/٤٣٠.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن البصري الزاهد، شيخ الصوفية وابن شيخهم، عُمِّر دهراً، وكان أبوه من تلامذة سهل بن عبد الله التُّسْتَري، له أصحاب يُسمَّون: السالمية، هجرهم الناس لألفاظ هجنة أطلقوها وذكروها. قال الذهبي: للسالمية بدعة لا أتذكرها الساعة، قد تفضي إلى حلولٍ خاص، وذلك في «القوت». توفي وقد قارب التسعين، سنة بضع وخمسين وثلاثمائة. انظر: السير ١٦/٢٧٢، وحلية الأولياء ١٠/٣٧٨، واللباب ٢/٩٣.

(٣) هو أبو طالب محمد بن علي بن أبي الفتح الحربي، المعروف بابن العُشاري، من أهل بغداد، والعُشاري لقب جدّه. انظر الأنساب ٤/١٩٨، ولب اللباب ٢/١١٥.

(٤) هو الجُنيد بن محمد بن الجُنيد النهاوندي، ثم البغدادي القواريري، شيخ الصوفية، ولد سنة نيّف وعشرين ومائتين. قال ابن المناوي: سمعَ الكثير، وشاهد الصالحين وأهل المعرفة، ورُزق الذكاء وصواب الجواب، لم يُرَ في زمانه مثلُه في عِفّة وعُزوف عن الدنيا. انظر: السير ١٢/٦٦، والحلية ١٠/٢٥٥، وتاريخ بغداد ٧/٢٤١، وصفة الصفوة ٢/٤١٦.

لراهبٍ: أوصني. فقال: عليك بما تكرَه نفسُك فألزمه قلبَك، فإنّه يَقْدُمُ بك على ما تحبّ، وإياكَ وما تحبّه، فإنه يَقِفُك على ما تكره.

ذِكْرُ أشعارٍ قِيلَتْ في ذلك

١٦٩ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا أبو سعيد الصَّيْرَفي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأصْبهاني، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني الحُسين بن عبد الرحمن، قال: حَجّ سعيد بن وَهْب[١] ماشياً، فبلغ منه وجَهِدَ، فقال:

قَــدَمــيَّ اعْتَــوِرَا رمــلَ الكثيــبِ ... واطْـرُقـا الآجِـنَ مـن مـاء القَلِيـبِ[٢]
رُبَّ يــومٍ رُحْتُمــا فيــه علــى ... زهــرةِ الــدنيـا وفـي وادٍ خصيـبِ
وسَمَــاعٍ حَسَــنٍ مــن حَسِــنٍ ... صَخِـبِ المِـزْهـر كـالظبـي الـرَّبِيـبِ
فــاحْسِبـا ذاك بهــذا واصْبِـرا ... وخُــذا مــن كـلِّ فـنٍّ بنصيــبِ
إنّمــا أمشِــي لأنّــي مــذنــبٌ ... فلعــلّ الله يعفــو عــن ذنــوبــي

١٧٠ ـ أخبرنا عبد الله بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن أحمد الشِّيرازي الواعظ:

إذا مـا أطعـتَ النفـسَ فـي كـلّ لَـذَّةٍ ... نُسِبْـتَ إلـى غيـر الحِجـا[٣] والتكـرُّمِ
إذا مـا أَجَبْـتَ النفـسَ فـي كـلٍّ دعـوة ... دعَتْـكَ إلـى الأمـر القَبيـحِ المحـرَّمِ

١٧١ ـ وقال عبد الله بن المُعْتَز[٤]:

---

(١) هو سعيد بن وَهْب الهمدانيّ الخَيْوانيّ الكوفي، من كُبراءِ شيعة عليّ رضي الله عنه، أسلم في حياة النبيّ ﷺ ولزم علياً رضي الله عنه حتى كان يُقال له: القُراد، للزومه إيّاه. مات سنة (٧٦) هـ وقال ابن سعد مات سنة (٨٦) هـ. انظر: السير ٢/ ١٨٠، طبقات ابن سعد ٦/ ١٧٠، الإصابة (٣٦٨٥).

(٢) اعتورا: عالِجا وتداولا. الكثيبُ من الرمل: المُجتَمِع. الآجِن: الماء المتغيّر الطعم واللون. القليب: البئر.

(٣) الحِجا: العقل.

(٤) هو عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل جعفر بن المعتصم بن محمد هارون الرشيد، العباسي، البغدادي، أبو العباس. أديب شاعر، ولد في بغداد سنة (٢٤٧) هـ وقيل (٢٤٩)، لقي العلماء من النحويين والأخباريين كالمبرّد وغيره. ولي الخلافة بعد عزل المقتدر بالله يوماً واحداً، ولم يذكره بعضهم في الخلفاء، وسمّوه بالأمير لا بأمير المؤمنين، مات سنة(٢٩٦) هـ في ربيع الآخر حيث خنقه مؤنس الخادم. له آثار وتصانيف كثيرة، منها: ديوان شعر، الجوارح والصيد، البديع، وطبقات الشعراء. انظر ترجمته: تاريخ بغداد ١٠/ ٩٥، البداية والنهاية ١١/ ١٠٨، النجوم الزاهرة ٣/ ١٦٥.

وكـم دُهِـيَ المـرءُ مِـن نفسـه ... فـلا تُـؤكَلَـنَّ بـأنيـابهـا
وإن أَمْكَنَـت فـرصـةٌ فـي العَـدوِّ ... فـلا يَبْـدَ فعلُـك إلاّ بهـا
وإيّـاك مـن نـدمٍ بعـدهـا ... وتَـأمِيـلِ أخـرى وأنَّـى بهـا

١٧٢ ـ أنشدني أبو زيد بن الحَسن الطَّبَري:

إذا طالبتْك النفسُ يوماً بحاجةٍ ... فكان عليها لِلقَبِيح طريقُ
فدَعْها وخالفْ ما هويت فإنّما ... هَوَاك عدوٌّ والخِلاف صديقُ

فصل: واعلم أنّ المغلوبَ بموافقة الهوَى والنَّفْسِ مقهورٌ، ولذلك تجدُ في نفسِه ذلاً لمكان القهر، وغالِبُ الهوَى ذو صَوْلة، ولذلك وَقْعٌ عظيمٌ في الشَّرْع وعند الخَلْق.

أما في الشرع فإن قهْر الهوَى يُوجب المباهاة.

١٧٣ ـ أخبرنا علي بن عبد الله، قال: أنبأنا ابن النّقور، قال: حدثنا أبو حفص الكتاني، قال: حدثنا البغوي، قال: حدثنا كامل بن طلحة، قال: حدثنا ابن لَهِيعة، قال: حدثنا أبو عُشَّانة[1]، قال: سمعت عُقبة بن عامر يقول: قال رسول الله ﷺ: «عجِبَ ربّنا من شاب ليس له صَبْوَة»[2].

١٧٤ ـ أخبرنا عبد الوهاب، ويحيى بن علي، قالا: أنبأنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، قال: أنبأنا محمد بن الحسن بن عبدان، قال: أنبأنا محمد بن هارون الحَضْرَميّ، عن عبد الحميد البَهْرامي[3]، عن يزيد بن ميسرة، قال: إن الله عزّ وجلّ يقول: «أيها الشّابّ التارك شهوتَه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي»[4].

---

(١) أبو عُشَّانة: حيّ بن يُؤْمن المصري، تابعي ثقة. التقريب (١٦٠٣).

(٢) حديث ضعيف. رواه أحمد في المسند ١٥١/٤، وأبو يعلى في مسنده ١/٩٨، والقضاعي في مسند الشهاب (٥٧٦) ٣٣٦/١، والطبراني في الكبير (٨٥٣) ٣٠٩/١٧، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧١)، وعزاه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٢٠٥ لتمّام في فوائده. وقال: «سنده حسن». وقال العَجْلوني في كشف الخفاء ٢٨٦/١: «بسند حسن». وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠: «إسناده حسن». لكن قال السخاوي: «وضعفه شيخنا ـ يقصد الحافظ ابن حجر ـ في فتاويه لأجل ابن لَهيعة». قلت: وهو الصواب، فابن لهيعة مشهور بالضعف، لا سيما وأن الرواة عنه ليسوا من العبادلة.

(٣) البهرامي، هكذا في المطبوعة ـ بالميم ـ، ولم أجد هذه النسبة، وإنما الموجود: البهراني ـ بالنون، وهي نسبة إلى بَهْراء، وهي قبيلة من قضاعة، نزل أكثرها بلدة حمص مدينة بالشام. انظر: الأنساب ٤٢٠/١، واللباب ١٩١/١، ولب اللباب ١٥٦/١.

(٤) حديث قدسي ضعيف للإرسال. ويزيد بن ميسرة هو ابن حَلْبس، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢٨٩/٩، والبخاري في التاريخ الكبير ٣٥٥/٩، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً.

١٧٥ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلّاف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدِيّ، قال: حدثنا أبو بكر الخَرَائطي، قال: حدثنا نصر بن داود، قال: حدثنا الهيثم بن خارجة، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد الرحمن بن عَدِي، عنِ يزيد بن ميسرة، قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: «أيها الشاب التارك شهوته لي، المُتَبَذِّل شَبَابَه من أجلي، أنت عندي كبعض ملائكتي»(١).

١٧٦ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون(٢) يقول: قال الله تعالى: «من كان لي مُطيعاً كنت له ولياً، فليثق بي، وليحكم عَلَيَّ، فوعِزَّتي لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له»(٣).

وأما عند الخلق، فإنهم يعجبون من الزاهد، ويذلون له، ويَتَبَرّكون به، لأنه قَوِي على حمل ما ضَعُفوا عنه، وهجَر ما لا يستطيعون هجره.

فصــــل: [تمرين النفس على مخالفة الهوى]

وقد كان أهل الحزم يعوّدون أنفسَهم مخالفة هواها وإن كان مباحاً، ليقع التمرين للنفس على ترك الهوَى مُطْلقاً، وليطلب الأرباح في المعاملة بترك المباح.

١٧٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعَيم الحافظ(٤)، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، قال: حدثنا محمد بن إسحاق السَّرّاج، قال: حدثنا عَمْرو بن زُرارة، قال: حدثنا أبو عُبيدة الحدّاد، عن عبد الله بن أبي عثمان، قال: كان عبد الله بن عُمر أعتق جاريته التي يُقال لها رُمَيْثَة، وقال: إني سمعت الله قال في كتابه: ﴿لن تنالوا البِرَّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران/ ٩٢]، وإنّي والله إن كنتُ لأحبّك في الدنيا، اذهبي فأنتِ لوجه الله(٥).

---

(١) حديث قدسي ضعيف للإرسال. ولا يتقوّى بالمرسَل السابق، لأنّ مخرجهما واحد.

(٢) هو الزاهد المشهور ثوبان بن إبراهيم، ويُقال: اسمه الفيض، ويُقال: فياض، ويُقال: كنيته أبو الفيض، المصري. روى عن مالك والليث وابن لهيعة وطبقتهم. توفي سنة (٢٤٥) هـ وقيل غير ذلك. انظر: السير ١١/ ٥٣٢، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٩٣، ونزهة الألباب في الألقاب ص ١٤٢.

(٣) حديث قدسي ضعيف لإرساله.

(٤) صاحب حلية الأولياء، تقدمت ترجمته.

(٥) قال السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٨٩: «أخرج عبد بن حميد والبزار عن ابن عمر قال: حضرتني هذه الآية: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون﴾، فذكرتُ ما أعطاني الله، فلم أجد شيئاً أحب إليّ من=

١٧٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائِطي، قال: حدثنا أبو الفضل الرَّبَعيّ، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن الهيثم بن عَدِيّ، قال: كانت لفاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عُمر بن عبد العزيز جارية ذات جمال فائق، وكان عُمر معجَباً بها قبل أن تُفْضَى إليه الخلافة، فطلبها منها وحَرِص، فأَبَتْ دَفْعَها إليه وغارت من ذلك، فلم تزل في نفس عُمر.

فلما اسْتُخْلِف أمرت فاطمةُ بالجارية، فأُصْلِحَت ثم جُلِيَت[1] فكانت حديثاً في حسنها وجمالها، ثم دخلت فاطمةُ بالجارية على عُمر، فقالت: يا أمير المؤمنين إنّك كنت بفلانة جاريتي مُعجباً وسَأَلْتَنِيها، فأبيتُ ذلك عليك، وإنّ نفسي قد طابت لك بها اليوم فَدُونكها.

فلمّا قالت ذلك اسْتَبَانَتِ الفرحَ في وجهه. ثم قال: ابعثي بها إليّ، ففعلت، فلما دَخَلَت عليه نظر إلى شيء أعجبه فازداد بها عَجَباً، فقال لها: أَلْقِي ثوبَك، فلما همّت أن تفعل، قال: على رِسْلك، اقعدي، أخبريني لمن كنت ومن أين أنت لفاطمة؟

قالت: كان الحجّاج بن يوسف أَغْرَمَ عاملاً كان له من أهل الكوفة مالاً، وكنتُ في رَقِيق ذلك العامِل، فاسْتَصْفاني عنه مع رقيق له وأموال، فبعثَ بي إلى عبد الملك بن مروان، وأنا يومئذ صبيّة، فوهَبَني عبدُ الملك لابنته فاطمة. قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك، قال: وما ترك ولداً؟ قالت: بلى. قال: وما حالهم؟ قالت: سيئة، قال: شدي عليك ثوبك.

ثم كتبَ إلى عبد الحميد عامِلَه: أنْ سَرِّح لي فلان بن فلان على البَرِيد، فلما قَدِم، قال له: ارفع إليّ جميعَ ما أغرم الحجاجُ أباك، فلم يرفع إليه شيئاً إلاّ دفَعه إليه، ثم أمر بالجارية فدُفعت إليه، فلما أخذ بيدها قال: إياك وإياها فإنّك حديث السن، ولعلّ أباك أن يكون قد وطئها، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين هي لك. قال: لا حاجة لي فيها. قال: فابْتَعْها منّي، قال: لستُ إذن ممن ينهى النفس عن الهوى. فمضى الفتى بها، فقالت الجارية: فأين موجدتك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنّها لَعَلَى حالها ولقد ازدادت.

مرجانة ـ جارية لي روميّة، فقلت: هي حرّة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها. فأنكحَها نافعاً». وقال أيضاً في الدر ٢/ ٩١: «وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق مجاهد عن ابن عمر، أنه لما نزلت: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ دعا بجارية له فاعتقها». وقال أيضاً: وأخرج أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد قال: قرأ ابن عمر وهو يصلّي، فأتى على هذه الآية: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون﴾ فأعتق جارية له وهو يصلي، أشار إليها بيده».

(١) أي: كُشِفَت.

فلم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات.

١٧٩ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر الخَطِيب قال: أنبأنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز قال: أنبأنا أبو الحسن رشيق الرَّقِّيّ قال: حدثنا أحمد بن سعيد الورَّاق قال: حدثنا عُمر بن سعيد، عن عبد الرحمن بن مَهْدِي قال: رأيت سفيان الثوري[١] في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: لم يكن إلاّ أنْ وُضِعْتُ في اللَّحْدِ حتى وقفتُ بين يدَيّ اللَّهِ تعالى، فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا أدورُ بين أشجارها وأنهارها، ولا أسمع حساً ولا حرَكة، إذ سمعت قائلاً يقول: سفيان بن سعيد؟ فقلت: سفيان بن سعيد، قال: تحفظ أنك آثرت الله على هواك يوماً؟ قال: قلت: إي والله، فأخذتني صَوَانِي النِّثار[٢] من جميع الجنة.

١٨٠ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر الخَطِيب قال: أنبأنا ابن رِزق قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد المزكي قال: أنبأنا أبو العباس محمد بن إسحاق السرّاج قال: سمعت محمد بن سهل بن عسكر يقول: سمعت عبد الرزاق يقول: بعثَ أبو جعفر الخَشّابِينَ حين خرج إلى مكة، فقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه. قال: فجاء النجّارون ونصَبوا الخشب، ونُودي سفيان، وإذا رأسه في حِجْر الفضل، ورجلاه في حِجْر ابن عُيَيْنَة. قال: فقالوا له: يا أبا عبد الله، اتّق الله ولا تُشمت بنا الأعداء، قال: فتقدّم إلى الأستار ثم أخذها، ثم قال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، قال: فمات قبل أن يدخل مكة. فأُخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً.

فتلمَّحْ يا أخي أثر خِلاف الهوَى، كيف بانَ في مقام لو أقسم! وميِّزْ ما بين إدلال المُطيع وذلّ العاصي.

١٨١ ـ وقد سمعت أن عُمر لمّا جاءه منكر ونكير جَذَب بذؤابة هذا وذؤابة هذا، وقال: من ربكما؟! ولولا انقباض يده عن الهوى ما انبسطت إلى مُنكر ونكِير[٣].

---

(١) هو شيخ الإسلام، إمام الحفّاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي، المجتهد، مصنّف كتاب الجامع. ولد سنة سبع وتسعين، وطلب العلم وهو حَدَث صغير باعتناء والده، وتوفي سنة (١٦١) هـ. قال عنه الحافظ ابن حجر: «ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة». انظر: السير ٧/٢٢٩، حلية الأولياء ٦/٣٥٦ حتى ٧/١٤٤، تذكرة الحفاظ ١/٢٠٣، تهذيب التهذيب ٤/١١١، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٠، والتقريب (٢٤٤٥).

(٢) الصواني: الأواني، والنثار: ما يُنثر. أي نُثر عليه ممّا في هذه الصواني من جميع الجنّة.

(٣) قلت: هذه القصة ككثير من القصص التي لا تُسمن ولا تغني من جوع، فكيف علموا بذلك، هل خرج عمر رضي الله عنه من قبره فأخبرهم؟! أم دخلوا إليه فأعْلَمهم؟! أم هو منام رآه أحدهم؟ فجُعل كالكتاب المنزل لا يَقبل جدَلاً ولا أخذاً ولا ردّاً؟ =

١٨٢ ـ وقد قال بعض الحكماء: ظاهر التّقوَى شرف الدنيا، وباطنها شرف الآخرة.

واعلم أنك إذا عكست هذه الحال في حقِّ موافق الهوَى والنفس، رأيت الذلّ ملازماً والجاه منكسراً وكذلك الأمر عند المخلوقين في الأمرين جميعاً، فإنه من عُرف عندهم بقهر الهوى عُظِّم، ومن نُبز بأنه مقهور الهوَى أُهين، فالعَجَب من سَكْرة ذي الهوَى، كيف غلبت عليه فلما أفاق لم يَرَ غير اللوائم.

* * *

= ونفي مثل هذه القصص عن عمر وغيره من الصحابة الكرام والأفاضل ليس فيه انتقاص لهم كما قد يظن بعض الجهلة، بل فيه رفعة لقدرهم مِن أن يُنسب إليهم ما لم يصح عنهم ولا يليق بهم.

البابُ الرَّابعُ

في مَدْحِ الصَّبْرِ والحَثِّ عَلَيْهِ

وإذ قد قدّمنا ذمّ الهوَى، وأَمَرْنا بمخالفة النفس، ولا إمكان لمخالفتها وترك هواها إلاّ بالصبر، فلنقُلْ في فضله وشرَفِهِ والأمر به، والله الموفق.

الصبر في اللغة الحَبْس، وكلّ من حَبَس شيئاً فقد صَبَره[1].

ومنه المَصْبُورَة التي نُهِي عنها، وهي الدّجاجة ونحوها تُتَّخذُ غرضاً وتُرمَى حتى تُقتل.

وسمّي رمضان شهر الصّبر، لأنه شهر تُحبس فيه النفس عمّا تُنازع إليه من المَطعم والمَشرب والمنكح. والصّابر حابسٌ لنفسه عمّا تُنازع إليه من المُشتهَى، أو شكوى أَلَم.

وسُمّي الصّابر في المُصِيبة صابراً لأنّه حبَس نفسه عن الجزع.

١٨٣ ـ وحكى أبو بكر بن الأنْبارِي عن بعض العلماء أنه قال: إنّما سُمِّي الصبر صبراً لأن تمرّرَه في القلب وإزعاجه للنفس كتمرّر الصَّبِرِ[2] في الفم.

واعلم، وفّقك الله، أنّ الصبر مما يأمر به العقل، وإنّما الهوى ينهَى عنه، فإذا فُوضِلَت فوائد الصّبر وما تجلب من الخير عاجلاً وآجلاً، بانت حينئذ فضائل العقل وخساسة الهوَى.

واعلم أنّ الصبر ينقسم قسمين: صبرٌ عن المحبوب، وصبرٌ على المكروه.

فالطاعة مفتقرة إلى الصّبر عليها، والمعصية مفتقرة إلى الصبر عنها.

ولمّا كانت النفس مجبولة على حبِّ الهوَى فكانت بالطبع تسعَى في طلبه، افتقرت إلى حبسها عمّا تؤذي عاقبته.

ولا يقدر على استعمال الصبر إلاّ من عَرَف عيب الهوَى وتلمَّح عُقبَى الصّبر، فحينئذ يهون عليه ما صبر عليه وعنه.

وبيان ذلك بمثَل؛ وهو أنّ امرأةً مستحسنة مرّت على رجلَيْن، فلمّا عرَضت لهما اشتهيا

---

(١) لقد ألف الإمام ابن القيم رحمه الله كتاباً عن الصبر وموضوعاته، سمّاه: عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين. وهو كتاب قيم، نشره دار الكتاب العربي ببيروت، بتحقيق محمد عثمان الخشت.

(٢) الصَّبِر: الدواء المرّ. وكذلك عصارة شجر مُرّ. واحدته صَبِرة، وجمعه صُبُور.

النظر إليها، فجاهد أحدهما نفسه وغضَّ بصره، فما كانت إلاّ لحظة ونسِيَ ما كان، وأوغل الآخر في النظر، فعَلِقت بقلبِهِ فكان ذلك سبب فتنته وذهاب دينه.

فبَان لك أنّ مُداراة المعصية حتى تذهب، أسهل من معاناة التوبة حتى تُقبل.

١٨٤ ـ وقد قال بعض السلف: من تَخايل الثوابَ خَفَّ عليه العمل.

فصـــل: [حثّ الشرع على الصبر]

قد حثّ الله عزّ وجل على الصبر في كتابه وأمر به ومدح أهله. فهو مذكور في نحو من سبعين موضعاً من القرآن[١]. وهو في الحديث المنقول كثير[٢].

١٨٥ ـ وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أُعطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ من الصبر»[٣].

١٨٦ ـ وقال عليّ رضي الله تعالى عنه: اعلموا أنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألاَ وإنّه لا إيمان لمن لا صَبْر له[٤].

١٨٧ ـ وقال للأَشْعَث بن قَيس[٥]: إنّك إنْ صبرت إيماناً واحتساباً، وإلاَّ سَلَوْتَ كما تَسْلُو البهائم.

١٨٨ ـ أخبرنا عبد الوهاب قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أحمد بن علي التُّوْزي قال: أنبأنا عُمر بن ثابت قال: أنبأنا علي بن أحمد بن أبي قيس قال: حدثنا أبو بكر القُرشي قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال: حدثنا يحيى بن سليم الطّائفي قال: حدثني عَمرو بن يونس عمَّن حدَّثه، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «الصبر ثلاثة: فصبرٌ على المُصِيبة، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية.

---

(١) انظر عدة الصابرين: ص ٩٨ ـ ١٠٣، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مادة (صبر) ومشتقاتها.

(٢) لقد عقد الإمام ابن القيّم باباً مستقلاً في ذكر النصوص الواردة في السنة عن الصبر، وهو الباب السادس عشر من كتابه: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، فانظر ص ١٠٤ فما بعدها.

(٣) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٢٤)، والنسائي (٢٥٨٨)، ومالك في الموطأ حديث رقم (٧) ٢/٩٩٧، والدارمي (١٦٤٦)، وأحمد في المسند (١٠٦٠٦ ـ ١٠٦٢٢ ـ ١٠٦٧٦ ـ ١٠٧٠٧).

(٤) انظر: عدة الصابرين ص ١٢٤.

(٥) هو الأشعث بن قيس بن مَعْدِي كَرِب، صحابي جليل، وفَد مع سبعين مِن كِندَة على النبيّ ﷺ، ثم ارتدّ بعد وفاة الرسول ﷺ ثم عاد إلى الإسلام وتاب توبة نصوحاً، وزوّجه أبو بكر أختَه فَرْوة، وكان أكبر أمراء عليّ يوم صِفّين. وتوفي في الكوفة سنة (٤٠) هـ أو (٤١) هـ. عن ثلاث وستين سنة. انظر: السير ٢/٣٧، الإصابة ١/٧٩، الاستيعاب ١/١٣٣، أسد الغابة ١/١١٨.

فمن صبَر على المُصيبة حتى يردّها بِحُسْن عَزائِها كَتب اللَّهُ له ثلاثمئة درجة، بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السماء إلى الأرض.

ومَن صبَر على الطاعة كَتب اللَّهُ له ستمئة درجة، ما بَيْن الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تُخوم الأرض إلى العَرْش.

ومن صبَر عن المعصية كَتب اللَّهُ له تسعمئة درجة، ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش مرتين»[(١)].

١٨٩ ـ وبالإسناد قال: حدثنا يحيى بن يوسف الذّمي، قال: حدثنا أبو المَلِيح، عن ميمون بن مِهران، قال: الصبر صبران: الصبرُ على المصيبة حَسَنٌ، وأفضلُ من ذلك الصّبر عن المعاصي، وما نال أحدٌ شيئاً من جَسِيم الخير ـ نبيٌّ فمن دونَه ـ إلاّ بالصبر[(٢)].

١٩٠ ـ وبالإسناد قال: حدثنا القُرشي، قال حدثنا محمد بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن رَوْح، قال: حدثنا القاسم بن كثير، قال: سمعت سليمان بن القاسم، يقول: كلّ عمل يُعرف ثوابه إلاّ الصبر؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿إنما يوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بغيرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر/ ١٠]. قال: كالماء المُنْهَمِر[(٣)].

١٩١ ـ وبه قال: حدثنا القُرشيّ، قال: حدثني علي بن مسلم، قال: حدثنا سَيَّار، قال: حدثنا جعفر، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: قال عيسى بن مريم: خشيةُ الله عزّ وجلّ وحبُّ الفردوس يُباعِدان من زهرة الدنيا ويُورِثان الصَّبر على المشقة.

١٩٢ ـ وبه قال: حدثنا القُرشيّ، قال: حدثنا عليّ بن الحَسن، عن زهير بن عبّاد، عن أبي سليمان النَّصِيبي[(٤)] قال: قال الحَوارِيّون لعيسى ابن مريم: يا رُوحَ الله، كيف لنا بأنْ نُدرِك جماع الصبر؟ قال: اجعلوا عزمكم في الأمور كلِّها بين يَدَيْ هواكم، ثم اتّخذوا كتابَ الله عزّ وجل إماماً لكم في دينكم.

١٩٣ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا محمد بن المُختار، قال: أنبأنا محمد بن علي بن أبي الفتح، قال: أنبأنا محمد بن يوسف العَلاّف، قال: أنبأنا يحيى بن صاعد، قال:

---

(١) حديث ضعيف. عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ لابن أبي الدنيا في الصبر، وأبي الشيخ في الثواب، ورمز لضعفه. وعزاه المناوي في الفيض ٤/ ٢٣٥ للديلمي، ونقل عن ابن الجوزي أنه قال: الحديث موضوع. وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٣٢): «ضعيف».
وقد ورد هذا الأثر موقوفاً على عليٍّ رضي الله عنه في عدة الصابرين ص ٩٧.

(٢) انظر: عدة الصابرين ص ٩٧ و ١٢٤.

(٣) ذكر هذا الأثر ابن القيم في عدة الصابرين: ص ٧٤.

(٤) النَّصِيبي: نسبة إلى نَصِيبين، مدينة بالجزيرة. انظر: الأنساب ٥/ ٤٩٦، ولب اللباب ٢/ ٢٩٨.

أنبأنا مسلم بن جُنادة، عن وكيع، عن شُعبة، عن عبد الحميد ـ صاحب الزِّيادي ـ، عن ثابت، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ جَهْد البلاء قِلةُ الصبر»(١).

١٩٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحسنِ بن أحمد، قال: أنبأنا هلال بن محمد، قال: حدثنا محمد بن عَمْرو بن البَختري، قال: حدثنا عبد الله بن غَنّام، قال: حدثنا حَرْب بن الحَسن، قال: حدثنا ابن يَمَان، عن الأَعْمَش، عن الحسن، قال: إنّما يُدرِك ابن آدم حاجته في صبر ساعة.

١٩٥ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بنّ إبراهيم الكِنْدِي، قال: حدثنا أبو بكر الخَرائطي، قال: حدثنا عليّ بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم الزّهري، عن أبيه، قال: جَلس إليّ يوماً زيادٌ ـ مولى ابن عياش ـ، فقال: يا عبد الله. قلت: ما تشاء؟ قال: ما هي إلاّ الجنة والنار؟ قلت: والله ما هي إلاّ الجنة والنار. فقال: وما بينهما منزلٌ ينزلُه العباد. قلتُ: وما بينهما منزل ينزله العباد. قال: فوالله إنّ نفسي لنفسٌ أَضِنُّ(٢) بها عن النّار، ولَلصّبرُ اليومَ على معاصي الله خيرٌ من الصَّبر على الأغلال.

١٩٦ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن خلف، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن السّلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله الرَّازي يقول: سمعت أبا عثمان الأَسدي يقول: قال الحارث المُحاسِبي: لكلّ شيء جوهر، وجوهر الإنسان العَقْل، وجوهر العقل الصّبر.

١٩٧ ـ وبه حدثنا السّلمي، قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد، يقول: قال عُمر بن عثمان المكّي: لقد وَبّخ الله التاركين للصّبر على دِينهم بما أخبرنا عن الكفار أنّهم قالوا: ﴿امْشُوا واصبروا على آلهتكم﴾ [سورة ص/ ٦]، فهذا تَوْبِيخ لمن ترَكَ الصّبر من المؤمنين على دِينه.

١٩٨ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا نصر الطُّوْسِي يقول: سمعت محمد بن داود الدِّينَوَرِي(٣) يقول: سُئل عبد الله الخرّاز عن علامَة الصَّبر، فقال: ترْكُ الشَّكوى وإخفاء الصَّبْر والبلوى.

---

(١) حديث ضعيف. عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٣/ ٣٥٢ لأبي عثمان الصابوني في المائتين، وللديلمي في الفردوس، ورمز لضعفه. قال الألباني في الجامع (٢٦٤٠): «ضعيف».

(٢) ضنّ بالشيء، يَضِنُّ ـ بالفتح ـ ضِنًّا ـ بالكسر ـ وضَنَانَةً ـ بالفتح ـ: أي: بَخِلَ، فهو ضَنِينٌ به.

(٣) الدِّينَوَري: نسبة إلى دِينَوَر بلدة من بلاد الجبل عند قَرْمِيسِين. وضبطها السيوطي بفتح الدال والنون: الدَّيْنَوَري. انظر: الأنساب ٢/ ٥٣١، واللباب ١/ ٥٢٦، ولب اللباب ١/ ٣٣٣، ومعجم البلدان ٢/ ٥٤٥.

١٩٩ ـ وقال أَكْثَم بن صَيْفِي: حِيلة مَن لا حِيْلَة له الصَّبر.

٢٠٠ ـ وأنشد ابن مسروق:

إذا طَـــالَعَـــكَ الكُـــرْهُ فكـــنْ بـــالصَّبـــرِ لَـــوَّاذا
وإلاّ ذَهَـــبَ الأَجْـــرُ فـــلا هَـــذا ولا هَـــذا

* * *

البابُ الخَامِسُ

في حِرَاسَةِ القَلْبِ مِنَ التّعَرُّضِ بالشّوَاغِلِ والفِتَنِ[1]

اعلم أنّ القلبَ في أصل الوضع سليم مِن كُلِّ آفة، والحواسُّ الخمسُ تُوصِلُ إليه الأخبارَ فَتَرْقُم[2] في صفحته. فينبَغي أن يستوثق مِنْ سدّ الطُّرُق التي يخشَى عليه منها الفتن، فإنّه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عمّا خُلِق له من التعظيم للخالِق والفِكْر في المصالح. ورُبّ فتنةٍ عَلِق به شَباها[3]، فكانت سبباً في هلاكِه[4].

٢٠١ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحُصَيْن الشّيباني، قال: أنبأنا الحسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر القَطِيعِيّ[5]، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا أبو بكر الزّاغُونيّ، قال: أنبأنا أبو الفتح الشّاشِي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المروزي قال: أنبأنا أبو عبد الله الفُرَاوِيّ:

قالا[6]: أنبأنا عبد الغافر الفارسي، قال: أنبأنا أبو عمرَويه، قال: حدثنا إبراهيم بن

---

(١) للإمام الهُمام ابن القيم رحمه الله كلام جميل حول القلب وأقسامه، وأمراضه، وحياته، وصحته، وسعادته، ونمائه، وطهارته وغير ذلك من الأمور القلبية، تجده بتوسع في كتابه القَيِّم: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، نشر دار الكتاب العربي بتحقيقنا، من الباب الأول وحتى الباب الثاني عشر، فانظره للأهمية.

(٢) أي: تكتب.

(٣) شباةُ كلّ شيء: حَدّ طَرَفه.

(٤) انظر إغاثة اللهفان ١/ ٢٤ ـ ٢٦.

(٥) هو الشيخ العالم المحدِّث، مسند الوقت، أبو بكر أحمد بن جعفر بن حَمدان القطيعِيّ ـ نسبة إلى قطيعة الدقيق، محلة ببغداد ـ البغدادي الحنبلي، راوي مسند الإمام أحمد، والزهد، والفضائل عنه. ولد في أول سنة (٢٧٤) هـ. وتوفي سنة (٣٦٨) هـ. انظر: السير ١٦/ ٢١٠، وتاريخ بغداد ٤/ ٧٣، والبداية والنهاية ١١/ ٢٩٣، وميزان الاعتدال ١/ ٨٧، ولسان الميزان ١/ ١٤٥، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٢ وشذرات الذهب ٣/ ٦٥.

(٦) أي: أبو الفتح الشاشي، وأبو عبد الله الفُرَاوي.

والشاشي: نسبة إلى مدينة الشاش، مدينة وراء نهر جَيْحون. انظر: الأنساب ٣/ ٣٧٥، والفُرَاوي: =

محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا محمد بن رافع:

قالا[١]: أنبأنا عبد الرازق:

وأخبرنا عبد الأول، قال: أنبأنا الدَّاوُدِيّ: قال أنبأنا ابن أَعْيَن، قال: أنبأنا الفَرَبْرِي[٢]، قال: حدثنا البُخاري، قال: حدثنا محمد بن العلاء، قال: حدثنا ابن المبارك:

قالا[٣]: حدثنا معمر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «غزا نبيٌّ من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجلٌ قد ملَك بُضْعَ امرأة[٤] وهو يريد أن يَبْنِيَ بها ولما يَبْنِ، ولا آخر قد بنَى بُيوتاً ولم يرفَعْ سُقُفَها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خَلِفَات وهو ينتظرُ أولادَها»[٥].

٢٠٢ ـ أخبرنا ابن الحُصَين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال حدثنا يحيى بن سعيد:

وأخبرنا عبد الأول، قال: أنبأنا الدَّاوُدِي، قال: أنبأنا ابن أَعْيَن، قال: حدثنا الفَرَبْرِيّ، قال: حدثنا البُخاري، قال حدثنا أبو نعيم:

وأخبرنا أبو بكر الزَّاغُوني، قال: أنبأنا الشَّاشي:

وأخبرنا المروزي، قال: أنبأنا الفُرَاوي:

قالا[٦]: أنبأنا عبد الغافر الفارسي، قال: حدثنا ابن عمرويه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا ابن نمير، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا الكَرُوخي[٧] قال: أنبأنا أبو عامر الأَزْدي وأبو بكر الفُورَجي قالا: أنبأنا

= نسبة إلى فُراوة، بلد قرب خَوارزم. انظر: الأنساب ٤/٣٥٦.

(١) في المطبوعة: قال، وهو خطأ، والمثبت هو الصواب، لأن المقصود: الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن رافع. حيث إن الإمام أحمد يروي الحديث عن عبد الرزاق عن معمر.. به. والإمام مسلم يرويه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر به.

(٢) الفَرَبري: نسبة إلى فَرَبر، بلد قُرب بخارى. وهو: أبو عبد الله محمد بن يوسف الفَرَبري، راوي صحيح الإمام البخاري. انظر: الأنساب ٤/٣٥٩، واللباب ٢/٤١٨، ولب اللباب ٢/١٤٨، ومعجم البلدان ٤/٢٤٥.

(٣) أي: عبد الرزاق وعبد الله بن المبارك.

(٤) أي: ملَك نكاحها. قال ابن الأثير في النهاية ١/١٣٣: «والبُضع: يطلق على عقد النكاح والجماع معاً، وعلى الفَرْج».

(٥) رواه البخاري (٣١٢٤) و (٥١٥٧)، ومسلم (١٧٤٧)، وأحمد في المسند ٢/٣١٨، وعبد الرزاق في مصنفه (٩٤٩٢)، والبيهقي في سننه الكبرى ٦/٣٩٠، وابن حبان في صحيحه (٤٨٠٨).

(٦) أي: الشاشي والفُرَاوي.

(٧) الكَرُوخي: نسبة إلى كَروخ، بلد بنواحي هَرَاة. انظر: الأنساب ٥/٦٠، ولب اللباب ٢/٢٠٧.

الجَرّاحي[1] قال: حدثنا المَحْبُوبي قال: حدثنا الترمذي قال: حدثنا هَنّاد قال: حدثنا وكيع:

قالوا[2]: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، قال: حدثنا عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألاَ و إنّ في الإنسان مُضْغَةً[3] إذا صَلَحَتْ صَلَح الجسدُ كلّه، وإذا فَسَدَتْ فسَد الجسدُ كلّه، ألاَ وهي القلب»[4]. لفظ أحمد.

٢٠٣ ـ أخبرنا هبة الله بن أحمد الحَرِيري، قال: أنبأنا محمد بن علي بن أبي الفتح العُشَاري، قال: أنبأنا أبو الحسن بن سمعون، قال: حدثنا محمد بن جعفر الصَّيْرَفِي، قال: حدثنا حماد بن الحسن، قال: حدثنا محمد بن سابق، قال: حدثنا إبراهيم بن طَهْمان، عن منصور، عن الشَّعْبي، عن النّعمان بن بَشِير، عن النبيّ ﷺ، قال: «في الإنسان مضغة إذا صَحَّت صَحّ لها سائر الجسد، وإذا سَقِمَت سَقِم لها سائر الجسد، وهي القلب».

هذا الحديث وما قبله مخرّج في الصحيحين[5].

٢٠٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو علي التَّميمي، قال: حدثنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا رَوْح، قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، قال: قيل لعيسى: لو اتخذت حماراً تركبه لحاجتك؟ قال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.

٢٠٥ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا الحسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: أنبأنا عبد الله، قال: أنبأنا وُهَيْب، أنّ ابن عمر باع جملاً فقيل له: لو أمسكته؟ فقال: لقد كان موافقاً، ولكنّه أَذْهَب شعبة من قلبي فكرهت أن أشغل قلبي بشيء.

---

(١) الجَرّاحي: نسبة إلى الجرّاح، وهو اسم لجدّ المنتسب إليه. وهو: عبد الجبار بن محمد الجرّاحي المروزي، راوي جامع الترمذي. انظر: الأنساب ٢/٣٦، واللباب ١/٢٦٨، ولبّ اللباب ١/١٩٩.

(٢) أي: يحيى بن سعيد، وأبو نعيم، ونمير، ووكيع.

(٣) المضغة: القطعة من اللحم، قدر ما يُمضغ، و المراد القلب. انظر النهاية ٤/٣٣٩.

(٤) هو جزء من حديث: الحلال بيّن والحرام بيّن. . .، رواه: البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي ٧/٢٤١ و ٨/٣٢٧، وابن ماجه (٣٩٨٤)، والدارمي (٢٥٣١)، وأحمد في المسند ٤/٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، والبيهقي في سننه الكبرى ٥/٦٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/٢٧٠ و ٣٣٦ و ٥/١٠٥، وابن حبان في صحيحه (٢٩٧).

(٥) لم أر الحديث بهذا اللفظ في الكتب التسعة، فضلاً عن الصحيحين، إلاّ ما جاء عند الإمام أحمد في مسنده (١٧٩٤٥) بلفظ: «إنّ في الإنسان مضغة إذا سَلِمت وصحّت سَلِم سائر الجسد وصحّ، وإذا سَقِمَت سَقِم سائر الجسد وفَسَد، ألا وهي القلب». رواه من حديث مُجالد، عن الشَّعبي، عن النعمان بن بشير به. والله أعلم.

٢٠٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا جعفر، قال: أنبأنا أبو علي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني علي بن مسلم، قال: حدثنا سيار، قال: حدثنا الحارث بن نبهان، قال: قَدِمْتُ من مكة فَأَهْدَيْتُ إلى مالك بن دينار[١] رَكوة فكانت عنده، فجئت يوماً فجلست في مجلسه، فلمّا قَضاه قال لي: يا حارث، تعال خذ تلك الرّكوة فقد شغلت عليّ قلبي، فقلت: يا أبا يحيى، إنّما اشتريتها لكَ تتوضأ فيها وتشرب. فقال: يا حارث، إنّي إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان، فقال لي: يا مالك، إنّ الرّكوة قد سُرقت، فقد شَغَلَتْ عليّ قلبي!

٢٠٧ ـ أخبرنا ابن ظفر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي قال: حدثنا ابن جَهضم قال: حدثنا محمد بن الحسين الحامِدِيّ قال: حدّثنا أبي قال: سمعت حارث بن أسد[٢] يقول: بَلِيَّةُ العبد تعطيل القلب من فِكْرة الآخرة، حينئذ تحدث الغفلة في القلب.

٢٠٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا ابن العَلّاف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أبو العباس الكِندي، قال: أنبأنا أبو بكر الخرائطي، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، قال: حدثني إسحاق بن محمد، قال: قالت رابعة[٣]: شَغلوا قُلوبهم بحبّ الدنيا عن الله عزّ وجل، ولو تَركوها لجالت في المَلَكُوت، ثم رَجعت إليهم بطرائف الفوائد.

٢٠٩ ـ قال محمد بن الحسين: وحدثني الصَّلْتُ بن حكيم، قال: حدّثني ابن السَّمَّاك، عن امرأة ـ كانت تسكن البادية ـ قال: سمعتها تقول: لو تَطالعتْ قلوبُ المؤمنين بفِكْرها إلى ما ادّخر لها في حُجُب الغيوب من خير الأجر، لم يَصْفُ لهم في الدنيا عَيْشٌ، ولم تَقرّ لهم في الدنيا عَين.

٢١٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خَلف، قال: أنبأنا أبو

---

(١) هو عَلَم العلماء الأبرار، من ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، ولد في أيام ابن عباس، وتوفي سنة (١٣٠) هـ أو نحوها. ومن طريف ما يروَى عنه أن المُهلّب مرّ على مالك بن دينار متبختراً، فقال له مالك: أما علمت أنها مِشية يكرهها الله إلاّ بين الصفَّيْن؟! قال المهلّب: أما تعرفني؟ قال مالك: بلى، أوّلك نُطفة مَذِرة، وآخِرك جِيْفَةٌ قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمِل العذِرَة. فانكَسر المهلب، وقال: الآن عرفتني حقّ المعرفة. انظر: السير ٥/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٢٨، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٦ وتهذيب التهذيب ١٠/ ١٤.

(٢) هو المحاسبي، تقدمت ترجمته.

(٣) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم عَمرو البصرية، الزاهدة العابدة، عاشت ثمانين سنة، وتوفيت سنة (١٨٠) هـ. انظر: السير ٨/ ٢٤١، الإحياء للغزالي ٢/ ٢٦٧، وشذرات الذهب ١/ ١٩٣.

عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: قال أحمد بن خِضْرَويه[1]: القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحقّ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظُلَمِها على الجوارح.

٢١١ ـ قال السّلمي: وسمعتُ ابن عِلوان يقول: سمعت علي بن الحُسين يقول: قال أبو تُراب[2]: ليس مِنَ العبادات شيءٌ أنفع من إصلاح خواطر القلوب.

٢١٢ ـ قال السّلمي: وسمعت أبا الحسن بن محمد يقول: قال أبو الخير التِّيْنَاتِي[3]: حرَام على قلب مأسور بحبّ الدنيا أن يَسِيحَ في رُوح الغَيْب.

٢١٣ ـ وقال إبراهيم بن أدهم[4]: طلب الملوكُ شيئاً ففاتهم، وطلبناه فوجدناه، ما يجوز همّي كسائي هذا.

٢١٤ ـ وقال أبو محمد المرتعش: ما نفعني من العِبَادات شيءٌ ما نفعني جَمْعُ الهِمّة.

٢١٥ ـ وَسُئِل إبراهيم بن الحَسن عن سلامة القلب، فقال: العزلة والصمت وترك استماع خوض الناس، ولا يعقد القلب على ذنب ولا على حقد، ويَهَبُ لمن ظلَمه حَقّه.

٢١٦ ـ وقال أبو بكر محمد بن عمر العَنْبَرِيّ وقد وَدّع محبوباً له:

أَسْتَـوْدِعِ اللَّـهَ قلْبـاً مُـذْ فُجِعْـتُ بـه ... وبـالأحبـة لـم أَسْكُـن إلـى سَكَـنِ
قـد كـانَ يحمِـلُ مِـنْ همّـي ومِـنْ حَـزَنـي ... مـا ليـس يَحمِلُـه رُوحـي ولا بَـدنـي
لا عُـذْتُ إن عـاد لـي قلبـي أُعَـذِّبُـه ... بـالحُسْـن كـم مـن قَبِيـحٍ جـاء مـن حَسَـنِ

* * *

---

(١) هو أحمد بن خِضْرَويه البلخي، أبو حامد، الزاهد الكبير الربّاني الشهير، من أصحاب حاتم الأصم. توفي سنة (١٤٠) هـ. انظر: السير ١١/ ٤٨٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٤٢، تاريخ بغداد ٤/ ١٣٧.

(٢) أبو تراب: عسكر بن الحُصَيْن النخشبي، شيخ الطائفة النخشبية، كتب العلم، وتفقّه، ثم تألّه وتعبّد، وساح وتجرّد. مات في طريقه إلى الحج، انقطع به السبيل، فنهشته السباع سنة (٢٤٥) هـ. انظر: السير ١١/ ٥٤٥، وحلية الأولياء ١٠/ ٤٥، تاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥، البداية والنهاية ١٠/ ٣٤٦.

(٣) هو العابد أبو الخير التِّيناتي الأقطع قيل اسمه: حمّاد، سكن تِينات من أعمال حلب، ثم سكن جبل لبنان مدة. توفي سنة (٣٤٠) هـ وقيل (٣٢٩) هـ. انظر: السير ١٦/ ٢٢ ـ ٢٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨، وصفوة الصفوة ٤/ ٢٠٦.

(٤) هو القدوة الإمام العارف، سيد الزهّاد: إبراهيم بن أدهم بن منصور، أبو إسحاق العِجلي الخراساني البَلْخي، نزيل الشام. مولده في حدود المائة، توفي سنة (١٦٢) هـ. من أقواله: الزهد فرض، وهو الزهد في الحرام، وزهد سلامة، وهو الزهد في الشبهات، وزهد فضل، وهو الزهد في الحلال. انظر: السير ٧/ ٣٨٧، حلية الأولياء ٧/ ٣٦٧، تهذيب التهذيب ١/ ١٠٢، وشذرات الذهب ١/ ٢٥٥.

البَابُ السّادسُ

في ذِكْرِ ما يَصْدأُ بِهِ القَلْبُ[1]

٢١٧ ـ أخبرنا هبةُ الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا صفوان بن عيسى، قال: أنبأنا ابن عَجْلان، عن القَعْقاع بن حَكيم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ المؤمن إذا أذنبَ كانت نكتة سوداء في قلبه، فإنْ تاب ونَزَع واستغفر صُقِلَ قلبُه، وإن زاد زادت حتى تعلُوَ قلبَه، فذلك الرَّان الذي ذكر الله عزّ وجل في كتابه: ﴿كلاَّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [سورة المطففين/ ١٤]»[2]، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٢١٨ ـ وقال حذيفة: إذا أذنب العبد نُكِتَ في قلبه نكتةً سوداء، فإذا أذنب نُكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يَصِيرَ قلبُه كالشّاة الرَّبْدَاء[3].

٢١٩ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد المُتَوَكِّلي قال: أنبأنا أبو بكر بن الخطيب قال: أنبأنا أبو سعد بن شاذان قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الصَّفّار قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال: حدثنا الحسن بن مَحْبُوب قال: حدثنا حجّاج قال: قال ابن جُرَيْج: أخبرني عبد الله بن كثير أنّه سمع مجاهداً يقول: الرَّيْنُ أيسرُ من الطَّبْع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشدّ من ذلك[4].

---

(١) عقد الإمام ابن القيم باباً في انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت، في كتابه إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، انظر في ١/ ٤٢ وما بعدها، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) حديث حسن. رواه الترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٩/ ٤٤٣. وفي عمل اليوم والليلة (٤١٨)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد في المسند (٧٨٩٢)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٧، وابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان ٣٠/ ٩٨، وابن حبان في صحيحه (٩٣٠) و (٢٧٨٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٣٩ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) أي المُغْبَرّة المُتّسِخَة. وانظر حديث حذيفة في صحيح مسلم (٢٣١)، وإغاثة اللهفان ١/ ٤٦.

(٤) رواه ابن جرير والبيهقيْ، كما قال السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦/ ٥٤٠. =

٢٢٠ ـ قال الحسن بن محبوب: وحدّثنا الفيض بن إسحاق، قال: قال حُذيفة المَرْعَشِي: أنبأنا عمّار بن سَيف، عن الأَعْمَش قال: كنّا عند مجاهد، فقال: القلبُ هكذا ـ وبسط كفّه ـ، فإذا أذنب الرجل ذنباً قال هكذا، فعقد واحداً، ثم إذا أذنب قال هكذا، وعقد اثنين، ثم ثلاثاً، ثم أربعاً، ثم ردّ الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس يطبع على قلبه، قال مجاهد: فأيّكم يرَى أنّه لم يُطبع على قلبه؟!

٢٢١ ـ وقال يحيى بن معاذ: سَقَمُ الجسد بالأوجاع، وسَقَم القلوب بالذنوب، فكما لا يَجِد الجسد لذّة الطعام عند سَقَمِه، فكذلك القلبُ لا يجد حلاوةَ العبادة مع الذنوب.

٢٢٢ ـ وكان بعض الحكماء يقول: إذا لم يُستعمل القلب فيما خُلِقَ له من الفكر في اجتلاب المصالح في الدِّين والدنيا واجتناب المفاسد، تعطّل، فاستترت جَوْهَرِيّته، فإذا أضيف إلى ذلك فعل ما يزيده ظلمة، كشُرْب الخمر، وطول النوم، وكثرة الغفلة، صار كالحديد يغشاه الصدأ فيُفسده.

* * *

= وقد ورد عن مجاهد غير ذلك: فروى عبد بن حميد عنه قال: الرّان: الطابَع، وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عنه: كانوا يرون أن الرَّيْن هو الطبع. انظر الدر المنثور ٦/ ٥٤٠.

البَابُ السَّابِعُ

فِي ذِكْرِ ما يَنْفِيْ عَنِ القُلُوبِ صَدَأَهَا

٢٢٣ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا عليّ بن محمد بن العَلّاف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أبو العباس الكِنْدي، قال: أنبأنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا عبد الرحيم بن هارون، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي روّاد، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه القلوبَ تصدأُ كما يصدأ الحديد. قيل: يا رسول الله، فما جَلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن»[1].

٢٢٤ ـ قال محمد بن جعفر: وحدثنا حمّاد بن الحسن، قال: حدثنا سَيّار، عن جعفر بن سليمان، عن المُعَلّى بن زياد، قال: قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، أشكو إليك قسوة قلبي. قال: أَذِبْه مِنَ الذكر.

٢٢٥ ـ وقد رُوي أنّ رجلاً سأل عائشة: ما دواء قَسْوة القلب؟ فَأَمَرَتْه بعيادة المرضَى، وتَشْييع الجنائز، وتوقّع الموت.

٢٢٦ ـ وشكا ذلك رجل إلى مالك بن دينار، فقال: أَدْمِن الصِّيام، فإن وجدتَ قَسْوةً فأطِلِ القيام، فإن وجدت قَسْوة فأقلَّ الطعام.

٢٢٧ ـ وسُئِل ابن المبارك: ما دواء القلب؟ فقال: قلة المُلاَقاة.

٢٢٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي، قال: أنبأنا عبد الواحد بن بكر الوَرَثَاني[2]، قال: حدثنا أبو الأزهر

---

(١) حديث موضوع. آفته عبد الرحيم بن هارون، وهو الغسّاني الواسطي. قال الدارقطني: متروك يكذب، وساق له ابن عَدِيّ عدّة أحاديث استنكرها. وقال الذهبي بعد أن ذكر الحديث «رواه حفص بن غياث عن عبد العزيز قال: قال رسول الله ﷺ. . . فذكره منقطعاً». يقصد بذلك أن عبد الرحيم بالإضافة إلى شدة ضعفه قد خولف في إسناد الحديث. انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٧.

(٢) الوَرَثَاني ـ بفتحات ثلاث ـ نسبة إلى وَرَثان قرية بشيراز. انظر: اللباب ٣/ ٣٥٨، ولب اللباب ٢/ ٣١٦، ومعجم البلدان ٥/ ٣٧٠ ـ ٣٧١.

المَيَّافَارِقِيني[1]، قال: سمعت فتح بن شَخْرَف يقول: حدثني عبد الله بن خبيق، قال: خَلَق اللَّهُ القلوبَ مساكن للذِّكر، فصَارت مساكن للشّهوات. ولا يمحو الشهواتِ من القلوبِ إلا خوفٌ مزعج، أو شوق مقلق.

٢٢٩ ـ قال السّلمي: وسمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت الأزْدي يقول: سمعت إبراهيم الخَوَّاص يقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتَّدبّر، وخلاءُ البطن، وقيامُ اللّيل، والتضرّع عند السّحر، ومجالسة الصالحين.

* * *

(١) المَيَّافارقيني ـ بالفتح، وتشديد الياء ـ نسبة إلى مَيّافارقين، مدينة بالجزيرة. انظر: اللباب ٣/٢٧٨، ولب اللباب ٢/ ٢٨٤، ومعجم البلدان ٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٧.

البَابُ الثّامِنُ

في ذِكْرِ تَقْلِيبِ القُلُوبِ والرّغْبة إلَى اللّهِ تعالَى في إصْلاَحِهَا

٢٣٠ ـ أخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا الدّاوُدِيّ، قال: أنبأنا ابن أَعْيَن:
وأنبأنا إبراهيم بن خريم، قال: أنبأنا عبدُ بن حميد، قال: أنبأنا عُبيد الله بن موسى: كلاهما[١] عن سفيان:

ح[٢]، وأخبرنا الكَرُوخي، قال: أنبأنا أبو عامر الأَزْدِي وأبو بكر الغُوْرَجِيّ[٣]، قالا: أنبأنا الجَرَّاحي، قال: حدثنا المَحْبُوبي، قال: حدثنا الترمذيّ، قال: حدثنا علي بن حجر، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك:

كلاهما[٤] عن موسى بن عُقبة، عن سالم، عن ابن عمر قال: كانت يمين النبي ﷺ: «لا ومقلِّب القلوب»[٥]. انفرد بإخراجه البخاري.

٢٣١ ـ وأخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال حدثني أبي:

ح، وأخبرنا أبو بكر الزَّاغُوني، قال: أنبأنا أبو الفتح الشَّاشِي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المَروزي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الفَراوي:

قالا[٦]: أنبأنا عبد الغافر، قال: أنبأنا ابن عَمْرَويه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا زهير:

---

(١) أي: ابن أعين وعبيد الله بن موسى.

(٢) قال النووي في التقريب ٢/٨٨: «وإذا كان للحديث إسنادان، أو أكثر، كتبوا عند الانتقال من إسناد: ح». وانظر تدريب الراوي ٢/٨٨.

(٣) الغُوْرَجي: نسبة إلى غُوْرَة، قرية بهراة. انظر: اللباب ٢/٣٩٣، ومعجم البلدان ٤/٢١٨.

(٤) أي: سفيان وعبد الله بن المبارك.

(٥) رواه البخاري، (٦٦٢٨)، وأبو داود (٣٢٦٣)، والترمذي (١٥٤٠)، والنسائي ٧/٢، وابن ماجه (٢٠٩٣)، والدارمي (٢٣٥٠)، وأحمد في المسند (٤٧٧٣ ـ ٥٣٤٥)، والبيهقي في سننه الكبرى ١٠/٢٧، وابن حبان في صحيحه (٤٣٣٢).

(٦) أي: أبو الفتح الشاشي وأبو عبد الله الفراوي.

قالا[1]: حدثنا أبو عبد الرحمن المقري:

ح، وأخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا الدَّاوُدِيّ، قال: أنبأنا السَّرَخْسِي، قال: أنبأنا إبراهيم بن خُرَيم، قال: حدثنا عبدُ بن حميد، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحَميد الْحِمَّاني، قال: حدثنا ابن المبارك:

قالا[2]: حدثنا حَيْوَة، قال: أخبرني أبو هانىء، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي[3]، أنّه سمع عبد الله بن عَمْرو، أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى كقلب واحد يصرفها كيف يشاء».

ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهمّ مُصَرِّف القلوب اِصْرِف قلوبَنا إلى طاعتِك»[4].

انفرد بإخراجه مسلم.

٢٣٢ ـ أخبرنا ابن الحُصَيْن، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي:

ح، وأخبرنا الكَرُوخي، قال: حدثنا الأزدي والغُوْرَجي، قالا: أنبأنا الجَرّاحِي، قال: حدثنا المَحْبُوبي، قال: حدثنا الترمذي، قال: حدثنا هَنَّاد:

قالا: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مُقلِّب القلوب ثبت قلبي على دينِك». قال: فقلنا يا رسول الله: آمنّا بك وبما جئت به، فهل تخافُ علينا؟ فقال: «نعم، إنّ القلوبَ بين إصبعَيْن من أصابع الله عزّ وجل يُقَلِّبُها تبارك وتعالى كيف يشاء»[5].

٢٣٣ ـ أخبرنا أبو القاسم الحَرِيري، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكي، قال: أنبأنا أبو بكر بن بَخِيت، قال: حدثنا إسماعيل بن موسى الحَاسِب، قال: حدّثنا جُبارة، قال: حدثنا أبو إسحاق الحُمَيْسي، عن يزيد الرَّقَاشي، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في دعائه: «يا مُقلِّب القلوب ثَبِّت قلبي على دينك»[6].

---

(١) أي: الإمام أحمد وزهير.

(٢) أي: أبو عبد الرحمن المقريء وابن المبارك.

(٣) الحُبُلي: نسبة إلى الحُبُلَى حيّ باليمن. انظر: الأنساب ٢/١٦٩، ومعجم البلدان ٢/٢١٤.

(٤) رواه مسلم (٢٦٥٤)، والنسائي في سننه الكبرى كما في تحفة الأشراف ٦/٤٥١، وأحمد في المسند (٦٥٣٣)، وابن حبان في صحيحه (٩٠٢) ٣/١٨٤.

(٥) حديث حسن. رواه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥)، والآجريّ في الشريعة ص٣١٧، والحاكم في المستدرك ٢/٢٨٨. والإسناد فيه ضعف لأجل أبي سفيان: طلحة بن نافع، ولكن يرتقي بمتابعاته وشواهده.

(٦) انظر الحديث السابق. وهذا الإسناد ضعيف، فيه: =

٢٣٤ ـ أخبرنا أبو القاسم الحَرِيري قال: أنبأنا أبو طالب العِشَاري قال: حدثنا الحُسين بن سَمْعُون قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن زَبّان قال: حدثنا هشام بن عمّار قال: حدثنا صَدَقة بن خالد قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: سمعت بِشْر بن عُبيد الله قال: سمعت أبا إدريس الخَوْلاَنِيّ يقول: حدّثني النوّاس بن سَمعان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما مِنْ قلب إلاّ بين إصبعَيْن من أصابع الرّحمٰن جلّ وعزّ، إنْ شاء أقامَه وإن شاء أَزَاغَه».

وكان رسول الله ﷺ يقول: «يا مُقلِّب القلُوب ثبّت قلوبَنا على دينك».

قال: «والميزان بيد الرّحمٰن عزّ وجلّ، يَرفعُ أقواماً ويَخفِضُ آخرين إلى يوم القيامة»(١).

٢٣٥ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن محمد بن بشران، قال أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال حدثنا سعدان بن يزيد، قال: حدثنا الهشام بن جَميل، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن علي بن زيد، عن أم محمد، عن عائشة:

قال: الخرائطي: وحدثنا التَّرْقُفِيّ(٢)، قال: حدثنا الفِرْيَابيّ، عن الثوري، عن الأعمش، عن أبي سعيد سفيان، عن جابر: أن رسول الله ﷺ كان يُكثر أن يقول: «يا مقلِّب القلوب ثبّت قلبي على طاعتك» فقلت: يا رسول الله إنّك تُكثر أن تدعوَ بهذا الدعاء، هل تخشى؟! قال: «وما يؤمنني يا عائشة، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الله، إذا أراد أن يقلِّبَ قَلْبَ عبدٍ قلبه ـ وقلب الوسطى والسبابة ـ»(٣). واللفظ لسعدَانِ.

= ـ جُبارة بن المُغَلِّس الحِمّاني الكوفي: ضعيف. التقريب (٨٩٠).
ـ أبو إسحاق الحُمَيسي: خازم بن الحسين، نزيل الكوفة: ضعيف، التقريب (١٦١٤).
ـ يزيد بن أبان الرَّقاشي ـ بتخفيف القاف ـ أبو عمرو البصري: زاهد ضعيف. التقريب (٧٦٨٣).

(١) حديث صحيح. رواه ابن ماجه (١٩٩)، والنسائي في كتاب النعوت من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٩/٦١، وأحمد في المسند (١٧١٧٨)، والحاكم في المستدرك ١/٥٢٥ و ٢/٢٨٩، وابن حبان في صحيحه (٩٤٣).

(٢) التَّرْقُفِي: بفتح التاء، وضم القاف، نسبة إلى تَرْقُف بلدة من عمل واسط. وهو أبو محمد العباس بن عبد الله بن أبي عيسى الترقفي الباكسائي؛ انظر: الأنساب ١/٤٥٧، واللباب ١/٢١٢، ولب اللباب ١/١٦٩، ومعجم البلدان ٢/٢٣.

(٣) حديث حسن لغيره. رواه بإسناد المصنف ابن أبي عاصم في السنة (٢٢٤) و (٢٣٣). والآجريّ في الشريعة (٢١٧)، وفي إسناده: عليّ بن زيد ضعيف، وأم محمد، واسمها: أمية بنت عبد الله: مجهولة. ورواه أحمد في المسند ٦/٩١ من طريق الحسن عن عائشة. قال الألباني: «ورجال إسناده ثقات رجال مسلم، لولا أن الحسن وهو البصري مدلّس». انظر ظلال الجنة في تخريج السنة =

وفي هذا الباب عن أبي ذرّ وأم سلمة[1].

٢٣٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا محمد بن علي الدَّجَاجِيّ، قال: أنبأنا علي بن مَعروف، قال: حدثنا محمد بن الهيثم، قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، قال حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سفيان، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلُ القلبِ كمثلِ ريشة بأرضٍ فلاةٍ تُقلّبها الرِّياح»[2].

٢٣٧ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ، قال أنبأنا الحُسين بن أحمد بن طلحة، قال: أنبأنا أبو عُمر بن مَهدي، قال: حدثنا الحُسين بن إسماعيل المَحَامِلي، قال: حدثنا مخمد بن عَمرو، قال: حدثنا بَقِيّة، قال: حدثناالفَرَج بن فَضالة، قال حدثني سليمان بن سليم، عن يحيى بن جابر، عن المِقداد بن الأسود، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَقَلْبُ ابن آدم أسرعُ انقلاباً من القِدْر إذا استجمعت غلياناً»[3].

٢٣٨ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أنبأنا محمد بن الحُسين السّلمي قال: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن الفَضْل يقول: سمعت أحمد بن خِضْرَوَيه يقول: القلوب جَوَّالة، إمّا أن تَجُول حول العَرْش، وإمّا أن تجول حولَ الحُشّ[4].

= ١٠١/١.

والحديث من طريق جابر رواه الحاكم في المستدرك ٢٨٨/٢ ـ ٢٨٩.

(١) انظر مسند أحمد ٣١٥/٦، والآجري ص ٣١٦، وابن أبي عاصم (٢٢٣) و (٢٣٢).

(٢) لم أر الحديث من حديث أنس، وقد رواه غير واحد من حديث أبي موسى الأشعري، انظر ابن ماجه (٨٨) ٣٤/١، وأحمد في المسند ٤٠٨/٤ و ٤١٩، وابن أبي عاصم (٢٢٧ ـ ٢٢٨)، والبيهقي والطبراني كما ذكر المناوي في فيض القدير ٥٠٩/٥. وقال: «قال الصَّدْر المُناوي: سنده جيد، . . وقال الحافظ العراقي: وسنده حسن». وقال الألباني في صحيح الجامع (٥٨٣٣): «صحيح».

(٣) حديث صحيح. رواه أحمد في المسند ٤/٦، والحاكم في المستدرك ٢٨٩/٢ وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٦)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٣٣١ ـ ١٣٣٢)، وأبو نعيم في الحلية ١٧٥/١. من طرق عن المقداد به يصحّ بها. انظر صحيح الجامع (٥١٤٧) والصحيحة (١٧٧٢).
تنبيه: نقل المناوي في الفيض ٢٨١/٥ أن الذهبي لم يوافق الحاكم، وإنما قال: «فيه معاوية بن صالح لم يرو له البخاري».
قلت: الذي في المستدرك وتلخيصه ما ذكرناه سابقاً من الموافقة، حيث قال: على شرط البخاري. فلعل المُناوي نقل الكلام من موضع آخر اعترض فيه الذهبي على الحاكم بمعاوية بن صالح، فنقله هنا لاتّحاد الحُكم. والله أعلم.

(٤) ذكره الذهبي في السِّيَر ٤٨٨/١١.

البَابُ التَاسِعُ

فِي ذِكْرِ الوَاعِظِ مِنَ القَلْبِ

٢٣٩ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد الشَّيْباني، قال: أنبأنا الحَسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر القَطِيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الحَسن بن سَوار، قال: حدثنا ليث ـ يعني: ابن سعد ـ عن معاوية بن صالح، أنّ عبد الرحمن بن جُبير، حدّثه عن أبيه، عن النوّاس بن سَمعان، عن رسول الله ﷺ، قال: «ضَرَب الله مثلاً صِراطاً مستقيماً، وعلى جنبَتي الصّراط سُوران، فيهما أبواب مُفتّحة، وعلى الأبواب سُتور مُرْخَاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعاً ولا تُعَرِّجوا. وداعٍ يدعو من جَوْف الصراط، فَإذا أراد ـ يعني: العبدُ ـ أن يفتحَ شيئاً مِنْ تلك الأبواب، قال: ويحكَ لا تَفْتَحْهُ، فإنّك إن تفتحه تَلِجْه.

والصراط: الإسلام، والسُّوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الدّاعي على رأس الصراط: كتاب الله عزّ وجل، والدّاعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم»[(١)].

٢٤٠ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا ابن العَلّاف قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران قال: أنبأنا أبو العباس الكِندي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا عباس التَّرْقُفِي قال: حدثنا الفِرْيابي، عن الثّوري، عن ثَور بن يَزيد، عن خالد بن مَعْدَان[(٢)] قال: ما من عبدٍ إلاّ وله عينان في وجهه يُبصر بهما أمرَ الدنيا، وعينان في قلبه يُبصر بهما أمر الآخرة، فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح عينَيْه اللّتَيْن في قلبه، فأبصر بهما ما وعَد الله بالغيب. وإذا أراد الله به غيرَ

---

(١) حديث حسن. رواه الترمذي (٢٨٥٩) بمعناه، وأحمد في المسند (١٧١٨٢)، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٣ ـ ٧٤، وعزاه المناوي في الفيض ٤/ ٢٥٤ للطبراني.
قال الترمذي: حديث غريب، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علّة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٨٧).

(٢) هو خالد بن مَعْدان بن أبي كَرِب، الإمام، شيخ أهل الشام، أبو عبد الله الكلاعي الحمصيّ، محدّث معدود في أئمة الفقه، توفي رحمه الله سنة (١٠٣) هـ. انظر: السير ٤/ ٥٣٦ ـ ٥٤١، الحلية ٥/ ٢١٠، تذكرة الحفاظ ١/ ٨٧، البداية والنهاية ٩/ ٢٣٠، تهذيب التهذيب ٣/ ١١٨.

ذلك ترَكه على ما فيه. ثم قرأ: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد/ ٢٤] [١].

٢٤١ ـ وبالإسناد قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا عليّ بن الأعرابي، قال: قال أبو العَتاهية: لقيتُ أبا نوّاس في المسجد الجامِع فعَذَلْتُه[٢]، وقلت له: أما آن لك أن تَرْعَوِي؟! أما آن لك أن تزدجر؟! فرفع رأسه إليّ وهو يقول:

أتــرانــي يــا عتــاهِــي ... تــاركــاً تِلْــكَ المــلاهِــي
أتــرانــي مفســداً بــالنُّـ ... ـسْـكِ عنــدَ القَــوْم جــاهِــي!

قال: فلمّا أَلْحَحْت عليه في العَذْل أنشأ يقول:

لــن تَــرجِــعَ الأنفُــسُ عــن غَيِّهــا ... مــا لــم يكــنْ منهــا لهــا زاجــرُ

فَوَدِدْتُ أنّي قلتُ هذا البيت بكلِّ شيءٍ قلتُه!

* * *

(١) وهذا الأثر عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٢ لابن جرير، وابن المنذر، وفي آخره زيادة: وما من عبد إلاّ وله شيطان متبطن فقار ظهره لاوٍ عنقه على عنقه، فاغر فاهُ على قلبه.

(٢) أي: فلُمْته.

البَابُ العَاشِرُ

في الأَمْرِ بتَفْرِيغِ القَلْبِ مِنْ غَيْرِ مَحَبَّةِ الرَّبِّ(١)

٢٤٢ ـ أخبرنا عُمر بن ظَفر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي قال: حدثنا ابن جَهضم قال: حدثنا عبد السلام بن محمد قال: حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: حدثنا أحمد بن أبي الحَوارِيّ قال: سأل محمودٌ أبا سليمان ـ وأنا حاضر ـ: ما أقرب ما يُتقرب به إلى الله عزّ وجلّ؟ فبكى أبو سليمان! ثم قال: مثلي يُسأل عن هذا! أقربُ ما تَتقرب به إليه أن يطَّلِعَ على قلبِك وأنتَ لا تُريد من الدنيا والآخرة إلاّ هو!

٢٤٣ ـ وبالإسناد قال: حدثنا ابن جَهضم، قال: حدثنا المُفِيد، قال: حدثنا عبد الله بن سَهل، قال: سمعت يحيى بن معاذ(٢) يقول: النُّسُك هو العناية بالسرائر، وإخراج ما سوَى الله عزّ وجلّ من القلب.

٢٤٤ ـ وبه قال ابن جَهضم: وحدّثني أحمد بن علي، قال: حدثني عباس بن عبد الله الهاشِميّ، قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: ما من ساعة إلاّ والله عزّ وجل مطَّلع على قلوب العباد، فأيّ قلبٍ رأى فيه غيرَه سَلَّط عليه إبليس.

٢٤٥ ـ قال: وحدثنا عبد الجبار بن بشران، قال: سمعت سهلاً يقول: من نظرَ إلى الله عزّ وجل قريباً منه، بَعُدَ عن قلبه كلُّ شيء سوى الله عزّ وجلّ، ومن طلب مرضاته أرضاه الله عزّ وجلّ، ومَن أسلَم قلبُه تولّى اللّهُ عزّ وجلّ جوارِحَه.

٢٤٦ ـ قال: وحدثني عليّ بن محمد، قال: سمعت إبراهيم الخَوّاص يقول: قال لي محمد بن الفضل: ما خطوتُ أربعين سنة خطوةً لغير الله عزّ وجلّ، وأربعين سنة ما نظرتُ في شيءٍ أستحسنه، حياءً من الله عزّ وجلّ.

٢٤٧ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك بن

---

(١) قال ابن القيم في إغاثة اللهفان ١/ ٦٧: «الباب السادس: في أنه لا سعادة للقلب، ولا لذة، ولا نعيم، ولا صلاح، إلاّ بأن يكون إلهه وفاطره وحده هو معبوده وغاية مطلوبه، وأحبَّ إليه من كلّ ما سواه».
ثم شرع في شَرْح ذلك وتفصيله تفصيلاً تاماً، في بضع وعشرين صفحة، انظر ١٥/ ٦٧ ـ ٩٣ بتحقيقنا.

(٢) هو الواعظ يحيى بن مُعاذ الرازي، من كبار المشايخ، له كلام جيّد، ومواعظ مشهورة، توفي سنة (٢٥٨) هـ. انظر: السير ١٣/ ١٥، حلية الأولياء ١٠/ ٥١، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٠٨.

بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخَرائطي، قال: حدثنا أبو حفص النّسائي، قال: حدثني أحمد بن أبي الحَوارِيّ، قال: قال سَلَم الخَوّاص[1]: تركتموه، وأقبل بعضكم على بعض! لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب!

٢٤٨ ـ وبه قال: حدثنا الخرائطي، قال: حدثنا ابن الجُنيد، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، عن حكيم بن جعفر، قال: قال ضَيْغَم[2] لِكَلّاب: إن حُبَّهُ تعالى شغَل قلوبَ مُحبّيه عن التلذّذِ بمحبّة غيره، فليس لهم في الدنيا مع حبّه لذة تُداني محبّته، ولا يأملون في الآخرة مِنْ كَرامة الثوابِ أكبرَ عندهم مِنَ النظر إلى وجه محبوبهم. قال: فسقط كلّاب مغشيًّا عليه!

٢٤٩ ـ أخبرنا أحمد بن أحمد المُتَوَكِّلي قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد النيسابُوري قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَهْلُول قال: حدثنا أحمد بن عليّ بن أبي خميرة قال: سمعت سهل بن عبد الله يقول: حرامٌ على قلبٍ أن يشتمّ رائحةَ اليَقين وفيه سُكون إلى غير الله. وحرام على قلب أن يَدْخُله النورُ وفيه شيء مما يكره اللّهُ عزّ وجلّ.

٢٥٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الصُّورِيّ، قال: سمعت الحسنَ بن أحمد، قال: قال لي أبو بكر الهِلاَلي ـ وأشار إلى شجرة في منزله ـ فقال: هذه الشجرة ما نظرتُ إليها نظرةً فرجعَ طرفِي إليّ إلاّ بعقوبة أو توبيخٍ في سِرّي، يُقال لي: تكون بين أيدِينا وتنظر إلى سوانا!

٢٥١ ـ قرأت على أبي القاسم الحَريرِي، عن أبي طالب العُشَاري، قال: حدثنا مُبادر بن عُبيد الله الصّوفي، قال: سمعت أبا الأزهر عبد الواحد بن محمد الفارسي، قال: لقيتُ إبراهيم الجَبَلي بمكة بعد رُجوعه إلى وَطنه وتزوّجِه بابنة عمه، وكان قد قطع البادية حافياً، فحدّثني أنه لمّا رجع إلى بَلده وتزوّج شُغِفَ[3] بابنة عمّه شَغفاً شديداً، حتى ما كان يُفارقها لحظة. قال: فتفكرتُ ليلة في كَثْرَةِ مَيْلِي إليها وشَغفي بها، فقلت: ما يَحْسُن بي أن أرِدَ القيامةَ وفي قلبي هذه! فتطهرتُ وصليتُ ركعتين، وقلتُ: سيدي ردّ قلبي إلى ما هو أولَى! فلمّا كان من الغد أَخَذَتْها الحُمّى فتُوُفِّيَت يوم الثالث، ونَوَيْتُ الخروج حافياً من وقتي إلى مكة.

---

(١) هو سَلَم بن ميمون الخوّاص الرازي، زاهد متكلّم، سكن الرملة. وهو في عداد المتصوفة الكبار. بقي إلى ما بعد (٢١٣) هـ. انظر: السير ٨/ ١٧٩، والحلية ٨/ ٢٧٧، وميزان الاعتدال ٢/ ١٨٦.

(٢) هو ضَيْغم بن مالك الزاهد القدوة الربّاني، أبو بكر الراسبي البصري، قال عنه عبد الرحمن بن مهدي: ما رأيت مثل ضيغم في الصلاح والفضل. توفي سنة (١٨٠) هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢١.

(٣) الشَّغَاف ـ بالفتح ـ غِلاف القلْب وهو جِلدةٌ دونه، كالحجاب، يُقال: شَغَفه الحبّ أي: بلَغ شغافَه.

٢٥٢ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي قال: سمعت منصور بن عبد الله قال: سمعت محمد بن حامد يقول: سُئل أحمد بن خِضْرَويه: أي الأعمال أفضل؟ قال: رعاية السرِّ عن الالتفات إلى شيء سوَى الله.

٢٥٣ ـ قال السّلمي: وسمعت محمد بن عبد الله الرَّازي يقول: سمعت أبا محمد المُرْتَعِش يقول: سكون القلب إلى غير المولَى تعجيلُ عقوبة مِن الله في الدنيا.

٢٥٤ ـ أخبرنا ابن ظَفر، قال: أنبأنا السرّاج، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا ابن جَهضم، قال: حدثني عُمر بن يحيى النقّاش، قال: سُئِل الشِّبْلِي[1] عن قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ للمؤمِنين يَغُضُّوا من أبْصَارِهم﴾ [سورة النور/ ٣٠]، فقال: أبصارَ الرؤوس عمّا حرّم الله، وأبصارَ القلوب عمّا سِوَى الله عزّ وجلّ.

٢٥٥ ـ قال ابن جَهضم: وسمعتُ ابن سَمعون[2] يقول في مجلسه: ما سمعتَ قول رسول الله ﷺ: «إنّ الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال»؟[3] فإذا كان المَلَكُ لا يدخل بيتاً فيه صورة أو تمثال، فكَيف تدخل شواهدُ الحقِّ قلباً فيه أوصافُ غيرِه منَ البشر؟!

٢٥٦ ـ أخبرنا إبراهيم بن دينار الفَقيه، قال حدثنا محمد بن سعيد بن نَبْهَان، قال: أنبأنا الحُسين بن الحسن النَّعَالِي[4]، قال: أنبأنا أحمد بن نصر الذَّارع، قال: حدثني حَرْب، قال: حدثني منصور بن محمد، قال: قالت رُقَيّة العابِدة المَوْصِلِيّةَ: إنّي لأُحبّ رَبي حباً شديداً، فلو أَمَر بي إلى النّار لما وجدتُ للنار حرارةً مع حبّه! ولو أمرَ بي إلى الجنة لما وجدتُ للجنّة لذّةً مع حبّه، لأنّ حُبّه هو الغالب عليَّ!

---

(١) هو شيخ الطائفة، أبو بكر الشبلي البغدادي، قيل: اسمه دُلَف بن جَحْدر، وقيل غير ذلك، صحب الجنيد، وكان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشِّعر، وله ألفاظ وحِكم. توفي ببغداد سنة (٣٣٤) هـ. انظر: السير ١٥/ ٣٦٧، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩.

(٢) هو الواعظ الكبير، المحدّث، أبو الحسين محمد بن أحمد البغدادي شيخ زمانه ببغداد. ولد سنة (٣٠٠) هـ. وتوفي سنة (٣٨٧) هـ. انظر: السير ١٦/ ٥٠٥، تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٣، شذرات الذهب ٣/ ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٣) لم أجده بهذا اللفظ. وروى الطبراني في الكبير عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة تمثال، والمصوِّرون يُعذبون يوم القيامة... الحديث. ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ١٧٤ ثم قال: «قلت: في الصحيح بعضه ـ، ثم قال عن إسناد الطبراني: وفيه محمد بن أبي الرعيرعة، وهو ضعيف».
قلت: والحديث متفق عليه بألفاظ أخرى، ليس فيها ذكر التمثال. انظر صحيح البخاري (٣٢٢٥ و ٣٣٢٢ و ٤٠٠٢) وصحيح مسلم (٢١٠٤ ـ ٢١٠٦).

(٤) النَّعالي: نسبة إلى بيع النِّعال. انظر: الأنساب ٥/ ٥٠٨، واللباب ٣/ ٣١٦، ولب اللباب ٢/ ٢٩٩.

٢٥٧ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري، قال: أنبأنا علي بن محمود الزَّوْزَني[١]، قال: أنبأنا أبو طالب أحمد بن علي الفَامِي، قال: أنبأنا علي بن المثنى، قال: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت محمد بن حسان ـ أو ابن أبي حسان ـ يقول: كنت مارًّا في البادية فإذا أنا براهب قد أحرقَتْه السَّموم والرِّياح. فقلت له: عظني. فقال لي: احذر فإنّه غيور لا يُحِبّ أن يَرى في قلبِ عبده أحداً سواه.

٢٥٨ ـ أنبأنا ابن ناصر قال: أنبأنا محمد بن الحسن البَاقِلّاني قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسِطي قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأَزْدي قال: حدثني محمد بن عُبيد الله قال: حدثنا أحمد بن الحُسين قال: حدثنا محمد بن سعيد التَّميمي العابد قال: رأيتُ فتًى في بعض سواحِل الشّام، فقلت: يا فتى منذ كم أنت ها هنا؟ قال: لا أدري. فقلت: ولِمَ؟ قال: لأنّه قَبيح بمن يُحبّ أن يُحصِيَ الأوقات على من يحبّه! ثم أنشدني:

إذا فَـرَّقَـتْ بيـن المُحبِّيـن سَلْـوةٌ ... فحبُّـك لـي حتّـى الممـات قَـريـنُ
سـأُصْفِيـكَ وُدِّي مـا حَيِيْـتُ فـإن أمُـتْ ... بِـوُدِّك عَظْمِـي فـي التـراب دَفِيـنُ

٢٥٩ ـ بلغني عن بعض الأشراف أنّه اجتاز بمقبرة، فإذا جارية حسناء عليها ثياب سوداء فعلِقت بقلبه، فكتب إليها:

قـد كنـتُ أَحسِـب أنّ الشمـسَ واحـدةٌ ... والبـدرَ فـي منظرٍ بـالحُسْـن مـوصـوفُ
حتـى رأيتُـكِ فـي أثـوابِ ثـاكِلـةٍ ... سُودٍ وصُدْغك فوقَ الخدِّ معطوفُ[٢]
فـرُحْـتُ والقلـبُ منّـي هـائـمٌ دَنِـفٌ ... والكِبْـدُ حـرَّى ودمـعُ العيـن مـذْروفُ[٣]
رُدّي الجـوابَ ففيـه الشكـرُ واغتنمـي ... وصـلَ المُحِـبِّ الـذي بـالحُـبِّ موقـوفُ

ورمى بالرقعة إليها؛ فلما قرأتها كتبت الجواب:

إن كنـتَ ذا حَسَـبٍ بـاقٍ وذا نسـبٍ ... إنّ الشـريـف غَضِيـضُ الطَّـرْفِ معـروفُ
إنّ الـزّنـاة أُنـاسٌ لا خَـلاقَ لهُـم ... فـاعلـم بـأنّـك يـومَ الـدِّيـن مـوقـوفُ
واقطـع رَجَـاكَ لَحَـاكَ اللّـهُ مـن رجـلٍ ... فـإنّ قلبـي عـن الفَحشـاء مصـروفُ[٤]

---

(١) نسبة إلى زَوْزَن، بلدة بين هَراة ونيسابور. وعلي بن محمود هو ابن إبراهيم بن ماخرة الزوزني الصوفي. انظر: الأنساب ٣/ ١٧٥ ـ ١٧٦، واللباب ٢/ ٨٠، ولب اللباب ١/ ٣٨٦.

(٢) ثاكلة: الثكل: فِقدان المرأة ولدها. الصُّدْغ: ما بين العَين والأذن. ويُسمَّى أيضاً الشَّعْرُ المُتَدَلّي عليه: صُدْغاً.

(٣) دنِف: مريض. حرّى: أي حامية.

(٤) لحاك، تقول: لحى الرجلَ: أي لامَه.

فلمّا قرأ الرّقعة زَجر نفسه وقال: لبئس، امرأة تكون أشجع منك! ثم تاب ولبس مِدْرعة[1] مِن شَعر[2]، والتجأ إلى الحَرَم.

فبينا هو في الطواف يوماً إذا بجارية عليها جبّة من صوف، وإذا هي تلك الجارية. فقالت: ما ألْيَق هذا بالشريف! هل لك في المُباح؟

فقال: كنت أروم هذا قبل أن أعرف الحقّ وأحبَّه، والآن فقد شغلني حبُّه عن حبِّ غيره.

فقالت له: أحسنت والله! ما قلتُ لك هذا إلاّ لاختبارك، لأعلم حدّ ما انتهيت إليه. ثم طافت، وأنشدت:

وَطُفْنَا فلاحَتْ في الطّوافِ لوائحٌ ... غَنِينَا بها عما يُشَاهَدُ بالعقل

* * *

(١) المِدْرَعَة: الجبّة.
(٢) أي: من صوف.

البابُ الحادِي عَشَر

في الأَمْرِ بِغَضِّ البَصَرِ

اعلم وفّقك الله، أنَّ البصرَ صاحبُ خبرِ القلب ينقل إليه أخبار المُبْصَرَات، وينقشُ فيه صورها فيَجُول فيها الفِكر، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة.

ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوَى في القلب، أَمَرَكَ الشرعُ بغضّ البصر عمّا يُخاف عواقبه، فإذا تعرَّضْتَ بالتّخليط وقد أُمِرْتَ بالحِمْيَة فوقَعْتَ إذاً في أذَى فلِمَ تضجُّ مِنْ أليم الألم![1]

قال الله عزّ وجل: ﴿قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم﴾ [النور/ ٣٠]، ﴿وَقُلْ للمؤمِنَاتَ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبصَارِهِنَّ﴾ [النور/ ٣١]. ثم أشار إلى مُسبِّب هذا السبب، ونبّه على ما يؤول إليه هذا الشر بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فروجهم﴾ [النور/ ٣٠]، ﴿ويَحفظن فروجهن﴾ [النور/ ٣١].

٢٦٠ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا هُشيم، قال: أنبأنا يُونس، عن عَمرو بن سعيد، عن أبي زُرْعَة بن عَمرو، عن جَرِير بن عبد الله، قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فقال: «اصرف بصرَك»[2].

انفرد بإخراجه مسلم، فرواه عن قتيبة عن يزيد بن زريع، عن يونس وهو ابن عُبيد.

٢٦١ ـ أخبرنا أبو نصر الطُّوسي، وأبو القاسم السَّمَرْقَنْدِي، وأبو عبد الله ابن البنّا، وأبو الفضل ابن العالِمَة، وأبو الحسن الخيّاط، قالوا: أنبأنا ابن النّقور، قال: أنبأنا ابن حَبابة:

وأخبرنا إسماعيل بن أحمد، وعبد الوهاب بن المبارك، ويحيى بن علي، قالوا: أنبأنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، قال: حدثنا عمر بن إبراهيم الكِناني:

---

(١) عقد الإمام ابن القيم باباً في أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه، وذلك في كتابه «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» ص ١٠٩ ـ ١٢١ طبع دار الكتاب العربي.

(٢) رواه الإمام مسلم (٢١٥٩)، وأبو داود (٢١٤٨)، والترمذي (٢٧٧٦)، والنسائي في كتاب عشرة النساء من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٢/ ٤٣٤، والدارمي (٢٦٤٣)، وأحمد في المسند (١٨٦٧٩ ـ ١٨٧١٥)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٦٧٢)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٦، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/ ٩٠ وفي شعب الإيمان ٤/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٣٨٤، وابن حبان في صحيحه (٥٥٧١).

قالا: أنبأنا البَغوي، قال: حدثنا طالُوتُ بن عبّاد، قال: حدثنا فَضال بن جُبير، قال: سمعت أبا أُمَامَةَ البَاهِلِي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اكفَلُوا لي بستّ أَكفلْ لكم بالجنة: إذا حدّث أحدكم فلا يكذب، وإذا اؤتمن فلا يَخُنْ، وإذا وَعَد فلا يُخْلِف، غُضُّوا أبصارَكم، وكفّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»(١).

٢٦٢ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا حُسين بن محمد، قال: حدثنا حَرْب، عن أيوب، عن الحكم بن عُتَيبة، عن ابن عباس، عن أخيه الفضل، قال: كنتُ رَدِيف(٢) رسولِ الله ﷺ من جَمْع(٣) إلى مِنى، فبينما هو يسير إذ عَرَض له أعرابي مُرْدِفٌ ابنةً له جميلة، وكان يُسايِرُه، قال: فكنتُ أنظر إليها، فنظر إليَّ النبيّ ﷺ فقَلَبَ وَجهي عن وجهها، ثم أَعَدْتُ النظر، فقلب وجهِي عن وجهِها، حتى فعل ذلك ثلاثاً(٤).

٢٦٣ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر الشّيْرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي، قال: أنبأنا عبد الواحد بن بكر الوَرَثَاني، قال: حدثنا أبو الأزهر المَيّافَارِقِيني، قال: سمعت فتح بن شَخْرَف يقول: قال لي عبد الله بن خبيق: يا خراساني، إنّما هي أربع لا غير: عينُك، ولسانُك، وقلبُك، وهواك. فانظر عينك لا تنظر بها إلى ما لا يحلّ، وانظر لسانك لا تقلْ به شيئاً يعلمُ الله خلافَه من قلبك، وانظر قلبك لا يكون فيه غِلٌّ ولا حقدٌ على

---

(١) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٩٥ بلفظ: اكفُلوا لي ستّ خصال أكفُل لكم الجنة: الصلاة، والزكاة، والأمانة، والفَرْج، والبطن، واللسان. وعزاه للطبراني في الأوسط. وكذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٩٣، وزاد المناوي في فيض القدير ٢/ ٩٥ وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٠١ نسبه له في المعجم الصغير.
قال الهيثمي في المجمع ١/ ٢٩٣ بعدما عزاه للطبراني: «وقال: لا يروى عن أبي هريرة إلاّ بهذا الإسناد، قلت ـ أي الهيثمي ـ: وإسناده حسن». بينما قال في المجمع ١٠/ ٣٠١: «وفيه يحيى بن حمّاد الطائي، ولم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقات». ونقل المناوي عن المنذري قوله: إسناده لا بأس به. قال الألباني في صحيح الجامع (١٣٢٥): «حسن».

(٢) الرَّدِيف: هو الذي يركب خلف الرّاكب.

(٣) أي: مزدلفة.

(٤) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند ١/ ٢١١. قال الألباني في جلباب المرأة المسلمة ص ٦٢: «ورجاله ثقات، لكنه منقطع إنْ كان الحكم بن عتيبة لم يسمعه من ابن عباس».
والحديث متفق عليه من حديث ابن عباس، بلفظ: كان الفضل رَديفَ رسول الله ﷺ، فجاءت امرأةٌ من خَثْعَم، فجعل الفضلُ ينظر إليها وتنظرُ إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشِّقّ الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحجِّ أدركتْ أبي شيخاً كبيراً لا يثبُتُ على الراحلة، أفأحُجُّ عنهُ؟ قال: «نعم» وذلك في حجّةِ الوداع. انظر صحيح البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤).

أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تَهْوَ شيئاً من الشر. فإذا لم يكن فيك هذه الأربع خصال فاجعل الرّماد على رأسك، فقد شقيت!

٢٦٤ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن حنبل، قال: حدثنا هارون بن عبد الله، قال: حدثنا سيّار، قال: حدثنا جعفر، قال: حدثنا مالك بن دينار، قال: قال داود نبيّ الله عليه السلام: معاشرَ الأتقياء، تعالَوْا أعلِّمكم خشيةَ الله عزّ وجلّ، أيّما عبد منكم أحب أن يحيا ويرَى الأعمال الصالحة، فليحفظ عينيه أن تنظر إلى السوء، ولسانَه أن ينطق بالإفك، عينُ الله إلى الصِّدِّيقِيْن وهو سميع لهم.

٢٦٥ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر الشّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرّازي يقول: سمعت أبا العباس الفَرْغَاني يقول: سمعت الجُنيد يقول، سمعت السّرِي يقول، سمعت معروفاً الكَرْخِي يقول: غُضّوا أبصاركم ولو عن شاةٍ أنثى!

٢٦٦ ـ أخبرنا المُحَمّدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن الحُسين الأنصاري، قال: حدثنا أبو عصمة، قال: كنتُ عند ذي النون وبَين يدَيْه فتًى حسن يُملي عليه شيئاً، فمرّت امرأة ذاتَ حُسْن وجمال وخَلْق، فجعل الفتى يُسارق النظر إليها، ففطِن ذو النّون فلوَى عنقَ الفتى، وأنشأ يقول:

دَعِ المَصُوغَاتِ مِن ماء ومِنْ طِينِ ... واشغل هَواك بِحُوْرٍ خُرَّدٍ عِينِ[1]

٢٦٧ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا الخُلْدِيّ، قال: سمعت الجُنيد يقول: اصرف همّك إلى الله تعالى، وإياك أنْ تنظر بالعين التي بها تشاهِدُ الله عزّ وجل إلى غير الله عزّ وجل، فتسقط من عين الله عزّ وجل.

٢٦٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن علي الخيّاط، قال: أنبأنا ابن أبي الفَوَارس، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن مسلم، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا أبو بكر المَروزي، قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: رجل تاب وقال: لو ضُرِب ظهري بالسياط ما دخلت في معصية الله، إلا أنّه لا يَدع النَّظر؟! فقال: أيّ توبة هذه!.

٢٦٩ ـ قال جَرير: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجاءة، فقال: «اصرف بصرك»[2].

---

(١) تقول: خَرِدت الجارية: إذا طال سكوتها أو قلّ كلامها، وعِين: أي واسعة العَيْن.
(٢) تقدم تخريجه، في الفقرة (٢٦٠).

البابُ الثَّانِي عَشَرَ

في ذمِّ فُضولِ النَّظَرِ

٢٧٠ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق، قال: حدثنا حمّاد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن سلمة، عن أبي الطُّفَيل، عن عليّ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تُتبع النَّظْرةَ النظرة، فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة»(١).

٢٧١ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، وعبد الله بن محمد الحاكم، ويحيى بن علي المُدَبِّر، قالوا: أنبأنا ابن النّقور، قال: حدثنا ابن حُبابة، قال: حدثنا البَغوي، قال: حدثنا هُدْبة، قال: حدثنا حمّاد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي، عن سلمة بن أبي الطُّفيل، عن عليّ عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا علي، إنّ لك في الجنة كنزاً، وإنَّك ذو قَرْنَيْها فلا تُتبعِ النّظرةَ النظرة، فإنّ لك الأولى وليست لك الآخرة»(٢).

---

(١) حديث حسن بشواهده. رواه الدارمي (٢٧٠٩)، وأحمد في المسند (١٣٦٩).
وفي إسناده ابن إسحاق: صدوق مُدَلّس، وقد عنعنه، لكن يشهد له حديث بريدة الآتي برقم (٢٧٢).
* قال ابن القيم في روضة المحبّين ص ١١٢ ـ ١١٣: «ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يَتَعَمّدْه القلبُ لا يُعاقَب عليه، فإذا نظر الثانية تعمّداً أَثِم، فأمره النبيّ ﷺ عند نَظْرة الفجأة أن يصرف بَصَره، ولا يستديم النظر، فإن استدامته كتكريره».
* وقال الحافظ ابن حبيب العامري في كتابه (أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الآفات) ص ٤٥: «هذا خطابه لعليّ رضي الله عنه مع عِلمه بكمال زهده وورعه وعفّة باطنه وصيانة ظاهره يُحذّره من النظر، ويؤمنه من الخطر، لئلا يدّعي الأمن كل بطال، ويغتر بالعصمة والأمن من الفتنة، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».

(٢) رواه أحمد في المسند (١٣٧٣)، والحاكم في المستدرك ٣/١٢٣، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وابن حبان في صحيحه (٥٥٧٠). وفي إسناده محمد بن إسحاق، تقدم الكلام عليه، ويشهد لقوله: لا تتبع النظرة... حديث بريدة الآتي. وانظر مجمع الزوائد ٨/٦٣.

سَلَمة يَرْوِي عن عليّ أيضاً.

٢٧٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكِي، قال: حدثنا أبو بكر بن بَخِيت، قال: حدثنا أبو جعفر بن ذريح، قال: حدثنا هنّاد، قال: حدثنا وكيع، عن شريك، عن أبي ربيعة، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتبع النَّظْرةَ النظرة، فإنّما لك الأولى وليست لك الآخرة»[1].

٢٧٣ ـ أخبرنا ابن ناصر وعُمر بن ظفر، قالا: أنبأنا محمد بن الحُسين البَاقِلّاوِي قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الوَاسِطي قال: أنبأنا أبو نصر أحمد بن محمد النِّيَازِكي[2] قال: أنبأنا أبو الخير أحمد بن محمد البَزّاز قال: حدثنا البُخاري قال: حدثنا علي بن الأَجْلَح، عن عبد الله بن أبي الهُذَيْل قال: دخل عبد الله بن مسعود علَى مريض يعُوده، ومعه قومٌ، وفي البيت امرأة، فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة، فقال عبد الله: لِو انفقَأَتْ عينُك كان خيراً لك!

٢٧٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا أبو علي التّميمي، قال: أنبأنا ابن حَمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبو موسى الأنصاري، قال: حدثنا عُبادة بن كُلَيب، قال: قال رجل لداود الطّائي: لو أمرتَ بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فنُظِّف؟! فقال له: أما علمتَ أنه كان يُكره فضول النظر! ثم قال داود الطائي: نُبِّئتُ أنّ مجاهداً كانت في داره عُلِّيَّة ثلاثين سنة لم يشعر بها.

٢٧٥ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكِي، قال: أنبأنا أبو الحُسين الزَّيْنَبِيّ، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني بعض الرّواة، عن المَدائِني، عن أشياخه قال: طلب داودَ بن عبد الله بعضُ أمراءِ

---

(١) حديث حسن بما قبله. رواه أبو داود (٢١٤٩)، والترمذي (٢٧٧٧)، وأحمد في المسند (٢٢٤٦٥، ٢٢٥١٢)، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٩٥. والبيهقي في سننه الكبرى ٧/ ٩٠ وفي شعب الإيمان ٤/ ٣٦٤.
قال الترمذي: «حديث حسن غريب، لا نعرفه إلاّ من حديث شريك». وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.
قلت: في إسناده شريك، وهو ابن عبد الله القاضي: صدوق يخطىء كثيراً تغيّر حفظه منذ ولي القضاء. كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب (٢٧٨٧). لكن إذا ضممنا هذه الرواية إلى حديث عليّ ارتقى الحديث إلى الحسن لغيره. كما تقرّر عند علماء الحديث.

(٢) النِّيَازِكيّ: بكسر النون وفتح الياء المثناة التحتية، نسبة إلى نِيَازَى، قرية بين كسّ ونَسَف، ويقال في النسب إليها ـ أيضاً ـ: نِيَازِيّ، ونِيَازَوي، ونِيَازَجيّ. انظر: الأنساب ٥/ ٥٤٨، واللباب ٣/ ٣٣٩، ولب اللباب ٢/ ٣٠٩، ومعجم البلدان ٥/ ٣٢٩.

البصرة، فلجأ إلى رجلٍ من أصحابه، وكان منزله أقصى البصرة، وكان الرجلُ غيوراً، فأنزلَه منزله، وكانت له امرأة يقال لها: زرقاء، وكانت جميلة، فخرج الرّجل في حاجةٍ وأوصاها أنْ تُلْطِفَه وتَخْدُمَه، فلمّا قدِم الرجل قال له: كيف رأيت الزرقاء، وكيف كان لُطْفُها بك؟ قال: مَنِ الزّرقاء؟ قال: أمّ منزلك. قال: ما أدري أزرقاء هي أم كحلاء!

فأتاها زوجها فتناولها وقال: أوصيتك بداود أن تُلْطِفيه وتَخْدُمِيه فلم تفعلي؟!

قالت: أوصيتني برجل أعمى! والله ما رفع طَرْفَه إليّ!

٢٧٦ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقي(١)، قال: حدثني عبد الله بن عيسىَ، قال: حدثني محمد بن عبد الله الزَّرَّاد قال: خرَج حسّان إلى العيد، فقيل له لما رجع: يا أبا عبد الله، ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه!. قال: ما تلقتني امرأةٌ حتى رجعتُ!

٢٧٧ ـ قال الدَّوْرَقيّ: وحدثني غسان بن المفضّل، قال: حدثنا شيخ لنا ـ يقال له: أبو حكيم ـ، قال: خرج حسّان بن أبي سِنان يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم من امرأة حَسَنَةٍ قد نظرتَ اليوم؟ فلما أكثرتْ قال: ويحكِ! ما نظرتُ إلاّ في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعتُ إليك!

٢٧٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجَوْهَري، قال: أنبأنا ابن حيّويه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان إذناً، قال: أخبرني الحسن بن عليل العَنَزِيّ، عن أبي جابر الضبِّي، قال: قَدِمَتْ بنو كِلاب البصرة، فأتيتُهم، فإذا عجوز معها صبيَّةٌ لم أرَ أجملَ منها، وأنا إذ ذاك غلام، فجعلتُ أُديم النظرَ إليها، وفَطِنَت العجوز لنظري فقالت لي: يا بنيّ ما أحوجك إلى ما يكفّ بصرك! أما سمعت قول الشاعر:

ومن يتّبِعْ عينيه في النّاسِ لا يزلْ يرى حاجةً ممنوعةً لا ينالُها

قال: فانصرفتُ واللّهِ لم أَحِرْ جواباً وفي قلبي مثلُ النّار.

٢٧٩ ـ وعن سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء/ ٢٨]، قال: المرأة تمرّ بالرجل، فلا يملِكُ نفسَه عن النظر إليها، ولا ينتفعُ بها، فأيّ شيء أضعف من هذا(٢) ؟!

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن كثير الحافظ الإمام المجوِّد المصنِّف، أبو عبد الله العبدي. والدَّوْرَقي نسبة إلى بيع القلانِس الدَّوْرَقِيَّة. توفي في شعبان سنة (٢٤٦) هـ وله ثمانون سنة. انظر: السير ١٢/ ١٣٠، وتاريخ بغداد ٤/ ٦، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٠٥، وتهذيب التهذيب ١/ ١٠.

(٢) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٦٠: «وفي المراد بضعف الإنسان ثلاثة أقوال: =

٢٨٠ ـ وأنشد مسكين الدَّارِمي:

مــا ضُـــرَّ لـــي جـــارٌ أجــاوره ... أنْ لا يكـــون لِبَـــابِـــهِ سِتْـــرُ
أَعْمَـى إذا مـا جـارَتـي خَـرَجَـتْ ... حتـى يُـوارِي جـارتـي الخِـدْرُ
وتصِـــمُّ عمّـــا بينهـــم أُذُنـــي ... حتـــى يصيـــرَ كـــأنّـــه وَقْـــرُ

٢٨١ ـ وكان في عصرنا أبو الحَسن بن أحمد بن جحشويه الحربي، لا يمشي إلاّ وعلى رأسه طَرْحة، ليكفّ بذلك بصرَه عن الانطلاق.

٢٨٢ ـ ودخل دار أختٍ له فرأى لآلِجَةَ امرأة، فقال: نَحُّوا تلك اللآلِجَة، كي لا أنظر إليها.

* * *

= أحدها: أنه الضعف في أصل الخلقة، قال الحسن: هو أنه خُلِق من ماء مَهِين.
والثاني: أنه قلّة الصبر عن النساء، قاله طاووس ومقاتل.
والثالث: أنه ضعف العَزْم عن قهر الهوى. وهذا قول الزجّاج وابن كيسان».

البابُ الثّالثَ عَشَر

في التَّحْذِيرِ مِنْ شرِّ النَّظَرِ

٢٨٣ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «العينان تزنيان وزناهما النظر»[١].

أخرجه البخاري، ومسلم جميعاً من حديث ابن عباس عن أبي هريرة[٢].

٢٨٤ ـ أخبرنا هبة الله بن الحُصَين، قال: أنبأنا الحَسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا مروان بن معاوية الفزَاري، قال: أنبأنا ثابت بن عُمارة الحَنَفِيّ، عن غُنَيْم بن قيس، عن الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ عينٍ زانية»[٣].

٢٨٥ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا علي بن أبي علي القاضي، قال: أنبأنا علي بن حسّان، قال: حدثنا مُطَيَّن، قال: حدثنا محمد بن الحارث الحَرّاني، قال: حدثنا محمد بن سَلَمة، عن الفَزَاري، عن أبي شعبة أو شَيْبة، عن النّعمان بن سعد، عن عليّ عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، اتق النظرة بعد النظرة، فإنها سهم مسمومٌ يُورث الشهوة في القلب»[٤].

---

(١) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند (٨٣٢١).

(٢) والحديث متفق عليه بلفظ: إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر... الحديث، رواه البخاري (٦٢٤٣) و (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢)، وأحمد في المسند (٧٦٦٢، ٨٣٣٤، ٨٣٩٢، ٨٦٢٦، ٩٠٧٦، ٩٢٧٩، ١٠٤٤٨، ١٠٥٢٨، ١٠٥٣٧، ٢٧٤٣٠).

(٣) حديث حسن. رواه الترمذي (٢٧٨٦)، والدارمي (٢٦٤٦)، وأحمد في المسند (١٩٠١٩ ـ ١٩١٤٩ ـ ١٩٢٤٩).
قلت: في إسناده: ثابت بن عمارة: صدوق فيه لين، وبقية رجاله ثقات.

(٤) حديث ضعيف، فيه:
ـ أبو شيبة: عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي، قال عنه في الميزان ٥٤٨/٢: «صاحب النعمان بن =

٢٨٦ ـ أخبرنا أحمد بن مبارك، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الخلّال، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد التمّار، قال: حدثنا عبد الله بن علي الخلّال، قال: حدثنا أبو بكر القُرَشِي، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الله الرّقّي، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الرحمن القُرشي، عن خُصَيْف، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «نظرُ الرجلِ إلى محاسن المرأةِ سَهْمٌ مسموم من سهام إبليس»(١).

٢٨٧ ـ أخبرنا أحمد، قال: أنبأنا المبارك، قال: أنبأنا الخلّال، قال: حدثنا عبد الواحد بن محمد الفارسيّ، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد المِصْرِي، قال: حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، قال: كان عيسى بن مريم يقول: النظر يزرعُ في القلب الشهوةَ، وكفَى بها خطيئة.

٢٨٨ ـ أنبأنا عبد الوهاب الحافِظ، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: حدثنا أبو الحسن العَتِيْقي(٢)، قال: أنبأنا عُمر بن عَمْرو بن المشاب، قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفَامِي، قال: حدثنا محمد بن حبيب البزّاز، قال: حدثنا الفضل بن موسى البصري، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرَّمادي، عن سفيان قال: قال عيسى بن مريم: إياكم والنَّظْرة، فإنّها تزرع في القلب الشهوة، وكفَى بها لصاحبها فتنة.

٢٨٩ ـ قال سفيان: وكان الربيع بن خُثَيْمٍ(٣) يغضّ بصرَه، فمرَّ به نسوة، فأَطْرَقَ حتى ظَنَّ النسوةُ أنّه أعمَى، فتعوَّذْنَ بالله من العمَى!

= سعد: ضعّفوه. قال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل عنه، فقال: ليس بشيء، منكر الحديث. . .، وروى عبد الله عن أبيه: . . له مناكير، وليس هو في الحديث بذاك. وعن يحيى بن معين: ضعيف. وقال مرة: متروك، وقال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي وغيره: ضعيف». وقال عنه ابن حجر في التقريب (٣٧٩٩): «ضعيف».

ـ النعمان بن سعد الأنصاري الكوفي. قال في الميزان ٤/ ٢٦٥: «أحد الضعفاء». وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (٧١٥٦): «مقبول»، أي: إذا تُوبع، وإلاّ فليّن الحديث، ولم يُتابع.

(١) حديث واهٍ بمرة إن لم يكن موضوعاً، فيه:

ـ عبد العزيز بن عبد الرحمٰن البالسي الجزري القُرشي، اتهمه الإمام أحمد، وضرب على حديثه. وقال ابن حبان: لا يَحِل الاحتجاج به بحال، وقال النسائي وغيره: ليس بثقة. ميزان الاعتدال ٢/ ٦٣١.

ـ خُصيف بن عبد الرحمٰن الجزري، قال عنه في التقريب (١٧١٨): «صدوق سيّء الحفظ، خلط بأخرة ورمي بالإرجاء».

(٢) العَتِيقي ـ بفتح فكسر ـ نسبة إلى جَدّ. وأبو الحسن هو أحمد بن محمد بن أحمد العَتيقي. انظر: الأنساب ٤/ ١٥٦، ولب اللباب ٢/ ١٠٧.

(٣) هو الربيع بن خُثَيم بن عائذ الثوري الكوفي، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد، أحد الأعلام، أدرك زمان النبيّ ﷺ وأرسل عنه، وكان يُعَدّ من عقلاء الرجال، توفي قبل سنة (٦٥) هـ. انظر: السير ٤/ ٢٥٨، والحلية ٢/ ١٠٥، وتذكرة الحفاظ ١/ ٥٤، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٧، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٤٢.

٢٩٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكِي، قال: أنبأنا أبو بكر بن بَخِيت، قال: حدثنا محمد بن صالح، قال: حدثنا هنّاد، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن محمد بن عبد الرحمن بن يَزِيد، عن أبي الأَحْوص، قال: قال عبد الله: ما كان من نظرة فإن للشيطان فيها مطمعاً.

٢٩١ ـ قال هناد: وحدّثنا وكيع، عن أَبَان بن صَمْعَة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الشيطان من الرجل في ثلاثة مَنَازِل: في بصره وقلبه وذَكَرِه، وهو من المرأة في ثلاثة مَنَازِل: في بصرها وقلبها وعَجُزها.

٢٩٢ ـ قال هناد: وحدّثنا جرير، عن منصور، قال: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ [غافر/ ١٩]، قال: الرجل يكون في القوم فتمرّ بهم المرأةُ، فيُرِيهم أنّه يغضّ بصرَه عنها، فإنْ رأىَ منهم غفلة نظر إليها، فإنْ خاف أن يَفْطِنوا إليه غضّ بصره، وقد اطَّلع الله عزّ وجلّ من قلبه أنّه يَوَدُّ أنّه نظرَ إلى عَوْرَتها!(١)

٢٩٣ ـ قال هنّاد: وحدثنا وكيع، عن سفيان، عن لَيْث، عن عطاء، قال: كلّ نظرة يهواها القلبُ فلا خير فيها.

٢٩٤ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو حامد بن حَبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا الفَضْل بن سهل، قال: حدثنا محمد بن سابِق، قال: حدثنا مالك بن مِغْول، قال: سمعت سعيد بن سِنان، قال: قال عَمْرو بن مُرَّة(٢): ما أحبّ أنّي بَصيرٌ! إنّي أذكر أنّي نظرتُ نظرةً وأنا شابّ.(٣)

٢٩٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا ابن يوسف، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: بلغنا أنّ سليمان قال لابنه: يا بنيّ، امشِ وراءَ الأسدِ والأَسْوَدِ(٤)، ولا تمشِ وراء امرأة.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/٦٥٣ لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) هو عَمرو بن مُرّة بن عبد الله المرادي، الإمام القدوة الحافظ، أبو عبد الله، أحد الأئمة الأعلام، كُفَّ بصره وهو شاب. توفي سنة (١١٦) هـ وقيل: (١١٨) هـ. انظر: السير ٥/١٩٦، وتاريخ الإسلام ٤٣٥، وتهذيب التهذيب ٨/١٠٢، وشذرات الذهب ١/١٥٢.

(٣) قال في تاريخ الإسلام ص ٤٣٦: روى أبو سنان، عن عمرو بن مرة قال: نظرت إلى امرأة فأعجبتني، فكفَّ بصري، فأنا أرجو.

(٤) الأسود: الحيّة العظيمة.

٢٩٦ ـ أخبرنا إبراهيم بن دِينار، قال: أنبأنا ابن نبهان، قال: أنبأنا ابن دُوما، قال: أنبأنا أحمد بن نصر الذّارع، قال: حدثنا الحُسين بن علي المؤدِّب، قال: حدثنا محمد بن بَشّار، قال: حدثنا أبو بكر الحَنَفِي، قال: حدّثنا عُبيد الله بن العِيزار، قال: قال الحسن: من أطلق طَرْفه طال أَسَفُهُ.

٢٩٧ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا مُعتمر، عن إسحاق بن سُوَيد، عن العلاء بن زياد(١)، قال: لا تُتبع بصرَكَ رِداءَ امرأةٍ، فإنّ النّظرةَ تجعلُ في القلب شهوة.

٢٩٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا ابن يوسف، قال: أنبأنا أبو بكر الحَنَّاط، قال: أنبأنا أبو الفَتْح بن أبي الفَوَارس، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر الختلي(٢)، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا المَرْوزِي، قال: قلت لأبي عبد الله(٣): الرجل ينظر إلى المملوكة؟ قال: إذا خاف الفتنة لا ينظر، كم نظرة قد أَلْقَت في قلبِ صاحبها البَلابِل(٤)!

٢٩٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو عبد الله الصُّوري، قال: أخبرني أبو الفضل الحسن بن أحمد القاضي، قال: حدثنا أحمد بن عطاء الرُّوْذبَاري، قال: حدثنا عُبيد بن محمد المُقْرِي، قال: قال محمد بن يعقوب: قال ذو النون(٥): اللّحَظات تُورث الحسَرات، أوّلها أسفٌ، وآخرها تَلَفٌ، فمن تَابَع طرْفَه تابع حتْفَه.

٣٠٠ ـ أخبرنا إبراهيم بن دينار، قال: أنبأنا ابن نَبْهان، قال: أنبأنا الحُسين بن الحسن بن دُوما، قال: أنبأنا الذّارع، قال: حدثنا سَعِيد بن معاذ، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: قال بعض الحكماء: أول العشق النظر، وأول الحريق الشرر.

---

(١) هو العلاء بن زياد بن مطر بن شريح، العدويّ البصري، القدوة العابد، أبو نصر، أرسل عن النبيّ ﷺ، وكان ربّانياً تقيّاً قانتاً لله، بكّاءً من خشية الله، توفي سنة (٩٤) هـ. انظر: السير ٤/٢٠٢، والحلية ٢/٢٤٢، وتاريخ الإسلام ٤/٤١، والبداية والنهاية ٩/٢٦، وتهذيب التهذيب ٨/١٨١.

(٢) الخُتُلِّي: نسبة إلى الخُتُلّ قرية بطريق خراسان. والخَتْلي: نسبة إلى خَتْلان بلاد وراء بَلْخ. والخُتَّلِي: نسبة إلى خُتَّل، كورة خلف جيحون. انظر: الأنساب ٢/٣٢٢، واللباب ١/٤٢١، ولب اللباب ١/٢٧٣، ومعجم البلدان ٢/٣٤٦.

(٣) يقصد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

(٤) انظر: روضة المحبين ص ١١٢، طبع دار الكتاب العربي.

(٥) هو ذو النون المصري، تقدمت ترجمته.

٣٠١ ـ قال الذّارع: وحدّثنا صدقة بن موسى، قال: أنبأنا مَهْدِيّ بن سابق، قال: اجتمع عند الإسكندر نفرٌ من الفلاسفة، فذكروا يوماً تَوَلُّدَ المحبَّة من النظر. فقال أحدهم: النّظر أوله أَسَف، وآخره تلَف.

٣٠٢ ـ وقال آخر: مَن طاوع طَرْفه، تابع حَتْفَه.

٣٠٣ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الجَوْهري، قال: حدثنا ابن حيّويه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان إذناً، قال: حدثني محمد بن علي بن بشر المِصري، قال: حدثني الفضل بن عاصم المنقري، قال: بينا رجلٌ يطوف بالكعبة، إذْ بَصُر بامرأة ذات جمال وقوام، فأَفْتَنَتْهُ وشغلت قلبه، فأنشأ يقول:

ما كنتُ أحسِب أنَّ الْحُبَّ يعْرِضُ لي ... عند الطّوافِ ببيتِ اللَّهِ ذي السُّتُرِ
حتى ابتُليتُ فصارَ القلبُ مُخْتَبِلاً ... مِنْ حبِّ جاريةٍ حَوراء كالقَمَرِ
يا ليتني لم أكنْ عايَنْتُ صُورتَها ... للَّهِ ماذا توخّاني بِهِ بَصَرِي

* * *

فاحذر يا أخي، وفقك الله، من شرّ النظر، فكم قد أهلك من عابد، وفَسَخَ عَزْمَ زاهدٍ، وسترَى في غُضون هذا الكتاب ما تعتبر به من قَصص من فَتَنَهُ النّظر، فاتَّعِظ بذلك، وتَلمَّحْ معنى قول النبيّ ﷺ: «النظر سهمٌ مسموم»[1]، لأنّ السمّ يسرِي إلى القلب فيعمل في الباطن قبلَ أن يُرَى عمله في الظاهر، فاحذر مِنَ النّظر فإنّه سَبَبُ الآفات، إلاّ أنَّ عِلاجه في بِدايته قريبٌ، فإذا كُرِّر تمكّن الشرّ فصعب علاجه.

وأضرب لك في ذلك مَثَلاً: إذا رأيت فرساً قد مالت براكبها إلى دَرْبٍ ضَيِّق فدَخلت فيه ببعض بدَنِها، ولِضِيق المكان لا يمكن أن تدورَ فيه، فَصِيحَ به: ارجعها عاجلاً، قبل أن يتمكّن دخولُها، فإن قَبِلَ وردّها خطوة إلى ورائها، سَهُل الأمر، وإن توانَى حتى وَلَجَت، ثم قام يجذبها بذَنَبِها طال تعبُه، وربّما لم يتهيأ له.

وكذلك النظرة: إذا أَثّرت في القلب، فإنْ عجّل الحازمُ بغضّها وحَسَم المادّة من أوّلها سَهُل علاجُه، وإنْ كرّر النظر نقّب عن محاسن الصّورة ونقَلها إلى قلبٍ متفرِّغ فنقَشها فيه، فكلّما تواصلت النظراتِ كانت كالمياه تُسقَى بها الشجرة، فلا تزال تَنْمَى، فيفسُد القلبُ، ويُعْرِض عن الفكر فيما أُمِرَ به، ويخرجُ بصاحبه إلى المِحَنِ، ويُوجب ارتكاب المحظوراتِ، ويُلْقي في التلفِ.

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٢٨٦).

والسبب في هذا الهلاك أنّ الناظر أوّل نظرةٍ التذَّ بها فكرَّرها يطلبُ الالتِذَاذ بالنّظر، مُستهيناً بذلك، فأَعْقَبَهُ ما استهانَ به التلَفَ، ولو أنّه غضَّ عند أولِ نظرة لسَلِم في باقي عُمُره(١).

فصل: وقد أكثر الشعراء في وصف البلايا التي حلّت بالناظرين(٢).

٣٠٤ ـ فقال الفرزدق:

تــزوّدَ منهـا نظـرةً لـم تـدَعْ لـه ... فـؤاداً ولـم يشعـرْ بمـا قَـدْ تـزَوَّدا
فلـم أرَ مقتُـولاً ولـم أرَ قـاتِـلاً ... بغيـر سـلاحٍ مثلَهـا حيـن أقصـدَا(٣)

٣٠٥ ـ وقال إبراهيم بن العباس بن صُوْل الكاتب:

مـن كـان يُـؤْتَـى مـن عـدوٍّ وحـاسـدٍ ... فـإنّـيَ مـن عَينِـي أُتيتُ ومـن قَلْبِـي
همـا اعْتَـوَرَانِـي(٤) نظـرةً ثـم فِكْـرَةً ... فمـا أَبْقَيـا لِـي مـن رُقـادٍ ولا لُـبِّ

٣٠٦ ـ وروَى أبو بكر بن دُرَيد، عن عبد الرحمن، عن عمّه، قال: قعدتُ إلى أعرابيّ يُقال له إسماعيل بن عمّار، وإذا هو يفتلُ أصابعَه ويَتَلَهَّف، فقلتُ: علامَ تتلهف؟ فأنشأ يقول:

عينـايَ مَشْـؤُومتـانِ ويْحهمـا ... والقلـبُ حَيـرانُ مبتلًـى بهمـا
عـرَّفتَـاهُ الهـوَى لظلْمِهمـا ... يـا ليتنـي قَبْلَهـا عَـدمْتُهمـا
همـا إلـى الحَيْـنِ قـادَتـا وهُمـا ... دلَّ علـى مـا أُجِـنُّ دمعُهمـا(٥)
سـاعـدتـا القلـبَ فـي هـواهُ فمـا ... سبَّـب هـذا البـلاءَ غيـرُهمـا

٣٠٧ ـ أنبأنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أنشدني الدُّولابِيّ:

قلبي يقـول لطرفِي: هِجْتَ لي سَقَماً ... والعيـنُ تـزعُـم أنَّ القلـب أبكَـاهـا
والجسـمُ يشهـد أنَّ العيـنَ كـاذِبـةٌ ... هـي التـي هَيَّجـتْ للقلـبِ بَلْـواهـا

---

(١) انظر: روضة المحبين ص ١١٠ ـ ١١٢.
(٢) لقد ذكر الإمام ابن القيم هذه الأشعار وغيرها ـ بغير هذا الترتيب ـ في روضة المحبين ص ١١٤ ـ ١١٧ وص ١٢٦ ـ ١٢٧، طبع دار الكتاب العربي.
(٣) أقصد: أصاب فقتل: أي أصابته بسهم عينيها فتيمته.
(٤) اعتوروا الشيءَ: تداولوه فيما بينهم.
(٥) الحَيْن: الموت والهلاك. أُجِنّ: أستر.

لـولا العيـونُ ومـا تَجْنَيْـنَ مـن سَقَـمٍ ... مـا كنتُ مُطَّـرَحـاً فـي سُرّ مـنْ راهـا[1]

٣٠٨ ـ قال: وأنشدني الدُّولابي:

يقـول قلبي لطـرفي، إذ بكـى جَـزَعـاً: ... تبكـي وأنـتَ الـذي حمَّلتنـي الـوجَعَـا؟!

فقـال طـرفِـي لـه فيمـا يُعـاتبـه: ... بـلْ أنـت حَمّلْتنـي الآمـالَ والطمعـا

حتـى إذا مـا خـلا كـلٌّ بصـاحبـه ... كـلاهُمـا بطـويـل السُّقْـم قـد قَنِعَـا

نـاداهمـا كَبِـدِي: لا تَتْلَفـا فلقـد ... قَطَّعْتُمَـانِـي بمـا لاقَيْتُمـا قِطعـا[2]

٣٠٩ ـ قال: وأنشدني أبو عبد الله المارِسْتَاني:

رَمـانـي بهـا طـرْفـي فلـم يُخْـطِ مَقْتلـي ... ومـا كـلُّ مـن يُـرْمَـى تُصَـاب مقَـاتِلُـهْ

إذا مِـتُّ فـابكُـونـي قَتيـلاً لطَـرْفِـه ... قَتيـلَ عـدوٍّ حـاضـرٍ مـا يُـزايِلُـهْ

٣١٠ ـ ومن ها هنا قال ابن المعتزّ:

متيَّـمٌ يـرعَـى نجـومَ الـدُّجَـى ... يبكـي عليـه رحمـةً عـاذِلُـهْ

عَيْنِـي أشـاطَـتْ بِـدَمِـي فـي الهـوَى ... فـابكُـوا قتيـلاً بعضُـه قـاتلُـهْ

٣١١ ـ ومن ها هنا قال المتنبي:

وأنـا الـذي اجتَلَـبَ المنيَّـةَ طَـرْفُـه ... فَمَـنِ المُطـالَـبُ والقَتِيـلُ القـاتـلُ!

٣١٢ ـ وقال أيضاً:

يـا نظـرةً نَفَـتِ الـرُّقـادَ وغـادَرَتْ ... فـي حـدِّ قلبـي مـا حَيِيـتُ فُلُـولاَ

كـانـتْ مِـنَ الكَحْـلاَءِ سُـؤْلـي إنّمـا ... أَجَلِـي تمثَّـل فـي فُـؤادي سُـولا

٣١٣ ـ وقال أيضاً:

وُقِـيَ الأميـرُ هـوَى العيـونِ فـإنّـه ... مـا لا يـزولُ ببـأسِـه وسخـائِـهِ

يستـأسِـرُ البطـلَ الكَمِـيَّ بنظـرةٍ ... ويَحُـولُ بيـن فـؤادِه وعـزائِـهِ

٣١٤ ـ وقال ابن المعتز:

ومـا أدري إذا مـا جـنَّ ليلـي ... أَشَـوْقـاً فـي فـؤادي أمْ حَـرِيقـاً

ألا يـا مُقْلَتَـيّ دَهِيتُمـانـي[3] ... بِلَحْظِكمـا فـذُوقـا ثـم ذُوقـا

٣١٥ ـ وله:

---

(١) أي: مدينة سرّ من رأى، في العراق، وتسمى أيضاً: سامراء.

(٢) عقد الإمام ابن القيم في كتابه روضة المحبّين ص ١٢٣، طبع دار الكتاب العربي، باباً في ذكر مناظرة بين القلب والعين، ولوم كلٍّ منهما صاحبه والحكم بينهما، وهي مناظرة قيمة طريفة.

(٣) أي: أصبتماني.

وَيْحَ القلوبِ مِنَ العيونِ لقد ... قامَتْ قيامَتُهُنَّ في الدنيا

٣١٦ ـ ولخالد الكاتِب[1]:

ومُستريحِ الأجفانِ من سَهَرٍ ... أَوْرَثْتِنِيه بطُولِ إعراضِ
يا طرفُ هذا الذي جَنَيْتَ فذُقْ ... نَغَّصكَ اليومَ أمسُك الماضي

٣١٧ ـ وله:

يا ربِّ ماذا جَنَتْ عَيْنِي على بَدَني ... مِنَ السَّقام فَلَيْتَ العينَ لم تكنِ
لم تذهبِ النفسُ إلاّ عند لَحْظَتِها ... وحَسْبُها أنْ ترَى المملوكَ يملِكُني
جِسْمي ورُوحيَ مقرونانِ في قَرَنٍ ... موكّلان بطُولِ السّقْمِ والحزَنِ

٣١٨ ـ أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أنبأنا الحُمَيْدِي، قال: أنشدني عليّ بن حمزة الصّقلّي، قال: سمعت أبا طاهر البغدادي ينشد في مجلس وعظه:

عاتَبتُ قلبيَ لَمَّا ... رأيتُ جِسْمِي نحيلا
فألزمَ القلبُ طرْفِي ... وقال: كنتَ الرَّسولا
فقال طرْفي لقلبي: ... بل أنتَ كنتَ الوكيلا
فقلتُ: كُفّا جميعاً ... تركتماني قَتِيلا

٣١٩ ـ أخبرنا أبو المُعَمّر، قال: أنبأنا الحسن بن المظفر الهَمَذاني، قال: حدثنا أبي، قال: أنشدني أبو منصور محمد بن عُمر الأصبهاني، قال: أنشدني محمد العُصْفُري، قال: دخل أصبهانَ قَوّالٌ، وكان يغنّي بهذه الأبيات:

سَمَاعاً يا عبادَ الله مِنّي ... ومِيلُوا عن مُلاحَظَةِ المِلاَحِ
فإنّ الحبَّ آخرُه المنايا ... وأوّلُه شَبيهٌ بالمِزاحِ

٣٢٠ ـ أخبرنا أبو المعمر، قال: أنبأنا أبو عليّ الحسن بن المظفر، قال: أنشدني أبي، قال: أنشدنا أبو بدر محمد بن علي الأصبهاني:

وشادِنٍ[2] لمّا شدَا ... أسلمني إلى الرّدَى
بِطَرْفِه وظَرْفِه[3] ... ولُطْفِه لمّا بَدا

---

(١) هو خالد بن يزيد البغدادي، المعروف بالكاتب، أبو الهيثم، شاعر، كاتب، ولد بخراسان وعاش ببغداد، وكان أحد كتّاب الجيش أيام المعتصم، وتوفي ببغداد (٢٦٢) هـ. انظر: تاريخ بغداد ٨/٣٠٨، والأعلام للزركلي ٢/٣٤٣، ومعجم المؤلفين ١/٦٦٩.
(٢) الشادن: الغزال إذا قوي وطلع قرناه؛ وهنا استعارة.
(٣) ظرفه: أي كياسته.

أَرَدْتُ أن أَصِيــــــــــــدَهُ   فــاصطَــاد قلبــي وعَــدا

٣٢١ ـ ولبعضهم في مُعاتبة الطَّرْف:

واللّـهِ يا بَصـري الجانِي علَى جسدي   لأُطْفِيَــنّ بـدَمعــي لَـوْعَــةَ الحَــزَنِ
بـاللّـهِ تطمَـعُ أنْ أبْلَـى هـوًى وضنًـى   وأنـت تَطْعـم مِـنْ غَمْـضٍ ومِـن وَسَـنِ
هَيْهـاتَ حتـى تُـرَى طَـرْفـاً بـلا نَظَـرٍ   كمـا أرَى أنّنــي شَخْـصٌ بـلا بـدنِ

٣٢٢ ـ وقال أبو عبد الله ابن الحجّاج:

يــا مَــن رأى سَقَمِــي يــزيـ   ــدُ وعلّتــي تُعْيِــي طبيبــي
لا تعجَبــــــنّ فهكـــــذا   تَجْنِــي العيــونُ علــى القلــوبِ

٣٢٣ ـ وقال أبو منصور بن الفَضْل:

فــي كــلِّ يــومٍ للعيــونِ وقــائــعٌ   إنســانُهــا الطمّــاح فيهــا يُكْلَــمُ
لــو لــم تكـن جـرحَـى غـداةَ لقـائِهـم   مــا كــان يجـري مِـنْ مَـآقِيهـا الـدّمُ

٣٢٤ ـ وقال أيضاً:

لــواحِظُنــا تَجْنِــي ولا عِلْــم عنـدَهـا   وأنفسُنــا مــأخــوذةٌ بــالجَــرَائِــرِ
ولـم أرَ أغبَـى مـنْ نفـوسٍ عَفـائـفٍ   تُصَــدِّق أخبَــارَ العيــونِ الفــواجِــرِ
ومَـن كـانـت الأجفـانُ حُجّـابَ قلبِـه   أَذِنَّ علــى أحشـائـه بـالفـواقِـرِ[1]

٣٢٥ ـ وقال أيضاً:

أَبَــداً جِنَــايَــاتُ العيــو   نِ بِحَــرِّهــا يَصْلَــى[2] الفــؤادُ

٣٢٦ ـ ولأبي محمد ابن الخِفَاجِيّ[3]:

رَمَــتْ عينُهــا عينــي وراحَــتْ سليمــةً   فمَـنْ حـاكِـمٌ بيـن الكحِيلـةِ والعَبْـرَى[4]؟
فيـا طـرفُ قـد حـذَرتُـكَ النظـرةَ التـي   خَلَسْــتَ فمــا راقبْــتَ نهيــاً ولا زَجْــرَا
ويــا قلــبُ قـد أَرْدَاكَ مِـن قبـلُ مـرةً   فـويحـك لِـمْ طـاوعْتَـه مـرةً أخـرى!

٣٢٧ ـ وله:

---

(١) الفواقر: الدواهي والهوالك.
(٢) أي: يحترق.
(٣) هو عبد الله بن محمد، المعروف بابن سنان الخفاجي الحلبي، شاعر أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري، مات مسموماً سنة (٤٦٦) هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٥/٩٦، واللباب ١/٣٨١، والأعلام للزركلي ٤/٢٦٦ ـ ٢٦٧.
(٤) أي بين العين الكَحِيلة، وبين العين الباكية.

ألـم أقـل لـك لا تَخْلِـسْ محـاسنـه فـإنّ طَـرْفـكَ مـوتـورٌ مـن الخَلَـسِ
ظبــيٌ رَمَيْــتُ لــه عينَــيّ حــابلــةً ومـا علمـتُ بـأنّ الليـثَ فـي الكُنُـسِ(١)

٣٢٨ ـ وقال ابن حَيّوس(٢):

يـا للـرجـال لنظـرة سفكـتْ دمـا ولحـادِثٍ لـم ألْقَـهُ مستسلِمَـا
وأرى السِّهـام تـؤمّ مـن يُـرمـى بهـا فعلامَ سهـمُ اللَّحْـظِ يُصْمِـي مـن رَمَـى!

٣٢٩ ـ وقال عبد المُحسن بن غالب الصُّوري(٣):

مـا نظـرةٌ إلاّ لهـا سكـرة كـأنمـا طـرفُـك خمّـارُ
هـذا هـوًى يَصـدرُ عنـه جـوًى تَتْلُـوه لـوعـاتٌ وأفكـارُ
وهـذه أفعـالُهـا هـذه مـا بعـد رأيِ العَيـن إخبـارُ
ولـم تكُـن أولَ مـن غـرّنـي كـلّ غَـرِيـرِ الطـرْف غـرّارُ

٣٣٠ ـ وقال أيضاً:

إذا أنـتَ لـم تـرعَ البُـروقَ اللَّـوَامِحـا ونِمْتَ جرَى مِنْ تحتك السيلُ سائحاً
غـرستَ الهـوَى بِـاللَّحْـظِ ثـم احتقَـرْتَـه فـأَهْمَلْتَـهُ مُسْتَـأْنِسـاً مُتَسـامِحـا
ولـم تَـدْرِ حتـى أَيْنَعَـتْ شجـراتُـه وهبَّـتْ ريـاحُ الهَجْـر فيـه لـوافِحـا
وأمْسَيْـتَ تستـدعِـي مِـنَ الصَّبْـر عـازِبـاً عليـك وتَسْتَـدْنِـي مِـنَ النَّـوم بـارحـاً(٤)

٣٣١ ـ وقال أيضاً:

فعَـرَّضَتْنِـي فلـو أنّـي علـى حَـذَرٍ لـم يَحْتكِـم نـاظـري فـي لَـذَّةِ النظـرِ
وكنـتُ أُغْضِـي ولا أَقْضِـي لـه وطـراً منهـا لعِلْمِـي بِعُقْبَـى ذلـك النظـرِ
والمـرءُ مـا دامَ ذا عيـنٍ يُقلِّبهـا فـي أعيـنِ العِيـنِ مـوقـوفٌ علـى الخطـرِ
يســرُّ مقلتَــه مـا ضَـرَّ مُهْجَتَــه لا مَـرْحبـاً بسـرُورٍ عـادَ بـالضـررِ

٣٣٢ ـ وقال أيضاً:

---

(١) حابلةً: أي صائدةً، والكُنُس: جمع الكِناس، وهو بيت الظَّبي.

(٢) هو شاعر الشام، أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بنَ حيّوس، الغَنَوي، الدمشقي، من أمراء العرب، صاحب الديوان. قال ابن ماكولا: لم أُدرِك بالشام أشعر منه. ولد سنة (٣٩٤) هـ وتوفي سنة (٤٧٣) هـ. انظر: السير ١٨/٤١٣ ـ ٤١٤، شذرات الذهب ٣/٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٣) هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو محمد الصوري، شاعر الشام، ونظمه فائق. توفي سنة (٤١٩) هـ وله ثمانون سنة. انظر: السير ١٧/٤٠٠، وشذرات الذهب ٣/٢١١ ـ ٢١٣، والنجوم الزاهرة ٤/٢٦٩.

(٤) عازباً: أي غائبًا، وبارحاً: زائلاً مفارقاً.

وإذا مــا تكـــامَلَـــتْ عنــدَك القُـ ـــوّة فــاحــذَرْ مُسْتَضْعَـفَ الأجفــانِ

٣٣٣ ـ وقال مهيار[1]:

مــا أعــفَّ النفــوس يــا صــاحِبَيْ شكْـ ـــواي هــواي لــولا غــرامــة الأَحْـدَاقِ[2]

٣٣٤ ـ وله:

ســافـرَ طَـرْفـي مـع الظَّعَـائِـنِ بـالـ ـسَّفْـــح وآبَ الفـــؤادُ بـــالخَبَـــل
نظـــرةُ غِـــرٍّ جَنَــتْ مُقــارعــةً يفتــكُ فيهــا الجَبــانُ بــالبَطَــلِ

٣٣٥ ـ وقال أبو علي بن الشِّبل[3]:

حَتْـمٌ علـى الأَعْيــنِ الطَّــوامِـح أن تَنْقَـــادَ قَسْـــراً لـــلأعيـــنِ النُّجْـــلِ
مــا كــان أجـدَى لـومَ اللّـوائـم لـو كــان فــؤادي فــي الجُـبّ مــن قبلِـي

٣٣٦ ـ وللوَزِير أبي شجاع[4]:

لأُعَـــذِّبـــنّ العيـــنَ غيـــر مفكّـــرٍ فيهـا جَـرَتْ بـالـدَّمْـع أمْ فَـاضَـتْ دمَـا
ولأهجُـــرَنَّ مـــن الـــرُّقـــادِ لـــذيـــذه حتـى يصيـرَ علـى الجفـون محـرَّمَـا
سفَكَـتْ دَمِــي فــلأسْفِكَــنَّ دمــوعَهــا وهــي التــي بــدأَتْ فكــانــت أظْلَمَــا
هـــي أوقَعَتْنِـــي فـــي حَبــائِــل فتنــةٍ لــو لــم تكُــنْ نَظَـرَتْ لكنْـتُ مسلَّمَــا

٣٣٧ ـ وقال شيخُنا أبو عبد الله البَارع:

وسهــــامُ اللحـــــظِ يُسْتحـ ـلَيْــنَ فــي وقــتِ الــوُقــوعِ
ثـــم يُضْـــرَفْـــنَ فمـــا يُقْـ ـلِعْـــنَ إلاّ عـــن صَـــرِيـــعِ

٣٣٨ ـ وقال علي بن أَفْلَح[5]:

---

(١) هو مهيار بن مَرْزَوَيْه الديلمي، شاعر مغلق، في معانيه ابتكار، كان مجوسياً وأسلم على يد شيخه الشريف الرضي. توفي سنة (٤٢٨) هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، والمنتظم ٨/ ٩٤، والأعلام ٧/ ٣١٧.

(٢) الأحداق: العيون.

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله ابن الشبل البغدادي، شاعر حكيم، له نظم جيد، أقرأ علوم الفلسفة والأدب. توفي سنة (٤٧٣) هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٣/ ١١. والبداية والنهاية ١٢/ ١٢١، والأعلام ٦/ ١٠٠.

(٤) هو محمد بن الحسين بن محمد، أبو شجاع الروذراوري ـ نسبة إلى روذراور من نواحي بغداد ـ، وزير من العلماء، وكان وافر العقل، وله شعر رقيق، وصنف كتباً منها: ذيل تجارب الأمم، توفي مجاوراً بالمدينة سنة (٤٨٨) هـ. انظر: المنتظم ٩/ ٩٠، والوافي بالوفيات ٣/ ٣. والأعلام ٦/ ١٠١.

(٥) هو علي بن أفلح العبسي، أبو القاسم، شاعر من الكتّاب، لقبه المسترشد بالله: جمال الملك، توفي ببغداد سنة (٥٣٥) هـ. انظر: المنتظم ١٠/ ٨٠، والأعلام ٤/ ٢٦٤.

مضى يتْبعُ الآرامَ[1] بالسَّفْحِ مطلَقاً ... فعـاد أخـو الأَشْجـان عَـوْدَة مُـوثَـقِ
رمَـى يـومَ سَلـعٍ طَـرْفَـهُ مُتهـاونـا ... فـآضَ بسهـمٍ فـي حَشـاه مُفَـوَّقِ[2]
فقلتُ لـه: يـا سعـدُ غَـرَّتْـكَ زينـبٌ ... فسـارَقْتهـا لَحْظـاً بـأكنـافِ جِلَّـقِ[3]
فدُونك إذ ترمِي الظِّباءَ سَوانحاً[4] ... تلَـقَّ مَـرامِيهـا، فمَـنْ يـرمِ يتَّقـي

٣٣٩ ـ وله أيضاً:

كان طَرْفي أصلَ سُقْمي في الهوَى ... لا أذاقَ اللـهُ طَـرْفـي الـوَسَنـا
لـو تحـرَّى فـي مـرامـي لَحْظِـهِ ... يـومَ سَلْـعٍ مـا عَنـانـي مـا عنَـى

٣٤٠ ـ وقال آخر:

يـا عيـنُ أنـتِ قتلتِنـي ... وجعلـتِ ذَنْبَـكِ مـن ذنـوبي
وأراك تَهْـوِيْـنَ الـدمـو ... عَ كـأنّهـا رِفـقُ الحَبيـبِ
بـاللـهِ أحلِـفُ صـادقـاً ... والصِّـدقُ مـن شِيَـم الأرِيـبِ
لـو مُيِّـزتْ نُـوَبُ الـزَّمـا ... نِ مـنَ البعيـد إلـى القـريـبِ
مـا كُـنَّ إلاّ دونَ مـا ... جنَـتِ العيـونُ علـى القلـوبِ

٣٤١ ـ وقال آخر:

ومستفتِـحٍ بـابَ البـلاءِ بنظـرةٍ ... يُـزَوِّدُ منهـا قلبَـه حَسْـرَةَ الـدّهـرِ
فـواللـهِ مـا يـدري أتـدري بمـا جنَـتْ ... علـى قلبِـه أم أهلكَتْـه ومـا تَـدرِي

٣٤٢ ـ وقال آخر:

أنـا مـا بيـن عَـدُوّيْـ ... ـنِ همـا قلبـي وطَـرْفـي
ينظـر الطّـرفُ ويهـوَى الـ ... ـقلْـبُ والمقصـودُ حَتْفِـي

٣٤٣ ـ وقال ابن الحَرِيري:

فتبصَّـرْ ولا تشِـمْ[5] كـلَّ بَـرْقٍ ... رُبَّ بـرقٍ فيـه صـواعـقُ حَيْـنِ
واغْضُـضِ الطَّـرف تسترِحْ مِـنْ غـرامٍ ... تكتسِـي فيـه ثَـوْبَ ذلٍّ وشَيْـنِ
فبـلاءُ الفتَـى مـوافقـةُ النفْـ ... ـسِ وبَـدْءُ الهوَى طُمـوحُ العَيْـنِ

---

(١) الآرام: جمع رئم؛ ولد الظبي، وقيل: هو الظبي الأبيض الخالص البياض. وهنا استعاره للغواني.
(٢) آض: رجع. ومفوّق: مكسور.
(٣) الكنف: جانب الشيء، وناحيته. جلق: أي دمشق.
(٤) السوانح: جمع سانح، وهو ما يأتي من جهة اليمين، ويقابله: البارح وهو ما يأتي من جهة الشمال. والعرب تتيمّن بالسّانح وتتشاءم بالبارح. انظر اللسان مادة (برح).
(٥) شام السحاب والبرق شيماً: نظر إليه أين يقصد وأين يمطر.

فصل: قال لي بعض أهل هذا البلاء يوماً: قد سمعت منك تحريم النظر، وقد بالَغْتَ في التّحذير من النظر.

إنّي نظرتُ يوماً إلى امرأة نظرةً فهويتُها وقَوِيَ كَلَفِي بها، فقالت لي النّفس: إنك في بلاءٍ عظيم مما لا تتيقّنه، فإنَّ أول نظرةٍ لا تُثْبِتُ الشخصَ، فلو أعدْتَ النظر فربّما أوجب التثبتُ السلوَّ. فما تقولُ في هذه الحادثة؟

فقلت له: هذا لا يصلح لأربعة أوجه:

أحدها: أنّ هذا لا يَحلّ.

والثاني: أنك لو نظرتَ فالظّاهر تقوية ما عندك، فإنّ ما بَهتَكَ بأوّل نظرةٍ فالظاهر حُسْنه، فلا تحسن المخاطرة بتوكيد الأمر، لأنّك ربما رأيتَ ما هو فوق ظنّك فزاد عذابك.

والثالث: أنّ إبليس عندَ قصدك لهذه النظرة يقوم في ركائبه لِيُزَيِّنَ لك ما لا يَحْسُن ثم لا تُعان عليه، لأنّك إذا أَعْرَضْتَ عن امتثال أمرِ الشرع تخلّت عنك المعونة.

والرابع: أنّك الآن في مقامِ معاملةٍ للحقّ عزّ وجلّ على تركِ محبوبٍ، وأنت تُريد أنْ تتثبّتَ حتى إذا لم يكن المنظور مرضِياً تركتَه، فإذن يكون تركُه لأنّه لا يُلائم غرضَك، لا لله تعالى!

فأين معاملته بترك المحبوب لأجله؟ وقد قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [الدهر/٨]، وقال: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران/ ٩٢]، فإيّاك إيّاك[١].

* * *

---

(١) ذكر ابن القيم هذه المسألة وردّ عليها من عشرة أوجه، أنظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص ١١٠ ـ ١١٢، طبع دار الكتاب العربي.

البابُ الرَّابعَ عَشَرَ

في النَهْيِ عنِ النَّظَرِ إلى المُرْدَانِ ومُجالَسَتِهِم(١)

اعلم وفّقك الله، أنّ هذا الباب من أعظمِ أبواب الفِتن، قد أهمل كثيرٌ من الناس مراعاته، فإنّ الشيطان إنّما يدخل على العبد من حيث يُمكنه الدخول، إلى أن يُدْرِجه إلى غايةِ ما يمكنه من الفتن، فإنّه لا يأتي إلى العابد فيحسّن له الزّنا في الأول، وإنّما يُزين له النّظر، والعابد والعالِم قد أغلقا على أنفسهما باب النظر إلى النساء الأجانب، لبعد مصاحبتهنّ وامتناع مخالطتهنّ، والصبيّ مُخالِط لهما، فليُحْذَر من فتنته، فكم قد زلّ فيها قدم، وكم قد حلّت مِنْ عزمٍ، وقلّ مَن قارَبَ هذه الفتنة إلاّ وقع فيها.

وعلى منهج الحذَر مضَى سلفُ هذه الأمة، وبه أمر العلماء الأئمة.

٣٤٤ ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني أبو طالب عُمر بن إبراهيم الفَقيه، قال: أنبأنا محمد بن العباس الخرّاز، قال: أنبأنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان ـ إجازة ـ(٢)، وحدّثناه عنه محمد بن عبد الله بن حريث الكاتب، قال: حدثني أحمد بن هشام الحَرْبي، قال: حدثنا علي بن داود المَروزي ـ وليس بالقَنْطَرِيّ ـ قال: حدثنا عبد الرحمن بن وافد، عن عَمْرو بن أزهر، عن أبان، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُجالسوا أبناء الملوك، فإنّ الأنفُسَ تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجواري العواتق»(٣).

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٢٤ ـ ٣٣٩، طبع دار الكتاب العربي. روضة المحبّين ص ١٢١، طبع دار الكتاب العربي، ومجموع الفتاوى ١٥/٤١٣ و ٢١/٢٤٥، والمغني: ٧/١٠٥، والزواجر ٢/١١٢. وقال ابن حبيب العامري في أحكام النظر إلى المحرمات ص ٣٣: «وكذلك لا يجوز النظر إلى الأمرد بشهوةٍ وغيرها من غير حاجة، كل ذلك لخوف الفتنة والوقوع في الهلكة».

(٢) الإجازة: هي نوع من أنواعِ تحمّل الحديث الثمانية، وهي اصطلاحاً: إذنٌ في الرواية لفظاً أو خطًّا، يفيد الإخبار الإجمالي عرفاً، وأركانها أربعة: المُجيز، والمُجاز له، والمجاز به، ولفظ الإجازة. انظر: تدريب الراوي ٢/ ٤٤.

(٣) حديث منكر وقد ذكره ابن الجوزي أيضاً في تلبيس إبليس ص ٣٣٦. وفيه: أبان بن أبي عياش البصري العبدي، قال في التقريب (١٤٢): «متروك». وقد تقدمت ترجمة ضافية له أوّل الكتاب، =

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حيويَه، فذكر الحديث.

٣٤٥ ـ أخبرنا أحمد بن المبارك، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الخلاّل، قال: حدثنا عمر بن شَاهِين، قال: حدثنا محمد بن أبي سعد المُقْرِي، قال: حدثنا أحمد بن حماد المصيصِي، قال: حدثنا عباس بن محرز، قال: حدثنا أبو أُسامة، عن مُجالد بن سعيد، عن الشَّعْبِي، قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ، وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة، فأجلسه النبي ﷺ وراء ظهره، وقال: «كانت خطيئة داود النظر»[١].

٣٤٦ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد السَّمَرْقَنْدِي، قال: أنبأنا إسماعيل بن الفضل الإسماعيلي، قال: أنبأنا حمزة بن يوسف السَّهْمِي، قال: أنبأنا أبو أحمد بن عَدِيّ الحافظ، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن نَاجِية، ومحمد بن حاتم الطّائي، قالا: حدثنا صالح بن زياد السُّوْسِي، قال: حدثنا خطاب بن سيار الحَرّاني، قال: حدثنا بَقِيّة، عن الوَازِع، عن أبي سلمة، عن أبي هُريرة، قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُحِدّ الرجلُ النظرَ إلى الغلام الأمرد[٢].

٣٤٧ ـ أخبرنا أحمد بن منازل، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الخلاّل، قال: حدثنا ابن شاهين، قال: حدثنا عبد الله بن سُليمان، قال: حدثنا أبو تَقِيّ هشام بن عبد الملك، قال: حدثنا بَقِيّة، قال: حدثنا الوَضِين، عن عطاء الدِّمشقي، عن بعض المشيخة، قال: كان يكره أن يُحِدّ الرجلُ النظرَ إلى الغلام الجميل.

٣٤٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا أبو بكر الخرائطي، قال: حدثنا نصير بن داود الصَّاغَاني، قال: حدثنا علي بن بَحْر، قال: حدثنا بقيّة، قال: حدثنا الوَضِين، عن عطاء، عن أشياخ لهم، أنّهم كانوا يكرهون أن يُحِدّ الرجل النظر إلى الغلام الحسن الوجه.

= وانظر تهذيب التهذيب ١/ ٩٧ ـ ١٠١.

(١) حديث ضعيف. رواه الحافظ محمد بن نصر، كما ذكر ابن القيم في روضة المحبين ص ١٢١. وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٣٦، وسبب ضعفه: ـ مجالد بن سعيد بن عمير الهَمْداني: ليس بالقوي، وقد تغيّر في آخر عمره. التقريب (٦٤٧٨) ص ٥٢٠.
ـ الإرسال، فقد أرسله الشعبي، ولم يذكر الواسطة بينه وبين النبيّ ﷺ.

(٢) حديث ضعيف، رواه ابن عدي في الكامل ٧/ ٩٦ وانظر روضة المحبين ص ١٢١. وتلبيس إبليس ص ٣٣٦. وفيه: بقية بن الوليد مدلّس، وقد عنعنه، والوازع هو ابن نافع العقيلي الجزري: ضعيف، انظر لسان الميزان ٦/ ٢١٣.

٣٤٩ ـ أخبرنا ابن ناصر، وعبد الله بن علي، قالا: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا عيسى بن عبد الله التّميمي، قال: أنبأنا بقيّة بن الوليد، عن الوَضين بن عطاء، عن بعض التابعين، قال: كانوا يكرهون أن يُحِدّ الرجل النظر إلى الغلام الجميل.

٣٥٠ ـ وبالإسناد قال: حدثنا بقيّة، قال: قال بعض التابعين: ما أنا بأخوف على النّاسِك من سَبُع ضارٍّ من الغلام الأمرد يقعُد إليه.

٣٥١ ـ وبالإسناد قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني أبو سُويد، قالا: حدثنا إبراهيم بن هرّاسة، عن عثمان بن صالح، عن الحسن بن ذَكوان، قال: لا تُجالسوا أولاد الأغنياء، فإنّ لهم صوَراً كصور النساء، وهم أشدّ فتنة من العذَارى[١].

٣٥٢ ـ وبالإسناد قال: حدّثنا القرشي قال: حدثنا الهيثم بن خَارِجة قال: حدثنا محمد بن حُميد، عن النَّجِيب بن السّرِي قال: كان يقال: لا يَبِيت الرجل في بيت مع المرد[٢].

٣٥٣ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الحسن بن علي الجَوْهري قال: حدثنا محمد بن المظفر قال: حدثنا الهيثم بن خلف الدُّوْرِي قال: حدّثنا مهنّا بن يحيى قال: حدثنا محمد بن حُميد، عن النَّجِيب بن السَّرِي: أنه كره أن ينام الرجل مع الغلام الأمرد.

٣٥٤ ـ قال النّجيب: وكانوا يكرهون أن يُحِدّ الرجلُ النظر إلى الغلام الجميل الوجه.

٣٥٥ ـ وقد روينا عن سعيد بن المسيب أنه قال: إذا رأيتم الرجل يلحّ بالنظر إلى غلام أمرد فاتهموه[٣].

٣٥٦ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ قال: أنبأنا علي بن أحمد بن العَلّاف قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي قال: حدثني أخي أحمد بن جعفر قال: حدثنا كردوس بن الواسِطي قال: حدثنا إسماعيل بن أَبَان الوَرّاق، قال: حدثنا عباد بن إبراهيم، عن مغيرة، عن إبراهيم النَّخْعي قال: كانوا يكرهون مجالسة أبناء الملوك، وقال: مجالستهم فتنة، وإنّما هم بمنزلة النساء.

٣٥٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حيّويه، عن ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أبو علي المَرُّوزي، قال:

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٦، طبع دار الكتاب العربي.
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٦. طبع دار الكتاب العربي.
(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٢٦.

حدثنا محمد بن إبراهيم، قال: سمعت قاسماً الجُوْعي[1] يقول: سمعت ابن أبي السّائِب يقول: لأَنَا على القارىء من الغلام الأمرد أخوف منّي عليه من سبعين جارية عذراء[2].

٣٥٨ ـ أخبرنا المُحَمَّدان ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أنبأنا حَمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم الحافظ، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المُفيد، قال: حدثنا عبد الله بن الفَرَج، قال: حدثنا القاسم بن عثمان ـ هو الجُوعي ـ قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي السّائب، عن أبيه، قال: لأنا أخوف على عابدٍ من غلام من سبعين عذراء.

٣٥٩ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، قال: أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفوارس، قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد المُزَكِّي[3]، قال: أنبأنا محمد بن المُسَيّب، قال: حدثنا يوسف بن سعيد، قال: حدثني يحيى بن زكريا، عن عطاء بن مسلم، قال: كان سفيان الثوري لا يَدَع أمرد يجالسه.

٣٦٠ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القَزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن عليّ الحافظ، قال: بلغني أن أحمد بن صالح، ـ وهو: أبو جعفر المِصْري[4]؛ وكان أحد حفاظ الأثر، عالماً بعلل الحديث، بصيراً باختلافه، وقَدِم بغداد وجالس بها الحفّاظ، وجرَى بينه وبين أحمد بن حنبل مُذَاكرات، وكان أبو عبد الله يَذْكُره ويُثني عليه، وقد حدّث عنه الأئمة البخاري وأبو داود وغيرهما[5] ـ كان لا يُحدِّث إلاّ ذا لحية، ولا يترك أمرد يحضر مجلسه، فلما حمل أبو داود السجستاني ابنه إليه ليسمع منه، وكان إذ ذاك أمرد، أنكر أحمد بن صالح على أبي داود إحضاره ابنَه المجالس، فقال له أبو داود: هو وإن كان أمرد أحفظ من أصحاب اللِّحَى، فامْتَحِنْه بما أردتَ، فسأله عن أشياء أجابه عنها، فحدّثه، ولم يُحَدِّث أمرد غيره[6].

---

(١) الجُوعي: بضم الجيم، نسبة إلى الجوع. ومن المشهورين بهذه النسبة: القاسم بن عثمان الجوعي الدمشقي. انظر: الأنساب ١/١٢٣، واللباب ١/٣٣١، ولب اللباب ١/٢٢٢.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٧.

(٣) المُزَكّي: ـ بالتشديد ـ الذي يُزَكّي الشهود. ومن المشهورين بها: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكّي، شيخ نيسابور في عصره، وكان من العمال المجتهدين. انظر: الأنساب ٥/٢٧٥، واللباب ٣/٢٠٤، ولب اللباب ٢/٢٥٤.

(٤) هو الإمام الكبير، حافظ زمانه بالديار المصرية، أحمد بن صالح أبو جعفر المصري، المعروف بابن الطبري، كان رأساً في هذا الشأن، قلّ أن ترى العيون مثلَه، مع الثقة والبراعة، ولد سنة (١٧٠) هـ بمصر، وتوفي سنة (٢٤٨) هـ. انظر: السير ١٢/١٦٠، تاريخ بغداد ٤/١٩٥، تذكرة الحفاظ ٢/٤٩٥، ميزان الاعتدال ١/١٠٣، وتهذيب التهذيب ١/٣٩.

(٥) هذا التعريف بهذا الإمام هو ـ تقريباً ـ بنصه تعريف الخطيب البغدادي في تاريخه ٤/٢٠١.

(٦) ذكر هذه القصة الخطيب البغدادي في تاريخه ٤/٢٠١، والذهبي في السير ١٢/١٦٨.

٣٦١ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا أبو القاسم يوسف بن الحسن التفكري، قال: سمعت أبا علي الحسن بن علي بن بندار الزَّنْجَاني[١]، قال: كان أحمد بن صالح يمتنع على المُرْد من رواية الحديث لهم، تعفّفاً وتنزّهاً، ونفياً للظِّنة عن نفسه، وكان أبو داود يحضرُ مجلسه ويَسْمَعُ منه، وكان له ابنٌ أمرد يُحبّ أن يُسْمِعَه حديثَه، وعرف عادته في الامتناع، فاحتال أبو داود، بأن شدّ على ذقن ابنه قطعةً من الشَّعر ليوهمه ملتحياً، ثم أحضره المجلس وأسمعه جزءاً، فأُخبر الشيخُ بذلك، فقال لأبي داود: مثلي تعمل معه مثل هذا؟! فقال له: أيّها الشيخ لا تنكر عليّ ما فعلته، واجمع ابني مع شيوخ الفقهاء والرواة، فإن لم يقاومهم بمعرفته فاحرمه السماع. فاجتمع طائفة من الشيوخ فتعرض لهم هذا الابن مطارحاً وغلب الجميع بفهمه، ولم يَرْوِ له مع ذلك الشيخ حديثاً من حديثه، وحصل له ذلك الجزء الأول، وكان ابن أبي داود يفتخر برواية هذا الجزء الواحد.

٣٦٢ ـ قال أبو علي: وكان مالك بن أنس يمنع دخول المرد لمجلسه للسّماع، فاحتال هشام بن عمّار فدخل في غِمار الناس مستتراً بهم، وهو أمرد، فسمع معهم ستة عشر حديثاً، فأخبر بذلك مالك، فأحضره وضربه ستة عشر سوطاً، فقال هشام: ليتني سمعت مائة حديث وضربني مائة سوط!

٣٦٣ ـ وقد روَى أبو علي بن الصوّاف، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: سمعت إبراهيم بن هانىء، يقول: سمعت يحيى بن معين، يقول: ما طمع أمرد بصُحْبتي، ولا لأحمد بن حنبل في طريق[٢].

٣٦٤ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الحسن بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزّاهد ـ فيما أَذِن أن يرويه عنه ـ، قال: حدثنا محمد بن أنس الشُّعُوبي، قال: حدثنا يعقوب بن سواك، قال: كنّا عند أبي نصر بن الحارث، فَوَقَفَتْ عليه جارية ما رأينا أحسن منها، فقالت: يا شيخ، أين مكان باب حَرْب؟ فقال لها: هذا الباب الذي يُقال له باب حرب. ثم جاء بعدها غلام، ما رأينا أحسنَ منه، فسأله فقال: يا شيخ أين مكان باب حرب؟ فأَطْرَق بِشْر[٣]، فردّ عليه الغلام السؤال، فغمّض عينيه. فقلنا للغلام: تعال، أي شيء تريد؟، فقال: باب حرْب، فقلنا: بين يدَيك. فلمّا غاب قلنا: يا أبا نصر، جاءتك جارية فأجبتها وكلّمتها، وجاءك غلام فلم

---

(١) الزَّنجاني: بالفتح فسكون، نسبة إلى زَنجان، مدينة على حدّ أذربيجان. انظر: الأنساب ٣/١٦٨، اللباب ٢/٧٧، ولب اللباب ١/ ٣٨٤، ومعجم البلدان ٣/ ١٥٢.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨.

(٣) هو أبو نصر بشر بن الحارث.

تكلمه؟ فقال: نعم، يُروَى عن سفيان الثوري أنّه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي من شيطانَيْه[1].

٣٦٥ ـ أخبرنا أبو الحسن بن علي بن عبد الواحد، قال: أنبأنا علي بن عمر القَزْوِيني، قال: قَرَأْتُ على يوسف بن عُمر، قلت له: حدّثكم أحمد بن سليمان إملاءً، قال: حدثنا الحارث بن محمد، قال: سمعت محمد بن عَمْرو، ذكره عن شجاع بن مخلد، أنه سمع بشر بن الحارث يقولَ: احذروا هؤلاء الأحداث.

٣٦٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت:
وأنبأنا عمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد:

قالا: أنبأنا عبد العزيز بن علي الأَزْجِي، قال: حدثنا ابن جَهضم، قال: حدثنا محمد بن علي بن المأمون، قال: حدثنا أبو علي الرُّوْذْبَارِي بمصر، قال: قال لي أبو العباس بن أحمد المؤدِّب: يا أبا علي، من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الأنس بالأحداث؟ فقلت له: يا سيدي، أنت بهم أعرف، وقد تصحبهم السلامة في كثير من الأمور، فقال: هيهَات! قد رأينا من هو أقوَى إيماناً منهم، إذا رأى الحدَث قد أقبل يفرّ كفراره من الزَّحْف، وإنّما ذلك على حسب الأوقات التي تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرّف الطباع، ما أكثر الخطر، ما أكثر الغلط[2].

٣٦٧ ـ قال أبو علي: وسمعت جُنيداً يقول: جاء رجل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ومعه غلام حسن الوجه، فقال له: من هذا؟ قال: ابني، فقال أحمد: لا تَجِيءْ به معك مرة أخرى. فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ ـ وفي رواية الخطيب: قيل له ـ: أيّد الله الشيخ، إنّه رجل مستور، وابنه أفضل منه. فقال أحمد: الذي قصدنا إليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما، على هذا رأينا أشياخنا، وبه خبّرونا عن أسلافهم، رحمهم الله[3].

٣٦٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو القاسم بن البُسْري، عن أبي عبد الله بن بَطّة قال: حدّثني محمد بن الحسين الآجرّي، قال: حدثنا محمد بن كردي، قال: حدثنا أبو بكر المَروزي، قال: جاء حسن بن البزّاز إلى أبي عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ، ومعه غلام حسن الوجه، فتحدّث معه، فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله: يا أبا عليّ، لا تمش

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨.
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨.
(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٣٣٧.

مع هذا الغلام في طريق، فقال له: إنه ابن أختي، قال: وإن كان، لا تُؤْثِم الناسَ فيك[1].

٣٦٩ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن أبي نصر، قال: أنبأنا محمد بن أحمد الطَّبَسي[2]:

وأنبأنا أبو بكر الصُّوفي، قال: أنبأنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، وعبد الغفار بن محمد الشِّيرازي:

قالوا: أنبأنا عبد الله بن باكَوَيْه، قال: سمعت محمد بن أحمد النجّار، يقول: سمعت وليداً السقّاء بنَصِيبِين[3]، يقول: سمعت أبا عبد الله الخُضَرِي، يقول: سمعت فَتْحاً المَوْصِلي يقول: صاحبتُ ثلاثين شيخاً كانوا يُعَدُّون من الأبدال، كلّهم أوصوني عند فراقي إياهم: اتقوا معاشرة الأحداث[4].

قال محمد بن أحمد: لقيتُ أبا عبد الله الخُضَري بالمَوْصِل، فذاكرته فلم ينكره.

٣٧٠ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا ابن أيوب القُمِّي[5]، قال: أنبأنا أبو عُبيد الله المَرْزُباني، قال: حدثني أبو عبد الله الحَكِيمي[6]، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: كنّا عند شيخ يُقْرِىء، فبقيَ عنده غلامٌ يقرأ عليه، وأردت القيام فأخذ بيدي، وقال: اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكَرِه أن يخلوَ هو والغلام[7].

٣٧١ ـ أخبرنا ابن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا ابن جَهْضَم، قال: حدثنا محمد بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي القاسم، قال: دخلنا على محمد بن الحُسين صاحب يحيى بن معين ـ وكان يقال: ما رفع

---

(١) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي، ص ٣٣٧.

(٢) الطَّبَسِيّ: بفتحتين، نسبة إلى طَبَس، مدينة بين نيسابور وأصبهان، وكِرمان. انظر: الأنساب ٤/٤٨ ـ ٥٠، واللباب ٢/٢٧٤ ـ ٢٧٥ ولب اللباب ٢/٨٧.

(٣) نَصِيبين: بالفتح ثم الكسر، هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام، وفيها بساتين كثيرة. انظر: معجم البلدان ٥/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤.

(٤) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٧.

(٥) القُمِّي: بالضم والتشديد، نسبة إلى قُم بلد بين ساوة وأصبهان. انظر: الأنساب ٤/ ٥٤١، واللباب ٣/ ٥٥، ولب اللباب ٢/ ١٨٩.

(٦) الحَكِيمي: مُكَبّراً، نسبة إلى حكيم جدّ. ومن المشهورين بهذه النسبة: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي الكاتب. انظر: الأنساب ٢/ ٢٤٤، واللباب ١/ ٣٧٩، ولب اللباب ١/ ٢٥٣.

(٧) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨.

رأسه إلى السماء منذ أربعين سنة ـ، ومعنا غلام حدَث في المجلس بين يديه، فقال له: قم من حذاي، فأجلسه من خلفه[1]!

٣٧٢ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر، قال: حدثنا أبو صالح السمرقندي الصُّوفي، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم بن اليَسَع، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عَمْرو الدِّيْنَوَرِي، قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصُّوفي، قال: قال أبو حمزة: نظر محمد بن عُبيد الله بن الأشعث الدِّمشقي، وكان من خيار عباد الله، إلى غلام جميل فغُشِيَ عليه، فحُمِل إلى منزله، واعتاده السقم حتى أُقْعِد من رجلَيْه، وكان لا يقوم عليهما زمناً طويلاً، وكنّا نأتيه نعوده ونسأله عن حاله وأمره، وكان لا يخبرنا بقصته ولا بسبب مرضه، وكان الناس يتحدّثون حديث نظَرِه، فبلغ ذلك الغلامَ فأتاه عائداً، فهشّ إليه وتحرّك وضحِك في وجهه واستبشر برؤيته، فما زال يعودُه حتى قام على رجلَيه، وعاد على حالته، فسأله الغلام يوماً المصير معه إلى منزله، فأبى أن يفعل، وكلّمني أن أسأله أن يتحول إليه، فسألته فأبَى، فقلت: وما الذي تكره من ذلك؟ فقال: لستُ بمعصوم من البلاء، ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع عليّ من الشيطان محنة، فيجرِي بيني وبينه معصية فأكون من الخاسرين[2].

٣٧٣ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن عليّ بن ثابت، قال: أخبرني عبد الصمد بن محمد الخطيب، قال: حدثنا الحسن بن الحُسين بن حكمان، قال: سمعت أبا الفرج الرُّسْتُمي الصّوفي يقول: سمعت المُخْتَرِق البصري يقول: رأيت إبليسَ في النوم فقلت له: كيف رأيتنا؟ عزفنا عن الدنيا ولذّاتها وأموالها، فليس لك إلينا طريق. فقال: كيف رأيتَ ما استملْتُ به قلوبكم باستماع السماع ومعاشرة الأحداث!

٣٧٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشِّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي، قال: سمعت أبا عبد الله الرَّازي يقول: سمعت أبا العباس الصيّاد يقول، سمعت أبا سعيد الجَزّار يقول: رأيت إبليس في النوم وهو يمرّ عني ناحية، فقلت: تعال. فقال: إيش أعمل بكم، أنتم طرحتم عن نفوسكم ما أخادع به الناس. قلت: ما هو؟ قال: الدنيا. فلما ولّى التفت إليَّ فقال: غير أن لي فيكم لطيفة. قلت: ما هي؟ قال: صحبة الأحداث[3].

قال أبو سعيد: وقلَّ مَنْ يتخلص مِنْ هذا مِنَ الصُّوفية.

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨.
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣.
(٣) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

٣٧٥ ـ وبه قال السّلمي: وسمعت أبا بكر الرّازي يقول، قال يوسف بن الحسين: نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أُتوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وإرفاق النسوان، وكل ما رأيتموني أفعله فافعلوه إلاّ صحبة الأحداث فإنه آفة الفتن[١].

٣٧٦ ـ أخبرنا ابن ظفر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا ابن جَهضم، قال: حدثنا عَمْرو بن عبد الله، قال سمعت الحلَبي يقول: نظر سلام الأسود إلى رجل ينظر إلى حدَث فقال له: يا هذا، أَبْقِ على جاهك عند الله عزّ وجلّ، فإنك لا تزال ذا جاه ما دمت له مُعَظِّماً[٢].

٣٧٧ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا الحسن بن الفضل الأَدَمي[٣]، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الغفار، قال: حدثنا أبو سعيد محمد بن علي بن عَمْرو النقّاش، قال: سمعت أبا نصر السرّاج يقول: سمعت أحمد بن عطاء الرُّوذْباري، يقول: سمعت الحسين بن علي الدّمشقي، يقول: عن أبي حمزة الصّوفي، قال: نظر عبد الوهّاب بن أفلح إلى غلام أمرد حسن الوجه مرّة فرفع يده يدعو وقال: هذا ذنب أنا تائب إليك منه، وراجع إليك عنه، فعُدْ عليَّ بما لم أزل أعرفه منك قديماً وحديثاً.

٣٧٨ ـ وبه قال النقّاش: وسمعت أبا بكر بن شاذان الرّازي يقول: سمعت خَيْراً النسّاج يقول: سمعت أبا حمزة يقول: لقي محمد بن حُميد حَدَثاً جميلاً، فقال: يا مَن خَلَقَ الخَلْق على ما أحبَّ من مشيئته، لا تجعل للشيطانِ على قلبي سبيلاً بنظرتي هذه يا جميل البلاء.

٣٧٩ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلَف، قال: أنبأنا محمد بن الحُسَين، قال: قال مظفر القَرمِيسِيني: من صَحِب الأحداث على شرط السّلامة والنصيحة، أدّاه ذلك إلى البلاء، فكيف بمن صحبهم على غير وجه السّلامة.

٣٨٠ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن أبي نصر، قال: أنبأنا محمد بن أحمد الطَبَسِيّ، قال: سمعت أبا منصور عبد القاهر بن طاهر، يقول: من صَحِب الأحداث وقع في الأحداث[٤].

٣٨١ ـ أخبرنا عبد الله بن علي، قال: أنبأنا طرّاد بن محمد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عُبيد، قال: حدثنا

---

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٩.
(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٧.
(٣) الأَدَمي: نسبة إلى بيع الأَدَم. انظر: الأنساب ١/ ١٠١، واللباب ١/ ٣٧، ولب اللباب ١/ ٤٢.
(٤) انظر هذا القول والذي قبله في تلبيس إبليس ص ٣٣٧.

الحسن بن يوسف، قال: حدثنا بقيّة، قال: أخبرني عُبيد بن الوليد بن أبي السائب، عن أبي سهل، قال: سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطِيُّون على ثلاثة أصناف: فصنف ينظرون، وصنف يُصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل.

٣٨٢ ـ أخبرنا علي بن عُبيد الله، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة، عن أبي الحسن ابن أخي ميمي، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن سعيد المَوْصلي، قال: أنبأنا علي بن يعقوب الكَوْسَج، قال: سمعت أبا بكر بن أيوب يقول: سمعت إبراهيم الحَرْبي يقول: جَنِّبوا أولادكم قرناء السّوء، قبل أن تصبغوهم في البلاء، كما يصبغ الثوب.

قال: وسمعته يقول: أول فساد الصبيان بعضهم من بعض.

٣٨٣ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا التّنوخي، قال: حدثنا علي بن محمد بن أبي صابر الدلاّل، قال: وقفتُ على الشِّبْلي في قبة الشعراء في جامع المنصور، والناسُ مجتمعون عليه، فوقفَ عليه في الحَلْقة غلام لم يكن ببغداد في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه، يعرف بابن مُسْلم، فقال له: تنحَّ. فلم يتنحّ، فقال له الثانية: تنحَّ يا شيطان عنّا. فلم يتنحَّ، فقال له الثالثة: تنحَّ وإلا والله خَرّقت كلَّ ما عليك.

فصل: وقد افتتن بالأحداث خَلْق كثير من الأفاضل.

٣٨٤ ـ أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزّاز، قال: أنبأنا أبو الحُسين محمد بن علي بن المَهْدي، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون، قال: حدثنا أبو بكر بن الأَنْباري، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا الحسن بن المِقدام، قال: استعدى ابنُ عمّار بن أبي الحُصَيْب يحيىَ بن أكثم[1] على وَرَثَةِ أبيه، ـ وكان بارع الجمال ـ، فقال له:

---

(١) هو يحيى بن أكثم بن محمد، قاضي القضاة، الفقيه العلاّمة، أبو محمد التميمي المَروزي، ثم البغدادي، ولد في خلافة المهدي، وكان من أئمة الاجتهاد، وله تصانيف، منها كتاب «التنبيه».
قال عنه طلحة بن محمد الشاهد: كان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن المعارضة، قائماً بكل مُعْضلة. غَلب على المأمون، حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون في العلم، وكانت الوزراء لا تُبرم شيئاً حتى تُراجع يحيى. ولاّه المأمون قضاء بغداد وهو ابن عشرين.
وكان يُحِبّ المزاح، وهو ضعيف في الحديث، حتى رمّاه ابن معين بالكذب، وقال ابن راهويه: ذاك الدّجّال، وقال علي بن الجنيد: يسرق الحديث.
وأما ما سيذكره المصنف من قَصص له مع المُردان، فقد قال الذهبي: كان عبثه بالمرد أيام الشبيبة، فلما شاخ أقبل على شأنه، وبقيت الشناعة، وكان أعور، وقال أيضاً: ودعابة يحيى مع المرد أمرٌ مشهور، وبعض ذلك لا يثبت، وكان ذلك قبل أن يشيخ، عفا الله عنه وعنّا. السير ١٢/ ١٠ ـ ١٦.
قلت: قال مُحَقِّق السير ١٢/ ١٠ ـ ١١: «وما إخال أن هذه الأخبار تصح عن قاض كبير كيحيى بن أكثم الذي كان إماماً من أئمة الاجتهاد، مما دفع الخليفة المأمون ـ وهو من هو علماً ومعرفة ـ لأن=

أيّها القاضي أَعْدِني عليهم. قال: فمن يُعْدِيني أنا على عينَيْك!

قال: فهرَبَتْ به أمه إلى بغداد، فقال لها ـ وقد تقدمت إليه ـ: والله لا أنْفذتُ لكِ حُكْماً أو تَرُدّيه، فهو أولَى بالمطالبة منك.

٣٨٥ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثني محمد بن نصر، قال: أنبأنا أحمد بن يونس الضَّبِّي، قال: كان زيدان الكاتب يكتب بين يدَي يحيى بن أكثم القاضي، وكان جميلاً متناهي الجمال، فقرَصَ القاضي خدّه، فاستحيَى وطرح القلم من يده، فقال له يحيى: اكتب ما أملي عليك، ثم قال:

أَيَـا قمَـراً خَمَّشْتُـه فتغضّبـا | وأصبـحَ لـي مـن تِيْهِـه مُتجَنِّبـا
إذا كنـتَ للتخميش والعشـقِ كـارهاً | فكـن أبـداً يـا سيّـدِي متنقِّبـا
ولا تظهـرِ الأصـدَاغَ للنـاسِ فتنـةً | وتجعـل منهـا فـوقَ خـدَّيْك عَقْـرَبـا
فَتَقْتُـلَ مشتـاقـاً وتفتـن نـاسِكـاً | وتتـركَ قـاضـي المسلميـنَ مُعَـذَّبـا

٣٨٦ ـ قال ابن المرزبان: وأخبرني محمد بن الجَهْم قال: حدثني العلاء بن صالح قال: كان يحيى بن أكثم عند الواثق، وعنده أمرد حسن الوجه من غلمان الخليفة واقف بين يديه، فأحدَّ النّظر إليه وتبسّم، فقال له الواثق: يا يحيى، بحياتي كشكيه، قال: إي وحياتك مرة.

قلت: هذا كلام مُصَحّف، والكلمة الأولى كلمتان مع التصحيف، والمقصود ذِكْر الفجور.

٣٨٧ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثنا علي بن مسلم الكاتب، قال: دخل على يحيى بن أكثم ابنا مسعدة، وكانا على نهاية الجمال، فلما رآهما يمشيان في الصَّحْن أنشأ يقول:

يـا زائـرينـا مـن الخيـامِ | حيّـاكمـا الله بـالسّـلامِ
لـم تـأتيـانـي ولـي نهـوضٌ | إلـى حَـلال ولا حـرامِ
يحـزننـي أن وقفتمـا بـي | وليـس عنـدي سـوَى الكـلامِ

ثم أجلسهما بين يديه، وجعل يمازحهما حتى انصرفا.

٣٨٨ ـ قال ابن الأنباري: وسمعت غير ابن المَرْزُبان من شيوخنا، يحكي أنّ يحيى عُزِل عن الحُكْمِ بسبب هذه الأبيات التي أنشدها لما دخل عليه ابنا مسعدة[1].

= يولّيه قضاء بغداد، ولا سيما أن هذه الأخبار وردت عمّن لا يُحتجّ بهم... وقد قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٣١٦: كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنّة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر».

(١) الذي في السير (١١/١٢) أنه عزل بسبب جعفر الهاشمي.

٣٨٩ ـ وبلغنا عن يحيى بن أكثم أنه رأى غِلماناً صِبَاحَ الوجوه في دار المأمون، فقال: لولا أنتم لكنّا مؤمنين! فبلغ المأمون فعاتبه، فقال: كان دَرْسي انتهى إلى هنا.

٣٩٠ ـ وروى أبو الفرج الأصبهاني عن عمّه، عن أبي العَيْناء، قال: نظر المأمون إلى يحيى بن أكثم يلْحَظُ خادماً له، فقال للخادم: تعرّضْ له إذا قمتُ، فإنّي سأقوم للوضوء، وآمرُه أن لا يَبرح، وعُدْ إليَّ بما يقول لك.

وقام المأمون وأمر يحيى بالجلوس، فلما قام غمزه الخادم بعينه، فقال يحيى: لولا أنتم لكنّا مؤمنين. فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره، فقال له المأمون: عُدْ إليه فقل له: ﴿أنحن صَدَدْناكم عن الهدى بعد إذْ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ [سبأ/ ٣٢].

فخرج الخادم إليه فقال له ذلك، فأطرق وكاد يموت جزعاً.

وخرج المأمون وهو يقول:

متى تصلُح الدّنيا ويصلُحُ أهلُها   وقاضي قضاةِ المسلمين يَلُوطُ!

قم فانصرف، واتق الله، وأصلح نِيَّتَك.

فانظر إلى هذا المسكين كيف شاع له هذا الذِّكر القَبيح، مع علمه الوافر، حتى أن بعض القضاة بعده عُزِل، فقال له الناس: لقد كنت عفيفاً عن أموالنا. فقال: وعن أبنائكم! يعرّض بيحيى!

٣٩١ ـ قلت: وبلغنا أنّ المأمون دخل إلى ديوان أحمد بن يوسف[1]، فصادف حوله مُرْداً حِساناً، فقال:

أَسَدٌ رابضٌ حواليه أظْبٍ   ليس ينجو من الأُسُودِ الظِّباءُ

٣٩٢ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنتُ أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا أبو صالح محمد بن أبي عدي الصّوفي، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم بن اليَسع، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عَمْرو الدِّينَوَري، قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصّوفي، قال: قال أبو حمزة الصّوفي: كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم، فنظر إلى غلام في بعض الأسواق فبُلي به، وكاد يذهبُ عقله عليه صَبَابة وحبّاً، وكان يقف في كلّ يوم على طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا

---

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم، العجلي بالولاء، المعروف بالكاتب، وزير من كبار الكتاب، ولي ديوان الرسائل للمأمون العباسي، ثم استوزره، وكان فصيحاً، قويّ البديهة، وله أشعار جيدة. توفي سنة (٢١٣) هـ. انظر: تاريخ بغداد ٥/٢١٦، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٠، ومعجم الأدباء ٥/٦١.

انصرف، فطال به البلاء، وأقعده عن الحركة، فكان لا يقدر أن يمشيَ خطوة، فأتيته يوماً لأعوده، فقلت: يا أبا محمد ما قصّتك؟ وما هذا الأمر الذي بلغ بك ما أرى؟

فقال: أمور امتحنني الله تعالى بها، فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لي بها طاقة، ورُبَّ ذنب استصغره الإنسان هو أعظم عند الله من ثَبِير[1]، وحَقِيق لمن تعرّض للنظر الحرَام أن تطولَ به الأسقام، ثم بكى. فقلت: ما يُبكيك؟ قال: أخاف أن يطولَ في النار شقائي[2].

فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال.

٣٩٣ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو سعد المَالِيني، قال: حدثنا الحسن بن إبراهيم اللَّيْثِي، قال: حدثني الحُسين بن القاسم، قال: كان محمد بن داود[3] يَمِيل إلى محمد بن جامع الصَّيْدَلاني[4]، وبسببه عمل كتاب «الزّهرة». وبلَغنا أنّ محمدَ بن جامع دخل الحمّام وأصلَح وجهه، وأخذ المرآة فنظر إلى وجهه فغطاه، وركب إلى محمد بن داود. فلما رآه مغطّى الوجه خاف أن يكون قد لحقته آفة، فقال: ما الخبر؟ فقال: رأيت وجهي الساعة في المرآة فغطيته وأحببتُ أن لا يراه أحدٌ قبلَك. فغُشِي على محمد بن داود[5].

---

(١) اسم جَبَل بمكة المكرمة، وهو من أعظم جبالها، بينها وبين عرفة، سمّي ثبيراً باسم رجل من هُذَيل مات في ذلك الجبل، فعُرف الجبل به. انظر: معجم البلدان ٢/ ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣٢.

(٣) هو محمد بن داود بن علي الظاهري، أبو بكر، قال عنه الذهبي: العلاّمة، البارع، ذو الفنون، كان أحد من يُضرب المثل بذكائه، وهو مصنِّف كتاب «الزهرة» في الآداب والشعر. وله بصر تامّ بالحديث، وبأقوال الصحابة، وكان يجتهد ولا يُقلِّد أحداً. وقال ابن حزم: كان ابن داود من أجمل الناس، وأكرمهم خُلُقاً، وأبلغهم لساناً، مع الدِّين والورع، وكلُّ خلة محمودة، حفظ القرآن وله سبع سنين، وذاكر الرجال بالآداب والشعر وله عشر سنين... توفي سنة (٢٩٧) هـ انظر: السير ١٣/ ١٠٩، وتاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦، وفيات الأعيان ٤/ ٢٥٩.

(٤) قال الذهبي في السير ١٣/ ١١٢: كان محمد بن جامع الصيدلاني محبوبَ محمد بن داود. وكان يُنفِق على ابن داود، وما عُرِفَ معشوقٌ يُنفِق على عاشقه سواه..».
قلت: في هذا الكلام تثبيت لما ذكره المصنّف من أن اسمه محمد بن جامع الصيدلاني، ولكن نقل (١٣/ ١١٥ ـ ١١٦) أن اسمه: وَهْب بن جامع بن وهب العطّار الصيدلاني. وذكر ذلك مكرّراً. ومما قاله (١٣/ ١١٥): وَهْب بن جامع بن وهب العطار الصيدلاني، صاحب محمد بن داود، كان قد أحبّه، وشُغِف به، حتى مات من حُبّه، ومن أجله صنّف كتاب: الزهرة». وقال (١٣/ ١١٦): «... سمعت وَهْب بن جامع العطّار ـ صديق ابن داود ـ قال: دخلت على المتّقي لله، فسألني عن أبي بكر بن داود: هل رأيتَ منه ما تكره؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين، إلا أني بتّ عنده ليلة، فكان يكشف عن وجهي ثم يقول: اللهم إنك تعلم إنّي لأحبه، وإني لأراقبك فيه»

(٥) ذكر هذا الذهبي في السير ١٣/ ١١٦، والصفدي في الوافي بالوفيات ٣/ ٥٩ باختصار.

٣٩٤ ـ أخبرنا أبو منصور، قال: أنبأنا الخطيب، قال: حدثني مكيّ بن إبراهيم، قال: أنشدنا ابن كامل الدِّمشقي لأبي بكر بن داود في حَبيبه:

يا يوسفَ الحُسْنِ تمثيلاً وتشبيها ... يا طلعة ليس إلاّ البدر يَحكيها
من شكّ في الحُور فلينظر إليك فما ... صِيغت معانيك إلاّ مِنْ معانيها
ما للبدور وللتّحذيف[1] يا أملي ... نور البدور عنِ التّحذيف يُغنيها
إنّ الدنانير لا تُجْلَى وإن عتقت ... ولا تُزاد على النقش الذي فيها

٣٩٥ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد الحِيري، قال: حدثنا أبو نصر بن أبي عبد الله الشِّيرازي، قال: حدثني محمد بن الحُسين الظاهري، قال: حدثنا محمد بن الحسين بن الصباح الدَّاوُدِي، قال: أنبأنا القاضي أبو عُمر محمد بن يوسف الأَزْدِي، قال: كنت أُسَاير محمد بن داود بن علي ببغداد، فإذا بجارية تغنّي بشيء من شِعْرِه، وهو:

أشكو غليلَ فؤادٍ أنت متلفُه ... شكوَى عليلٍ إلى إلْفٍ يُعَلِّلُهُ
سُقْمي تَزيد مع الأيام كثرتُه ... وأنت في عُظْمِ ما أَلْقَى تقلِّله
اللهُ حرَّم قتلِي في الهوَى سفَهاً ... وأنت يا قاتلي ظُلماً تحلِّلُهُ

فقال محمد بن داود: كيف السبيل إلى استرجاع هذا؟ فقال القاضي أبو عُمر: هيهات، سارت به الركبان[2]!

٣٩٦ ـ أخبرنا القزاز، قال: أنبأنا الخطيب، قال: أنبأنا علي بن أيوب، قال: أنبأنا أبو عبد الله المَرْزُباني وأبو عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان، قالوا: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه، قال: دخلت على محمد بن داود الأَصْبَهاني في مرضه الذي مات فيه، فقلت: كيف تجدك؟ فقال: حبُّ مَنْ تعلم أورثني ما ترَى. فقلت: ما منعَك مِنَ الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: أمّا النظر المباح فأورثني ما ترى، وأمّا اللذة المحظورة فإنّه منعني منها ما حدّثني به أبي، قال: حدثنا سُوَيد بن سَعيد، قال: حدثنا علي بن مُسْهِر، عن أبي يحيى القَتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «من عَشِقَ وكتَمَ وعَفّ وصبَر، غفَر الله له وأدخله الجنة»[3].

---

(١) تحذيف الشعر: تطريزه وتسويته، وإذا أخذت من نواحيه ما تسوّيه به فقد حذّفته.
(٢) ذكرت هذه القصّة في تاريخ بغداد ٥/٢٥٨، البداية والنهاية ١١/١١١، والوافي بالوفيات ٣/٥٨، والسير ١٣/١١٢.
(٣) الحديث لا يصحّ عن النبيّ ﷺ، وسيأتي تخريجه وتفصيل الكلام فيه عند الباب الثامن والثلاثين. =

فصل: **فإن قال قائل**: قد صرّح هذا الرجل بأنّ النظر مباح، فما تقول في ذلك؟

فالجواب: أنه إنما يُباح النّظر إلى الأمرد مع عدم الشهوة، فإن عُدِمت لكنه يخاف أن تثور بالنّظر، فلأصحابنا فيه وجهان، ومتى كان الطبع صحيحاً فالشهوة قائمة والتحريم ملازم، فمنِ ادّعى أنه لا يشتهي، فهو كذّاب، فلو قدّرنا صِدْقَه كان بهيمة لا آدمياً.

وظاهر قول ابن داود يدلّ على أنّه لم يرَ النظر محرماً. ولقد أخطأ في ذلك وجَرَّ عليه خطؤه التّلَف، بعد اشتهاره بين الناس وافتضاحه، حتى كان أبو العباس ابن سُريج إذا ناظره يقول له: عليك يا ابن داود بكتاب الزّهرة[1]، ولو أن هذا الرجل غضّ بصرَه أوّل مرة لتخلّص، لكنه لم يرَ أنّ الحرَام سوى الفاحشة[2].

٣٩٧ ـ ومن أخباره العجيبة ما أخبرتنا به شُهْدَة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سلامة القاضي القُضَاعي، عن أبي الحَسن بن علي بن نصر بن الصّباح، قال: حدثنا أبو عمر عبد الله بن أحمد السُّمْسَار: أن أبا بكر بن داود الأَصْبهاني كان يدخل الجامع من باب الوَرَّاقين، فلما كان بعد مدة عدَل عنه وجعل دُخوله من غيره، وكنتُ مجترئاً عليه، فسألته عن ذلك، فقال: يا بُنيّ، السببَ فيه أنّي في الجمعة الماضية أردتُ الدخول منه، فصادفت عند الباب حَدَثَيْن يتحدّثان، وكلّ واحد منهما مسرورٌ بصاحبه، فلما رأياني قالا: أبو بكر قد جاء، فتفرقا، فجعلتُ على نفسي أن لا أدخل من باب فرّقت فيه بين مُؤْتَلِفَيْن.

فصل: وقد يقعُ للنفس تأويل في مصاحبة الحَدَث الذي قد بَدَتْ زَغَبَات[3] الشعر على وجهه، فتقول النفس: هذا ليس بأمرد، وإنّما هو رجل، فلا بأس بصحبته. وإنّما يقع لها هذا التأويل لما ينظر من هواه، فيُقال لها: كفى بنفسِك اليومَ عليك حسيباً، إن كان لكِ مَيْلٌ إليه، وعندك التذاذٌ برؤيته، فحكمه حكم الأمرد، لأنّ المعنى في ذاك موجود في هذا.

= والقصّة في تاريخ بغداد ٥/٢٦٢، والسير ١٣/١١٢، وروضة المحبين ص ١٣٥.

(١) انظر في كلام ابن سريج السير ١٣/١١١.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في روضة المحبين ص ١٤٧: «.. وأما قصة محمد بن داود الأصبهاني فغايتها أن تكون من سعيه المعفوّ المغفور، لا من عمله المشكور، وسلّط الناس بذلك على عرضه، والله يغفر لنا وله، فإنه تعرّض بالنظر إلى السقم الذي صار به صاحبَ فِراش، وهذا لو كان ممن يُباح له لكان نقصاً وعيباً، فكيف مِن صبيٍّ أجنبيّ؟ وأرضاه الشيطان بحبّه والنظر إليه عن مواصلته، إذ لم يطمع في ذلك منه، فنال منه ما عرَف أن كيده لا يتجاوزه وجعله قدوةً لمن يأتَمّ به بعده... وكيد الشيطان أدقّ من هذا».

(٣) الزَّغَب: أوّل ما يبدو من الشّعر أو الريش.

ولو أنّ إنساناً التذّ بالنظر إلى بنتِ شهرين لم يَجُزْ له النظر إليها، أو إلى ابن خمسين سنة، أما سمعتَ قولَ عائشة، وقد سألها نِسْوةٌ عن المُسْكِر، فقالت: لو ظنّت إحداكن أن ماء حُبّها[1] يُسكرها فلا تَشربه.

واعلم أنّ كثيراً من الصبيان تحسُن وجوههم بخروج زَغَبات الشعر فيزيدون بذلك في الحُسْن على المُرْدَان، وقد افتتن بهم جماعة، حتى قال أبو بكر بن داود في حَبيبه:

مــا لهــم أنكــروا ســواداً بخــدَّيْـ ـــهِ ولا ينكــرون وَرْد الغُصُــونِ

٣٩٨ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا عليّ بن أيوب، قال: حدثنا أبو عمر بن حيّويه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرَفة، قال: أنشدنا محمد بن داود لنفسه في مرَض موته:

انظر إلى السِّحر يجري في لَواحظه وانظر إلى دَعَجٍ في طَرْفه السَّاجي[2]
وانظـر إلـى شعـراتٍ فـوقَ عـارِضـه كـأنهـنّ نِمـال دبَّ فـي عـاجِ[3]

٣٩٩ ـ وأنشدنا لنفسه:

مــا لهــم أنكــروا ســواداً بخــدَّيـ ـــه ولا يُنكــرونَ وزْد الغُصــونِ
إن يكــن عَيْــبُ خَــدِّه بَــدَد الشَّعـ ـــرِ[4] فعيْـبُ العُيـونِ شعْـرُ الجُفُـونِ

فقلت له: نفيتَ القياس في الفقه وأثبتّه في الشِّعْر؟! فقال: غَلَبةُ الهوى وملكةُ النفوس دعَوَا إليه. قال: ومات في ليلته أو في اليوم الثاني[5].

٤٠٠ ـ وقال آخر:

وقــد زاد فــي يـاقُـوتَتَـيْ شَفَتَيْـه لـي ودرّ ثنــايــاه زمــرّدُ شــاربــهْ
وبـالقُـرب منـه نقـشُ خـالٍ كـأنّـه ختـامٌ علـى مـاء الجِنـان لشـاربـهْ

٤٠١ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج قال: أنبأنا أحمد بن علي بن السوّاق قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس قال: حدثنا عبد الله بن

---

(١) الحُبّ: الجرَّة الكبيرة.
(٢) الدَّعج: شدة سواد العين مع سعتها. الساجي: الساكن.
(٣) العارِض: صفحة الخدّ. ونِمال: جمع نَمْلة ونَمُلة، الحشرة المعروفة. ودبّ: سار. وانظر هذا الشعر في تاريخ بغداد ٥/٢٦٢، والسير ١٣/١١٣.
(٤) بَدَد الشعر: بدُوّه وظهوره متفرقاً.
(٥) انظر: السير ١٣/١١٣.

إبراهيم البَصْري قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثنا عبد الله بن عُبيد قال: أخبرني محمد بن عبد الله قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أبي عُبيد قال: حدثني محمد بن سعيد القُرشي قال: أنبأنا محمد بن جهم بن عثمان بن أبي جَهْمة قال: أخبرني أبي، عن جدّي قال: بينما عُمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سِكّة من سكك المدينة، إذ سمع امرأة وهي تهتف من خِدْرِها، وتقول:

هل مِنْ سبيل إلى خمرٍ فأشربَها ... أم هل سبيلٌ إلى نَصْرِ بن حجّاجِ
إلى فتًى ماجدِ الأعْرَاق مُقْتَبَلٍ[1] ... سَهْلِ المُحيَّا كريمٍ غير مِلجاجِ

فقال عمر: لا أرى معي في المصر رجلاً تهتف به العواتق[2] في خدرهنّ، عليَّ بنصر بن حجاج.

فأُتي به، وإذا هو أحسن الناس وجهاً وأحسنهم شعراً، فقال: علي بالحجّام[3]، فجزّ شعره فخرجت له وَجْنَتَان كأنهما شقتا قمر. فقال: اعتمّ، فاعتمّ[4]، فأَفْتَنَ الناس، فقال عمر: والله لا تُساكنني بلداً أنا فيه. قال: ولِمَ ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: هو ما قلتُ لك. فسَيَّره إلى البصرة.

وخشيت المرأة التي سمع منها عُمر ما سمع أن يَبْدُرَ إليها عُمَرُ بشيء، فدَسّت إليه أبياتاً تقول فيها:

قُلْ للإمام الذي تُخْشَى بوادِرُه: ... ما لي وللخمر أو نصرِ بن حجاجِ!
إنّي غَنِيتُ أبا حفص بغيرهما: ... شربِ الحليبِ وطرفٍ فاترٍ ساجِ
إنّ الهوَى زمَّه التقوى فقيّده ... حتى أقرَّ بإلجامٍ وإسراجِ
لا تجعلِ الظنَّ حقاً أو تُبيِّنَهُ ... إنَّ السبيلَ سبيلُ الخائفِ الرّاجي

قال: فبعث إليها عمر: قد بلغني عنكِ خير، وإنّي لم أُخرِجْه من أجلِك، ولكنّه بلغني أنه كان يدخل على النساء، ولست آمنهن.

وبكى عمر وقال: الحمد لله الذي قيّد الهوَى حتى أقرّ بإلجامٍ وإسراجِ!!

ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كُتباً، فمكث الرّسول عنده أياماً، ثم نادى مناديه: ألاَ إنّ بَريد المسلمين يريد أن يخرج، فمن كانت له حاجة فليكتب. فكتب نصر بن حجاج

---

(١) رجل مُقْتَبَل الشباب: أي مستقبل الشباب إذا لم يُرَ عليه أثرُ كِبَر.
(٢) العواتق: جمع عاتق، وهي الجارية الشابة، وقيل: البكر التي لم تبن عن أهلها.
(٣) الحجّام: المزيّن، الحلاق (اللسان: مادة زين).
(٤) اعتمّ: أي البس العمامة.

كتاباً ودسّه في الكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله عمر أمير المؤمنين، سلام عليك، أمّا بعد، يا أمير المؤمنين:

أَإِنْ غنَّت الذلفاءُ يوماً بمُنْيَةٍ … وبعضُ أمانيِّ النِّساء غرامُ
ظنَنتَ بيَ الظنَّ الذي ليس بعدَه … بقاء فما لي في النَّدِيِّ كلامُ[1]
ويمنعني ممّا تظن تكرُّمي … وآباءُ صدقٍ سالفون كرامُ
ويمنعُها مما تظنّ صلاتُها … وحالٌ لها في قومِها وصيامُ
فهذان حالانا، فهل أنت راجعي … فقد جُبَّ مني كاهلٌ وسنامُ[2]

فقال عمر لمّا قرأ الكتاب: أمَّا ولي سلطان فلا، فما رجع المدينة إلاّ بعد وفاة عمر[3].

* * *

(١) النديّ: مأخوذة من النّادي، والمراد مجالس الناس وأماكن اجتماعاتهم.
(٢) أي: قطع ظهري فضعفت، وذهب شحمي فنحلت.
(٣) انظر: مسند الفاروق لابن كثير ٢/٥٠٨. وعزاه محققه د. عبد المعطي قلعجي لشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/١٤٤، ورغبة الآمل ٥/١٣٩ ـ ١٤٠. قال: «وأطال ابن أبي الحديد في خبره، فذكر له قصة مع امرأة أخرى في البصرة، نفاه بسببها أبو موسى الأشعري إلى فارس، وأن دهقانة أعجبت به في فارس، فكتب أميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي بخبره إلى عمر، فجاءه: جزّوا شعره وشمّروا قميصه وألزموه المساجد. ولما قُتل عمر ـ رضي الله عنه ـ عاد نصر إلى المدينة».

البَابُ الخامسَ عَشَرَ

في ذِكْرِ إثْم النَّظَرِ وعُقُوبَتِهِ

٤٠٢ ـ حدثنا المبارك بن علي الصَّيْرَفِي، قال: أنبأنا عبد الوهاب بن أحمد، قال: حدثنا الحسن بن محمد الخلّال، قال: حدثنا محمد بن المظفر الحافظ، قال: حدثنا محمد بن جعفر بن رَباح، قال: حدثنا عبّاد بن يعقوب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المُحَاربي، عن سِنان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ يتشلْشل[1] دماً، فقال له: ما لَكَ؟ قال: يا رسول الله، مرّت بي امرأة، فنظرت إليها، فلم أَزل أُتبِعُها بَصَري، فاستقبَلَني جدارٌ[2] فضرَبني، فصنع بي ما ترَى، فقال: «إنّ الله عزّ وجلّ إذا أرادَ بعبدٍ خيراً عَجّل له عقوبتَه في الدنيا»[3].

٤٠٣ ـ أخبرنا أحمد بن عبد الباقي بن منازل، قال: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الخلّال، قال: حدثنا عبد الواحد بن علي، قال: أنبأنا المبارك محمد بن ثابت، قال: حدثنا محمد بن عبد الملك الدَّقِيقِيّ، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنبأنا وَرْقَاء، عن أبي الزِّناد، عن الأَعْرَج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لوِ اطّلع أحدٌ في بيتِك ولم تأذن له، فَحَذَفْتَه بِحَصاة فَفَقَأْتَ عَيْنَه، ما كان عليك جناح»[4].

٤٠٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا ابن يوسف، قال: أنبأنا البَرْمَكِي، قال: أنبأنا أبو

---

(١) تقول: تشلشل الماء أو الدم: انتشر وتفرّق.

(٢) الجدار: الحائط، والمراد أنه ارتطم به، ولم ينتبه له.

(٣) حديث حسن. عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٩١ للطبراني في الكبير، ثم قال: «وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي، وهو ضعيف».
قلت: كذا قال: إن عبد الرحمن بن محمد هو العرزمي، والذي ذكره المصنف: إنه المحاربي، والمحاربي: ثقة، روى له الجماعة. والله تعالى أعلم بالصواب. وللحديث شاهد من حديث زيد بن أرقم، ذكره الهيثمي في المجمع ١٠/١٩١، وعزاه لأحمد [١٦٣٦٤] والطبراني، ثم قال: «ورجال أحمد رجال الصحيح [وهو كما قال]، وكذلك أحد إسنادَي الطبراني».

(٤) رواه البخاري (٦٨٨٨) و (٦٩٠٢)، ومسلم (٢١٥٨)، وأبو داود (٥١٧٢)، والنسائي (٤٨٦١)، وأحمد في المسند (٥١٧٢، ٧٢٧١، ٧٥٦١، ٨٧٧١، ٩٠٩٦، ٩٢٤١، ١٠٤٤٥).

بكر بن النَّجِيب، قال: أنبأنا محمد بن صالح، قال: حدثنا هناد، قال: حدثنا المُحاربي، عن ليث، عن طلحة، عن خَيْثَمة بن عبد الرحمن، عن حُذيفة، قال: من تأمّل خَلْق امرأةٍ من وراء الثّياب فقد أبطل صومَه.

٤٠٥ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد الحدّاد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبو مَعْمَر، قال: حدثنا أبو معاوية الضَّرير، عن أبي سِنان، عن عَمْرو بن مرّة، قال: نظرت إلى امرأةٍ فأعجبتني، فكُفَّ بصري فأرجو أن يكون ذلك جزائي[١].

٤٠٦ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن عبد الله الصّوفي، قال: حدثنا محمد بن ثابت بن الحسن بن الجلندي المقري، قال: سمعت أبا عبد الله بن الجَلَّاء يقول: كنت واقفاً أنظر إلى غلامٍ نصرانيّ حسن الوجه، فمرّ بي أبو عبد الله البَلْخِيّ، فقال: إيش وقوفك؟ فقلت: يا عمّ ما ترى! هذه الصورة تُعذَّب بالنّار! فضرَب بيده بين كتفَيّ وقال: لتجِدَن غِبَّها[٢] ولو بعد حين. قال ابن الجلاء: فوجدتُ غبَّها بعد أربعين سنة! أُنْسِيتُ القرآن!

٤٠٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القَزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: كتب إليَّ أبو حاتم أحمد بن الحَسن الرَّازي يذكر أنه سمع محمد بن أحمد بن عبد الوهّاب الحافظ يقول: قال أبو سعيد أحمد بن محمد الصّوفي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أحمد بن عيسى، عن أبي الأديان قال: كنت مع أستاذي أبي بكر الزَّقّاق، فمرّ حَدَثٌ فنظرت إليه، فرآني أستاذي وأنا أنظر إليه، فقال: يا بُنيّ لتجدنّ غبَّها ولو بعد حين، فبقيت عشرين سنة وأنا أُرَاعِي فما أَجِد ذلك الغِب، فنِمْتُ ليلة وأنا متفكّرٌ فيهِ، فأصبحت وقد نَسِيتُ القرآن كلّه[٣].

٤٠٨ ـ أخبرنا أبو بكر الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سعد الحيري، قال: أخبرني أبو عبد الله الشّيرازي[٤]، قال: أخبرني أبو يعقوب النَّهْرَجُوري، قال: رأيت في الطّواف رجلاً بفرد عين وهو يقول في طوافه: أعوذ بك منك. فقلت له: ما هذا الدّعاء؟ فقال: إنّي مجاور منذ خمسين سنة، فنظرت إلى شخص يوماً فاستحسنته، فإذا بلطمة وقعت على عيني فسالت عيني على خدّي، فقلت: آه، فوقعت أخرى وقائل يقول: لو زدتَ لزدناك.

---

(١) انظر الفقرة (٢٩٤) والتعليق عليها.

(٢) غِبّها: عاقبتها.

(٣) انظر هذه الفقرة والتي قبلها في تلبيس إبليس ص ٣٣٩، طبع دار الكتاب العربي.

(٤) تكررت في المطبوعة جملة: «أنبأنا أبو عبد الله الشيرازي» مرتين.

٤٠٩ ـ أخبرنا عبد الرّحمن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: حدثني محمد بن أبي الحَسن السَّاحلي، قال: أنبأنا عمّار بن عبد الله الصّوفي، قال: سمعت محمد بن حماد الرَّحْبِي، يقول: سمعت أبا عَمْرو بن عُلوان يقول: خرجت يوماً إلى سوق الرَّحْبة في حاجَة، فرأيت جنازة فتبعتها لأصلّي عليها، ووقفتُ في جملة الناس حتى يدفنَ الميت، فوقعت عيني على امرأة مُسفرة من غير تعمّد، فلَحَحْتُ بالنظر واسترجعتُ واستغفرت اللهَ وعُدْتُ إلى منزلي.

فقالت لي عجوز: يا سيّدي ما لي أرى وجهك أسود؟ فأخذت المرآة فنظرتُ، فإذا وجهي أسود، فرجعت إلى سِرّي أَنْظُرُ من أين دُهِيتُ، فتذكّرت النظرة، فانفردتُ في موضعٍ أستغفر الله وأسأله الإقالة أربعين يوماً، فخطر في قلبي أنْ زُرْ شيخَك الجُنيد، فانحدرتُ إلى بغداد، فلما جئت الحجرة التي هو فيها طرقتُ الباب، فقال لي: ادخل يا أبا عَمْرو، تُذنب بالرَّحْبة وتستغفر ربّك ببغداد!

٤١٠ ـ أخبرنا أبو بكر بن حَبيب الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق الحيري، قال: أنبأنا أبو عبد الله الشِّيرازي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد النّجار، قال: أخبرني أبو بكر الكتّاني، قال: رأيت بعض أصحابنا في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: عرَض عليّ سيئاتي، وقال: فعلتَ كذا وكذا؟ فقلت: نعم، قال: وفعلت كذا وكذا؟ فقلت: نعم. ثم قال: فعلت كذا وكذا، فاستحييت أن أُقِرّ، فقال: غفرت لك بما أقررت، فكيف بما استحييت!. فقلت له: ما كان ذلك الذنب؟ فقال: مرّ بي غلام أمردُ حسن الوجه فنظرت إليه.

٤١١ ـ وقد رُوي نحو هذه الحكاية عن أبي عبد الله الزرَّاد، أنه رُئِي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي كلّ ذنب أقررت به في الدنيا، إلاّ واحداً استحيَيْت أن أقرّ به، فوقفني في العَرَقِ حتى سقَط لحمُ وجهي، فقيل له: ما الذنب؟ قال: نظرتُ إلى شخصٍ جميل، فاستحييت أن أذكره[1].

٤١٢ ـ وذَكَر هذه الحكاية أبو طالب المكّي، عن منصور الفقيه، قال رأيت أبا عبد الله السكّري في النوم، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: وقَفني في العرق حتى سقَط لحمُ خدّي. قلت لم؟ قال: نظرتُ إلى غلام مقبلاً ومُدْبِراً.

٤١٣ ـ وحُدِّثْتُ عن محمد بن علي بن أبي الصَّقر الوَاسِطي، قال: حدثنا عبد الله بن هارون القطّان، قال: حدثنا أحمد بن علي، قال: حدثنا أبو الحسن الوَاعِظ، قال: لمّا مات

---

(١) انظر هذه الفقرة والتي قبلها في تلبيس إبليس ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

أبو نصر حَبيب النجّار الواعظ بالبصرة، رُئي في المنام ووجهه كَدَارَةِ القمر في ليلة البدر، وفي وجهه نكتةٌ سوداء، فقال له الذي رآه: حبيب! ما لي أرى في وجهك هذه النكتة؟ قال: قال لي: كنتُ مارّاً بالبصرة في بني عَبْس فرأيتُ غلاماً أمرد عليه غِلالة[1] يُشرق منها بدنُه، فنظرتُ إليه، فلما وصلت إلى ربّي، قال لي: حَبيب. قلت: لبيك. قال: جُزْ على النّار، فجزتُ عليها، فنفحَتْني هذه النفحة، فقلت: أوّه. فناداني: نَفْحَةٌ بلَمْحَة ولو زدتَ لزدناك.

٤١٤ ـ وقد بلَغنا عن أبي يعقوب الطَّبري أنّه كان يقول: كان معي شابّ حسن الوجه، وكان يخدمني، فجاءني إنسان من بغداد صُوفي، وكان كثير الالتفات إلى الشابّ، فكنتُ أَجِد عليه لذلك، فنمت ليلة من الليالي، فرأيتُ ربّ العزة في المنام، فقال: يا أبا يعقوب لِمَ لَمْ تنهه ـ وأشار إلى البغدادي ـ عن النظر إلى الأَحْدَاث، فوعزّتي وجلالي إنّي لا أشغل بالأحداث إلاّ من باعدته عن قُربي.

قال أبو يعقوب: فانتبهتُ وأنا أضطرب، فحكيتُ الرؤيا للبغدادي فصاح صيحةً ومات.

فغسلناه ودفناه، واشتغل قلبي به، فرأيته بعد شهر في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: وبَّخني حتى خِفْتُ ألاّ أنجو، ثم عفا عنّي[2].

* * *

(١) الغِلالة: ثوب رقيق شفاف، غالباً ما يلبس تحت الثياب.

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٤٠، طبع دار الكتاب العربي.

البابُ السادسَ عَشَرَ

في ذِكْرِ مَنْ عاقَبَ نَفْسَهُ على النَّظَرِ

٤١٥ ـ أخبرنا أبو القاسم الحَريري، قال: أنبأنا أبو طالب العُشَارِيّ، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن شمعون، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الختلي، قال: حدثنا محمد بن حاتم الطُوسِي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله الهَرَوِيّ قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا مُقاتل، عن الضحّاك، عن ابن عباس قال: خرج عيسى ابن مريم يستسقي بالناس، فأوحَى الله عزّ وجل إليه: لا يستسقِ معك خَطَّاء. فأخبرهم بذلك، وقال: مَنْ كان من أهل الخطايا فليعتزل. فاعتزل الناس كلّهم إلاّ رجلاً مصاباً بعينه اليمنَى، فقال له عيسى: ما لك لا تعتزل؟ فقال: يا رُوح اللّهِ، ما عصيتُ الله طرفةَ عين، ولقد التفتُّ فنظرت بعيني هذِه إلى قدَم امرأةٍ، من غير أَنْ كنتُ أردتُ النظر إليها فقلعتُها، ولو نظرتُ إليها باليسرى قلعتها.

قال: فبكى عيسى حتى ابتلت لحيته بدموعه، ثم قال: ادع فأنت أحقّ بالدعاء منّي، فإنّي معصوم بالوحي وأنت لم تعصم. فتقدم الرجل فرفع يديه، وقال: اللهمّ إنك خَلَقْتَنا وقد علِمْت ما نعمل مِنْ قَبْل أن تخلُقَنا، فلم يمنعك ذلك أن تخلقنا، فكما خلَقتنا وتَكَفَّلْت بأرزاقنا فأرسل السماء علينا مِدْراراً.

فوالذي نفس عيسى بيده، ما خرجتِ الكلمة تامّة من فِيه، حتى أرختِ السماءُ عَزاليها[1]، وسقي الحاضر والباد.

إنْ قال قائل: هذا قد فعل معصية بقلع عين نفسه، فكيف صارت طاعة يتوسل بها؟

فالجواب: أنه ـ إذا صحّ النقل عنه ـ حُمل على أنّه كان ذلك في شَرْعهم جائزاً، فأمّا في شرعنا فذلك حرام.

---

(١) العزالي: جمع العزلاء، وهي مصب الماء من القِربة في أسفلها حيث يستفرغ ما فيها من الماء، وفي الحديث: «وأرسلت السماء عزاليها»، كثُر مطرها على المثل؛ فشبّه اتساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فم المزادة، أي القِربة.

٤١٦ ـ أخبرَتْنا شُهْدَة، قالت: أنبأنا أبو محمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر ابن السَّوَّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِيّ، قال: حدثنا محمد بن خلف العاصِي، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني الصَّلْتُ بن حكيم، قال: حدثني موسى بن صالح، قال: نظر رجل من عُبَّاد بني إسرائيل إلى امرأة جميلة نظرةَ شهوة، فعمَد إلى عينَيْه فقلعهما.

٤١٧ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا طرّاد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: أنبأنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني مالك بن ضَيْغَم، قال: حدّثَتْنِي خالتي حُبابة ابنة ميمون العَتَكِيّة، قالت: رأيتُ أباك ضَيْغَماً نزل ذات ليلةٍ من فوق البيت بكوز قد بُرِّدَ له حتى صَبّه، ثم اكْتَاز من الحُبِّ[1] ماءً حاراً لا يُشرب، فقلت له بعد ذلك: إنّي قد رأيتُ الذي صنعتَ فممّ ذاك؟ قال: حانت منّي نظرة مرةً إلى امرأةٍ، فجعلت على نفسي ألاّ تذوق الماء البارد أيام الدنيا، أُنَغِّصُ عليها الحياة!

٤١٨ ـ قال القرشي: وحدثنا أحمد بن إبراهيم، عن عليّ بن إسحاق، عن ابن المبارك، عن الأَوْزَاعِيّ، عن هارون بن رِئاب[2]، أنّ غَزْوَان[3] كان في بعض مغازيهم، فكشَفَت جارية فنظر إليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفَرَت، وقال: إنك للحَّاظة إلى ما يضرّك.

٤١٩ ـ قال القرشي: وحدّثني محمد بن قُدامة، عن محمد بن سابق، عن مالك بن مِغْوَل، عن أبي سِنان، قال: قال عَمْرو بن مرّة: ما يسرّني أنّي بَصير، كنتُ نظرتُ نظرةً وأنا شاب[4].

٤٢٠ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف قال: حدثنا يوسف بن محمد المِهْرَواني[5] قال: حدثنا أحمد بن محمد بن حسنون قال: حدثنا جعفر الخَوّاص قال: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا محمد بن الحُسين قال: حدّثني هارون بن معروف قال: حدثني سعيد بن عبد الله قال: سمعتُ رجلاً يحدّث عن وَهْب قال: كان في

---

(١) اكتاز: شرب بالكوز، واكتاز الماء: اغترفه بالكوز. الحُبّ: الجرّة الكبيرة، أو الخابية.

(٢) في المطبوعة: هارون بن زبّاب ـ بالزاي وتشديد الباء الموحدة ـ وهو خطأ، وإنما هو ابن رِئاب ـ بكسر الراء، التميمي، أبو بكر أو أبو الحسن، ثقة عابد. التقريب (٧٢٢٥).

(٣) هو غزوان الغفاري، تابعي ثقة، أبو مالك الكوفي، مشهور بكنيته. التقريب (٥٣٥٤).

(٤) انظر الفقرتين (٢٩٤) و (٤٠٥).

(٥) المِهْرَواني: بالكسر، وفتح الراء، نسبة إلى مِهْروان، ناحية بهَمذان. انظر: الأنساب ٥/ ٤١٥، واللباب ٣/ ٢٧٤، ولب اللباب ٢/ ٢٨٢، ومعجم البلدان ٥/ ٢٣٣.

بني إسرائيل دَيْر، وكان فيه قوم عُبّاد وكان لهم عِيد يجتمعون فيه، فخرجوا يوماً في عِيدهم، فنظر رجلٌ من العبّاد إلى جارية من بني إسرائيل متعبّدة، فلما رأته قد أحدّ النظر إليها قالت ـ وهي لا تُوهِمُه أنّه يُريدها ـ: سبحان الذي أضاءَ العيون فأبصرت، وهي متعرِّضة إلى ما حرّم عليها. فخرّ الحَبْر لوجهه ساجداً، وجعل يقول: سيّدي لا تسلبني بصري عقوبةً منك لنظري، فوعزّتك لأبكِيَنّ بعدها ما أطاقَتِ البكاء، عَمِيَتْ أم لم تَعْمَ. فبكَى حتى عَمِي.

٤٢١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو علي الحَسن بن الفضل بن الحسن الأَدَمِيّ، وأنبأنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، قالا: أنبأنا أبو العباس أحمد بن عبد الغفار، قال: حدثنا أبو سعد محمد بن علي بن عَمْرو النقّاش، قال: سمعت محمد بن عبد العزيز الواعظ، قال: سمعت خَيْراً النسّاج يقول: كنت مع أبي حمزة بالشّام فإذا نحن بصَوْمَعة راهبٍ بين الرَّملة ومصر، فسمعتُ بكاءه وشهيقه، فناداه أبو حمزة ثلاثاً فلم يجبه، فقال له أبو حمزة: سألتك بحقّ مَن يجب له الحقّ عليك إلاّ كلمتني. فقال بصوت ضعيف: وما يَدْعُوك إلى كلامي؟ فقال: أردتُ أن أسألك عن مسألة عَرَضَت لي. فقال: إني لفي شُغل عن مسألتك وكلامك، فامض راشداً عافاك الله. فقال أبو حمزة: أَرِني وجهك. فقال: وما تصنع بالنظر إلى مَن أُصيب منَ النظر؟ فقال: أحببتُ أن أشافهك بمسألتي إياك. فقال: إن كنتَ تريد جواب مسألتك فاسأل حتى أخبرَك، وإن كنت تريد النظر فامض لشأنك فقد أعلمتك أنّ بي مصيبة. قال: وما مصيبتك؟ فقال: إنّي اطلعت من صَوْمَعَتي هذه منذ عشرين سنة، فوقعت عيني على شخص فأفسد قلبي، وأنا في علاجه وجهاده منذ ذلك اليوم إلى وقتي، ما علمت أنّي نظرت إلى أحد من الناس حتى كلّمتني. فقال: لَعَمْري لقد كان هذا نظر شؤم عليك، ألبسَك طُول العَناء، وأورثك إدمان البكاء. فقال: هذا لَعَمْرِي كذاك، لقد بكِيتُ حتى نفِدَ دمعي وقلص[1]، فما أقدر على قطرةٍ إلاّ في بعض الأيام، فإذا بكيت وجدت لذلك راحةً وسلواناً. قال: فما النظر الذي بلغ بك هذا كلّه؟

فقال: حضر بعضُ أعيادِنا فأتاني جماعة وفيهم شخص حَيَّر عقلي كمالُه، فكرّرت النظر إليه مراراً فَزُرِع في قلبي زَرْعاً لا تحصده المَنَاجِل ولا تُسْفِيه[2] الرِّياح، ولا يزداد على مرّ الأيام إلاّ جِدّة وثباتاً، فلمّا رأيتُ ذلك عاتبتُ قلبي كَي يراجعني، فأبَى إلاّ التعلّق به والتعرّض له والتطلّب لأسبابِ قُربه، فلما رأيته مُقيماً على مخالفتي وماضياً على عِصياني، عاهدتُ الله أنْ لا أرى أحداً ولا يَراني، وهذه عقوبة كلّ طرف مالَ إلى غير ما أمره الله، حتى يرجِع إلى ما أمره، أو يعلم أنّه قد عُفي له عمّا أجرم. ثم أخذ في البكاء. فانصرفنا وتركناه!

---

(١) أي: ارتفع وجف.
(٢) أي تُذْرِيه، تقول: سَفَتِ الرِّيح التُّراب: أَذْرَتْهُ.

٤٢٢ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنتُ أحمد بن الفرج قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا أبو صالح السَّمْرَقَنْدِي قال: حدثنا الحُسين بن القاسم بن اليَسَع قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن عَمْرو الدِّيْنَوَرِي قال: حدثنا جعفر بن عبد الله الصّوفي قال: قال أبو حمزة: حدثني أبو العُمر حُسام بن المَضّاء المِصري قال: غزوت في زمن الرّشيد في بعض المراكب فلجَجْنا[1] في البحر، فكُسِر بنا في بعض جزائر صِقِلِّية[2]، فخرج مَنْ أفلتَ وخرجتُ معهم، فرأيتُ في بعض الجزائر رجلاً لا يملك دمعَه من كثرة البكاء، فسألته عن حاله، وقلت له: اِرفق بِعَيْنَيْك، فإنّ البكاء قد أضرَّ بهما، فقال: إلاّ ذلك. قلت: ما جنايتهما عليك حتى تتمنّى لهما البلاء؟ فقال: جناية لا أزال إلى الله معتذراً منها أيام حياتي. قلت: وما هي؟ قال: سرعة نظرهما إلى الأمور المحظُورة عليهما، ولقد أوقعاني في ذنْب نظرتُ إليه لولا الرّجاء لرحمةِ الله ليئست أن يُعفَى عنه لي. فبالله لو صفح الله لي عنه وأدخلني الجنّة، ثم تراءى لي، لاستحييت أن أنظر إليه بعينين عصتاه! ثم صعق وخرّ مغشياً عليه.

٤٢٣ ـ وبلغنا عن أبي حمزة الصّوفي، قال: وقفت على راهب في بعض بلاد الشام، وقد أشرف من صومعته وهو يكلّم غلاماً جميلاً من النصارَى ويتبسّم إليه، فقلت له: ينبغي لمن هو على طَرِيقتك أن لا يتبسّم في وجه من لا تُؤمن فتنته.

فقال: هو لعَمْري كما قلت، غير أنّي أعاهد الله لا فتحتُ عيني حَوْلاً[3]، عقوبةً لها، وأغمضَ عينَيْه وأدخلَ رأسه وبكَى؛ وانصرفتُ!

٤٢٤ ـ أخبرنا المُحَمَّدَان: ابن ناصر وابن عبد الباقي، قالا: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو الحُسين محمد بن محمد بن عبد الله، قال: سمعت أخي أبا عبد الله محمد بن محمد، يقول: سمعت محمد بن عبد الله الصّوفي، يقول: سمعت خيراً النسّاج يقول: كنت مع أميّة بن الصَّامِت الصُّوفي، فنظر إلى غلامٍ، فقرأ: ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بَصِير﴾ [الحديد/ ٤].

ثم قال: وأين الفِرار من سِجْن الله وقد حصّنَه بملائكة غِلاظٍ شِدادٍ، ﴿لا يعصُون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [التحريم/٦]؟! تبارك الله! فما أعظم ما امتحنَني به مِنْ نظري إلى هذا الغلام، ما شبهت نظري إليه إلاّ بنارٍ وقعت على قَصَبٍ في يومِ ريحٍ فما أبقَتْ ولا تركت.

---

(١) لججنا: أي دخلنا في لجّة البحر، وهي عُرْضُه.
(٢) صِقِلِّيَة: من جزر البحر الأبيض المتوسط، مقابلة إفريقية، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٦.
(٣) أي: سنة.

ثم قال: أستغفرُ الله مِنْ بلاءٍ جَنَتْهُ عينَاي على قلبي وأحشائي، لقد خفتُ أن لا أنجو من مَعَرَّتِه ولا أتخلّص من إثمه، ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صِدِّيقاً.

ثم بكى حتى كاد يقضي، فسمعته يقول في بكائه: يا طَرْف، لأشغلنّك بالبكاء عن النظر إلى البلاء[1].

* * *

(١) انظر: تلبيس إبليس ص ٣٣١ ـ ٣٣٢، طبع دار الكتاب العربي.

البابُ السَّابعَ عَشَرَ

في ذِكرِ مَنْ سألَ اللّهَ تعالَى أَخْذَ بَصَرِهِ خَوْفَ الفِتْنَةِ

٤٢٥ ـ أخبرنا عبد الملك بن أبي القاسم الكَرُوخي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن عليّ العُمَيْرِي، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن محمد الفَامِيّ، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن يوسف المَرْوَاني، قال: حدثني أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر شَكَّر، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج المُقْرِي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحَكيم، قال: حدثنا أبو ضَمْرَة عاصم بن أبي بكر الزُّهري، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: كان يونس بن يوسف من العُبَّاد ـ أو من خيار الناس، شكّ عبد الرحمن ـ، فأقبل ذات يوم وهو رائح من المسجد، فلقيته امرأة، فوقع في نفسه منها، فقال: اللهمّ إنّك جعلت لي بصري نعمة، وقد خشيت أن يكون عليّ نقمة، فاقبضه إليك. قال: فعمي، وكان يروح إلى المسجد يقوده ابن أخ له، فإذا استقبل به الأسطوانة اشتغل الصبيّ يلعب مع الصبيان، فإن فاتته حاجة حصَبه[1] فأقبل إليه، فبينا هو ذات يوم ضحوة في المسجد إذ أحس في بطنه بشيء، فحصب الصبيَّ، فشغل الصَّبيّ مع الصِّبيان، حتى خاف الشيخ على نفسه، فقال: اللهمّ إنك كنت جعلت لي بصري نعمة، وخشيتُ أن يكون نَقْمة، فسألتك فقبَضْتَه إليك، وقد خشِيتُ الفَضِيحة فَرُدّه إليّ، فانصرَفَ إلى منزلِه صَحِيحاً يمشي.

قال مالك: فرأيته أعمى ورأيته صحيحاً.

وقد رُوِيَتْ لنا هذه الحكاية على قَلْبِ اسم هذا الرّجل.

٤٢٦ ـ أخبرنا أحمد بن علي بن المُجَلَّى قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا علي بن محمد المُعَدّل[2] قال: حدثنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القُرشي قال: حدثني الحسن بن عبد العزيز الجَرَوي[3] قال: حدثنا عاصم بن أبي بكر الزّهري قال:

---

(١) أي: رماه بالحصباء، وهي الحجارة الصغيرة.

(٢) المُعَدّل: هو الذي عُدِّل وقُبِلَت شهادته. ومن المشهورين بهذه النسبة: أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله المعدّل السكري. انظر: الأنساب ٥/ ٣٤٠، واللباب ٣/ ٢٣٣.

(٣) الجَرَوي: نسبة إلى جَرِيّ بن عوف. ومن المشهورين بهذه النسبة: أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن الوزير بن ضابي الجروي. انظر: الأنساب ٢/ ٥٠، واللباب ١/ ٢٧٤.

أنبأنا مالك بن أنس، وابن أبي حاروم، والمغيرة بن عبد الرحمن، أنّ يوسف بن يونس بن حماس مرَّت به امرأة فَوَقَعَتْ في نفسه، فدعا الله فذهب بصرَه، فأقام بعد ذلك دهراً يختلُف إلى المسجد مكفوفاً يُقاد، ثم إنّه تحرَّك عليه بقَلْبِهِ وقد انصرف قائده، فلم يجدْ من يقوده، فخلا المسجد، فدعا الله تعالى فردّ عليه بصرَه، فلم يزل صحيح البصر حتى مات.

٤٢٧ ـ وبالإسناد قال: حدثنا القُرشي، قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا موسى بن أيوب، قال: حدثنا عُبيد البَيْرُوتِيّ، عن الأوزاعي، عن يحيى، قال: بينما امرأة قائمة عند قنديل تُوقده، إذ نظر إليها رجل ففَطِنَتْ له، وعرَفت أنه قد تبيَّنها، فالتفَتَتْ إليه، وقالت له: تنظر ملء عينك إلى شيء لغيرك؟!

قال: فزادني زياد بن محمد، عن عقبة، أنه دعا ربّه أن يذهب بصرَه، فذهب، فمكث عشرين سنة أعمَى لا يُبصر، فلمّا كبر دعا ربّه أنْ يردَّ عليه بصرَه، فردّ الله عليه بصره.

قال يحيى بن أبي كثير: وأخبرني بعض من رآه بصيراً قبل أن يعمَى، فرآه شيخاً بصيراً بعدما عَمِي.

٤٢٨ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز الأزْجِي، قال: حدثنا ابن جَهْضَم، قال: سمعت محمد بن أحمد الزُّبَيْرِي، قال: سمعت أبا العباس الفَرْغَاني، قال: سمعت منصور بن إسماعيل، يقول: كنت إذا نظرت إلى الشيء الحسَن، يأخذ مِن قلبي المأخذ الشديد، فسألت الله عزّ وجل أن يُذهب بصري، فذهب.

* * *

البابُ الثّامِنَ عشَرَ

في ذِكْرِ ثَوابِ مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ الحَرَامِ

٤٢٩ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، وعبد الوهاب بن المبارك، ويحيى بن عليّ، قالوا: أنبأنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، قال: أنبأنا أبو حفص الكتّاني:

وأخبرنا أحمد بن محمد الطُّوْسِي، وإسماعيل بن أحمد، ويحيى بن الحسن، وأحمد بن الحسن المُقْرِي، وعلي بن المبارك، قالوا: حدثنا ابن النّقور، قال: أنبأنا عبد الله بن حبابة:

قالا: حدثنا البَغوي، قال: حدثنا طالوت بن عبّاد، قال: حدثنا فضال بن جُبير، قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اكفلوا لي بستٍّ أكفلْ لكم بالجنة، إذا حدّث أحدُكم فلا يكذِب، وإذا اؤتمن فلا يَخُنْ، وإذا وَعَدَ فلا يُخلف، غُضّوا أبصاركم، وكفّوا أيديكم، واحفظوا فروجكم»(١).

٤٣٠ ـ أخبرنا يحيى بن علي، قال: أنبأنا أبو الحسن ابن المُهْتَدِي، قال: حدثنا ابن شاهين، قال: حدثنا محمد بن صالح بن زَغْبَل، قال: حدثنا عبد الواحد بن غيّاث، وطالوت بن عباد، قالا: حدثنا فضال بن جُبير، قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اكفلوا لي بست أكفل لكم بالجنة، إذا حدّث أحدُكم فلا يكذب، وإذا وَعد فلا يُخلف، وإذا اؤتمن فلا يَخُن، غضّوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وصِلُوا أرحامَكم»(٢).

٤٣١ ـ أخبرنا هِبَة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدّثني أبي، قال: حدثنا عَتّاب، قال: حدثنا عبد الله ـ وهو ابن المبارك ـ، قال: أنبأنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن زَحْر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبيّ ﷺ قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أوّل مرة، ثم يغضّ بصره، إلاّ أحدث الله له عبادة يَجِدُ حلاوتها»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه برقم (٢٦١).

(٢) انظر الهامش السابق.

(٣) حديث واه بمرة. رواه أحمد في المسند ٥/٢٦٤. وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٦٣ للطبراني=

٤٣٢ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحُسين، قال: حدثنا محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أبو اليَمان، قال: حدثنا أبو مَهدي سعيد بن سِنان، عن أبي الزَّاهرية، عن كثير بن مُرّة، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرة الأولى خطأ، والثانية عَمْد، والثالثة تُدَمِّر، نَظَرُ الرجلِ إلى محاسن المرأة سهمٌ من سهام إبليس مسموم، من تركَها من خشيةِ الله ورجاء ما عنده أثابه الله بذلك عبادة تبلغه لذّتها»(١).

٤٣٣ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا علي بن حَرْب، قال: حدثنا إسحاق بن عبد الواحد، قال: حدثنا هُشَيْم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن مُحارب بن دِثار، عن صِلَة، عن حُذيفة بن اليَمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى المرأة سَهْم من سهام إبليس مسمومٌ، فمَن تركه خوفَ الله عزّ وجلّ، أثابه الله تعالى إيماناً يَجِدُ حلاوَته في قلبِه»(٢).

= وقال: «وفيه علي بن يزيد الألهاني: متروك».
قلت: انظر أقوال العلماء في الألهاني هذا التهذيب ٣٩٦/٧. وليس هو فقط سبب الضعف بل فيه أيضاً: عبد الله بن زحر، والقاسم أبو عبد الرحمٰن، وكلاهما ضعيف والبعض يُحسّن حديثهما. ومما قيل فيهم، ما ذكره ابن حبان عن عبد الله بن زحر: «يروي الموضوعات عن الأثبات»، فإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطّامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر: عبد الله بن زحر، وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمٰن، لم يكن متن ذلك الخبر إلاّ مما عملته أيديهم. ذكر ذلك الحافظ في التهذيب ١٣/٧ ثم تعقّبه بقوله: «وليس في الثلاثة من اتّهم إلا عليّ بن يزيد، وأما الآخران فهما في الأصل صدوقان، وإن كانا يخطئان».

(١) حديث موضوع، فيه: أبو مهدي سعيد بن سنان الحنفي الحمصي: متروك، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع. التقريب (٢٣٣٣).

(٢) حديث ضعيف جداً. رواه الحاكم في المستدرك ٣١٣/٤، والقضاعي في مسند الشهاب (٢٩٢). وذكره الذهبي في الميزان ١٩٤/١؛ كلهم من طريق إسحاق بن عبد الواحد به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرّجاه». وتعقّبه الذهبي بقوله: «إسحاق: واهٍ، وعبد الرحمٰن هو الواسطي: ضعّفوه». وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٦٣/٣: «خرّجه الطبراني والحاكم من رواية عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي، وهو واهٍ»، وقال الذهبي في الميزان ١٩٤/١ عنه في ترجمة إسحاق بن عبد الواحد القرشي الموصلي: «قال أبو علي الحافظ: متروك الحديث...، ثم قال الذهبي: هو واهٍ، وقال أيضاً ٥٤٨/٢ في ترجمة عبد الرحمٰن بن إسحاق الواسطي: «ضعّفوه». ثم ذكر بعض أقوال العلماء فيه، ومن ذلك: ما قاله الإمام أحمد: له مناكير وليس هو في الحديث بذاك. وقال يحيى بن معين: ضعيف، وقال مرّة: متروك، وقال البخاري: فيه نظر. =

٤٣٤ ـ أخبرنا عبد الوهّاب بن المبارك، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا القاضي أبو محمد يحيى بن الحسن بن المُنذر، قال: أنبأنا إسماعيل بن سعيد المعدّل، قال: حدثنا أبو بكر بن الأَنْبَاري، قال: حدثنا عُبيد بن عبد الواحد، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يَزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من نظر إلى امرأةٍ فغضَّ بصرَه عند أوّل دفعة رزقه الله عبادة يَجِدُ حلاوَتها»(١).

قال ابن الأنباري: قال اللغويون: غضّ: تفسيره يغضّ، يُقال: قد غَضَضْتُ من الرجلِ، إذا طعنت عليه ووضعت منه.

٤٣٥ ـ أخبرنا أحمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الخلاّل، قال: أنبأنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا قاسم بن علي الدَّهْرِي، قال: حدثنا عبد الله بن إسحاق، قال: حدثنا سهل بن محمد الفارسي، قال: حدثنا أيوب بن سليمان، قال: حدثنا محمد بن مروان، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النّعمان بن سعيد، عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول: «النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، فمن تركها من مخافتي أبدلته مكانَها إيماناً يَجدُ حلاوتَه في قلبه»(٢).

٤٣٦ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد الحدّاد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا ابن غفير الأنصاري، قال: حدثنا شُعيب بن سلَمة، قال: حدثنا عِصْمَة بن محمد، قال: حدثنا موسى بن عُقبة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما مِن عبد يكفّ بصرَه عن محاسنِ امرأةٍ، ولو شاء أن ينظرَ إليها نظر، إلاّ أدخلَ اللَّهُ عزّ وجلّ قلبه عبادةً يَجدُ حلاوتَها»(٣).

= قلت: وعبد الرحمٰن هذا مع ضعفه قد اضطرب في هذا الحديث: فرواه مرة من حديث حذيفة ـ كما هنا ـ. ورواه أخرى من حديث ابن مسعود عند الطبراني في الكبير (١٠٣٦٢) وانظر مجمع الزوائد ٨/٦٣. ورواه من حديث ابن عمر عند القضاعي في مسند الشهاب (٢٩٣). ومن حديث عليّ عن النبي ﷺ عن ربّه عزّ وجلّ في الحديث الآتي عند المصنّف برقم (٤٣٥).

(١) حديث واه. لاجتماع عبد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم في إسناده، وقد تقدم الكلام عليهم عند الحديث رقم (٤٣١).

(٢) حديث ضعيف جداً، فيه: عبد الرحمٰن بن إسحاق هو الواسطي، واهٍ، وقد اضطرب فيه. انظر تفصيل الكلام عند الحديث رقم (٤٣٣).

(٣) حديث موضوع. فيه: عصمة بن محمد، قال عنه يحيى بن معين: كذاب، يضع الحديث، وقال العقيلي: حدّث بالبواطيل عن الثقات، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال أبو حاتم: ليس بقوي، وقال ابن عَدِيّ: كلّ حديثه غير محفوظ. انظر ميزان الاعتدال ٣/٦٨.

٤٣٧ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا علي بن أحمد المَلَطِي، قال: أنبأنا محمد بن يوسف، قال: أنبأنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد القُرشي، قال: حدثنا أبو سعيد المَدَني، قال: حدّثني عُمر بن سهل المازِني، قال حدّثني عُمر بن محمد بن صُهْبان، قال: حدثني صَفوان بن سليم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلّ عينٍ باكية يوم القيامة، إلاّ عينٌ غضّت عن محارم الله، وعينٌ سَهِرت في سبيل الله، وعينٌ يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله»[١].

٤٣٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفَقِيه، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي الفَوَارس، قال: أنبأنا إبراهيم بن أحمد المُزَكّي، قال: أنبأنا محمد بن المُسيّب، قال: حدثنا عبد الله بن خبيق، قال: حدثني الحسن بن مجاهد، قال: «غضّ البصر عن محارم الله يُورث حبّ الله».

٤٣٩ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر الشِّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد، يقول: سمعت أبا الحُسين الورّاق يقول: مَن غضّ بصره عن مُحَرّم أورثه الله بذلك حِكمة على لسانه يُهْدَى بها سَامِعُوه، ومَن غضّ بصره عن شُبهة نوّر الله قلبَه بنور يهتدِي به إلى طريق مرضاته.

٤٤٠ ـ أخبرنا أبو بكر الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق، قال: أنبأنا أبو عبد الله الشّيرازي، قال: حدثنا عبد الواحد بن بكر الوَرَثَانِي، قال: حدثنا محمد بن أحمد المارِسْتَاني، قال: حدثنا محمد بن عيسى القُرشي، قال: حدثني إبراهيم بن المُهَلّب السّائِح، قال: رأيت بين الثَّعْلَبيّة[٢] والخُزَيْمِيّة[٣] غلاماً قائماً يصلي، قد انقطع عن الناس، فانتظرته حتى قطعَ صلاتَه ثم قلتُ له: ما معك مُؤْنِس؟ قال: بلى، قلت: وأين هو؟ قال: أمامِي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي. فعلمت أنّ عنده معرفة.

---

(١) حديث ضعيف. عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٥/ ٢٧ لأبي نعيم في الحلية. قلت: في إسناده:
ـ عمر بن سهل بن مروان المازني التميمي: صدوق يخطىء. التقريب (٤٩١٤).
ـ وعمر بن صُهبان، ويقال: اسم أبيه محمد، الأسلمي، أبو جعفر المدني: ضعيف. التقريب (٤٩٢٣).
وانظر ضعيف الجامع (٤٢٤٣)، والضعيفة (١٥٦٢).

(٢) الثَّعْلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة، بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثُلثا الطريق، وأسفل منها ماءٌ يُقال له الضُّوَيجعة على ميل منها مشرف، ثم تمضي فتقع في برك يقال لها: برك حَمْد السبيل، ثم تقع في رمل متّصل بالخزيميّة. انظر معجم البلدان ٢/ ٩١ ـ ٩٢.

(٣) الخُزَيمية: بضم أوّله وفتح ثانيه ـ تصغير خزيمة، وهو مَنزل من منازل الحاجّ بعد الثعلبية من الكوفة وقبل الأجفر، وقال قوم: بينه وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلاً. وقيل: إنه الحُزيمية ـ بالحاء المهملة. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٢٣.

فقلت: أما معك زاد؟ قال: بلى. قلت: فأين هو؟ قال: الإخلاص لله عزّ وجلّ، والتوحيد له، والإقرار بنبيّه ﷺ، وإيمان صادقٌ، وتوكّل واثق. قلت: هل لك في مرافقتي؟ قال: الرفيق يشغل عن الله، ولا أحبّ أن أرافق أحداً فأشتغل به عنه طَرْفة عَيْن. قلت: أما تستوحش في هذه البَرّية وحدك؟ فقال: إنّ الأنسَ باللهِ قَطَعَ عنّي كلّ وَحْشَة، حتى لو كنت بين السبّاع ما خفْتها ولا استوحشت منها. قلت: فمن أين تأكل؟ فقال: الذي غَذّاني في ظُلَم الأرْحَام صغيراً، قد تكفّل برزقي كبيراً. قلت: ففي أي وقت تجيئك الأسباب؟ فقال: لي جَدٌّ معلومٌ ووقتٌ مفهوم، إذا احتجت إلى الطعام أصبته في أيّ موضع كنت، وقد علم ما يصلحني وهو غير غافل عنّي. قلت: ألك حاجة؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إذا رأيتني فلا تكلمني ولا تُعلم أحداً أنك تعرفني. قلت: لك ذاك، فهل حاجة غيرها؟ قال: نعم. قلت: وما هي؟ قال: إنِ استطعت لا تنساني في دعائك وعند الشّدائد إذا نَزَلَتْ بك، فافعل. قلت: كيف يدعو مثلي لمثلك وأنت أفضل منّي خوفاً وتوكلاً؟! قال: لا تقل هذا، إنّك قد صلّيت لله عزّ وجلّ قَبْلي، ولك حقّ الإسلام ومعرفة الإيمان. قلت: فإنّ لي أيضاً حاجة. قال: وما هي؟ قلت: ادع الله لي. فقال: حَجَبَ اللّهُ طَرْفَك عن كلّ معصية، وألهم قلبَك الفكرَ فيما يُرضيه، حتى لا يكون لك همٌّ إلاّ هو. قلت: يا حبيبي متى ألقاك وأين أطلبك؟ فقال: أمّا في الدنيا فلا تحدّث نفسك بلقائي فيها، وأمّا الآخرة فإنّها مجمع المُتّقِين، فإياك أنْ تُخالفَ اللهَ فيما أمرَك وندبَك إليه، فإنْ كنت تبغي لقائي فاطلبني مع الناظرين إلى الله عز وجل في زُمْرَتِهم. قلت: وكيف عَلِمْتَ ذاك؟ قال: بغضّ طَرْفي له عن كلّ مُحَرّم، واجتِنَابي فيه كلّ منكر ومَأْثم، وقد سألته أنْ يجعل جنّتي النظر إليه. ثم صاح وأقبل يسعَى، حتى غاب عن بصري.

* * *

فتفهّم يا أخي ما أُوصِيك به، إنّما بصرك نعمة من الله عليك، فلا تَعْصِه بنعمه، وعامله بغضّه عن الحرام تَرْبَح، واحْذَر أن تكون العُقوبةُ سلْبَ تلك النّعمة، وكلّ زمن الجهاد في الغضّ لحظة، فإنْ فَعَلْتَ نِلْتَ الخيرَ الجَزِيل، وسلمتَ مِنَ الشرّ الطويل.

٤٤١ ـ ألم تسمع قول القائل:

إنّـــــي إذا ذلّ الحــــــريـــصُ عَـزَزْتُ فـي ظِـلِّ القَنـاعـة
وأقــــول للنّفــــسِ اطمئـــنّي فـالشجـاعـةُ صَبْـرُ سـاعـة

٤٤٢ ـ وقال الآخر:

ليـسَ الشُّجـاعُ الـذي يَحمِـي مَطِيّتَـه يـومَ النِّـزالِ ونَـارُ الحَـرْبِ تشتعـلُ
لكـنْ فتًـى غـضَّ طَـرْفـاً أو ثنَـى بَصَـراً عـنِ الحـرامِ فـذاك الفـارسُ البطـلُ

٤٤٣ ـ وقال الآخر:

صبـرتُ عـن اللّـذّات حتـى تـوَلّـتِ ... وألْـزَمْـتُ نفسـي صَبْـرَهـا فـاستمـرّتِ
وكـانـت علـى الأيـامِ نفسِـي عـزيـزة ... فلمّـا رأتْ صبـرِي علـى الـذّلّ ذَلّـتِ
ومـا النفـسُ إلاّ حيـث يجعلُهـا الفَتـى ... فـإنْ أُطْمِعَـتْ تـاقَـتْ وإلاّ تسلَّـتِ[1]

* * *

(١) هذا الباب ذكره المُصنِّف لذكر ثواب من غضّ بصره عن الحرام، وقد ذكر طائفة من ذلك الإمام ابن القيم في: روضة المحبين ص ١١٣ ـ ١٢٠، والجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٢٥٩ ـ ٢٦٢، وإغاثة اللهفان ١/٩٨ ـ ١٠٠.

البَابُ التَّاسِعَ عَشَرَ

في مُعَالَجَةِ الهَمّ والفِكْرِ المُتَوَلِّدِ عَنِ النَّظَرِ

اعلم وفقك الله، أنّك إذا امتثلتَ المأمور به، من غضّ البصر عند أوّل نظرةٍ، سلِمْتَ من آفاتٍ لا تُحصى[1]، فإذا كرَّرت النّظرَ لم تأمَنْ أنْ يُزرع في قلبِك زرعاً يَصعبُ قلْعُه. فإن كان قد حصَلَ ذلك فعلاجُه: الحِمْيةُ بالغضّ فيما بعد. وقطعُ مُرادِ الفِكْر بسدّ باب النظر. فحينئذ يسهل علاجُ الحاصِلِ في القلب، لأنّه إذا اجتمع سَيْلٌ فسُدَّ مجرَاه، سَهُل نزفُ الحاصِل، ولا علاج للحاصِلِ في القلبِ أقوَى مِنْ قطع أسبابه، ثم زَجْر الاهتمامِ به خوفاً من عقوبة اللهِ عزّ وجلّ، فمتَى شَرَعْتَ في استعمالِ هذا الدّواء رُجِيَ لك قُرْب السّلامة، وإن ساكَنْت الهمَّ ترقَّى إلى درجةِ العزْم، ثمّ حَرَّك الجوارح.

٤٤٤ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر بن خلَف، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين، قال: سمعت محمد بن أحمد النَسَوِيّ[2]، يقول: سمعت علي بن إبراهيم، يقول: سمعت إبراهيم بن المولد، يقول: سمعت محمد بن أحمد الرَّافِقي يقول: سمعت علي بن الحُسين التّمِيمي يقول: سمعت أبا تُراب النَّخْشَبي[3]، يقول: احفظ همّك، فإنّه مُقدِّمة الأشياء، فمن صحّ له هَمُّه صحّ له ما بعد ذلك من أفعاله وأحواله.

٤٤٥ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد المُتَوَكِّلي، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا محمد بن موسى الصَّيْرَفي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأَصْبَهَاني، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: قيل لبعض الحكماء: ما سبب الذنب؟ قال: الخطرة، فإن تَدارَكْتَ الخطرةَ بالرّجوع إلى الله ذهَبَت، وإن لم تفعلِ تولّدَت عنها الفِكرة، فإن تدارَكْتَها بالرّجوع إلى اللهِ بطلت، وإلاّ فعند ذلك تُخالطُ الوسوسةُ الفِكرةَ، فتولّد عنها الشّهوة، وكلّ ذلك بعدُ باطن في القلب لم يظهر على الجوارح، فإن استَدْرَكْتَ الشهوةَ، وإلاّ تولّد منها الطّلب، فإن تدارَكْتَ الطلبَ وإلاّ تولّد منه الفعل.

---

(١) انظر ما تقدّم في الهامش السابق.

(٢) النَّسَوي، والنسائي: نسبة إلى نَسَا، مدينة بخراسان. انظر الأنساب ٥/ ٤٨٣.

(٣) النَّخْشَبي: نسبة إلى نَخْشَب، وهي نَسَف. واشتهر بهذه النسبة شيخ عصره أبو تراب النّخشبي، اختلف في اسمه، فالأشهر أنه: عسكر بن حصين، وقيل: عسكر بن محمد بن حصين. انظر: الأنساب ٥/ ٤٧٣، ولب اللباب ٢/ ٢٩٤.

فإن قال قائل: كيف أقدِر على دَفْع خَطرات تخطرُ لا أملكها؟

فالجواب: أنّها ما لم تكن عزْماً لا تضرّ، غير أنّه لا ينبغي أن تُؤجر بالخوف ممن يعلم ما تخفي الصدور، لتَشَاغُل القلب بوظائف بعِيدة، تُلهيه عن الأمر الذي خُلِق له، ومتَى كفَفْتَ جوارحك ولم تَعْزِم على الخطايا بقلبك، فقد عُفي لك عن الوَسواس والخَواطر، فإذا زَجَرْتها بالخوف فقد بالغْتَ في النظافة.

٤٤٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر بن خلَف، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين، قال: سمعت أبا بكر الرّازي يقول: سمعت جعفراً الْخُلْدي[١] يقول: قال أبو العباس بن مَسْرُوق: مَنْ راقب الله في خَطرات قلبِه، عصمَهُ اللهُ في حرَكات جوارحه.

* * *

(١) الخُلْدِيّ: بضم فسكون، نسبة إلى الخُلْد، محلّة ببغداد. وجعفر: هو ابن محمد بن نصير الخُلْدي الخوّاص، أبو محمد، أحد مشايخ الصوفية. انظر: الأنساب ٢/٣٨٩ ـ ٣٩٠، اللباب ١/٤٥٦، ولب اللباب ١/٢٩٣، ومعجم البلدان ٢/٣٨٢.

البَابُ العِشْرُونَ

في ذِكْرِ ما يَصْنَعُ مَنْ رَأَى امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ[(١)]

٤٤٧ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد بن الحُصَيْن، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الصّمد، قال: حدثني حَرْب، عن أبي الزُّبَيْر، عن جابر، أنّ رسول الله ﷺ رأى امرأةً فأعجبته، فأتى زينبَ فقضَى منها حاجته، وقال: «إن المرأةَ تُقْبِل في صورةِ شيطان، وتُدْبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدُكم امرأةً فأعجَبَتْه فليأتِ أهلَه، فإنّ ذلك يَرُدُّ مما في نفسه»[(٢)]. انفرد بإخراجه مسلم[(٣)].

وقد نبه هذا الحديث على أمرين[(٤)]:

أحدهما: التسلّي عن المطلوب بجنسه.

والثاني: الإعلام بأن سبب الإعجاب قوة الشهوة، فأمر بتنقيصها[(٥)].

---

(١) انظر في هذه المسألة: روضة المحبين ص ١١٣، والجواب الكافي ص ٥٤٢، وأحكام النظر إلى المحرمات، لابن حبيب العامري ص ٦٤، وشرح النووي على صحيح مسلم ٩/١٧٨.

(٢) قال ابن حبيب العامري في أحكام النظر إلى المحرّمات ص ٦٥ ـ ٦٧: بعدما ذكر الحديث: «فانظر كيف علّمهم ﷺ صيانة القلوب عن مصاحبة خاطر امرأة ليست له بمَحْرم، وإنّه إن عرض لأحدهم شيءٌ من هذا، فليُفْضِ إلى حلاله، لئلاّ يَعْلَق ذكر نساء الأجانب بباله، مع أنّ نظر المفاجأة ليس بالمحرم، فافهم».

(٣) رواه مسلم (١٤٠٣)، وأبو داود (٢١٥١)، والترمذي (١١٥٨)، والنسائي في عشرة النساء من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٢/٣٥٠، وأحمد في المسند ٣/٣٣٠ و ٣٤١ و ٣٤٨ و ٣٩٥، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/٩٠، وابن حبان في صحيحه (٥٥٧٢ ـ ٥٥٧٣).

(٤) ذكر هاتين الفائدتين بشيء من التوسّع، ابن القيم في الجواب الكافي ص ٥٤٤ فانظره.

(٥) قلت: وفيه تنبيه إلى أنّ أصل الهوى تزيين من الشيطان. قال النووي رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث «قال العلماء: معناه الإشارة إلى الهوى والدعاء إلى الفتنة بها لما جعله الله تعالى في نفوس الرّجال من الميل إلى النساء والالتذاذ بنظرهنّ وما يتعلّق بهنّ. فهي شبيهة بالشيطان في دعائه إلى الشر بوسوسته وتزيينه له. ويستنبط من هذا: أنه ينبغي لها أن لا تخرج بين الرجال إلا لضرورة، وأنه ينبغي للرجل الغضّ عن ثيابها والإعراض عنها مطلقاً». اهـ.

البَابُ الحَادِي والعِشْرُونَ

في ذِكْرِ تَحْرِيمِ الخَلْوَةِ بالأَجْنَبِيّةِ(١)

٤٤٨ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد الشَّيْبَاني قال: أنبأنا الحَسن بن علي التّميمي قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا سُفيان، عن عَمْرو، عن أبي مَعْبَد، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجلٌ بامرأة، ولا تُسافر امرأة إلاّ ومعها ذو مَحْرَم»(٢). أخرجه البخاري ومسلم، واسم أبي معبد: نافذ مولى ابن عباس.

٤٤٩ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق، قال: حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي الزُّبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَخْلُوَنّ بامرأةٍ ليس معها ذو مَحْرَمٍ منها، فإنّ ثالثهما الشيطان»(٣).

---

(١) إن هذا الباب عظيم الشأن، وما تضمنه من الأحاديث والأخبار خير دليل على تبيان خطر ما يدعو إليه العلمانيون والمتحلّلون والمنحلّون من الاختلاط ونحوه، وبطلان وفساد دعواهم، كما يُشير بأصابع الاتهام لتلك الدعوات الزائفة ـ والتي تخرج باسم الإسلامِ والدِّين ـ من إباحة الخَلْوة بالنساء، والنظر إليهنّ، بدعوى الأَمْن من الفتنة تارة، والأخوة في الله تارة، ويقولون: ما ذلك إلاّ لتعليم الدِّين ونَشْرِه ـ زعموا ـ، بل هو الشيطان يُسَوِّل لهم الفاحشة ويقرِّبها إليهم، وقد نال منهم نيلاً عظيماً، حين أفتوا بجواز تعطّر المرأة وخروجها بين الرجال الأجانب، وحين أفتوا بأن مباشرة الرجل للمرأة الأجنبية التي لا تحلّ له من الصغائر التي تكفرها الصلاة... إلى غير ذلك من الفتاوى الضالة المضِلّة.
فكيف يُدعى إلى مثل هذه الأمور وتُباح شرعاً والنصوص هي هي، وشهوات الإنسان وأعداؤه من شياطين الإنس والجنّ هم هم، والمرأة هي هي قديماً وحديثاً. فلا جديد في هذا الموضوع، والأحكام التي تخصّه غير قابلة للتغيير والتبديل ـ وإن تغير العصر وتطوّر ـ.
وللمزيد من الفائدة في هذا الموضوع انظر: أعلام الموقعين ٣/١٣٩ ـ ١٥١، ومقدمة الشيخ مشهور حسن سلمان على رسالة «أحكام النظر إلى المحرمات» لابن حبيب العامري ص ١٣ ـ ١٧، ورسالة محمد بن لطفي الصباغ: «تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية».

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٦)، ومسلم (١٣٤١)، والنسائي في عشرة النساء، كما في تحفة الأشراف ٥/٢٥٨، وأحمد في المسند (١٩٣٥)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧٣٢)، وابن خزيمة في صحيحه(٢٥٣٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٥٨٩).

(٣) حديث حسن بشواهده. رواه الإمام أحمد في مسنده (١٤٢٤١) وفيه:
ـ ابن لهيعة، وضعفه معروف مشهور. =

٤٥٠ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا سعيد بن أحمد بن الحَسن بن البنّا، قال: أنبأنا علي بن أحمد البُسْرِي، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المُخَلِّص، قال: حدّثنا عبد الله بن محمد البغَوي، قال: حدثنا الحسن بن عَرَفَة:

قالا: حدثنا جَرير بن عبد الحَميد، عن عبد الملك بن عُمَير، عن جابر بن سَمُرة، قال: خطب عُمر رضي الله عنه الناسَ بالجَابِية[1]، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قام في مثلِ مقامي هذا، فقال: «ألا لا يخلُوَنّ رجلٌ بامرأَة، فإنْ ثالثهما الشيطان»[2].

= ـ أبو الزبير: مدلّس وقد عنعنه.
ولكن يشهد للحديث ما تقدم وما يأتي فيرتقي بهم إلى الحسن لغيره.

(١) الجابِيَة: قرية من أعمال دمشق، من ناحية الجولان، شمالي حوران، ويقال لها أيضاً: جابية الجولان. انظر معجم البلدان ٢/١٠٦.

(٢) حديث صحيح. رواه الإمام أحمد في المسند (١٧٨)، وذكره الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق ٢/٥٥٣ ـ ٥٥٤، وذلك من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر به.
قلت: وقد اختلف على عبد الملك في هذا الحديث:
ـ فروي عنه، عن عبد الله بن الزبير، عن عمر به. رواه النسائي في كتاب عشرة النساء، من سننه الكبرى كما في تحفة الأشراف ٨/٣٨، وعبد بن حميد، وأبو يعلى في مسنديهما، كما ذكر الحافظ ابن كثير في مسند الفاروق ٢/ ٥٥٥.
ـ وروي عنه، عن سليمان بن يسار، عن عمر به. رواه الحميدي في مسنده (٣٢)، والحاكم في المستدرك / ١١٢، وانظر مسند الفاروق ٢/ ٥٥٤.
ـ وروي عنه عن قبيصة بن جابر. ذكر ذلك الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٥٤ وعزاه لكتاب لابن أبي شيبة عن شيخ ضعيف، ثم قال: «وليس هذا عندنا بمحفوظ لأنه لم يقله أحد من الحفاظ، وإنما كتبناه ليُعرف».
وقد طعن الإمام الدارقطني في هذا الحديث لهذا الاختلاف على عبد الملك، قال الحافظ ابن كثير ٢/ ٥٥٥: «وقد تكلم أبو الحسن الدارقطني رحمه الله على هذا الحديث بكلام طويل حاصله: أنه رواه جماعة عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. ورواه آخرون عن عبد الملك، عن ابن الزبير، عن عمر. قال: ويشبه أن يكون الاضطراب من عبد الملك، لكثرة اختلاف الثقات عليه».
ثم أجاب ابن كثير عن ذلك، فقال: «قلت: عبد الملك من أئمة التابعين وساداتهم، وليس الاضطراب في حديثٍ مستحيلاً عليه، ولكن هاهنا الاضطراب بعيد، لأن هذه الخطبة شهدها خَلْق كثير. فلا بدّ أن يكون عبد الملِك قد سمعها من جماعة منهم. فمن الجائز أنه سمعها من عبد الله بن الزبير ومن جابر بن سمرة، فرواها تارة عن هذا، وتارة عن هذا، والله أعلم».
قلت: وقد ورد الحديث من طريق أخرى ـ أي من غير طريق عبد الملك ـ عن عمر. حيث رواه أحمد في المسند ١/١٨، والترمذي (٢١٦٦)، وقال: حسن صحيح. وانظر مسند الفاروق ٢/ ٥٥٣.

٤٥١ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا محمد بن هُبَيْرَة الغَاضِري، قال: حدثنا الحَسن بن قُتيبة، قال: أنبأنا يونس، عن عبد الملك بن عُمير، عن عبد الله بن الزُّبَير، قال: قام فينا عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: إنّ رسول الله ﷺ قام فينا كمقامي فيكم، ثم قال: «ألا لاَ يَخْلُوَنّ رجلٌ بامرأة، فإن ثالثهما الشيطان»[1].

٤٥٢ ـ أخبرنا يحيى بن علي المدبّر، قال: أنبأنا أبو منصور عبد العزيز العُكْبَري[2]، قال: أنبأنا عُبيد الله بن محمد الفَرَضي، قال: أنبأنا جعفر بن محمد الخُلْدِي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عُمر بن مَخْلَد السِّجِسْتَاني، قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المَروزي، قال: حدثنا ابن لَهِيعة، عن أبي قَتِيل، عن عبد الله بن عَمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يخلوَنّ رجلٌ بامرأة ليست له بمحرم، إلا هَمَّ أو همَّت به». قيل: يا رسول الله، وإن كانا صالِحَيْن؟ قال: «ولو كانت مريم بنت عمران ويحيى بن زكريا»[3]!

٤٥٣ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو علي التّميمي:

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا حمد بن أحمد قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله:

قالا: أنبأنا أبو بكر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا مَعمر بن سليمان، عن فرات، عن ميمون بن مهران، قال: ثلاثة لا تَبْلُوَنّ نفسَك بهنّ: لا تدخلَنّ على سلطان، وإنْ قلتَ: آمرُه بطاعةِ الله، ولا تدخلَنّ على امرأة، وإن قلت: أُعَلِّمُها كتابَ اللهِ عزّ وجلّ، ولا تُصغِيَنّ سمعَك لذي هوَى، فإنّك لا تدري ما يَعْلَق بقلبك منه!

٤٥٤ ـ أخبرنا عن عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب، قال: أنبأنا التَّنُوخِي، قال: أنبأنا أحمد بن يوسف بن البهلول، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا المُثَنّى بن جامع، قال: حدثنا شُريح بن يونس، قال: حدثنا فرَج بن فَضالة، عن كَلْب بن ميمون، عن ميمون بن مهران، قال: أوصاني عُمر بن عبد العزيز فقال: يا ميمون لا تخْلُ بامرأة لا تحلُّ

---

(١) رواه النسائي وعبد بن حميد وأبو يعلى وهو حديث صحيح، انظر الهامش السابق.

(٢) العُكْبَري: نسبة إلى عُكْبَرا بلد على دِجْلَة فوق بغداد. انظر: اللباب ٢/٣٥١.

(٣) حديث واهٍ بمرة إن لم يكن موضوعاً، فيه: موسى بن إبراهيم المروزي، أبو عمران: كذّبه يحيى بن معين، وقال الدارقطني وغيره: متروك. انظر: ميزان الاعتدال ٤/١٩٩. وعبد الله بن لهيعة ضعيف من جهة حفظه كما هو معلوم.

لك، وإن أَقْرَأْتَها القرآن، ولا تَتْبَعِ السلطانَ، وإن رأيتَ أنّك تأمُره بمعروف أو تنهاه عن منكر، ولا تُجالسْ ذا هوى فيُلقِي في نفسِك شيئاً يَسْخَطُ اللهُ به عليك.

٤٥٥ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، وحدثنا عنه المبارك بن عليّ(١)، قال: أنبأنا ابن النّقور، قال: أنبأنا المُخلّص، قال: حدثنا أبو محمد اليَشْكُرِيّ، قال: حدثنا أبو يعلى المُقْرِي، قال: حدثنا الأَصْمَعِي، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: قال لنا يونس بن عُبيد: أُوْصِيكم بثلاث فخذوها عنّي ـ حَيِيتُ أو مِت ـ: لا تُمَكِّنْ سَمْعَك من صاحبِ لَهْو، ولا تخْلُ بامرأة ليست لك بِحُرْمة ولو أن تقرأ عليها القرآن، ولا تدخل على أمير ولو أنَ تَعِظَه.

٤٥٦ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: حدثنا دَعْلَج بن أحمد، قال: حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم المَوْصِلي، قال: حدثنا حمّاد بن زيد، قال: قال يونس بن عُبيد: احفظوا عنّي ثلاثاً ـ مِتّ أو عشت ـ: لا يدخُلَنّ أحدُكم على ذي سلطان يعِظه ويعلّمه، ولا يخْلُ بامرأة شابّة وإنْ أَقْرَأَها القرآن، ولا يُمَكّنْ سَمْعَه من ذي هوى.

٤٥٧ ـ أنبأنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا عاصم، قال: أنبأنا عليّ بن محمد، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا فرَج بن فَضالة، عن عُبيد الرحمن بن زياد، قال: بينما موسى جالسٌ إذ أقبل إبليس، فقال له موسى: ما الذي إذا صنعه الإنسان اسْتَحْوَذْتَ عليه؟ قال: إذا أعجَبَتْه نفسُه، واستكثَر عِلْمَه، ونسِيَ ذُنوبه. وأُحَذِّرك ثلاثاً: لا تخْلُ بامرأة لا تحلّ لك، فإنّه ما خلا رجلٌ بامرأة لا تحلّ له إلاّ كنتُ صاحبَه دون أصحابي حتى أفتِنه بها، ولا تعاهد الله عهداً إلاّ وفَّيْتَ به، فإنّه ما عاهد الله أحدٌ عهداً إلاّ كنتُ صاحبَه دون أصحابي حتى أحول بينَه وبين الوفاء به، ولا تُخْرِجَنّ صدقةً إلا أَمْضَيتها، فإنّه ما أخرج أحدٌ صدقةً فلم يُمْضِها إلاّ كنتُ صاحبَه دون أصحابي حتى أحولَ بينه وبين الوفاء بها.

ثم ولّى وهو يقول: يا ويله ـ ثلاثاً ـ عَلِم موسى ما يُحَذِّر به بني آدم.

٤٥٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا أبو بكر بن خلَف قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السّلمي قال: قيل لأبي القاسم ابن النصراباذي: إنّ بعض الناس يُجالس النِّسوان، ويقول: أنا معصوم في رؤيتهنّ. فقال: ما دامت الأشباح باقية فإنّ الأمرَ والنهي باقٍ، والتحليلُ والتحريم

---

(١) الظاهر أن ابن الجوزي يروي هذا الأثر من طريق إسماعيل بن أحمد عن ابن النقور، ومن طريق المبارك بن عليّ عن إسماعيل بن أحمد عن ابن النقور، وهذا معنى: وحدثنا عنه ـ أي عن إسماعيل ـ المباركُ...، والله أعلم.

مُخَاطَبٌ به، ولن يجترىءَ على الشبهات إلاّ مَنْ هو بِعُرْضِ المحرّمات.

٤٥٩ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أبو الحُسين الحَمَامي قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن عليّ قال: أنبأنا ابن حيّويه قال: أنبأنا أبو بكر بن خلَف قال: حدثنا أبو محمد البَلْخِي قال: حدثنا محمد بن موسى الحنَفي قال: حدثنا عَمّي وليد بن يعقوب قال: حدثني أبي قال: دخل مَسْلَمَةُ بن عبد الملك على أخيه هشام بن عبد الملك، وعنده خادم جميل، عليه عِمامة سوداء، وثيابُ وَشْيٍ، فقال مَسلمة: يا أمير المؤمنين أي فتياننا هذا؟ قال: هذا خادم لي، فقال: يا أمير المؤمنين، يدخلُ على حُرَمك مثلُ هذا؟! قال: إنه مَجْبوب لا يقدرُ على النساء، قال: إنّه إن لم يقدر عليها ذكَّرها الرِّجال. قال: فأخرَجه هشام.

* * *

فاحذر، رحمك الله من أن تتعرّض بسبب البلاء، فبعيدٌ أن يَسْلَمَ مُقارِبُ الفتنةِ منها.

وكما أنّ الحذَر مقرونٌ بالنجاة، فالتعرّض بالفتنة مقرونٌ بالعَطَب. ونَدَر مَنْ يَسْلمُ من الفِتنة مع مقاربتها، على أنّه ما يَسْلمُ من فكرٍ وتصوّرٍ وهَمَّة، وكلّ هذا زلل.

هذا لو كانت الخَلوة بالأجنبية مُباحة، لم تَسْلَمْ من هذه الآفات، فكيف وهي محرّمة[1]؟!

* * *

(١) قال أبو بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري في (أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الخطر والآفات، والردّ على مَن استباح حِلّه، وادّعى العصمة فيه من الفتنة) ص ٣٢ ـ ٣٣: «إنّ الذي أجمعت عليه الأمة واتّفق على تحريمه علماءُ السلف والخلفِ من الفقهاء والأئمةِ هو نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض ـ وهم من ليس بينهم رحم من النسب ولا محرم من سبب كالرضاع وغيره ـ فهؤلاء حرام نَظَرُ بعضهم إلى بعض، وهم كل من حرم الشرع تزويج بعض منهم ببعض على التّأبيد، فالنّظر والخلوة محرّمٌ على هؤلاء عند كافة المسلمين لا يباح بدعوى زهدٍ وصلاح، ولا توهم عدم آفة ترفع عنهم الجناح، إلا في أحوالٍ نادرة، من ضرورة أو حاجة... فما سوى ذلك مُحَرَّمٌ سواء كان عن شهوة أو عن غيرها» اهـ.

البابُ الثّانِي والعِشْرُونَ

في التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ

٤٦٠ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد:

وأخبرنا عبد الأول، قال: أنبأنا الدّاوُدِي، قال: أنبأنا ابن أَعْيَن، قال: حدثنا الفَرَبْرِيّ، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة:

وأخبرنا أبو بكر الزَّاغُوني، قال: أنبأنا أبو الفتح الشَّاشي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المروزي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الفَرَاوي:

قالا[1]: حدثنا عبد الغافر، قال: أنبأنا ابن عَمْرويه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا ابن راهويه، قال: حدثنا جرير:

وأخبرنا ابن الحصين وابن عبد الباقي، قالا: أنبأنا أبو الطّيِّب الطبري، قال: أنبأنا أبو أحمد الغِطْرِيفي[2]، قال: حدثنا أبو خَليفة، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرّمادي، قال: حدثنا سفيان:

وأخبرنا أبو القاسم الحَريري، قال: أنبأنا أبو طالب العُشَارِي، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن شمعون، قال: حدثنا محمد بن محمد بن أبي حُذيفة، قال: حدثنا ابن أبي الخَنَاجر، قال: حدثنا موسى بن داود، قال: حدثنا القاسم بن مَعْن:

وأخبرنا عليّ بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو محمد الصَّرِيفِيني، قال: أنبأنا أبو حفص الكَتّاني، قال: حدثنا محمد بن عُبيد الله بن العلاء الكاتِب، قال: حدثنا أحمد بن بُرَيْك، قال: حدثنا أسباط:

وحدثنا مَوْهُوب بن أحمد، قال: أنبأنا ابن البُسْري، قال: أنبأنا المُخلّص، قال: حدثنا البَغوي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شَيبة، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر:

---

(١) في المطبوعة: قال، وهو خطأ، والمراد: أبو الفتح الشاشي وأبو عبد الله الفراوي.

(٢) الغِطْرِيفي: نسبة إلى غِطرِيف جَدّ، وأبو أحمد هو: محمد بن أحمد بن الحُسَيْن بن القاسم بن الغطريف، الرباطي الغِطرِيفي الجرجاني العبدي. انظر: الأنساب ٤/٣٠١، واللباب ٢/ ٣٨٥.

قالوا[1]: أنبأنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن أسامة بن زيد، عن النبيّ ﷺ قال: «ما تركتُ بعدي فتنة أضرَّ على الرّجال من النساء»[2].

٤٦١ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا أبو بكر الزَّاغُوني، قال: أنبأنا الشّاشي:

وأخبرنا المروزي، قال: أنبأنا الفَرَاوي:

قالا[3]: حدّثنا عبد الغافر، قال: حدثنا ابن عَمْرَوَيْه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا بُنْدَار:

قالا[4]: حدثنا محمد بن جعفر.

وأخبرنا عبد الأول، قال: حدثنا الدّاودي، قال: أنبأنا السَّرخسي، قال: حدثنا إبراهيم بن خُرَيم، قال: حدثنا عبد بن حُميد، قال: حدثنا النّضر بن شُمَيل:

قالا[5]: حدثنا شعبة، عن أبي سَلمة، قال: سمعتُ أبا نَضْرَة يُحَدِّثُ عن أبي سعيد الخُدْرِيّ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله عزّ وجلّ مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتّقوا الدنيا واتقوا النساء، وإنّ أوّل فتنةَ بني إسرائيل كانت في النساء»[6]. انفرد بإخراجه مسلم، والذي قبله متفق عليه.

٤٦٢ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا القَطِيْعي، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة، قالت: لما ثَقُل رسولُ الله ﷺ، جاء بلالٌ يُؤْذِنُه بالصلاة، فقال: «مُروا أبا بكرٍ فليصلّ بالناس»، قالت، فقلت: يا رسول الله، إنّ أبا بكر رجلٌ أَسِيْفٌ[7]، وإنّه متى يقومُ مقامَك لا يُسْمِعِ الناسَ؛ فلو أَمَرْتَ عُمر؟ فقال: «مُرُوا أبا بكر

---

(١) أي: يحيى بن سعيد، وشعبة، وجرير، وسفيان، والقاسم بن مَعْن، وأسباط، وأبو خالد الأحمر.
(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)، والترمذي (٢٧٨٠) عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وابن ماجه (٣٩٩٨)، وأحمد في المسند (٢١٢٣٩، ٢١٣٣٢).
(٣) أي: الشاشي والفَراوي.
(٤) أي: الإمام أحمد وبُنْدار.
(٥) أي: محمد بن جعفر والنضر بن شُميل.
(٦) رواه مسلم (٢٧٤٢)، والترمذي (٢١٩١)، والنسائي في عشرة النساء، كما في تحفة الأشراف ٣/ ٤٦٣، وابن ماجه (٤٠٠٠)، وأحمد في المسند (١٠٧٥٩، ١٠٧٨٥، ١١٠٣٤، ١١١٩٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١١٤١)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢١).
(٧) أَسِيف: أي سريع الحزن والبكاء.

فليصلِّ بالناس»، قالت: فقلتُ لحفصة: قولي له، فقالت له حفصة، فقال: «إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف»(١). أخرجاه في الصحيحَيْن.

٤٦٣ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا سُفيان عن عبد الرحمن بن عياش، عن زَيد بن علي، عن أبيه، عن عبيد الله(٢) بن أبي رَافع، عن عليّ عليه السلام قال: أردف رسولُ الله ﷺ الفَضْلَ، ثم سار حتى أتى الجمرة فرماها، فأتتْه امرأةٌ شابة من خَثْعَم، فقالت: إنّ أبي شيخٌ كبير، وقد أَدْرَكَتْهُ فريضةُ الله تعالى في الحجّ، فهل يجوزُ أن أحُجَّ عنه؟ قال: «نعم». قال: ولوَى عُنُقَ الفضل، فقال له العباس: يا رسولَ الله، ما لك لَوَيْتَ عنقَ ابنَ عَمِّك؟ قال: «رأيتُ شاباً وشابةً، فخِفْتُ الشيطانَ عليهما»(٣).

٤٦٤ ـ أنبأنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا القَطِيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إسحاق بن عيسى، قال: أنبأنا مالك، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن أُمَيْمَة بنت رفيقة، أنّها قالت: أتيتُ رسول الله ﷺ في نِسوة نبايعه، فقال: «إني لا أُصافِح النساء»(٤).

٤٦٥ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحُصين، قال: أنبأنا الحسن بن علي التّميمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرّازق، قال: حدثنا مَعْمَر، عن إسماعيل بن أُمية، عن عَمْرَة، عن عائشة، قالت: لو أنّ رسول الله ﷺ رأى ما أَحْدَث النساءُ اليومَ، لنهاهنّ عن الخروج، أو حرَّم عليهنّ الخروج(٥).

---

(١) رواه البخاري (٦٦٤) و (٦٧٩) و (٧١٢)، ومسلم (٤١٨)، والنسائي (٨٣٣)، وابن ماجه (١٢٣٢)، ومالك في الموطأ (٨٣) ١/ ١٧٠ ـ ١٧١، والدارمي (٨٣)، وأحمد في المسند (٢٣٥٤١، ٢٤١٢٦، ٢٤٧٣٠، ٢٥١٣٥، ٢٥٣٤٨، ٢٧٦٦٧، ٢٥٦٠٦).

(٢) في المطبوعة: عبد الله، والمثبت من سنن الترمذي وغيره.

(٣) تقدم هذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهنا أعاده من حديث عليّ رضي الله عنه.
رواه الترمذي (٨٨٥)، وأحمد في المسند (١٣٥١).
قلت: في إسناده: عبد الرحمٰن بن عياش: مقبول ـ كما قال الحافظ في التقريب ـ يعني: إذا تُوبع، ولم يُتابع، ولكن يشهد له حديث عبد الله بن عباس المتقدم فيرتقي به إلى درجة الحسن لغيره.

(٤) حديث صحيح، رواته كلهم ثقات. رواه النسائي (٤١٨١)، وابن ماجه (٢٨٧٤)، والإمام مالك في الموطأ (٢) ٢/ ٩٨٢ ـ ٩٨٣، وأحمد في المسند (٢٦٤٦٦، ٢٦٤٦٨، ٢٦٤٦٩، ٢٦٤٧٠).

(٥) رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند برقم (٢٥٤٢٦) ورواته كلهم ثقات.
ورواه بلفظ: «لو أدرك رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهنّ كما مُنِعَت نساءُ بني إسرائيل. قلت لعَمْرة: أَوَمُنِعْنَ؟ قالت: نعم». البخاري (٨٦٩)، ومسلم (٤٤٥)، وأبو داود (٥٦٩)، ومالك في =

٤٦٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا رِزْقُ الله بن عبد الوهاب، والحُسين بن محمد بن طلحة، قالا: أنبأنا عليّ بن محمد بن بشران، قال: حدثنا محمد بن عَمرو بن البَخْتَري، قال: حدثنا أحمد بن الخليل بن ثابت، قال: حدثنا الوَاقدي، قال: حدّثنا يحيى بن العلاء، عن عبد المَجيد بن سُهَيل[1]، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان النساء الأكابر وغيرهنّ، يَخْرُجْنَ يحضُرْنَ معَ رسول الله ﷺ وأبي بكر وعُمر وعثمان العِيدَ، فلمّا كان سعيدُ بن العَاص، سألني عن خروج النساء، فرأيتُ أن يُمنع الشَّوَابُّ الخروجَ، فأمَر مناديه: لا تخرجْ يومَ العِيد شابةٌ، فكان العجائزُ يخرجْنَ[2].

٤٦٧ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا حمد بن أحمد قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح قال: حدثنا يحيى بن بُكَيْر قال: حدثني يحيى بن صالح الأَيْلِيّ، عن إسماعيل بن أمية، عن عُبيد بن عُمير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال إبليس لربّه عزّ وجلّ: يا رب قد أُهْبِطَ آدم، وقد عَلِمْتُ أنّه سيكون له كِتاب ورُسُل، فما كتابهم ورسلهم؟ قال الله عزّ وجلّ: رُسلُهم الملائكة، والنبيّون منهم، وكُتبهم التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان. قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوَشْم، وقرآنك الشِّعر، ورسلُك الكَهَنة، وطعامُك ما لم يُذكرِ اسمُ اللَّهِ عزّ وجلّ عليه، وشرابُك مِن كلّ مسكر، وصِدْقُك الكَذِب، وبيتُك الحمَّام، ومصائِدك النّساء، ومُؤَذِّنك المِزْمَار، ومسجدك الأسواق»[3]. تفرد به يحيى بن صالح.

٤٦٨ ـ أخبرنا عبد الرحمٰن بن محمد القَزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن رِزق، قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكّي، قال: أنبأنا

= الموطأ (٤٦٧)، وأحمد في المسند (٢٤٠٨١، ٢٥٠٨٢، ٢٥٤٥١).

(١) في المطبوعة: عبد المجيد بن سَهْل، وهو خطأ والمثبت كما في التقريب (٤١٥٩).

(٢) خبر موضوع. فيه يحيى بن العلاء البَجلي الرازي أبو عَمرو، كان فصيحاً مفوّهاً، إلاّ أنه متهم بالكذب والوضع. قال عنه الإمام أحمد: كذاب يضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال الجوزجاني: غير مُقْنِع، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وضعفه يحيى بن معين وغيره، وقال عبد الرزاق: سألت وكيعاً عن يحيى بن العلاء، قال: أما رأيت فصاحته؟ قلتُ: على ذلك، ما تُنكرون؟. قال: يكفي أنه روى عشرين حديثاً في خلع النعل على الطعام. انظر ميزان الاعتدال ٣٩٧/٤. وقال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب (٧٦١٨): «رمي بالوضع».

قلت: والواقدي إن كان هو محمد بن عمر فهو متروك أيضاً، وإن كان أبا مسلم فصدوق يخطىء.

(٣) حديث منكر. فيه يحيى بن صالح الأَيْلي، قال في الميزان ٣٨٦/٤: «روى عنه يحيى بن بُكَير مناكير، قاله العقيلي».

محمد بن إسحاق السرّاج، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف الحَدّادي، قال: حدثنا الهُذَيل بن عُمير بن أبي العريف، قال: حدثنا موسى بن هلال النّخعي، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن هُبيرة بن يَرِيم[١]، عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخوفَ ما أخاف على أُمتي النساء والخمر»[٢].

٤٦٩ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرائطي، قال: حدثنا سعدان بن يزيد، قال: حدثنا الهيثم بن جميل، قال: حدثنا حمّاد بن زيد، عن عليّ بن زيد، عن أبي عثمان النَّهْدِي، عن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، أنهما قالا: لما كَثُر بَنو آدم، وعَصَوْا، دَعَتْ عليهم الملائكةُ، والسماءُ، والأرضُ، والجبالُ: ربَّنا أهلِكهم. فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الملائكة: إنّي لو أنزلتُ الشهوةَ والشيطان منكم بمنزلة بني آدم لفعلتم مثل ما يفعلون. فحدّثوا أنفسَهم أنهم لو ابتُلوا اعتصموا؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم أنِ اختاروا من أفاضلكم مَلَكَيْن؛ فاختاروا هاروت وماروت، وأُهبِطا إلى الأرض حكَمَين، وأُهبِطَتِ الزُّهرة إليهما في صورة امرأة، فوَاقَعَا الخطيئة، وكانت الملائكة يستغفرون للذين آمنوا، فلمّا واقعا الخطيئة استغفروا لمنْ في الأرض[٣].

---

(١) في المطبوعة: هُبَيْرة بن مَرْيم، وهو خطأ، وإنما هو: هُبَيرة بن يَرِيم ـ بالياء المفتوحة، وكسر الراء ـ قال الحافظ ابن حجر في التقريب (٧٢٦٨): «يَرِيم: بتحتانيّة أوّله، وزن عَظِيم، الشِّبامي.. ويُقال: الخارفي. . ، أبو الحارث الكوفي، لا بأس به».

(٢) حديث ضعيف. فيه: موسى بن هلال النخعي، قال عنه أبو زرعة: ضعيف. انظر: ميزان الاعتدال ٤/٢٢٦، ولسان الميزان ٦/١٣٦. والهُذَيل بن عُمير بن أبي العريف، لم أجد من ترجم له في المراجع الموجودة عندي. وأبو إسحاق هو السبيعي، ثقة اختلط في آخر عمره.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٨٨ لابن جرير في تفسيره. [انظر تفسيره ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٦].
قلت: وهذه القصة من الروايات التي ورد فيها بعض الأحاديث المرفوعة، لكنها كلها لا تصح، وأما الموقوفة فغايتها أن تكون من الروايات الإسرائيلية.
قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/٤٣: «قد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات. وروى الإمام أحمد [في مسنده ٢/١٣٤] حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر، وصححه ابن حبان في تقاسيمه [موارد الظمآن (١٧١٧)]، وفي صحته عندي نظر. والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر، ويكون مما تلقّاه عن كعب الأحبار... وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار. .». وقال أيضاً رحمه الله في تفسيره ١/١٤١: «قد روى قصة هاروت وماروت جماعة من التابعين، كمجاهد والسدّي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيّان وغيرهم، وقصّها خلق من المفسِّرين من المتقدمين والمتأخرين. وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى. وظاهر سياق القرآن إجمال القصة، من =

٤٧٠ ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا الحسن بن أبي بكر، قال: أنبأنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد، قال: أنبأنا عبد الكريم بن الهَيثم، قال: حدثنا سُنَيْد[١] بن داود، قال: حدثنا الفَرج بن فَضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع، قال: سافرتُ مع ابن عمر، فلمّا كان آخر الليل قال: يا نافع طَلَعَتِ الحمراءُ[٢]؟ قلت: لا، مَرّتَين أو ثلاثاً، ثم قلت: طَلَعَت. قال: لا مَرْحباً بها ولا أهلاً، قلت: سبحان الله نجم سامِعٌ مُطِيع. قال: ما قلتُ إلاّ ما سمعتُ من رسول الله ـ أو قال: قال رسول الله ﷺ ـ: «إنّ الملائكة قالت: يا ربِّ كيف صَبْرُك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إنّي ابتليتهم وعافيتكم. قالوا: لو كنّا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا مَلَكَين منكم.

فلم يألوا أنِ اختاروا هاروت وماروت، فنزلا فألقَى اللّهُ عليهما الشَّبَق[٣]، قلتُ: وما الشبق؟ قال: الشهوة. قال: فنزلا، فجاءت امرأة يُقال لها: الزُّهرة، فوقعت في قلوبهما، فجعل كلّ واحد منهما يُخفي عن صاحبه ما في نفسه، فرَجَع إليها أحدُهما، ثم جاء الآخر، فقال: هل وقَع في نفسِكَ ما وقع في قلبي؟ قال: نعم؛ فطلباها نفسَها. فقالت: لا أمكّنكما حتى تُعَلِّماني الاسم الذي تَعْرُجان به إلى السماء وتهبطان به. فأَبَيا. ثم سألاها أيضاً، فأبَت، ففعلا، فلمّا استُطِيرت طَمَسَها الله كَوْكباً، وقطع أجنِحَتَها. ثم سألا التوبة من ربّهما فخيَّرهما فقال: إنْ شئتما ردَدْتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يومُ القيامة عذَّبتُكما، وإنْ شئتما عذَّبتكما في الدنيا، وإذا كان يوم القيامة ردَدْتكما إلى ما كنتما عليه. فقال أحدُهما لصاحبه: إنّ عذاب الدنيا ينقطع ويزول، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة؛ فأوحَى الله إليهما أنِ ائتيا بابِل، فانطلقا إلى بابل، فخُسِف بهما، فهُما فيها منكوسان بين السماء والأرض، يُعَذّبان إلى يوم القيامة[٤].

= غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى. والله أعلم بحقيقة الحال».

(١) في المطبوعة: سَنَد بن داود، وهو خطأ، وإنما هو سُنَيد وقد سبقت ترجمته.

(٢) يقصد: الزُّهَرَة.

(٣) الشَّبق: شدة الشهوة، والبعض يخصّ الشبق: بالشهوة الفاسدة.

(٤) حديث منكر. رواه أحمد في المسند ٢/ ١٣٤، وابن حبان في صحيحه؛ موارد الظمآن (١٧١٧). وابن جرير الطبري في تفسيره ١/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥. وعزاه السيوطي في الدر ١/ ١٨٥ لسعيد بن منصور، والخطيب البغدادي في تاريخه. من طرق عن نافع به.
قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٨) بعد ما ذكره من حديث موسى بن جبير عن نافع به: «وهذا حديث غريب من هذا الوجه». ثم ذكر أنه ـ أي موسى بن جبير ـ لم ينفرد به عن نافع، بل تابعه موسى بن سرجس عند ابن مردويه، ومعاوية بن صالح عند ابن جرير، ثم قال: «وهذان أيضاً =

٤٧١ ـ أخبرنا ابن الحُصَين، قال: أنبأنا ابن المذهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا زُهير بن محمد، عن موسى بن جُبير، عن نافع، عن ابن عمر، أنه سمع نبيّ الله ﷺ يقول: «إنّ آدم لما أهبَطه اللَّهُ إلى الأرض قالت الملائكة: أي ربّ، أتجعل فيها مَن يُفسد فيها ويَسْفِك الدّماء، ونحن نُسَبِّح بحمدك ونُقَدِّس لك؟ قال: إنّي أعلم ما لا تعلمون. قالوا: ربنا، نحن أطوَعُ لك من بني آدم. قال الله تعالى للملائكة: هلمّوا ملَكين من الملائكة حتى نُهبطَهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان. قالوا: ربنا، هاروت وماروت. فأُهبطا إلى الأرض، فتمثّلت لهما الزُّهرة امرأةً حسنة من أحسن النسوة، فجاءتهما فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تكَلّما بهذه الكلمة من الإشراك. فقالا: واللَّهِ لا نشرك أبداً. فذهبت عنهما. ثم رجعت بصبيّ تحمِلُه، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبيّ. فقالا: والله لا نقتله أبداً. فذهبت ثم رجعت بقدَحٍ فيه خمر، فسألاها نفسها، فقالت: لا والله حتى تشربا هذه الخمر، فشربا فسكرا فوقعا عليها، وقتلا الصبيّ. فلما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه عليّ إلاّ وقد فعلتماه حين سكرتما. فخُيِّرا بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذاب الدنيا[(١)].

٤٧٢ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن الحسن بن خَيْرُون، قال: أنبأنا أبو علي ابن شاذان، قال: أنبأنا أبو علي الطُّوْمَارِي[(٢)]، قال: أنبأنا أبو الحسن بن البراء، قال: حدثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، قال: ذكر وَهب بن مُنَبِّه: أن عابداً كان في بني إسرائيل، وكان مِن أَعْبد أهل زمانه، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت، وكانت بكراً.

= غريبان جداً».
وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبيّ ﷺ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره: عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار... فذكر القصة نحوها. ثم ذكر إسناداً آخر عن موسى بن عقبة عن سالم أنه سمع عبدَ الله ـ ابن عمر ـ يُحَدِّث عن كعب الأحبار.. فذكره. ثم قال: فهذا أصح وأثبت إلى عبد الله بن عمر، من الإسنادَيْن المتقدمَين، وسالِم أثبتُ في أبيه ـ ابن عمر ـ من مولاه نافع. فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم». وانظر: كتاب التوابين لابن قدامة ص ٣٩ ـ ٤٧ بتحقيقنا، طبع دار الكتاب العربي، حيث ذكر هذه القصة من عدّة طرق، وقد فَصّلت الكلام عليها هناك.

(١) انظر الهامش السابق.

(٢) الطّوماري: نسبة إلى طومار جَدّ، وأبو علي هو عيسى بن محمد بن أحمد، من أهل بغداد، اشتهر بصحبة أبي الفضل بن طومار الهاشمي، فقيل له: الطّوماري. انظر: الأنساب ٤/ ٨٢، ولب اللباب ٢/ ٩٦.

فخرج البعثُ عليهم فلم يَدْرُوا عند مَنْ يُخَلِّفُون أختَهم، ولا مَن يأمنون عليها، ولا عند من يضعونها، فأجمع رأيُهم على أن يُخلِّفوها عند عابدِ بني إسرائيل. فأتَوْه فسألوه أن يخلِّفوها عنده، فتكون في كَنَفِهِ وجِواره حتى يرجعوا، فأبَى ذلك وتعوَّذ بالله عزّ وجلّ منهم ومن أختهم، فلم يزالوا به حتى أطاعهم، فقال: أنزلوها في بيت حِذاء صَوْمَعتي. فأنزلوها في ذلك البيت، ثم انطلقوا وتركوها. فمكثت في جوارِ ذلك العابد زَماناً، ينزلُ إليها بالطعام من صومعته، فيضعه عند باب الصومعة، ثم يُغلق بابه ويصعد في صومعته، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام.

قال: فتلطّف له الشيطان، فلم يَزَلْ يُرَغّبه في الخير ويُعَظِّم عنده خروجَ الجارية من بيتها نهاراً، ويخوّفه أن يراها أحدٌ فَيَعلَقُها: فلو مَشِيْتَ بطعامها حتى تضعَه على باب بيتها كان أعظم لأجرك، فلم يَزَلْ به حتى مشى بطعامها حتى وضعَه على باب بيتها، ولا يكلّمها.

قال: فلبث بذلك زماناً، ثم جاءه إبليس فرَغّبه في الخير والأجر وحضّه عليه وقال له: لو كنت تمشي إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك.

قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بطعامها فوضعه في بيتها.

قال: فلبث بذلك زماناً، ثم جاءه إبليس، فرغّبه في الخير وحضّه عليه، وقال له: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك؟ فإنها قد استوحشت وحشة شديدة.

قال: فلم يزلْ به حتى حدّثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته.

قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنتَ تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك، كان آنس لها، فلم يَزَلْ به حتى أنزله فأجلسه على باب صومعته يُحدّثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها.

قال: فلبثا زماناً يتحدثان، ثم جاءه إبليس فرغّبه في الخير والثواب فيما يصنع بها فقال: لو خرجتَ من باب صومعتك فجلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان آنسَ لها. فلم يَزَلْ به حتى فعل. فلبثا بذلك زماناً، ثم جاءه إبليس فقال: لو دنَوْتَ من باب بيتها، ثم قال: لو دخلتَ البيت فحدثتها ولم تتركها تُبرز وجهَها لأحد كان أحسن. فلم يَزَلْ به حتى دخل البيت، فجعل يُحدّثها نهارَه كلّه، فإذا أمسى صعد في صومعته.

قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك، فلم يزل يُزَيّنها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبّلها. فلم يزل به إبليس يحسّنها في عينه ويسوّل له حتى وقَع عليها، فأَحْبَلَها، فولدت غلاماً. فجاءه إبليس فقال له: أرأيت إنْ جاء إخوة هذه الجارية، وقد وَلَدَتْ منك، كيف تصنع؟ لا آمن أنْ تَفْتَضِحَ أو يفضحوك، فاعْمَد إلى ابنها فاذْبَحْه وادفِنْه، فإنّها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أنْ يطّلعوا على ما صنعتَ بها ففعل. فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما

صنَعْت بها؟! خذْها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذَبحها وألقاها في الحَفِيرة مع ابنها، وأطبق عليهما صخرةً عظيمة وسوّى عليهما، وصعد إلى صومعته يتعبّد.

فمكث بذلك ما شاء الله، حتى قَفَل[1] إخوتُها من الغزو، فجاؤوه فسألوه عن أختهم، فنَعاها لهم، وترحّم عليها وبكَاها، وقال: كانت خيرَ امرأةٍ، وهذا قبرُها فانْظروا إليه فأتى إخوتُها القبرَ فبكوا أختَهم وترحَّموا عليها، وأقاموا على قبرِها أياماً، ثم انصرفوا إلى أهاليهم.

قال: فلما جَنّهم الليل، وأخذوا مضاجعهم، أتاهم الشيطان في النوم، فبدأ بأكبرهم، فسأله عن أختِهم، فأخبره بقول العابد وبموتها، فكذَّبه الشيطان، وقال: لم يَصْدُقْكم أمْرَ أختِكم، إنّه أحْبَلَ أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فَرَقاً منكم، فألقاها في حفيرة خلف باب البيت.

وأتى الأوسطَ في منامه فقال له مثل ذلك. ثم أتَى الأصغر فقال له مثل ذلك.

فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجّبين لِما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول: رأيتُ عَجباً، فأخبر بعضُهم بعضاً بما رأى. فقال كبيرهم: هذا حُلم، ليس هذا بشي، فامضُوا بنا ودَعُوا هذا. قال أصغرهم: لا أمضي حتى آتي ذلك المكان، فأنظر إليه.

فانطلقوا وبَحثوا الموضع، فوجدوا أختَهم وابنَها مذبُوحَيْن، فسألوا عنها العابدَ فصَدَّق قولَ إبليس فيما صنع بها. فاسْتَعْدُوا عليه ملِكَهم، فأُنزِل من صومعته وقدّموه ليُصْلب. فلمّا أوقفوه على الخشبة أتاه الشيطان فقال: قد علمتَ أنّي صاحبُك الذي قد فَتَنْتُك في المرأة حتى أحبلتَها وذبحتَها وابنَها، فإنْ أنت أطعتَني اليوم وكَفَرْتَ باللّهِ الذي خلقَك، خَلَّصْتُك ممّا أنت فيه. فكفر العابد بالله، فلمّا كفَر خلَّى الشيطان بينه وبين أصحابه، فصلبوه.

قال: فعند ذلك نزلت هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشيطانِ إذْ قالَ للإنسان: اكْفُرْ، فلَمّا كفرَ، قال: إنِّي بريءٌ منكَ إنِّي أخافُ اللّهَ ربَّ العالمين * فكان عاقِبَتَهُما أنّهما في النّارِ خالدَيْن فيها وذلك جزاءُ الظالمِين﴾ [الحشر/ ١٦ ـ ١٧].

وقد ذُكرت قصة هذا الرجل على خلاف هذه الحال في التفسير، إلاّ أنّ المقصود وجود فتنة بالقتل والزّنا والكفر، وذلك مذكور في جميع الروايات[2].

---

(١) أي: عاد.

(٢) انظر الدر المنثور ٦/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧ حيث ذكر هذه القصة بعدّة روايات عن عدد من الصحابة، وهم:
ـ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وعزا حديثه لعبد الرزاق [في تفسيره ٢/ ٢٨٥] وابن راهويه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه و ابن جرير وابن المنذر والحاكم [في المستدرك ٢/ ٤٨٤] وابن مردويه و البيهقي في شعب الإيمان [رقم (٥٤٥٠) ٤/ ٣٧٣].
ـ ابن عباس؛ وعزا حديثه لابن أبي حاتم من طريق العوفي، ولابن المنذر والخرائطي في اعتلال =

فتلمَّحْ، وفقك الله، سببَ وقوعه في هذا الشرّ، وهو أنّه فسَحَ لنفسه فيما قد نُهي عنه، من الكلام للأجنبية والخَلوة بها، وكان كمأمور بالحِمْية أقبل على التخليط ثقةً بعافيته، فأدّاه ذلك إلى تَلَف نفسه. ولو أنّه استعمل قولَ طبيبه لسَلِم مِنْ شرّ ما وقع فيه. نعوذ بالله من الخِذْلان.

٤٧٣ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أبو المُطَهّر، قال: حدثنا أبو نُعيم الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحَسن، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن أشعث بن سُليم، قال: سمعت رَجاء بن حَيْوَة، يُحَدِّث عن معاذ بن جبل، قال: ابتليتم بفتنة الضرّاء فصبرتم، وستُبْتَلون بفتنة السَّراء. وأخوَفُ ما أخاف عليكم فتنةَ النساء، إذا تسوَّرْن الذَّهَبَ، ولَبِسْنَ رِياط[1] الشام وعَصْبَ[2] اليَمَن، فأَتْعَبْنَ الْغَنِيّ وكَلَّفْنَ الفقيرَ ما لا يَجِد[3].

٤٧٤ ـ أخبرنا المُبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي، قال: أنبأنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا الحَسن بن عرَفة، قال: حدثنا أبو معاوية الضّرير، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس، أنه قال: لم يكن كفرُ من قد مضى إلاّ من قِبَل النساء، وهو كائن كفر من بقي من قِبَل النساء.

٤٧٥ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا أبو شعيب الْحَرَّاني، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله، قال: حدثنا الأَوْزَاعي، قال: حدثنا حسّان بن عَطِية قال: ما أُتِيَتْ أُمّةٌ قط إلاّ من قِبَل نسائهم.

٤٧٦ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد قال: أنبأنا عُمر بن عُبيد الله البَقّال قال: أنبأنا أبو

= القلوب من طريق عدي بن ثابت [وابن جرير في التفسير ٢٨/ ٥٠].
ـ وابن مسعود؛ وعزاه لابن جرير [في التفسير ٢٨/ ٥٠].
ـ وطاووس؛ وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.
* وقد ورد الحديث مرفوعاً من حديث عبيد بن رفاعة الزرقي يبلغ به النبي ﷺ. عزاه السيوطي لابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان [رقم (٥٤٤٩) ٤/ ٣٧٢]. ولا يصح رفعه بل الصحيح وقفه على عليّ رضي الله عنه. انظر هامش زاد المسير ٨/ ٢١٩ ـ ٢٢٢، وهامش أحكام النظر إلى المحرمات ص ٥٤ ـ ٥٥.

(١) رياط: جمع رَيْطَة، وهي الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لِفقَيْن.
(٢) عَصب اليمن: نوع من البُرود والثياب.
(٣) انظر: الحلية ١/ ٢٣٦.

الحُسين بن بشران قال: أنبأنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا حَنْبَل قال: حدثني أبو عبد الله قال: حدثنا هُشيم، عن عليّ بن زيد، عن أيوب اللَّخْمي، عن ابن عمر، أنّه وقع في سهمه جارية يومَ جَلُولاء، كأنّ عُنُقَها إبريقُ فِضة. قال: فما صبرتُ أن قمتُ فقبّلتُها والنّاس ينظرون.

٤٧٧ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا ابن العلاّف قال: أنبأنا ابن بشران قال: حدّثنا أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا نصر بن داود الْخَلَنْجي[١] قال: حدثنا عَبّاد بن موسى، عن سفيان الثوري، عن ابن طاوس، عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿وخُلِق الإنسانُ ضعيفاً﴾ [النساء/ ٢٨]، قال: إذا نظر إلى النِّساء لم يصبر[٢].

٤٧٨ ـ وبه قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا علي بن حَرْب:

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا أبو حامد بن جَبلة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، قال: حدثنا هارون بن عبد الله، قالا[٣]: حدثنا سُفيان بن عُيَيْنَة، عن عليّ بن زيد، عن سعيد بن المُسَيّب، قال: ما يئس الشيطان من ابن آدم قط إلاّ أتاه من قِبَل النساء.

ثم قال ـ وهو ابن تسع وثمانين سنة، وقال هارون: وهو ابن أربع وثمانين سنة، وقد ذهبتْ إحدى عينَيْه، وهو يعشو بالأخرى ـ: وما شيءٌ عندي أخوفَ من النساء.

٤٧٩ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا حمد بن أحمد قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله قال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحُسين قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم البَالِسِي[٤] قال: حدثنا أحمد بن مسعود قال: حدثنا الهيثم بن جميل قال: حدثنا صالح بن موسى، عن معاوية بن إسحاق قال: سمعت سَعيد بن جُبير يقول: لأَنْ أؤتمن على بيت من الدُّرّ أَحَبُّ إليّ من أن أؤتمن على امرأة حسناء.

٤٨٠ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال أنبأنا حمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نعيم، قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني جعفر بن

---

(١) الخَلَنْجِي: نسبة إلى الخلنج، وهو نوع من الشجر الفارسي. تُصنع منه أوانٍ تُعرف بالأواني الخَلَنْجيّة، والنِّسبة إلى صناعتها وبيعها، انظر: الأنساب ٢/ ٣٩٢، اللباب ١/ ٤٥٦.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٥٧، للخرائطي في اعتلال القلوب. وورد عن طاووس لفظ آخر حيث قال عن الآية: في أمر النساء ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في النساء، قال وكيع: يذهب عقله عندهن. عزاه السيوطي لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن طاووس.

(٣) أي: عليّ بن حرب وهارون بن عبد الله.

(٤) البَالِسي: نسبه إلى بالِس، مدينة بين حلب والرقة. انظر: لب اللباب ١/ ٩٢.

محمد، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، قال: حدثنا أبو المُلَيح، قال: سمعت ميمون بن مَهْرَان يقول: لأَنْ أؤتمن على بيت مال أَحَبُّ إليّ من أن أؤتمن على امرأة.

٤٨١ ـ أنبأنا عبد الوهاب الحافظ قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا عبد العزيز بن الحسن الضّرَّاب قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن مروان قال: حدثنا أحمد بن علي قال: سمعت يوسف بن أَسْبَاط يقول: لو ائْتمنني رجلٌ على بيتِ مالٍ لظننتُ أنْ أؤدّي إليه الأمانة، ولو ائتمنني على زِنجيّة أن أخلوَ معها ساعة واحدة ما ائتمنتُ نفسي عليها.

٤٨٢ ـ وقد سمعت الشيخ الصالح سفيانَ الثوري يقول: ما بعثَ الله عزّ وجلّ نبياً إلاّ وقد تخوَّف عليه الفتنة من النساء.

٤٨٣ ـ أنبأنا عبد الوهّاب، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أحمد بن علي التُّوْزِي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الدقّاق، قال: أنبأنا رضوان بن أحمد، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا خلف بن هشام البزّاز، قال: حدثنا أبو شهاب الخيّاط، قال: سمعت سفيان الثوري يقول: ائتمِنّي على بيتٍ مملوء مالاً، ولا تأتمِنّي على جارية سوداء لا تحلّ لي.

٤٨٤ ـ قال القُرَشي: وحدثنا يوسف بن موسى، قال: أنبأنا حكّام بن سلَم، قال: كنت عند سفيان الثوري فجاءته امرأة فقالت: إنّي أريد أن أسألك عن شيء، فقال لها: أَجِيفي[1] الباب ثم تكلّمي من وراء الباب.

٤٨٥ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا أبو الحَسن ابن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو الحسن العَتِيقي، قال: أنبأنا أبو الطيّب بن المُنْتَاب، قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفَامِيّ، قال: حدثنا محمد بن حبيب البزّاز، قال: حدثنا الفضل بن موسى، قال: حدثنا إبراهيم بن بشارّ، عن سفيان، قال: يقال: قال إبليس: سهمي الذي إذا رَمَيْتُ به لم أُخْطِ: النساءُ.

٤٨٦ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا أبو بكر الخرَائطي، قال: حدثنا أبو يوسف الزّهري، قال: حدثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدثني سليمان بن داود المَخْزُومي، قال: حدثني إسماعيل بن يعقوب التَّمِيمي، عن عبد الرّحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، قال: قدِمَت امرأةٌ من هُذيل وكانت امرأةً جميلة فخطبها الناس، وكادت تذهب بعقول أكثرهم، فقال فيها عُبيد الله بن عَبد الله بن عُتبة[2]:

---

(١) أجيفي: أي أغلقي.

(٢) هو الإمام الفقيه، مفتي المدينة وعالمُها، وأحد الفقهاء السبعة، أبو عبد الله الهُذلي ـ المدنيُّ، =

أُحِبُّكِ حُبّاً لو علمتِ ببعضه — لَجُدْتِ ولم يصعُبْ عليكِ شديدُ
أحبّكِ حُبّاً لا يُحِبّكِ مثلَه — قريبٌ ولا في العاشقين بعيدُ
وحبّكِ يا أمّ الصبيّ مُدَلِّهِي[1] — شهيدي أبو بكرٍ فذاك شهيدُ
ويعلم وجْدي قاسمُ بنُ محمدٍ — وعُروة ما ألقى بكم وسعيدُ
ويعلم ما عندي سليمان علْمه — وخارجةٌ يُبدي بنا ويُعيدُ
متى تسألي عمّا أقول فتُخْبَري — فللّه عندي طارِفٌ وتليدُ[2]

فقال سعيد بن المسيب: فقد أَمِنْتَ أن تسأَلنا، ولو سألتنا ما طمعتَ أن نشهد بزور.

وهؤلاء الذين استشهد بهم، وهو معهم فقهاء المدينة السبعة: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت[3].

٤٨٧ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: حدثنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا المُبرّد، قال: حدثنا هشام، عن أبي عبيدة مَعْمَر بن المُثنّى، قال: حَجّ عبد الملك بن مَروان، وحجّ معه خالد بن يزيد بن معاوية[4]، ـ وكان من رِجالات قريش المعدودين وعلمائهم، وكان عظيم القدر عند عبد الملك ـ فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصُر

= الأعمى ـ وهو أخو المحدِّث عَوْن. وجدُّهُما عتبة هو أخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. ولد في خلافة عمر أو بُعيدها. قال الواقديّ: كان ثقةً، عالماً، فقيهاً، كثير الحديث والعلم بالشعر، وقد ذهب بصرُه، وقال أحمد بن عبد الله العِجْلي: كان أعمش، وكان أحد فقهاء المدينة ثقة، رجلاً صالحاً، جامعاً للعلم، وهو معلِّم عُمَر بن عبد العزيز. توفي سنة (٩٩) هـ وقيل غير ذلك. انظر: السير ٤/ ٤٧٥، الحلية ٢/ ١٨٨، تذكرة الحفاظ ١/ ٧٤، شذرات الذهب ١/ ١١٤، تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٣.

(١) الداله والدالهة والمدله: الضعيف النفس الساهي القلب الذاهب العقل من العشق ونحوه.

(٢) الطّارف: هو المال الحديث، ويقابله التّالد والتّليد: وهو المال القديم الأصلي.

(٣) قلت: هناك خلاف في تسمية الفقهاء السبعة. فقد ذكر بعضهم: أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أو سالم بن عبد الله بن عمر، مكان أبي بكر بن عبد الرحمن. انظر تدريب الراوي ٢/ ٢٤٠.

(٤) هو خالد ابن الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، الإمام البارع، أبو هاشم القرشيُّ، الأمويُّ الدمشقيُّ، أخو الخليفة معاوية، والفقيه عبد الرحمن. قال الزبير بن بكار: كان موصوفاً بالعلم، وقول الشعر. قال أبو زُرعة الدمشقي: هو وأخواه من صالحي القوم. وقد ذُكِر خالدٌ للخلافة عند موت أخيه معاوية، فلم يتمَّ ذلك، وغلب على الأمر مروان بشرط أن خالداً وليُّ عهده. توفي سنة (٨٤) هـ وقيل غير ذلك. انظر: السير ٤/ ٣٨٢ ـ ٣٨٣، تاريخ الإسلام ٣/ ٢٤٦، البداية والنهاية ٨/ ٢٣٦ و ٩/ ٨٠، تهذيب التهذيب ٣/ ١٢٨.

برملةَ بنت الزّبير بن العَوّام، فعشقها عشقاً مُبَرِّحاً[1] شديداً ووقعَتْ بقلبه وُقوعاً متمكناً. فلمّا أراد عبد الملك القُفول همَّ خالد بالتخلّف عنه، فوقع بقلب عبد الملك تهمة، فبعث إليه فسأله عن أمره، فقال: يا أمير المؤمنين، رملة بنت الزّبير، رأيتها تطوف بالبيت، قد أذهَلَتْ عقلي، وواللهِ ما أبديتُ لك ما بي حتى عِيل[2] صَبْرِي، ولقد عرضتُ النومَ على عينِي فلم تقبله، والسلوَّ على قلبي فامتنع منه.

فأطال عبد الملك التعجب من ذلك، وقال: ما كنتُ أقول إنّ الهوى يستأثر مثلَك.

فقال: وإنّي لأشد تعجّباً من تعجّبِك منّي، ولقد كنت أقول: إنّ الهوَى لا يتمكّن إلاّ مِنْ صنفَيْن من الناس: الشعراء والأعراب. فأمّا الشعراء فإنّهم ألزموا قلوبَهم الفكر في النّساء والغزَل، فمال طمعهم إلى النّساء، فضَعُفَت قلوبُهم عن دفع الهوَى فاستسلموا إليه مُنقادِين. وأما الأعراب فإنّ أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حُبّه لها، ولا يشغله شيء عنه، فضعفوا عن دفع الهوَى فتمكّن منهم. وجملة أمري: ما رأيتُ نظرةً ـ حالت بيني وبين الحَزْم، وحَسّنت عندي ركوب الإثم ـ مثلَ نظرتي هذه.

فتبسّم عبد الملك وقال: أَوَكُلّ هذا قد بلغ بك؟ فقال: والله ما عَرَفْتُنِي هذه الليلة قبلَ وقتي هذا.

فوجّه عبد الملك إلى آل الزّبير يخطب رَمْلة على خالد، فذكروا لها ذلك، فقالت: لا والله أوْ يُطلّق نساءَه. فطلّق امرأتَيْن كانتا عنده[3]، إحداهما من قريش والأخرى من الأَزْد، وظَعَن[4] بها إلى الشام. وفيها يقول:

أليس يزيدُ الشوقُ في كلّ ليلة ... وفي كلّ يوم من حبيبتنا قُرْبا
خليلَيّ ما مِنْ ساعة تَذْكُرانها ... منَ الدّهر إلا فرَّجَتْ عنّيَ الكَرْبا
أُحِبّ بني العوّام طُرّاً لحبّها ... ومِن أجلها أحببت أخوالها كَلْبا
تَجُول خَلاخِيل النِّساء ولا أرَى ... لِرَمْلَة خَلْخَالاً يجولُ ولا قَلْبا[5]

٤٨٨ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب قال: أنبأنا علي بن

---

(١) أي: قوياً شديداً.
(٢) عِيل: أي فُقد وغُلِب على أمره.
(٣) مما ينبغي أن يُعلم أن النبيّ ﷺ نهى المرأة أن تسأل طلاق أختها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ أن تُنكَح المرأةُ على عمّتها أو خالتها، أو أن تسأل المرأةُ طلاقَ أُختها لتكتفىء ما في صحفتها، فإن الله عزّ وجلّ رازقها. انظر: صحيح البخاري (٢١٤٠) ومسلم (١٤٠٨).
(٤) أي: انتقل وسار بها.
(٥) القَلْب: نوع من الأسورة، وهو ما كان قَلْداً واحداً، يلبس في المعصم.

أيوب قال: أنبأنا محمد بن عمران قال: حدثني عُمر بن داود العماني قال: حدثني علي بن الفضل المَدِيني قال: حدثني الحُسين بن علي المُهَلّبي قال: أخبرني مُسَدَّد قال: حدثني عبد الوهّاب ـ فيما أحفظ، أو غيره ـ قال: كان زياد بن مِخْرَاق يجلس إلى إياس بن مُعاوية، فقعد[1] يومَين أو ثلاثة، فأرسل إليه فوجَده عَلِيلاً. فأتاه فقال: ما بك؟ فقال له زياد: عِلّة أجِدُها. قال له إياس: والله ما بك حمًّى ولا بك علّة أعرفها، فأخبرني ما الذي تجده؟ فقال: يا أبا واثلة، تقدَّمَتْ إليك امرأة، فنظرتُ إليها في نِقابها حين قامت مِنْ عِندك، فوقعَتْ في قلبي، فهذه العِلّة منها.

٤٨٩ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا ابن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخَرائطي، قال: حدثنا العبّاس بن الفضل الرّاجي، قال: حدثنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب، قال: استعمل الحَجّاجُ بن يوسف سَعِيدَ بن سَلَم على قضاء قَنْدابِيل[2] وكَرْمان[3]، فقدِمها.

وكان بكَرْمان عِلْجَة[4] يُقال لها: أَرْذَكُ، وكانت من أجمل النّساء، وكانت بغِيًّا يَبِيتُ عندها الرّجال بجُملةٍ من المال، فبلَغ سعيداً خَبَرُها فأرسل إليها فجيء بها، فلمّا رآها، قال: يا عدوّة الله أَفْتَنْتِ فتيان البلد وأفسدتهم. ثم قال: اكشفي عن رأسك؛ فكشفَتْ عن شعر حسن جَثْلٍ[5] يَضْرِب إلى عَجِيْزَتِها[6]. ثم قال: أَلْقِي دِرْعَكِ[7]، فألقته، وقامت عُريانة في إزار، فرأى ما حَيَّرَه وذَهَب بعَقْلِه، فلم يَمْلِك نفسَه حتى جعل يقولُ[8] بإصبعه في عُكَنِها[9]، فإذا عُكَنٌ وطِيَّةٌ، وثَدْيٌ صغير، ومناكبُ عالية لم يَرَ مثلها قط، ثم قال: يا عدوّة الله أَدْبِرِي،

---

(١) أي: قعد عن المجيء إليه.

(٢) قَنْدابيل: مدينة بالسِّند، وهي قصبة لولاية يُقال لها: النُّدْهة. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٦، ومعجم ما استعجم ١٠٩٧.

(٣) كَرْمان: بفتح الكاف ـ ويصح كسرها، والفتح أشهر ـ، وهي مدينة بين غزنة وبلاد الهند، وهي من أعمال غزنة، بينهما أربعة أيام، وهناك كرمان أخرى وهي ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، تُشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. وأهلها أخيار، أهل سنّة وجماعة وخير وصلاح؛ وأظن الأولى هي المقصودة، والله أعلم، انظر معجم البلدان ٤/ ٥١٥ ـ ٥١٧.

(٤) العِلْجَة: الواحدة من كفّار العجم.

(٥) تقول: جَثَل الشعر: إذا كَثُر والتفّ واسوَدّ.

(٦) عَجُز الشيء: مؤخّرته.

(٧) الدِّرع: الملاءة.

(٨) يقول: يُدخل، على المجاز (انظر اللسان: مادة قلب).

(٩) العُكْنَة: الطَّيُّ الذي في البطن من السِّمَن، والجمعُ: عُكَن وأعكان.

فأدبرَت، فنظر إلى ظهر فيه كالجَدْوَل، وكَفَل[1] كأَزْمِكَة[2] خزّ حشوُها قزّ[3]. ثم قال: أَقْبِلي، فأقبلَتْ؛ فافتَتَن بها لِمَا رأى من جمالها، فوثَبَ إليها، فما فارقها حتى فعل[4].

فبلغ الحجّاج فِعْلُه، فقال: بعضُ ما يعترِي الجَاني من الشَّبَق، وصَرَف سعيداً.

٤٩٠ ـ أخبرنا محمد بن أبي طاهر البزّاز، قال: أنبأنا أبو الحُسين محمد بن علي المُهْتَدِي، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحَسن بن المأمون، قال: حدثنا أبو الحسن بن الأَنْبَاري، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا عبد الله بن عَمْرو، قال: حدثنا أبو الحَسن علي بن سعيد الكَرَواني، قال: كان بالبصرة قَيْنَة[5] يُقال لها: مُتَيَّم، كانت مُتناهية الجمال والحِذْق. فجاءت إلى الحسن بن عُبيد الله العَنْبَري القاضي، تُظهِر التوبة وتسأله أنْ يليَ بيعها، ففعل ذلك، وسَفَرَت عن وجهِها فافتتَن الناسُ بها، وأشاع قومٌ أنّ القاضي افتتن بها، فقال عبد الصمد بن المعدّل:

ولَمَّـا سـرَتْ[6] عنهـا القِنـاعَ مُتَيّـمٌ تَـرَوَّح منهـا العَنْبـريُّ متيَّمـا
رأىَ ابـنُ عُبيـد اللـه وهـو مُحَكَّـم عليهـا لهـا طَـرْفـاً عليـه مُحَكَّمـا
فـإنْ تُصْـب قلـبَ العنبـريّ فقبلُـه صَبَـا بـالتَّيـامَى قلب يَحيى بـن أكثمـا

٤٩١ ـ وحدث القاسم بن محمد النّمَيْري، قال: ما رأيتُ شاباً ولا كَهْلاً من ولد العباس أصوَن لنفسه وأضبط لحاشِيَتِه[7] وأعفّ لساناً وفرجاً من عبد الله بن المعتزّ، وكان ربّما عَبَثْنا بالغزَل في مجلسه، فيجري معنا فيه فيما لا يقدَح به عليه قادح، وكان أكثر ما يشغل به نفسه سماع الغِناء، وكان يَعِيب العشق كثيراً، ويقول: العشقُ طَرَفٌ من الحُمْق. وكان إذا رأى منا مُطْرِقاً أو مفكّراً اتهمه بهذا المعنى، ويقول: وقعتَ واللهِ يا فلان، وقلّ عقلُك وسَخُفْتَ. إلى أنْ رأيناه وقد حَدَثَ به سهوٌ شديد، وفِكْرٌ دائم، وزَفِير مُتتابع، وسمعناه يُنشد أشعاراً منها:

مـا لـي أرى الثـريـا ولا أرى الـرَّقيبـا
يـا مـرسِـلاً غَـزَالاً أمـا تخـاف ذِيبـا؟!

---

(١) الكفل: العجُز، وقيل: رِدف العجز.
(٢) هكذا في المطبوعة، ولم أجدها، ولعلها محرّفة عن: كأريكة. أو: كازملة، جمع زِمال، وهي لفافة القربة.
(٣) الخزّ: الحرير، أو ما صُنِع من صوف وحرير.
(٤) والقزّ: ما يُسَوّى منه الحرير، أو الإبْرَيْسم.
(٥) أي فَعل فاحشة الزّنا، والعياذ بالله تعالى.
(٦) القَيْنَة: الأَمَة غنّت أو لم تُغَنّ، والماشطة، وكثيراً ما تُطلق على المُغَنِّية من الإماء.
(٧) سرت الثوب سرواً: نزعت وألقت.

وسمعناه مرة أخرى يُنشد وهو يَشربُ في إناء قد أَلِفه، فاتهمناه فيه، وكتب عليه هذا الشعر:

مــا قليــلٌ لــي منــك بقليــل ... يـا مُنَـى نفسـي وغـايـة سُـولِـي
ســلْ بحــقّ الله عينَــك عنّــي ... هـل أحسّـت فـي الهـوَى تقبيلـي
أنــتِ أفســدتِ حيــاتـي بهَجْـرِ ... ومـمــاتـي بحســابٍ طــويــل

وأنشد أيضاً:

أَسَــرَ الحــبُّ أميــراً ... لــم يكــن قَبْــلُ أسيــرَا
فــازْحَمــوا ذُلَّ عــزيــزٍ ... صــارَ عبــداً مُستجيــرَا

وأنشد أيضاً يوماً وقد رأى دارَ بعض الناس:

أيــا دارُ كــم فيــك مــن لــذّةٍ ... وعيــشٍ لنــا مــا كــان أطيبــه
ومِــن قَيْنَــة أفســدت نــاسكــاً ... وكــانــت لــه فــي التقَــى مــرتبــه

وله أيضاً:

لقــد فتكَــتْ عينــاكِ نفســاً كــريمــةً ... فــلا تــأمنـي إنْ مــتُّ سطــوةَ ثــائــرِ
كــأنّ فــؤادي فــي السمــاءِ مُعَلّــق ... إذا غِبْـتِ عـن عَيْنِي بمخلبِ طـائـر

وأنشد، وفي يده خاتم:

حصلــتُ منــك علــى خــا ... تــم حَــوتْــهُ البَنَــان
فمــا يُفــارق كفّــي ... كــأنَّنــي قهــرمــان[1]
يــا أهــلَ وُدّي بَعُــدْتُــم ... وأنتُــمُ جِيــرانُ

قال النّمَيْري: فقلنا له: جعلَنا اللهُ فِداك، هذه أشياء قد كنتَ تعيبُ أمثالَها مِنّا، ونحنُ الآن نُنكرها منك. فكان يرجع عن بعض ذلك تصنّعاً، ثم لا يلبثُ مستورُه أنْ يظهرَ، حتى تحقّق عندنا عِشْقُه، ودَخل في طبقة المَرْحُومِين! فسمعتُه يوماً يُنشد:

مكتــومُ يــا أحســن خلْــقِ اللهِ ... لا تتــركينــي هَكَــذا بــالله

ثم تنفَّس، فأجبتُه:

قــد ظفِــرَ العشــقُ بعبــدِ اللّــه ... وانْهَتَــكَ السِّتْــرُ بحمْــدِ الله!
فقــلْ لــه: سَــمِّ لنــا ـ سيّــدي ـ ... هــذا الــذي تهــوَى بحــقِّ الله

---

(١) الحاشية: أهل الرجل وخاصّته.

فضحك، وقال: لا، ولا كرامة. فكتبتُ إليه من الغد:

بَكَت عَيْنُه وشكا حُرْقَةً | مِنَ الوَجْدِ في القَلْب ما تَنْطَفِي
فقلتُ له: سيِّدي ما الذي | أرَى بِك؟ قال: سَقَامٌ خَفِي
فقلتُ: عَشِقْتَ؟ فقال: اقتصِر | على ما تَرَى بي أما تكتفي!

وكتبَ إليّ:

يا مَن يُحَدّث عنّي | بظنٍّ سمعٍ وعينِ
إن كنتَ تخطِبُ سرِّي | فارجِعْ بخُفَّيْ حُنَينِ

فكتبتُ إليه:

هيهاتَ، لحظُك عِندي | تُقِرُّ فيه بعِشْقِكْ
دَعْ عنك خُفَّيْ حُنَينٍ | واحرِصْ على حَلّ رِبْقِكْ(١)
تعالَ نحتالُ فيما | تهوَى بِرِفْقِي ورِفْقِكْ

وصرتُ إليه، فقال لي: يا أبا الطيّب، قد عصيتُ إبليس أكثر مما عصى ربّه، إلى أنْ أوقعِني في حباله. فأنشدته:

مِنْ أين لا كان إبليـ | ـسُ جاءَني بكِ يسعَى
أبْداكِ لي مِن بعيدٍ | فقلتُ سَمْعاً وطَوْعَا

فأخبرني بقصّته، فسعيتُ له بلَطِيفِ الحِيلة، وأعانَني بحزْمِ الرأي، حتى فاز بالظَّفَر.

٤٩٢ ـ وقال أبو بكر الصُّولي: اعتلّ عبد الله بن المعتزّ، فأتاه أبوه عائداً، وقال: ما عَرَاكَ يا بُنَيّ! فأنشأ يقول:

أيّها العَاذِلون لا تَعْذِلوني(٢) | وانظروا حُسْنَ وجهِها تعذِروني
وانظروا هل ترَوْن أحسنَ منها | إنْ رأيتُم شبيهها فاعذِلوني
بي جنونُ الهوَى وما بي جنونٌ | وجنونُ الهوَى جنونُ الجنونِ

قال: فتتبّع أبوه الحال، حتى وقَع عليها، فابتاع الجارية التي شُغِفَ بها بسبعة آلاف دينار، ووجّهها إليه.

٤٩٣ ـ وأنشدنا عبد الوهاب قال: أنشدنا أبو الفضل بن خَيْرُون، قال: أنشدنا القاضي

---

(١) القَهْرَمان: الوكيل، أو أَمِين الدّخل.
(٢) الرِّبق: حَبْل فيه عِدّةُ عُرًا تُشَدّ به البَهْمُ عادةً، والرِّبْقَةُ: الواحدة من العُرا.

أبو العلاء الواسطي، قال: أنشدنا عبد الله بن محمد بن وَرْقاء، قال: أنشدنا ثَعْلَب، قال: أنشدنا ابن الأَعْرابي في صِفَة النساء:

هي الضِّلَع العوجاءُ لستَ تُقِيمُها ... ألاَ إنَّ تقويمَ الضُّلوع انكسارُها[1]
أيجمَعْنَ ضَعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضَعفُها واقتدارُها

وأنشدنا آخر:

لله ما صنعَتْ بنا ... تلك المَحاجِرُ في المَعَاجِرْ[2]
أمْضَى وأبعد في القلو ... بِ من الخناجرِ في الحناجرْ

* * *

(١) العَذْل: المَلاَمَة.
(٢) أشار بذلك إلى قوله ﷺ: استوصوا بالنساء، فإنّ المرأة خُلِقَت من ضِلَع، وإنّ أعوج شيء في الضِّلَع أعلاه، إنْ ذهبت تُقِيمه كسْرته، وإن تركته لم يَزَل أعوج. وللحديث ألفاظ أخرى. انظر صحيح البخاري (٢٣٣١) و (٥١٨٤) و (٥١٨٦) وصحيح مسلم (٤٧) و (١٤٦٨).

البابُ الثّالِثُ والعِشْرُون

في التّخْويفِ مِنَ الفِتَنِ ومَكَايِدِ الشَّيْطَانِ

٤٩٤ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي:

وأخبرنا أبو بكر الزّاغُوني، قال: أنبأنا الشاشِيّ:

وأخبرنا المَرْوَزِيّ، قال: أنبأنا الفَرَاوي:

قالا[1]: أنبأنا عبد الغافر الفارسي، قال: حدثنا ابن عمرَويه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثني هارون الأَيْلي، قال[2]: حدثنا عبد الله بن وَهْب، قال: أخبرني أبو صَخْر، عن ابن قسيط، عن عُروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرج رسول الله ﷺ من عِندي ليلاً، فغِرْتُ عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: «ما لكِ يا عائشة أَغِرْتِ؟» فقلتُ: وما لي لا يغارُ مثلي على مثلِك! فقال: «أفأَخَذَكِ شيطانُكِ؟». فقلت: أوَمعي شيطان؟ قال: «نعم». قلت: ومع كلّ إنسان؟ قال: «نعم». قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال: «نعم، ولكن ربي عزّ وجلّ أعانني عليه حتى أسلمَ». انفرد بإخراجه مسلم[3].

وجمهور الرواة يروُون هذا الحديث: «أعانني عليه فأسلَم»، على مذهب الفعل

---

(١) أي: الشاشي والفَراوي.

(٢) حسَب صنيع المصنّف من تقسيم الأسانيد وجمعها. ينبغي أن يقول هنا: قالا، بدل: قال. والناظر في السند لأول وهلة يقول: ينبغي أن تكون: «قالا» بعد ذكر الإمام مسلم، ويكون المعنى: أن الإمام أحمد ومسلم رويا الحديث عن هارون. لكن الصحيح أنّ «قالا» ينبغي أن تُذكر بعد هارون الأيلي. ويكون المقصود: هارون الأيلي، وهارون بن معروف شيخ الإمام أحمد في هذا الحديث، ولكن المصنّف لم يذكره، لعله ظنّ أنّ هارون شيخ أحمد هو نفسه شيخ الإمام مسلم.
ولكن الصحيح اختلافهما، فشيخ الإمام أحمد هو هارون بن معروف المروزي ـ كما نصّ في المسند عليه ـ أبو علي الخزاز، نزيل بغداد. التقريب (٧٢٤٢). وأما شيخ الإمام مسلم فهو هارون بن سعيد الأيلي، السعدي، أبو جعفر، نزيل مصر. التقريب (٧٢٣٠). والله أعلم.

(٣) رواه مسلم (٢٨١٥)، والنسائي (٣٩٦٠). وأحمد في المسند (٢٤٣٢٤).

الماضي، يريدون أنّ الشيطان قد أسلم، إلاّ سفيان بن عيينة فإنه يقول: فأسلمُ أنا مِن شرّه. وكان يقول: الشيطان لا يُسْلِم. وهذا الذي ذهب إليه سفيان مذهب حسَن، يُظهر أثر المجاهدة.

٤٩٥ ـ إلاّ أنّ مسلماً قد روَى في صحيحه من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ وقد وُكّل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة». قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، ولكنّ الله عزّ وجلّ أعانني فأسلمَ، فلا يأمرني إلاّ بخير»(١). وهذا يدل على أنّ الشيطان أسلمَ، لأنّه لو لم يُسلم لما كان يأمر بالخير، وكفَى بهذا ردًّا لقول ابن عيينة.

٤٩٦ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا مَعْمر، عن الزّهري، عن عليّ بن الحُسين، عن صَفيّة بنت حُيَي قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الشيطان يَجرِي من الإنسان مجرَى الدّم»(٢). أخرجاه في الصحيحين.

٤٩٧ ـ أخبرنا أبو القاسم الحَريري، قال: أنبأنا أبو طالب العُشَاري، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن شمعون، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث، قال: حدثنا محمود بن خالد وعَمْرو بن عثمان، قالا: حدثنا الوليد، قال: حدثنا ابن جابر، قال: سمعت أبا عبد ربّ يقول: سمعت معاوية بن أبي سفيان، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّه لم يبقَ من الدنيا إلاّ بلاء وفتنة»(٣).

٤٩٨ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا أبو سعيد ابن شاذان، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني الحُسين بن أبي الأسد، قال: حدثنا المُعَلّى بن أسد، قال: حدثنا عَدِيّ بن أبي عمارة، قال: حدثنا زيادٌ النُّمَيْري، عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الشيطان واضعٌ

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٤)، والدارمي (٢٧٣٤)، وأحمد في المسند (٣٦٤٠ ـ ٣٧٧٠ ـ ٣٧٩٢ ـ ٤٣٧٨).

(٢) رواه البخاري (٢٠٣٥) و (٢٠٣٨) و (٢٠٣٩) و (٣٢٨١) و (٦٢١٩) و (٧١٧١)، ومسلم (٢١٧٥)، وأبو داود (٢٤٧٠) و (٤٩٩٤)، وابن ماجه (١٧٧٩)، وأحمد في المسند (٢٦٣٢٢).

(٣) حديث ضعيف. رواه ابن ماجه (٤٠٣٥). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: «إسناده صحيح، رجاله ثقات».
قلت: لكن في إسناده: أبا عبد رب، ويقال: عبد ربّه، لم يوثّقه إلاّ ابن حبان، وابن حبان معروف عند العلماء بتوثيق المجاهيل، ولذا قال الحافظ ابن حجر عنه في التقريب: «مقبول» يعني إذا تُوبع وإلاّ فليّن الحديث، كما ذكر في مقدمة التقريب، وهو هنا لم يُتابع، فالحديث ضعيف. انظر التقريب (٨٢١٩)، والتهذيب ١٢/ ١٥٢.

خَطْمَه[1] في قلب ابن آدم، فإنْ ذكر الله خنَس[2]، وإن نسي الله التقَمَ قلبه»[3].

٤٩٩ ـ قال القرشي: وحدّثنا إسحاق بن إسماعيل، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن ثور بن زيد، عن خالد بن معدان، قال: ما من إنسان إلاّ وشيطان مُتَبَطِّنٌ فقار ظهره[4]، لاوٍ عنقه على عاتقه، فاغرٌ فاه على قلبه.

٥٠٠ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا ابن المُذْهِب، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا بَهْز، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا قتادة، قال: سمعت يونس بن جُبير يقول: شَيَّعنا جُنْدُبَ بنَ عبد الله فلمّا بلغ خُصّ المكاتب قلنا له: أوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، والقرآن، فإنّه نور الليل المُظلم وهُدَى النّهار، فاعمَلوا به على ما كان من جَهْدٍ وفَاقَة، فإن عَرَض بلاءٌ فعرِّض مالَك قبلَ نفسك، فإن تجاوزه البلاءُ فقَدِّم مالَك ونفسَك دون دِينك، فإنّ المَحْرُوب من حُرِب دينه[5]، والمسلُوب من سُلِب دينُه، إنّه لا غِنَى بعد النار، ولا فاقةَ بعد الجنة، وإنّ النار لا يُفَكّ أسيرُها، ولا يَستغنِي فقيرُها.

٥٠١ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا فُضيل بن عبد الوهاب، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، قال: قال مُطَرِّف: نظرتُ فإذا ابن آدم ملقى بين يدَي الله عزّ وجلّ وبين إبليس، فإن شاء أن يعصِمَه عَصَمَه، وإن تركه ذهب به إبليس.

٥٠٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا ابن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني عليّ بن مسلم، قال: حدثنا سيَّار، قال: حدثنا حَيّان الجريري، قال: حدثنا سويد القَتَادِي، عن قتادة، قال: إنّ لإبليس شيطاناً يُقال له: قبقب، يحمّه أربعين سنة، فإذا دخل الغلام في هذا الطريق، قال له: دُونك إنّما كنت أحمّك لمثل هذا، أَجْلِبْ عليه وافْتِنْه.

٥٠٣ ـ قال عبد الله: وحدثني شُرَيْح، قال: حدثنا عَنْبَسَة بن عبد الرحمن، عن

---

(١) الخَطم من كل دابّة: مُقدَّم أنفها وفمها.
(٢) خنس: انقبض وتأخّر.
(٣) حديث ضعيف. رواه ابن أبي الدنيا في المكايد، وأبو يعلى في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان، كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٣٥٤، وفي إسناده: عديّ بن أبي عمارة: ضعيف كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد. زياد بن عبد الله النميري: ضعيف، التقريب (٢٠٨٧). وانظر ضعيف الجامع (١٤٨٠) والسلسلة الضعيفة (١٣٦٧).
(٤) أي: داخل في فقرات ظهره، متخفّ فيها.
(٥) المحروب: المسلوب، المنهوب ماله. وحُرِب: سُلِبَ، نُهِبَ.

مالك بن مِغْوَل، عن عبد العزيز بن رُفيع[1]، قال: إذا عُرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة: سبحان الذي نجّى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا!

٥٠٤ ـ أخبرنا الكَرُوخي قال: أنبأنا عبد الله بن محمد الأنصاري قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحمن قال: أنبأنا الحَسن بن أبي الحَسن قال: أنبأنا محمد بن المُسَيّب قال: حدثني يوسف بن نوح قال: حدثنا أبو عِصْمَة قال: أنبأنا عبد الله قال: أنبأنا سُفيان، عن أبي سِنان: أنّ راهباً قال لسعيد بن جُبير: في الفتنة يَسْتَبِين من يعبد الله، ممن يعبد الطاغوت.

٥٠٥ ـ أخبرنا أبو بكر الصّوفي، قال: أنبأنا أبو سعد عليّ بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن باكويه، قال: حدثنا سهل بن عبد الله الأُموي، قال: حدثنا محمد بن الحسن البُخاري، قال: حدثنا عيسى بن بشير، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: سمعت أبي يقول: سمعت حفصَ بن حُميد يقول: قال رجل لعبد الله بن المبارك: رأيتُ رجلاً يُقبّل شابًا، فظننت في نفسي أنّي خيرٌ منه. فقال: أَمْنُكَ على نفسِك أشدّ من ذَنْبِه.

٥٠٦ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا محمد بن عبد الملك القرشي، قال: أنبأنا علي بن عُمر الحافظ[2]، قال: حدثنا محمد بن مَخْلَد، قال: حدثنا جعفر بن محمد الخِنْدِفي[3]، قال: حدثنا شُريح بن يونس، قال: حدثنا بشر بن السّري، قال: حدثني سفيان بن عُيينة، قال: لو رأيتَ الذين كانوا يجالِسُونني، وابتُلِيتَ بهؤلاء الصبيان، فأعطيتهم أسباب الفتنة، فأنا لا أكاد أتخلص منهم.

٥٠٧ ـ حدثني عبد الله بن المبارك ـ وكان عاقلاً ـ عن أشياخ أهل الشام، قالوا: من أعطَى أسباب الفتنة من نفسه أولاً لم ينجُ آخراً وإن كان جاهداً.

٥٠٨ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ المقرىء، قال: أنبأنا الحسن بن أحمد النَّعالي، قال: أنبأنا محمد بن عُبيد الله الحِنَّائي، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقّاق، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الخُتَّلي، قال: حدثنا عبد الله بن مُعلّى الكُوفي، عن يحيى بن بسطام، قال: حدثني سلمة الأفقم، قال: قلت لعُبيدة بنت أبي كلاب: ما تشتهين؟ قالت: الموت. قلت: ولِمَ؟ قالت: لأنّي والله، في كلّ يوم أُصبح أخشى أنْ أجنِي على نفسي جناية يكون فيها عَطَبي أيّام الآخرة.

---

(١) هو عبد العزيز بن رُفَيع الأسدي، أبو عبد الله المكي، نزيل بغداد، تابعي ثقة. مات سنة (١٣٠) هـ وقيل بعدها. التقريب (٤٠٩٥).

(٢) هو الإمام الجهبذ، العَلَم الكبير، أمير المؤمنين في الحديث الإمام علي بن عمر الدارقطني صاحب السنن، والعلل الكبير، وغيرهما، توفي سنة (٣٨٥) هـ.

(٣) الخِنْدِفي: نسبة إلى خِنْدِف، اسم امرأة، وأصل الكلمة: مشي فيه تبختر، وبه سميت خِندِف وهي امرأة إلياس بن مضر. انظر: الأنساب ٢/٤٠٦، واللباب ١/٤٦٥.

البَابُ الرَّابعُ والعِشْرُوْنَ

فِي التَّخذِيْرِ مِنَ المَعَاصِيْ وَقُبْحِ أَثَرِهَا(1)

٥٠٩ ـ أخبرنا الكَرُوخي، قال: أنبأنا الغُورَجي والأَزْدِي، قالا: أنبأنا الجرَّاحي، قال: حدثنا المَحْبُوبي، قال: حدّثنا الترمذي:

وأنبأنا عليّ بن عُبيد الله، وأحمد بن الحسن، وعبد الرحمن بن محمد، قالوا: أنبأنا ابن المأمون، قال: أنبأنا علي بن عُمر الحَرْبي، قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن الصَبَّاح:
قالا(2): حدثنا حُميد بن مَسْعَدة، قال: حدثنا سفيان بن حبيب:

وأخبرنا ابنُ الحصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا القَطِيعي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا سليمان بن داود، قال: حدثنا حرب وأبان:

كلهم(3) عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله عز وجل أن يأتي المؤمن ما حرّم عليه». أخرجه البخاري ومسلم جميعاً(4).

٥١٠ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: حدثنا الحَسن بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأَعْمَش، عن شَقِيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير مِنَ الله عزّ وجلّ، فلذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحبّ إليه المَدْح من الله عزّ وجلّ». أخرجاه جميعاً(5).

---

(1) انظر الجواب الكافي ص ٩٧ ـ ١٦٧.

(2) أي: الترمذي وجعفر بن أحمد بن الصبّاح.

(3) أي: سفيان بن حبيب، وحَرْب، وأبان.

(4) رواه البخاري (٢٥٢٣)، ومسلم (٢٧٦١)، والترمذي (١١٦٨)، وأحمد في المسند (٨١٢٢، ٨٣١٤، ١٠٣٥٧، ١٠٥٤٥، ١٠٥٦٧).

(5) رواه البخاري (٤٦٣٤) و (٥٢٢٠)، ومسلم (٢٧٦٠)، والترمذي (٣٥٣٠)، والدارمي (٢٢٢٥)، =

٥١١ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحَسن بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا زكريا بن أبي زائدة، قال: حدثنا عامر، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا وإنّ لكل مَلِكٍ حِمَى، وإنّ حِمَى الله ما حَرّم». وهذا متفق عليه[١].

٥١٢ ـ أخبرنا محمد بن عُمر الفقيه، قال: أنبأنا أبو الحَسن بن المُهْتَدِي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله المُعَدّل، قال: أنبأنا عثمان بن محمد الدقّاق، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم المَرْوَزِي، قال: حدثنا علي بن الحُسين بن شقيق، قال: حدثنا خارجة بن مصعب، عن داود بن أبي هند، قال: حدثني مَكْحُول؛ عن[٢] أبي ثعلبة الخُشَنِيّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى فرَض فرائض فلا تُضَيِّعُوها، وحَدّ حُدوداً فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمةً ـ لا عن نسيان ـ فلا تبحثوا عنها»[٣].

٥١٣ ـ أخبرنا عبد الوهاب الأنْماطي قال: أنبأنا الحسن بن محمد الكُوفي قال: أنبأنا محمد بن يَعْلَى قال: حدثنا أبو جعفر بن دُحَيْم قال: حدثنا أبو عَمْرو بن أبي غَرْزَة قال: حدثنا عثمان بن محمد قال: حدثنا حُسين بن عليّ، عن زائدة، عن هشام، عن الحسن، عن جابر، قال: قيل: يا رسول الله، أي الهجرة أفضل؟ قال: «أن تهجر ما حَرّم اللَّهُ عليك»[٤].

٥١٤ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا عليّ بن محمد بن العَلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدِي، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا حماد بن الحَسن بن عَنْبَسَة، قال: حدثنا سيّار بن حاتم، عن جعفر بن سليمان، قال: حدثنا أبو طارق، عن الحسن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتّقِ المحارِمَ تكُنْ أَعْبَدَ الناس»[٥].

= وأحمد في المسند (٣٦٠٥ ـ ٤٠٣٤ ـ ٤١٤٢).

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وأبو داود (٣٣٢٩ ـ ٣٣٣٠)، والترمذي (١٢٠٥)، والنسائي ٧/٢٤١ ـ ٢٤٣، و ٨/٣٢٧، وابن ماجه (٣٩٨٤)، والدارمي (٢٥٣١)، وأحمد في المسند ٤/٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، والبيهقي في سننه الكبرى ٥/٢٦٤ ـ ٣٣٤، وابن حبان في صحيحه (٧٢١)، وأبو نعيم في الحلية ٤/٢٧٠، ٣٣٦.

(٢) في المطبوعة: مكحول بن أبي ثعلبة الخشني، وهو خطأ.

(٣) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٧١ للطبراني في الكبير، وقال: «ورجاله رجال الصحيح».

(٤) حديث حسن، وهو جزء من حديث رواه أبو داود (١٤٤٩) ٢/١٤٦، والنسائي في كتاب الزكاة، باب (٤٩)، وفي كتاب الإيمان باب (١)، والدارمي (١٤٢٤)، وأحمد في المسند (١٤٩٧٥). وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عَمْرو بلفظ: «أن تهجر ما كره ربُّك»، رواه أحمد في المسند ٢/١٩٥، والحاكم ١/١١، والبيهقي ١٠/٢٤٣، وابن حبان (٥١٧٦) وإسناده صحيح.

(٥) حديث ضعيف. رواه أحمد في المسند (٨٠٣٤)، والترمذي (٢٣٠٥) وقال: «هذا حديث غريب». =

٥١٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحَسن بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن جلّاد، قال: حدثنا سعيد بن نصر، قال: حدثنا عليّ بن هاشم بن مرزوق، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عَمْرو بن أبي قيس، عن سفيان، عن عُمَر بن نَبْهان، عن الحسن، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن للحَسَنة نُوراً في القلب، وزَيْناً في الوجه وقوّة في العمل، وإنّ للخطيئة سَواداً في القلب، ووهناً في العمل، وشَيْناً[1] في الوجه»[2].

٥١٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا حمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نُعيم، قال: حدثنا أحمد بن السِّنْدِي، قال: حدثنا الحَسن بن عَلُّويه، قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا إسحاق بن بِشْر[3]، عن جُوَيْبِر[4]، عن الضحاك، عن ابن عباس، أنّه قال: يا صاحبَ الذّنب لا تأمَنَن سوءَ عاقبته، ولَما يَتْبَعُ الذنبَ أعظم من الذنب، إذا عملته. قلةُ حيائك ممّن على اليمين وعلى الشمال، وأنت على الذنب أعظم منَ الذَّنب. وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظم من الذّنب. وفرحك بالذنب إذا ظَفِرْتَ به أعظم من الذّنب. وحزنك على الذّنب إذا فاتك أعظم من الذّنب إذا ظفرت به. وخوفك من الرِّيح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذّنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك، أعظم من الذّنب إذا عملته[5].

٥١٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا ابن السرّاج، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وَكِيع، قال:

= يعني: ضعيف، فيه أبو طارق السعدي البصري، مجهول، قال الذهبي: لا يُعرف. والحسن: ثقة ولكنه يرسل كثيراً ويدلِّس.

(١) وَهْناً: ضعفاً. وشَيْناً: عيباً.

(٢) إسناد ضعيف، فيه: ـ عَمْرو بن أبي قيس: صدوق له أوهام. التقريب (٥١٠١) والميزان ٣/ ٢٨٥.
ـ عمر بن نَبْهان العَبْدي، ويُقال: الغُبَري، البصري، ضعيف. التقريب (٤٩٧٥). قال عنه البخاري: لا يُتابع في حديثه، وضعفه أبو حاتم، وقال أبو داود: سمعت أحمد يذمّه، وعن ابن مَعين قولان: ليس بشيء، وصالح الحديث. انظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٢٧.

(٣) في المطبوعة إسحاق بن بشير، وهو خطأ، وإنما هو إسحاق بن بِشر، أبو حذيفة البخاري، صاحب كتاب المبتدأ، قال الذهبي عنه في ميزان الاعتدال ١/ ١٨٤: «تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال ابن حبان: لا يحلّ حديثه إلاّ على جهة التعجّب، وقال الدارقطني: كذّاب متروك».

(٤) جويبر، هو ابن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، يُقال: اسمه جابر، وجويبر لقب، قال النسائي والدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: يروي عن الضحاك أشياء مقلوبة، وقال الحاكم: أنا أبرأ من عُهْدَته. انظر: تهذيب التهذيب ٢/ ١٢٣ ـ ١٢٤، وقال في التقريب ١/ ١٣٦ «ضعيف جداً».

(٥) خَبر موضوع، لما تقدم من ذكر حال إسحاق بن بشر البخاري، وجويبر.

حدثنا زكريا، عن عامر، قال: كتبت عائشة إلى معاوية: أمّا بعد؛ فإنّ العبد إذا عمِل بمعصية الله عاد حامده من الناس ذامًّا.

٥١٨ ـ وبه قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الرزّاق، قال: حدثنا بَكّار، قال: سمعت وَهْباً يقول: إنّ الربّ عزّ وجلّ قال ـ في بعض ما يقول لبني إسرائيل ـ: «إنّي إذا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وإذا رَضِيتُ باركتُ، وليس لبركتي نهاية، وإذا عُصِيْتُ غَضِبْتُ، وإذا غضبت لَعَنْتُ، ولعنتي تبلغ السَّابع من الولد»[١].

٥١٩ ـ أخبرنا علي بن عبد الواحد، قال: أنبأنا علي بن عمر القَزْوِيني، قال: حدثنا يوسف بن عُمر، قال: حدثنا أبو عيسى السمسار، قال: حدثنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا عبد الله، قال: سمعت عبد الله بن السِّنْدي، قال: قال الحَسن: ما عصى اللهَ عبدٌ إلاّ أذله الله تبارك وتعالى.

٥٢٠ ـ أخبرنا علي قال: أنبأنا علي[٢] قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا البَغوي قال: حدثنا أحمد بن حنبل قال: حدثنا معتمر، عن علي بن زيد قال: شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب، فسمعته يقول: إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم[٣].

٥٢١ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهَري، قال: أنبأنا أبو الحسن ابن لولو، قال: أنبأنا حمزة بن محمد الكاتب، قال: حدثنا نُعيم بن حمّاد، قال: حدثنا ابن المبارك، عن الأَوْزَاعِيّ، قال: سمعت بلال بن سعيد، قال: لا تنظر في صِغَرِ الخطيئة، ولكنِ انظر مَنْ عصيت.

٥٢٢ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أنبأنا ابن السرّاج قال: أنبأنا ابن المُذْهب قال: حدثنا ابن مالك قال: حدثنا عبد الله قال: حدثني عبد الله بن عُمر قال: حدثنا الحسن بن مسلم قال: سمعت الحسن يقول: يا ابن آدم ترْكُ الخطيئةِ أيسرُ من طلبِ التوبة.

٥٢٣ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد المتوكّلي، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب، قال: أنبأنا محمد بن موسى الصَّيْرَفِي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأصبهاني، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الأَصْمَعِي، عن المُعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: إنّ الرجلَ ليُصيب الذنب في السرّ فيُصبح وعليه مذلته.

---

(١) هذا الأثر من الإسرائيليات كما هو واضح. وحكمها: أنها إن وافَقَت شَرْعنا قُبلت، وإن خالفته رُدّت وإن لم توافقه ولم تخالفه جازت روايتها ولكن لا تصدّق ولا تكذّب.

(٢) عليّ الأوّل: هو ابن عبد الواحد، والثاني: هو ابن عمر القزويني كما في الإسناد السابق.

(٣) انظر: كتاب الزهد للإمام أحمد (١٧١٦)، طبع دار الكتاب العربي.

٥٢٤ ـ قال القرشي: وحدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثنا إسماعيل بن عُمر، قال: حدثنا مُعَرِّف[1] بن واصل، قال: سمعت محارِب بن دِثار يقول: إنّ الرجل ليُذنب الذّنب فَيجد له في قلبه وهناً.

٥٢٥ ـ قال القرشي: وحدثني أبو عبد الله التيمي، قال: حدثنا يَسار، عن جعفر، عن مالك بن دينار، قال: بلغني أنّ فتى أصاب ذنباً فيما مضى، فأتى نهراً ليغتسل، فذكر ذنبه فوقف واستحيا، فرجع، فناداه النهر: يا عاصي، لو دنوت لَغَرَّقْتك!

٥٢٦ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكي، قال: أنبأنا أبو الحَسن الزَّيْنَبِيّ، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا ابن أبي مريم، قال: حدثنا سعيد بن عبد الرحمن، قال: حدثني صالح بن محمد بن زائدة، قال: قلت لسعيد بن المسيب، ما رأيت مثل فتيان هذا المسجد أفضل عبادة، إن أحدهم ليخرج بالهَجِير[2]، فلا يزال قائماً يصلّي حتى العصر.

٥٢٧ ـ قال ابن المسيب: ما كنّا نَعُدّ هذا عبادة. قلنا له: يا أبا محمد فما العبادة؟ قال: التفكير في أمر الله والورع عما حرم الله عزّ وجلّ.

٥٢٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الفضل الزُّهري، قال: حدثني أبي، قال: حدثني محمد بن عيسى الهاشمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله المخرمي، قال: حدثنا بِشر بن الحارث، عن ابن المبارك، قال: قيل لوُهَيْبِ بن الورد: أيجدُ طَعْمَ العبادة مَن يعصِي؟ قال: لا، ولا من يَهِمّ.

٥٢٩ ـ وقد روي عن الحَسن البصري أنّه كان إذا ذكر أهل المعاصي يقول: هانُوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصَمَهم.

٥٣٠ ـ وقال محمد بن كعب القُرظي: ما عُبِدَ اللَّهُ بشيء قطّ أحبُّ إليه من ترك المعاصي.

٥٣١ ـ وقال الفضل: بقدرِ ما يصْغُر الذنبُ عندك يعظُم عند الله، وبِقَدْر ما يعظم عندك يصغُر عنده.

٥٣٢ ـ وقال بِشْر: إنّ العبد ليُذْنب الذَّنب فيُحْرَم به قيامَ الليل.

٥٣٣ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن

---

(١) مُعَرِّف بن واصل السعدي: من كبار أتباع التابعين، كوفي ثقة. التقريب (٦٧٨٩).
(٢) الهَجِير والهاجِرَه: نصف النهار في القيظ والحرّ.

الصّوفي قال: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت محمد بن الحَسن قال: قال سهل: أعمال يعملها البر والفاجر، ولا يتجنب المعاصي إلاّ صدّيق.

٥٣٤ ـ قال الصّوفي: وسمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول:

وبالإسناد عن الحسن بن عبد الله القرشي، قال: سمعت بَنَاناً الحمّالَ يقول: من كان يسرُّه ما يضره متى يفلح؟!

٥٣٥ ـ قال الصّوفي: وسمعت أبا بكر الرّازي، يقول: سمعت أبا الحسن المُزَيِّن، يقول: الذّنْبُ بعد الذنب عقوبة الذّنبِ، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

فصل: [عواقب المعاصي]

واعلم، وفقك الله، أنّ المعاصي قبيحة العواقب سَيِّئة المُنْتَهَى، وهي وإنْ سَرَّ عاجلُها ضرَّ آجلها، ولربما تعجّل ضَرّها، فمَن أراد طِيب عَيْشِه فلْيَلْزَم التقوى.

٥٣٦ ـ فقَد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال ربّكم عزّ وجلّ: لو أنّ عِبادي أطاعوني لسقيْتُهم المَطرَ بالليل، وأطلعتُ عليهِمُ الشمسَ بالنهار، ولم أُسمعهم صوتَ الرّعد»[1].

٥٣٧ ـ وأخبرنا المُحَمَّدَان: ابن عبد الملك، وابن ناصر، قالا: أنبأنا أحمد بن الحسن الشاهد قال: أنبأنا عثمان بن محمد العلاّف قال: حدثنا عمر بن جعفر بن سلم قال: حدثنا أحمد بن عليّ الأبّار قال: حدثنا عثمان بن طَالوت قال: حدثنا الأَصْمَعِي، عن أبيه، قال: كان شيخٌ يدور على المجالس ويقول: مَن سرَّه أن تدومَ له العافية فليتقّ اللّهَ عزّ وجلّ.

* فمتى رأيت، وفقك الله، تكديراً في حال، فتذكَّر ذَنْباً قد وقَع.

٥٣٨ ـ فقد قال الفُضيل بن عياض: إنّي لأعصِي الله فأعرِفُ ذلك في خُلُق دابّتي وجاريتي.

٥٣٩ ـ وَقال أبو سُليمان الدّارَاني: مَنْ صَفّى صُفّي له، ومَن كدَّر كُدِّر عليه، ومَن أحسن في لَيْلِه كُوفِىءَ في نهاره، ومَن أحسن في نهاره كُوفىء في ليله.

٥٤٠ ـ وقد روينا عن بعض الصالحين: أنّه انقطَع شِسْع[2] نعلِه في غَدْوه إلى الجُمعة، فقال: إنّما انقطع لأنّي لم أغتسل للجمعة.

---

(١) حديث قدسيّ ضعيف.

(٢) الشِّسع: زِمام للنعل بين الأصبُع الوسطى والتي تليها.

* فتفكَّر، وفقك الله، في أنّ الذنوب تنقضي لذَّتها وتبقى تَبِعَتُها.

٥٤١ ـ كما أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا عليّ بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عباس الدُّوري، قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: كان سفيان الثوري كثيراً ما يتمثل:

تَفْنَى اللّذَاذَةُ مِمّنْ نالَ صَفْوَتَها ... مِنَ الحرَام ويبقَى الإثم والعارُ
تبقَى عواقِبُ سوءٍ في مَغَبَّتِها[1] ... لا خيرَ في لذةٍ مِنْ بَعْدِها النارُ

٥٤٢ ـ قال محمد بن جعفر: وأنشدني أبو جعفر العَدَوي للحسين بن مُطَير:

ونفسَك أَكْرِمْ عن أشايا[2] كَثِيرةٍ ... فما لَكَ نفسٌ بعدها تستعيرُها
ولا تقرَبِ الأمرَ الحَرام فإنّه ... حلاوتُه تفنَى ويبقى مَرِيرُها

* ثم تفكَّر، وفقك الله، فيما أكسبك الذنبُ من الخجل.

٥٤٣ ـ فقد قيل للأسود بن يزيد عند موته: أبشر بالمغفرة. فقال: وأين الخجل مما المغفرةُ منه!

٥٤٤ ـ وكان بعض الحكماء يقول: إنِ استطعت أن لا تُسيء إلى مَن تحبّ فافعل. قيل له: كيف يُسيء الإنسان إلى من يُحِبّ؟ فقال: إذا عصيتَ الله أسأت إلى نفسك، وهي أكبرُ مَحْبُوباتِك.

٥٤٥ ـ وقيل لبعض الحكماء: من أشد الناس اغتراراً؟ فقال: أشدهم تهاوناً بالذنب. فقيل له: علام تبكي؟ فقال: على ساعات الذنوب. قيل: علام تأسف؟ قال: على ساعات الغفلة.

٥٤٦ ـ وكان بعض الحكماء يقول: هَبْ أنّ المسيءَ قد غُفر له، أليس قد فاته ثواب المُحْسِنين؟!

٥٤٧ ـ وقال أبو عليّ الرُّوْذْبَاري: من الاغترار أن تُسيء فيُحْسِن إليك، فتترك التوبة توهُّماً أنك تُسامَح في الهفوات.

* * *

---

(١) المَغَبّة: عاقبة الشيء.
(٢) أشايا: أشياء.

البَابُ الخَامِسُ والعِشْرُوْنَ

فِي ذَمِّ الزِّنَا

قال الله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَقْرَبُوا الزِّنَا، إنَّهُ كان فاحشةً وساءَ سبيلاً﴾ [الإسراء/ ٣٢].

٥٤٨ ـ وأخبرنا هِبة الله بن محمد الشَّيْباني، قال: أنبأنا أبو عليّ الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدّثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزّاق، قال: حدثنا مَعْمَر، عن همّام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسرِقُ سارقٌ حين يَسْرِق وهو مؤمن، ولا يَزنِي زَانٍ حين يزني وهو مؤمن»[١]. أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين.

٥٤٩ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحَسن بن عليّ، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفّان، قال: حدثنا حمّاد بن سَلَمة، قال: حدثنا سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «لِكلّ بني آدم حظٌّ مِنَ الزّنا، فالعَيْنَان تَزْنِيان وزِناهما النَّظر، واليَدان تَزْنِيان وزناهما البَطْشُ، والرِّجْلان تَزْنِيان وزِناهما المَشْي، والفمُ يزني وزِناه القُبَل، والقَلْب يَهْوَى ويَتمنّى، والفرجُ يُصَدِّق ذلك أو يكذبه»[٢].

٥٥٠ ـ أخبرنا عليّ بن عبد الواحد الدِّيْنَوَرِي، قال: أنبأنا علي بن عُمر القَزْوِيني، قال: أنبأنا علي بن عَمرو بن سهل الحَرِيري، قال: حدثنا أحمد بن القاسم بن نصر، قال: حدثنا أبو همام، قال: حدثنا إسماعيل ـ وهو ابن جعفر ـ، قال: أخبرني العَلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «العينان تزنِيان، واللّسان يزني، واليَدان تزنيان، والرِّجْلان تزنيان، يُحِقُّ ذلك الفرجُ أو يكفر به»[٣]. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث سهيل. وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس عن أبي هريرة[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) و (٦٧٧٢) و (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، والنسائي (٤٨٧٠ ـ ٤٨٧١ ـ ٤٨٧٢ ـ ٥٦٥٩ ـ ٥٦٦٠)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والدارمي (٢١٠٦)، وأحمد في المسند (٧٢٧٦، ٧٤١٩، ٨٦٧٨، ٨٧٨١، ٩٨٥٩).

(٢) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند (٨٣٢١)، وقد تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في المطبوعة: عن ابن عباس وأبي هريرة، وهو غلط، وإنما هو كما أثبتناه.

٥٥١ ـ أخبرنا عبد الأول، قال: أنبأنا الدَّاوُدِي، قال: أنبأنا ابن أَعْيَن، قال: أنبأنا الفَرَبْرِي، قال: حدثنا البُخاري، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «يا أُمّة محمد، ما أحدٌ أغيرُ مِنَ اللهِ أنْ يرَى عبدَه أو أمته تزني»[١].

٥٥٢ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا جَرير، قال: سمعت أبا رجاء العُطَارِدي يُحَدِّث عن سَمُرَة بن جُنْدُب، قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت الليلة رجلَين أَتَيَاني فأخرجاني، فانطلقتُ معهما، فإذا بيتٌ[٢] مبنيٌّ على بناء التنّور، أعلاه ضَيِّق وأسفله واسع، يُوقَد تحته نار، فيه رِجال ونساء عُراة، فإذا أُوقِدت ارتفعوا حتى يَكادوا أن يخرُجوا، فإذا أُخمِدَتْ رَجَعُوا فيها. فقلت: ما هذا؟ قالا: الزناة»[٣]. أنا اختصرت الحديث، وهو متفق عليه.

٥٥٣ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا حمد [بن] أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، قال: حدثنا أحمد بن عيسى بن ماهان الرَّازي، قال: حدثنا محمد بن مُصَفَّى، قال: حدثنا بَقِيّة، قال: حدثنا عَبّاد بن كثير، عن عِمران، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أعمال أمّتي تُعرض في كلّ يومِ جمعة، وأشدّ غَضَب الله على الزناة»[٤].

٥٥٤ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ، قال: أنبأنا طرّاد بن محمد، قال: أنبأنا عليّ بن عبد الله الهاشِمي، قال: حدثنا محمد بن عَمرو، قال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، قال: حدثنا عُمر بن عبد الغفار، قال: حدثنا العَوّام بن حَوْشَب، قال: حدثنا عليّ بن مُدْرِك، عن أبي زُرْعَة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الإيمان سِرْبال يُسَرْبِلُهُ الله[٥] مَنْ يشاء، فإذا زنَى العبدُ نُزِع منه سِرْبال الإيمان، فإذا تاب رُدَّ عليه»[٦].

---

(١) رواه البخاري (١٠٤٤) و (٥٢٢١)، ومسلم (٩٠١)، والنسائي (١٤٧٤)، ومالك في الموطأ (٤٤٤)، وأحمد في المسند (٢٤٧٨٤).

(٢) هذا لفظ أحمد، وعند البخاري: ثقب.

(٣) رواه البخاري (١٣٨٦)، و (٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٢)، وأحمد في المسند (١٩٥٩٠ ـ ١٩٦٥٣).

(٤) حديث واه بمرة، إن لم يكن موضوعاً، فيه:
ـ عباد بن كثير، هو الثقفي، البصري: متروك، وقال أحمد: روى أحاديث كذب. التقريب (٣١٣٩).
محمد بن مصفى بن بُهلول الحمصي: صدوق له أوهام وكان يُدلّس. التقريب (٦٣٠٤).

(٥) سِربال يُسَرْبله الله، أي: قميصٌ يُلْبِسُه الله مَن يشاء.

(٦) حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، ويشهد له الأحاديث المتقدّمة أوّل هذا الباب.

٥٥٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكِيّ، قال: أنبأنا أبو الحسين الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا عَمّار بن نصر، قال: حدثنا بَقِيَّة، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن الهيثم بن مالك الطائي، عن النبيّ ﷺ، قال: «ما مِنْ ذنبٍ بعد الشرك أعظم عندَ الله من نُطْفةٍ وضَعها رجلٌ في رَحِمٍ لا يَحِلُّ له»(١).

٥٥٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدّثني التَّنُوخي(٢)، قال: حدثنا كعب بن عَمرو بن جعفر البَلْخِي، قال: حدثنا عُرس بن فهد المَوْصلي، قال: حدثنا الحسن بن عرَفة العَبْدِي، قال: حدثني يزيد بن هارون، عن حُميد، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والزنا، فإنّ في الزنا سِتّ خِصَال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة. فأمّا اللواتي في الدنيا: فذهاب نور الوجهِ، وانقطاع الرّزق، وسرعة الفناء. وأما اللواتي في الآخرة: فغضبُ الربّ، وسُوء الحساب، والخلود في النار، إلاّ أن يشاء الله»(٣).

٥٥٧ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحدّاد، قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: أنبأنا محمد بن المظفر، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدِّمَشْقِي، قال: حدثنا هشام بن عمّار، قال: حدثنا مَسْلَمة بن عليّ، عن الأَعْمَش، عن شَقِيق، عن حُذيفة، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «إيّاكم والزنا، فإنّ فيه ست خصال: ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة. فأما اللواتي في الدنيا: فإنّه يذْهب بالبهاء، ويُورث الفقرَ، ويُنقص الرِّزق.

وأما اللواتي في الآخرة: فإنه يُورث سخطَ الربّ، وسُوء الحساب، والخلود في النار»(٤).

٥٥٨ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ قال: أنبأنا علي بن محمد العلاّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران قال: أنبأ أحمد بن إبراهيم الكِندي قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي قال: حدثنا العباس بن عبد الله التَّرْقُفيّ قال: حدثنا أبو مُسْهِر قال: حدثنا صدَقة قال: حدثنا ابن جابر، عن سُليم بن عامر قال: حدثني أبو أمامة الباهلي قال: سمعت

---

(١) حديث ضعيف، فيه: ـ بقية، هو ابن الوليد، ثقة مدلّس وقد عنعنه.
ـ أبو بكر بن أبي مريم، ضعيف، وكان قد سُرِق بيته فاختلط. التقريب (٧٩٧٤).

(٢) التَّنُوخي: نسبة إلى تَنُوخ، قبائل أقاموا بالبحرَين. انظر: لب اللباب ١/١٧٧.

(٣) حديث رواته ثقات إلاّ أنّ فيه انقطاعاً بين يزيد بن هارون وحُميد، فالسند ضعيف.

(٤) حديث واهٍ، فيه: مسلمة بن عليّ الخُشَني، أبو سعيد البَلاطي الدمشقي: متروك. التقريب (٦٦٦٢).

النبيّ ﷺ يقول: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبْعَيَّ[1]، فأخرَجاني فإذا أنا بقومٍ أشدّ شيء انتفاخاً، وأنتنه رِيحاً، كأنّ رِيحَهم المَراحيض، قلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزّانون والزّواني»[2].

٥٥٩ ـ أخبرنا عبد الخالق بن أحمد، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا محمد بن عليّ بن الفتح، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الدقّاق، قال: أنبأنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني العباس بن جعفر، قال: حدثنا محمد بن سعيد، قال: أنبأنا أبو بكر بن عياش، قال: حدثنا رجل، عن مَكْحُول، رفَعه، قالَ: «يُرَوَّحُ أهلُ الجنة برائحة، فيقولون: ربنا ما وجَدْنا ريحاً منذ دخلنا الجنة أطيب من هذه، فيقول: هذه رائحة أفواه الصُّوَّام. ويُرَوَّحُ أهل النّار رائحة، فيقولون: ربّنا ما وجدنا منذ دخلنا النارَ أنتن من هذه، فيقول: هذه رِيح فُروج الزّناة»[3].

٥٦٠ ـ أخبرنا أحمد بن عليّ بن المجلّي، قال: أنبأنا أحمد بن عليّ بن ثابت، قال: أنبأنا عليّ بن محمد بن بِشران، قال: حدثنا ابن صَفوان، قال: حدثنا أبو بكر بن عُبيد، قال: حدثنا محمد بن الحَسن بن شَقيق، قال: أنبأنا إبراهيم بن الأشعث، قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد العَجَمِيّ، عن أبيه، عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طفّف قَومٌ كَيْلاً ولا بَخسوا مِيزاناً إلاّ منعهم الله القَطْر[4]، ولا ظهر في قوم الزّنا إلاّ ظَهر فيهم الموتُ، ولا ظَهر في قومٍ عَمَلُ قومِ لوطٍ إلاّ ظَهر فيهم الخَسْف»[5].

٥٦١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال أنبأنا الحُسين بن قريش، قال أنبأنا علي بن عُمر البَرْمَكِي، قال: أنبأنا محمد بن العباس بن حيّويه ـ إجازة ـ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي داود، قال: حدثنا محمد بن الهَيثم، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن ليث بن أبي سُلَيم، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو[6]؛ قال: أوحَى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: «أَنا قاتل القتّالين ومُفْقِر الزناة»[7].

---

(١) أي: الضبع: وَسَط العَضُد، أو هو العضد.
(٢) حديث صحيح رواته كلهم ثقات. وهو جزء من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه (١٩٨٦)، وابن حبان في صحيحه (٧٤٩١).
وابن جابر هو عبد الرحمٰن بن يزيد بن جابر.
(٣) حديث ضعيف، فيه رجل مبهم، ومحمد بن سعيد إن كان هو المصلوب، فالحديث موضوع.
(٤) القطر: المطر.
(٥) لم أقع على ترجمة عبد الرحمٰن بن زيد العجمي ولا على ترجمة أبيه.
(٦) في المطبوعة: عبد الله بن عُمر، وهو خطأ.
(٧) حديث ضعيف لأجل الليث بن أبي سليم، كان ثقة وابْتُلِي بورّاقه، فكان يُدْخِل في حديثه ما ليس منه =

٥٦٢ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي قال أنبأنا أبو الحسين الزَّيْنَبِي قال: حدثنا ابن المَرْزُبان قال: حدثني أبو محمد التَّميمي قال: حدثنا داود بن المُحَبّر قال: حدثنا ميسرة بن عبد ربّه، عن أبي عائشة السَّعْدِي، عن يَزيد بن عمر بن عبد العزيز، عن أبي مسلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة وابن عباس، قالا: خطب النبي ﷺ فقال في خطبته: «ومَن قَدَر على امرأة أو جارية حرَاماً فوَاقعها، حرّم الله عليه الجنةَ وأدخلهُ النّار، ومَن أبصرَ امرأة نظرةً حراماً ملأ الله عينَيْه ناراً ثم أمرَ به إلى النّار، ومَنْ صافحَ امرأةً حراماً جاء يوم القيامة مَغْلُولاً يدُه إلى عنقه، ثمّ يُؤمر به إلى النار، ومَن فاكَهَها حُبِس بكلّ كلمة كلّمها في الدنيا ألف عام، وأيّ امرأة طاوَعَتِ الرَّجلَ حراماً فالتزمها أو قبّلها أو باشرها أو فاكهَها أو واقعها فعليها منَ الوِزْرِ مثل ما على الرَّجل»[١].

٥٦٣ ـ وبالإسناد قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، قال: حدثنا جَرير، عن ليث، عن ابن أبي نَجيح، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمْرو، قال: أول ما خلَق اللهُ من الإنسان فرجه، فقال: هذه أمانتي عندك، فلا تَضَعْها إلاّ في حَقِّها.

٥٦٤ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أبو علي بن المُهْتَدِي، قال: أنبأنا عُبيد الله بن عُمر بن شاهين، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين بن كوثر، قال: حدثنا عليّ بن الفضل، قال: حدثنا يَزيد بن هارون، قال: أنبأنا العوّام بن حَوْشَب، عن عليّ بن مُدرك، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة، قال: إنّ الإيمان بِزّة[٢] فمن زنا فارقه الإيمان، فإنْ لام نفسَه ورَجع راجعه الإيمان.

٥٦٥ ـ أخبرنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهَرِيّ، قال: أنبأنا ابن حيّويه، قال: أنبأنا أبو أيوب: سليمان بن إسحاق الجَلاّب، قال: أنبأنا الحارث بن أبي أسامة، قال: أنبأنا محمد بن سعد، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله بن يونس، قال: حدثنا أبو شهاب، عن الأعْمَش، عن مجاهد، عن ابن عباس، أنه قال لعَبِيدٍ[٣]: تَزَوّجوا فإنّ العبدَ إذا زنا نزَع اللّهُ منه نور الإيمان، ردّهُ اللّهُ إليه بَعْدُ أم أمسكه؟

٥٦٦ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد في كِتابه، قال: حدثنا

= فنُصح فلم يَقْبل، فسقط حديثه.

(١) حديث موضوع، فيه داود بن المُحَبَّر وميسرة بن عبد ربه، وكلاهما ممن رُمِي بوضع الحديث، وقد تقدمت ترجمة وافية لهما أوّل الكتاب.

(٢) البَزّة: الثياب.

(٣) كذا في المطبوعة: لعبيدٍ، ولعلها: لعبيده.

محمد بن أيوب، قال: حدثنا عيسى بن إبراهيم، قال: حدثنا عَفِيف بن سالم، قال: حدثنا شعبة، عن عطاء الخُراساني، قال: إنّ لجهنم سبعةَ أبواب، أشدّها غَمّاً وكَرْباً وحَرّاً وأنتنها ريحاً للزّناة، الذين رَكِبُوا بعد العلم.

٥٦٧ ـ أخبرنا محمد، قال: أنبأنا محمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يزيد، قال: حدثنا أحمد بن محمد الكَتّاني، قال: حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا أبو مَعْشَر، عن منصور بن غَريب، عن عطاء الخُراساني، قال: إذا ظهر الزّنا كثُرَ الموتُ، وإذا أُكِل الرّبا كان الخَسْفُ والزَّلْزَلة، وإذا جار الحكّامُ قَحط المطر[١]، وإذا مُنِعَت الزّكاة هلكت الماشية.

٥٦٨ ـ وقال أحمد بن حنبل: ليس بعد القتل أصعب من الزنا.

فصل: [الزّنا درجات]

واعلم أنّ الزّنا من أعظم الذنوب، إلاّ أنه في نفسه يزيد بعضه على بعض.

فمِن أفحشِه زِنا الرّجل ببعض محارمه؛ وسنذكر فيما يستقبل إنْ شاء الله قَصص مَن حمله العشق على الزّنا بالمحارم[٢].

ومن أفحشه زِنا الرّجل بزوجة الرَّجل، فتختلط المياه والأنساب.

وأفحش ذلك أن تكون تلك المرأةُ امرأةَ جارٍ أو قرابة.

٥٦٩ ـ أخبرنا علي بن عُبيد الله، قال أنبأنا أبو محمد الصَّرِيْفِيني، قال: أخبرتنا أَمَةُ السّلام بنت أحمد بن كامل، قالت: حدثنا محمد بن إسماعيل السّدار، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الله المنجوفي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مَهْدِيّ، قال: حدثنا سفيان، عن منصور:

وأخبرنا يحيى بن عليّ، قال: أنبأنا ابن المأمون، قال: أنبأنا ابن حُبابة، قال: أنبأنا ابن صاعِد، قال: حدثنا يعقوب الدَّوْرَقي، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش:

كلاهما[٣] عن أبي وائل، عن أبي مَيْسرة، عن عبد الله، قال: قلت يا رسول الله: أيّ الذّنْبِ أعظم؟ قال: «أنْ تجعلَ للَّهِ نِدّاً وهُوَ خلَقَك». قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تقتلَ ولَدَك مخافةَ أنْ يَطْعَمَ معك». قلت: ثم أيّ؟ قال: «أن تُزانِيَ حَلِيْلَةَ جارِك»[٤]. أخرجاه في الصحيحين.

---

(١) قَحَط المطر: احتبس.

(٢) في الباب الثاني والأربعين.

(٣) أي: سفيان بن منصور والأعمش.

(٤) رواه البخاري (٤٧٦١) و(٦٠٠١) و(٦٨١١)، ومسلم (٨٦)، والترمذي (٣١٨٢ ـ ٣١٨٣)، =

٥٧٠ ـ أخبرنا محمد بن ناصر وعُمر بن ظَفر، قالا: أنبأنا محمد بن الحسن البَاقِلّاوي، قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أنبأنا أبو نصر النِّيازِكي، قال: حدثنا أبو الخير أحمد بن محمد بن البزّاز، قال: حدثنا البُخاري، قال: حدثنا أحمد بن حميد، قال: حدثنا محمد بن فُضيل، عن محمد بن سَعيد، قال: سمعت أبا طَيْبة الكَلاعي[1] قال: سمعت المِقداد بنَ الأسود يقول: سُئل رسول الله ﷺ عن الزِّنا، فقال: «حرَام حرّمه الله ورسولُه، وقال: لأنْ يزنِيَ الرجلُ بعشرِ نسوة أيسر عليه من أنْ يزني بامرأةِ جاره»[2].

٥٧١ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا أحمد بن ملاعب، قال: حدثنا أبو نُعيم الفَضل بن دُكين، قال: حدثنا عبد السلام بن شدّاد، عن غَزوان بن جَرير، عن أبيه: أنّهم تذاكروا عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام الفواحِش، فقال لهم: هل تدرون أيّ الزِّنا عند الله جلّ ثناؤه أعظم؟ قالوا: يا أمير المؤمنين كلّه عظيم، قال: ولكن سأخبركم ما أعظم الزِّنا عندَ الله تبارك وتعالى، هو أن يزنيَ العبدُ بزوجة الرّجل المسلمِ، فيصير زانياً، وقد أفسدَ على الرّجل المسلم زوجتَه.

ثم قال عند ذلك: إنّ الناس يُرْسَل عليهم يوم القيامة ريحٌ نتنة، حتى يتأذّى منها كلّ برٍّ وفاجر، حتى إذا بلغت منهم وألَمّت[3] أنْ تُمسك بأنفاس الناس كلّهم، ناداهم منادٍ يُسمِعُهم الصوتَ، فيقول لهم: هل تدرون ما هذه الريح التي قد آذتكم؟ فيقولون: لا ندري والله، إلاّ أنها قد بلغت منا كلّ مبلغ، فيقال: ألا إنّها ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بزناهم ولم يتوبوا منه.

* * *

= والنسائي (٤٠١٣، ٤٠١٤، ٤٠١٥)، وأحمد في المسند (٣٦٠١، ٤٠٩١، ٤١٢٠، ٤٣٩٧، ٤٤٠٩).

(١) أبو طَيْبة، كذا في المطبوع، ويقال أيضاً: أبو ظبية، وهو الأصح. انظر التقريب (٨١٩٢). والكَلاَعي: نسبة إلى ذي الكَلاع، قبيلة من حِمْيَر. انظر: اللباب ٣/ ١٢٣، ولب اللباب ٢/ ٢١٨.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٣٣٤٢)، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٨ له وللطبراني في الكبير والأوسط، ثم قال: «ورجاله ثقات». وأبو ظبية، قال عنه الحافظ في التقريب (٨١٩٢): «مقبول» يعني إذا توبع وإلاّ فليّن الحديث. ولكن لو نظرنا في أقوال العلماء نجد أن ابن معين وثقه، وكذا ابن حبان، وقال الدارقطني: لا بأس به. فهذا حقه أن يُقال عنه على أقلّ تقدير: صدوق. والله أعلم.

(٣) ألَمّت: قاربت.

البَابُ السَّادِسُ والعِشْرُوْنَ

فِي التّحْذِيْرِ مِنْ عَمَلِ قَوْمِ لُوْطٍ

٥٧٢ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد الشّيباني، قال: أنبأنا الحسن بن عليّ التميمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عَمرو بن أبي عَمرو، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعونٌ، ملعونٌ، مَن عَمِل بعَمَل قوم لوط»(١).

٥٧٣ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرحمن، عن زُهير، عن عَمرو ـ يعني: ابن أبي عَمرو ـ، عن عِكرمة، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: «لعن الله من عَمِل عمَل قوم لوط، ولعن الله من عمِل عمَل قوم لوط، ولعن الله من عمِل عمَل قوم لوط»(٢).

---

(١) حديث صحيح، وإسناده حسن لغيره. رواه من طريق محمد بن إسحاق به: الإمام أحمد في المسند (١٨٧٨ ـ ٢٩٠٩). وأشار إليه الترمذي في سننه عقب حديث رقم (١٤٥٦)، حيث قال: «وروى محمد بن إسحاق هذا الحديث عن عمرو بن أبي عَمرو، . . . ولم يذكر فيه القتل، وذكر فيه: ملعون من أتى بَهيمة. ذكره بعدما ذكر حديثاً من طريق عبد العزيز بن محمد، عن عمرو بن أبي عمرو؛ عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعاً: «من وجدتموه يعمل عملِ قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به».
وهذا الإسناد ضعيف لأجل محمد بن إسحاق: صدوق مدلِّس، وقد عنعنه، ولكن لم يتفرد به، بل تابعه غير واحد يرتقي بذلك إلى الحسن لغيره. وممن تابعه:
ـ زهير بن معاوية، عن عَمرو، كما سيذكر المصنف في الحديث الآتي، وقد رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٨١٢) والحاكم في المستدرك ٣٥٦/٤. وزهير: ثقة ثبت.
ـ عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، رواه أحمد (٢٩٠٨)، وعبد الرحمٰن: صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد.
ـ سليمان بن بلال، عند أحمد (٢٩١٠)، وهو ثقة، لكن الراوي عنه أبو سعيد عبد الرحمٰن بن عبد الله البصري: صدوق ربما أخطأ.
فالحديث من طريق زهير بن معاوية صحيح لذاته، وبقية الأسانيد حسنة لغيرها، لما فيها من الضعف.

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٨١٢). وانظر الحديث السابق.

٥٧٤ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين بن الفَرّاء، قال: أنبأنا علي بن عُمر السكّري، قال: حدثنا حامد بن بلال، قال: حدثنا محمد بن عبد الله ـ يعني البخاريّ ـ، قال: حدثنا يحيى بن النِضر، قال: حدثنا غُنْجَار، عن عُمر بن الصبح، عن مُقاتل بن حَيّان، عن أبي الجارود العَبْسِي، عن جابر بن عبد الله، قال: بلغني حديث في القِصاص، وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريتُ بعيراً وشددتُ عليه رَحْلاً[1]، ثم سرت شهراً، فذكرَ الحديثَ إلى أن قال: فلقيتُ الرّجلَ، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخافُ على أمتي من بعدي عمَل قومِ لوط، ألا فليرتَقِبْ أمتي العذابُ، إذا كان الرِّجال بالرِّجال، والنِّساء بالنّساء»[2].

٥٧٥ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ قال: أنبأنا ابن العلاّف قال: حدثنا أبو القاسم بن بِشران قال: حدثنا الآجرِّي قال: حدثنا أبو مسلم الكَشّيّ قال: حدثنا سليمان الشّاذَكُوني.

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا طرّاد، قال: أنبأنا علي بن محمد بن بِشران، قال: أنبأنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا عُبيد الله بن عمر الجُشَمِي[3]:

قالا[4]: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيْل، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أَخْوَف ما أخاف على أمتي عمَل قوم لوط»[5].

٥٧٦ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد السَّمَرْقَنْدِيّ، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الواحد، قال: حدثنا محمد بن أحمد السُّلَمي، قال: حدثنا محمد بن جعفر السّامِري، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا يوسف بن أبي أمية الثّقَفي، قال:

---

(١) الرَّحْل: ما يُجعل على ظهر البَعِير ـ الناقة ـ كالسَّرج.

(٢) حديث موضوع. فيه: عُمر بن صُبح بن عمر التميمي العدوي، متروك، كذّبه ابن راهويه. التقريب (٤٩٢٢). وأبو الجارود العَبْسي، لم أعرفه، فإن كان هو أبو الجارود زياد بن المنذر الأعمى الكوفي، فهو وضّاع اتهمه غير واحد بالكذب. انظر الميزان ٢/ ٩٣ ـ ٩٤. و ٤/ ٥١٠. وإن كان في اسْمه تصحيف، وإنّما هو أبو الجارية العَبْدي، فهو مجهول. الميزان ٤/ ٥١٠. وانظر الحديث الآتي.

(٣) الجُشَمي: نسبة إلى قبيلة جُشَم من الأنصار، وهو جُشم بن الخزرج، وعبيد الله، ينتسب إلى بني جُشم ولاءً، وهو أبو سعيد عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري الجُشَمِي، من أهل البصرة. انظر: الأنساب ٢/ ٦١، اللباب ١/ ٢٧٩، لب اللباب ١/ ٢٠٥.

(٤) أي: سليمان الشاذكوني، وعبيد الله بن عُمر الجُشَمي.

(٥) حديث حسن بشواهده. رواه الترمذي (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، وأحمد في المسند (٢٧٥١٨)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٧. وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن غريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقِيل: صدوق في حديثه لِين، ويُقال: تغيّر بآخرة، لكن يشهد له حديث ابن عباس السابق.

حدثنا عبد الله بن سعد الكِنْدي، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الضّحاك بن عثمان، عن مَخْرَمَة بن سليمان، عن كُريب، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينظرُ الله إلى رجلٍ أتى رَجلاً أو امرأةً في دُبُرِها»[1].

٥٧٧ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا محمد بن عليّ بن ميمون قال: أنبأنا عليّ بن المُحَسِّن التنوخي قال: أنبأنا عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي قال: أنبأنا محمد بن سفيان الحِنّائي قال: حدثنا محمد بن عِيسى بن حَيّان قال: حدثنا محمد بن الصبّاح قال: حدثنا أبو زيد محمد بن حسّان قال: حدثنا إبراهيم بن يحيى، عن ابن أبي ذِئْب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال النبيّ ﷺ: «لم يعْلُ فحلٌ فَحْلاً حتى كان [عمل] قوم لوط، فإذا عَلَا الفحلُ الفحلَ ارتجّ أو اهتزّ عرشُ الرحمن عزّ وجلّ، فاطّلَعَتِ الملائكةُ تعظيماً لِفِعْلِهما، فقالوا: يا ربّ ألا تأمرِ الأرضَ أن تُعَزِّرَهما وتأمر السماء أن تَحْصِبَهما؟ فقال: إنّي حليمٌ [و] لا يفوتني شيء»[2].

٥٧٨ ـ أخبرنا ابن مُنازِل قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو محمد الخلّال قال: حدثنا العباس بن أحمد الهاشِمي قال: حدثنا علي بن أحمد بن نوح قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا الفضل بن دُكَيْن قال: حدثنا مِسْعَر، عن سِمَاك بن حَرْب، عن ابن عباس أنه قال: إنّ الرجل ليأتي الرجل فتضجّ الأرض من تحتِهما، والسماءُ من فوقهما، والبيتُ والسقف، كلّهم يقولون: أي ربّ ائذن لنا أن ينطبق بعضُنا على بعض، فنجعلهم نكَالاً ومُعْتَبَراً، فيقولُ الله عزّ وجلّ: إنّه وَسِعَهم حِلْمي، ولن يفوتُوني.

٥٧٩ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ ومحمد بن أبي منصور، قالا: أنبأنا طرّاد، قال: حدثنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا خالد بن خِداش، قال: حدثنا سَلَم بن قُتيبة، قال: سمعت سُفيان الثّوري يقول: لو أنّ رجلاً عَبَث بغلامٍ بين إصبعين من أصابعِ رجليه يُريد الشهوة لكان لِوَاطاً.

فصل: واعلم أنّ المرأة مع المرأة كالرَّجل مع الرّجل.

٥٨٠ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحُسين، قال:

---

(١) إسنادٌ ضعيف. رواه الترمذي (١١٦٥). وقال: «حديث حسن غريب».
لكن في إسناده: أبو خالد الأحمر، واسمه سليمان بن حيان الأسدي الكوفي: صدوق يخطىء، والضحاك بن عثمان: صدوق يَهِم.

(٢) حديث ضعيف. فيه: إبراهيم بن يحيى الشَّجَري: ليِّن الحديث. التقريب (٢٦٨). وأبو زيد محمد بن حسّان، لم أجد ترجمته.

حدثنا أحمد بن الحَسن بن عبد الجبار الصّوفي، قال: حدثنا عمّار بن نصر الخُراساني، قال: أنبأنا عثمان بن عبد الرحمن الحَرّاني، عن عَنْبَسة بن عبد الرّحمن القُرشي، عن العلاء، عن مَكْحُول، عن واثلة بن الأَسْقَع، قال: قال رسول الله ﷺ: «سِحاق النِّساء زِنا بينهنّ»[1].

* * *

---

(1) حديث موضوع. عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٢٥٦: للطبراني في الكبير [٢٢/ ٦٣]، ولأبي يعلى - بإسناد المصنّف -، ثم قال: «ورجاله ثقات». كذا قال رحمه الله، ولكن فيه:
- عثمان بن عبد الرحمٰن بن مسلم الحراني: صدوق، أَكْثَرَ الروايةَ عن الضعفاء والمجاهيل، فضُعِّف بسبب ذلك، حتى نسبه ابن نمير إلى الكذب، وقد وثّقه ابن معين. التقريب (٤٤٩٤).
- عَنْبسة بن عبد الرحمٰن بن عنبسة الأموي القرشي: متروك، رماه أبو حاتم بالوضع. التقريب (٥٢٠٦).

البابُ السَّابعُ والعِشْرُوْنَ

فِي عُقُوبَةِ اللُّوطِيِّ فِي الدّنْيَا

اعلم أنّ الله عزّ وجلّ قصّ علينا مِن قصّة عمَل قوم لوط إيثارهم الفاحشة ومَيلهم إليها، وشرَح عِقابه إيّاهم في الدنيا، فأطال في ذكر ذلك ما لم يُطل في ذكر كفرهم.

ومعلوم أنّ الكفر أعظم من الفاحشة، ولكنّه أراد تحذيرنا من تلك الأفعال، وقصّة القوم في القرآن في مواضع، وقد عَرَفْنا منها أنّه عاقبهم في الدنيا بالرَّجم والحِجارة(١).

وقد رُوِيَت في عُقوبة اللّوطي في الدنيا أحاديث:

٥٨١ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ وابن ناصر قالا: أنبأنا طرّاد بن محمد قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران قال: أنبأنا ابن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القُرشي قال: حدثنا خالد بن خِداش قال: حدثنا عبد العزيز الدَّراوَرْدِيّ قال: حدثنا عَمرو بن أبي عَمرو، عن عِكرمة، عن ابن عباس، أنّ النبيّ ﷺ قال فيمن عمِل عمَل قوم لوط: «يُقتل الفاعل والمفعول به»(٢).

---

(١) قلت: والآيات في ذلك مشهورة معروفة. وانظر الجواب الكافي ص ٢٤٨ ـ ٢٥٣.

(٢) حديث صحيح. رواه أبو داود (٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٦)، وابن ماجه (٢٥٦١)، وأحمد في المسند (٢٧٢٧). كلهم من طريق عبد العزيز الدراوردي به، وهو صدوق كان يُحدِّث من كتب غيره فيخطىء. ولكن لم يتفرد به بل تابعه عليه غير واحد:

فتابعه: عبد الله بن جعفر المَخْرَمي، عند الحاكم في المستدرك ٣٥٥/٤، وفي آخره: «ومن وجدتموه يأتي بهيمة فاقتلوه، واقتلوا البهيمة معه». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي، وعبد الله المَخْرَمي: ليس به بأس، كما ذكر الحافظ في التقريب (٣٢٥٢). وتابعه أيضاً: سليمان بن بلال، عند الحاكم ٣٥٥/٤، وسليمان: ثقة. التقريب (٢٥٣٩).

وقد ورد الحديث من غير طريق عمرو بن أبي عمرو، وهو ثقة ربما وهم، حيث ذكره المصنف في الحديث الآتي من طريق ابن أبي حبيبة وداود بن الحُصين، عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً به. رواه أحمد في المسند (٢٧٢٢) وأشار إليه أبو داود في سننه عقب حديث (٤٤٦٢) فقال: «ورواه ابن جريج، عن إبراهيم، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه». والطبراني في الكبير (١١٥٢٧ ـ ١١٥٦٨ ـ ١١٥٦٩). وابن أبي حبيبة: اسمه إبراهيم بن إسماعيل: ضعيف. وداود بن الحصين: ثقة إلا في عكرمة. والحديث عنه، فليس بثقة فيه، ولكن يشدّ أَزْرَه من تابعه عن عكرمة.

وتابعه أيضاً عباد بن منصور، عند المصنف (٥٨٣) وأحمد وأبو داود. انظر هامش الحديث (٥٨٣).

فالحديث بهذه بالمتابعات يتقوَّى ويصحّ. وله شواهد من حديث جابر وأبي هريرة ـ كما سيأتي عند المصنف ـ ولكن لا تغني ولا تُسْمِن من جوع.

٥٨٢ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو القاسم بن أبي الزِّناد، قال: أخبرني ابن أبي حَبيبة وداود بن الحُصَين، عن عِكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا الفاعل والمفعول به في عمَل قوم لوط»[(١)].

٥٨٣ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: حدثنا عبد الملك بن بِشران، قال: حدثنا أبو بكر الآجرّي، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا الحسن بن الصبّاح، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء.

وأخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد قال: أنبأنا الجَوْهري قال: حدثنا ابن المظفّر قال: حدثنا الهيثم بن خلف قال: حدثنا عباس قال: حدثنا عيسى بن شعيب:

كلاهما[(٢)] عن عبّاد بن منصور، [عن عكرمة][(٣)]، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا الفاعل والمفعول به»[(٤)].

٥٨٤ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد السَّمَرْقَنْدِي، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الواحد، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن الوليد، قال: حدثنا محمد بن جعفر السّامري، قال: حدثنا علي بن داود القَنْطَرِيّ، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا يحيى بن أيوب، عن عبّاد بن كثير، أنَّ عبد الله بن محمد بن عَقِيل[(٥)]، حدّثه عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عمِل بعمَل قوم لوط فاقتلوه»[(٦)].

٥٨٥ ـ قال السامري: وحدثنا أحمد بن ملاعب قال: حدثنا يعقوب بن الزُّبَيري قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عُمر، عن سُهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمَل بعمَلِ قوم لوط فارْجُموا الأعلى والأسفل»[(٧)].

---

(١) انظر الهامش السابق.

(٢) أي: عبد الوهاب بن عطاء، وعيسى بن شعيب.

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٨٢٨)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦. وأشار إليه أبو داود عقب حديث رقم (٤٤٦٢). انظر هامش الفقرة (٥٨١).

(٥) في المطبوعة: عبد الله بن محمد بن محمد بن عَقيل، وهو خطأ.

(٦) أشار إليه الترمذي عقب حديث (١٤٥٦)، حيث قال: «وفي الباب عن جابر وأبي هريرة».
وهذا إسناد واهٍ بمرة، بل موضوع، فيه عباد بن كثير الثقفي البصري، قال عنه في التقريب (٣١٣٩): «متروك، قال أحمد: روى أحاديث كذب».

(٧) رواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٣٥٥، وسكت عليه، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «عبد الرحمٰن: ساقط».
قلت: عبد الرحمٰن هو ابن عبد الله بن عُمر بن حفص العُمَري، أبو القاسم المدني؛ نزيل بغداد: =

ذِكْرُ ما رُوي عن أبي بكر الصِّدِّيق وغيرِه من الصحابة في ذلك

٥٨٦ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن عليّ، قالا: أنبأنا طرّاد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: أنبأنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا عُبيد الله بن عمر، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن داود بن بكر، عن محمد بن المُنكَدِر، أنّ خالد بن الوليد كتَب إلى أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أنّه وجَد رجلاً في بعض الأضاحي يُنكَح كما تُنكح المرأة. فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله ﷺ، منهم عليّ بن أبي طالب، فقال علي: إنّ هذا ذنب لم تَعمل به إلاّ أمةٌ واحدة ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرَى أن تُحَرِّقَه بالنّار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله ﷺ أن يُحَرَّق بالنار. فأمر به أبو بكر أن يُحرّق بالنار(١). قال: وقد حَرَّقهم ابنُ الزبير وهشام بن عبد الملك.

٥٨٧ ـ وبالإسناد قال: حدثنا القُرشي، قال: حدثنا سُويد، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، عن ابن أبي ليلى، عن يزيد بن قيس، أنّ علياً عليه السلام رجَم لُوطياً.

٥٨٨ ـ وقد رُوي عن عمر أنّه قال: من عمِل عمَل قوم لوط فاقتلوه.

٥٨٩ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن عليّ، قالا: أنبأنا علي بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: حدثنا أبو بكر الآجرّي، قال: حدثنا ابن مَخْلَد، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصّاغاني، قال: حدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا غسّان بن مضر، عن سعيد بن يزيد، قال: سُئل ابن عباس ما حدُّ اللوطي؟ قال: يُنظر أعلَى بيتٍ في القرية فيُرمى مُنكّساً ثم يُتْبَع بالحجارة(٢).

٥٩٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أنبأنا الجَوْهَري، قال: حدثنا ابن المظفّر، قال: حدثنا الهيثم بن خلف، قال: حدثنا عباس بن يزيد، قال: حدثنا غسان، قال: حدثنا أبو مسلمة، عن أبي نَضْرَة، قال: سُئل ابن عباس عن حَدّ اللُوْطِيّ؟ قال: يُنظر إلى أعلى بناء في القرية فيُرمى به منكوساً، ثم يُتبع بالحجارة.

ذكر كلام التّابعين ومَنْ بعدَهُم في ذلك

٥٩١ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن عبد الواحد، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد السُلَمي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا علي بن

= متروك. التقريب (٣٩٢٢).

(١) ذكر هذه القصة ابن القيم في الجواب الكافي ص ٢٤٨.

(٢) وهذا أخذاً من قوله تعالى عن قوم لوط: ﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل﴾ [هود/ ٨٢].

حَرْب، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا سفيان، عن جابر، عن الشَّعْبِي، قال: اللّوطي يُرجم، أُحْصِن أو لم يُحْصَن.

٥٩٢ ـ وبالإسناد قال: حدثنا الخرَائطي، قال: وحدثنا أحمد بن منصور الرَّمادي، قال: حدثنا محمد بن الصباح، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا صالح بن كيسان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال: على اللّوطِيّ الرَّجم، أُحصن أو لم يُحصن.

٥٩٣ ـ قال: وحدثنا عباس الدُّوريّ، قال: حدثنا عُبيد الله بن موسى، قال: حدثنا سفيان، عن حمّاد، عن إبراهيم، قال: حدّ اللّوطي حدّ الزاني.

٥٩٤ ـ قال سفيان: وحدثنا حماد، عن قتادة، عن جابر بن زيد، في اللُّوطي: يُرجم.

٥٩٥ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد بن يوسف قال: أنبأنا الحَسن بن عليّ الجوهري قال: حدثنا محمد بن المظفر الحافظ قال: حدثنا الهيثم بن خلف الدُّوْرِي قال: حدثنا محمد بن أحمد بن النضر قال: حدثنا معاوية بن عَمرو قال: حدثنا محمد بن بِشر، عن سفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن عطاء قال: حدّ اللوطي حدّ الزاني.

٥٩٦ ـ وعن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، قال: اللّوطي حدّه حدّ الزَّاني، إنْ أُحْصِن رُجم، وإلاّ جلد.

٥٩٧ ـ وبه[١] قال الهيثم: وحدثنا عبد الرحمن بن منصور، قال: قال معَاذ بن هشام؛ وحدّثني أبي، عن قتادة، عن الحَسن، أنه قال في الرّجل خالط الرّجل: إنْ كان أُحصن جُلِد ورُجم، وإن كان لم يُحصن جُلِد ونُفِي.

٥٩٨ ـ وقال معاذ: وحدّثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن زيد، وعُبيد الله بن عبد الله بن معمر، أنّهما قالا: عليه الرّجم إنْ كان أُحصن وإن لم يُحصن[٢].

قال قتادة: وقول الحسن أعجب إلي.

٥٩٩ ـ وقال قتادة: وكان الحسن يقول في الرجل يخالط البهيمة: إن كان أُحصن جلد ورُجم وإن لم يحصن جلد ونُفي.

٦٠٠ ـ وبالإسناد عن الهيثم، قال: حدثنا عبد الله بن سَعيد الكِنْدي، قال: حدثنا حماد بن خالد، عن مالك بن أنس، عن الزّهري، قال: يُرجم إن أُحْصن أو لم يُحصن.

٦٠١ ـ وكذلك قال ربيعة وابن هُرمز ومالك: يُرجم أُحصن أو لم يُحصن. وقال الزهري: سُنّة ماضية.

---

(١) به: يعني بالإسناد السابق في الفقرة (٥٩٥).
(٢) يعني: فحكمه كذلك.

٦٠٢ ـ أخبرنا ابن ناصر وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا ابن العلاّف، قال: حدثنا ابن بِشران، قال: حدثنا الآجري، قال: حدثنا عبد الله بن العباس الطَّيالسي، قال: حدثنا إسحاق الكَوْسَج، قال: قلت لأحمد بن حنبل: أيُرجم اللّوطِيّ أُحصن أو لم يُحصن؟ قال: يُرجم أُحصن أو لم يُحصن. وقال إسحاق بن راهويه كما قال أحمد.

٦٠٣ ـ وقد رُوي عن أحمد: أنّ حدّ اللوطي كحدّ الزّاني، يختلف بالثُّيُوبة والبَكَارة، وهذا قول أبي يوسف ومحمد. وعن الشافعي كالروايتين عن أحمد.

٦٠٤ ـ وقال الحَكم: يُضْرَب اللّوطِيّ دُون الحَدّ. وإلى هذا مال أبو حنيفة.

٦٠٥ ـ وقال النخعي: لو كان أحدٌ ينبغي أن يُرجم مَرَّتين لكان ينبغي لِلُّوطي أن يُرجم مرتَين[1].

٦٠٦ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا عبد العزيز بن عليّ، قال: أنبأنا عليّ بن جعفر الصّوفي، قال: سمعت المَوازِيْني يقول: قال لي رجل مِن الحُجّاج: مررت بديار قوم لوط، فأخذتُ حجراً مما رُجِموا به فطرحته في مخلاة[2]، ودخلتُ مصر فنزلتُ في بعض الدّور في الطبقة الوسطى، وكان في سفل الدّار حَدَث[3]، فأخرجت الحجر من خُرْجي ووضعته في رَوْزَنَة في البيت. فدعا الحدَث الذي كان في السفل صبياً إلى عنده واجتمع معه، فسقط الحجرُ على الحدَث من الرَّوْزَنة فقتله!

٦٠٧ ـ أخبرتنا شُهْدَة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن عثمان بن مكي، قال: أخبرني جدّي أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن حمد، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن عِيسى الوشّاء المُقْرِىء، قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى، يقول: خرجتُ حاجّاً إلى مكة، فلمّا كان ليلةَ عرفات رأى الإمام الذي حجّ بنا تلك الليلة مناماً، فلما صِرْنا إلى مكة بعد انقضاء الحجّ سمعنا منادياً يُنادي فوق الحجَر: أنصتوا يا معشر الحَجيج. فأنصت الخلق، فقال: يا معشر الحجيج إنّ إمامكم رأى أنّ الله عزّ وجلّ قد غفَر لكلّ مَن وافَى العامَ البيتَ، إلاّ رجلاً واحداً، فإنّه فسَق بغلام.

---

(١) قال الترمذي في سننه عقب حديث (١٤٥٦): «اختلف أهل العلم في حدّ اللوطي: فرأى بعضهم أنّ عليه الرّجم أَحْصَن أو لم يُحصِن، وهذا قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم، قالوا: حدّ اللوطيّ حدّ الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة». وانظر: الجواب الكافي ص ٢٤٦ ـ ٢٤٩.

(٢) المخلاة: ما يُجعل فيه العَلَف ويُعَلّق في عنق الدابة، ومراده هنا الخُرج، كما سيأتي في تمام القصة، والخُرج: وعاء معروف يوضع على ظهر الدابة، توضع فيه الأمتعة وغيرها.

(٣) حَدَث: شابّ.

البَابُ الثَّامِنُ والعِشْرُوْنَ

فِي ذِكْرِ عُقُوبَةِ اللُّوْطِيِّ فِي الآخِرَةِ

٦٠٨ ـ أخبرنا أحمد بن مُنازِل، قال: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الْخَلاَّل، قال: حدثنا العباس بن أحمد الهاشِميّ، قال: حدثنا علي بن أحمد بن نُوح، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الشَّعْراني، قال: حدثنا داود بن المُحَبَّر، عن أبي عائشة السَّعْدِي، عن يزيد بن عُمر بن عبد العزيز، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة وابن عباس، قالا: خطَبنا رسول الله ﷺ، فقال في خطبته: «من نكَح امرأة في دُبرها أو غلاماً أو رَجُلاً حُشِر يوم القيامة أنتن من الجِيفة، يُنادَى به الناس حتى يُدخله اللهُ نار جهنم، ويُحبِط اللهُ عملَه، ولا يقبل منه صَرْفاً ولا عَدْلاً، ويُجعل في تابوت من النار، ويُسَمَّر عليه بمسامير من حديد من نار، فتستلّ تلك المسامير في وجهه وفي جسده»[١]. قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتب.

٦٠٩ ـ أخبرنا عُمر بن هُدْبة الصوّاف، قال: أنبأنا عليّ بن أحمد بن بَيان، قال: أنبأنا أبو الحَسن بن مَخلد، قال: أنبأنا إسماعيل بن محمد الصفّار، قال: أنبأنا الحسن بن عرَفة، قال: حدثني عليّ بن ثابت الجَزَرِي، عن مسلم بن جعفر، عن حسّان بن حُميد، عن أنس بن مالك، عن النبيّ ﷺ، قال: «سبعةٌ لا ينظرُ الله إليهم يوم القيامة ولا يُزكّيهم ولا يجمعهم مع العالَمين، يدخلون النّار أوّل الدّاخلين، إلاّ أن يتوبوا، فمن تاب تاب الله عليه: الناكح يده، والفاعل والمفعول به، ومُدمن خمر، والضّارب أبوَيْه حتى يستغيثا، والمؤذِي جيرانه حتى يلعَنُوه، والنّاكح حَلِيلةَ جاره»[٢].

٦١٠ ـ أخبرنا أحمد بن مُنازل، قال: أنبأنا عبد الجبّار، قال: أنبأنا الخلاّل، قال: حدثنا العباس بن أحمد الهاشمي، قال: حدثنا علي بن أحمد بن نُوح، قال: حدثنا محمد بن يونس، قال: حدثنا محمد بن حَيّان، قال: أنبأنا روح بن مُسافر، عن حمّاد، عن إبراهيم، عن عَلْقَمة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللّوطِيّان لو اغتسلا بماء البحرِ لم يُجْزِهما إلاّ أن يتوبا»[٣].

---

(١) حديث موضوع، فيه داود بن المحبَّر بن قَحْذم الثقفي، متروك، ورماه البعض بالوضع والكذب. وقد تقدمت ترجمة ضافية له أوّل الكتاب.

(٢) إسناد فيه: ـ علي بن ثابت الجزَري: صدوق ربما أخطأ. التقريب (٤٦٩٦).
ـ مسلم بن جعفر، وحسّان بن حميد لم أجد ترجمتهما.

(٣) حديث واهٍ منكر، فيه رَوح بن مسافر: قال البخاري: تركه ابن المبارك، وقال الجوزجاني: متروك، =

٦١١ ـ أخبرنا أبو منصور بن عبد الرحمن القَزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد القاضي قال: حدثنا مسلم بن عيسى قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حماد بن زيد، عن سُهيل، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مات من أمتي يعمَل عمَل قوم لوط نقله الله إليهم حتى يحشر معهم»[(١)].

٦١٢ ـ أخبرنا عبد الله بن عليّ ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا طرّاد بن محمد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: حدثنا الحُسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن إسماعيل بن كثير، عن مُجاهد، قال: لو أنّ الذي يعمل ذلك العمل ـ يعني عمَل قوم لوط ـ اغتسل بكلّ قطرة في السماء وكلّ قطرة في الأرض لم يزل نجساً.

٦١٣ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أنبأنا الجَوهري، قال: حدثنا محمد بن المُظَفّر، قال: أنبأنا الهيثم بن خلف، قال: حدثنا عباد بن الوليد الغَنَويّ، قال: سمعت إبراهيم بن شأس يقول: سمعت الفُضيل بن عِيَاض يقول: لو أنّ لُوطِياً اغتسلَ بكلّ قطرةٍ من السّماء لقيَ الله غير طاهر.

٦١٤ ـ أخبرنا ابن مُنازل قال: أنبأنا ابن عبد الجبار قال: أنبأنا الخلاّل قال: حدثنا العباس بن أحمد الهاشمي قال: حدثنا عليّ بن أحمد بن نوح قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا أبو أيوب بن سليمان، عن طلحة بن زيد، عن برد بن سنان، عن أبي المُنِيب، عن عبد الله بن عَمرو، قال: يُحشر اللوطِيُّون يوم القيامة في صورة القِردة والخنازير.

٦١٥ ـ أخبرنا ابن مُنازل، قال: أنبأنا ابن عبد الجبار، قال أنبأنا الخلاّل، قال: حدثنا العباس الهاشمي، قال: حدثنا محمد بن يحيى الأزدي، قال: حدثنا أحمد بن نُصير، قال: حدثنا سعدان بن عَمرو المُعَافري، عن أبي الصَّهْباء، عن سَعيد بن جُبير، عن ابن عباس، قال: من خرَج منَ الدنيا على حالٍ، خرج من قبره على تلك الحال، حتّى إنّ اللّوطي يخرج يُعلّق ذَكَره على دُبُرِ صاحبِه مفتضحَيْن على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

* * *

= وكذا قال أبو داود، وقال ابن معين: لا يُكتب حديثه، وقال مرّة: ليس بثقة، وقال مرة: ضعيف. ميزان الاعتدال ٢/ ٦١.

(١) حديث منكر، فيه: ـ مسلم بن عيسى بن مسلم الصفّار: قال الدارقطني: متروك. ميزان الاعتدال ٤/ ١٠٦.
ـ أبوه: عيسى بن مسلم الصفّار: منكر الحديث، وذكره أحمد، وذكر قوله في الإرجاء، فقال: ذاك خبيث القول. الميزان ٣/ ٣٢٣.

البَابُ التاسِعُ والعِشْرُون

في التَّحْذِيرِ مِنَ العُقوباتِ

اعلم أنّ العقوبة تختلف: فتارة تتعجّل، وتارة تتأخر، وتارة يظهر أثرها، وتارة يخفى.

وأَطْرَف العقوبات ما لا يحسّ بها المعاقَب، وأشدّها العقوبة بسلب الإيمان والمعرفة، ودُون ذلك موتُ القلوب ومحو لذّة المُناجاة منه، وقوة الحرص على الذّنب ونسيان القرآن، وإهمال الاستغفار، ونحو ذلك مما ضرره في الدِّين. وربما دبَّت العقوبة في الباطن دبيب الظلمة، إلى أن يمتلىء أفق القلب، فتعمَى البصيرة. وأهون العقوبة ما كان واقعاً بالبدن في الدنيا، وربما كانت عقوبة النظر في البصر، فمَن عرف لنفسه مِنَ الذّنوب ما يُوجب العِقابَ فليُبادر نزولَ العقوبة بالتوبة الصّادقة عساه يَرُدُّ ما يَرِدُ.

٦١٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال أنبأنا أحمد بن عليّ بن سوار، قال: أنبأنا أحمد بن محمد الجندي، قال: أنبأنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا سلمة بن شَبيب، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا مَعْمَر، عن أيوب، عن أبي قِلاَبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «البِرّ لا يَبْلَى، والإثم لا يُنسَى، والدَّيّانُ لا يَنام، فكُن كما شِئت، كما تَدِين تُدَان»[1].

٦١٨ ـ أخبرنا أحمد بن أحمد المُتوكّلي، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا علي بن القاسم الشاهد، قال: حدثنا علي بن إسحاق المادَرَائي[2]، قال: حدثنا المفضل بن محمد، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الطّبري، قال الفُضيل بن عِياض: قال الله عزّ وجلّ: «يا ابن آدم إذا كنتُ أُقَلّبك في نعمتي وأنت تَتقلّب في معصيتي فاحْذر، لا أصرعْك بين معاصيك، يا ابن آدم اتَّقِني ونَمْ حيث شئت، إنّك إن ذكَرْتني ذكرتُك، وإن نسِيتني نسيتك، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك».

٦١٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو

---

(١) حديث مرسل: أبو قِلابة ـ بكسر القاف ـ واسمه عبد الله بن زيد، تابعي ثقة فاضل، كثير الإرسال. التقريب (٣٣٣٣)، والمرسل، ضعيف.

(٢) المادرائي: بفتح الدال المهملة، نسبة إلى مَادَرايا، قرية بالبصرة، وعلي بن إسحاق هو ابن محمد بن البختري المادرائي، أبو الحسن. انظر: الأنساب ٥/ ١٦٠، ولب اللباب ٢/ ٢٢٧.

نُعيم، قال: حدثنا أبو سلمة محمد بن حيَّان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس، قال: حدثنا سهل ـ يعني: ابن هاشم ـ، قال: سمعت إبراهيم بن أَدْهَم، يقول: سمعت فُضيلاً يقول: ما يُؤَمّنك أن تكون بارزت الله بعَمَلٍ مَقَتَكَ عليه، فأغلَقَ دونك أبوابَ المغفرة وأنت تضحك، كيف ترى يكون حالك!

٦٢٠ ـ أنبأنا أحمد بن علي بن المجلّي، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: حدثنا الحسن بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا مجاهد بن موسى، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا ثَوْر، عن خالد بن مَعدان، عن جُبير بن نُفَير، قال: لما افتتح المسلمون قبرصَ فُرِّق بين أهلها، فجعل بعضهم يبكي إلى بعض، فبكَى أبو الدرداء، فقلت له: ما يُبكيك في يوم أَعَزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهله، وأَذَلّ الشرك وأهله؟ قال: دعنا منك يا جُبير، ما أهون الخَلْق على الله إذا تَرَكوا أَمْرَه! بينا هي أمّة قاهرة قادرة، إذ ترَكوا أمر الله تعالى فصاروا إلى ما ترى!!

٦٢١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهَري، قال: حدثنا أبو الفَضْل الزّهري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحَسن الذَّهَبي، قال: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمادي، قال: حدثنا محمد بن المُثَنّى، قال: حدثنا عبد القدّوس، قال: حدثنا هشام، قال: اغتَمّ ابنُ سِيرين مرّة، فقيل له: يا أبا بكر ما هذا الغَمّ؟ فقال: هذا الغمّ بذنبٍ أصبتُه منذ أربعين سنة.

قد ذكرنا في باب عقوبة النظر، قصّة الذي نظَر إلى صبيّ فنسِيَ القرآن بعد أربعين سنة[1].

٦٢٢ ـ أنبأنا أحمد بن علي المجلّي، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: حدثنا ابن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا أبو أسامة، عن مِسْعَر، عن عَلْقمة بن مَرْثَد، قال: بينما رجل يَطُوف بالبيتِ إذ برَق له ساعدُ امرأةٍ، فوضَع ساعدَه على ساعدها يتلذّذ به، فلصقت ساعداهما، فأتى بعض الشيوخ، فقال ارجع إلى المكان الذي فعلت هذا فيه، فعاهِدْ ربَّ البيتِ أنْ لا تعود، ففعل، فخلّي عنه.

٦٢٣ ـ قال القرشي: وحدثنا خالد بن معدان بن خِداش، قال: حدثنا أبو عَوانة، عن أبي بشير، عن ابن أبي نجيح: أن أَسَافاً ونائِلة[2] رجل وامرأة، حجّا من الشام، قبّلها وهما

---

(١) انظر الفقرة (٤٠٦).

(٢) أَساف ونائلة: اسما صنمين من أصنام الجاهلية.

يطوفان، فمُسِخا حَجَرَيْن، فلم يزالا في المسجد حتى جاء الله بالإسلام فأخرجا.

٦٢٤ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الجَوهري، قال: أنبأنا محمد بن عِمران المَرْزُباني، قال: حدثنا أبو عبد الله بن مَخْلد، قال: حدثني علي بن عَبْدَويه، قال: حدثنا يحيى بن النّضير بن جُنيد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني المقتّل العُقَيلي، قال: نتحدث عندنا بالبادية أنّ مجنون بني عامر[١] لما قال:

قضاها لغيرِي وابتلاني بحبّها ... فهلاّ بشيء غيرَ ليلى ابْتَلاَنِيَا[٢]

ذَهَب بصرُه.

* * *

---

(١) هو مجنون ليلى، وستأتي ترجمته وقصته في باب: ذكر مَن ضُرِبَتْ به الأمثال من العشاق.

(٢) البيت في ديوان مجنون ليلى ص ٢٠٤.

البَابُ الثّلاثُوْنَ

في الحَثّ على التّوْبَةِ والاسْتِغْفَارِ

٦٢٥ ـ أخبرنا هِبةَ الله بن محمد، قال: أنبأنا الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا شعبة:

وأخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا الدّاوُدِيّ، قال: أنبأنا السَّرَخْسِي، قال: أنبأنا إبراهيم بن خُرَيم، قال: حدثنا عبدُ بن حميد، قال: حدثنا جعفر بن عون، قال: أنبأنا مِسْعر:

قالا: حدثنا عَمْرو بن مُرَّة، عن أبي بُرْدَة، عن الأَغَرّ، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «يا أيها النّاس توبوا إلى ربّكم فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة»[١]. لفظ أحمد، وانفرد بإخراجه مسلم.

٦٢٦ ـ وبالإسناد حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا يونس، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت، قال: حدثنا أبو بُردة، عن الأغرَّ المُزَنّي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لَيُغانُ[٢] على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[٣].

انفرد بإخراجه مسلم، وليس للأغرّ في الصحيح غيره. ورُبّما تَوَهّم مُتوهّم أنّ هذا الأغرّ هو الذي في الحديث قبله، وليس كذلك، هذا صحابي وذاك تابعي[٤].

٦٢٧ ـ وبالإسناد حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا ابن نُمير، عن مالك بن مِغْوَل، عن محمد بن سُوْقَة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إنْ كنّا لنَعُدُّ أنّ رسول الله ﷺ يقول في المجلس: «ربِّ اغفر لي وتب عليَّ، إنّك أنت التوّاب الغفور» مائة مرة[٥]. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

---

(١) رواه مسلم (٤٢/ ٢٧٠٢)، وأحمد في المسند (١٧٣٩١ ـ ١٧٣٩٤).

(٢) الغَيْن: ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد الغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا افتر عنه أو غفل، عدّ ذلك ذنباً واستغفر منه.

(٣) رواه مسلم (٤١/ ٢٧٠٢)، وأبو داود (١٥١٥)، وأحمد في المسند (١٧٣٩ ـ ١٧٨٢٧).

(٤) كذا قال رحمه الله تعالى، ولكن عند مسلم في حديث ابن عمر: عن أبي بُرْدَة قال: سمعتُ الأغرّ وكان من أصحاب النبيّ ﷺ يُحَدّث ابنَ عمر... وعند أحمد: سمعتُ الأغرّ رجلاً من جُهينة يُحَدّث عن ابن عمر... قال الحافظ ابن حجر في التقريب (٥٤٢): «الأغر بن عبد الله، ويقال: ابن يسار، المُزَني، ويُقال: الجهني، ومنهم مَن فرّق بينهما، صحابي، قال البخاري: المُزني أصح».

(٥) حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات. رواه أبو داود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤)، وقال: «حديث =

٦٢٨ ـ أخبرنا ابن الحُصَين: قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعْمَش، عن إبراهيم التّيمي، عن الحارث بن سُوَيد، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لله عزّ وجلّ أفرح بتوبة أحدِكم، من رجلٍ خرَج بأرض دَوِيَّة[١] مُهْلِكة، معه راحلته عليها طعامُه وشرابه وزَاده وما يصلحه، فأضلّها فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموتُ ولم يجدْها، قال: أَرْجِع إلى مكاني الذي أَضْلَلْتُها فيه فأموت فيه، فأَتَى مكانَه فغلبَتْه عينُه، فاستيقظ، فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يُصلحه»[٢].

أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين. وقد روى هذا المعنى من[٣] حديث رسول الله ﷺ: البَراء بن عازب، والنعمان بن بشير، وأبو هريرة، وأنس بن مالك.

٦٢٩ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن أبي عَدِيّ، قال: حدثنا حسين المُعَلِّم، عن عبد الله بن يزيد، عن بَشير بن كعب، عن شدّاد بن أَوْس، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيِّدُ الاستغفار: اللهمّ أنت ربي لا إله إلاّ أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شَرِّ ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت. مَن قالها بعدما يُصبح مُوْقِناً بها فمات مِنْ يومه كان من أهل الجنة، ومن قالها بعدما يُمسي مُوقناً بها فمات من ليلته كان من أهل الجنة»[٤]. انفرد بإخراجه البخاري.

٦٣٠ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو سلمة، قال: حدثنا ليث، عن يزيد بن الهادي، عن عَمرو، عن[٥] أبي سعيد الخُدري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ إبليس قال لربّه عزّ وجلّ: بعزّتك وجلالك لا أَبْرَح أُغْوِي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم. فقال له ربّه عزّ وجلّ: فبعزّتي وجلالي لا أَبْرَح أغفر لهم ما استغفروني»[٦].

= حسن صحيح غريب»، وابن ماجه (٣٨١٤)، وأحمد في المسند (٤٧١٢).

(١) دَوِيَّة: البرية التي لا نبات فيها.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤)، والترمذي (٢٤٩٨)، وأحمد في المسند (٣٦٢٠).

(٣) في المطبوعة: عن.

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٦) و (٦٣٢٣)، والترمذي (٣٣٩٣)، والنسائي (٥٥٢٢)، وأحمد في المسند (١٦٦٦٢ ـ ١٦٦٨١).

(٥) في المطبوعة: عَمرو بن أبي سعيد الخدري، وهو خطأ.

(٦) حديث صحيح رواته كلهم ثقات. رواه أحمد في المسند (١٠٨٥١ ـ ١٠٩٧٤ ـ ٢٧٦٢٧). وانظر =

٦٣١ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المُبارك قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن النّقور قال: أنبأنا عيسى بن علي بن عيسى قال: حدثنا البَغوي قال: حدثنا كامل بن طلحة قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، أنّ رجلاً أتى عُمر بن الخطاب فقال: إنّ امرأة جاءت لتبايعَنِي فأدخلتها الدَّوْلَج[1]، فأصبتُ منها كلّ شيء إلاّ الجماع. قال عُمر: لعلها مُغَيّبة[2] في سبيل الله؟. قال: أجل. قال: فائتِ النبيّ ﷺ. فأتى النبيّ ﷺ فقال له مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: لعلها مُغيّبة في سبيل الله؟ قال: أجل. قال: فسكت عنه ونزل القرآن: ﴿أقم الصلاة طَرفَي النّهارِ وزُلَفاً منَ اللَّيْل﴾ إلى آخر الآية [١٤ من سورة هود]. فقال الرجل: أَلي خاصّة أم للنّاس عامّة؟ فضرب عُمر صدره بيده، فقال: لا، ولا نعمة عين، ولكن للنّاس عامة. فضحك رسول الله ﷺ وقال: صدَق عُمر[3].

٦٣٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البَرْمَكِي، قال: أنبأنا أبو الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا محمد بن خلَف، قال: حدثنا عبد الله بن لَهِيعة، عن أبي قُبَيْل، عن مالك بن أبي النَّاشِرِيّ[4]، أنه سمع عبد الله بن عمر يقول: مَن ذكر خطيئةً عمِلها فوجل قلبه منها فاستغفر الله عزّ وجلّ لم يحبسْها شيء حتى تُمحى.

٦٣٣ ـ وقد روينا عن ابن مسعود أنه قال: إنّي لأعلم آيتين لا يقرأهما عبدٌ عند ذنبٍ يُصِيبُه، ويستغفر الله إلاّ غفر له، قوله: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه﴾ الآية [١١٠ من سورة النساء]، وقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ الآية [١٣٥ من آل عمران].

٦٣٤ ـ أخبرنا أحمد بن محمد المُتَوَكّلي، قال: أنبأنا أحمد بن عليّ، قال: أنبأنا أبو سَعيد بن شاذان، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الصفّار، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني إبراهيم بن سعيد، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا سالم العَتَكِيّ، قال:

= صحيح الجامع (١٦٥٠).

(١) الدولج: المخدع، وهو البيت الصغير داخل البيت الكبير.

(٢) مغيَّبة في سبيل الله: أي سافر وغاب عنها زوجها للجهاد في سبيل الله.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٢٠٧) و (٢٤٢٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣/٦٣٩ لابن جرير والطبراني وابن مردويه. وهذا إسناد ضعيف فيه: علي بن زيد، هو: ابن جدعان: ضعيف، ويوسف بن مِهران: ليِّن الحديث.
لكن للحديث شواهد تقوِّيه وترفع درجته إلى الحسن لغيره، فقد ورد عن ابن مسعود في البخاري (٥٢٦) و (٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣). وعن معاذ بن جبل عند الترمذي (٣١١٣) وأحمد (٢١٦٠٧)، وعن أبي اليسر عند الترمذي (٣١١٥). وانظر الدر المنثور ٣/٦٣٨ ـ ٦٤١.

(٤) الناشِري: نسبة إلى ناشِرة، بطن من هَمْدان ومن أسد بن خزيمة. انظر: لب اللباب ٢/٢٨٨.

سمعت بكر بن عبد الله المُزني، قال: إنّ أعمال بني آدم تُرفع، فإذا رُفعت صحيفةٌ فيها استغفار رُفعت بيضاء، وإذا رُفعت صحيفة ليس فيها استغفار رفعت سوداء.

٦٣٥ ـ قال القُرشي: وحدثني محمد بن الحُسين قال: حدثنا خالد بن يزيد، عن حازم بن أبي حُسين، عن مالك بن دينار قال: البُكاء على الخطيئة يحطّ الخطايا كما تحطّ الرِّيح الورق اليابس.

٦٣٦ ـ قال محمد بن الحُسين: وحدّثني يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا عمارة بن زاذان الصّيدلاني، قال سمعت يزيد الرّقّاشي، يقول: بَلغني أنّه من بكَى على ذنب من ذنوبه نسي حافظاه ذلك الذنب.

٦٣٧ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا علي بن عبد الله الصّوفي، قال: حدثنا أحمد بن هارن، قال: حدثني طاهر بن إسماعيل، قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الذي حجَب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدَّمْعَة، وحبّ الخَلْوَة، والمحاسبة للنفس عند كل هَمَّة.

٦٣٨ ـ سمعت ظفر بن علي الهَمْداني يقول: سمعت أبا الفتح محمد بن أحمد المُعَلِّم يقول: سمعت أبا زُرْعة رَوْح بن علي البُسْتي يقول: سمعت الحسن بن علي التّميمي يقول: سمعت عليّ بن محمد بن العلاء يقول: سمعت يحيى بن معاذ الرّازي يقول: المَغْبُون مَن عَطّل أيامه بالبطالات(١)، وسَلّط جوارحه على الهلكات، ومات قبل إفاقته مِن الجِنايات.

٦٣٩ ـ أخبرنا ابن ظفر، قال: أنبأنا ابن السرّاج، قال: أنبأنا الأَزْجِي، قال: حدثنا ابن جهضم، قال: حدثنا المُفيد، قال: حدثنا عبد الله بن سَهْل، عن مُضر بن جَرِير، قال: دخلت على أبي الحَجّاج الجُرْجَاني يوماً فكلّمته فلم يكلمني، فقلت له: أنت في حرج إنْ كان عندك علم إلاّ ما علمتني. فقال لي: عصيتَ الله عزّ وجلّ بمعصية؟ قلت: نعم. قال: كُتبت عليك ورُفعت إلى الله عزّ وجلّ؟ قلت: نعم. قال: علمتَ أنه غفرها؟ قلت: لا. قال: فما قُعودك وسكوتك؟ اذهب فابكِ على نفسِك أيّام الحياة، حتى تعلم ما حالك عنده في هذه المعصية. قال: ثم بكى مُضر على هذه ثلاثين سنة خوفاً حتى مات.

٦٤٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر الشِّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن، قال: سمعتُ منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عليّ الرُّوْذباري يقول: مِنَ الاغْتِرار أنْ تُسيء فيُحسن إليك، فتترك الإنابة والتوبة تَوَهّماً أنّك تُسامَح في الهَفَوات.

* * *

---

(١) أي الأمور الباطلة التي لا خير فيها ولا فائدة.

البَابُ الوَاحِد والثَّلاثُون

فِي الافْتِخَارِ بالعَفَافِ

٦٤١ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد المُتَوَكّلي، وعبد الرحمن بن محمد القزّاز، قالا: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن المُسْلِمة[(١)]، قال: أنبأنا إسماعيل بن سَعيد بن سُويد، قال: حدثنا أبو علي الكَوْكَبِي[(٢)]، قال: حدثني أبو إسحاق البصري، قال: حدثني عليّ بن الصباح، قال: أنبأنا هشام بن محمد، عن عَوَانة بن الحكم، قال: كان عبد المُطّلب لا يُسافر سَفَراً إلاّ ومعه ابنه الحارث، وكان أكبر ولده، وكان شبيهاً به جمالاً وحسناً، فأتى اليَمَن وكان يُجالس عظيماً من عظمائها. فقال له: لو أمرتَ ابنَك هذا يُجالسني ويُنادِمُني.

فعشِقت امرأتُه الحارثَ، فراسلَتْه فأبَى عليها، فألَحّت عليه، فبعث إليها:

لا تَطْمَعِي فيما لَدَيَّ فإنّني ... كَرَمٌ منادَمتي، عفيفٌ مِئْزَرِي
أسعَى لأدرِكَ مَجْدَ قومٍ شَادَه ... عَمرٌو قطينُ البيتِ عند المَشْعَرِ
فَاْقْنَيْ حياءَكِ واعلمي أنّي امرؤ ... آبَى لنفسِيَ أن يُعيَّر مَعْشَرِي
أنّي أُزَنُّ بجارتي أو كَنَّتي ... أو أنْ يُقال: صَبَا بعِرْسِ الحِمْيَرِي[(٣)]

وأخبر بذلك أباه، فلمّا يئست منه سقته سُمَّ شهر[(٤)]، فارتحل عبد المطلب، حتى إذا كان بمكة مات الحارث.

٦٤٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان ـ إجازة ـ: وحدثنا محمد بن حُرَيْث عنه،

---

(١) هو الشيخ الإمام الثقة الجليل الصالح، مسند الوقتِ، ولد سنة (٣٧٥) هـ، وكان صحيح الأصول، كثير السماع، جميل الطريقة، توفي سنة (٤٦٥) هـ. انظر: السير ١٨/٢١٣ ـ ٢١٥، وتاريخ بغداد ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧، وشذرات الذهب ٣/٣٢٣.

(٢) أبو علي الحُسين بن القاسم بن جعفر الكاتب الكوكبي، نسبة إلى كوكب، صاحب أخبار وحكايات. انظر: الأنساب ٥/١١٠، واللباب ٣/١١٩، ولب اللباب ٢/١٧.

(٣) أُزَنّ: أي أُتّهم بالزنى. صَبا: عشق. عِرس: أي زوجة.

(٤) أي: سمّ يقتل شاربَه بعد شهر.

قال: حدثنا محمد بن أبي السّري، قال: حدثنا هشام بن محمد، عن أبيه، قال: كان عبد المطلب بن هاشم إذا أتى اليَمن نزل على بعض ملوكها، وإنّه أتى مَرّة فنَزل على بعض ملوكها كما كان يفعل، فأرسل إليه ذلك المَلِك لِيُنادِمه ويتحدّث معه، وكان عبد المطلب لا يشرب الشّراب، فأرسل إليه ذلك الملِك أنِ ابعث إلينا بالحارث يتحدّث معنا، فأرسَلَه عبدُ المطلب، فلما جاء رأته امرأةُ الملِك فعَشِقَتْه وراسلته تُريده نفسها، فأبَى أن يفعل ذلك وكَرُم، فسقَتْه شربة فيها سم شهر.

قال الكَلْبي: ويكون عند الملوك السمّ: لسنة، ولشهر، وليوم، ولساعة.

فسَقط لذلك الحارث، فانصرَف به عبد المطلب إلى مكة، فلمّا كان قَبْل دخوله مكة مات الحارث، فدخل به مكة فدفنه، ورثاه عبد المطلب في قصيدة:

والحـارث الفيّـاضُ ولّـى مـاجـداً أيـامَ نـازعــه الْهُمــامُ الكَـاسَــا

٦٤٣ ـ وقد رُوِّينا عن أبي سفيان بن الحارث ـ وهو الذي سُقْتُ حكايته ـ أنّه لمّا حضَرَته الوفاة قال لأهله: لا تبكوا عليَّ فإنّي لم أتَنَطَّف بخطيئة منذ أسلمت.

٦٤٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا محفوظ بن أحمد:

وأخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج:

قالا: أنبأنا محمد بن الحُسين الجازِري[١]، قال: حدثنا المعافَى بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن حفص العطّار، قال: حدثنا إبراهيم بن أبي راشد بن سليمان الأَدَمِي، قال: حدثنا عبد الله بن عثمان الثقفي، قال: حدثنا المِفْضَل بن فَضالة، عن محمد بن سِيرين، عن عبيدة السَّلماني[٢]، قال: كان في الجاهلية أخوان مِن حيٍّ يُدْعَون بني كُنَّة، أحدهما متزوج، والآخر أعزب، فقُضِيَ أنّ المتزوّج خرَج في بعض ما يخرج الناس فيه، وبقي الآخر مع امرأة أخيه. فخرجَتْ ذات يوم حاسرة، فإذا أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس شعراً، فلمّا علمَتْ أنْ قد رآها وَلْوَلَتْ وصاحت، وقالت بمعصمها[٣] فغطت وجهها، فزاده ذلك فتنة، فحمل الشَّوْقُ على بدَنِه حتى لم يَبْقَ إلاّ رأسُه وعيناه يدوران في رأسه.

وقدِم الأخ فقال: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فاعتل[٤] عليه، فقال: الشُّوْصَة. ـ قال:

---

(١) الجازِري: نسبة إلى جازِرة، قرية بالنّهروان من أعمال العراق. انظر: اللباب ١/٢٥١، ولب اللباب ١/١٩٠.

(٢) السَّلماني: بفتح فسكون، وقيل: بفتحتين، نسبة إلى سَلمان حَيّ من مراد، ومن المشهورين بهذه النسبة عبيدة بن عمرو السلماني. انظر: الأنساب ٣/٢٧٦ ـ ٢٧٧، ولب اللباب ٢/٢٣.

(٣) المِعْصَم: موضع السوار من الساعد. والمراد أنها رفعت يدها، وغطت وجهها.

(٤) اعتل عليه: أي أعطاه سبباً لاعتلاله، فقال إنه مريض بالشوصة.

الشُّوصة تُسَمِّيها العرب: اللَّوى وذات الجَنْب ـ فقال له ابن عمّ له: لا تَكْذِبْنَه، ابعث إلى الحارث بن كِلْدة، فإنّه مِنْ أطبّ العرَب. فَجِيءَ به فلمس عُروقَه فإذا ساكنها ساكن وضاربها ضارب، فقال: ما بأخيك إلاّ العِشْق، فقال: سبحان الله، تقول هذا لرجل ميت! قال: هو ذاك، هلِ عندكم شيء من شراب؟ فجيء به ودعا بمُسْعُطٍ[1] فصُبّ فيه، وحلَّ صُرّة من صِراره فذرَّ فيه ثم سقاه، ثم سقاه الثانية، ثم سقاه الثالثة، فانتشَى يُغَنِّي سَكِراً، فقال:

أَلِمَّـــا بـــي علـــى الأبيـــا ... تِ مـــن خيـــفِ أَزُرْهُنَّـــهْ
غـــزالاً مـــا رأيـــت اليـــو ... مَ فـــي دور بَنـــي كُنَّـــه
غـــزال أحـــوَرَ العَيْـــنِ ... وفـــي منطقِـــه غُنَّـــه

فقال الرجل: دور قومنا، فليت شعري مَنْ؟!

فقال الحارث: ليس فيه مُسْتَمع غير هذا اليوم. ولكن أغدو عليكم من الغد.

ففعل كفعله بالأمس فانتشى يغني سكراً ـ وكانت امرأة أخيه اسمها ريَّا ـ فقال:

أيّهـــا الحـــيّ اسلَمـــوا ... كـــي تُحيُّـــوا وتسلَمُـــوا
خـــرَجـــت مُـــزنـــةٌ مـــن الـ ... ـبحـــر ريّـــا تُحَمْحِـــمُ[2]
هـــي مـــا كَنَّتـــي وتـــز ... عـــم أنّـــي لهـــا حَمُـــو

فقال الرجل لمن حضَر: فأشهدكم أنّها طالق ثلاثاً ليرجع إلى أخي فؤاده، فإنّ المرأةَ توجَدُ والأخَ لا يوجد. فجاء الناس يسعَوْن: هنيئاً لك أبا فلان فإنّ فُلاناً قد نزل لك عن فلانة، فقال لمن حضر: أشهدكم أنّها عليّ مثل أمي إن تزوجتها.

قال عبيدة: ما أدري أي الرجلين أكرم؟ الأول أم الآخر!

٦٤٥ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا محمد بن هِبة الله الطَّبري، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين بن الفضل، قال: أنبأنا عبد الله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيه، قال: أنبأنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثنا نُوح بن الهيثم العَسْقَلاني قال: حدثنا الوليد بن عبد الله بن نافع بن دُريد، عن أبيه، قال: قدِم عُروة بن الزّبير على الوليد بن عبد الملك، فخَرَجَتْ برِجْله قَرْحَةُ الآكلة، فاجتمع رأيُ الأطبّاء على نَشْرها، وأنّه إن لم يفعل قتلَتْه، فأرسل إلى الوليد يسأله أنْ يبعثَ إليه بالأطباء، فأرسلني بهم إليه. فقالوا: نسقيك مُرَقِّداً قال: ولِمَ؟ فقالوا: لئلا تُحِسَّ بما يُصنَع بك، قال: بل شأنكم بها.

قال: فنشروا ساقه بالمنشار، قال: فما زال عضو من عضو حتى فرغوا منها، ثم

---

(١) المُسْعُط: الإناء الذي يُجعَل فيه السَّعُوط، والسَّعوط: الدواء يُصَبّ بالأنف.

(٢) مزنة: سحابة، والحَمْحَمَة: ترداد الصوت.

حَسَمُوها، فلمّا نظَر إليها في أيدِيهم تناولها، وقال: الحمدُ لله، أمَا والذي حمَلني عليكِ إنّه لَيَعْلَم أنّي ما مشيتُ بكِ إلى حرام قط.

وفي رواية أخرى أنه قال: إنّ مما يُطَيِّب نفسي عنكِ أنّي لم أنقلك إلى معصية الله قط.

٦٤٦ ـ أخبرنا عبد الوهاب، ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الحَسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازني، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا أبو بكر العَامِري، قال: حدثنا عليّ بن محمد ـ وهو المدائني ـ، قال: حدثني أبو عبد الرحمن العَجْلاني[1]، عن ابن سهل بن سعد السّاعدي، قال: كنتُ بالشام فقال لي قائل: هل لك في جميل، فإنّه لَمَا به[2]، قال: فدخلتُ عليه وهو يَجُود بنفسه، ما تخيل لي أنّ الموت يُكْرِبُه، فقال لي: يا ابن سعد، ما تقول في رَجل لم يَسْفِك دماً حراماً قط، ولم يَشرب خَمْراً قطّ، ولم يزْنِ قط، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله منذ خمسين سنة؟ قلت: من هذا؟ ما أحسبه إلاّ ناجياً قال الله تعالى: ﴿إنْ تجتنبوا كبائرَ ما تُنهَوْنَ عنه نُكفِّرْ عنكُم سيِّئاتِكم ونُدْخِلْكُم مُدْخلاً كريماً﴾ [النساء/ ٣١]؛ تعني نفسك؟ قال: نعم. قلت: وكيف وأنت تُشَبِّبُ بِبُثَيْنَة مُذْ عشرين سنة؟ فقال: هذا آخر وقت من أوقات الدنيا، وأول وقت من أوقات الآخرة، فلا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن كنتُ وضعت يدي عليها لرِيبةٍ[3] قط، وإنْ كان أكثر ما نلتُ منها إلاّ أنّي كنت آخذ يدَها فأضعَها على قلبي فأستريح إليها. ثم أُغْمِي عليه، وأفاق فأنشد يقول:

صَـرَخ النّعِـيُّ ومـا كَنَـى بجميـل ... وثَـوَى بمصـر ثِـوَاءَ غيـرِ قَفُـولِ
ولقـد أَجُـرُّ الـذيـلَ فـي وادي القُـرى ... نشـوانَ بيـن مُـزارعٍ ونخيـلِ
قُـومـي بثُيْنَـة فـانـدُبِـي بعَـويـل ... وابكِـي خليلَـك قبـلَ كـلِّ خليـلِ

ثم أُغمي عليه فمات.

ابن سهل اسمه عياش.

٦٤٧ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن جعفر الخَرائطي، قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد بن معاوية البَاهِلي، عن أبيه، عن الأصْمَعي، عن أبي سفيان بن العلاء، قال بَصُرَتْ الثُّرَيّا بعُمَر بن أبي ربيعة وهو يَطُوف حول

---

(١) العَجْلاني: نسبة إلى بني العَجْلان من الأنصار. انظر: الأنساب ١٦٣/٤، ولب اللباب ١٠٩/٢.
(٢) لَمَا بالشيء: أخذه بأجمعه، والمراد: أحاط به الموت.
(٣) الرِّيبة: الحاجة، والتهمة.

البيتِ، فتنكّرت وفي كَفّها خَلُوق[1] فزَحَمَتْه، فأثّر الخَلُوقُ في ثوبه فجعل الناس يقولون: يا أبا الخطاب ما هذا زيّ المُحْرِم. فأنشأ يقول:

أَدْخَــلَ اللّــهُ ربُّ مــوســى وعيســى جنَّــةَ الخلـد مــن مـلاَنـي خَلُــوقـا[2]
مَسَحَــــتْ كفَّهـــا بجيـــبِ قميصـــي حيـن طُفْنـا بـالبيـتِ[3] مَسْحاً رَفِيقـاً[4]

فقال له عبد الله بن عُمر: مثل هذا القول تقول في هذا الموضع؟! فقال له: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتَ منّي ما سمعت، فورَبِّ هذه البَنِيَّة[5]، ما حلَلْتُ إزاري على حرامٍ قط.

٦٤٨ ـ وقد روَى محمد بن الضحّاك أنّ عُمر بن أبي ربيعة لما مَرِض مَرَضَ الموت أَسِف عليه أخوه الحارث، فقال له عُمر: يا أخي إنْ كان أسفك لِما سمعت من قولي: قلتُ لها، وقالت لي، فكلُّ مملوك له حرّ إن كان كشف فرجاً حراماً قط.

فقال الحارث: الحمدُ لله طيَّبْتَ نفسي.

٦٤٩ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: أنبأنا أبو بكر الخَرائطي، قال: حدثني إسماعيل بن أبي هاشم، قال: حدثنا عبد الله بن أبي اللَّيْث، قال: قال عبد الملك بن مروان لليلى الأَخْيَلِيّة: بالله هل كان بينك وبين توبة سوء قط؟ قالت: والذي ذهَب بنفسِه وهو قادر على ذهابِ نفسي، ما كان بيني وبينه سوء قط، إلاّ أنه قدِم منْ سفرٍ فصافحْتُه فغَمَزَني في يدي، فظننت أنه يَخْنَع لبعض الأمر. قال فما معنى:

وذي حــاجــةٍ قلنــا لــه: لا تَبُــحْ بهــا فليــس إليهــا مــا حَيِيــتُ سبيــلُ
لنــا صــاحــب لا ينبغــي أن نخــونَــه وأنــت لأخــرى مــا علمــت خليــلُ

فقالت: لا! والذي ذهب بنفسه، ما كلّمني بسوء قط، حتى فرّق بيني وبينه الموت.

٦٥٠ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: أنبأنا أبو بكر الخَرائطي، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، قال: حدثني يوسف بن الحكم الرَّقّي، قال: حدثنا

---

(١) الخَلُوق: نوعٌ من أنواع الطيب.
(٢) مَلاني: مَلأني، ويقصد نفحني وعطّرني.
(٣) البيت: يقصد الكعبة الحرام.
(٤) انظر هذه الأبيات في ديوانه ص ٢٤٥.
(٥) البنية: الكعبة المشرفة.

مروان بن محمد، قال: دخلَتْ عزّة على أمّ البَنِين ـ أخت عُمر بن عبد العزيز ـ، فقالت لها: يا عَزّة ما قول كُثيِّر:

قضَى كلُّ ذِي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه   وعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها[1]

ما كان هذا الدَّين؟ قالت: كنتُ وعدته قُبلة، ثم إنّي تَحَرَّجْتُ منها.

٦٥١ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن علي التَّوَّزِي[2]، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني يوسف بن الحكم، قال: حدثني مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان، قال: دخَلَت عزّة على أمّ البَنِين، فقالت لها ما يقول كُثَيّر:

قضَى كلُّ ذي دَيْنٍ عَلِمْتُ غريمَه   وعَزَّة ممطولٌ مُعَنًّى غَرِيمُها

ما كان هذا الدَّين يا عزة؟

فاستحيَتْ، فقالت: عليَّ ذلك. قالت: كنتُ وعدته قُبْلَةً فتَحَرَّجْتُ منها. فقالت أمّ البَنِين: أَنْجِزِيها له وعليّ إثمها.

قال محمد بن الحُسين: قال لي يوسف بن الحكَم: حدّثني رجل مِنْ بَنِي أميّة ـ يُكْنَى أبا سَعيد ـ قال: بلغني أنّ أمّ البَنِين أعتقَتْ لكَلِمَتِها هذه أربعين رقبة، وكانت إذا ذَكَرَتْها بكَتْ وقالت: يا ليتني خَرِسْت ولم أتكلم بها!

٦٥٢ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عمر البَرْمَكي، قال: أنبأنا أبو الحُسين الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أحمد بن زُهير، قال: حدثني هارون بن مسلم، قال: حدثني أبو هلال الأَسْدي، قال: حدثني عُمارة بن ثور، قال: سمعت ذا الرُّمّة لما حضَرته الوفاة يقول: لقد مكثتُ مُتَيَّماً بِمَيّ عشرين سنة، في غير رِيبة ولا فساد.

قال ابن المَرْزُبان: وحدثني أحمد بن صالح، قال: أخبرني شُعيب بن صخر، قال: كان في تميم خَصْلَتان، قد غلبوا الناس عليهما: الحِلْم والعَفاف.

٦٥٣ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر قال: أنبأنا أبو الحسن الزَّيْنَبِيّ قال: حدّثنا محمد بن خلَف قال: حدثنا عبد الله بن عَمْرو،

---

(١) انظر دِيوان كُثَيِّر عزّة ص ٢٠٧، والغريم: الدائن، وممطول: من المَطل أي التسويف والتأجيل، ومُعنًّى: يتكبّد التعب والمشقّة.

(٢) التَّوَّزي: بفتح أوله، وفتح الواو المشدّدة، ويُقال: التَّوَّجي ـ بالجيم ـ نسبة إلى تَوَّز، موضع عند بحر الهند مما يلي فارس. انظر: الأنساب ١/ ٤٩، واللباب ١/ ٢٢٧، ولب اللباب ١/ ١٧٩.

وأحمد بن حَرْب، قالا: حدثنا زُبَير بن أبي بكر[1] قال: حدثنا محمد بن المُؤَمَّل بن طالوت قال: حدثنا أبي، عن الضحاك بن عثمان الحزَامي[2]، قال: خرجتُ في آخر الحجّ، فنزلتُ بخيمةٍ بالأَبْواء على امرأةٍ، فأعجَبَني ما رأيتُ من حُسْنها وأطربني، فتمثّلتُ قولَ نُصَيْب[3]:

بـزينـبَ أَلْمِمْ قبـلَ أن يَـرْحَـلَ الـرَّكْـبُ ... وقُـلْ: إنْ تَمَلِّينـا فمـا مَلَّـكِ القلـبُ
خليلَـيَّ مـن كعـبِ أَلِمّـا هُـدِيتمـا ... بـزينـبَ لا تَفْقِـدْكُمـا أبـداً كعـبُ
وقُـولا لهـا مـا فـي البُعـاد لـذي الهـوَى ... بُعـادٌ ومـا فيـه لصَـدْع النَّـوى شَعْـبُ[4]
فمَـن شـاء رامَ الصَّـرْمَ أو قـال ظـالمـاً ... لصـاحبـه ذنْـبٌ وليـس لـه ذنـبُ[5]

فلما سمعتني أتمثَّل الأبيات، قالت لي: يا فتى أتعرف قائل هذا الشعر؟ قلت: نعم، ذاك نُصَيْب. قالت: نعم هو ذاك، أفتعرف زينب؟ قلت: لا، قالت: أنا والله زينب. قلت: فحيّاك الله، قالت: أما إنّ اليوم موعده من عند أمير المؤمنين، خرج إليه عامَ أول، ووعدني هذا اليوم، ولعلّك لا تبرح حتى تراه.

قال: فما برحت من مجلسي حتى إذا أنا براكب يَزُول مع السّراب، فقالت: ترى حيث ذاك الرّاكب؟ إنّي أحسبه إياه.

قال: وأقبلَ الرّاكب يَؤُمُّنا حتى أناخ قريباً منَ الخيمة، فإذا هو نُصَيْب، ثم ثنَى رِجْله عن راحلته فنزَل، ثم أقبل فسلَّم عليَّ وجلس منها ناحيةً وسلّم عليها وساءَلها وساءَلَتْه، فأخفيَا، ثم إنّها سألته أن يُنشدها ما أحْدَث منَ الشِّعر بعدها، فجعل ينشدها.

فقلت في نفسي: عاشقان أطالا التنائي، لا بدّ أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمتُ إلى راحلتي أشدّ عليها، فقال لي: على رِسْلك، أنا معك. فجلستُ حتى نهض ونهضتُ معه، فتسايرنا ساعة ثم التَفَتَ فقال: قلتَ في نفسك مُحِبّان التقيا بعد طول تناءٍ، لا بدّ من أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة؟ قلت: نعم قد كان ذلك. قال: فلا وربِّ هذه البَنِيَّة التي نَعْمِد، ما جلستُ منها مجلساً قط أقرب مِنْ مجلسي الذي رأيتَ، ولا كان بيننا مكروه قط.

٦٥٤ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم

---

(١) في مصارع العشاق ٢/ ٢٧٠: «حدثنا بنان هو ابن أبي بكر».
(٢) في الأصل: الخزامي. والتصحيح من مصارع العشاق ٢/ ٢٧٠.
(٣) هو نُصَيب بن رباح، أبو محجن الأسود الشاعر، مولى عُمر بن عبد العزيز، مدح عبد الملِك بن مروان، وشعره في الذِّروة، تَنَسّك، وأَقْبَل على شأنه، وترك التغزّل. انظر: السير ٥/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.
(٤) البُعاد: صِفَة كالبعيد. وقوله: لصدع النوى شعب. أي: لشقّ البعد اجتماع والتئام.
(٥) الصَّرْم: القَطْع.

أحمد بن عبد الله، قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجُرْجَاني، قال: حدثنا زكريا السّاجي، قال: حدثنا عباس الباكُسَّائي[1]، قال: حدثنا محمد بن يوسف الفِرْيابي، عن سفيان الثوري، عن هشام، عن محمد بن سيرين، قال: كانوا يعشقون من غير رِيبة.

٦٥٥ ـ وروي عن الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي، أنّه كان عاشقاً لعائشة بنت طلحة، وله فيها أشعار يطول ذكرها، أفرد لها ابن المَرْزُبان كتاباً، فلمّا قُتل عنها مصعب بن الزبير قِيل للحارث: ما يمنعك الآن منها؟ فقال: والله لا يتحدّث رِجالاتُ قريش أنّ تَشْبِيبي كان لرِيبة أو لشيء من الباطل.

٦٥٦ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد قال: أنبأنا يوسف بن محمد المِهْرَواني[2] قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن حسنون قال: أنبأنا جعفر الخَوّاص قال: أنبأنا أحمد بن محمد ـ وهو ابن مسروق ـ قال: حدثني سليمان بن عَمرو الباهلي قال: حدثنا العُتْبِي، عن أبيه قال: حدثنا عبد الله بن عُلَاثة قال: دخلت على رجل من الأعراب خيمتَه، وهو يَئِنّ، فقلت: ما شأنه؟ فقالوا: عاشقٌ. فقلتُ له: مِمَّنِ الرّجل؟ قال: من قوم إذا عشِقوا ماتوا عِفّة، قال: فجعلت أَعْذُلُه وأزهّده فيما هو فيه، فتنفّس الصعداء، ثم أنشأ يقول:

لَيس لي مُسْعِدٌ فأشكو إليه ... إنما يُسعِدُ الحزينَ الحزينُ
لا ولا مُسعد سوَى عَبَراتي ... ومَمَرِّي بحيث كان يكونُ

٦٥٧ ـ وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد، قال: أنبأنا يوسف بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن حسنون:

وأخبرتنا شُهْدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا محمد بن الحسين الجازِري، قال: أنبأنا المُعافى بن زكريا:

قالا: أنبأنا جعفر بن محمد الخوّاص، قال: حدثنا أبو العباس بن مسروق، قال: حدثنا عبد الله بن شَبيب، قال: حدثنا محمد بن عبد الصمد البَكْرِي، قال: حدثنا ابن عُيَينة، قال: قال سعيد بن عُقبة لأعرابي: ممن أنت؟ قال: من قومٍ إذا عشِقوا ماتوا، قال: عُذْرِيٌّ وربِّ الكعبة. فقلت: وممّ ذاك؟ قال: في نسائنا صباحة وفي رجالنا عفة.

٦٥٨ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخَرائطي، قال: حدثنا العباس بن الفضل، عن محمد بن عبد الله العُتْبِي، عن سفيان بن زياد، قال: قلت لامرأة من بني عُذْرة ـ ورأيتُ بها هوى غالباً حتى خِفْتُ عليها الموت ـ: ما بال العِشق يقتلُكم معاشر

---

(١) البَاكُسَّائي: نسبة إلى باكُسّايا، وهي من نواحي بغداد. انظر: الأنساب ١/ ٢٦٧، واللباب ١/ ١١٢.
(٢) المِهْرَواني: نسبة إلى مِهْرَوان ناحية بهَمذان. انظر: اللباب ٣/ ٢٧٤، ولب اللباب ٢/ ٢٨٢.

عُذْرة مِن بين أحياء العرب؟ قالت: إنّ فينا جَمالاً وتعفّفاً، فالجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يُورثنا رِقّة القلوب، والعِشق يفني آجالنا، وإنّا نرى مَحَاجِر[(١)] لا ترونها.

٦٥٩ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن أيوب، قال: حدثنا محمد بن عِمران، قال: حدثنا ابن دُريد، قال: حدثنا أبو عثمان سَعيد بن هارون، قال أخبرني التَّوَّزي، قال: سمعت أبا عُبيدة يقول: قال رجل من بني فِزَارة لرجل من بني عُذْرة: تَعُدّون موتكم من الحبّ مَزِيّة، وإنّما ذلك من ضَعْفِ البِنْية، ووَهن العُقْدة[(٢)] وضِيق الرَّوِيَّة[(٣)]! فقال العُذْري: أمّا إنّكم لو رأيتم المحاجِر البُلْج[(٤)] تَرْشُق الأعينَ الدُّلْجَ[(٥)]، من فوقها الحواجب الزُّجُّ[(٦)]، والشّفاه السمر تفترّ[(٧)] عن الثنايا الغُرِّ، كأنها سَرْدُ الدُّرّ، لجعلتموها اللاّت والعزى ورفعتم الإسلام وراء ظهوركم!

٦٦٠ ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الخلاّل، قال: أنبأنا علي بن عمران بن محمد النَّخَعي، حدثهم، قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزّهري، قال: حدثنا نسر بن الوليد الكِندي، قال: سمعت أبا يوسف يقول ـ في مرضه الذي مات فيه ـ: اللهمّ إنّك تعلم أني لم أطأ فَرْجاً حَراماً قط، وأنا أعلم، اللهم إنك تعلم أني لم آكل درهماً حراماً قط وأنا أعلم.

٦٦١ ـ وأخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن يعقوب، قال: أنبأنا محمد بن نُعيم الضَّبِّي، قال: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفَقيه، يقول: سمعت أبا العباس بن سُريج يقول: سمعت إسماعيل بن إسحاق القاضي يقول: دخلتُ على المُعتضد وعلى رأسه أحداثٌ رومٌ صِباحُ الوجوه، فنظرتُ إليهم، فرآني المعتضد وأنا أتأملهم، فلما أردتُ القيام أشار إليَّ فمكثتُ ساعة، فلمّا خلا، قال لي: أيّها القاضي، واللهِ ما حَلَلْتُ سراويلي على حرامٍ قط.

٦٦٢ ـ وأخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار قال: أنبأنا علي بن محمد بن قُشَيش قال: أنبأنا أبو عُمر بن حيّويه قال: حدثنا الصُّولي قال: حدثنا أحمد

---

(١) المحاجر: العيون.
(٢) أي ضَعف العقلِ، وقِلّة التفكير في الأمور وعواقبها.
(٣) الروِيّة: هو التفكّر في الأمر بهدوء.
(٤) أي: العيون المضيئة المشرقة.
(٥) الدُّلج: أي السوداء.
(٦) الزُّج: الرمح، وقد شبه الحواجب بذلك لشدّة تأثيرها على ناظرها، كتأثير الرمح بالجسد.
(٧) أي: تنشقّ.

الطّالْقاني[1] قال: حدثني فضل البريدي[2]، قال: جلس محمد بن نصر بن منصور بن بسام، وعلى رأسه عشرة خدم لم يُرَ قطّ أحسن منهم، ما منهم مَن ثمنه ألف دينار إلاّ أكثر، فجعل الناس ينظرون إليهم، فقال محمد: هم أحرار لوجه الله إن كان الله كتب عليّ ذنباً مع واحد منهم قط، فمن عرَف خلاف هذا منهم فليمضِ فإنه قد عتق وهو في حِلٍّ مما يأخذ من مالي.

٦٦٣ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا عليّ بن محمد المُعَدِّل قال: أنبأنا الحسين بن صفوان قال: حدثنا أبو بكر القرشي قال: حدثنا محمد بن المثنّى قال: سمعت إبراهيم بن شَأس قال: سمعت إبراهيم بن أبي بكر بن عيّاش يقول: شهدت أبي عند الموتِ فبكيتُ، فقال: يا بُنَيّ ما يُبكيك، فما أتَى أبوك فاحشة قط!

٦٦٤ ـ أخبرنا عبد الرحمن، قال: أنبأنا أحمد بن علي، قال: قرأت على الحسن بن أبي بكر، عن أحمد بن كامل القاضي، قال: سمعت محمد بن عثمان يقول: حدثني أبي، قال: سمعت عُمر بن حفص بن غياث يقول: لما حضَرَتْ أبي الوفاة أُغْمِي عليه، فبكيتُ عند رأسه، فأفاق فقال: ما يُبكِيك؟ قلت: أبكي لفراقك ولِمَا دخلت فيه من هذا الأمر، يعني القضاء، فقال: لا تَبْكِ فإنّي ما حَلَلْتُ سراويلي على حرام قط.

٦٦٥ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا علي بن محمد بن عبد الله المُعدِّل، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدّقاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن البراء، قال: حدثنا سفيان المِصِّيصِي، قال: شهدت الهيثم بن حميد وهو يموت، قد سُجّي نحو القبلة، قال: فقامت جاريته تغمِز رِجْله، فقال: اغمزيها فإنه يعلم أنّهما ما مَشَتا إلى حرام قط.

٦٦٦ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: أنبأنا أبو بكر الخَرائطي، قال: سمعت أحمد بن إسحاق الورّاق يقول: سمعت مُسلم بن إبراهيم يقول: أتَتْ عليَّ نيف وسبعون سنة ما حلَلْتُ سراويلي على حلال ولا حرام.

٦٦٧ ـ قال الخرائطي: وحدثنا عُمر بن شَبَّة قال: حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى،

---

(١) الطَالْقاني: بسكون اللام، نسبة إلى طالْقان، بلد بخُراسان، وبقزوين أيضاً. وأحمد الطالقاني منسوب إلى طالقان قزوين، وهو أبو الخير: أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالْقاني القزويني. انظر: الأنساب ٤/ ٢٩ ـ ٣١، واللباب ٢/ ٢٦٩، ولب اللباب ٢/ ٨٤.

(٢) البريدي: إما بفتح الباء، وكسر الراء نسبة إلى البريد وهو الساعي، أو بضم الباء وفتح الراء، نسبة إلى بُريدة بن الحُصَيب الصحابي. انظر: الأنساب ١/ ٣٣٤، واللباب ١/ ١٤٤، ولب اللباب ١/ ١٢٢.

قال: سمعت بعض المدَنِيّين يقول: كان الرجل يُحبّ الفتاة فيطيف[1] بدارها حَوْلاً يفرح إن رأى من رآها، فإن ظفر منها بمجلس تشاكَيَا وتناشَدا الأشعار..

واليومَ يشير إليها وتشير إليه، فيَعِدُها وتعدِه، فإذا التقيا لم يشْكُ حُبّاً ولم ينشد شعراً، وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة!

٦٦٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِيّ ـ إجازةً ـ، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني عيسى بن جعفر الكاتب، قال: حدثني محمد بن سعيد، قال: حدثني إسحاق بن جعفر الفارسي، قال: سمعت عُمر بن عبد الرحمن يحكي عن بعض العمرِيِّين، قال: بينا أنا يوماً في منزلي إذ دخل عليّ خادم لي، فقال لي: بالباب رجل معه كتاب. فقلت له: أَدْخِلْهُ أو خُذ كِتابه، فأخذتُ الكتاب منه فإذا فيه:

تَجَنَّبَـكَ الْبـلاَ ولقيـتَ خيـراً ... وسلَّمـك المليـكُ مـن الغمـوم
شكَـوْنَ بَنـاتُ أحشـائـي إليكـم ... هـواهـا حيـن أَلْفَتْنـي كَتُـوم
وسـألَتْنـي الكتـابَ إليـك فيمـا ... يُخـامِـرهـا فـدَتْـك مِـنَ الهمـوم
وهُـنَّ يَقُلْـن يـا أَبْـنَ الجُـودِ إنّـا ... بَـرِمْنـا مـن مـراعـاة النجـوم[2]
وعنـدك لـو منَنْـتَ شِفـاءُ سُقْـمٍ ... لأعضـاءٍ دَمِيـنَ مـن الكُلُـوم[3]

فلما قرأتُ الأبيات قلتُ: عاشق. فقلتُ للخادِم: أدخلْه. فخرج فلم يره. فقلت: أخطأتُ فما الحِيلة؟ فارتَبْتُ في أمره، وجعلَ الفكر يتردّد في قلبي، فدعوتُ جوارِيَّ كلهنّ مَن يخرج منهنّ، ومَن لا يخرج، فجمعتهنّ، ثم قلتُ: أَخْبِرْنَني الآن قصة صاحب ذا الكتاب فجعَلْن يحلِفْن، ويقلنَ: يا سيدنا ما نعرف لهذا الكتاب سَبباً، وإنّه لَباطل، مَن جاء بهذا الكتاب؟ فقلت: قد فاتني، وما أردت بهذا القول لأنّي ضننتُ عليه بمن يهوى منكنّ، فمن عَرَفَتْ منكنّ أمر هذا الرجل فهي له، فلتذهب إليه متى شاءت وتأخذ كتابي إليه.

قال: وكتبتُ إليه كتاباً أشكره على فِعله وأسأله عن حاله، ووضعتُ الكتاب في موضع منَ الدّار، فقلت: من عرَف شيئاً فليأخذه.

فمكث الكتاب في موضعه حِيناً لا تأخذه واحدة منهنّ ولا أرَى للرجل أثراً، فاغتمَمْتُ غَماً شديداً، ثم قلتُ: لعله بعض فتياننا، ثم قلت: إنّ هذا الفتى قد أخبر عن نفسِه بالوَرع

---

(١) يَطِيف ويَطُوف: يدور حوله.
(٢) بَرِمنا: تعِبْنا.
(٣) دَمِين: أي سال دمُها. الكُلُوم: الجروح.

وقد قَنع ممن يُحبّه بالنظر، فدَبَّرت عليه، فحجَبْتُ جميعَ جوارِيَّ عن الخروج. فما كان إلاّ يوم وبعض آخر إذ دخل الخادم ومعه كتاب، فقلت له: ما هذا؟ قال: أرسَل به إليك فلان ـ وذكر بعض أصدقائي ـ ففضَضْتُه فإذا فيه:

مـــاذا أرَدْتَ إلـــى رُوْح مُعلَّقـــةٍ عند التّراقي وحادِي الموتِ يَحْدُوها[1]
حَثَثـتَ حـادِيَهـا ظُلمـاً فَجَـدَّ بهـا في السَّيْر حتى تولَّـتْ عـن تَـراقيهـا
حجبْـتَ مَـن كـان تحيـا عنـد رؤيتهـا رُوحـي ومَـن كـان يشفينـا تَـرائِيهـا
فـالنفسُ تـرتـاح نحـو الظُّلْـم جـاهلـةً والقلـبُ مِنّـي سليـمٌ مـا يـواتيهـا
واللهِ لـو قِيـل لـي تـأتـي بفـاحشـةٍ وأنّ عقبـاك دنيـانـا ومـا فيهـا
لقلـتُ: لا، والـذي أخشـى عُقـوبتـه ولا بـأضعـافِـه مـا كنـتُ آتيهـا
لـولا الحيـاءُ لبُحْنـا بـالـذي كتَمـت بنـتُ الفـؤاد وأبـدَيْنَـا تَمنِّيهـا

قال: فأسكتّ، وقلت: لا أدري ما أحتال في أمر هذا الرجل. وقلت للخادم: لا يأتيك أحد بكتاب إلاّ قبضتَ عليه حتى تدخله عليّ. ثم لم أعرف له خبراً بعد ذلك.

فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا أنا بفتًى قد أقبل نَحْوي وجعلَ يطوف إلى جَنْبي ويُلاحظني، وقد صار مثل العُود، فلمّا قضيتُ طَوافي خرجتُ، واتَّبَعَنِي، فقال لي: يا هذا أتعرفني؟ قلت: ما أنكرك لسوء. قال: أنا صاحب الكتابَيْن. قال: فما تمالكتُ أنْ قَبّلتُ رأسه وبين عينَيه، وقلتُ: بأبي أنت وأمي، والله لقد شَغَلْتَ عليَّ قلبي وأطَلْت غمّي بشدة كِتمانك لأمرِك، فهل لك فيما سألت وطلبت؟ قال: بارك الله لك وأقرّ عينَيْك، إنّما أتيتك مُسْتَحِلاً مِنْ نظرٍ كنتُ أنظره على غير حُكْم الكتاب والسنة، والهوَى داعٍ إلى كلّ بلاء، وأستغفر الله. فقلت: يا حبيبي أُحِبّ أن تصيرَ معي إلى منزلي فآنَسُ بك وتجري الحرمة بيني وبينك، قال: ليس إلى ذلك سبيل، فاعذُرْ وأجِبْ إلى ما سألتك. فقلتُ: يا حبيبي غفرَ اللهُ لك ذنبك، وقد وهبْتُها لك ومعها مائة دينار تعيش بها. ولك في كلّ سنة كذا وكذا. قال: باركَ الله لك فيها، لولا عُهودٌ عاهدتُ اللهُ بها، وأشياءُ وَكَّدْتُها على نفسي، لم يكن في الدنيا شيءٌ هو أحبَّ إلي من هذا الذي تَعْرِضُه عليّ، ولكن ليس إليه سبيل، والدنيا فانية منقطعة. فقلت له: فأمّا إذ أبيت أنْ تصير إلى ما دعوناك إليه، فأخبرني مَن هي مِن جواريَّ، حتى أُكرِمَها لك ما بقيت. فقال: ما كنت لأسمّيها لأحد أبداً. ثم سلّم عَلَيّ ومضى، فما رأيته بعد ذلك.

٦٦٩ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت.

---

(١) التراقي: جمع تَرْقُوة، وهي العظمة التي في أعلى الصدر بين ثُغرة النحر والعاتق. وبلَغت روحه التراقي: شارف الموت. وحادِي الموت: داعيه.

وأخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قالا[1]: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا إسماعيل بن أحمد بن معاوية الباهلي، عن أبيه، قال: قال الأصمعي: قلتُ لأعرابي: حَدِّثني عن ليلتِك معَ فلانة، قال: نعم، خلوتُ بها والقمرُ يُرِينِيْها، فلمّا غاب أَرَتْنِيه. قلت: فما كان بينكما؟ قال: الإشارةُ لغير ما باس، والدّنوُّ بغير إمساس، ولعَمْري لئن كانت الأيام طالت بعدها لقد كانت قصيرة معها، وحسبك بالحبّ!

٦٧٠ ـ وبالإسناد قال: حدثنا الخرائطي، قال: حدثني عليّ بن إسماعيل، قال: قِيل لبعض الأعراب، وقد طال عِشْقه بجارية: ما أنت صانع لو ظفِرْتَ، ولا يَراكما غير الله عزّ وجلّ؟ قال: إذن والله لا أجعلُه أهونَ النّاظرين، لكنّي أفعل بها ما أفعله بحضْرة أهلها: حديثٌ طويل، ولحظٌ مِنْ بعيد، وتركُ ما يَكْرَه الربُّ ويقطع الحبَّ.

٦٧١ ـ أخبرنا أبو بكر بن حبيب الصّوفي قال: أنبأنا أبو سعد بن أبي صادق الحِيرِي قال: أنبأنا أبو عبد الله بن باكَوَيه الشِّيرازي قال: حدثنا محمد بن أحمد العِجْلي قال: حدثنا نصر بن منصور الأرْدُبِيلي[2] قال: حدثني محمد بن محمود قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: نزل السَّرِي بن دينار في دارٍ بمصر، كانت فيه امرأةٌ جميلة تَفْتِن الناس بجمالها، فعَلِمَتِ المرأةُ فقالت: لأفْتِنَنَّهُ. فلما دخلتْ من باب الدَّرْب كشَفَتْ وأظهرَتْ نفسَها. فقال السّري: ما لكِ؟ قالت: هل لك في فراشٍ وَطِيّ وعَيْش رخيّ؟! فأقبل عليها وهو يقول:

وكـم ذي معـاصٍ نـال منهـنّ لـذَّةً ... ومـات فخـلاَّهـا وذاق الـدَّوَاهِيَـا
تَصَـرَّمُ لـذّاتُ المعـاصـي وتَنقضـي ... وتبقَـى تِبـاعـات المعـاصي كما هِيَا
فيـا سـوأتـا واللـهُ راءٍ وسـامِـعٌ ... لعبـدٍ بعيـنِ اللـه يغشَـى المعـاصيـا

٦٧٢ ـ أخبرنا عبد الوهاب، ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجَوهري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المَرْوَزِي، قال: حدثنا عُمر بن بُكير، قال: قال أعرابي: علقْتُ امرأةً، فكنت آتيها فأحدّثها سنين، ما جرت بيننا رِيبة قط، إلاّ أنّي رأيتُ بياضَ كفِّها في ليلة ظلماء، فوضعتُ يدي على يدها، فقالت: مه لا تُفْسِد ما صَلُح، فإنّه ما نكح حبّ قط إلاّ فسَد. قال: فقمت وقد ارفضَضْتُ عَرَقاً مِن الاستحياء منها، ولم أعد إلى شيء من ذلك.

٦٧٣ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الحسن بن عليّ، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف ـ إذْناً ـ، قال: حدّثني

---

(١) في المطبوعة: قال، والمثبت هو الصواب، والمراد: أحمد بن علي بن ثابت وابن العلاّف.
(٢) الأرْدُبِيلي: نسبة إلى أرْدُبِيل، من بلاد أذربيجان. انظر: الأنساب ٢/١٠٧، واللباب ١/٤١.

إسحاق بن محمد، قال: حدثنا أبو عبد الله القُرشي، قال: حدثني أبو محمد الجُمَحِي، قال: حدثني رجل من قريش، قال: خَرَجْنا نُريد مكة، حتى إذا كنّا بالفَرْش من مَلَلٍ[1]، رأيتُ امرأةً لم أرَ أحسن منها وَجْهاً ولا أحلَى لفظاً، قال: فحادَثْتُها أنا وصاحبٌ لي ساعة، وعرّض لها صاحبي بالقول، وأنشدها أشعارَه، فقالت:

يَـرى اللـهُ أنْ لسنـا لكـم بصحـابـة | فروحوا بخيرٍ واسلَمُوا أيّها الركبُ

٦٧٤ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: حدثنا أبو إسحاق البَرْمكي قال: أنبأنا أبو الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي ـ إجازة ـ قال: حدثنا محمد بن خلَف قال: حدثني جعفر بن القاسم قال: أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمّه، قال: عَشِق رجل من النسّاك جاريةً منَ البصرة، فبعث يخطبُها فأبَتْ، وقالت: إنْ أردتَ غير ذلك فعَلْتُ. فأرسل إليها: سبحان الله أيّتها المرأة! أدعوكِ إلى الأمر الصّحيح والحَلال الذي لا عَيب فيه ولا وِزْر، وتَدْعِينَني إلى ما لا يصلح لي ولا لك! قال: فأرسلَت إليه: قد أخبرتُك بالذي عِندي فإنْ أردتَ فتقدَّم وإن كرهت فتأخر. فأنشأ الفتَى يقول:

أُسَـائلهـا الحـلالَ وتـدعُ قَلْبـي | إلـى مـا تشتهيـه مِـنَ الحَـرام
كـداعـي آل فِـرعـون إليـه | وهـم يـدعـونـه نحـو الغَـرام[2]
فظـلَّ مُنَعَّمـاً فـي الخُلْـدِ يسعَـى | وظلّـوا فـي الجحيـم وفـي السَّقـام

فلما عَلِمَتْ أنّه قد امتنع عليها من الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يدَيْك على الذي تُحِبّ. فكتبَ إليها: هيهات، لا حاجة لي فيمن دعاني إلى المعصية وأنا أدعوه إلى الطاعة وقال:

لا خيـرَ فيمـن لا يُـراقـب ربَّـه | عنـدَ الهـوَى ويَخـافُـه أحيـانـا
إنّ الـذي يبغِـي الهـوَى ويُـريـده | كمُـؤاجِـرٍ شيطـانَـه شيطـانـا
حجبَ التُّقى بابَ الهوى فأخو التُّقَى | عـفُّ الخليقـة زائـدٌ إيمـانـا

٦٧٥ ـ قال ابن خلف: وأخبرني أبو بكر العَامِري، عن غَيث بن عبد الكريم، قال: عشِقَتْ عاتكةُ المِزِّيّة ابنَ عم لها، فأرادَها على نفسها فامتنعَت وأبَتْ عليه، وقالت:

فمـا طعـمُ مـاءٍ أيُّ مـا تقـولـه | تحـدَّرَ مـن غُـرٍّ طـوالِ الـذَّوَائِـبِ
بمُنْعَـرَجٍ أو بَطْـنِ وادٍ تَحَـدَّبَـتْ | عليه رياح الصّيف من كل جانبِ

---

(١) الفَرْش: وادٍ بين غميس الحُمام ومَلَل. وهو منزل نزله رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر. ومَلَل: وادٍ ينحدر من ورقان جبل مُزَينة حتى يصبّ في الفرش. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٨٤.

(٢) الغرام: الهلاك، والعذاب.

تـرقـرق مـاءُ الـمُـزْن فيهـنّ والتقَـتْ	عليهـنّ أنفـاسُ الـرِّيـاح العَـرَائِـب
نَفَتْ جَرْيةُ الماء القذَى عن متُونه	فمـا إنْ بـه عيـبٌ تـراه لشـارب
بـأطيب ممـا يقصـر الـوَصْـف دونـه	تُقَـى اللـهِ واستحيـاءُ تلـك العـواقـبِ

٦٧٦ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر، قال: أنشدني أبو يوسف الزّهري، قال: أنشدني الزُّبير بن بَكّار، قال: أنشدني أبي لِجَدِّي:

قـال عثمـان: زُرْ حُبـابـةَ بـالعَـرْ	صَـة تُحْـدِث تحيـةً وسـلامـا[1]
ثـم تلهـو إلـى الصّبـاح ولا تقـ	ـرب في اللهـو والحديث حرَامـا
وصفـوهـا فلـم أزل عَلِـم اللـ	ـهُ مُسْتَـوْلِهـاً مُسْتَهَـامـا[2]
هـل عليهـا فـي نظـرةٍ مِـنْ جُنـاح	مِـنْ فتًـى لا يـزور إلاّ لِمـامـا
حـالَ فيهـا الإسـلام دون هـواه	فهـو يَهْـوَى ويـرقُـب الإسـلامـا
ويَميـل الهـوَى بـه ثـم يخشَـى	أنْ يُطيـع الهـوَى فيلقَـى أثـامـا

٦٧٧ ـ قال ابن جعفر: وأنشدنا ابن المَرْزُبان، قال: أنشدنا عبد الله بن شَبيب:

وبـالعَـرْصـة البيضـاء إن زُرْتَ أهلَهـا	مَهًـى مُهْمَـلاتٌ مـا عليهـنّ سـائِسُ
بَـرَزْن لِحُـبِّ اللهـو فـي غَيـر رِيبـةٍ	عفـائـفُ بـاغـي الغـيِّ منهـن آيِـسُ

٦٧٨ ـ قال: وأنشدني عليّ بن الحسن الإسكافي:

مـا إنْ دعـانـي الهـوَى لفـاحشـةٍ	إلاّ نَهـانـي الحيـاءُ والكَـرمُ
فـلا إلـى فـاحـشٍ مَـدَدْتُ يـدي	ولا مَشَـتْ لـي بـرِيبـة قـدمُ

٦٧٩ ـ قال: وأنشدني الحسنَ بن عَمْرو الرَّقِّي للعبّاس بن الأَحْنَف:

أمَـا والـذي نـادى مِـنَ الطّـور عَبْدَه	وأنـزلَ فُـرقـانـاً وأوحَـى إلـى النَّحْـلِ
لقـد وَلَـدَتْ حَـوّاءُ منـك بَلِيَّـة	علـيَّ أُقـاسيهـا وخَبْـلا مـن الخبْـلِ
وإنّـي وإيـاكـم وإن شفَّنِـي الهـوَى	لأهـلُ عفـافٍ لا يُـدنَّـس بـالجهـلِ

٦٨٠ ـ قال: وأنشدني عِمران بن موسى المُؤَدِّب للنُّمَيْري:

يغطِّيـنَ أطـرافَ البَنـانِ مِـنَ التُّقـى	ويَخْـرُجْـنَ بـالأسحـار معتجِـرَاتِ[3]

---

(١) العَرْصة: كلّ بقعة بَين الدّور واسعة ليس فيها بناء.
(٢) مستولهاً: أي مضطرب العقل. مستهاماً: أي هائم القلب.
(٣) معتجرات: جمع مُعْتَجِرة، والمِعْجَر: ما تشدّه المرأة على رأسِها.

تضوَّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ أنْ مشت ... بـه زينـب فـي نِسْـوَةٍ عَطِـراتِ[1]
فلمّـا رأَتْ رَكْبَ النُّمَيْـريّ أعـرَضَـتْ ... وكُـنَّ مِـن أن يَلْقِيْنَـه حَـذِراتِ

٦٨١ ـ أنبأنا عبد الوهاب، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن الحسن الضَّرَّاب، قال: حدثنا أحمد بن مروان، قال: أنشدنا ابن قُتيبة لإبراهيم بن هَرْمَة[2]:

قـد يُـدْرِكُ الشـرفَ الفتـى ورِداؤه ... خَلِـقٌ وجيـبُ قميصِـه مَـرْقُـوعُ
إمَّـا تـرانـي شـاحِبـاً مُتَبَـذِّلاً ... كـالسيـف يَخْلـق جفنـه فيَضيـعُ
فَلَـرُبَّ لـذةِ ليلـةٍ قـد نِلْتُهـا ... وحـرَامُهـا بحـلالهـا مـدفـوعُ

٦٨٢ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله بن إبراهيم الْخَبْري، قالت: أنبأنا أبو منصور علي بن الحسن بن الفضل الكاتب، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن محمد بن خالد الكاتب، قال: وأنبأنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس الجوهري، قال: أنبأنا أحمد بن سعيد الدمشقي:

وأنبأنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أحمد بن عمر النَّهْرَوَاني، قال: أنبأنا المُعافَى بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن مزيد:

قالا: حدثنا الزّبير بن بَكّار، قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز، قال: قال لي أبو السائب المخزومي، يا ابن أخي أَنْشِدْني للأحوص، فأنشدتُه قوله:

قـالـت، وقلـت: تحرَّجِـي، وصلِـي ... حَبْـلَ امـرىء بـوصـالكـم صَـبِّ[3]
صـاحِـبْ إذن بعلـي، فقلـت لهـا: ... الغـدرُ شـيء ليـس مـن شَعْبِـي
ثنتـان لا أدنـو لِـوَصْلهمـا ... عِـرْسُ الخليـل، وجـارَةُ الْجُنْـبِ
أمَّـا الخليـلُ فلسـتُ فـاجِعَـه ... والجـارُ أَوْصـانـي بـه ربِّـي
عُـوجـا[4] كـذا نـذكـر لغـانيـة ... بعـضَ الحـديـثِ مَطِيّـةَ صَحْبِـي
ونَقُـلْ لهـا فيـمَ الصـدودُ ولَـمْ ... نُـذْنِـب بـل أنـتِ بـدأتِ بـالـذَّنْـبِ
إنْ تُقبلـي نقبـل ونُنْـزِلُكُـم ... منّـا بـدار السَّهْـل والـرَّحْـب

---

(١) تَضَوَّع مسكاً: أي انتشرت رائحته.
(٢) هو إبراهيم بن هَرْمة، أبو إسحاق الفِهْري المدني، شاعر زمانه، أحد البلغاء، من شعراء الدولتين ـ يعني: الأموية والعباسية ـ، وكان منقطعاً إلى العلوية. قال الدارقطني: هو مُقَدَّم في شعراء المحدَثين. انظر: لسان الميزان ٢٠٧/٦، تاريخ بغداد ١٢٧/٦، والبداية والنهاية ١٦٩/١٠.
(٣) الصبّ: العاشق ذو الوَلَع الشديد.
(٤) عاج إلى المكان أو عليه: مال وعَطَف.

أو تُـــدْبـــرِي تكْـــدُرْ معيشتُنــــا   وتُصَــدِّعــي متــلائــمَ الشَّعْــبِ[1]

فأقبل عليّ فقال: هذا يا ابن أخي والله المُحِبّ عَيْناً، لا الذي يقول:

وكنــت إذا حَبيــبٌ رَام صَــرْمــي   وجــدتُ لــديَّ منفسِحــاً عــريضـا

اذهبْ، فلا صَحبك الله ولا أوسع عليك!

٦٨٣ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: أنشدنا أبو بكر محمد بن جعفر لأبي عبد الله نَفْطَوَيه:

وخبَّـرهـا الـواشُـون أنَّ خَيـالهـا   إذا نِمْتُ يَغْشَى مَضْجَعِي وِوِسادِي
فخفّـرها[2] فَـرْطُ الحياءِ فـأرسلَـتْ   تُعَيِّـرنـي غَضْبَـى بطـول رُقَـادِي

٦٨٤ ـ ومما أنشدوا في المبالغة في وَصْف العَفيف:

يَقَظـاتُــه ومنــامــه شَـرَع[3]   كــلٌّ بكــلٍّ فهــو مشتبــهُ
إنْ هَــمَّ فــي حُلْـمٍ بفــاحشــة   زجَــرَتْــه عِفَّتُــه فينتَبِــهُ

٦٨٥ ـ وروى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب: أنّ عُلَيَّة بنت المهدِي[4]، كانت تقول: لا غَفَرَ اللهُ فاحشةً ارتكَبْتُها قط، وما أقول في شعري إلاّ عَبَثاً[5].

* * *

(١) الشَّعب: من كلمات الأضداد، تقول: شَعَب الشيء: جَمَعَه، وفرّقه، وأيضاً: أصلحه وأفسده. والمراد هنا: متلائماً مجموعاً.
(٢) تخفرت الجارية: استحيت أشدّ الحياء، وخفّرها كذا: أمّنَها وحَماها.
(٣) شَرَع: بفتح الراء وسكونها، أي المِثْل.
(٤) هي عُلَيَّة بنت المهدي الهاشمية العباسيّة، أخت الرشيد، كانت شاعرةً أديبة، عارفة بالغناء، رخيمة الصوت، ذات عِفّة وتقوى ومناقب. وكانت من مِلاح زمانها وأظرف بناتِ الخلفاء. توفّيت سنة (٢١٠) هـ. انظر: السِّيَر ١٠/ ١٨٧ ـ ١٨٨، النجوم الزاهرة ٢/ ١٩١، شذرات الذهب ٣/ ١١١.
(٥) ذكره الإمام الذهبي في السير ١٠/ ١٨٧، وعزاه محقّقه للأغاني ١٠/ ١٦٣.

البابُ الثّانِي والثّلاثُون

في فَضْلِ مَنْ ذَكَر ربّهُ فترَكَ ذَنْبَهُ

ذكر ثواب من فعل ذلك في الآخرة:

قال الله عز وجل: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [سورة الرحمن/ ٤٦].

٦٨٦ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الحسن بن علي الجَوْهري قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازِني قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال: حدثنا محمد بن يونس قال: حدثنا موسى بن زياد الْمَخْدُوجيّ[(١)] قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربِّه جَنّتان﴾ قال: هو الذي إذا همَّ بمعصية ذكَر مقامَ الله عليه فيها فانتهى[(٢)].

٦٨٧ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، وعبد القادر بن محمد قالا: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي قال: أنبأنا أبو بكر بن بُخَيْت قال: أنبأنا أبو جعفر بن ذُرَيْح قال: حدثنا هَنَّاد قال: حدثنا أبو الأَحْوص، عن منصور، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربه جَنّتان﴾ قال: هو الرجل يذكر الله عند المعاصي فينحجز عنها[(٣)].

٦٨٨ ـ وحدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربّه جَنّتان﴾ قال: مَن خاف الله عند مقامه على المعصية في الدنيا[(٤)].

٦٨٩ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر الخَيّاط قال: أنبأنا أبو الفَتْح بن أبي الفَوَارِس قال: أنبأنا أحمد بن جعفر الْخُتّلي قال: حدثنا أحمد بن

---

(١) المَخْدُوجِي: نسبة إلى مَخْدُوج بطن من قُضاعة. انظر: الأنساب ٥/ ٢٢٢، ولب اللباب ٢/ ٢٤٤.

(٢) عزاه السيوطي في الدرّ المنثور ٦/ ٢٠٢ لسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن أبي الدنيا في التوبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) انظر الهامش السابق.

(٤) عزاه السيوطي في الدر ٦/ ٢٠٢ لابن جرير.

محمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المَروزي قال: قُرِىءَ على أبي عبد الله محمد بن جعفر، وأبي قَطَن[1]، قالا: حدّثنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم: ﴿ولِمَنْ خافَ مقام ربّه جنتان﴾ قال: إذا أراد أن يُذنِب أمسَك عن الذّنب مخافة الله عزّ وجلّ[2].

٦٩٠ ـ وقُرِىء على أبي عبد الله وأنا أسمع قال: حدثنا عفان، وأسود بن عامر قالا: أنبأنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه في قوله: ﴿ولِمَنْ خاف مقامَ ربّه جنّتان﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين[3].

٦٩١ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا محمد بن خلَف، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثني محمد بن سابق، قال: حدثنا زائدة، عن منصور، عن مجاهد في قوله: ﴿ولِمَنْ خافَ مقام ربِّه جَنّتان﴾ قال: هو الذي إذا هَمَّ بالمعصية ذكر الله عزّ وجلّ فتركها.

٦٩٢ ـ قال ابن خلف: وحدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أنبأنا شعبة، عن منصور، عن إبراهيم ومجاهد: ﴿ولِمَنْ خافَ مقامَ ربّه جَنّتان﴾ قال: هو الرجل يُريد أن يُذنب الذنب فيذكر مقامَ ربه فيدَع الذنب[4].

٦٩٣ ـ وبه قال: أنبأنا هِبة الله بن محمد بن الحُصين قال: أنبأنا الحسن بن علي التَّمِيمي قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن مالك قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي:

وأخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا الدّاودي، قال: أنبأنا ابن أَعْين، قال: حدثنا الفَرَبْري، قال: حدثنا البخاري، قال: حدثنا مسدَّد:

وأخبرنا أبو بكر الزّاغوني، قال: أنبأنا أبو الفتح الشاشي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المروزي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الفَرَاوي:

قالا[5]: أنبأنا عبد الغافر، قال: أنبأنا ابن عَمْرَوَيْه، قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد بن

---

(١) أبو قَطَن ـ بفتحتين ـ هو عمرو بن الهيثم، ثقة مات على رأس المائتين. انظر التهذيب ٨/ ١١٤، والتقريب (٥١٣٠). وفي المطبوعة: أبو قطن ـ بالرفع ـ.

(٢) عزاه السيوطي في الدر ٦/ ٢٠٢ لابن جرير.

(٣) عزاه السيوطي في الدر ٦/ ٢٠٣ لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث.

(٤) عزاه السيوطي ٦/ ٢٠٢ لابن جرير عن إبراهيم. ولعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد.

(٥) أي: الشاشي والفَرَاوي.

سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى:
قالوا[1]: حدثنا يحيى القطّان، عن عُبيد الله:

وأخبرنا الكَرُوخي قال: أنبأنا أبو عامر الأَزْدي، وأبو بكر الغُورَجي قالا: حدثنا الْجَرَّاحي قال: حدثنا المَحْبُوبي قال: حدثنا التِّرمذي قال: حدثنا الأنصاري قال: حدثنا مَعْن:

وأخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا أبو عاصم الفُضَيلي، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شُرَيح، قال: أنبأنا أبو القاسم الْمَنِيعي، قال: حدثنا مصعب بن عبد الله الزُّبيري:
قالا[2]: حدثنا مالك:

كلاهما[3] عن خُبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «سبعة يظلّهم الله -عزّ وجلّ- في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظِله: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ، ورجلٌ قلبه معلّق بالمساجد، ورَجُلان تحابّا في الله عزّ وجلّ، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله عَزّ وجلّ خالياً ففاضت عيناه، ورجل دَعَتْه امرأة ذاتَ منصبٍ وجمالٍ إلى نفسها فقال: إني أخافُ الله عزّ وجلّ»[4]. أخرجاه في الصحيحين.

٦٩٤ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال: أنبأنا الحُسين بن محمد بن جعفر قال: أنبأنا عبد الله بن إبراهيم قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثني أبو محمد التّميمي قال: حدثنا داود بن المُحبَّر قال: حدثنا مَيْسرة بن عبد ربه، عن أبي عائشة السَّعْدي، عن يَزيد بن عُمر بن عبد العزيز، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، وابن عباس، قالا: خطب رسول الله ﷺ قبل وفاته، فقال في بعض خُطْبته: «ومَن قَدَر على امرأة أو جارية حَرَاماً فتركها مخافةً منه، أَمَّنه اللَّهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأكبر، وحرَّمه على النّار، وأدخله الجنة»[5].

٦٩٥ ـ أخبرنا عبد الخالق بن يوسف قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفَاتح قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الدّقاق قال: أنبأنا الحُسين بن

---

(١) أي: الإمام أحمد ومسدّد ومحمد بن المثنى.
(٢) أي: مَعن ومصعب الزبيري.
(٣) أي: عبيد الله والإمام مالك.
(٤) رواه البخاري (٦٦٠) و(١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١)، والترمذي (٢٣٩١)، والنسائي (٥٣٨٠)، ومالك في الموطأ (١٧٧٧)، وأحْمد في المسند (٩٣٧٣).
(٥) حديث موضوع. فيه: داود بن المحبّر، وميسرة بن عبد ربه، وكلاهما ممن رُمي بوضع الحديث، وقد تقدمت ترجمة ضافية لهما أول الكتاب.

صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي قال: حدثني محمد بن إدريس قال: حُدِّثْتُ عن رِياح العَبْسِي قال: سمعتُ مالك بن دينار يقول: جنّات النعيم بين جنات الفردوس وبين جنات عَدْن، فيها جَوَارٍ خُلِقْنَ مِنْ وَرْد الجنّة. قيل: ومن يسكنُها؟ قال: الذين همُّوا بالمعاصي، فلَمّا ذكرُوا عظمتي راقبُوني، والذين انْثَنَتْ أصلابُهم من خَشْيَتي. وعِزّتي إنّي لأهمّ بعذاب أهل الأرض فإذا نظرتُ إلى أهل الجُوع والعَطَشِ مِنْ مخافتي صرفتُ عنهم العذاب.

٦٩٦ - أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي، قال: أنبأنا ابن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا حُسين بن محمد، قال: حدثنا أبو المَلِيح، عن ميمون، قال: الذِّكر ذِكران: فذكرُ الله عزّ وجلّ باللسان حسَن، وأفضل منه أنْ يُذكر اللّهُ عندما يُشرف عليه من معاصيه.

٦٩٧ - أخبرنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أنبأنا علي بن أيوب، قال: أنبأنا أبو بكر البَرْقاني، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، قال: أخبرني إسحاق بن إبراهيم، قال: حدثنا هشام بن عمّار، قال: حدثنا عبد الحَميد، قال: حدثنا الأوْزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، قال: لا يُحْمد أو يَحْسُن ورعُ امرىء حتى يُشْفِي[1] على طمعٍ ويَقدر عليه، فيتركه حين يتركه لله عزّ وجلّ.

٦٩٨ - وقد روَى سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أنّ نبي الله ﷺ كان يقول: «لا يقدر رجلٌ على حرامٍ ثم يَدَعُه، ليس به إلاّ مخافة الله عزّ وجلّ إلاّ أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك»[2].

٦٩٩ - أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد الحدّاد، قال: أنبأنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا محمد بن شِبْل، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة، قال: حدثنا ابن عُيينة، عن عَمرو بن دينار، عن عُبيد بن عُمير، قال: مِنْ صِدق الإيمان وبِرِّه أن يَخْلُوَ الرجلُ بالمرأةِ الحسناء فيَدَعَها، لا يدَعُها إلاّ للّهِ عزّ وجلّ.

فصل: قد كان يغلب الخوف عند القدرة على الذنب تارة على الرجال، فيكون الامتناع منهم، وتارة على النساء فيكون الامتناع منهن.

وهذا سياق أخبار الرِّجال الذين امتنعوا من الذّنوب مع القُدْرَة عليها.

٧٠٠ - أخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن محمد الدّاوُدي، قال: أنبأنا

---

(١) أشفى على شيء: أشرف عليه وكاد أن يناله.
(٢) حديث مرسل.

عُبيد الله بن أحمد بن حَمّويه السَّرَخْسِي، قال: حدثنا يوسف بن محمد بن مطر، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البُخاري، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر:

وأخبرنا أبو بكر الزّاغوني، قال: أنبأنا أبو الفتح الشّاشي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المَرْوزي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الفَرَاوي:

قالا[1]: أنبأنا عبد الغافر، قال: أنبأنا ابن عَمْرَوَيْه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مُسلم بن الحجاج، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الْمُسَيَّبي:

قالا[2]: حدثنا أبو ضَمْرة أنس بن عِياض، قال: حدثنا مُوسى بن عقبة:

قال البخاري: وحدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة:

قالا[3]: حدثنا نافع، عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺقال: «بينما ثلاثة نفر يتماشَوْن أخذهم المطر، فمالوا إلى غَارٍ في الجبل، فانْحَطَّت على فَمِ غارِهم صخرةٌ من الجبلِ فأطْبَقَت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحةً فادْعوا الله بها، لعله يُفَرِّجها.

فقال أحدهم: اللهم إنّه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صِبْيَةٌ صِغار كُنت أرعَى عليهم، فإذا رُحْتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالِدَيّ أَسْقِيهما قبل وَلَدِي، وإنّه نَأَى بي الشجرُ[4]، فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فوجدتهما قد ناما، فحلَبْت كما كنت أَحْلِب، فجِئْتُ بالحِلاب فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأً بالصِّبْيَة قبلَهما، والصِّبْية يَتَضَاغَوْن[5] عند قدَمَيّ، فلم يزل ذلك دَأْبي ودَأْبَهم حتى طلَع الفجر. فإن كنتَ تعلم أنّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرُجْ[6] لنا فُرْجَةً نرَى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى رأوا منها السماء.

وقال الثاني: اللهم إنّه كانت لي ابنةُ عمّ أُحِبّها كأشد ما يُحِبّ الرجالُ النساءَ، فطلبتُ إليها نفْسَها، فأبَتْ حتى آتيها بمائة دينار، فسعيتُ حتى جمعتُ مائة دينار فلقيتها بها، فلما

---

(١) أي: الشاشي والفراوي.

(٢) أي: إبراهيم بن المنذر، ومحمد بن إسحاق المُسَيَّبي.

(٣) أي: موسى بن عقبة، وإسماعيل بن إبراهيم بن عقبة.

(٤) أي: بَعُد بي طلب المرعَى، أي: أنه استطرد مع غنمه في الرّعي إلى أن بَعُد عن مكانه زيادة على العادة، ولذلك أبطأ. انظر فتح الباري ٥٠٨/٦.

(٥) يتضاغون: أي يصيحون ويَبْكون.

(٦) قال في الفتح ٥٠٨/٦: «فافرُج: بوَصْلٍ ـ أي: بهمزة وصل ـ وضمّ الراء، من الثلاثيّ، وضَبَطه بعضهم بهمزة وكسر الراء، من الرباعي ـ أي: فأَفْرِج» اهـ. والفرجة: الفتحة، وافرُج لنا: افتح لنا.

قعَدْتُ بين رِجْلَيْها قالت: يا عبدَ الله اتقِ الله ولا تَفْتَح الخاتم إلاّ بحقِّه[1]. فقمت عنها. اللهمّ فإنْ كنتَ تعلمُ أنّي فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها. ففرج لهم فرجة.

وقال الآخر: إنّي كنت استأجرت أجيراً بفَرْق[2] أَرُزّ، فلما قضَى عمَله قال: أعطني حَقّي، فعرضت عليه حقّه، فتركه ورَغِب عنه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً وراعيها، فجاءني، فقال: اتّق اللّهَ ولا تَظْلمني وأَعْطِني حَقّي، فقلتُ: اذهب إلى تلك البقر وراعِيها، فقال: اتّق الله ولا تَهْزَأْ بي، فقلتُ: إنّي لا أهزأ بك فخُذ تلك البقر وراعيها. فأخذها وانطلق بها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقي. ففَرّج الله عنهم[3].

لفظ حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، وهو ابن أخي موسى بن عقبة. وقد اتّفقنا على إخراجه من حديث إسماعيل، وليس لإسماعيل عن نافع عن ابن عمر في الصحيح غيره.

٧٠١ ـ أخبرنا ابن الحُصين، قال: أنبأنا ابن الْمُذْهب قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أسباط، قال: حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر، قال: لقد سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لو لم أسمعه إلاّ مرة أو مرتين حتى عدَّ سَبْع مِرار، ولكن قد سمعته أكثر

---

(١) في رواية: لا تفضّ الخاتم إلا بحقّه. قال الحافظ ٦/٥٠٩: «ولا تفضّ، أي: لا تكسر، والخاتم: كناية عن عذرتها، وكأنها كانت بكراً، وكنّت عن الفض بالكسر، وعن الفرج بالخاتم... وقولها: بحقّه، أرادت به الحلال، أي لا أُحِل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح».

(٢) الفَرْق والفَرَق: إناء يَسَع ثلاثة آصع.

(٣) قلت: لقد ورد الحديث عن ابن عمر من طرق:
ـ فرواه من طريق موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر نحوه: البخاري (٢٢١٥) و (٢٣٣٣)، ومسلم (٢٧٤٣)، والنسائي في كتاب الرقائق، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ٦/٢٣٦ للحافظ المزّي.
ـ ورواه من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري (٥٩٧٤).
قلت: وسيأتي من كلام المصنف عزوه للحديث من هذا الطريق لمسلم، ولم أجده عنده، فلعل ذلك كان في نسخته من الصحيح، والله أعلم.
ـ ورواه من طريق عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر نحوه: البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).
ـ ورواه من طريق محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر نحوه: البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).
وانظر روايات أخرى لهذا الحديث وفوائده في فتح الباري ٦/٥٠٩ ـ ٥١٠.

من ذلك، قال: «كانَ الكِفْل من بني إسرائيل لا يتورّع مِنْ ذَنْب عَمِلَه. فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أنْ يطأها، فلمّا قعد منها مقعَد الرّجُلِ من امرأته أُرْعِدَتْ وبَكَتْ. فقال: ما يُبكيك؟ أَكْرَهْتُكِ؟ قالت: لا، ولكن هذا عَمَلٌ لم أعمَلْه قط، وإنّما حَمَلني عليه الحاجة، قال: أفتفعلِين هذا ولم تفعليه قط؟! قال: ثم نزل. فقال: اذهبي والدّنانير لكِ. ثم قال: واللَّهِ لا يَعصي اللَّهَ الكفلُ أبدًا. فماتَ من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكِفْل»[١]. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

٧٠٢ ـ أخبرنا عبد الملك بن عبد الله الكَرُوخي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي العَمِيري[٢]، قال: أنبأنا محمد بن أحمد الفَامِيّ، قال: أنبأنا محمد بن أحمد المَرْوَاني، قال: حدثني محمد بن المنذر شَكَّر[٣]، قال: حدثني الفضل بن عبد الجبّار الباهلي، قال: أنبأنا إبراهيم بن الأشعث، قال: أنبأنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعتُ أبا كعب يُحدّث عن الحَسَن، قال: كانت امرأة بَغِيّ لها ثُلُث الحُسْن، لا تُمَكِّن من نفسها إلاّ بمائة دينار، وإنّه أبصرَها عابدٌ فأعجبَتْه، فذهبَ وعَمِل بيدَيْه وعالَج فجمع مائة دينار. فجاء فقال: إنّك قد أعجَبْتِني، فانطلقتُ فعَمِلتُ بيدَيّ وعالجتُ حتى جمعت مائة دينار. فقالت: ادفعْها إلى القَهْرَمان[٤] حتى يَنْتَقِدَها ويَتّزِنَها، ففعل، فقالت: انتقدتَ منه مائة دينار؟ قال: نعم. قالت: ادخل.

وكان لها من الجمال والهيئة ما الله أعلمُ به، وكان لها بيتٌ مُتَّخَذ وسرير من ذهب، فقالت: هَلُمّ لك، فلما جلس منها مجلِس الخائِن[٥]، ذكَر مقامَه بين يدَي الله، فأخذَتْه رِعْدة، وماتت شهوتُه، فقال: اتركيني فلأخرج ولك المائة دينار، قالت: ما بَدا لك؟ وقَدْ رأيتَني ـ كما زعمت ـ فأعجبْتُك، فذهبتَ وعالَجْتَ وكدَدت حتى جمعت مائة دينار، فلَمّا قدِرْت عَلَيّ فعلتَ الذي فعلْتَ؟! قال: فَرَقٌ مِنَ الله، ومقامي بين يدي الله، وقد أُبْغِضْتِ إليّ.

---

(١) حديث ضعيف. رواه الترمذي (٢٤٩٦)، والحاكم في المستدرك ٤/٢٥٤ ـ ٢٥٥، وابن حبان في صحيحه، موارد الظمآن (٢٤٥٣)، وذكره ابن قدامة المقدسي في كتاب التوّابين ص ١٠٨ بتحقيقنا، طبع دار الكتاب العربي. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه» ووافقه الذهبي.
قلت: بل فيه سعد مولى طلحة، ويقال: سعيد، ويقال: طلحة مولى سعد: مجهول. كما قال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/ ٢٩٠. فالإسناد ضعيف.

(٢) العَميري: نسبة إلى عَمِيرَة بطن من ربيعة. انظر: الأنساب ٤/٢٤١، ولب اللباب ٢/ ١٢٢.

(٣) شَكَّر: لقب لمحمد بن المنذر بن سعيد الحافظ. انظر: نزهة الألباب في الألقاب ص ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٨.

(٤) القَهْرَمان: الوكيل، أو أمين الدَّخل.

(٥) في كتاب التوّابين ص ١١٠: مجلس الختان ـ بالتاء ـ، والمعنى: مجلس الزوج والتقاء الختانين.

قالت: لئن كنتَ صادقاً ما لي زوجٌ غيرُك. قال: ذَرِيني لأخرج. قالت: لا، إلاّ أن تجعلَ لي عهداً أن تَزَوَّجني. قال: لا حتّى أخرج. قالت: فلي عليك إنْ أنا أتيتُك أن تَزَوَّجَنِي. قال: أجل.

قال: فتقنَّع بثَوْبه ثم خرج إلى بلده، وارتحلتِ الأُخْرى بدنياها نادمة على ما كان منها، حتى قدِمت بلدَه، فسألت عن اسمِه ومنزِله فدُلّت عليه، فقيل له: الملِكَة جاءت تسأل عنك، فلما رآها شهق شهقة فمات.

قال: فأُسْقِط في يدَيها. فقالت: أمَّا هذا فقد فاتني، فهل له من قريب؟ قيل: أخوه رجل فقير. فقالت: إنّي أتزوجك حُبّاً لحُبِّ أخيك. قال: فتزوجته فولَدَت له سبعة أبناء[1].

٧٠٣ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجَوْهري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرّحيم المازني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنْباري، قال: حدثني محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد[2]، قال: حدثني محمد بن الحُسين، عن موسى بن داود، عن أبي الزِّناد، عن أبيه[3]، قال: كان راهب يتعبّد في صومعته، فأشرف منها فرأى امرأة فَفُتِن بها، فأخْرَج رِجْله من الصَّوْمَعة لينزل إليها، فلما أخرج رِجْلَه نزلت عليه العِصْمَة وأدركته السعادة، فقال: يا نفسُ، رِجل خرجت منَ الصومعة لِتَعْصِي الله تعود إليها وتكون معي في صومعتي؟ والله لا كان هذا أبداً. قال: فتركها معلّقة خارج الصَّومعة تسقط عليها الثلوج والأمطار، وتُصيبها الشمس والرِّياح، حتى تَقَطّعت وتناثرت وسقطَتْ. فشكر اللَّهُ ذلك من فعله، وأنزل في بعض الكتب: «وذو الرِّجل» يمدحُه بذلك[4].

٧٠٤ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن علي السوّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أحمد بن حرْب، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، قال: حدثنا أبو عمران الجُوني قال: كان لَحَّام بني إسرائيل لا يَوْرَعُ عن شيء، فَجُهِدَ[5] أهلُ بيت من بني إسرائيل، فأرسلوا إليه

---

(١) ذكر هذه القصة ابن قدامة في كتاب التوابين ص ١٠٩ ـ ١١٠ ـ بتحقيقنا ـ من طريق ابن الجوزي.
(٢) في كتاب التوابين ص ١١٣: عبد الله بن محمد، بدل: عبد الله بن أحمد.
(٣) في التوابين ص ١١٣: عن موسى بن داود، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسْلم، عن أبيه. وهذا خلاف ما ذكر المصنف: عن أبي الزِّناد، عن أبيه، فإن أبا الزّناد هو عبد الله بن ذكوان، وليس عبد الرحمٰن بن زيد.
(٤) انظر كتاب التوابين لابن قدامة ص ١١٣ ـ ١١٤.
(٥) أي: أصابتهم المشقّة.

جارية منهم تسأله، فقالت: يا لَحّام بني إسرائيل أعطنا، فقال: لا! أو تُمَكِّنِيني من نفسك، فرَجَعَت. فجهدوا جهداً شديداً، فرَجَعت إليه فقالت: يا لَحّام بني إسرائيل أعطِنا، فقال: لا! أو تُمَكِّنِيني من نفسك، فرجعت.

فجهدوا جهداً شديداً، فأرسلوها إليه فقالت: يا لَحّام بني إسرائيل أعطنا. قال: لا! أو تمكِنيني من نفسِك، قالت: دونك. فلما خلا بها جعلت تَنْتَفِض كما تَنْتَفِض السَّعفَةُ إذا خرجت من الماء، فقال لها: ما لك؟ قالت: أخاف الله، هذا شيء لم أصنَعْه قط. قال: فأنت تخافين الله ولم تصنعيه، وأفعله أنا! أعاهد الله أنّي لا أرجِع في شيء مما كنتُ فيه.

قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبي بني إسرائيل: إنّ كتاب لَحّام بني إسرائيل أصبح في كتاب أهل الجنة. فأتاه النبيّ فقال: يا لحّام أما علِمْت أنّ كتابك أصبح في كتابِ أهل الجنة!

٧٠٥ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر البَرْمَكي قال: أنبأنا أبو الحُسين الزينبي قال: حدثني ابن المَرْزُبان قال: حدثني أبو أحمد الخُرَاساني قال: حدثني أحمد بن أبي نصر قال: حدثنا إبراهيم بن خالد قال: حدثني أميّة بن شِبل، عن عبد الله بن وَهْب؛ قال إبراهيم ـ لا أُرَاه إلاّ عن أبيه ـ: أنّ عابداً من عُبَّاد بني إسرائيل كان يتعبد في صومعته، فجاء نفرٌ من الغواة إلى امرأة بغِيّ، فقالوا لها: لعلّك أن تُزيلِيه[1]، فجاءته في ليلة مَطِيرة مظلمة، فنادته فأشرف عليها. فقالت: يا عبد الله آوِني إليك. فتركها وأقبل على صلاته ومصباحه ثاقِب[2]، فقالت: يا عبد الله آوني إليك، أما ترى الظلمة والمطر! فلم تزل به حتى آواها إليه، فاضطجعت قريباً منه. فجعلت تريه محاسن خَلْقها حتى دعته نفسُه إليها، فقال: لا والله حتى أنظر كيف صَبْرُكِ على النار. فتقدّم إلى المِصْباح ـ أو القنديل ـ فوضع إصبعاً من أصابعه فيه، حتى احترقت، ثم عاد إلى صلاته فدعته نفسُه أيضاً، وعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت، فلم تزل نفسُه تدعوه وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعاً، وهي تنظر، فصعقت فماتت.

٧٠٦ ـ قال ابن المَرْزُبان: أخبرني أحمد بن حَرْب، قال: حدثني عُبيد الله بن محمد، قال: حدثني أبو عبد الله البَلْخي: أنّ شاباً كان في بني إسرائيل لم يُرَ شابٌّ قط أحسن منه، وكان يبيع القِفاف[3]، فبينا هو ذات يوم يطوف بقِفافه، خرجت امرأة من دار مَلِك من ملوك بني إسرائيل، فلما رأته رَجَعت مبادرة، فقالت لابنة الملِك: يا فلانة، إنّي رأيت شاباً بالباب يَبيع القِفاف، لم أر شاباً قطّ أحسن منه. قالت: أدخليه. فخرَجت إليه فقالت: يا فتَى ادخل

---

(١) أي: تُبْعِديه عمّا هو عليه.
(٢) ثاقِب: أي مُضِيء.
(٣) القِفاف: جمع قُفَّة، وهي: الزّبيل، وعاء من خوص ونحوه لحمل البضائع وغيرها.

نَشْتَرِ منك، فدخل، فأغلقت الباب دونَه، ثم قالت: ادخل فدخل، فأغلقت باباً آخر دونه، ثم استقبلته بنتُ الملِك كاشفة عن وجهها ونحرها. فقال لها: اشتري عافاك الله. فقالت: إنّا لم ندْعُك لهذا، إنّما دعوناك لكذا، يعني تُرَاوِدُه عن نفسِه. فقال لها: اتقي الله. قالت له: إنّك إنْ لم تُطاوعني على ما أريد أخبرتُ الملِك أنّك إنّما دخلت عليّ تكابرني على نفسي.

قال: فأبَى ووعظها، فأبت. فقال: ضعوا لي وَضوءاً، فقالت: أَعَلَيَّ تعلَّل! يا جاريةُ ضعي له وَضوءاً فوق الجَوْسَق[1]، فكان لا يستطيع أن يفرّ منه، ومن الجوسق إلى الأرض أربعون ذراعاً. فلمّا صار في أعلَى الجَوْسَق قال: اللهمّ إنّي دُعِيت إلى معصيتك، فإنّي أختار أن أَصْبِرَ نفسي[2] فألقيها من هذا الجَوْسق ولا أركب المعصية. ثم قال: بسم الله؛ وألقى نفسه من أعلى الجوسق، فأهبط اللّهُ له ملَكاً فأخذ بضَبْعَيْه[3]، فوقع قائماً على رجليه، فلما صار في الأرض، قال: اللهم إنّك إن شئت رزقتني رِزقاً يُغنيني عن بيع هذه القفاف. قال: فأرسل الله إليه جراداً من ذهب، فأخذ منه حتى ملأ ثوبه، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رِزقاً رزقتنيه في الدنيا فبارك لي فيه، وإن كان يُنقصني مما لي عندك في الآخرة فلا حاجة لي فيه. فنُودي: إنّ هذا الذي أعطيناك جزء من خمسة وعشرين جزءاً، لصبرك على إلقائك نفسك من هذا الجوسق. فقال: اللهم لا حاجة لي فيما يُنقصني مما لي عندك في الآخرة. قال: فَرُفع.

٧٠٧ ـ قال ابن المرزبان: وحدّثني عبد الله بن أبي عبد الله الكُوفي، قال: حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم، قال: حدثنا جعفر بن أبي جعفر الرّازي، عن أبي جعفر السائح، عن الرّبيع بن صبيح، عن الحسن، قال: كان شابٌّ على عهد عُمر بن الخطاب ملازماً المسجد والعبادة، فعشِقَتْه جاريةٌ فأتته في خَلْوة، فكلمته فحَدّث نفسه بذلك، فشَهِق شهقة فغَشِيَ عليه، فجاء عمٌّ له فحمَله إلى بيته، فلمّا أفاق، قال: يا عمّ انطلق إلى عُمر فأقرِئه مِنّي السلام، وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فانطلق عمّه فأخبر عُمر، فأتاه عُمر وقد شَهِق الفتى شهقةً فمات منها، فوقَف عليه عُمر وقال: لك جنتان[4].

وقد بلغتنا هذه الحكاية على وجه آخر.

٧٠٨ ـ فأخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن علي السوّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا أبو

---

(١) الجَوْسق: القصر.
(٢) أَصْبِر نفسي: أي أَحْبِسها على ما فيه موتها وهلاكها.
(٣) الضَّبْع: العَضُد، وهو ما بين المِرْفَق إلى الكتف.
(٤) ذكر هذه القصة البيهقي في شعب الإيمان بأخصر منه، كما في الدر ٦/ ٢٠٣.

الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزّينبي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف، قال: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمَادِي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني يحيى بن أيوب: أنّ فتًى كان يُعْجَبُ به عُمَرُ بن الخطاب، فقال عُمر: إنّ هذا الفتى ليعجبني. وإنه انصرف ليلة من صلاة العشاء، فَمَثَلَتْ له امرأةٌ بين يديه، فعرَضتْ له نفسَها ففُتِن بها، ومضت فاتَّبَعَها حتى وقف على بابها، فلما وقف بالباب أبْصَر وجُلِّي عنه، ومثلت هذه الآية على لسانه: ﴿إنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهم طائِفٌ منَ الشّيطانِ تَذَكّرُوا فإذا هُم مُبْصِرُون﴾ [الأعراف/ ٢٠١] فخَرّ مغشياً عليه، فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت، فلم تزل هي وجارية لها تتعاونان عليه حتى ألقوه على باب داره.

وكان له أب شيخ كبير يقعد لانصرافه كلّ ليلة، فخرج فإذا هو ملقًى على باب الدار لِمَا به، فاحتملَه فأدْخَلَه، فأفاق بعد ذلك، فسأله والده: ما الذي أصابك يا بُنَيّ! قال له: يا أبت لا تَسَلْنِي. فلم يزل به حتى أخبره، وتلا الآية فشهق شهقة خرجت نفسُه فدفن. فبلغ ذلك عُمر بن الخطاب، فقال: أَلاَ آذنتموني بموته، فذهب حتى وقَف على قبره فنادى: يا فلان ﴿ولِمَنْ خافَ مقام رَبِّه جنتان﴾ [سورة الرحمن/ ٤٦]، فأجابه الفتَى من داخل القبر: قد أعطانيهما ربّي يا عُمر!.

٧٠٩ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثنا عبد الله بن محمد المَرْوزي، قال: حدثنا علي بن عاصم، قال: أنبأنا حُصين بن عبد الرحمن، قال: بلغني أنّ فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلاة كلّها مع عُمر بن الخطاب، وكان يتفقّده إذا غاب، قال: فعَشِقَتْه امرأةٌ من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها، فقالت لها: ألا أحتال لك في إدخاله عليك؟ قالت: بلى. فقَعدت له في الطريق، فلما مرّ عليها قالت له: أنا امرأة كبيرة السنّ ولي شاة، ولستُ أستطيع أن أحلِبَها فلو تَنَوَّيْت الثوابَ ودخلتَ فحَلَبْتها لي؟ فدخل فلم يرَ شاةً، فقالت: أدخل البيتَ حتى آتيك بها، فدخل، فإذا امرأة وراء الباب، فأغلقت عليه الباب. فلمّا رأى ذلك عَمَد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته على نفسه، فأبَى، وقال: اتقي الله أيتها المرأة. فجعلت لا تكفّ عنه، ولا تلتفت إلى قوله. فلمّا أبَى عليها صاحت، فجاؤوا فدخلوا عليها، وقالت: إنّ هذا دخَل عليّ يُريدني على نَفْسِي، فوثَبُوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه. فلما صلّى عُمر الغداة فَقده، فبينا هو كذلك إذ جاؤوا به في وَثاق[1]. فلمّا رآه عُمر، قال: اللهمّ لا تُخْلِف ظنّي فيه.

قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة في الليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها، فنلناه بضرب وأوثقناه. فقال له عمر: اصْدُقني. فأخبره القصّة وما قالت العجوز. فقال له عُمر:

---

(١) وَثاق: ما يُوثق به ويُربط.

أتعرفها؟ قال: ما إن رأيتها. فأرسل عُمر إلى نساء جيرانها وعجائزها فجاء بهنّ فعَرَضَهُنّ عليه، فجعل لا يعرف، حتى مرّت به العجوز، فقال: هذه يا أمير المؤمنين. فرفع عُمر عليها الدِّرَّة[1]، وقال: اصدُقيني. فقصّت عليه كما قصّ الفتى. فقال عُمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف.

٧١٠ ـ أخبرنا عبد الوهاب الأَنْماطِي، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد المَلَطِي[2]، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن يوسف، قال: أنبأنا أبو علي البَرْدَعي[3]، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني عبد العزيز بن يحيى الأُوَيْسي، عن عبد الرحمن بن زيد بن أَسْلم، قال: خرج عطاء بن يسار[4] وسُليمان بن يسار[5] حاجّين من المدينة، ومعهم أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواءِ نزَلوا مَنْزِلاً، فانطلق سُليمان وأصحابه لبعض حاجتهم، وبقي عطاء قائماً في المنزِل يُصلّي، فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة. فلما رآها عطاء ظنّ أنّ لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قال: ما هي؟ قالت: قُم فأَصِبْ منّي، فإنّي قد وَدِقْت[6] ولا بَعْلَ لي. فقال: إليك عنّي لا تُحرِقيني ونفسَك بالنار، ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلَت تُراوده عن نفسِه وتأبى إلاّ ما تُريد، فجعل عطاء يَبكي، ويقول: وَيْحَك إليكِ عنّي، إليك عنّي، قال: واشتد بكاؤه، فلمّا نظرت المرأة إليه وما دخله من البكاء والجزَع بَكَت المرأة لبكائه، فجعل يبكي والمرأة بين يَدَيْه تبكي.

فبينا هو كذلك جاء سليمان من حاجته، فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يدَيْه تبكي في ناحية البيت بكَى لبكائهما، لا يدري ما أبكاهما، وجعل أصحابهما يأتون رجلاً رجلاً كلما أتاهم رجلٌ فرآهم يبكون جلسَ يبكي لبكائِهم، لا يسألهم عن أمرِهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت. فلما رأتِ الأعرابيةُ ذلك قامَتْ فخرَجت وقام القوم فدخلوا، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصّة المرأة إجلالاً له وهَيْبة، قال: وكان أسنّ منه.

---

(١) الدِّرَّة: ما يُضرب به.

(٢) المَلَطي: نسبة إلى مَلَطية مدينة بالرّوم. انظر: اللباب ٣/ ٢٥٤، ولبّ اللباب ٢/ ٢٧٤.

(٣) البَرْدَعي: نسبة إلى بَرْدَعة بلدة من أقصى بلاد أذربيجان. ومن المنتسبين إليها: أبو علي الحسين بن علي بن محمد البردعي الحافظ، من ساكني سمرقند ونشأ بها. انظر: الأنساب ١/ ٣١٣، واللباب ١/ ١٣٥، ولبّ اللباب ١/ ١١٥.

(٤) هو عطاء بن يسار الهلالي، أبو محمد المدني، تابعي، ثقة، فاضل، صاحب مواعظ وعبادة. توفي سنة (٩٤) هـ وقيل بعد ذلك. التقريب (٤٦٠٥).

(٥) هو سليمان بن يسار الهلالي المدني، تابعي، ثقة، فاضل، أحد الفقهاء السبعة. مات بعد المائة، وقيل قبلها. التقريب (٢٦١٩).

(٦) أي: شبقت، واحتجتُ للرجال.

ثم إنّهما قدِما مصر لبعض حاجتهما، فلبثا بها ما شاء الله، فبينا عطاء ذات ليلة نائماً استيقظ وهو يبكي، فقال سليمان: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة. قال: ما هي؟ قال: لا تُخبر بها أحداً ما دمت حياً؛ رأيتُ يوسف النبيّ عليه السلام في النوم، فجئتُ أنظر إليه فيمن ينظر، فلمّا رأيتُ حسنَه بَكَيْتُ، فنظر إليَّ في الناس، فقال: ما يُبكيك أيّها الرجل؟ قلت: بأبي أنت وأمي يا نبيّ الله، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتلِيتَ به من أمرها، وما لَقِيتَ من السجن، وفرقة الشيخ يعقوب، فبكيتُ من ذلك، وجعلت أتعجّب منه. فقال ﷺ: فهلاّ تَعَجَّبْتَ من صاحبِ المرأةِ البَدَوِيّة بالأبْواء؟! فعرفتُ الذي أراد، فبكيتُ واستيقظت باكياً.

فقال سليمان: أي أخي، وما كان حال تلك المرأة؟ قال: فقصّ عطاء عليه القصّة. فما أخبر بها سليمان أحداً حتى مات عطاء، فحدّث بها امرأةً من أهله. قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلاّ بعد موت سليمان بن يسار.

وقد رُوي لنا أنّ هذه القصة جرَتْ لسليمان بن يسار لا لعطاء.

٧١١ ـ فأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمَكي، قال: أنبأنا أبو الحسن الزّينبي، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أبو بكر العَامِري، وسليمان بن أيوب المَدِيني، قالا: حدّثنا مُصْعب بن عبد الله الزُّبَيْرِي، قال: حدثنا مُصْعب بن عثمان، قال: كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجهاً، فدخلَتْ عليه امرأةٌ فسألته نفسَه، فامتنع عليها، فقالت له: ادْنُ، فخرَج هارباً عن منزله وتركَها فيه، قال سليمان بن يسار: فرأيت بعد ذلك يوسف عليه السلام فيما يرى النائم، وكأنّي أقول له: أنت يوسف؟ قال: نعم أنا يوسف الذي هَمَمْتُ، وأنتَ سليمان الذي لم تَهِمّ.

٧١٢ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثنا أبو يوسف الزّهري، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: كان عبد الرّحمن بن أبي عمّار[1] ـ مِن بني جَشْم معاوية ـ ينزل بمكة، وكان من عُبّاد أهلها فسُمّي: القَسَّ، من عبادته، فمرّ ذات يوم بسَلاّمة وهي تُغنّي فسمع غناءها، فرآه مولاها فدعاه إلى أن يُدْخِلَه عليها، فأبَى عليه، فقال له: فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها، ففعل. فغنّت، فأعجبته، فقال له مولاها: هل لك أن أُحَوِّلَها إليك، فامتنع بعض الامتناع، ثم أجابه إلى ذلك. فنظر إليها فأعجبته، فشغف بها وشغفت به، وكان ظريفاً فقال فيها:

أمَّ سلاّم لو وَجَدْتِ من الوَجْـ ـدِ عُشر الذي بكم أنا لاقي

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمّار القرشي، حليف بني جُمَح، كان يُلقّب بالقَسّ لعبادته، وكان ينزل مكة، ثقة عابد من التابعين. انظر: تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٣، والتقريب ١/ ٤٨٧.

أمَّ ســلاّم أنــتِ هَمّــي وشُغلــي ... والعــزيــزِ المهيمــن الخــلاقِ
أمَّ ســلاّم مــا ذكَــرْتُــك إلاّ ... شَرِقَتْ بالدموعِ منّي المآقي[(١)]

قال: وعلِم بذلك أهل مكة، فسمّوها سلاّمة القَسّ، فقالت له يوماً: أنا والله أحبكَ. فقال: وأنا والله أحبّك. فقالت: أنا والله أحبّ أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا والله أحب ذلك. قالت: فما يمنعك، فوالله إنّ الموضع لخال. فقال لها: وَيْحَك إنّي سمعت الله يقول: ﴿الأَخِلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعض عدُوٌّ إلاّ المتقين﴾ [الزخرف/ ٦٧]، وأنا والله أكره أن تكون خُلّةٌ ما بيني وبينكِ في الدنيا، عداوةً يوم القيامة.

ثم نهض وعيناه تَذْرِفان من حبها، وعاد إلى الطريقة التي كان عليها من النسك والعبادة. فكان يمر بين الأيام ببابها فيرسل بالسلام إليها، فيقال له: ادخل. فيأبى.

وممّا قال فيها:

إن ســـلاّمـــة التـــي ... أفقـــدتنـــي تَجَلُّـــدي
لـــو تـــراهـــا والعُـــود فـــي ... حِجْـــرهـــا حيـــن تَبْتـــدي
للسُّـــرَيجـــي والغَـــرِيـ ... ـــض وللقَـــرْمِ مَعْبَـــدِ[(٢)]
خِلْتهـــم تحـــت عـــودهـــا ... حيـــن تـــدعـــوه بـــاليـــد[(٣)]

٧١٣ ـ أخبرنا ابن ناصر، وعبد الله بن علي، قالا: أنبأنا طَرّاد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشران، قال: حدثنا أبو علي بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثنا أبو زيد[(٤)] النّميري، قال: حدثني خلاّد بن يزيد[(٥)]، قال: سمعت شيوخنا من أهل مكة، منهم سليمان، يذكرون: أنّ القسّ كان من أحسنهم عبادة، وأطهرهم تَبَتّلاً، وأنه مرّ يوماً بسلاّمة ـ جارية كانت لرجل من قريش، وهي التي اشتراها يَزيد بن عبد الملك ـ فسمع غناءَها فوقف يستمع، فرآه مولاها فدنا منه، فقال له: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأبّى عليه. فلم يزل به حتى تسمَّح، وقال: أقعدني في موضع لا أراها ولا تَراني. قال: أَفْعَلُ. فدخلت

---

(١) شَرِقَت: أي غصّت.
(٢) السريجي (ابن سريج) والغريض، ومعبد: من أشهر المغنين العرب في العصر الأموي، والقرم: الفحل، والسيد المعظم.
(٣) انظر القصة في العقد الفريد ٦/ ١٩.
(٤) في المطبوعة: أبو يزيد، وهو خطأ، وإنما هو أبو زيد عُمر بن شَبّة بن عُبيدة بن زيد النميري، نزيل بغداد، صدوق، له تصانيف، مات سنة (٢٦٢) هـ وقد جاوز التسعين. انظر التقريب ٢/ ٥٧.
(٥) هو خلاّد بن زيد الباهلي البصري، المعروف بالأرْقط، صهر يونس بن حبيب النحوي، صدوق جليل. التقريب ١/ ٢٣٠، وتهذيب الكمال ٨/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤.

فغنت فأعجبته، فقال مولاها: هل لك أن أُحَوّلَها إليك؟ فتأبّى، ثم سَمَح[١]، فلم يزل يسمع غناءها حتى شُغف بها وشُغِفَت به، وعلم ذلك أهل مكة. فقالت له يوماً: أنا والله أحبُّكَ. قال: وأنا والله أحبّكِ. قالت: وأُحِبُّ أن أضعَ فمِي على فمك. قال: وأنا والله. قالت: وأحبّ أن أُلْصِق صدرِي بصدرك وبطني ببطنك. قال: وأنا والله. قالت: فما يمنعك؟ فوالله إن الموضع لخال. قال: إنّي سمعت الله يقول: ﴿الأَخِلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوّ، إلاّ المتّقِين﴾ [الزخرف/ ٦٧]، وأنا أكره أن تكون خُلّةٌ ما بيني وبينك تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة. قالت: يا هذا أتحسب أنّ ربي وربّك لا يَقْبلنا إن نحن تبنا إليه؟ قال: بلى، ولكن لا آمن أن أفاجأ. ثم نهض وعيناه تذرفان، فلم يرجع بعد، وعاد إلى ما كان فيه من النسك[٢].

٧١٤ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي قال: أنبأنا أبو الحُسين الزَّيْنبي قال: حدثنا ابن المَرْزُبان قال: قال إسحاق بن منصور، حدثني جابر بن نوح[٣] قال: كنت بمدينة الرسول ﷺ جالساً عند بعض أهل السّوق، فمرّ بي شيخ حسن الوجه حسن الثياب، فقام إليه البائع فسلّم عليه، وقال له: يا أبا محمد، سَلِ الله أن يُعْظِم أجرك، وأن يَرْبِطَ على قلْبِك بالصّبر. فقال الشيخ مُجيباً له:

وكان يميني في الوغَى ومُساعِدي ... فأصبحتُ قد خانت يميني ذراعُها[٤]
وأصبحتُ حَرَّاناً من الثُّكْل حائِراً ... أخا كَلَفٍ ضاقَتْ عليَّ رِباعُها[٥]

فقال له البائع: يا أبا محمد أَبْشِر، فإنّ الصبر مُعَوّل[٦] المؤمن، وإنّي لأرجو ألاّ يحرمك الله الأجرَ على مصيبتك.

فقلت للبائع: من هذا الشيخ؟ فقال: رجل منّا من الأنصار من الخَزْرَج. فقلتُ: وما قصّته؟ قال: أُصِيب بابْنِه، كان به بارًّا قد كفاه جميع ما يَعْنِيه، ومِيتَتُه أعجبُ مِيتة. فقلت: وما كان سبب ميتته؟ قال: أحبَّتْه امرأة من الأنصار، فأرسلت إليه تشكو إليه حبّها، وتسأله الزيارة وتدعوه إلى الفاحشة، وكانت ذات بَعْل؛ فأرسل إليها:

---

(١) في كتاب التوّابين ص ٢٤٥: ثم تَسَمّح.
(٢) ذكر هذه القصة ابن قدامة في كتاب التوابين ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ بتحقيقنا، وابن أبي خيثمة في كتابه، كما ذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٦/ ٢١٣.
(٣) هو جابر بن نوح الحِمّاني أبو بشير الكوفي، ضعيف، مات سنة (٢٠٣) هـ. تقريب التهذيب (٨٧٦).
(٤) الوَغَى: الحرب.
(٥) الثُّكل: فقدان الولد، وأكثر ما يُطلق على المرأة. عشق وولع. الرِّباع: ما يُسْكَن ويُنزل به كالدور والبيوت ونحو ذلك.
(٦) المعوّل: المعتمَد والمستعان به.

إنّ الحرام سبيلٌ لستُ أسلكه ... ولا أُمرُّ به ما عشتُ في الناسِ
فابْغي العِتاب فإنّي غير متَّبعٍ ... ما تشتهينَ فكُوني منه في ياس
إنّي سأحفظ فيكم مَن يَصُونكُم ... فلا تكوني أخا جَهْلٍ ووَسْواسِ

فلما قرأَتْ الكتابَ كتبت إليه:

دعْ عنكَ هذا الذي أصبَحْتَ تذكُره ... وصِرْ إلى حاجتي يا أيّها القاسِي
دَعِ التنسُّكَ إنّي غير ناسِكَةٍ ... وليس يدخلُ ما أبدَيْتَ في راسي

قال: فَأَفْشَى ذلك إلى صديق له، فقال له: لو بعثت إليها بعض أهلِك فوعَظْتَها وزجَرْتَها رجوتُ أن تكُفَّ عنك. فقال: والله لا فعلتُ ولا صِرْت في الدنيا حديثاً، ولَلْعَارُ في الدنيا خير من النار في الآخرة، وقال:

العارُ في مدّة الدنيا وقِلَّتها ... يفنَى، ويبقَى الذي في العارِ يؤذيني
والنار لا تنقضِي ما دام بي رَمَقٌ ... ولستُ ذا مِيتة منها فتُفْنِيني
لكِنْ سأصبرُ صبرَ الحُرِّ مُحْتَسِباً ... لعلّ ربِّي من الفِردوس يُدْنيني

قال: وأمسَك عنها، فأرسلَتْ: إمّا أن تَزُورَني وإمّا أنْ أزورك. فأرسل إليها: ارْبَعِي[1] أيتها المرأة على نفسِك، ودَعي عنك التسرّع إلى هذا الأمر.

فلما يئِسَتْ منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمَلُ السِّحر، فجعلَتْ لها الرَّغائِب في تَهْييجه، فعمِلَت لها فيه. فبينا هو ذات ليلة جالساً مع أبيه، إذ خطر ذكرُها بقَلْبِه، وهاج منه أمرٌ لم يكن يعرفه، واختلط. فقام من بين يدي أبيه مُسْرِعاً، وصلّى واستعاذ، وجعل يبكي والأمر يزيد. فقال له أبوه: يا بُنَيّ ما قصّتك؟ قال: يا أبتِ أَدْرِكْني بقَيْدٍ، فما أرَى إلاّ قد غُلِبْت على عقلي. فجعل أبوه يبكي ويقول: يا بُنَيّ حدِّثني بالقصة، فحدّثه قصّته، فقام إليه فقيده وأدخله بيتاً، فجعل يتَضَرَّب ويَخُور كما يخور الثور، ثم هدأ ساعة فإذا هو ميت، وإذا الدّم يسيل من منخريه.

٧١٥ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثني إسحاق بن محمد الكُوفي، قال: حَدّثني العُتْبي، قال: عَلِقَ[2] أعرابيٌّ امرأةً، فطال به وبها الأمر، فلما التقيا وتمكّن منها وصار بين شُعْبَتَيْها ذكر الدّار الآخرة، وجاءَتْه العِصْمة، فقال: والله إنّ امْرَأً باع جنةً عرضُها السماوات والأرض، بفِتْرٍ بين رجلَيْك، لقليلُ البَصَرِ بالمَساحَةِ!

---

(١) أربعي على نفسِك: قِفي عندها وقُومي عليها بما يُصلحها.
(٢) عَلِق: أحَبَّ وعشق.

٧١٦ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثني محمد بن محمد الْهَرَوي، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني الحَكِيم بن نصر، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن، قال: سمعت جعفر بن عون يقول: سمعت شيخاً من مُزَينة يُحدِّث عن أبيه، قال: هويتُ جارية من العرب، ذات جمال وكمال، وأنا إذْ ذاك لا أَرعُ[1] عن شيء أريده، فمكثتُ حيناً أُرْسِل إليها وترسل إليّ، فلمّا تطاولت الأيام أرسلتُ إليها أنّه ليس شيء أَبْلَغ من الاجتماع، فأرسلَتْ إليَّ: الموعِدُ؟ فقلتُ: ليلة كذا في موضِع كذا وكذا. فلما كانت الليلة خرجَتْ وخرجتُ، فالتقينا، وجلستُ أشكو إليها.

فبينا نحن كذلك وقف شيخ علينا، فسلّم فرددت السلام، فقال: ما جلوسك ها هنا؟ قلتُ: حاجة لي. فقال: ومَن هذه المرأة؟ قلت: بعض أهلي. قال: سبحان الله، تُخْرِجها في مثل هذا الوقت؟! قلت: حاجة عرضت. فقال لي: يا هذا إنّ الله تعالى قال في مُحْكَم كتابه العزيز: ﴿أَمْ حَسِبَ الذينَ اجترَحُوا السيئاتِ﴾ [الجاثية/ ٢١].. وتلا الآية، فإيّاك يا هذا أن تكون للسيئات مُجْتَرِحاً، فإنّ الله مُسائِلٌ كلَّ نفسٍ عما عملت، فإيّاك لا يفضَحْك عند السؤال، إذ لا عُذْر لك. ثم قال: قوما، بارك الله فيكما.

فقمنا، وما أقدر أن أخطوَ من الحياءِ منه، وشدّة هيبته، فلما توليتُ، قال: انظر ما أوصيتك به، فإنّه معك، وهو يَراك حيث كنت. ثم مضَى، فسمعته يقول: اللهم اعصِمْهُما حتى لا يَعْصِياك، وكأنّما فرَغ من قلبي ما كنتُ أجد، فأتيتُ وعَزَمْتُ على هجرها، فأتاني رسولُها بالسلام، فقلتُ له: لا تَعُدْ إليَّ بعد اليوم. فلما بلَّغها الرسول ذلك كتبت إليَّ هذا الشعر:

إنّـي تـوَهَّمْـتُ أمـراً لا أحقّقـه ... وربمـا كـان بعـض الظّـنِّ تَغْـريـرَا
فـإنْ يكـن مـا ظننـتُ اليـومَ يـا سَكَنِـي ... حقـاً فقـد طـالَ تعـذِيـبي وتفكيـري[2]

فلما قرأْتُه كتبتُ إليها:

يـا مَـن تـوهَّـمُ أنّـي مِثْـلُ مـا عَهِـدتْ ... لا تُكَـذِّبـي لسـتُ عنـد الظـنّ والأمـلِ
إنّـي أخـافُ عقـابَ اللّـهِ يَلْحَقُنـي ... وأن يُقَـرِّبَنـي حَتْفِـي مِـنَ الأجـلِ
فكَـذِّبـي الظـنّ فينـا واسلُكِـي سُبُـلاً ... نَقِفْـك بعـد الهـوَى مِنّـا علـى العمـلِ

٧١٧ ـ أخبرنا عبد الوهاب، وابن ناصر قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الحَسن بن علي الجوهري قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازني قال: حدثنا أبو بكر

---

(١) أَرْعُ: ابتعد واكفّ، تقول: ارعَوَى عن الشيء: كفَّ عنه.
(٢) في أحد البيتين إقواء.

محمد بن القاسم الأَنْباري قال: حدثني محمد بن المَرْزُبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: حدثنا محمد بن الحُسين بإسناد لم يحفظه عبد الله: أنّ فتى كان له جمال وهيئة، كان يُكثر الاجتياز بباب امرأة مِنْ بَنات عمّه، فنظر إليها فعَلِقها، فخَطبها من أبيها فرغب بها عنه، واتّصل ذلك بها، فأرسلَتْ إلى الفتى: قد بلغَني ما كان منك وقد أحببتك لحبّك إياي، فإنْ كنت تُحبُّ أن أَصِير إليك فعلتُ، وإن أردتَ سهّلت لك الإذن حتى تصِل إليّ. قال: كلاّ، لا أُريد، إنّي أخاف أن يُوقِعَني حبّك في نارٍ لا تُطْفأ، وعذاب لا ينقطع. فلما بلغَتْها رسالته قالت: ألاَ أراك راهباً، وأنا لا أعلم؟ واللَّهِ ما أحدٌ أولى بهذا مِنْ أحد، وإنّ الخلْق في الوَعْد والوَعِيد لمشتركون.

ثم تَعَبّدَت ولبست مِدْرعة من شَعْر[1]، فعَظُم ذلك على أبيها، وكَبُر في نفس أهلها، ولم تزل على هذه الطريقة من العبادة حتى ماتت، فكان الفتى يغشَى قبرَها في كلّ جمعة فيدعو ويستغفر لها. قال: فرأيتُها ليلةً في المنام، فقلت: فلانة؟ قالت: نعم:

نِعْـمَ المحبّـةُ يـا سُـؤْلـي محبّتكـم ... حـبٌّ يَجُـرُّ إلـى خيـرٍ وإحسـانِ

فقلتُ لها: يا حَبيبتي إلى ما صِرت؟ فقالت:

إلـى نعيـمٍ ومُلْـكٍ لا نَفَـاد لـه ... في جنّـة الخُلْـد خُلْـدٌ ليس بـالفَـاني

فقلتُ لها: أيتها الحبيبة، أتذكرِيني هناك؟ فقالت: والله إنّي لأتمناك على مولاي ومولاك، فأَعِنّي بصالِحِ من عمَلِك، فلعلّ الله أن يجمعنا في داره دار المقام.

ثم ثَنَتْ وجهها لتنصرف، فقلتُ لها: يا حبيبتي متَى أراكِ؟ قالت: قريباً إنْ شاء الله. فعاش الفتى أياماً قليلة ثم مات فدُفن إلى جانبها.

٧١٨ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: أنبأنا أبو بكر الخَرائطي، قال: حدّثنا محمد بن يزيد المُبَرِّد، قال: عن ابن أبي كامل، عن إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عَمْرو[2] النَّخْعي، قال: كان بالكوفة فتًى جميل الوجه، شديد التعبّد والاجتهاد، وكان أحد الزهّاد، فنزَل في جِوار قومٍ من النَّخْع، فنظر إلى جارية منهنّ جميلة، فهَوِيَها، وهام بها عقلُه، ونزلَ بها مثلَ الذي نزل به.

فأرسل يخطُبَها من أبيها، فأخبره أبوها أنّها مُسَمَّاة لابن عمّ لها. فلمّا اشتد عليهما ما يُقاسيان مِنْ أَلَمِ الهوَى أرسلَتْ إليه الجارية: قد بلغَني شدّة محبَّتِك لي، وقد اشتدّ بلائي بِك،

(١) مِدْرَعة من شَعْر: أي مَلاءَة من صوف.
(٢) في التوابين لابن قدامة ص ٢٧٣: رجاء بن عُمَر.

فإنْ شئت زُرْتُك، وإن شئت سهّلتُ لك أنْ تأتيَني. فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الْخَلّتين ﴿إنّي أخَافُ إنْ عَصَيْتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيم﴾ [الزمر/ ١٣]، أخافُ ناراً لا يَخْبُو[١] سَعِيرها، ولا يَخْمَدُ[٢] لَهَبُها. فلمّا انصرف الرّسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله! واللّهِ ما أحدٌ أحقّ بهذا من أحدٍ، وإنّ العِباد فيه لمشتركون.

ثم انخلَعَتْ من الدنيا وألقَتْ علائِقَها[٣] خَلْفَ ظهرها، ولبِسَتْ المُسُوح[٤] وجعلت تعبد، وهي مع ذلك تَذُوب وتَنْحَلّ حباً للفتَى وأسفاً عليه، حتى ماتت شَوْقاً إليه، فدُفِنَت.

فكان الفتى يأتي قبرَها ويبكي عندها ويدعو لها، فغلَبَتْه عينُه ذات يوم على قبرِها، فرآها في منامه، وكأنّها في أحسن منظرها، فقال: كيف أنت، وما لقيت بعدي؟ فقالت:

نعم المحبّةُ يا سُؤلي محبتكم[٥] حبٌّ يَقُود إلى خَيْرٍ وإحسان

فقال: على ذلك إلى ما صِرْتِ؟ فقالت:

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زَوال له في جنةِ الخُلْد مُلْكٌ ليس بالفاني

فقال لها: اذكريني هناك فإنّي لست أنساكِ، فقالت: ولا أنا والله أنساكَ، ولقد سألتُ قُرْبك مولايَ ومولاك، فأَعِنّي على ذلك بالاجتهاد، ثم ولّت مُدْبِرة. فقال لها: متى أراك؟ قالت: ستأتينا عن قريب فترانا، فلم يَعِشِ الفتَى بعد الرؤيا إلاّ سبع ليالٍ[٦].

٧١٩ ـ أخبرنا أبو بكر بن حَبيب الصّوفي، قال: أنبأنا علي بن أبي صادق الْحِيري، قال: حدثنا أبو عبد الله بن باكَوَيْه الشِّيرازي، قال: سمعت الحُسين بن أحمد الفَارسي، يقول: سمعت الدُّقِّي يقول: سمعت أبا الكريز مَعْمَراً، يقول: سمعت أبا زرعة الْخَيْنِي[٧] يقول: مكَرَتْ بي امرأةٌ، فقالت: يا أبا زُرْعة، ألاَ ترْغَب في عيادةِ مُبْتَلَى تَتّعِظ برؤيته؟ فقلت: بلى. فقالت: ادخل إلى الدّار، فلمّا دخلتُ الدار أغلقَتِ الباب ولم أر أحداً، فعرفتُ قصْدَها، فقلتُ: اللهم سوِّدها، فاسوَدّت، فحارت، وفتحت الباب، فخرجتُ، وقلتُ: اللهم ردّها إلى حالتها، فردها إلى ما كانت.

٧٢٠ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا

---

(١) لا يخبو: أي لا يسكن ولا يطفأ.
(٢) لا يخمد: أي لا يسكن لهبها، ولا يطفأ جمرها.
(٣) أي: ما عُلّق عليها من ذهب وحُلِيّ وثياب فاخرة ونحو ذلك.
(٤) مُسُوح: جمع مِسْح وهو ثوب من شعر غليظ.
(٥) هذا الشطر كتاب التوابين ص ٢٧٤ هكذا: نِعْمَ المحبّة يا حبيبي حُبّكا.
(٦) انظر كتاب التوابين لابن قدامة ص ٢٧٣ ـ ٢٧٥، طبع دار الكتاب العربي.
(٧) الخَيْنِي: نسبة خَيْن، قرية بطوس. اللباب ١/ ٤٧٩.

محمد بن علي بن الفَتْح، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله الدَّقّاق، قال: أنبأنا الحسن بن صفوان، قال: حدثنا أبو بكر بن عُبيد، قال: حدثني محمد بن الحُسين، قال: حدثني عثمان بن زُفَر التَّيْمِي، قال: حدثني أبو عُمر يحيى بن عامر التَّيمي: أنّ رجلاً من الحيّ خرج حاجّاً، فإذا هو بامرأة في بعض الليل ناشرة شعرها في بعض المياه. قال: فأعْرَضْتُ عنها، فقالَتْ: هلمّ إليَّ، لِمَ تُعْرِض عنّي؟ قال: قلتُ: إنّي أخاف الله ربّ العالمين، فتَجَلْبَبَتْ ثم قالت: هِبْتَ مُهاباً، إنّ أولى من شَرَكك في الهَيْبَة لَمن أراد أن يَشْرَكَك في المعصية.

قال: ثم ولّت فتبِعْتُها فدخلَت بعض خيام الأعراب. فلما أصبحتُ أتيتُ رجلاً من القوم فوصفتُها، فقلت: فتاةٌ كذا وكذا من حُسنها من منطقها، فقال شيخ منهم: ابنتي والله. قلتُ: هل أنت مزوِّجي؟ قال: على الأكفاء. قلت: رجلٌ من تيم الله، قال: كفؤٌ كريم، فما رُمْتُ حتى تزوجتها ودخلت بها، ثم قلتُ: جهّزوها إليَّ قُدومي من الحجّ.

فلما قَدِمْتُ حملتُها إلى الكوفة فها هي عندي لي منها بنين وبنات.

قال: قلت لها: ويحك، ما كان تعرُّضُك لي حينئذ؟. قالت: يا هذا لا تُكْذَبَنَّ، ليس للنساء خيرٌ من الأكْفاء، فلا تعجبَنّ بامرأة تقول هوَيْتُ، فوالله لو عجّل لها بعض السُّودان ما تريدُه مِنْ هواها لكان هو الهوَى عِنْدَها دون هواها.

٧٢١ ـ أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار، قال: أنبأنا أبي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الحسين بن جعفر السِّلْماسِي، قال: أنبأنا أبو العباس الوليد بن بكر الأندلسي، قال: أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن زكريا الهاشمي، قال: حدثنا صالح بن أحمد بن عبد الله بن مسلم العِجْلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أبي عبد الله[1]، قال: كانت امرأةٌ جميلة بمكة، وكان لها زوج، فنظرَتْ يوماً إلى وجهها في المرآة، فقالت لزوجها: أترى أحداً يرَى هذا الوجه لا يُفتن به؟ قال: نعم. قالت: مَنْ؟ قال: عُبَيْد بن عُمير[2]. قالت: فائذَنْ لي فيه فلأَفْتِنَنّه. قال: قد أذِنتُ لكِ.

قال: فأتَتْه كالمُسْتَفْتِيَة، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرَام. قال: فأسفرت عن مثل فَلْقَةِ القمَر، فقال لها: يا أمةَ الله! قالت: إنّي قد فُتِنْتُ بك فانظر في أمري. قال: إنّي سائلك عن شيء فإن أنتِ صَدَقْتِيني نظرتُ في أمرِك. قالت: لا تسألني عن شيء إلاّ صدقتك. قال: أخبريني لو أنّ ملَك الموتِ أتاك ليقبض روحك، أكان يسرّك أنّي قضيتُ لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهمّ لا. قال: صَدَقْتِ.

---

(١) عبدُ الله بدل مِن أبي فاعِل الفعل: حدّثني، فلذا هو مرفوع، وليس مجروراً على الإضافة.

(٢) هو عُبيد بن عُمير بن قتادة الليثي، الجُندعي، المكي، الواعِظ المُفَسِّر، ولد في حياة رسول الله ﷺ. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يُذَكِّر الناس، فيحضر ابنُ عمر رضي الله عنهما مجلسه. توفي سنة (٦٨) هـ. انظر: السير ١٥٦/٤، والحلية ٢٦٦/٣، وتذكرة الحفّاظ ٤٧/١ . .

قال: فلو أُدْخِلتِ في قبرِك وأُجْلِسْت للمُسَاءلة، أكان يسرّك أنّي قضيتُ لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهمّ لا. قال: صَدَقْتِ.

قال: فلو أنّ الناس أُعْطُوا كتبهم ولا تَدْرِين تأخذِين كتابَك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرّك أنّي قضيت لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهمّ لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو جيء بالمَوازِين وجِيء بكِ لا تَدْرِين تَخُفِّين أم تَثْقُلِين أكان يسرّك أنّي قضيت لك هذه الحاجة؟. قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ.

قال: فلو وقفتِ بين يدَي الله للمُساءلة أكان يسرّك أنّي قضيتُ لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقتِ. قال: اتقي الله يا أمة الله، فقد أنعمَ الله عليكِ وأَحْسَن إليكِ.

قال: فرجَعَتْ إلى زوجها فقال: ما صنعتِ؟ قالت: أنت بَطّال ونحن بطّالون! فأقبلَتْ على الصلاة والصوم والعبادة، قال: فكان زوجها يقول: ما لي ولعُبيد بن عُمير، أفسَدَ عليَّ امرأتي، كانت في كلّ ليلة عَرُوساً فصيَّرها راهبة.

٧٢٢ ـ أخبرتنا شهدة قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج قال: أنبأنا أبو محمد أحمد بن عليّ بن الحُسين بن أبي عثمان ـ فيما أجاز لنا ـ قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن موسى القُرشي قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان قال: حدثنا محمد بن هارون المقرى قال: حدثنا سَعيد بن عبد الله بن راشد قال: عَلِقَتْ فتاةٌ من العرَب فتًى من قومها ـ وكان الفتى عاقلاً ـ، فجعلت تُكثِر التردد إليه، فلما طال عليها مرِضت، وتغيّرت واحتالَت في أنْ خلا لها وجهه، فتعرّضت له ببعض الأمر، فصَرَفها ودفعها عنه. فتزايد المرضُ حتى سقطَت على الفراش، فقالت له أمُّه: إنّ فلانة قد مرِضَتْ، ولها علينا حقّ. قال: فعُودِيها، وقولي لها: يقولُ لكِ ما خبَرُكِ؟ فصارت إليها أمُّه؟ فقالت لها: ما بِكِ؟ قالت: وجعٌ في فؤادي، هو أصْلُ عِلّتي. قالت: فإنّ ابني يقول لك: ما عِلّتك؟ فتنفّسَتِ الصّعداء، وقالت:

يُسائلني عن عِلّتي وهُو عِلّتي ... عجيبٌ من الأنباءِ جاء بِهِ الْخَبر

فانصرفَتْ إليه أمُّه فأخبرَتْه، وقالت له: قد كنت أحبُّ أن تسألَها المصيرَ إلينا لنقضي حقّها ونَلِي خِدْمتها، قال: فسَلِيها ذلك. قالت: قد أردتُ أن أفعلَه ولكن أحببتُ أن يكون عن رأيك. فمضَتْ إليها فذكَرَتْ لها ذلك عنه، فبكت، وقالت:

يُباعِدُني عن قُرْبِه ولِقائه ... فلما أذاب الجسمَ مِنّي تعطَّفا
فلستُ بآتٍ موضِعاً فيه قاتِلي ... كفَى بي سَقَاماً أن أموتَ كذا كفَى

وترامت العِلّة بها وتزايدَ المرضُ حتى ماتت[1].

---

(١) انظر الفقرة (١١١٥).

٧٢٣ ـ أنبأنا علي بن عُبيد الله، قال: أنبأنا أبو جعفر بن الْمُسْلِمَة، قال: أنبأنا إسماعيل بن سُويد، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم الكَوْكَبي، قال: حدثني ابن أبي الدنيا، قال: حدثني محمد بن زيد العُتْبِي، قال: أخبرني جدّي الحسن بن زيد، قال: وَلِيَنَا بديار مصر رجل فوجد على بعض عُمّاله فحَبَسَه وقيّده، فأَشْرَفَتْ عليه ابنة الوالي، فهوِيَتْه فكتبَتْ إليه، وكان قد نظر إليها:

أيّهــــا الـــــرامـــــي بعينَيْــــه وفــي الطَّـرْف الحُتــوفُ[1]
إن تُـــرِدْ وَصْـــلاً فقـــد أمْـكنـــك الظبـــيُ الألُـــوفُ

فأجابها الفتى:

إنْ تـــرينـــي زانـــي العيـنَيْـــن فـــالفـــرجُ عفيـــفُ
ليـــس إلاّ النظـــرُ الفـــاتِـــرُ والشِّعـــر الظـــريـــفُ

فكتبَتْ إليه:

قـــد أردْنَـــاك علـــى عِشْـقِـــك إنســـانـــاً عفيفـــا
فتـــأبَّيْـــتَ فـــلا زِلْـــتَ لِقَيْـــدَيْـــك حليفـــا

فأجابها:

مـــا تـــأَبَّيْـــتُ لأنّـــي كنـــتُ للظبـــي عَيُـــوفـــا[2]
غيـــر أنّـــي خِفْـــتُ رَبًّـــا كـــان بـــي بَـــرًّا لطيفـــا

فذاع الشعر وبلغ الخبرُ الوالي فدعا به، فزوّجه إياها ودفعها إليه.

٧٢٤ ـ ورُوِي أنّ رجلاً تزوج امرأة من غير بلده، فأرسل عبدَه فحملها إليه، فراودت العبدَ نفسُه، وطالبَتْه بالمرأة، فجاهد نفسَه، واستعصم بالله تعالى، فجعله الله نبياً في بني إسرائيل.

٧٢٥ ـ حدثني أبو محمد عبد الله بن علي المُقرىء، قال: حدثني أبو سعْد بن أبي عمامة: أنّ رجلاً أحبّ امرأة فأحبَّتْه، فاجتمعا، فراوَدَتْه المرأةُ عن نفسِه، فقال: إنّ أَجَلي ليس بيدي، وأجلُك ليس بيدِك، فربّما كان الأجل قد دنا، فنلقى الله عاصِين؟! فقالت: صدَقْتَ. فتابا وحُسنت حالتُهما.

٧٢٦ ـ أخبرنا أحمد بن أحمد المُتَوَكِّلي، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا

---

(١) الحُتوف: الموت والهلاك.
(٢) عيوفاً: أي كارهاً. عاف الشيء: كرهه.

عبد الرحمن بن محمد النيسابوري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الله بن شَاذان، قال: سمعت أبا عبد الله القُرشي، يقول: كان لي جارٌ شابّ، وكان أديباً، وكان يهَوى غُلاماً أدِيباً، فنظرَ يوماً إلى طاقات[1] شَعْرٍ بِيض في عارضيه، فوقَع له شيء من الحقّ، فهَجر الغلام وقَلَاه[2]، فلمّا نظر الغلام إلى هَجْره كتب إليه:

مـا لـي جُفِيـتُ وكنـتُ لا أُجْفَـى ... ودلائِـلُ الهُجْـرَان لا تَخْفـى
وأَراكَ تَشْـرَبُنـي وتَمْـزِجُنـي[3] ... ولقـد عَهِـدْتُـك شـارِبـي صَـرْفـا

قال: فقلَبَ الرُّقْعَة وكتبَ على ظهرها:

التّصـابـي مـع الشَّمَـط ... سُمْتَنـي خُطّـة شطـطْ[4]
لا تَلُمْنـي علـى جفـا ... يَ فحسْبـي بمـا فـرَطْ
أنـا رهـنٌ بمـا جَنَيْـ ... ـتُ فـذَرْنـي مـنَ الغلَـطْ
قـ رأَيْنـا أبـا الخـلا ... ئِـقِ فـي زَلّـة هَبَـطْ

سِياقُ أَخْبَار النِّساء اللَّوَاتي امْتَنَعْنَ مِنَ الفاحِشة مع القُدْرة عليها

٧٢٧ ـ أنبأنا أحمد بن أحمد بن المُتَوَكّلي، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن موسى الصَّيْرَفي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأَصْبَهاني[5]، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا الحسن بن الصَّبّاح، قال: حدثنا زيد بن الحُباب، قال: حدثنا محمد بن نُشيط، قال: حدثنا بكر بن عبد الله المُزَني: أنّ قَصّاباً وَلَع بجارية لبعض جِيرانه، فأرسلها أهلُها إلى حاجة لهم في قريةٍ أخرى، فتَبِعَها فراوَدَها عن نفسها، فقالت: لا تفعل، لأنا أشدّ حباً لك منكَ لي، ولكنّي أخافُ الله. قال: فأنت تخافينه، وأنا لا أخافُه، فرَجع تائباً.

فأصابَه العطَشُ حتى كاد يَنْقَطِع عنقُه، فإذا هو برسولٍ لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، فقال: ما لك؟ قال: العطَش، قال: تعال حتى ندعوَ حتى تظلّنا سحابةٌ حتى ندخلَ القريةَ، قال: ما لي من عَمَلٍ فأدْعُوَ. قال: فأنا أدعو وأمِّن أنت، قال: فدعا الرسول وأمَّن

---

(١) الطّاقات: ما عُطِف من الشَّعْر بعضه على بعض.
(٢) قلاه: أبغضه.
(٣) تمزجُني: أي تخلطني بغيري.
(٤) الشَّمَط: بياض شعر الرأس يُخالط سواده. سُمْتني: كلّفتني. شطط: بعيدة.
(٥) هو محمد بن عبد الله بن أحمد الزّاهد، أبو عبد الله الأصبهاني الصفّار، سكن نيسابور، كان زاهداً حسن السيرة ورعاً، صنف كتباً في الزهد، توفي سنة (٣٣٩) هـ. انظر اللباب ٢/ ٢٤٣.

هو، فأظلّتْهُمَا سحابة، حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القصّاب إلى مكانه، ومالت السحابة عليه، فرجع الرّسول فقال له: زعمْتَ أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ وأنت الذي أَمَّنْتَ فأظلتنا سحابة، ثم تَبِعَتْكَ، لَتُخْبِرَنِّي ما أمرُك. فأخبره، فقال الرسول: التائب إلى الله بمكانٍ ليس أحدٌ من الناس بمكانه[1].

٧٢٨ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد الإبَري قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد القارىء، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن علي السوّاق، قال: حدثنا ابن فارس، قال: حدثنا الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا محمد بن خلَف، قال: حدثني أحمد بن زُهير، قال: قال غَيْلان: حدثنا أبو عَوانة، عن إسماعيل بن سالم، عن أبي إدريس الأَوْدِيّ، قال: كان رجلان في بني إسرائيل عابدان، وكانت جارية يقال لها سوسن، عابدة، وكانوا يأتون بُستاناً فيتقرّبون فيه بقُربانٍ لهم، فهوَى العابدان سوسن، فكتم كلٌّ واحد منهما صاحبَه. واختبأ كلّ واحد منهما خلف شجرة ينظران إليها، فبصُرَ كل واحد منهما بصاحبه، فقال كل واحد منهما لصاحبه: ما يُقيمُك ها هنا؟ فأفشَى كلّ واحد منهما إلى صاحبه حبّ سوسن، فاتفقا على أن يراوداها. فلما جاءت لتُقَرِّبَ، قالا لها: قد عَرَفْتِ طواعية بني إسرائيل لنا، وإنْ لم تُواتِينا قلْنا إذا أصبحنا إنّا أصبْنا معكِ رجلاً، وإنّ الرجل أَفْلَتَنَا، وإنّا أخذناك، فقالت لهما: ما كنت لأطيعكما. فأخذاها فأخرجاها، وقالا: أخذنا سوسن مع رجل، وإنّ الرّجل سبقنا وذهب.

فأقاموا سوسن على المَصْطَبة[2] وكانوا يقيمون المُذْنِبَ ثلاثةَ أيام، فتَنْزِلَ عقوبةٌ من السماء فتأخذه. فأقاموا سوسن، فلمّا كان اليوم الثالث، جاء دانيال وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فوضَعوا له كرسياً فجلَس عليه، وقال: قدّموهما إليّ. فجاءا كالمستهزِئَيْن، فقال لأحدهما: خلف أي شجرة رأيتها؟ فقال: وراء تفاحة، وقال للآخر: خلف أي شجرة رأيتَها؟ فاختلفا. فنزلت نار من السماء فأحرقَتْهُما، فأفلتت سوسن.

قال أبو بكر: وفي خبر أنها وقفت لتُرْجم، فنزل الوحي على دانيال وهو ابن سبع سنين.

٧٢٩ ـ قال وَهْب بن مُنَبِّه: كان في بني إسرائيل رجل من العُبّاد شديد الاجتهاد، فرأى يوماً امرأة، فوقعَتْ في نفسِه بأوّل نظرة، فقام مسرعاً حتى لَحِقها، فقال: رويدك يا هذه. فوقَفت وعَرَفَتْه، فقالت: ما حاجتك؟ قال: أذات زَوْج أنت؟ قالت: نعم فما تريد؟ قال: لو كان غير هذا كان لنا نظَر في ذلك. قالت: وما نظرك؟ قال: عرَض بقلبي مِنْ نظرَك عارِض. قالت: وما يمنعُك من إنفاذه؟ قال: وتُتابعيني على ذلك؟ قالت: نعم. فخلَت به في موضِع،

---

(١) هذه القصة ذكرها ابن قدامة في كتاب التوابين ص ١١٠ ـ ١١١ بتحقيقنا.
(٢) المِصْطبة: مكان مُمَهّد قليل الارتفاع عن الأرض.

فلمّا أنْ رأتْه مُجِداً في الذي يَنال، قالت: رويدك يا مِسكين لا تُسْقِط جاهَك عندَه. قال: فانْتَبَه لها، وسكَن عن قلبِه ما كان يَجِد من فتنتها. فقال: لا حَرَمَك اللَّهُ ثواب فعلك.

ثم تنحّى ناحية فقال لنفسِه: اخْتاري، إمّا عمَى العَيْنَين، وإما قَطْع الإحْلِيل، وإمّا السِّياحة في مسالك الوُحوش والسِّباع. فاختارت السِّياحة.

قال: فلبس أثواب السِّياحة، وخرج سائِحاً في البراري والقِفَار[1] حتى ماتَ يَبْكِي على تلك النظرة.

٧٣٠ ـ أخبرتنا شهدة قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج قال: أنبأنا أبو طاهر بن السوّاق قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن فارس قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي قال: حدثنا ابن المَرْزُبان قال: حدثني عبد الله بن محمد بن عُبيد قال: حدثني محمد بن الحُسين قال: حدثني محمد بن سَلاَم الْجُمَحِي قال: سمعتُ خارجةَ بن زياد ـ رجل من بني سليمة ـ يذكر قال: هويتُ امرأة منَ الحَيّ، فكنتُ أَتَّبعُها إذا خرجَتْ من المسجد، فعرفَتْ ذلك منّي، فقالت لي ذات ليلة: ألك حاجة؟ قلتُ: نعم. قالت: وما هي؟ قلتُ: مودّتك، قالت: دعْ ذلك ليوم التَّغَابُن[2]. قال: فأبكَتْني واللَّهِ، فما عُدت إلى ذلك.

٧٣١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن سالم، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا يعقوب بن يوسف البَتِّي[3]، قال حدثنا عمر بن محمد، عن عبد السلام بن عُبيد، عن أعرابيّ، قال: خرجتُ في بعض ليالي الظُّلْمَةِ، فإذا أنا بجارية كأنّها عَلَم، فأردْتُها على نفسِها، فقالت: ويلَك! أما لك زاجرٌ من عَقْل إذا لم يكن لك ناهٍ من دِين!. فقلت: إيهاً! والله ما يَرانا إلاّ الكواكب. قالت: فأين مُكَوْكِبُها؟!

٧٣٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الحسن الزَّيْنَبي، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو العباس التَّيْمي، قال: حدثني محمد بن عبد الله بن يَزيد، قال: حدثتني أُمِّي، عن أبيها، قال: أحببتُ جاريةً من العرب، وكانت ذات عقلٍ وأدَب، فما زلتُ أحتالُ في أمرِها حتى اجتمعتُ معها في ليلةٍ مظلمةٍ شديدةِ السواد

---

(١) القِفار: جمع قَفْر، وهي المفازة التي لا نبات فيها ولا ماء.

(٢) أي ليوم القيامة، وسُمّي بذلك لظهور الغَبْن فيه، وأصل الغَبْن: إخفاء الشيء. انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص ٦٠٢.

(٣) البَتّي: نسبة إلى البَتّ وهو موضع بنواحي البصرة. أو نسبة إلى بيع البتوت، والبت: الطيلسان من خز ونحوه. انظر: اللباب ١/ ١٢٠، ولب اللباب ١/ ١٠٣.

في موضعٍ خال. فحادَثْتُها ساعة، ثم دَعَتْني نفسِي إليها، فقلت: يا هذه، قد طال شوقي إليك. قالت: وأنا كذلك. قلت: وقد عَسُر اللقاء. قالت: نحن كذلك! قلت: هذا الليل قد ذهب والصبح قد قَرُب. قالت: هكذا تفنَى الشهواتِ وتنقطع اللذاتُ. قلت لها: لو أَدْنَيْتِني منك. قالت: هيهات هيهات! إنّي أخاف العقوبةَ من الله. قلت لها: فما الذي دعاك إلى الحضور معي في هذا المكان. قالت: شِقْوتي وبلائي. قلت: فمتى أراك؟ قالت: ما أراني أنساك، فأما الاجتماع معك فلا أراه يكون. ثم تَوَلّت من بين يدَيّ، فاستحيَيْت مما سمعتُ منها، فرجَعْتُ وقد خرَج من قلبي ما كنت أجد من حبّها. ثم أنشأتُ أقول:

تَـوَقَّـتْ عـذابـاً لا يُطـاقُ انتقـامُـه ... ولـم تـأتِ مـا تخشَـى بـه أن تُعَـذَّبـا
وقـالـت مقـالاً كِـدْتُ مـن شِـدّة الحيا ... أَهِيـمُ علـى وجهـي حيـاً وتعجُّبَـا
ألاَ أُفٍّ للحـبّ الـذي يُـورث العمَـى ... ويُـورد نـاراً لا تمـلُّ التـوثّبـا
فـأَقْبَـل عَـوْدي فـوق بَـدْئِـي مفكّـراً ... وقـد زال عـن قلبِـي العمَـى فتسـرَّبـا[١]

قال: فلم أر امرأة كانت أصون منها لدِينها ولا أعقل.

٧٣٣ ـ وبالإسناد قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: أخبرني عبد الله بن محمد، قال: حدثنا الحُسين بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبو محمد الشّيباني، قال: كان بالبصرة رجلٌ له أكّار[٢]، وكانت له[٣] امرأة جميلة حسناء كثيرة اللَّحْم، فوقَعَتْ في نفسه[٤]، فركِب زُبَيْدِيَّتَه[٥] إلى قصره، وقال للأكّار: ألقط لنا من الرُّطَب وصَيِّرْه في الدَّوَاخِل[٦]. ثم قال له: إيت به فلاناً وفلاناً، فذهب به، فلمّا مضَى، قال لامرأته: أَغْلِقي باب القصر فأغلَقَتْه. ثم قال لها: أغلقي كلّ باب ففعلت، فقال لها: هل بقي باب لم تُغْلِقيه؟ قالت: نعم باب واحد لم أغلِقْه. قال: وأي باب هو؟ قالت: الباب الذي بيننا وبين الله عزّ وجلّ. فبكى ثم قام عَرِقاً وانصرَف، ولم يُواقع الخطيئة.

٧٣٤ ـ أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب؛ وأخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قالا[٧]: حدثنا محمد بن جعفر

---

(١) رجع عوداً على بدءٍ: أي لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه. وهنا كناية عن حالة المتفكر الذي يذهب ويعود وهو يفكر في أمر يشغله.
(٢) الأكّار: الحرّاث، أي من يعمل بحراثة الأرض.
(٣) له، أي للأكّار.
(٤) أي: في نفس الرجل.
(٥) الزبيدِيّة: القارب الصغير.
(٦) الدّواخل: جمع دَوْخَلة: ما يُنسج من الخُوصِ ويُجعَلُ فيه الرُّطب.
(٧) أي: أبو بكر الخطيب، وأحمد بن إبراهيم الكندي. وفي المطبوعة: قال، وهو خطأ.

الخَرائطي، قال: حدثنا إبراهيم بن الجُنيد، قال: حدثنا شيخ من بني عبد القيس، قال: سمعتهم يقولون: إنّ رجلاً أرادَ امرأة عن نفسها، فقالت: أنت قد سمعت الحديث وقرأت القرآن، فأنت أعلم. فقال لها: أغلقي أبواب القَصْر فأغلَقَتْها، فدَنا منها، فقالت: بقي باب لم أغلِقْه. قال: أيّ باب؟ قالت: الباب الذي بينَك وبين الله تعالى. قال: فلم يَعْرِض لها.

٧٣٥ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الْخَبْرِيَّة[1]، قالت: أنبأنا علي بن الحسن بن الفَضْل، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن خالد، قال: أنبأنا ابن المُغيرة الجَوْهَري، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقي، قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، قال: أخبرنا علي بن عَثّام، قال: كان شيخ من أهل الكوفة يُكْنَى أبا الشّعثاء، يُمازح دنانيرَ: جارية ابن كُناسة، ويُظهر لها أنه يَعْشَقُها فقالت فيه:

لأبــي الشعثــاء حُــبٌّ دائــم ... ليــس فيــه تُهمــة للمُتَهِّــمْ
يــا فــؤادي فــازْدَجِــر عنــه ويــا ... عَبَــث الحــبّ بــه فــاقْعُــد وقُــمْ
جــاءَنــي منــه كــلامٌ صــائــدٌ ... ورِســالاتُ المُحبِّيــن الكَلِــمْ
صــائــدٌ تَــأمُنُــه غِــزلانُــه ... مثــل مــا تــأمــنُ غِــزْلانُ الحَــرَمْ
صَــلِّ إنْ أحبَبْــتَ أن تُعطَــى المُنَــى ... يــا أبــا الشعثــاء للّــهِ وصُــمْ
ثــم ميعــادُك بعــدَ المــوتِ فــي ... جنّــةِ الخلــدِ إنِ اللّــهُ رَحِــمْ
حَيــثُ ألقــاك غُــلامــاً نــاشِئــاً ... نــاعمــاً قــد كَمُلَــتْ فيــك النِّعَــمْ

٧٣٦ ـ قال الزّبير: كان عاصماً المبرسَم، وكان من ولد نافع مولى عُمر بن الخطاب، كان يختلف إلى جعفرة جارية الروّاس ويتعشّقها ويُظهر لها مثل ذلك، إلى أنْ خلَت له فساومَها نفسَها، فقالت: سبحان الله يا عاصم، إنّما ظننت حبّك حبّاً إلى النظر والمِزَاح، فأمّا الحرام فلا سبيل إليه، معاذ إلٰهي من ذلك.

٧٣٧ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المحسن التَّنُوخي، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حَيوَيْه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال أنبأنا أبو محمد جعفر بن الفضل العَسْكري، قال: أنبأنا محبوب بن صالح، عن أبيه: أن رجلاً من العرب رأى امرأة، فوقَعَتْ بقلبه فكاتَم بذلك دَهْراً، ثم إنّ الأمر تفاقَم وتمكّنت منه الصَّبَابة واستحقّه الغَرام، فبعثَ إليها يسألها نفسَها ويُخبرها بما هو عليه من حُبِّها. فكتبت إليه: اتّق الله أيّها الرجل وازْعَ على نفسِك، واستحِي من هذه الْهَمَّة التي قد تعلّقْتَ بها، فإنّ ذلك أولَى بذوِي العقول. فلمّا وافاه كتابُها أخذته وَسْوَسةٌ واستولى عليه الشيطان، وجعل الأمر يتزايد حتى زال عقلُه، وكان لا

---

(١) الخَبْرِيّة: نسبة إلى خَبْر، قرية بشيراز من بلاد فارس. انظر: اللباب ١/٤١٨، ولب اللباب ١/٢٧٢.

يعقِل إلاّ ما كان مِنْ حديثها أو ذِكْرها، وكان يُبَكِّر في كلّ يوم فيقفُ على باب الدّار التي تنزلها المرأة، فيقول:

يـــا دارُ حُيِّيــتِ إنْ كـــانَــت تَحِيَّتُنــا ... تُغْنِـي ولـو كـان فـي التَّسليـم إشفـائـي

لا زلــتُ أبكِيـك مـا قــامَـت بنـا قــدَمٌ ... وابغِـي الشِّفَـا بـك مـن سُقْمـي ومِـنْ دائـي

ثم مضى شبيهاً بالهائم على وجهه، فلم يزل على ذلك حتى مات.

٧٣٨ - أخبرنا مَوْهُوب بن أحمد قال: أنبأنا علي بن أحمد بن البُسْري قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحمن المُخَلِّص قال: أنبأنا أحمد بن نصر بن بُحَير قال: حدثنا عبد العزيز بن أحمد بن بكّار قال: حدثني القاسم بن محمد بن الحارث المَروزي، عن أحمد بن زُهير، قال: سمعت ابن المبارك يقول: عَشِقَ هارونُ جاريةً، فأرادها، فذكَرَت أنّ أباه كان مَسَّها، فأُشْغِفَ بها هارون حتى قال:

أرى مــاءً وبــي عطــشٌ شــديــدُ ... ولكــن لا سبيــلَ إلــى الــوُرودِ

أمَــا يكفيــكِ أنّــكِ تملِكِينــي ... وأن النــاسَ كلّهــمُ عَبِيــدي

وأنّــكِ لــو قَطَعْــتِ يــدِي ورجلــي ... لقلــتُ مـنَ الـرضـا: أحسنـتِ زِيـدي

قال: فسأل أبا يوسف عنها، فقال: أَوَ كُلّما قالت جاريةٌ تُصدَّق؟

قال ابن المبارك: ولا أدري ممن أَعْجَب؟ من أمير المؤمنين حيث رَغِبَ عنها، أو منها حيث رَغِبت عن أمير المؤمنين، أو مِنْ أبي يوسف حيث أمر بالهجوم عليها!

٧٣٩ - أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي السوّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم البَصْري، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرني بعض أهل الأَدَب، عن عثمان بن عَمْرو، قال: حدثني عبد الله بن صالح، قال: حدثني بلال بن مرة، قال: بلَغني أنّ أعرابياً خلا بجارية من قومِه، فراوَدَها عن نفسِها، فقالت: ويحك، والله إنْ كان ما تدعوني إليه حِلاً لقد كان قَبِيحاً، قال: فكيف ذلك؟ قالت: والشاهد الله؟! قال: فلم يُعاود.

٧٤٠ - قال ابن خلف: وحدثنا أبو بكر القرشي، قال: حدثني أحمد بن العباس النُّمَيْري، قال: حدثني أبو عثمان التَّيْمي، قال: مرّ رجلٌ براهبةٍ من أجمل النساء، فافتَتن بها، فتلطّف في الصُّعود إليها، فأرادها على نفسِها، فأبَتْ عليه، وقالت: لا تغترَّ بما ترى، فليس قطّ شيء. فأبَى حتى غلَبها على نفسها، وكان إلى جانبها مَجْمَرةُ لُبَانٍ، فوضَعَتْ يدَها فيها، حتى احترقت، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: ما دعاك إلى ما صَنَعْتِ؟ قالت: إنّك لما قَهَرْتَني على نفسِي خِفْتُ أن أشْرَكَك في اللذة فأُشارِكَك في المعصية، ففعلتُ ذاك لذلك. فقال الرجل: والله لا أعصي الله أبداً. وتاب مما كان عليه.

٧٤١ ـ وبلغنا أنّ بعضَ المُتعبِّدات البَصْريات وقعت في نفسِ رجل مُهَلَّبي[١] ـ وكانت جميلة، وكانت تُخطَب فتأبَى ـ فبلغ المُهَلَّبيَّ أنها تُريد الحج، فاشترى ثلاثمائة بعير ونادَى: مَنْ أراد الحج فليكترِ من فلان المهلّبي. فاكترَت منه، فلمّا كان في بعض الطريق جاءها ليلاً، فقال: إمّا أن تُزَوِّجيني نفسك، وإمّا غير ذلك. فقالت: وَيْحك اتقِ الله، فقال: ما هو إلاّ ما تسمعين، والله ما أنا بجمّال، ولا خرجت في هذا إلاّ مِنْ أجلك. فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبَقِيَ في الرجال أحدٌ لم ينم؟ قال: لا. قالت: عُد فانظر. فمضى وجاء، فقال: ما بقي أحدٌ إلاّ وقد نام. فقالت: وَيْحَك أنام ربّ العالمين؟ ثم شَهِقَتْ شهقةً وخَرّت مَيْتة.

وخر المهلّبي مغشياً عليه، ثم قال: ويحي قتلتُ نفساً ولم أبلغ شهوتي فخرَج هارباً.

٧٤٢ ـ وروى الزّبير بن بكّار، قال: حدثني طارق بن عبد الواحد، عن أبي عبد الرحمن المَخْزومي، قال: لقي عُمر بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عوف، وهي تَسِير على بَغْلة لها صادرة[٢] عن الحج، فقال: قِفي أُنْشِدُك بعض ما قلتُ فيك، فقال:

أُجَنُّ[٣] إذا رأيتُ جمال سُعدَى ... وأَبْكي إن رأيتُ لها قَرِينا
ألا يا سُعْدَ إنّ شفاءَ سَقْمِي ... نوالُك إن بَذَلْتِ فنَوِّلِينا[٤]
فقد آنَ الرّحيلُ وحان مِنّا ... فِراقُك فانظُرِي ما تأمُرِينا[٥]

فقالت: آمرُكَ بتقوى الله، وتَرْك ما أنت عليه!

٧٤٣ ـ وروى أبو عبد الله الحُسين بن محمد الدّامَغاني أنّ بعض ملوكِ الأعاجم خرج يتصَيّد وانفرد عن أصحابه، فمرّ بقرية فرأى امرأة جميلة فراوَدَها عن نفسِها، فقالت: إنّي غير طاهرة، فأتطهر وآتي، فدخلَتْ بيتاً لها فأخرجَتْ منه كتاباً، فقالت: انظر في هذا حتى آتي،

---

(١) المُهَلَّبي: نسبة إلى المُهَلَّب بن أبي صفرة. انظر: اللباب ٣/٢٧٦، ولب اللباب ٢/٢٨٣.
(٢) صادرة: أي راجعة.
(٣) في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٩٦: أَحِنُّ.
(٤) هذا البيت في ديوان عمر ص ٣٩٩ هكذا:
ألا يا لَيْلَ، إنّ شفاءَ نَفْسي ... نَوالُكِ، إن بَخِلْتِ فَنَوِّلينا
نوالك: عطاؤك. نوِّلينا: أي امنحينا قربك الذي نتمناه.
(٥) هذا البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٩٦ هكذا:
وقد أَفِدَ الرحيلُ فقُل لِسُعْدى ... لَعَمْرُكِ خبِّري ما تَأْمُرينا
أَفِد الرحيل: اقترب وقته.
* تنبيه: ذكر المصنف الأبيات الثلاثة معاً، بينما في ديوان ابن أبي ربيعة: البيت الأول والثالث معاً ـ مع اختلاف الألفاظ كما ذكرنا ـ ص ٣٩٦، وأما البيت الثاني فهو مذكور بمفرده ص ٣٩٩.

فنظر فيه، فإذا فيه ذكر العقوبة على الزِّنا، فلَها عن المرأة وخرَج فركِب. فلمّا جاء زوجُها أخبرَتْه الخبر، فكَرِه أن يَقْرَبها مخافةَ أن يكون للملِك فيها حاجة، فاعتزلَها، فاستَعْدى عليه أهلُها إلى الملك، فقالوا: أعزّ الله الملِك، إنّ لنا أرضاً في يدِ هذا الرجل فلا هو يَعْمُرها ولا هو يردُّها علينا، فقد عطّلها. فقال له الملِك: ما تقول؟ قال: إنّي رأيتُ في هذه الأرض أثر الأسد وأنا أتخوَّف الدخولَ منه. ففهم الملك الأمر، فقال: عمِّر أرضك فإنّ الأسد لا يدخلُها، ونِعْم الأرضُ أرضُك.

٧٤٤ ـ كتب أَسْبَهْدُوْدَست الدَّيْلَمِيّ الشاعر إلى امرأة في صِباه:

مـا تقـولـيـن فـي فتًـى يهـواكِ	ومُنَـاهُ فـي كـلّ وقـت يـراكِ
قـد تخلّـى بـالهـمّ فيـك ومـا يفـ	ـتُـر منـه اللّسـان عـن ذِكْـراكِ

فأجابته:

لستُ ممـن يَبْغِي الـوصـال حـرامـاً	إنّ فِعْـلَ الحـرام كـالإشـراكِ
إن طلبْـتَ الحـلالَ منّـا أَطَعْنَـا	ك وإلاّ فـاعـدِل إلـى الإمْ ـساك
إنّ خيـرَ الأعمـالِ مـا كـان عُقبـا	هُ نجـاةً مِـنَ الأذى والهَـلاكِ

* * *

البَابُ الثّالِثُ والثّلاثُونَ

في الحَثّ علَى النّكَاحِ

٧٤٥ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد الشَّيْباني، قال: أنبأنا الحَسن بن علي التَّمِيمي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: حدثنا يعلى بن عُبيد:

وأخبرنا عبد الأوّل، قال: أنبأنا الدّاودي، قال: أنبأنا ابن أَعْيَن، قال: حدثنا الفَرَبْري، قال: حدثنا البُخاري، قال: حدثنا عُمر بن حفص، قال: حدثنا أبي:

وأخبرنا أبو بكر الزَّاغوني، قال: أنبأنا أبو الفتح الشّاشي:

وأخبرنا أبو عبد الرحمن المَرّوزي، قال: أنبأنا أبو عبد الله الفَرَاوِي:

قالا[١]: أنبأنا عبد الغَافر الفارسي، قال: أنبأنا ابن عَمْرَوَيه، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: حدثنا مسلم بن الحجاج، قال: حدثنا عثمان بن أبي شبة، قال: حدثنا جرير:

وأخبرنا الكَرُوخي قال: أنبأنا الأزدي والغُوَرجي قالا: أنبأنا الجرَّاحي قال: حدثنا المَحْبُوبي قال: حدثنا التِّرمذي قال: حدثنا محمود بن غَيْلان قال: حدثنا أبو أحمد قال: حدثنا سفيان:

قالوا[٢]: أنبأنا الأعمش، عن عُمارة بن عُمَير، عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: قال عبد الله: كنا مع رسول الله ﷺ شباباً ليس لنا شيء، فقال: «يا معشر الشباب، مَنِ استطاع منكم البَاءَة فليتزوج، فإنّه أغضُّ للبصر وأحصَنُ للفرَج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم فإنّ الصوم له وِجاء»[٣].

---

(١) أي: الشاشي والفراوي.

(٢) أي: يعلى بن عُبيد، وحفص بن غياث، وجرير، وسفيان.

(٣) رواه البخاري (١٩٠٥) و (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، وأبو داود (٢٠٤٦)، والترمذي (١٠٨١)، والنسائي ٦/٥٧، وابن ماجة (١٨٤٥)، والدارمي (٢١٦٥ ـ ٢١٦٦). وأحمد في المسند (٣٥٨١، ٤٠١٣، ٤٠٢٥، ٤١٠١، ٤٢٥٩).

قال الخطّابي: الباءة كناية عن النّكاح، وأصل الباءة الموضع الذي يَأْوِي إليه الإنسان، ومنه اشتقّ مباءة الغنَم، وهو المِراح الذي تأوي إليه بالليل. والوِجاء رَضُّ الأُنْثَيَيْن، والخِصاء نَزْعُهما.

وفي الحديث دليل على جواز التعالج لقطع الباءة بالأدوية، لقوله «فلْيَصُمْ»[١].

٧٤٦ ـ أخبرنا ابن الحُصين قال: أنبأنا ابن المُذْهب قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا حجاج قال: حدثنا ليث قال: حدثني عُقَيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني سَعيد بن المسيب، أنّه سمع ابن أبي وَقّاص قال: أراد عُثمان بن مَظْعُون أن يَتَبَتّل، فنهاه النّبيّ ﷺ، ولو أجاز له ذلك لاخْتَصَيْنا. أخرجه البخاري ومسلم والذي قبله[٢].

والتَّبَتّل: الانقطاع إلى العِبادة عن النكاح، ومنه طلقةٌ بَتْلة، وقيل لمريم: «البتول»، لانقطاعها عن الأزواج.

٧٤٧ ـ أخبرنا ابن الحُصَيْن، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا القَطِيعِي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا محمد بن راشد، عن مكحول، عن رجل، عن أبي ذَرّ، قال: دخل على رسول الله ﷺ رجل يُقال له: عَكّاف بن بِشْر التَّميمي[٣]، فقال له النّبيّ ﷺ: «يا عَكّاف هل لك من زوجة؟ قال: لا. قال: ولا جارية؟ قال: لا. قال: وأنت مُوسر؟ قال: وأنا موسر. قال: أنت إذن مِنْ إخوان الشّياطين. لو كنتَ مِنَ النصارى كنتَ من رُهْبَانِهم، إنّ سنّتَنا النّكاح، شِراركم عُزّابكم وأراذل موتاكم عزّابكم. أَبِالشياطين تَمَرّسُون[٤]؟ ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصّالحين مِنَ النِّساء، إلاّ المُتزوِّجون أولئك المطهّرون المبرَّؤون مِنَ الخنا[٥]، ويحك[٦] يا عكاف! إنهنّ صَوَاحب أيوب وداود ويوسف وكرسف. فقال له بِشر بن عَطِيّة: ومن كرسف يا رسول الله؟

(١) انظر معالم السنن للخطابي ٢/٥٣٨ المطبوع على هامش سنن أبي داود، تحقيق عزّت الدعّاس وعادل السيد.

(٢) رواه البخاري (٥٠٧٣ ـ ٥٠٧٤)، ومسلم (١٤٠٢)، والترمذي (١٠٨٣)، والنسائي ٦/٥٨، وابن ماجه (١٨٤٨)، والدارمي (٢١٦٧)، وأحمد في المسند (١٥١٧ ـ ١٥٢٨ ـ ١٥٩١).

(٣) ويقال: عكّاف بن وداعة الهلالي ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/٤٩٥، ثم قال بعدما ذكر القصة المذكورة هنا باختصار ومن عدة طرق، كما سيأتي: «فاتفقت الطرق الأوَل على أنه عكاف بن وداعة الهلالي، وشذ محمد بن راشد فقال: عكاف بن بشر التميمي..».

(٤) تمرّس: احتكّ ومسح.

(٥) الخَنا: الفحش والميل.

(٦) وَيْح: كلمة تأنيب وزجر.

قال: رجل كان يعبدُ الله بساحل البحر ثلاثمائة عام، يصوم النّهار ويقوم الليل، ثم إنّه كفَر بالله العظيم في سبب امرأة عَشِقها، وترَكَ ما كان عليه من عبادة الله عزّ وجلّ، ثم استدركه الله تعالى ببعض ما كان فيه فتاب عليه، ويحك يا عكّاف! تزَوّج، وإلاّ فأنت من المُذَبْذِبين، قال: زوِّجني يا رسول الله، قال: قد زوجتك كريمة بنت كلثوم الحِمْيَري»[1].

٧٤٨ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت: قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد المُزَنِي، قال: أنبأنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثَنّى، قال: حدثنا الحُسين بن الحسن الشَّيلَماني[2]؛ قال: حدثنا خالد بن إسماعيل المَخْزُومي، قال: حدثنا عبد الله بن عُمر، عن صالح بن أبي صالح مولى التَّوْأَمَة، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّما شاب تزوج في حَداثة سِنّه عجَّ[3] شيطانُه: يا وَيْلَه عصَم مِنِّي دِينه»[4].

٧٤٩ ـ أخبرنا هِبة الله بن أحمد الحَرِيري، قال: أنبأنا أبو إسحاق البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو بكر بن بَخِيت، قال: حدثنا إسماعيل بن مُوسى، قال: حدثنا جُبَارة، قال: حدثنا مُنْدَل[5]، عن يحيى بن عبد الرحمن بن [أبي] لَبِيبة، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أدرَك له ولدٌ وقد بلَغ النّكاح، وعنده ما يُزَوِّجه فلم يُزَوِّجْهُ فأَحْدَث، فالإثم بينهما»[6].

---

(١) حديث ضعيف. رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٩٣٩)، وفي إسناده: محمد بن راشد: صدوق يهم ورُمي بالقدر. والراوي عن أبي ذر: مبهم لم يُسَمّ. وقد ورد الحديث من طرق أخرى ذكرها ابن حجر في الإصابة ٢/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ وقال: «والطرق المذكورة كلها لا تخلو من ضعف واضطراب».

(٢) الشَّيْلَماني: نسبة إلى شَيْلَمان مدينة بجَيْلان. انظر: الأنساب ٣/ ٥٠٤، ولب اللباب ٢/ ٦٦.

(٣) العَجُّ: رفع الصوت. والمعنى أن شيطانه رفع صوته قائلاً: يا ويله...

(٤) حديث موضوع. عزاه السيوطي في الجامع الصغير ٣/ ١٤١ لأبي يعلى، ورمز لضعفه. وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٣ لأبي يعلَى والطبراني في الأوسط، ثم قال: «وفيه: خالد بن إسماعيل المخزومي، وهو متروك». وقال المناوي في فيض القدير ٣/ ١٤١ بعدما ذكر كلام الهيثمي: «قال ابن الجوزي: تفرد به خالد ـ يقصد: ابن إسماعيل المخزومي ـ، وقال ابن عدي: يَضَع، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال».

(٥) مَندل: بفتح الميم وضمها وكسرها. قال الحافظ ابن حجر: مثلث الميم، ساكن الثاني. التقريب (٦٨٨٣).

(٦) حديث واهٍ، مسلسل بالضعفاء، والمتكلَّم فيهم، وهم:
ـ إسماعيل بن موسى الفزاري، أبو محمد أو أبو إسحاق، الكوفي، صدوق يخطىء. التقريب (٤٩٢).
ـ جُبَارة: هو ابن المُغَلِّس الحِمَّاني، أبو محمد الكوفي: ضعيف. التقريب (٨٩٠).
ـ مُندل بن علي العَنَزِي، أبو عبد الله، يُقال: اسمه عَمرو، ومَندل لقب، ضعيف. التقريب (٦٨٨٣).=

٧٥٠ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور قال: أنبأنا عبد القادر بن يوسف قال: أنبأنا أبو بكر الخيّاط قال: أنبأنا أبو الفتح بن أبي الفَوَارس قال: أنبأنا أحمد بن جعفر الخُتَّلي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المَروزي قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: المرأة شطر دِين الرجل.

٧٥١ ـ قال المَروزي: وسمعت أبا عبد الله يقول: ليس العُزوبية مِنْ أمرِ الإسلام في شيء.

النبي ﷺ تزوج أربع عشرة ومات عن تسع.

ثم قال: لو كان بشر بن الحارث قد تزوج كان قد تمّ أمره كلّه، لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجُّوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا. فقد كان النبيّ ﷺ يصبح وما عندهم شيء ويُمسي وما عندهم شيء، ومات عن تسع، وكان يختار النكاح ويحثّ عليه.

ونهَى النبيّ ﷺ عن التَّبَتّل، فمَن رَغِب عن فعلِ النَّبيّ ﷺ فهو على غير الحق.

ويعقوب في حزنه قد تزَوّج ووُلِدَ له.

والنبيّ ﷺ قال: «حُبِّب إليّ النساء»(١).

قلتُ: فإنّ إبراهيم بن أدهم يُحكَى عنه أنه قال: لرَوْعة صاحب عِيال. . . فما قدرتُ أنْ أُتِمّ الحديث، حتى صاح بي وقال: وَقَعْنا في بُنيّات الطريق، انظر ـ عافاك الله ـ ما كان عليه محمد وأصحابه. وقال: لَبكاء الصبي بين يدي أبيه متسخِّطاً يطلب منه خُبزاً أفضل من كذا وكذا، أين يلحق المُتعبِّد العزَبُ!

٧٥٢ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين الجَازِري، قال: حدثنا المُعافَى بن زكريا، قال: حدثنا أبو بكر بن الأَنْباري، قال: حدّثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن الربيع الخزّاز، قال: حدثني يونس بن بُكير الشيباني، قال: حدثني أبو إسحاق، عن السّائب بن جُبير ـ مولى ابن عباس، وكان قد أدرك أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال: ما زلت أسمع حديث عُمر بن الخطاب أنه خرج ذات

= ـ يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لَبِيبة: قال يحيى بن معين عنه: ليس بشيء. ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٣.
ـ عبد الرحمٰن بن عطاء بن أبي لبيبة، أبو محمد الذارع، صدوق فيه لين. التقريب (٣٩٥٣).

(١) حديث حسن بطرقه. رواه بهذا اللفظ: النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد في المسند (١٢٦٤٤)، والحاكم في المستدرك ٢/ ١٦٠. ورواه بلفظ: حُبِّب إليّ من الدنيا النساء والطِّيب وجُعِلت قرة عَيْني في الصلاة. النسائي (٣٩٣٩)، وأحمد في المسند (١١٨٨٤ ـ ١١٨٨٥ ـ ١٣٦٢٣)، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/ ١٢٥. وانظر صحيح الجامع (٣١٢٤) وتخريج المشكاة (٥٢٦١).

ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيراً، إذ مرَّ بامرأة من نساء العرب مغلقة عليها بابها، وهي تقول:

تطاوَلَ هذا الليلُ تَسْري كواكِبُه[1] وأرَّقَني أنْ لا ضَجيعَ أُلاَعِبُهْ
أُلاعِبُه طَوْراً وطَوْراً كأنما بَدَا قمراً في ظلمةِ الليلِ حاجِبُهْ
يُسَرُّ به مَنْ كان يلهو بقُرْبِه لطيفُ الحَشا لا تجتويه أقارِبُه
فواللهِ لولا اللهِ لا شيءَ غيرُه لَنُقِّضَ مِنْ هذا السَّريرِ جوانِبُهْ
ولكنَّني أخشَى رَقِيباً مُوَكَّلاً بأنفُسِنا لا يَفْتُرُ الدَّهرَ كاتِبُهْ

ثم تنفَّسَت الصُّعداء، وقالت: لَهان على عُمر بن الخطاب وَحْشَتي وغَيْبة زَوْجِي عنّي! وعُمر واقف يستمع قولها. فقال لها: يرحمك الله يرحمك الله! ثم وجه إليها بكسوة ونفقة، وكتَب في أن يَقْدُم عليها زوجُها[2].

فصل: ويستحب لمن أراد النِّكاح النظر إلى المنكوحة.

٧٥٣ ـ فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «من أراد أن يتزوج امرأة فلينظر منها ما يدعوه إلى نِكاحِها، فذلك أحرَى أن يُؤْدَمَ بينهما»[3].

وينبغي له أن يتخَيّر صاحبة الدِّين مع الحُسْن.

---

(١) في مسند الفاروق لابن كثير ١/٤٢٢: هذا الشطر هكذا: تطاول هذا الليل واْسْوَدَّ جانبه.

(٢) انظر: مسند الفاروق ١/٤٢٢، وتفسير القرطبي ٣/١٠٨. قال ابن كثير بعد القصة: «وفيه: فقال عمر لحفصة: يا بُنَيَّة، في كم تحتاج المرأة إلى زوجها؟ قالت في ستة أشهر: فكان لا يُغْزِي جيشاً أكثر منها».

(٣) هذا الحديث جمع فيه المصنف بين حديثَين.

الأول: عن جابر مرفوعاً: إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل.

والثاني: عن المغيرة بن شعبة قال: خطبتُ امرأةً على عهد رسول الله ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: أَنَظَرْت إليها؟ قلت: لا. قال: فانظر إليها فإنه أَجْدَر أن يُؤْدَم بينكما. (لفظ النسائي).

* أما الحديث الأول فحديث حسن: رواه أبو داود (٢٠٨٢)، وأحمد في المسند (١٤١٧٦ ـ ١٤٤٥٥)، والحاكم في المستدرك ٢/١٦٥، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/٨٤، وفي إسناده: محمد بن إسحاق: صدوق مدلّس، لكن صرّح بالسماع عند أحمد. وفيه: واقد بن عبد الرحمن، مجهول، لكن الصواب أنه واقد بن عَمْرو، وهو ثقة من رجال مسلم، رواه على الصواب جماعة. وانظر إرواء الغليل ٦/٢٠٠ ـ ٢٠١.

* وأما الحديث الثاني: فحديث صحيح رجاله كلهم ثقات. رواه الترمذي (١٠٨٧)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، والدارمي (٢١٧٢)، وأحمد في المسند (١٧٦٧١ ـ ١٧٦٨٨)، والدارقطني في سننه ٣/٢٥٢، وأبو داود الطيالسي في مسنده (١١٨٦).

٧٥٤ ـ فقد قال عليه الصلاة والسلام: «فاظفر بذات الدِّين تَرِبَتْ يداك»[(١)].

فأمّا مَنِ ابتُلي بالهوَى فأراد التّزوِيج فليجتهد في نِكاح المرأة التي ابتُلي بها، إنْ صحّ له ذلك وجاز، وإلاّ فليختر ما يظنّه مُسَلِّياً له عن ذلك، وهو ما يقع بقلبه عند رؤيته، وعلامة ذلك أنّه إذا رأىَ الشخص تَشَبَّثَ بقلْبِه وجَمُد نظره عليه، فلم يكَد يُقلع عنه، فهذه علامة المَحبّة.

٧٥٥ ـ وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا أبو نَعيم أحمد بن عبد الله، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، قال: حدثنا عبد الجبّار بن أبي عامر السَّيْلَحِيني[(٢)]، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا خالد بن سلاّم الخَثْعَمِي، قال: حدثنا عطاء الخُرَاساني، قال: مكتوب في التوراة: كلّ تزويج على غير هوًى حسرةٌ وندَامة إلى يومِ القيامة.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦)، وأبو داود (٢٠٤٧)، والنسائي (٣٢٣٠)، وابن ماجه (١٨٥٨)، والدارمي (٢١٧٠)، وأحمد في المسند (٩٢٣٧).

(٢) السَّيْلحِيني: نسبة إلى سَيْلَحِين، قرية بسَواد العراق قديمة. انظر: الأنساب ٣/ ٣٦٢، ولب اللباب ٢/ ٤٠.

البَابُ الرَّابعُ والثّلاثُونَ

في ذَمِّ مَنْ خَبَّبَ امرأةً عَلَى زَوْجِهَا

٧٥٦ ـ أخبرنا إسماعيل بن أبي صالح المُؤَذِّن، قال: أنبأنا عبد الله بن علي بن إسحاق الفَقيه، قال: أنبأنا أبو حسان محمد بن أحمد المُزَكِّي، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن العَطّار، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن إسحاق، قال: حدثنا الحَسن بن سُليمان المِصْري، قال: حدثنا عثمان بن محمد، قال: حدثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، أنّ رسول الله ﷺ، قال: «من خبَّب امرأة على زَوْجها فليس منا»(١).

٧٥٧ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن شَهْرَيَار، قال: أنبأنا سليمان بن أحمد الطَّبَراني، قال: حدثنا عبد السلام بن سهل السُّكّري، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأَزْدي، قال: حدثنا أبو تُمَيْلة يحيى بن واضح، عن أبي طيبة(٢) الخُرَاساني، قال: حدثنا أبو مِجْلَز(٣)، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من خبَّب امرأة على زوجها أو عبداً على مَوَاليه فليس منا»(٤).

٧٥٨ ـ أخبرنا ابن الحُصين؛ قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا

---

(١) حديث حسن بطرقه، فيه عثمان بن محمد، مقبول كما قال الحافظ في التقريب، وهذا يعني إذا تُوبع، وقد توبع متابعة قاصرة، ولكنها تؤدي المطلوب وترفع حديثه إلى الحسن. وانظر الحديث الآتي.

(٢) في المطبوعة: عن أبي ظبية، والمثبت كما في مجمع الزوائد ٥/ ٧٧ والتقريب (٣٦١٧).

(٣) أبو مِجْلَز: لاحِق بن حُميد السَّدُوسي البصري، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، مات سنة (١٠٦) هـ. التقريب (٧٤٩٠).

(٤) حديث حسن بطرقه وبشواهده. عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٧٧ للطبراني في الكبير والصغير (٦٩٨)، ثم قال: «وفيه أبو طيبة عبد الله بن مسلم، وثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف، وبقية رجاله ثقات» وأبو طيبة قال عنه في التقريب (٣٦١٧): «صدوق يَهِم». وذكره أيضاً في المجمع ٤/ ٣٣٢ وعزاه للطبراني في الأوسط والصغير ثم قال: «وفيه محمد بن عبد الله الرازي ولم أعرفه وبقية رجاله وثّقوا».

الوليد[1] بن ثعلبة، عن عبد الله بن بُرَيْدة[2]، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منّا من حلَف بالأمانة، ومَن خبّب على امرىءٍ زوجتَه أو مملوكَه فليس منا»[3].

٧٥٩ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا علي بن الحُسين بن أحمد العُكْبَري، قال: أنبأنا الحَسن بن أحمد الفارسي، قال: أنبأنا محمد بن محرز الأَدَمِيّ، قال: حدثنا محمد بن الفضل بن سلمة، قال: حدثنا محمد بن معاوية، قال: حدثنا أبو الطيِّب، عن يحيى بن سَعيد، عن سَعيد بن المُسَيّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أفسد امرأة على زوجِها فليس منّي، ومَن أفسد عبداً على سيِّده فليس منّي»[4].

٧٦٠ ـ أخبرنا ابن الحُصَيْن، قال: أنبأنا أبو علي التَّميمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو الجَوَّاب، قال: حدثنا عمار بن رُزَيق، عن عبد الله بن عيسى، عن عكرمة، عن يحيى بن يَعْمُر، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خبَّب خادماً على أهلها فليس منّا، ومَنْ أفسد امرأة على زَوْجها فليس منا»[5].

٧٦١ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: حدثنا القاضِي أبو الحُسين التَّوَّزي، قال: أنبأنا عُمر بن شَاهين، قال: حدثنا إسماعيل بن عليّ، قال: أنبأنا يونس، قال: حدثنا رَوْح بن أَسْلم، قال: أنبأنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السّائب، عن مَيْسَرة، قال: كان رجلٌ من بني إسرائيل من عبّاد بني إسرائيل يعمل

---

(١) في المطبوعة: أبو الوليد، وهو خطأ، وإنما هو الوليد. كما سيأتي في المصادر.
(٢) في المطبوعة: عبد الله بن يزيد، وهو خطأ، وإنما هو ابن بُرَيْدَة كما أثبتناه.
(٣) حديث صحيح، رواته كلهم ثقات. رواه أحمد في المسند ٥/٣٥٢، والحاكم في المستدرك ٤/٢٩٨ وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه الكبرى ١٠/٣، وابن حبان في صحيحه (٤٣٦٣). وعزاه الهيثمي المجمع ٤/٣٣٢ لأحمد والبزار، ثم قال: «ورجال أحمد رجال الصحيح، خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة».
(٤) حديث صحيح، انظر الهامش الآتي.
(٥) حديث صحيح، رجاله كلّهم ثقات. رواه أبو داود (٧٥٩). والنسائي في كتاب عشرة النساء، من سننه الكبرى، وأحمد في المسند ٢/٣٩٧، والحاكم في المستدرك ٢/١٩٦ وصححه ووافقه الذهبي والبيهقي في سننه الكبرى ٨/١٣، وفي الآداب (٨٠)، وابن حبان في صحيحه (٥٦٨) و (٥٥٦٠).
قلت: وفي الباب: عن ابن عباس، عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٢٦٥ لأبي يعلى والطبراني في الكبير، ثم قال: «ورجال أبي يعلى ثقات».
وذكره أيضاً في المجمع ٨/٣٣٢ وعزاه للطبراني في الأوسط، وقال: «وفيه عثمان بن مطرف، وهو ضعيف».

بالمِسْحَاة[1]، وكانت له امرأةٌ من أجمل نساء بني إسرائيل، فبلَغ جبّاراً من جَبَابِرة بني إسرائيل جمالُها، فأرسل إليها عجوزاً فقال: خَبّبيها عليه، وقولي لها: تَرْضِيْنَ أن تكوني عند مثل هذا الذي يعمل بالمِسْحَاة؟! ولو كنتِ عندي لحلَّيتُكِ بالذّهب، وكَسَوْتك بالحَرير، وأخدمتك الخدَم. يعني: فقالت لها.

وكانت تُقَرِّب إليه فِطْره وتفرُش له فِراشاً، فلم تَفْعَل، وتَغَيَّرت عليه، فقال: يا هَنَتاه[2]، ما هذا الْخُلُق الذي لا أعرفه؟ قالت: هو ما ترى. قال: فطلّقها، فتزوّجها جبّار بني إسرائيل، فلمّا دخلت عليه وأُرْخِيَت السّتور عَمِي وعَمِيَت، فأهوَى بيدِه ليلمِسَها فجَفّت يَدُه، وأهوَتْ بيدِها تَلْمِسُه فجفّتْ يدُها، وصُمَّا وخَرِسا، ونُزِعَتْ منهما الشهوة. فلمّا أصبحا رُفِعَتْ الستورُ فإذا هم صمٌّ عميٌ خُرسٌ. فرُفِع خبرُهما إلى نبيّ بني إسرائيل، فرَفع خبرهما إلى الله تعالى، فقال: إني لستُ أغفر لهما أبداً. ظنّا أنْ ليس بِعَيْني ما عَمِلا بِصاحِبِ المِسْحَاة؟!

* * *

وقد رُوِيَت لنا هذه الحكاية عن سَلْمان الفارسي.

٧٦٢ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: أنبأنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المُقتدر بالله، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور اليَشْكُرِيّ، قال: حدثنا أبو عبد الله بن عَرَفة، قال: حدثني محمد بن موسى الشامي، قال: حدثنا رَوْح بن أَسْلم، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن أبي البُخْتُري، عن سَلمان، قال: كان في بني إسرائيل امرأةٌ ذات جمال، وكانت عند رجل يَعْمَلُ بالمِسْحَاة، وكان إذا جاء بالليل قَدّمت طعامَه وفَرَشَتْ له فِرَاشه. فبلغ خبرَها ملكُ ذلك العَصْر، فبعث إليها عجوزاً من بني إسرائيل، فقالتِ لها: ما تصنعين بهذا الذي يَعْمل بالمسحاة؟ لو كنتِ عند الملك لكَساك الحريرَ وفرَشك الدِّيباج. فلما وقع الكلامُ في مسامعها جاء زوجُها بالليل، فلم تُقَدِّم له طعامَه ولم تفرشْ له فِراشه، فقال لها: ما هذا الخلُق يا هَنَتاه؟ فقالت: هو ما ترى. فقال: أُطَلِّقك؟ قالت: نعم. فطلَّقها فتزوجها ذلك المَلِك، فلمّا زُفَّتْ إليه نظر إليها فعَمِي، ومدّ يدَه إليها فجَفَت، فرَفع نبيُّ ذلك العصر خبرَهُما إلى الله عزّ وجلّ، فأوْحَى اللَّهُ تعالى إليه: أَعْلِمْهمَا أنّي غَير غافر لهما، أما عَلِما أنَّ بِعَيْنِي ما عَمِلا بصاحب المِسْحَاة؟!

٧٦٣ ـ أخبرنا المُحَمَّدان: ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا: أنبأنا حمد بن أحمد قال: حدثنا أبو نُعَيم أحمد بن عبد الله بن الحافظ قال: حدثنا محمد بن أحمد قال: حدثنا

---

(١) المِسْحاة: آلة كالمنجل.

(٢) من الهناءَة والطيبة في العيش.

عبد الله بن محمد قال: حدثنا أبو زُرْعة قال: حدثنا سَعِيد بن أسَد قال: حدثنا ضَمْرة، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، قال: كان أبو مسلم الخَوْلاَني[1] إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبَّر على باب منزله، فتُكبِّر امرأته، فإذا كان في صَحْن داره كبَّر فتُجيبُه امرأتُه، فإذا بلَغ باب بيته كبَّر فتجِيبُه امرأته. فانصرَف ذات ليلة فكبّر عند باب داره فلم يُجِبْه أحد، فلمّا كان في الصَّحْن كبَّر فلم يُجِبْه أحد، فلما كان في باب بيته كبَّر فلم يُجِبْه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأتُه رداءَه ونعلَيْه ثم أتته بطعامِه.

قال: فدخلَ فإذا البيتُ ليس فيه سِراج، وإذا امرأتُه جالسةٌ في البيت مُنكِّسَة[2] تنكُت بعود معها. فقال لها: ما لَكِ؟ فقالت: أنت لك منزلةٌ من معاوية، وليس لنا خادم، فلو سألته فأَخْدَمنا وأَعْطَاك. فقال: اللهمّ مَن أفْسَد عَلَيَّ امرأتي فأَعْمِ بصره.

قال: وقد جاءَتْها امرأةٌ قَبْل ذلك فقالت: زوجُك له منزلة من معاوية، فلو قلتِ له يسأل معاوية يُخْدِمَه ويُعطيه، عُشْتُم. قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتِها إذْ أنكرت بصرَها، فقالت: ما لِسِراجكم طُفِىء؟ قالوا: لا. فعرَفت ذنْبَها، فأقبَلَتْ إلى أبي مُسلم تَبْكِي تسأله أنْ يدعوَ اللّهَ عزّ وجلّ لها يردّ عليها بصرَها. قال: فرَحِمَها أبو مسلم فدَعا الله عزّ وجلّ لها فردَّ عليها بصرَها.

* * *

(١) هو التابعي العابد الثقة الزاهد، أبو مسلم الخَوْلاني، عبد الله بن ثُوَب، رحل إلى النبي ﷺ فلم يُدْركه، وعاش إلى زَمَن يزيد بن معاوية. انظر التقريب (٨٣٦٧).

(٢) أي مطأطأة رأسها إلى الأرض.

البَابُ الخَامِسُ والثّلاثُونَ

في ذِكْرِ ماهِيّةِ العِشْقِ وحَقِيقَتُه

اختلف كلام النّاس في ذلك، وأكثرهم سمَّوه باسم سَبَبِه أو باسم ما يؤول إليه[1].

ذكر كلام الأوائل في ذلك

٧٦٤ ـ قال أفلاطون: العِشْق حركة النفس الفارغة بغير فكرة.

٧٦٥ ـ وسُئِل يوذَجانس عن العِشْق، فقال: سوء اختيار صادَف نفساً فارغة.

٧٦٦ ـ وقال أرسطاطاليس: العِشق هو عمىَ الحِسّ عن إدراك عيوب المحبوب.

٧٦٧ ـ وقال فيثاغورس: العِشق طمعٌ يتولد في القلب، ويتحرّك وينمَى، ثم يتربّى ويجتمع إليه مواد من الحِرْص، فكلّما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللّجَاج، والتمادِي في الطَّمَع، والفِكر في الأماني، والحِرْص على الطلب، حتى يؤدّيَه ذلك إلى الغَمِّ المُقْلق.

٧٦٨ ـ وفي هذا المعنى قال المتنبِّي:

ومـا العِشْـقُ إلاّ غِـرّةٌ وطمـاعـةٌ ... يُعـرِّض قلـبٌ نفسَـه فيُصـابُ

٧٦٩ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا أبو القاسم الأزَجِي، قال: أنبأنا محمد بن العباس، قال: حدثنا أبو بكر بن المَرْزُبان، قال: قال سقراط الحكيم: العِشق جنون، وهو ألوان كما أنّ الجنون ألوان.

٧٧٠ ـ أنبأنا ابن خيرون، قال: أنبأنا أبو بكر الخطيب، قال: أنبأنا علي بن أيوب، قال: أنبأنا محمد بن عمران، قال: أخبرني المظفّر بن يحيى، قال: قال بعضُ الفلاسفة: لم أرَ حقاً أشبه بباطل، ولا باطلاً أشبه بحقّ، من العِشق. هَزْلُه جِدّ، وجِدّه هَزْل، وأوله لعب وآخره عطَب.

٧٧١ ـ قال ابن عمران، وأخبرني أحمد بن يحيى، قال: حدثنا أبو العَيْنَاء، قال: حدثنا

---

(١) انظر في هذا الموضوع: روضة المحبين ص ١٥٣ ـ ١٥٧، وكليات الكفوي ص ٣٩٨.

ابن عائشة، قال: قلتُ لطبيبٍ كان مَوْصُوفاً بالحِذْق: ما العِشْقُ؟ قال: شغل قلب فارغ.

* * *

قلت: وقد ذهب بعضهم إلى أنه مرضٌ وسواسِيّ شبيه بالمالِيْخُولْيَا.

ذكر كلام الإسلاميين في ذلك

٧٧٢ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد الإِبَرِي[١]، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: أنبأنا أبو عليّ محمد بن الحُسين الجازِرِيّ، قال: حدثنا أبو الفرج المُعافَى بن زكريا الجريري، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المقرىء، قال: حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب، قال: حدثنا أبو العالِيَة الشّامي، قال: سأل أميرُ المؤمنين يحيى بن أكثم عن العِشق ما هو؟ فقال: هو سَوَانِح[٢] تَسْنَح للمرءِ، فيهتمُّ بها قلبُه وتُؤْثِرها نفسه.

قال: فقال له ثُمامة: اسكت يا يحيى، إنّما عليك أنْ تُجيب في مسألةِ طلاقٍ أو مُحْرِمٍ صاد ظَبْياً أو قتَل نملة، فأمّا هذه فمسائلنا نحن. فقال له المأمون: قُل يا ثُمامة ما العِشق؟ فقال له ثُمامة: العِشق جليسٌ مُمْتِع، وأليفٌ مُؤْنس، وصاحب مُلْكٍ، مسالكه لَطِيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامُه جائِرَة، ملَك الأبدان وأَرْوَاحَها، والقلوبَ وخواطِرها، والعُيونَ ونواظِرَها، والعُقولَ وآراءها، وأُعطي عِنَان[٣] طاعتها وقَوْدَ تصرّفها، تَوارَى عن الأبصارِ مدخلُهُ، وعَمِيَ في القلوبِ مسلكُه. فقال له المأمون: أحسنتَ والله يا ثُمامة، وأمَر له بألف دينار.

٧٧٣ ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن عبد الله المُقْرىء قال: أنبأنا محمد بن جعفر بن هارون التَّميمي قال: أنبأنا أبو رَوْق الهِزّاني[٤] قال: حدثنا الفضل بن يعقوب قال: لما اجتمع ثُمامة بن أَشْرَس ويحيى بن أَكْثَم عند المأمون، قال ليحيى: خَبّرني عن العِشْق ما هو؟ قال: يا أمير المؤمنين: سَوانِح تَسْنَح للعاشق يُؤْثرها ويهيم بها تسمّى عشقاً.

فقال له ثُمامة: يا يحيى أنت في مسائل الفقه أبصَرُ منك بهذا، ونحن بهذا أحذَقُ منك.

---

(١) الإِبَرِيّ: نسبة إلى بيع الإِبَر وعملها، وهي جمع إِبْرَة التي يُخاط بها. ومن المشهور بهذه النسبة أبو نصر أحمد بن الفرج ابن عم الدِّيْنَوَري الإبري، وابنته شهْدة. انظر: الأنساب ١/٧٣، واللباب ١/٢٥.

(٢) سَوَانح: عَوَارِض، أي أمور عارضة وفِكَر تخطر على باله.

(٣) العِنان: ما يوضع للفَرَس كاللِّجام.

(٤) الهِزّاني: نسبة إلى هِزّان بَطْن من العَتِيك من ربيعة. انظر: اللباب ٣/٣٨٧، ولب اللباب ٢/٣٢٨.

قال المأمون: فهات ما عندك. فقال: يا أمير المؤمنين إذا امتزجَتْ جواهِرُ النّفوس بوَصْل المُشاكلة نتَجَت لَمْحَ نورٍ ساطع تستضيءُ به بَوَاصِر[1] العَقْل، ويَتَصوّر من ذلك اللَّمْحُ نورٌ خاص بالنفس مُتّصِل بجواهرها يُسمّى عشقاً. فقال له المأمون: هذا وأبيك الجواب.

٧٧٤ ـ أنبأنا أحمد بن الحسن بن البَنّا، قال: أنبأنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحُسين، قال: أنبأنا إسماعيل بن سُويد، قال: حدثنا أبو علي الكَوْكَبي، قال: أنبأنا أبو الفضل الأصبهاني، قال: أنبأنا بُنْدار[2]، عن الأَصْمَعِي، قال: دخلتُ على هارون الرّشيد، فقال لي: يا أصمعي إنّي أرِقْتُ ليلتي هذه. فقلت: مِمّ؟ أنام اللّهُ عينَ أميرِ المؤمنين. فقال: فكّرت في العشق ممّ هو؟ فلم أقِف عليه، فصِفْه لي حتى أخاله جِسْماً مُجَسَّماً. قال الأصمعي: لا والله ما كان عندي قبل ذلك فيه شيء، فأطْرَقْتُ مَلِياً، ثم قلتُ: نعم يا سيّدي، إذا تقَادَحَتِ الأخلاقُ المتشاكِلَةُ وتمازَجت الأرواحُ المتشابهة، أَلْهَبَتْ لمحَ نُورٍ ساطعٍ، يستضيءُ به العقلُ وتهتزّ لإشراقه طِبَاعُ الحياة، ويتصوّر من ذلك النّور خُلُق خاصّ بالنفسِ مُتّصِل بجوهريّتَها، يُسمى العِشق. فقال: أحسنت والله؛ يا غلام أعطِه وأعطِه وأعطِه. فأُعْطِيت ثلاثين ألف درهم.

٧٧٥ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي العلاّف قال: حدثنا أبو حفص عُمر بن أحمد بن عثمان قال: حدثنا جعفر الخُلْدي قال: حدثنا أحمد بن محمد الطُوْسِي قال: حدثني عليّ بن عبد الله القُمِّيّ قال: قال لي عبد الله بن جعفر المَدِيني: قلت لأبي زُهير المدِيني: ما العشق؟ قال: الجنون والذّلّ، وهو داء أهل الظرف.

٧٧٦ ـ أنبأنا محمد بن أبي طاهر، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن[3]، قال: أنبأنا محمد بن العباس، قال: حدثنا ابن خلف، قال: حدثني أبو الفضل المَرْوَرُّوذِي[4]، قال:

---

(١) بَوَاصِر العقل: أي نوره، والبَواصر جمع باصِرة وهي العَيْن.

(٢) بُنْدَار: لقب لجماعة، منهم أبو بكر محمد بن بشار البصري الثقة المحدِّث المعروف، والثاني: أبو بكر محمد بن إسماعيل البصلالي، والثالث: حامد الرحمٰن أبو الحسين، والرابع: الحسين بن يوسف، والخامس: محمد بن كمحون أحد الأمراء بمصر في الدولة الطولونية. انظر نزهة الألباب في الألقاب ص ٧٠.

(٣) هو علي بن المُحَسِّن بن علي التنوخي البصري ثم البغدادي، القاضي العالِم المُعَمَّر، صاحب كتاب الطَّوَالات، ابن القاضي المُحَسِّن بن عليّ صاحب كتاب الفرج بعد الشدّة. ولد علي سنة (٣٦٥) بالبصرة، وتوفي سنة (٤٤٧) هـ. انظر: السِّيَر ١٧/ ٦٤٩، وتاريخ بغداد ١٢/ ١١٥، والبداية والنهاية ١٢/ ٦٧.

(٤) المَرْوَرُّوذِي: نسبة إلى مَرْوِ الرُّوذ، أشهر مُدن خراسان، ويقال: المرو الرّوذي. انظر: الأنساب =

وَصَف أعرابيٌّ الحبَّ فقال: إنْ لم يكن جِنساً من الجُنون، إنه لَعُصَارة مِن السحر.

٧٧٧ ـ ورُوي عن الأَصْمَعي أنّه قال: لقد أكثرَ الناسُ في العِشْق، فما سمعتُ أوجزَ ولا أجملَ من قول بعض نساء العرب، وسُئِلت عن العِشق، فقالت: ذلٌّ وجنون.

قلتُ: هذا صفة ثمرة العِشْق ومآله.

والتحقيق: أنّ العشق شدّة ميل النفسِ إلى صُورة تُلائم طَبْعَها، فإذا قَوِيَ فِكْرُها فيها تصوّرت حُصولها وتمنّت ذلك، فيتجدّد مِنْ شِدّة الفِكْرِ مَرض.

فصل: في ذِكْر مراتب العِشْق:

أوّل ما يتجدد الاستحسان للشخص، ثم يجلب إرادة القُرْب منه، ثمّ المَودّة، وهو أن يود أنْ لو ملَكه، ثم يقوَى الودّ فيَصير محبّة، ثم يصير خُلَّة، ثم يصير هوىً، فيهوِي بصاحبه في محابِّ المَحْبُوب مِنْ غير تَمَالُكٍ، ثم يَصير عِشْقاً، ثم يَصِير تتيُّماً.

والتتيّم: حالة يصير بها المعشوق مالِكاً للعاشِق، لا يُوجد في قلبِه سواه، ومِنْه تيم الله.

ثم يزيد التَتَيّم فيصير وَلَهاً، والوَلَه: الخروج عن حدِّ الترتِيب، والتعطّل عن أحوال التمييز[1].

٧٧٨ ـ وقال بعض العلماء: أوّل مراتب العِشْق المَيْل إلى المَحْبُوب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة، ثم تزيد بالمؤانسة، وتدرُس بالجفاء والأذَى، ثم الخلّة، ثم الصَّبَابة وهي رِقّة الشَّوْق يولّدها الألفة ويَبعثها الإشفاق ويُهَيِّجها الذِّكر، ثم يَصِير عِشْقاً. وهو أعلى ضرب.

فمُبتدؤه يُصَفِّي الفهم ويُهَذِّب العقل.

٧٧٩ ـ كما قال ذو الرِّياسَتَين لأصحابه: اعشَقُوا ولا تعشَقُوا حراماً، فإنّ عِشق الحلال يُطلق اللسان العَيِيَّ، ويَرفَعُ التبلّد، ويُسْخِي كفَّ البخيل، ويبعث على النظافة، ويدعو إلى الذكاء.

فإذا زاد مَرض الجسدُ، فإذا زاد جَرَحَ القلبَ وأزال الرأي واستهلَك العقل، ثم يترقّى فيَصير ولَهاً، ويُسَمَّى ذو الوله مدلَّهاً، ومُسْتَهاماً، ومستهتراً، وحَيرانَ، ثم بعده التتيُّم فيُدعى متيّماً، والتتيُّم نهاية الهوَى وآخر العِشق. ومنَ التتيّم يكون الدّاء الدوِيُّ والجنون الشاغل.

= ٥/٢٦٢، واللباب ٣/١٩٨، ولب اللباب ٢/٢٥٢.

(١) وانظر مثل هذه التعريفات في الكليات للكفوي ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ بتوسع أكثر مما هنا.

٧٨٠ ـ وقال بعض الحكماء: أوّل الحبّ العَلاقة، وهو شيء يُحدثه النظر أو السمع، فيخطر بالبال، ويعرض للفكر، ويرتاح له القلب، ثم ينمَى بالطبع واللّجاج وإدْمان الذِّكر، ثم يقوَى فيصير حباً، ثم يَصير هوًى، ثم خُلَّة، ثم عِشقاً، ثم ولَهاً، فيُسَمّى صاحبه مدلَّهاً، ومستهاماً، ومستهتراً، وهائماً، وحَيرانَ، ثم يَصير تتيّماً وهو أرفع منازل الحبّ، لأنّ التتيم التعبُّد. والوجْد أَلَمُ الحُبِّ، والهَيَمان الذّهاب في طلبِ غَرَضٍ لا غاية له، والكَلَف والشّغَف: اللَّهَج بطلب الغرض.

٧٨١ ـ قال الفرّاء: اللوعة حُرْقة القلب من الحبّ.

٧٨٢ ـ وقال أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم[١]: العَلاقة: الحبّ الملازم للقلب. والجوَى: الهوَى الباطن. واللَّوْعَة: حرقة الهوى. واللاَّعِج: الهوَى المُحرِق. والشّغف: أن يبلغَ الحبّ شغاف القلب وهو جِلدٌ دونه. والتتيّم: أن يستعبِدَه الهوَى، ومنه تيم الله، ورجل متيَّم. والتَّبْل: أن يُسْقِمَه الهوى، يُقال رجل متْبُول. والتَّدْليه: ذهاب العقل منَ الهوى، يُقال مُدَلَّه. والهيُوم: أن يذهب على وَجْهه. والشّغَف: إحراق الحُبِّ القلبَ مع لذّة يَجِدها وهو شبيه باللوعة.

٧٨٣ ـ وقال أبو بكر بن الأنباري: ويُقال: اسْتَهْتَر الرَّجُل بكذا إذا ذهب عقله فيه، وانصرفت همّته إليه.

٧٨٤ ـ وقال أبو عبد الله بن عَرَفة: الإرادة قبل المحبّة، ثم المحبّة، ثم الهوَى، ثم العِشْق، ثم التتيّم. وأنشد لنفسه:

يا لَقَوم كم يُعْذَل المُشتاقُ ... والْمُعَنَّى إلى الهوى ينساقُ
رحمتي رأفةٌ وَحُبِّيَ عِشق ... واشتياقِي صَبابة لا تُطاقُ

٧٨٥ ـ قال ابن دريد: الصَّبابة رِقّة الهوى، واشتقاق الحُبّ من: أحبَّ البَعير، إذا بَرك من الإعياء.

فصل: واعلم أنّ المحبة جِنْس[٢]، والعشق نوع[٣].

---

(١) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون، أبو عبيد القاسم بن سَلاّم بن عبد الله، ولد سنة (١٥٧) هـ، وطلب العِلم يافعاً وأخذه عن أكابر عصره، إلى أن كبر وأفتى، وله الكثير من التصانيف، مثل: كتاب الأموال، وغريب الحديث، وفضائل القرآن، والناسخ والمنسوخ، والمواعِظ وغيرها. توفي سنة (٢٢٤) هـ بمكة. انظر: السير ١٠/ ٤٩٠، تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣، تذكرة الحفاظ ١/ ٤١٧، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٧١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٩١، وتهذيب التهذيب ٨/ ٣١٥.

(٢) الجنس: اسم كلّي دالّ على كثيرين مختلفين بالأنواع. كما تقول: حيوان، فهو اسم دال على أنواع كثيرة تندرج تحته. انظر التعريفات للجرجاني ص ٧٨.

(٣) النوع: كلّي مَقُول على واحد أو على كثِيرين متفقين بالحقائق. تعريفات الجرجاني ص ٢٤٧.

فإنّ الرَّجُل يُحِبّ أباه وابنه، ولا يبعثه ذلك على تلف نفسه، بخلاف العاشق.

٧٨٦ ـ وقد نُقل أنّ بعض العُشّاق نظَر إلى جارية كان يهواها فارْتَعَدَت فرائِصُه وغُشي عليه، فقيل لبعض الحكماء: ما الذي أصابه؟ فقال: نظر إلى من يُحبّه فانفرَج قلبُه، فتحرّك الجسم لانفراج القلب. فقيل له: نحن نحبّ أهالينا ولا يُصيبنا ذلك، فقال: تلك محبّة العقل وهذه محبة الرّوح.

٧٨٧ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا أبو القاسم التَّنُوخي، وأبو محمد الجوهري، كلاهما عن أبي عبد الله المَرْزُباني، قال: أخبرني الصّوفي، قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرّد، قال: سمعت الجاحظ يقول: كلّ عِشْقٍ يسمى حباً، وليس كلّ حبّ يُسمى عشقاً، لأنّ العِشْقَ اسم لما فَضَل عن المحبّة، كما أن السَّرَف اسمٌ لما جاوز الجُوْدَ، والبُخلَ اسمٌ لِما نقص عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضَلَ عن شدّة الاحتراس، والهوَج اسم لما فَضَل عن الشجاعة.

* * *

البَابُ السّادِس والثّلاثُون

في ذِكْرِ سَبَبِ الحُبّ والعِشْقِ

٧٨٨ ـ ذكر حكماء الأوائل أنّ النفوس ثلاث:

نفس ناطقة، ومحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل.

ونفس حيوانية عصبية، فمحبّتها مُنْصَرِفة نحو القَهْر والغَلَبة والرِّياسة.

ونفس شهوانية، فمحبتها مُنصرفة إلى المآكل والمشارِب والمناكح.

ونحن الآن مبتدئون لنشرح عِشْق هذه النفس الشهوانية، فنقول:

سببُ العِشْق مصادفة النفسِ ما يلائم طَبْعَها، فتَسْتَحْسِنه وتَميل إليه، وأكثر أسباب المُصادفة النظر، ولا يكون ذلك باللَّمْح بل بالتثبّت في النظر ومعاودته، فإذا غاب المحبوب عن العَين طلبته النفسُ ورامت القُرْب منه، ثم تمنّت الاستِمْتاع به، فيَصير فِكْرها فيه، وتصويرها إياه في الغيبة حاضراً، وشغلُها كلّه به، فيتجدّد من ذلك أمراض لاِنْصِراف الفكر إلى ذلك المعنى، وكلّما قويت الشهوة البدنيّة قوي الفكر في ذلك.

فصل: ومِنْ أسباب العشق سماع الغَزْل والغناء، فإنّ ذلك يُصَوِّر في النفوس نقوشَ صورٍ، فتتخمَّر خَميرة صورةٍ موصوفة، ثم يُصادف النظر مستحسَناً، فتتعلّق النفسُ بما كانت تطلبه حالة الوصف.

فصل: وقد ذكر بعضُ الحكماء أنه لا يقع العِشْق إلاّ لِمُجانِس، وأنّه يضعف ويقوَى على قدر التّشَاكل. واستدل بقول النبيّ ﷺ:

٧٨٩ ـ «الأرواحُ جنود مجندة، فما تعارَف منها ائْتَلَف، وما تناكر منها اختلف»(١).

قال: وقد كانت الأرواح موجودة قبل الأجسام، فمال الجنس إلى الجنس، فلما افترقت في الأجساد بقي في كلّ نفس حبُّ ما كان مقارِباً لها، فإذا شاهدتِ النفسُ مِنْ نفسٍ نَوعَ موافقة مالَت إليها، ظانَّةً أنّها هي التي كانت قَرِينَتَها، فإنْ كان التشاكل في المعاني كانت

---

(١) رواه البخاري معلّقاً مجزوماً، في كتاب الأنبياء، باب (٢) ٦/٣٦٩، ومسلم (٢٦٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٤)، وأحمد في المسند (٧٨٧٦ ـ ١٠٤٤٣).

صداقة ومودّة، وإن كان في معنًى يتعلّق بالصورة كان عِشقاً، وإنّما يوجد المَلَلُ والإعراض في بعض الناس لأنّ التجربة أبانَت ارتفاع المُجانسة والمناسبة.

٧٨٩ م ـ وأنشدوا في ذلك:

وقائلٍ كيف تهاجَرْتُما فقلتُ قولاً فيه إنصافُ
لم يكُ مِنْ شَكْلي ففارقْتُه والناسُ أشكالٌ وأُلاَّفُ

٧٩٠ ـ أخبرنا إبراهيم بن دِينار، قال: أنبأنا محمد بن سعيد بن نَبهان، قال: أنبأنا الحسن بن الحُسين النِّعالي، قال: حدثنا أحمد بن نصر الذَّارع، قال: حدثنا خلف بن الوليد، قال: حدثنا سهل بن عَمرو الفُقَيْمي، قال: قيل لبعض الحكماء أيّ الحبّ أغلب؟ قال: حبّ متشاكلَيْن.

٧٩١ ـ وقد روَى أبو القاسم سعد بن علي الجُرْجَاني، قال: حدثنا أبو عبد الله الحُسين بن أحمد بن سليمان الأنصاري، قال: حدثنا أبو علي هارون بن عبد العزيز الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن محمد الغَنَوي، قال: خرجت إلى الكوفة فجاءني ظُرفاؤها، فقالوا: ها هنا فَتَيَانِ تحابّا، وقد اعتلّ أحدهما فنريد أن نعوده، فقلتُ: خذوني، تعودوا العليلَ، وأعود الصحيح. فمضينا فوجدنا فتًى ملقًى على سريرٍ وفتى منكبًّا عليه يذُبُّ عنه[1] وينظر في وجهه، فلما رآنا فرَج لنا عن صاحبه، فجلس أصحابي حوله، وجلست بإزاء الصحيح، فكان العليل إذا قال: أوه من فخذي، قال الصحيح: أوه من فخذي، وإذا قال: أوه من يدي، قال الصحيح: أوه من يدي، إلى أنْ قالوا: قد قضى رحمه الله.

فشدّ أصحابي لَحْيَ[2] العَلِيل وشَدَدْتُ لَحْيَ الصحيح، فما بَرِحْنا حتى دفناهما رحمهما الله.

٧٩٢ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا يحيى بن عبد الوهاب بن مَنْدة، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن أحمد الكاتب قال: أنبأنا أبو محمد بن حَيّان، قال: حدثني عبد الله ابن أبي بكر، عن سويد بن نصر، قال: اشترى ابن المبارك جارية فأحبّها فحجّ فكتب إليها:

هبَّت الرِّيحُ من الشر ق فجاءتْني بريحكْ
فتنشّقْتُ نسيم الـ ـعَيْش من طِيب نُفُوحك
فتوهمتُكِ حتى خِلْتُنِي بين كُشوحِك[3]

---

(١) يذبّ عنه: يدفع عنه ما يؤذيه ويحميه.
(٢) اللَّحْيُ: مَنْبِتُ اللِّحْيَة من الإنسان وغيره.
(٣) الكشوح، جمع كَشْح، والكَشْح: ما بين الخاصرة إلى الضِّلَع الخَلْفي.

كيـــف أنســـاك ورُوحِـــي صُنِعَـــت مـــن جِنْـس رُوحـك

٧٩٣ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الجَوْهَري، قال: حدثنا ابن حيَّويه، قال: حدثنا ابن خلَف، قال: أخبرني علي بن صالح بن نصر، عن أبيه، قال: سُئل ذو الرِّيَاسَتَيْن عن المَوَدّة، فقال: إذا تقاربت جواهر النفوس بوَصْل المُشاكلة، ثقبَتْ لمحةَ نور ساطع في عالم الرّوح، فبثّته في أقطارها، تستضيء به نواظر العقل، وتهتزّ لإشراقه طبائع الحياة، فيتصور من ذلك خلُق خاصّ بالنفس، يتصل بجوهرها يسمّى الودّ.

٧٩٤ ـ قال ابن خلف: وقال عليّ بن عُبيدة: المَودّة تعاطُف القلوب، وائتلاف الأرواح وحَنين النفوس إلى مباثَّة[1] الأسرار، والاسترواح بالمستكنات في الغرائز، واستيحاش الأشخاص لتباين اللقاء، وظهور السرور بكثرة التَّزَاور، وعلى حسَب مُشاكلة الجوهر يكون الاتفاق في الخصال.

فصل: وقد ادَّعوا ميل الجنس إلى الجنس فيما لا يَعْقِل.

٧٩٥ ـ فأخبرنا الشريف أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السرّاج، قال: أنبأنا القاضي أبو الحسن أحمد بن علي التَّوَّزي، قال: أنبأنا أبو عُبيد الله محمد بن عمران المَرْزُباني، قال: أخبرني محمد بن أحمد الحَكِيْمِي، قال: حدثنا أحمد بن أبي خَيْثمة، عن زُهير بن حَرْب، قال: سمعتُ أبا مسلمة المنقري، يقول: كان عندنا بالبصرة نخلة، وذكر من حسنها وطيب رطبها، قال ففسدت حتى شَيَّصت[2]، قال: فدعا صاحبها شيخاً قديماً يعرف النخل، فنظر إليها وإلى ما حولها من النخل، فقال: هذه عاشقة لهذا الفحل الذي بالقرب منها، فلقِّحت منه فعادت إلى أحسن ما كانت.

فصل: فإن قيل: إذا كان سبب العشق نوع موافقة بين الشخصَيْن في الطِّباع، فكيف يُحِبّ أحدهما صاحبه والآخر لا يحبه؟

فالجواب: أنه يَتّفق في طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق، ولا يَتّفق في طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق. وإذا كان سبب العشق اتفاقاً في الطِّباع بطل قول من قال: إنّ العِشْق لا يكون إلاّ للأشياء المستحسنة، وإنّما يكون العشق لنوع مناسبة وملاءمة. ثم قد يكون الشيء حسناً عند شخص، غير حسَن عند آخر.

٧٩٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن

---

(١) المباثّة: من بَثّ الخبر إذا أشاعه ونشره.
(٢) الشِّيص ـ بالكسر ـ والشِّيصَاء: التمر الذي لا يشتدّ نواه، وإنما يَتَشَيَّص إذا لم تُلْقح النخل.

عليّ، قال: أنبأنا ابن حيّويه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان ـ إذناً ـ، وحدثنا عنه محمد بن حُرَيْث، قال: أخبرني أبو عبد الله التَّمِيمي، قال: أخبرني علي بن الحسن القُرشي، عن رجل من أهل المدينة ـ كان أديباً ظريفاً طلاَّبَةً للأدب والمُلح ـ قال: كنت يوماً في مجلس رجل من قريش بالمدينة، ومعَنا قَيْنة[1] ظريفة حسنة الصورة، لها حسن فائق وجمال رائق، ومعنا فتى من أقبح مَن رأته العين وأحمقه وأغباه، والقَيْنة مُقبلة عليه بحديثها وغنائها، فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتى أحسن الناس وجهاً وأَسْراه[2] ثوباً وأطيبه ريحاً، فأقبل عليَّ صاحب البيت فقال لي: إنّ في أمر هذين لعجباً. قلت: وما ذاك؟ قال: هذه الجارية تحب هذا ـ يعني: القبيح الوجه ـ، وليس لها في قلبه محبة، وهذا الحسَن الوجه يحبّها، وليس له في قلبها محبة.

فبينا نحن على شرابنا إذ سُرّ الفتى الحسن الوجه فتغنى:

بِيَــدِ الــذي شَغَــفَ الفــؤادَ بكــم فــرجُ الــذي ألقــى مــن السُّقْـمِ
فــاستَيْقِنــي أنْ قــد كَلِفْــتُ بكــم ثــم افعلــي مــا شئــتِ عــن عِلْـمِ

فأقبلتْ عليه فقالت: قد علمنا ذلك فمه.

ثم تركته وأقبلت على القبيح، فلبثنا ساعة فغنى الفتى أيضاً:

ألا ليتنــي أَعْمَــى أصــمّ تقُــودُنــي بُثَيْنَــة لا يخفَــى علــيَّ كــلامهــا

قال: فقالت: أللهم أعطِ عبدَك ما سأل.

فغاظتني جداً، ولم أصبر، فقلتُ لها: يا فاجرة، تختارين هذا، وهو أقبح من ذنوب المُصِرِّين، على هذا الذي هو أحسن من توبة التائبين!

فقالت لي: ليس الهوى بالاختيار، ثم أنشأَتْ تُغَنِّي:

ولا تَلُــمِ المُحِــبَّ علــى هَــواه فكــلُّ متيَّــمٍ كَلِــفٌ عميــد
يَظُــنّ حبيبــه حسَنــاً جميــلاً وإن كــان الحبيــبُ مِــنَ القــرود

فقلت: أجل، إنّه كما قلت، وليس في هذا حِيلة، وذكرتُ قول عُمر بن أبي رِبيعة:

فتضــاحَكْــنَ، وقــد قُلْــنَ لهــا: حسَــنٌ فــي كــلِّ عيــنٍ مــا تَــوَدّ[3]

وقول آخر:

---

(١) القَيْنَة: الجارية سواء كانت مُغَنّية أو ليست مُغَنّية، والأكثر إطلاقها على المغنية.
(٢) أَسْراه ثوباً: أي أفخره ثوباً.
(٣) هذا البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ١٠٦. وتودّ: تحب.

ألــم تــرَ أنّ الحــبَّ يَسْتَعْبِـدُ الفتَـى   ويدعُوه في بعضِ الأمورِ إلى الكُفْرِ

٧٩٧ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك عن عبد الجبّار، وعبد القادر بن محمد بن يوسف قالا: أنبأنا الجوهري قال: أنبأنا ابن حيوَيه قال: أنبأنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: أخبرنا أحمد بن بسّام قال: أخبرني بعض أهل الأدب قال: كان إسماعيل بن جامع قد تزوّج بالحجاز جارية سوداء مولاة لقوم، يقال لها: مريم، فلمّا صار منَ الرّشيد بالموضع الذي صار به اشتاق إلى السوداء، فقال يذكُرها، ويذكر الموضع الذي كان يألفها فيه، ويجتمعان فيه:

هـل ليلتـي بقَفَـا الحَصْحَـاص عـائـدةٌ   فــي قبّــةٍ ذات أشْــراجٍ وأزرارِ
تسمـو مجـامـرهـا بـالمنـدَلـيّ كمـا   تسمــو بحنّــانــةٍ أفــواجُ إعصَــارِ[١]
المِسْـكُ يبـدو إلينـا مـن غَـلائِلهـا[٢]   والعَنْبـر الـوَرْد يـذكيـه علـى النـار
ومــريــمٌ بيــن أثــوابٍ منعَّمَــةٌ   طَــوْراً، وطَــوْراً تُغَنِّينــي بــأوتــارِ

فقال له الرشيد ـ وقد سمع بشعره ـ: ويلك من مريمُك هذه التي قد وصفتها صفة حور العين؟ قال: زوجتي، فوصفها كلاماً أضعاف ما وصفها شعراً. فأرسل الرّشيد إلى الحجاز حتى حُملتْ، فإذا هي سوداء طُمْطُمانيّة ذات مَشَافِر[٣]، فقال له: ويلك! هذه مريم التي ملأت الدنيا بذِكْرها؟! عليك وعليها لعنة الله. فقال: يا سيّدي، إنّ عمر بن أبي ربيعة يقول:

فتضــاحَكْــنَ وقــد قُلْــنَ لهــا: حسَــنٌ فــي كــلّ عيــنٍ مــا تــودّ

٧٩٨ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أخبرنا الحسن بن محمد الخلاّل، قال: أنشدنا يحيى بن عليّ بن يحيى المَعْمَري، قال: أنشدنا جعفر بن محمد الصّوفي، قال: أنشدني بعض إخواني لأبي بكر محمد بن داود الفقيه:

حملــتُ جبــالَ الحــبّ فِيــك، وإنّنــي   لأعجــز عــن حمــلِ القَمِيــص وأضعــفُ
ومـا الحـبُّ مِنْ حُسْـنٍ، ولا مـن سَمـاحـةٍ   ولكنّــه شــيء بــه النفــسُ تُكْلَــفُ

فصل: وقد يتعرض الإنسان بأسباب العشق فيعشق، فإنّه قد يرى الشخص فلا تُوجب رؤيته محبّته، فيُديم النّظر والمخالطة فيقع فيما لم يكن في حسابه.

٧٩٩ ـ كما قال الشاعر:

---

(١) المَنْدَلِيّ: عطر يُنسب إلى المندَل، وهي من بلاد الهند. والحنانة: القوس. الإعصار: الريح الشديدة.
(٢) غلائل: جمع غِلالة، وهي شِعار يُلْبَس تحت الثوب وتحت الدِّرْع أيضاً.
(٣) الطِّمْطم، والطّمطِمِي، والطُّمْطَماني: الذي في لسانه عجمة. مشافر: جمع مِشفر، وهي الشَّفة الغليظة.

تَـوَلَّـعَ بـالعِشْـقِ حتـى عَشِـقْ فلمّـا استقَـلّ بـه لـم يُطِـقْ
رأى لُجَّـةً[1] ظنَّهـا مَـوْجَـةً فلمّـا تمكَّـن منهـا غَـرِقْ

وفي الناس من تُوجب له الرؤية نوع محبّة، فيُعْرض عن المحبوب فيزول ذلك، فإنْ داوم النظر نَمَتْ، كالجَنّة[2] إذا زُرِعَت، فإنّها إن أُهْمِلت يَبِسَت، وإن سُقِيَتْ نَمَتْ.

٨٠٠ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز قال: أنبأنا أحمد بن عليّ بن ثابت قال: أخبرني علي بن أيوب القُمِّي قال: أنبأنا محمد بن عمران المَرْزُباني قال: أخبرنا محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن موسى قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن عليّ الهاشمي، عن أبي شُعيب أحمد بن يزيد قال: قلت لأبي العتاهية: حدثني بقصتك مع عُتبة[3]. فقال لي: أحدثك:

إنّا قَدِمْنا من الكُوفة ثلاثة فِتيان، شُبّاناً أدباء، وليس لنا ببغداد مَنْ نَقْصِده فنزلنا غرفةً بالقرْب من الجِسْر، فكنّا نُبَكِّر فنجلس في المسجد الذي بباب الجِسْر في كلّ غَداة، فمَرّت بنا يوماً امرأةٌ راكبة معها خدَم سُودان، فقلنا: مَن هذه؟ قالوا: خالِصة. فقال أحدُنا: قد عَشِقْتُ خالصة، وعمَل فيها شعراً، فأَعَنّاه عليه. ثم لم يلبث أنْ مرَّت بنا أُخرى راكبة معها خدَم بِيضَان، فقلنا: مَن هذه؟ قالوا: عُتبة، فقلتُ: قد عَشِقْتُ عُتْبة. فلم نزل كذلك في كلّ يوم إلى أنِ التَأَمَتْ لنا أشعار كثيرة. فرفَع صاحِبِي شعرَه إلى خالصة، ورفعتُ أنا شعري إلى عُتبة. فلم نزل كذلك، وألححنا إلحاحاً شديداً، فمرّةً تُقْبَل أشعارُنا، ومرّة تُطْرَد، إلى أن جَدُّوا في طردنا.

فجلسَتْ عتبةُ يوماً في أصحاب الجوهر، ومَضَيْتُ فلبست ثياب راهب، ودفعت ثيابي إلى إنسان كان معي، وسألتُ عن رجلٍ كبير من أهل السوق فدُلِلْت على شيخ، فجئت إليه، فقلت: إنّي قد رَغِبت في الإسلام على يَدَيْ هذه المرأة، فقام معي وجمع جماعة من أهلِ السّوق، وجاءَها فقال: إنّ الله قد ساق إليك خيراً، هذا الرّاهب قد رغب في الإسلام على يدَيك. فقالت: هاتوه. فدَنَوْتُ منها، فقلت: أشهد أنْ لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله، وقطعتُ الزّنار، ودَنَوْت فقبّلْتُ يدَها، فلما فعلتُ ذلك رفعت البُرْنُس[4] فعرَفَتْني، فقالت: نحُوه، لعنه الله. فقالوا: لا تَلْعَنيه فقد أسلم. فقالت: إنّما فعلتُ ذلك لقَذَرِه. فعرَضوا عليَّ كسوة، فقلت: ليس بي حاجة إلى هذه، وإنّما أردْتُ أن أشرُفَ بولائها،

---

(١) اللّجة: الماء العظيم الكثير.
(٢) أي: البستان والحديقة.
(٣) عُتبة: هي اسم حبيبة أبي العتاهية، كما سيأتي في القصة.
(٤) البُرْنُس: قَلَنْسُوة طويلة، وكان النسّاك يَلْبسونها في صدر الإسلام، وتَبَرْنس الرجل: لبس البُرْنُس.

والحمدُ للّهِ الّذي مَنَّ عليَّ بحُضُوركم. فجعلوا يعلِّمُونَني الحَمْدَ، وصَلّيتُ معهم العصر، وأنا في ذلك بين يدَيْها أنظرُ إليها لا تقدِر لي على حِيلة.

فلمّا انصرفَتْ لَقِيَتْ خالصة، فشكَتْ إليها، فقالت: ليس يخلو هذان من أن يكونا عاشقَيْن أو مُستأكِلَين[١]. فصَحَّ عزمهما على امتحاننا بمال، على أن ندَعَ التعرّض لهما، فإنْ قَبِلْنا المالَ فنحن مستأكِلان، وإن لم نَقْبَلْه فنحن عاشقان. فلما كان الغدُ مرّت خالصة فعرَض لها صاحبي، فقال الخدم: اتبعنا، فاتّبعهم.

ثم لم نلبث أنْ مرّت عُتبة، فقال لي الخدم: اتبعنا، فاتبَعْتُهم، فمضَتْ بي إلى مَنْزِلِ خَلِيطٍ[٢] لها بَزّاز[٣]، فلما جلستُ دعَتْ بي، فقالت لي: يا هذا، إنّك شابّ وأرى بك أَدَباً، وأنا حُرْمَةُ خَلِيفة، وقد تأبَّيْتُك[٤]، فإنْ أنت كففت، وإلاّ أَنْهَيْتُ ذلك إلى أمير المؤمنين ثم لم آمن عليك. قلت: فافعلي بأبي أنت وأُمي، وإنّك إنْ سفكتِ دَمي أَرَحْتِني، فأسألك بالله إلاّ فعلتِ ذلك إذ لم يكن لي فيك نصيب، فأمّا الحَبْس والحياة ولا أراك، فأنتِ في حرج من ذلك. فقالت: لا تفعل يا هذا، وأَبْقِ على نفسك، وخُذْ هذه الخمسمائة دينار، واخرج عن هذا البلد، فلما سمعتُ ذكرَ المال ولَّيتُ هارباً، فقالت: رُدُّوه، فلم تزل تراِدّني، فقلتُ: جُعِلْتُ فِداك، ما أصنع بعَرَض مِنَ الدنيا، وأنا لا أراك، وإنّك لتُبَطِّئين يوماً واحداً عن الرّكوب فتضيق بي الأرض بما رَحُبَت. وهي تأبى إلاّ ذِكر المال، حتى جعلَتْ لي ألف دينار، فأبيتُ وجاذَبْتُها مُجاذبة شديدة، وقلتُ: لو أعطيتني جميع ما يحوِيه الخليفةُ ما كانت لي فيه حاجة، وأنا لا أراك، بعد أن أجدَ السبيل إلى رؤيتك.

وخرجتُ فجئت الغرفةَ التي كنّا ننزلها، وإذا صاحبي مورَّم الأُذُنَيْن، وقد امتُحِن بمثل مِحنتي، فلمّا مدَّ يدَه إلى المال صَفَعُوه، وحلَفت خالصة لئن رأته بعد ذلك لتُودِعَنَّه الحبسَ، فاستشارني في المقام، فقلت: اخرج، وإياك أن تَقْدِرَ عليك.

ثم التقتا، فأخبرَتْ كلّ واحدة صاحبتَها الخبر، وأَحْمَدَتْني عُتبة، وصحّ عندها أنّي محبٌّ مُحِقّ. فلما كان بعد أيام دَعَتْني؛ فقالت: بحياتي عليك إن كنت تُعزّها إلاّ أخذتَ ما يُعطيك الخادم فأصلحتَ به من شأنك، فقد غمَّني سوء حالك. فامتنعت. فقالت: ليس هذا مما تظنّ، ولكن لا أحب أن أراك في هذا الزّيّ، فقلتُ: لو أمكنني أنْ تَريني في زيّ المهدي لفعلتُ ذلك. فأَقْسَمَتْ عليّ فأخذْتُ الصرّة فإذا فيها ثلاثمائة دِينار، فاكتسيتُ كسوةً حسنة، واشتريتُ حماراً.

---

(١) أي: طالبين للمال وجاعلين العشق ـ وادعائه ـ وسيلة.

(٢) الخَلِيط: المخالِط، كالجليس والمُجالس، والمراد: ذهبت به إلى منزل أحد المنادِمين لها.

(٣) بزّاز، أي: خيّاط.

(٤) رفضْتُك.

فصل: ويتأكّد العِشق: بإدمان النظر، وكثرة اللقاء، وطُول الحديث، فإنِ انضَمّ إلى ذلك مُعانقة أو تقبِيل فقد تم استحكامه.

وقد ذكر حكماء الأوائِل: أنه إذا وقَعَتِ القُبَلُ بين المتحابّين، ووصلت بِلَّةٌ من رِيق كلّ واحد منهما إلى مَعِدَة الآخر، اختلط ذلك بجميع البدن، ووصل إلى جِرْم الكبد.

وهكذا، إذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنّه يخرج مع ذلك النفس شيء من نسيم كلّ واحد منهما، فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا استنشقا منْ ذلك الهواء دخَل في الخياشيم، ووصَل بعضُه إلى الدِّماغ، فسرَى فيه كسَرَيان النّور في جَرَم البِلَّوْر، ووصل بعضُه إلى جِرْم الرئة، ثمّ إلى القلب، فيَدِبُّ في العُروق الضَّوَارِب في جميع البدن، فينعقد مِنْ بدَن هذا ما تحلّل من بدن هذا، فيصير مِزاجاً، به يتولّد العِشْق وينمى[1].

* * *

(١) قلت: مِن تَمام الكلام على العِشق أن يُذكَر هل هو اختياري أو اضطراري، لأن عليه يَنْبَنِي الحكم الشرعي في مَدْحه أو ذمّه، فانظر ذلك في روضة المحبين ص ١٥٩ ـ ١٦٤.

البَابُ السَّابِعُ والثَّلاَثُونَ

فِي ذِكْرِ ذَمِّ العِشْقِ

اختلف الناس في العشق، هل هو ممدوح أو مذموم[١]؟

فقال قوم: هو ممدوح، لأنّه لا يكون إلاّ من لطافة الطَّبع، ولا يَقَعُ عند جامد الطَّبع حَبِيسه[٢]، ومن لم يجد منه شيئاً فذلك من غِلَظ طبعه.

فهو يجلُو العقول ويُصَفّي الأذهان ما لم يفرط، فإذا أفرط عاد سُمًّا قاتلاً.

وقال آخرون: بل هو مذموم، لأنّه يستأسِر العاشقَ، ويجعله في مقام المستعبَد.

قلت: وفَصْلُ الحكمِ في هذا الفصل أن نقول: أما المحبة والوِدُّ[٣] والميل إلى الأشياء المستحسنة والملائمة فلا يُذمّ. ولا يُعْدَم ذلك إلاّ الحَبِيس من الأشخاص.

فأما العِشْق الذي يَزيد على حدّ الميل والمحبة فيملك العقلَ ويُصَرِّف صاحبه على غير مقتضى الحِكمة، فذلك مذموم، ويَتحاشى من مثله الحكماءُ.

وأما القسم الأول فقد وقع فيه خلْق كثير من الأكابر، ولم يكن عَيْباً في حَقّهم.

٨٠١ ـ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنبأنا محمد بن أحمد، قال: أنبأنا أبو نُعيم الحافظ، وقال: حدثنا أبو أحمد الغِطْرِيفيّ، قال: حدثنا أبو الفضل محمد بن الفضل، قال: حدثني محمد بن سعيد القزّاز، قال: حدثنا أبو أُمية، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الهُذَلي، عن هُشَيْم، عن مجالِد، عن الشَّعْبِي، أنه كان يقول:

إذا أنت لم تَعشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوَى فأنتَ وعَيْرٌ بالفَلاةِ سَوَاء[٤]

٨٠٢ ـ وقد روى أبو عبد الله المَرْزُباني، أن أبا نَوْفل سُئِل: هل يَسْلَم أحد من العِشق؟

---

(١) انظر في هذا المعنى روضة المحبين ص ١٨٣ ـ ٢١٤ حيث عقد باباً لمن مدح العشق وآخر لمن ذمّه، وثالث لفصل الكلام في المسألة وأنه لا يحمد مطلقاً ولا يُذمّ مطلقاً.

(٢) الحَبِيس: هو الرجل المنقطع عن الناس زهداً في الدنيا.

(٣) الودّ: بضم الواو وفتحها وكسرها، الموَدّة والمحبة.

(٤) العَيْر: الحمار الوحشي والأهلي أيضاً.

فقال: نعم الجِلْف الجافي الذي ليس فيه فضل ولا عنده فهم، وأمّا مَنْ في طبعه أدنَى ظَرْف، أو معه دماثة(١) أهل الحجاز ورِقّة أهل العراق فهيهات.

٨٠٣ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسِّن التَّنُوْخِي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن أحمد المازِني، قال: حدثنا الحسن بن القاسم بن جعفر الكَوْكبي، قال: حدثنا عيسى بن محمد بن ناظرة السَّدُوسي، قال: حدثني قَبِيصة بن محمد المُهَلَّبي، قال: أخبرني اليمان بن عَمْرو مولى ذي الرِّيَاسَتَيْن(٢)، قال: كان ذو الرِّياسَتَيْن يبعثني ويبعث أحداثاً مِنْ أحداث أهله إلى شيخ بخراسان، له أدَبٌ وحُسْن معرفة بالأمور، ويقول لنا: تعلّموا منه الحكمة فإنّه حكيم. فكنّا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده سألنا ذو الرِّياسَتَيْن واعْتَرَضَ ما حَفِظْناه، فيُخْبِرُونه. فقصَدْنا ذات يوم إلى الشيخ، فقال: أنتم أدباء وقد سمعتم ولكم جِدَات(٣) ونِعم، فهل فيكم عاشِق؟ فقلنا: لا. فقال: اعشقوا، فإنّ العِشْق يُطلق اللّسان العَيِيّ، ويفتح حِيلة البَلِيد والمُخْتَلّ، ويبعثُ على التنظيف وتحسِين اللباس وتَطْييب المطعم، ويدعو إلى الحرَكة والذكاء، وتَشَرُّفِ الهِمّة، وإيّاكم والحرام. فانصرفنا من عنده إلى ذي الرِّياسَتَيْن، فَسَألَنا عما أخذنا في يومنا ذلك، فهِبْناه أن نخبره، فعزم علينا، فقلنا: إنّه أمرَنا بكذا وكذا، قال: صدَق والله، تَعْلَمون مِنْ أين أخذ هذا؟ قلنا: لا.

قال ذو الرِّياسَتَين: إنّ بَهْرام جُور كان له ابن، وكان قد رَشّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتَى ناقص الهِمّة، ساقط المروءة خامل النفس، سيّىء الأدب، فغمَّه ذلك، ووَكّل به المؤدِّبِين والحكماء، ومَن يلازمه ويعلّمه، وكان يسألهم عنه، فيحَكُون له ما يغمه من سُوء فهمه وقلّة أدَبِه؛ إلى أن سأل بعض مؤدِّبيه يوماً، فقال له المؤدِّب: قد كنّا نَخاف سوءَ أدَبِهِ فحدَث ما جرَّنا إلى اليأس من إفلاحه. قال: وما ذاك الذي حدَث؟ قال: رأى ابنة فلان المَرْزُبان فعَشِقها، حتى غلَبت عليه، فهو لا يُهْذى إلاّ بها، ولا يتشاغل إلاّ بذكرها. فقال بهرام: الآن رجَوْتُ فلاحه.

ثم دعا بأبي الجارية فقال له: إنّي مُسِرٌّ إليك سِرّاً فلا يَعْدُونك، فضَمِن له سَتْره،

---

(١) الظَّرْف: الكياسة والحذق والبَراعة. الدَّماثة: سهولة الخُلُق ولِينه.

(٢) ذو الرئاستين: أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي، وزير المأمون العباسي وصاحب تدميره، لقد بذي الرياستين لتوليه الوزارة وقيادة الجيش معاً (الحرب والسياسة). توفي سنة (٢٠٢) هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٢/٣٣٩، وفيات الأعيان ٤/٤١، شذرات الذهب ٢/٤.

(٣) أي: حظوظ.

فأَعْلَمه أنّ ابنَه قد عَلِق[١] ابنتَه، وأنه يُريد أنْ يُنْكِحها إيّاه، وأمرَه أنْ يأمُرَها بإِطْماعه في نفسِها ومُراسلته من غير أن يَراها وتقع عينه عليها، فإذا استحكَم طمعُه فيها تجنّت عليه وهجرَته، فإنْ استَعْتَبَها[٢] أعلَمَتْه أنّها لا تَصْلُح إلاّ لملِك ومَن همّته همّة ملِك، وأنّه يمنعها من مواصلتِه أنّه لا يصلح للمُلْك ثم ليُعْلِمه خبرها وخبره، ولا يطلعها على ما أسرّ إليه. فقبل أبوها ذلك منه.

ثم قال للمؤدب المُوَكَّل به: خَوِّفه وشجِّعه على مُراسلة المرأة. ففعل ذلك، وفعلَت المرأة ما أمرَها به أبوها، فلمّا انتهت إلى التَّجَنّي عليه وعلِم الفتى السّبب الذي كرِهَتْه له، أخذَ في الأدَبِ وطلب الحِكْمة والعِلم والفُروسية والرِّماية وضَرْب الصَّوَالجة، حتى مَهرَ في ذلك.

ثم رفع إلى أبيه أنّه مُحتاج منَ الدوّاب والآلات والمَطاعم و الملابس والنُّدماء إلى فوق ما تَقَدَّم له، فسُرّ بذلك الملِك، وأمر له به، ثم دعا مؤدِّبَه فقال: إنّ الموضع الذي وضع به ابني نفسه من حُبّ هذه المرأة لا يُزرِي به، فتقدَّم إليه أنْ يرفع إليّ أمرها، ويسألني أن أزوِّجه إيّاها. ففعل.

فرَفع الفتى ذلك إلى أبيه، فدعا بأبيها فزوَّجها إياه، وأمر له بتعجيلها إليه، وقال له: إذا اجتمعتَ وهي فلا تحدث شيئاً، حتى أصير إليك. فلما اجتمعا صار إليه، فقال: يا بُنَي لا يَضعَنَّ عِنْدَكَ منها مراسلتُها إيّاك وليست في حِبالِك[٣]، فإنّي أنا أمَرْتُها بذلك وهي أعظم مِنَّةً عليك بما دعتك إليه من طلَب الحِكمة والتخلّق بأخلاق الملُوك، حتى بلغتَ الحدّ الذي تصلُح معه للمُلْك مِنْ بعدِي، فزِدْها من التّشريف والإكرام بقَدْر ما تستحق منك. ففعل الفتى ذلك وعاش مسروراً بالجارية، وعاش أبوه مسروراً به، وأحسن ثواب أبيها ورفع مرتبته وشرّفه، بصِيانته سرّه وطاعته، وأحسن جائزة المؤدِّب بامتثاله أمر ه وعقد لابنه على المُلْك بعده.

قال اليمان مولى ذي الرِّياستين: ثم قال لنا ذو الرِّياستين: سَلُوا الشيخ الآن لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه فحدثنا بحديث بهرام جور وابنه.

فصل: وأما القسم الثاني من العشق فمذموم لا شك فيه.

وبيان ذمّه أنّ الشيء إنّما يُعرف ممدوحاً أو مذموماً بتأمّل ذاته وفوائده وعواقبه.

وذات العشق لَهَجٌ بصورة، وهذا ليس فيه فَضيلة فيمدح، ولا فائدة في العِشق للنفس الناطقة، وإنّما هو أثر غلبة النفس الشهوانية، لأنّها لما قَوِيَتْ أَحَبّت ما يليق بها.

---

(١) عَلِق ابنته: أي تعلّق بها وأحبها.
(٢) استعتبها: لامها وعذلها.
(٣) الحِبال: المصيدة، والمراد: في كَنَفِك، أي: زوجة لك.

ألا ترى أنّ الصبيان يُحبون التماثيل واللُّعب أكثر من محبّتهم للناس، لضِعْف نفوسهم وكونها مماثلة للصور لخلوّها عن رياضة. فإذا ارتاضت نفوسهم ارتفعت هِمَمُهُم إلى ما هو أعلى، وهو حبّ الصور النّاطقة. فإذا ارتاضت نفوسُهم بالعلوم والمعارف، ارتفعت عن حبّ الذوات، ذوات اللحم والدّم، إلى ما هو أشرف منها.

وأتم أحوال النفس الشهوانية وجودها مع شهواتها من غير منغّص.

وأتم أحوال النفس الحَيوانية وجُود غرضها من القَهْر والرِّياسة.

وأتم أحوال النفس الناطقة وجودها مُدرِكة لحقائق الأشياء بالعِلم والمعرفة.

وهذه النفس لا يستأسرها الهوَى، فإنْ أمالَها طبعُها، أقامَها فكرُها، وانتاشها[١] من يده عقلُها وفهمها، لأنّها تتفكر فيما قد نابها فتتلَمَّح مُنتهاه وترى غايته، وليس من شأنها الوقوف، لأنّها في السير أبداً تترقّى من عِلْم إلى عِلم. والعاشق واقف مع صورة جامدة عن التحرك، والعارف بالله سبحانه في السَّير لا يفتُر، ولا يُنْكِر أن يقوَى طبعُه عليه في حال، وتميل به المحبّة للصور أحياناً، غير أنّه لا يَصير أسيراً، إنّما يميل يسيراً.

قال بعض الحكماء: ليس العِشْق من أدواء الحُصفاء[٢]، إنّما هو من أمراض الخُلَعاء، الّذين جعلوا دأْبهم ولَهَجَهم[٣] متابعة النفس، وإرخاء عنان الشّهوة، وإمْرَاج النظر[٤] في مستحسنات الصّور، فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور، فتأنس، ثم تألفَ، ثم تتوق، ثم تلمح، فيقال عَشِق. وليس هذا من صِفات الحكماء، لأنّ الحكيم مَنِ استطال رأيه على هواه، وتسلّطت حكمتُه على شهوته، فَرُعُوناتُ[٥] طبعه مقيدة أبداً، كصَبِيّ بين يدَي مُعلِّمه، أو عبد بمرأى سيِّده، وما كان العِشق قطّ إلاّ لأزعَن بَطّال، وقلَّ أن يكون لمشغول بصناعة أو تجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحِكم؟، فإنّها تَصْرِفه عن ذلك، ولهذا لا تكاد تجده في الحكماء.

٨٠٤ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوهري، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثني هارون بن محمد، قال: أخبرني أبو عبد الله القرشي، قال: حدثني الحَكم، قال: قيل لرجل

---

(١) انتاشها: أي انتزعها وأخذها.
(٢) أدواء: جمع دَاء، أي: مرض. الحُصفاء: جمع حَصِيف، وهو الرجل الجيّد الرأيِ المحكم العَقل.
(٣) الدأب: العادَة والشأن. لَهِج بالشيء: إذا أُغري به فثابر عليه.
(٤) تقول: فلان أمْرَج نظرَه: إذا تركه ينظر كيف شاء، وأمرج الدّابة: تركها ترعى حيث شاءت.
(٥) الرّعونة: الحُمْقُ والاسترخاء.

من بني عامر: هل تعرِفون فيكم المجنون الذي قتَله الحبّ؟ فقال: إنّما يموت من الحبّ هذه اليَمانيّة[1] الضِّعاف القلوب.

٨٠٥ ـ قال ابن عقيل: العشق مرض يعتري النفوس العاطلة والقُلوب الفارغة، والمُتَلَمِّحة للصّوَر، لدواعٍ من النفس، ويساعدها إدمان المخالطة، فتتأكد الألفة، ويتمكّن الأنس فيصير بالإدمان شَغفاً، وما عشق قط إلاّ فارغ، فهو من عِلل البَطّالين، وأمراض الفارغين من النظر في دلائل العِبَر وطلَب الحقائق المُسْتَدَل بها على عِظَم الخالق، ولهذا قلّ ما تراه إلاّ في الرُّعْن البَطْرى وأرباب الخلاعة النَّوْكى[2]. وما عَشِق حَكيم قطّ، لأنّ قلوب الحُكماء أشَدُّ تمنُّعاً عن أن تقفها صُورة من صور الكَوْن، مع شدّة تطلبها، فهي أبداً تلحظ وتخطف، ولا تقف. وقَلّ أن يحصل عشقٌ مِن لَمْحة، وقلّ أن يُضِيف حَكيم إلى لَمحة نظرةً، فإنّه مارٌّ في طلَب المعاني، ومَن كان طالباً لمعرفة الله لا تقِفُه صورة عن الطلب، لأنّها تحجبه عن المُصَوِّر، وحُوشيت[3] قلوب الحكماء الطالبين، فضلاً عن الوَاصِلين العارفين، من أنْ تحبِسهم الصّور، أو تفتنهم الأشكال عن الترقّي في معارج مقاصدهم، أو تحطّهم عن مراكزهم إلى محلّ الأثقال الرّاسِية، بل هم أبداً في الترقّي هاتكون للحُجُب والأستار بقوة النظر.

فصل: وقد بان بما ذكرنا أنّ مراد النفس الشهوانية اللذّة، فلنَقْدَح في اللذّات مطلقاً، بما يبين به عَيْب العِشق، ثم نخصّه بما يليق به، فنقول:

اعلم أنّ اللذة الحسنة ليست شيئاً مطلوباً في ذاتها، إنّما هي دَفْع حادث مؤذٍ ليعود الإنسان إلى حالته قبل ذلك الحادث، ومثال هذا كرجُلٍ خرج من مكان ظَليل فسار في الشمس فمسّه الحرّ، ثم عاد إلى الظِّل، فإنّه يلتذّ بذلك المكان إلى أن يعود إلى حالته الأولى، ثم يفقد الالتذاذ، ويكون اشتداد اللذّة على قدْر اشتداد بلوغ أذَى الحرّ إليه، وقد يتَصوّر صاحب اللذّة أنّها حصلت من غير أذى سابق، وليس كذلك، إذ لا يمكن أن تقع لذّة حسنة إلاّ بمقدار التأذّي بالخروج عن الطبيعة، كما أنّه بمقدار أذَى الجوع والعطش يكون الالتذاذ بالطعام والشّراب، فإذا عاد الجائع والعطشان إلى حالته الأولى كان إكراهه على تناولهما أبلغ شيء في أذاه.

وأرباب الطَّلب للمَلْذُوذ لا يَرَوْن إلاّ صورة بلوغ الغرَض، وهم عَمُون بحِجاب الهوَى،

---

(١) نسبة إلى اليَمن، البلد المعروف.

(٢) البَطَر: الأشَرُ، وهو شدّة المرَح. النَّوكى: الحمقى.

(٣) حُوْشيت: مِن حاشا، وهي كلمة للاستثناء فيما يُنَزّه فيه المستثنى عن مشاركة المستثنى منه في حكمه.

الذي قدّمنا ذمّه، عن فَهْم ما قُلنا، غافلون عمّا تنطوي عليه اللذّة مِنَ المُخاطرة بالنفوس وانكسار الجاه وحصول الإثم، وغير ذلك، فلو قد كشف فَجْرُ التيَقّظ سِجافَ[1] ليل الهوى، فرأوا بأعْيُنِ البصائر ما يحتوي عليه الهوَى من الآفات، لهان عليهم غرَضُهم.

قال سقراط: اللذّة مِشْناق[2] من عسل. وقال غيره: اللذّة مشوبة بالقُبْح، فتفكّروا في انقطاع اللذّة، وبقاء ذِكْر القُبْح. وقال آخر: عار الفَضيحة كَدّرَ لذّتها.

فصل: وإذا ثبت عيبِ اللذّات عند العقول النيِّرة، بما أشرنا إليه، فهذا العَيْب لازم في باب العِشق، بل هو به أَجْدر، فإنّ إعمال البَصر في تَكرار النَّظَر حَقَنَ في نَفْسِ العاشِق طلبَ الالتذاذ، فكلّما نال لذّة بنظرةٍ دفع بعض الأذى الذي جلَبه لنفسه، إلاّ أنّه يجتلب بتلك النظرة من الشرِّ أضعاف ما دَفع، من جهة أن تَكرار النّظر يُقَوِّي القلق إلى الحبيب، ولا شفاء لذلك إلاّ أن ينتهي إلى غايته المطلوبة من المُتعة الدّائمة التي تمتدّ إلى بداية المَلَل، وبعض ذلك قد يوجب خِزي الدنيا والآخرة.

فصل: واعلم أنّ العُشّاق قد جاوزوا حدّ البهائم في عدَم ملَكة النّفس في الانقياد إلى الشهوات، لأنّهم لم يرضوا أن يُصيبوا شهوةَ الوطء، وهي أقبح الشهوات عند النفس النّاطقة، مِن أيّ موضعٍ كان، حتى أرادوها من شخص بعينه، فضمّوا شهوة إلى شهوة، وذلُّوا للهوَى ذلاً على ذلّ، والبَهيمة إنّما تقصد دفْعَ الأذَى عنها فحَسْب، وهؤلاء استخدموا عقولهم في تدبير نيل شهواتهم.

فصل: فقد بَان لك بما ذكَرنا عَيْبُ اللذّات، وعيبُ العِشْق من جهة مشابهته لِلَّذّات، وبيّنا أنه يزيد عَيبه على عَيْب اللذّات مطلقاً، ونزيد ذلك شرحاً ها هنا فنقول: العِشق بيِّنِ الضّرر في الدِّين والدنيا.

أما في الدِّين فإنّ العِشق أوّلاً: يشغل القلب عن الفِكر فيما خُلق له، من معرفة الإله والخوف منه والقُرْب إليه. ثم بقدر ما ينال من موافقة غرَضه المُحَرَّم يكون خُسران آخرته، وتعرّضه لعقوبة خالقه. فكلما قَرُبَ من هواه بَعُدَ من مولاه، ولا يكاد العِشْقُ يقع في الحَلال المقدُور عليه، فإنْ وقع، فيا سُرعان زواله!

٨٠٦ ـ قال الحكماء: كلّ مملوك مملول.

٨٠٧ ـ وقال الشاعر:

وزادني شَغَفاً بالحبّ أنْ مُنِعتْ … وحبّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا

---

(١) سِجاف: السَّجْف: السّتار، وما يُستر به نحوه.
(٢) المِشْنَاق والمشنقة: آلة الشنق.

فإذا كان المعشوق لا يُباح اشتدّ القلق والطَّلَب له، فإنْ نِيلَ منه غرضٌ فالعذاب الشديد في مقابلته. على أنَّ بلوغ الغرَض يزيده ألماً، فتُربي مرارة الفِرَاق على لذّة الوِصال.

٨٠٨ ـ كما قال قائلهم:

كـلّ شـيء رَبحُتُـه فـي التّـلاقـي والتّـدانـي خَسِـرتـه فـي الفِـراقِ

وإن منعه خوفُ الله تعالى عن نَيل غرَضٍ، فالامتناع عذابٌ شديد، فهو معذّب في كلّ حال.

فصل: وأما ضرر العشْق في الدنيا فإنه يورث الهمَّ الدائم، والفكر اللازم، والوَسْواس والأَرَق، وقِلّة المطعم، وكثرة السَّهر، ثم يتسلّط على الجَوارح، فتنشأ الصُّفرة في البدن، والرّعدة في الأطراف، واللّجْلَجَة في اللسان، والنُّحول في الجَسد. فالرأيُ عاطِلٌ، والقلبُ غائب عن تدبير مصلحته، والدّموع هَوَاطِلٌ، والحسَرات تتتابع، والزَّفَرات تتوالى، والأنفاس لا تمتدّ، والأحشاء تضطرم. فإذا غُشي على القلب إغشاء تاماً أخرجت إلى الجنون، وما أقربه حينئذ من التَّلَف. هذا وكَم يَجْني من جِناية على العِرْض، ووَهَنِ الجاه بين الخَلْق، وربّما أوقع في عقوبات البدَن وإقامة الحدّ.

٨٠٩ ـ وقد أنشدوا:

ومـا عـاقـلٌ فـي النّـاس يُحمَـد أمـرُه ويُـذكـر إلاّ وهـو فـي الحـبّ أحمـقُ

ومـا مِـن فتـى ذاقَ بُـؤْس مَعِيشَـةٍ مِـنَ النّـاس إلاّ ذاقهـا حِيـن يعشَـقُ

٨١٠ ـ قال جَالينوس: العِشْق من فِعل النفس، وهي كامنة في الدِّماغ والقلْب والكبد. وفي الدّماغ ثلاثة مساكن: مَسْكن للتخيّل وهو في مُقَدّم الرأس. ومَسْكن للفِكْر وهو في وَسَطه. ومَسْكن للذِّكر وهو في مؤخره. ولا يسمّى عاشقاً إلاّ مَنْ إذا فارق معشوقه لم يخْلُ من تخيّله، فيمتنع عنِ الطعام والشّراب؛ باشتغال الكَبد، ومِنَ النّوم باشتغال الدِّماغ بالتخيّل والفِكر والذِّكر، فتكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به[1].

فصل: ولقد وصَف الحكماء قُبْح ما فيه العُشّاق فأبلغوا، وكانت تأتي على عقلاء العُشّاق أحياناً إفاقة، فَيَصِفون قُبْح ما هم فيه.

٨١١ ـ أخبرنا إبراهيم بن دِينار، قال: أنبأنا ابن نَبهان، قال: أنبأنا ابن دُوما، قال: أنبأنا أحمد [بن] نصر الذّارع، قال: حدثنا صدَقة بن موسى، قال: حدثنا الجَاحِظ، قال: ذُكر لي عن بعض حكماء الهند أنه قال: إذا ظهر العِشْق عندنا في رَجل أو امرأة غدَوْنا على

---

(١) انظر عواقب الذنوب وآثارها في بدن الإنسان وتصرفاته في الجواب الكافي ٩٧ ـ ١٦٧.

أهله بالتعزية.

٨١٢ ـ قال الجاحظ: وبلغني أنّ عاشقاً مات بالهند عِشقاً، فبعث ملكُ الهند إلى المعشوق يقتله به.

٨١٣ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بشران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا أبو الفضل الرَّبَعِي قال: قال رجلٌ من الهند: إذا ظَهر العِشْق عندنا في أحد، غَدَوْنا عليه بالتعزية.

٨١٤ ـ قال الرَّبَعِي[1]: وسمعت أعرابية تقول: مسكينٌ العاشق، كلّ شيء عَدُوُّه، هبوبُ الرِّياح يُقْلِقُه، ولَمعان البرقِ يؤرِّقُه، ورُسوم الدِّيار تُحْرِقُه، والعَذْل يؤلمه، والتذكّر يُسقمه، والبُعد يُنْحِله، والقُرْب يُهَيِّجُه، والليل يُضاعف بلاه، والرّقاد يَهْرُب منه، ولقد تداوَيْتُ بالقُرْب والبعد فلم ينجح فيه دواء، ولا عزّى فيه عزاء، ولقد أحسن الذي يقول:

وقـد زعمـوا أنّ المُحِـبَّ إذا دنـا ... يَمَـلُّ وأنَّ النـأيَ يُشفـي مـن الـوَجْدِ
بكـلٍّ تـداوينـا فلـم يَشْـفِ مـا بنـا ... علـى أنَّ قُـرْبَ الـدّار خيـرٌ مـن البُعـدِ

[٨١٤ م] ـ قال محمد بن جعفر: وانشدني المارستاني:

إذا قَـرُبَـتْ دارٌ كَلِفْـتُ، وإن نـأَتْ ... أَسِفْـتُ فـلا بـالقُـرْب أسلـو ولا البعـد
وإن وعَـدَتْ زاد الهـوى لانتظـارهـا ... وإن بَخِلَـتْ بـالـوَعْـد مِـتُّ على الوعـد
ففـي كـلّ حُـبّ لا محـالـة فـرحـةٌ ... وحُبُّـكِ مـا فيـه سـوَى مُحْكَـمِ الْجَهْـدِ

٨١٥ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الْخَبْرِيَّةِ، قالت: أنبأنا علي بن الحسن بن الفَضْل، قال: أنبأنا أحمد بن محمد الكاتب، قال: حدثنا ابن المُغيرة الجوهري، قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدِّمشقي، قال: حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدثني مَوْهوب بن رَشيد، قال: وقفت امرأة من بني عَقيل على أختٍ لها، فقالت لها: يا فلانة، كيف أصبحتِ من حبّ فلان؟ قالت: قَلْقَلَ[2] واللَّهِ حبُّه الساكِنَ، وسكَّن المتحرك، ثم أنشدتها:

ولـو أنّ مـا بـي بـالحصَـى فُلِـقَ الحَصَـى ... وبـالـرِّيـح لـم يُسْمـع لَهُـنّ هبـوبُ
ولـو أنّنـي أَستغفـر اللّـهَ كلّمـا ... ذكـرتُـكَ لـم تُكتـب علـيّ ذنـوبُ

---

(١) الرَّبَعِي: نسبة إلى جدّ المنتسب إليه، أو إلى رَبَعَة الأزد منطقة. انظر: الأنساب ٣/ ٤٣، واللباب ٢/ ١٥.

(٢) قَلْقَل: تقول: قَلْقَلَه قَلْقَلَةً: أي حرّكه فتحرّك واضطرب.

فقالت: لا جرَم والله، لا أقف حتى أسأله كيف أصبح من حُبّك، فجاءَتْه فسألته، فقال: إنّما الهوى هَوان، وإنّما خُولف باسمه، وإنّما يعرِف ما أقول، مَن كان مِثلي أَبْكَتْه المعارفُ والطلول.

٨١٦ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حَيَّويه، عن ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أبو بكر العَامِرِي، وأبو محمد البَلْخِي قالا: أنبأنا أبو عبد الله القرشي قال: حدثنا مسلم بن عبد الله بن جُندب الهُذَلِي قال: خرجتُ أنا وزُبَان السَّوّاق إلى العَقيق، فلقِينا نسوةٌ نازِلات منَ العَقيق، ذوات جمال، وفيهنّ جارية حسناء العَيْنَيْن، فأنشد زُبَان قول أَبِي:

ألاَ يـا عِبـاد الله هـذا أخـوكُـمُ قتيـلاً فهـل فيكـمْ لـه اليـوم ثـائـرُ
خـذُوا بـدَمِـي إنْ مِـتُّ كـلَّ خَـرِيـدَةٍ[1] مـريضـةِ جفْـنِ العَيْـنِ والطّـرفُ سـاحـرُ

قال: فأقبلَ عليَّ، وأشار إليها، فقال: يا ابن الكِرام دمُ أبيك والله في أثوابها، فلا تطلب أثراً بعد عين. قال: فأقبَلَتْ عليَّ امرأةٌ معها جميلة أجمل مِن تِيك، فقالت: أنتَ ابن جُندب؟ قلتُ: نعم، فقالت: إنّ أسيرنا لا يُفَكّ، وقتيلنا لا يُدَى[2]، فاحتَسِب أباك، واغْتَنِم نفسَك. ومضَيْنَ.

فصل: فيه أشعارٌ قِيلت في ذمّ العِشْق[3]

٨١٧ ـ أخبرنا إبراهيم بن دِينار، قال: أنبأنا ابن نَبْهان، قال: أنبأنا ابن دُوما، قال أنبأنا أحمد بن نصر الذَّارِع، قال: أنبأنا صدَقة بن موسى، قال: حدثنا الأصمعي، قال: سُئل أعرابيّ عن الحبّ، فقال: وما الحبّ؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلاّ سحر أو جُنون! ثم أنشأ يقول:

هـل الحـبُّ إلاّ زَفْـرَةٌ بعـد زفـرة وحَـرٌّ علـى الأحشـاء ليـس لـه بَـرْدُ
وفَيْـضُ دمـوع مِـن جُفـونِـي كلَّمـا بَـدَا عَلَـمٌ مـن أرضِكـم لـم يكـن يَبْـدُو

٨١٨ ـ قال الأصمعي: وقلت لأعرابيّ: ما الحب؟ فقال:

الحـبُّ مَشْغَلَـةٌ عـن كـلِّ صـالحـةٍ وسَكْرَةُ الحبِّ تَنفِي سَكْرَةَ الوَسَنِ[4]

---

(١) الخريدة: هي البِكْر الجميلة الحَيِيَّة الطَّويلة السُّكوتِ.

(٢) لا يُدى: أي لا يُفدى بالمال، والدِّية: المال الواجب بالجناية على الجاني في نفس أو طرفٍ أو غيرهما. انظر: التوقيف على مهمات التعاريف ص ٣٤٥، وتعريفات الجرجاني ص ١١١.

(٣) انظر: روضة المحبّين ص ١٩٦ ـ ٢٠٢.

(٤) الوَسَن: النعاس الشديد.

٨١٩ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أنشدني الصَّيدلاني:

قالت: جُننْتَ على رأسِي، فقلتُ لها: العِشْـق أعظـمُ ممّـا بـالمجـانيـنِ
العِشْـق ليـس يفيـق الـدّهـرَ صـاحبُـه وإنّمـا يُصْـرَع المجنـونُ فـي الحيـنِ

٨٢٠ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثنا علي بن أيوب القُمّي، قال: حدثنا محمد بن عمران بن موسى، قال: وجدت بخطّ أبي عبد الله اليَزيدِي، عنْ عمّه أبي جعفر أحمد بن محمد، لأبيه محمد بن أحمد اليَزيدي:

كيـف يُطيـق النـاسُ وَصْـف الهـوَى وهُـوَ جليـلٌ مـالَـه قَـدْرُ
بـلْ كيـف يَصفُـو لِحَليـفِ الهـوَى عيـشٌ وفيـه البَيْـنُ[1] والهجْـرُ

٨٢١ ـ وله أيضاً:

والهـوَى أمـرٌ عَجيـبٌ شـأنُـه تـارةً يـأسٌ وأحيـانـاً رجَـا
ليـس ممَّـنْ مـاتَ منـهُ عَجَـبٌ إنّمـا يُعْجَـبُ ممَّـنْ قـد نَجـا

٨٢٢ ـ أخبرنا المُحَمَّدان ابن عبد الملك وابن أبي منصور، قالا: أنبأنا الحَسن بن أحمد بن خَيْرُون، قال: أنشدنا أبو عُمر بن الفلوة:

صَبَّتْ على كَبِدي مـن حُبِّهـا حُـرُقـاً لـو أنْ أُبَـرِّدهـا بـالمـاء مـا شُـرِبَـا
لـو كنـتُ أملِـك قلبـي أو يطـاوعنـي لصُنْتُـهُ وكفـانـي أنْ يُقـال صَبَـا

٨٢٣ ـ وقال محمد بن عبد الله بن مناذر:

مَـنْ فَتًـى أصبَـح فـي الحـبِّ سقَـاه الحـبُّ سُمّـا
كلّمـا أخفَـى جَـوَى الحـبِّ عليـه الـدّمـعُ نمّـا[2]
سـاهـر لا يَطْعَـمُ النـو م إذا الليـل ادْلَهمَّـا[3]
كلّمـا راقـب نَجْمـاً فهـوَى راقـب نجمَـا
أنْتُـمُ هَمِّـي فـإن لـم تَصِلـونـي مِـتُّ غمَّـا
يـا ثِقـاتـي خطَـمَ الحـبُّ لكـم أنفـي وزَمَّـا[4]

---

(١) البَيْن: الفراق والبعد.
(٢) الجوَى: الحُرْقة وشِدّة الوَجْد. نمّا: أي أخبر ووشى.
(٣) ادلهمّ: اسودّ.
(٤) خطم: ربطه بالخطام، وهو حبل يجعل في أنف البعير. زَمّه: شدّه.

يـا أخـي دائـي جـوَى الحُـبِّ ... وداءُ النّـــــاس جُمَّـــــا[1]
لا تَلُــمْ مفتضَحــاً فــي الـ ... ـحُــبِّ إنَّ الحُــبَّ أعمَــى

٨٢٤ ـ ولمُحمد بن أبي أمية:

فــوالله مـا أدري أمِـنْ لـوعَـةِ الهـوَى ... صَبَـرْتُ علـى التقصيـر أم ليـس لـي قلـب
أقبِّـــحُ أمـــراً والفـــؤادُ يُحبِّـــه ... أَجُـنَّ فـؤادي فـي الهـوَى؟ بـل هـو الحُبُّ!

٨٢٥ ـ وله:

حِيـاضُ الحـبّ مُتْـرَعـةُ منـايـا ... مُطَـــوَّقـــةٌ بلـــذّات النّعيـــم[2]
قـريـنُ الحـبِّ يـأنـسُ بـالهُمـوم ... ويكثـــر فكـــرة القلْـــبِ السّليـــم
وأعظـمُ مـا يكـونُ بـه اغْتِبـاطـاً ... علـــى خَطَـــرٍ ومُطَّلَـــعٍ عَظيـــم

٨٢٦ ـ وقال البُحْتُرِيّ[3]:

قـــال بُطْـــلاً وأمـــال الـــرَّأْي مَـــن ... لـم يقـل إنَّ المَنـايـا فـي الْحِـدَقْ[4]
إن تكـــن مُحتسِبـــاً مَـــن قَـــدْ ثـــوَى ... بِحِمَـامٍ فـاحتسبْ مـن قـد عشِـق[5]

٨٢٧ ـ وقال أبو تمام[6]:

أمَّـا الهـوَى فهـو العـذاب فـإنْ جَـرَتْ ... فيـه النَّـوى فـأليـمُ كـلِّ أليـم[7]

٨٢٨ ـ ولابن أبي حُصينة[8]:

والعِشقُ يجتذِبُ النفوسَ إلى الرَّدَى ... بـالطَّبْـع وَاحَسَـدِي لمـن لـم يعشَـقِ
طـرَق الخيـال فهَـاج لـي بطُـرُوقـه ... وَلَهـاً فليـتَ خيـالَهَـا لـم يَطْـرُقِ

٨٢٩ ـ ولابن الرُّومي[9]:

---

(١) جُمّا: أي كلهم.
(٢) مترعة: ملأى. والمنايا: جمع منيّة، أي موت.
(٣) هو شاعر وقته، وصاحب الديوان المشهور، أبو عُبادة الوليد بن عُبيد بن يحيى الطائي البحتري.
(٤) الحِدَق: العيون.
(٥) ثوى: مات، الحِمام: الموت.
(٦) هو شاعر عصره، أبو تمّام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي.
(٧) النَّوَى: البُعد.
(٨) هو الأديب الشاعر الحسن بن عبد الله بن أحمد السلمي المعرّي، أبو الفتح، المعروف بابن أبي حُصَينة، ولد ونشأ في معرّة النعمان بسورية، اتصل بملوك حلب وأمرائها ونال حظوة لديهم، وروّج شعره في مجالسهم، توفي سنة (٤٥٧) هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٢/٢١٢، ومعجم المؤلفين ١/٥٥٨.
(٩) هو شاعر عصره مع البحتري، أبو الحسن عليّ بن العباس بن جريج.

قَبحَ الهوَى ملِكُ السّماء فلم يَزَل دِيْناً يَدِينُ قَوِيُّهُ لضَعِيفِه
ولحَى الصِّبَا بَعْد المَشِيب فإنّه شأْوٌ يُرِيكَ الحُرَّ خَلْفَ وَصِيفِه[1]

٨٣٠ ـ وله:

الحبّ داءٌ عَياءٌ لا دَواء له تضلُّ فيه الأطبّاءُ النَّحارِيرُ[2]
قد كنتُ أحسِب أنّ العاشِقين غَلَوْا في وَصْفِه فإذا بالقومِ تقصيرُ

٨٣١ ـ ولصالح بن عبد القدوس:

عاصِ الهوَى إنّ الهوَى مَرْكَبٌ يصعُب بعد اللِّين منه الذَّلِيل
إنْ يجلِبِ اليومَ الهوَى لذّةً ففي غدٍ منه البُكا والعَوِيل

٨٣٢ ـ ولابن المعتز:

لقد كنتُ دهراً عسوفاً جَلِيداً على ما يَنُوب قويّاً جليدَا
فصيَّرَني الحُبُّ لا أستطيعُ أُقِيلُ بِكَفِّي مِنَ الأرض عُودَا[3]

٨٣٣ ـ وله:

أيّها الرّكْبُ بلِّغوها سلامي واتّقوا لَحْظَ طَرْفِها السّحّارا
إنَّ مَسَّ الهوَى خَفِيٌّ كداءِ الـ ـعُرِّ يعدي فيُفْسِد الأبرارا[4]

٨٣٤ ـ وله:

والحُبُّ سلطانٌ له عَبِيدٌ مَجّانٌ لم يُشْرَوا بِأثمانِ

٨٣٥ ـ وله:

كم قد رأينا قاهراً سُلطانه لبس الهوَى فأذلّهُ سلطانُهُ

٨٣٦ ـ وله:

وكأنّ الهوَى امرؤٌ عَلَوِيٌّ ظنّ أنّي وَلِيتُ قَتْلَ الحُسين
وكأنّي لدَيْه نجلُ زيادٍ فهو يختار أوجع القَتْلَيْنِ

٨٣٧ ـ وله:

أيَا قلْبُ ذُقْ خالَفْتَني وعصيْتَا نهيتُكَ عمّا ضَرَّني فأبيتَا
عَصَيْتَ مقالي في التسرّع في الهوَى وخالَفْتَني فيه فكيف رأيتا؟!

---

(١) لحى ابن فلاناً: قبّحه ولعنه. شأو: أمر وغاية.
(٢) داءٌ عَيَاء: أي لا يُبرأ منه. النحارير: جمع نحرير، وهو الحاذق الماهر.
(٣) أُقيل: أجمل وأنقل.
(٤) العُرّ: الجَرَب.

٨٣٨ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حَيّوَيه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثني أبو علي الحسن بن صالح، قال: قال مُساور الورَّاق: قلت لمجنون كان عندنا، وكان شاعراً، يقال إنّ عقله ذهب لفقد ابنة عمّ كانت له: أَجِز هذا البيت:

وما الْحُبُّ إلاّ شعلةٌ قَدَحت بها ... عيونُ المَهَا باللَّحْظ بين الجَوانِح[1]

فقال على المكان:

ونارُ الهوَى تَخْفَى وفي القلبِ فِعْلُها ... كفِعْلِ الذي جاءَت به كفُّ قادِحِ

٨٣٩ ـ وقال أبو عبد الله بن الحَجّاج:

وَيْحَك يا قلبُ ما أغْفَلَك ... تعشَقُ من يعشَقُ أنْ يَقْتُلَكْ
وأنتَ يا طَرْفِيَ أوقَعْتَني ... وَيْحك يا طَرْفُ ما لي ولَكْ
قد كان مِنْ حَقّ بكايَ على ... من يُبْتلَى بالحبّ أن يشغلَك
حتى توصَّلْت لقلبي فلا ... كنتَ ولا كان الذي أرسَلَك

٨٤٠ ـ وله:

يا سائلي عن دَمِي لا تَطْلُبوا أحداً ... بعدِي به فَدَمي المَسْفُوكُ في عُنقي
إنّي حَمَلْت على نفسِي لشَقْوَتِها ... مِثْلَ الجبال من البلوَى فلم تُطِقِ

٨٤١ ـ وله:

قُلْ لِقَلْبي لِمَ تشكو ... لا شفَى اللهُ غَلِيلكْ
أنتَ يا مِسكين خلَّطْـ ... ـتَ وأكثرتَ فُضولكْ
يوم صَيَّرتَ إلى بَدْ ... رِ الدُّجَى عَنّي رسولكْ
طالباً هَيْهَات يا قلـ ... ـبي ما لا يَستوي لكْ

٨٤٢ ـ ولأبي الفرج الوَأْوَاء:

سُبُل الهوَى وعْرُ ... حُلْوُ الهوى مُرُّ
بَرْدُ الهوَى حَرُّ ... يومُ الهوَى دهرُ
سرّ الهوى جَهْرُ

٨٤٣ ـ ولأبي محمّد عليّ بن حسان:

---

(١) الجوانح: الأضلاع تحت الترائب ممّا يلي الصَّدْر.

لولاكِ ما نزل القتيرُ براسي ... وأصارني حَرَضاً لدى جُلاّسي[1]
أمسي وأُصْبح خاضعاً متذلّلاً ... مِنْ بعدِ طُول تأنُّفٍ وشماس[2]
لولا قضاءُ اللهِ وهو أصارني ... لكِ صاحباً ما كنتِ من أَحْلاسي[3]
ولو انجلت عن ناظرَيَّ غيابةٌ ... تغشى رأيتُك مثلَ كل الناس

٨٤٤ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السّراج، قال: أنشدتُ لأبي الحسن عليّ بن عبد الرحمن الصِّقِلّي، ابتداءَ قصيدةٍ له، وقد لقِيته بإسكندرية:

هذي الخُدود وهذه الحِدَقُ ... فليَأذَنْ مَنْ بفؤاده يثِقُ
لو أنّهم عَشِقوا لما عَذَلوا ... لكنّهم عَذَلوا وما عشقوا
عَنُفُوا عليَّ بلومِهم سَفَهاً ... لو جُرِّعوا كأسَ الهوَى رَفِقوا
ليسَ الفؤاد معي فأَعْلَم ما ... قد نال منه الشَّوق والقَلَقُ
ما الحبّ إلاّ مَسلَكٌ خطِرٌ ... عَسِرُ النّجاة ومَوْطِنٌ قلِقُ

٨٤٥ ـ ولأبي بكر هِبة الله بن الحسن العلاّف:

أقول وقد جَدَّ الغَرَام بمُهْجَتي ... وفاضَت جُفوني بعد أَدْمُعها دَمَا
إذا شِئت أن تلقَى مِنَ النّاس مَيتاً ... على صُورة الأحياءِ فالْقَ متيَّما

٨٤٦ ـ وقال عبد المحسن بن غالب الصُّوري:

أَطلعني الحبّ على غَيْبِه ... فصِرْت أدري اليومَ ما في غدِ
واللهِ ما عُورِضْتُ في مهجتي ... إلاّ لأنْ أرفَع عنها يَدِي

٨٤٧ ـ وقال أيضاً:

وكان ابتداءُ الذي بي مُجوناً ... فلمّا تمكّن أمْسَى جُنونا
وكنتُ أظنّ الهوَى هَيِّناً ... فلاقيتُ منه عَذاباً مُهينا

٨٤٨ ـ وقال أيضاً:

رُدُّوا علينا ما أخذتُم لنا ... وعاوِدُونا فيه إنْ عُدْنا
ما زالتِ الأسرارُ مكتومةً ... ما سمع الناس ولا قلنا
أَيْسَرُ ما في أمرِنا أنّنا ... لمّا حفظنا عهدَكم ضِعْنا

٨٤٩ ـ وله:

---

(١) القَتير: الشيب، أو أوّل ما يظهر منه. الحرض: الكالّ المعيي، والمشرف على الهلاك، والمريض.
(٢) شماس: أي امتناع.
(٣) أي: مِن جُلاّسي الذين لا يبرحُوني، تقول: كن حِلْسَ بيتك، أي لا تبرحه.

كـأسُ الهـوَى والخَمْـر واحـدةٌ كـلٌّ مُسَلَّطـةٌ علـى العَقْـلِ

٨٥٠ ـ وله:

وللحـبِّ غـايـاتٌ وأسْهَلُهَـا الـرَّدَى وقـد صـارَ عِنـدي عنـدمـا نـالنـي سَهْـلا

٨٥١ ـ وقال أبو منصور بن الفضل:

فمـا فـي الهـوَى مَـرْعَـى يطيـبُ لِـذائِـقٍ ولا مَـوْرِدٌ عَـذْبٌ يلَـذُّ بـه حـاسِـي[1]

سـؤال مَغَـانٍ ربْعُهـا أخـرس الصَّـدى وشكـوَى إلـى مَـن قلبـه ليِّـن قـاسـي[2]

٨٥٢ ـ وله:

كلَـفَ تَجلّـديَ الـذي أَسْطِيعُـه هـلْ فـيَّ إلاّ قـدرة الإنسـانِ

ولئِـن فـرَرْت مـنَ الهـوَى بحشـاشتـي فـالحـبّ شـرّ مَتَـالِـفِ الحيـوان[3]

٨٥٣ ـ وله:

نَـوَدُّ النُّحُـورَ ونَهْـوَى الثُّغُـورَ ونَعْلَـم أنّـا نُحِـبّ المَنُـونـا

٨٥٤ ـ وله:

النّجـاءَ النّجـاءَ مـنْ أرضِ نَجْـدِ قبـلَ أن يَعْلَـق الفُـؤادُ بـوَجْـدِ

كـم خَلِـيٍّ غَـدا إليـه وأمسَـى وهـو يهـذِي بعلْـوَةٍ وبِهِنْـد

٨٥٥ ـ ولأبي بكر محمد بن عُمر العَنْبَري:

يـا صـاح إنّـي مُـذْ عـرَفْت الهـوَى غـرِقْـتُ فـي بحـرٍ بـلا سـاحـلِ

عَيْنـي لحَيْنِـي نظَـرَتْ نظـرةً رُحْـتُ لهـا فـي شُغُـلٍ شـاغـلِ[4]

عَلِقْتُـه فـي البيـتِ مِـن فـارسٍ لكنّـه فـي السِّحْـر مـن بـابـل

يظلِمُنـي والعَـدْل مِـنْ شـأنِـه مـا أوجـع الظّلـم مـنَ العـادل

٨٥٦ ـ وقال شيخنا أبو عبد الله البَارِع[5]:

---

(١) حاسي: شارِب.

(٢) مَغانٍ: جمع مغنًى، وهو المنزل.

(٣) الحشاشة: النفس. مَتالِف: مهالك.

(٤) الحَيْن: الموت والهلاك.

(٥) هو الإمام النحوي، شيخ القراء، الشاعر، أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الحارثي البغدادي ابن الدّباس، الملقّب بالبارع، كان ذا لعب ومعاشرة، ثم تاب وأناب، ولزم مسجده بباب المراتب. ولد سنة (٤٤٠) هـ، وتوفي سنة (٥٢٤) هـ. انظر: السير ١٩/٥٣٣، الكامل في التاريخ ١٠/٦٦٧، البداية والنهاية ١٢/٢٠١، شذرات الذهب ٤/٦٩.

يـا قلـبُ صَبـراً لنَيْـلِ غُنْـجٍ مِـنْ مقلـةِ الشّـادِن المَلِيحـة[1]
هـذا الـذي كنـت فـي مسـاءٍ أنهـاك عنـه وفـي صَبِيحـة
حتّـى إذا مـا وقَعْـتَ فيـه وصِـرْتَ فـي حـالـةٍ قبيحـة
جئـتَ مـن الحـبّ مُستغيثـاً تسـألنـي سَلْـوةً مُـريحـة
كطـالـب الـرُّشْـدِ عنـدَ أعمَـى وقـابِـسِ النّـار فـي البَطيحـة
سـوف أُنـادي عليـكَ حتـى تَصيـر بيـن المَـلا فَضِيحـة
هـذا جـزا مـن نَصَحْـتُ جَهْـدي لـه فلـم يَقْبَـلِ النّصيحـة

٨٥٧ ـ وله أيضاً:

أَبَـتْ نـار قلبِـك إلاّ استعـارا ومـاءُ شـؤونـك إلاّ انهِمـارا[2]
وكنـتَ صَبـوراً قُبَيْـل الفِـراق فهـلاَّ أطَقْـتْ عليـه اصطبـارا
أهـابَ بقَلْبِـك داعـي النَّـوَى غَـداة الـوَدَاع ألاَ لاَ فِـرارا
فـأَزْمِـع إذ أَزْمَعُـوا نِيّـة فِـراقَ حشـاك، وسَـارُوا فسـارا[3]
فلَسْـت تـراكَ ضَنًـى بعـدهـا عيـونُ العـوائِـد حتـى تمـارَى[4]
كـأنْ لـم يُطِـفْ بسِـواك الهـوَى ولا احتـلَّ غيـر سُـوَيـداك دارا
وقـد مـات قيـسٌ بـه هـائمـاً فمـا أدركَـتْ عـامـرٌ منـه ثـارا
وأوْدَى بعُـرْوةَ مِـن قَبْلِـه فلـم تَغْـزُ عُـذْرَةُ عنـه انتصـارا
ومـات بِـدائهمـا تَـوْبَـةُ أحبُّـوا كـرامـاً ومـاتـوا حِـرَارا[5]
وأنـت علـى إثـرهـم سـالـكٌ سبيلَهـم فـالفـرارَ الفـرارا
وكنـتُ وليلـى رَضِيْعَـيْ هـوَى وجـاريْ صَفَـا مـا تَـذُمُّ الجـوارا
فـأصبـح قـد جُـذَّ حَبْـلُ الـوصَـال وجَـدَّ الفِـراقُ فشَطَّـت مَـزارا[6]
وقـد خلَّفَتْنـيَ أرعَـى النّجـوم أيـن بـدا ذا وذا أيـن غـارا

٨٥٨ ـ وقال آخر:

أيّهـا النـائمـون حَـوْلـي هَنِيّـا هكـذا كنـتُ حيـث كنـت خَلِيّـا

---

(١) الشادن: وَلد الظّبية، وهنا استعارة.
(٢) الشؤون: مجاري الدمع من العين.
(٣) أزمع على الأمر: ثبّت عليه عزمه.
(٤) ضنًى: مريضاً بالحب. تمارى: تشك.
(٥) حرار: عطاش.
(٦) شطت: بعدت ونأت.

مَــن رآنــي فــلا يُــدِيمــنَّ لَحْظـاً ... ولْيَكُــن مِــنْ جَلِيســه سَــامِــرِيّــا[1]

٨٥٩ ـ وقال آخر:

مَــن ســرَّه أن يــرَى المنــايــا ... بعيْنِــه منظــراً صُــراحــا
فليحْــسُ كــأســاً مِــنَ التَّجَنِّــي ... وليعشَــق الأوجُــهَ المِــلاحــا
يــا أعينــاً أُرْسِلــتْ مِــرَاضــا ... فــاخْتَلَســتْ أعْيُنــاً صِحــاحــا

٨٦٠ ـ وقال آخر:

مَــن كــان لــم يــذُقِ الهــوَى فليَــأْتِنــي ... أُخْبِــرْه مِــن طَــبٍّ بــه ذوَّاقِ[2]
الحــبّ أوّلــه يَلَــذُّ مَــذاقُــه ... فــإذا خَبَــرْتَ خَبَــرْتَ شَــرَّ مَــذاقِ

٨٦١ ـ وقال آخر:

مــا أقْتَــل الحــبَّ والإنســانُ يجهلُــه ... وكــلُّ مــا لــم يَــذُقْــه فهــو مجهــول
راحَ الــرّمــاة إلــى بعــضِ المَهــا فــإذا ... بعــضُ الــرّمــاة ببعــضِ الصَّيْــدِ مقتــولُ

* * *

(١) أي: كالأعمى، الذي فُقِدت عيناه بالمسامير.
(٢) الطَّب: الحاذق الماهر.

البَابُ الثَّامِنُ والثَّلاثُون

فِي ذِكْرِ ثَوَابِ مَنْ عَشِقَ وَعفَّ وَكَتَم

٨٦٢ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ، قال: أنبأنا علي بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: حدثنا محمد بن جعفر بن سهل، قال: حدثنا يعقوب بن عيسى ـ من وَلد عبد الرحمن بن عوف ـ، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: «من عَشِقَ، فعَفَّ فمات، فهو شهيد»(١).

---

(١) حديث واهٍ بمرة: إن لم يكن موضوعاً وهذا الحديث سيذكره المصنف ويكرره كثيراً في هذا الباب، ولو نظرنا في أسانيده التي ذكرها وطرقه ورواياته، نراها ترجع إلى أربع طرق:

١ ـ محمد بن جعفر بن سهل، عن يعقوب بن عيسى، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس به.

٢ ـ سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس به.

٣ ـ محمد بن حريث، عن مطر، عن أبيه، عن أبي سعيد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفاً عليه.

٤ ـ سويد بن سعيد، عن عليّ بن مُسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً.

قلت: وهذا الحديث باطل سنداً ومَتْناً: فأمّا من جهة الإسناد:

فالطريق الأولى: فيها انقطاع وضعف، قال ابن القيم في الجواب الكافي ص ٣٤١: «وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي من حديث محمد بن جعفر بن سهل، حدثنا يعقوب بن عيسى، عن ولد عبد الرحمن بن عوف، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به مرفوعاً. وهذا غلط قبيح، فإن محمد بن جعفر هذا هو الخرائطي، ووفاته سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، فمُحال أن يُدرك شيخُه يعقوبُ ابنَ أبي نجيح، لا سيما وقد رواه في كتاب الاعتلال عن يعقوب هذا، عن الزبير، عن عبد الملك، عن عبد العزيز، عن ابن أبي نجيح. والخرائطي هذا مشهور بالضعف في الرواية، ذكره أبو الفرج في كتاب الضعفاء».

وأما الطريق الثانية: التي هي من طريق سويد بن سعيد، فهي عمدة هذا الحديث، وهي منكرة واهية لأجل سويد هذا، وهذا الحديث مما أنكر عليه حتى قال فيه يحيى بن معين: واللهِ لو كان عندي فرسٌ ورمحٌ لغزوت سويداً في هذا الحديث، وقال عنه: ساقط كذاب، وقال الإمام أحمد: متروك الحديث. وقال ابن حبان: يأتي بالمعضلات عن الثقات يجب مجانبة ما روى. وقال النسائي: ليس بثقة، وقال البخاري: كان قد عَمِي فيُلَقَّن ما ليس من حديثه. وأحسن ما قيل فيه قول أبي حاتم: صدوق كثير التدليس. ثم قول الدارقطني: ثقة غير أنه لما كبِر كان ربما قُرِىء عليه حديث فيه بعض=

٨٦٣ ـ أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن عليٍ بن ثابت، قال: أنبأنا الحَسن بن الحُسين النِّعالي، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن نصر الذَّارِع، قال: حدثنا أحمد بن محمود الأَنباري، قال: حدثنا سُويد بن سعيد الحَدَثاني، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القَتَّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عَشِق فمات فهو شهيد».

٨٦٤ ـ أخبرنا إبراهيم بن دِينار، قال: أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن نَبهان، قال: أنبأنا الحسَن بن الحُسين بن دوما، قال: أنبأنا أحمد بن نصر الذّراع، قال: حدثنا صدقة بن موسى، وأحمد بن محمود الأنباري، والقاسم بن أحمد، قالوا: حدثنا سُويد بن سعيد الحدَثاني، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق وكتم وعفّ فمات فهو شهيد».

قال الذَّارع: قال لنا عُمر بن زكريا المُؤَدِّب: معنى: وكتم: كتم مَنْ يُحِبّه أنّه يحبه.

٨٦٥ ـ وبالإسناد قال: حدثنا الذَّارع، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال حدثنا زكريا بن يحيى الكُوفي، قال: حدثنا محمد بن حُريث، عن مطر، عن أبيه، عن أبي سَعيد البَقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: من عشق فعفّ فمات دخل الجنة.

٨٦٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن، عن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي، قال: أنبأنا محمد بن طلحة النِّعالي، قال: حدثنا أحمد بن محمد الصَّرْصَرِي، قال: حدثنا إبراهيم بن

= النكارة فيُجيزه.

وفي هذه الطريق ـ أعني: الثانية ـ: أبو يحيى القتات: ضعيف جداً.

وأما طريق عكرمة عن ابن عباس موقوفاً عليه من قوله رضي الله عنهما، فاضطرب قول ابن القيم فيه، فقال في الجواب الكافي ص ٣٤٠ ـ ٣٤١: «والصواب في الحديث أنه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه، فغلط سويد في رَفْعه». وفي زاد المعاد ٤/ ٢٧٧ قال: «وفي صحته موقوفاً على ابن عباس نظر».

وأما حديث عائشة: فهو من طريق سويد أيضاً، وقد سبقت أقوال العلماء فيه.

هذا من جهة الإسناد. أما من جهة المتن فهو منكر أيضاً، أنظر تبيين ذلك في زاد المعاد ٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

وانظر في الحديث وتخريجه وكلام العلماء عليه: تاريخ بغداد ٥/ ١٥٦، ٢٦٢، ٢٧٢، و٦/ ٥٠ ـ ٥١، و١٣/ ١٨٤، والسير ١٣/ ١١٣، والجواب الكافي ص ٣٤٠ ـ ٣٤٢، وروضة المحبين ص ١٨٢، والمقاصد الحسنة (١١٥٣)، وكشف الخفاء ٢/ ٢٦٣، وميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٠ ولسان الميزان ١/ ٢٩٢، والفوائد المجموعة ص ٢٥٥، والمنار المنيف ١٤٠، وأسنى المطالب (١٤٣٩)، والسلسلة الضعيفة (٤٠٩).

جعفر الفقيه، عن سُويد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن مُسهر، عن أبي يحيى القَتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: «من عشِق وكتم وعفّ ثم مات مات شهيداً».

٨٦٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن، قال: أنبأنا أحمد بن علي، قال: حدثنا المؤمل بن أحمد الصفّار، قال: حدثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكَتاني، قال: حدثنا أبو القاسم بن بكير التّميمي، قال: حدثنا محمد بن زكريا، قال: حدثنا سُويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق فعف وكتم ثم مات فهو شهيد».

٨٦٨ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، قال: حدثنا علي بن أيوب القُمّي، قال: حدثنا محمد بن عمران، قال: حدثني محمد بن أحمد بن مَخْزُوم، قال: حدثني الحسن بن علي الأُشْنَاني، وأحمد بن محمد بن مسروق، قالا: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق، فظفِر، فعَفّ، فمات مات شهيداً».

٨٦٩ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشِّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، قال: أنبأنا عبد الله بن علي الطُّوسي، قال: حدثنا محمد بن الحُسين الرّازي، قال: سمعتُ يوسف بن الحُسين يقول: حدثني بعض رُفقائي عن أبي بكر بن داود الأصبهاني، عن أبيه، عن سويد بن سعيد، عن علي بن مسْهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عَشِق فعَفّ وكتم ثم مات فهو شهيد».

٨٧٠ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، قال: حدثنا علي بن أيوب القُمّي، قال: حدثنا محمد بن عمران، قال: حدثني محمد بن أحمد بن مَخزوم، قال: حدثني الحسن بن علي الأُشْنَاني، وأحمد بن محمد بن مسروق، قالا: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن مُسْهِر، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق، فظفِر، فعف، فمات، مات شهيداً».

٨٧١ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الشِّيرازي، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلُمي، قال: أنبأنا عبد الله بن علي الطّوسي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحُسين الرازي، قال: سمعت يوسف بن الحُسين يقول: حدّثني بعض رُفقائي، عن أبي بكر بن داود الأصبهاني، عن أبيه، عن سُويد بن سَعيد، عن علي بن مُسهر، عن أبي

يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق فعف وكتم فهو شهيد».

٨٧٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر البَرْمَكِي، قال: أنبأنا أبو الحُسين الزَّيْنَبِي ـ إجازة ـ، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثنا أبو بكر الأزرق، قال: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: حدثنا علي بن مُسهر، عن أبي يحيى القتّات، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: مَن عشق فكتمه وعفّ فمات فهو شهيد.

قال ابن المَرْزُبان: حدثني أبو بكر الأَزْرق هذا الحديث عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ فعاتبته على ذلك، فأسقط ذِكر النبيّ ﷺ، فعاتبته على ذلك، وكان يُسأل بعد ذلك عن الحديث فلا يرفعه.

٨٧٣ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأَزهري، قال: حدثنا المُعافَى بن زكريا، قال: حدثنا قُطْنة بن المفضل بن إبراهيم الأنصاري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مَسْروق، قال: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: حدثنا عليّ بن مُسْهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَن عشق فعف ثم مات مات شهيداً».

٨٧٤ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا صاعِد بن سَيّار، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن سَهل الغُوْرَجي، قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ ـ إجازة ـ، قال: حدّثني أبو علي بن أبي بكر، قال: حدثنا محمد بن الحُسين البخاري، قال: حدثنا أبو عبد الله العُمَري، قال: سمعت الجاحظ يقول: سُئل شَرِيك بن عبد الله عن العشّاق، فقال: أشدّهم حبًّا أعظمهم أجراً.

* * *

البَابُ التّاسِعُ والثّلاثُون

في ذِكْرِ الآفَاتِ التي تَجْرِي علَى العَاشِقِ مِنَ المَرَض والضَّنَى، والجُنونِ، وغير ذلك

٨٧٥ ـ أخبرنا الحُسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أنبأنا أبو جعفر بن المُسْلِمة، قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص، قال: أنبأنا أحمد بن سُليمان بن داود، قال: أنبأنا الزُّبير بن بَكّار، قال: حدثني عمّي مصعب بن عبد الله، قال: بعثَت قريش عمارةَ بن الوليد مع عَمْرو بن العاص إلى النّجاشي يُكلّمانه فيمن قدِم عليه من المهاجرين. فراسل عمارة بن الوليد جاريةً لعَمْرو بن العاص كانت معه حتى صَغَتْ إليه، فاطلع على ذلك عَمْرو بن العاص فقال:

تعلَّـمْ عُمَـارَ أنّ مِـنْ شَـرّ شِيمـة ... لمِثْلِـك أن يُـدْعَـى ابـنُ عـمّ لـه ابنمـا[1]
أئـن كنـتَ ذا بُـرْدَيْـن أحـوَى مُـرَجَّـلا ... فلسـت بِـرَاءٍ لابـنِ عمِّـك محـرمـا[2]
إذا المـرءُ لـم يتـرك طعـامـاً يُحِبّـه ... ولـم ينْـهَ قلْبـاً غـاويـاً حيـث يَمَّمَـا[3]
قضَـى وَطْـراً منـه وغَـادر سُبَّـةً ... إذا ذُكِـرَت أمثـالهـا تمـلأ الفمـا

وقد كان عمارة أخبر عَمْراً أنّ زوجة الملِك النجاشي عَلِقَتْه، فأدخَلَتْه، فلما يئِس عمْرو بن العاص من أمر المهاجرين عند النجاشي، بخل بعمارة عنده، وأخبره خبرَه وخبر زوجته.

فقال النجاشي: ائتني بعَلامة أستدلّ بها على ما قلتَ. فعاد عُمارة فأخبرَ عمْراً بأمره وأمر زوجة النجاشي، فقال له عَمْرو: لا أَقْبَل هذا منك إلاّ أنْ لا ترضَى منها إلاّ بأن تعطيك منْ دُهن الملِك الذي لا يدَّهن به غيره.

فكلّمها عُمارة في الدّهن، فقالت: أخاف من الملك، فأبَى أنْ يرضَى عنها، حتى تعطيه من ذلك الدّهن، فأعطته منه، فأعطاه عَمْراً، فجاء به إلى الملِك النجاشي، فنفخ سحراً في إحْلِيله[4].

---

(١) الشيمة: الخلُق.
(٢) الأحوى من الرِّجال: الأحمر الضارب إلى سواد، كصدأ الحديد، الترجيل: تحسين الشعر وتمشيطه.
(٣) غاوياً: ضالاً.
(٤) أي: في إحليل عُمارة، والإحليل: مخرج البول من الإنسان.

فذهب مع الوحش ـ فيما تقول قريش ـ فلم يزل مستوحشاً يَرِدُ ماءً في جزيرة بأرض الحبش، حتى خرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة في جماعة من أصحابه، فرَصده على الماء فأخذه، فجعل يَصيح به: يا بَحِيرُ[1] أرسِلني، فإنّي أموت إنْ أمسكتني، فأمسكه، فمات في يده.

٨٧٦ ـ أخبرنا إبراهيم بن دينار الفَقيه، قال: أنبأنا محمد بن سعيد بن نبهان. قال: أنبأنا الحَسن بن الحُسين بن دُوما، قال: أنبأنا أحمد بن نصر الذّارع، قال: حدثني محمد بن عبد الله الكاتب، قال: أنبأنا عبد العزيز بن محمد الفارسي، قال: حدثني أبي، قال: كان لكِسْرى حاجب عَشِق جارية، فعاتَبَتْهُ يوماً، فلم يَدْرِ ما يُجيبها وارْتُجّ عليه، فذَهب ليتكلم فلَجْلَجَ.

قال: فما زال في ذلك أَخْرس، يُكَلَّم فلا يتكلم، فجمع له كِسْرى الأطباء ليُعالجوه، فلم يكن فيه حِيلة، وتوفّي على ذلك.

٨٧٧ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيُّويه قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن منصور بن سَيّار قال: حدثنا نوح بن يزيد المعَلِّم قال: حدثنا إبراهيم بن سعد قال: حدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزّبير قال: سمعت رجلاً من بني عُذْرة عند عُروة بن الزُّبَير يُحدّثه، فقال عروة: يا هذا بحقٍّ أقول لكم، إنكم أرَقُّ الناس قلوباً. فقال: نعم والله، لقد تركتُ بالحي ثلاثين شاباً، قد خامرهم السِّلّ، ما بهم إلاّ داء الحُبّ.

٨٧٨ ـ وبالإسناد حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أحمد بن زُهير، قال: حدثني علي بن صالح، عن ابن دَأبٍ، قال: مرَّ عَمرو بن مناة الخُزاعي، بلَيْلى الخُزَاعية، وهي تحت أراكة[2] ومعها نسوة من قومها، وكان عَمْرو معروفاً بحسن الحديث، ورِقّة الشعر، فقال له النسوة: هلمّ فحَدِّثنا. فجلس يُحَدِّثُهُنّ، فرأى ليلَى بنت عُيَينة، فعَلِقَها وتزايد الأمر به، فهام حتى كان لا ينام إلاّ حيث يرى بُيوت أهلها، وإلاّ لم ينم. وأخذته الوَسْوسة، وفقد عقله، وكان لا يَهْذِي إلاّ بذكرها، وقال فيها أشعاراً كثيرة. فمن قوله فيها:

تــوسَّــدَ أحجــاراً ودَقْعَــاءَ بــائتــاً ... مبيــتَ عَسِيــفِ الحَــيِّ غيــر المكــرَّم[3]

---

(١) يقصد: عبدَ الله بن أبي ربيعة.

(٢) الأراكة: نوع من أنواع الشجر، وهو شجر السّواك.

(٣) دَقْعاء: الأرض لا نبات فيها. العَسيف: الأجير المستهان به.

أرى بيتَ ليلى حين أُغْلِق بابه ... ألذّ وأشهى مِنْ مهادٍ مُقَدَّمِ

٨٧٩ ـ وبالإسناد حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني محمد بن الفضل، عن أحمد بن محمد الأزدي، عن عبد الله بن هَمَّام، قال: خرجتُ أريد بعض الحوائج، فإذا أنا بابن أبي مالك، وهو قاعد في الصحراء بين الحِيْرة والكوفة، فقلتُ: ما تصنع ههنا؟ فقال: أصنع ما كان صاحبنا يصنع. فقلت: ومن صاحبكم؟ قال: مجنون بني عامر صاحب ليلى.

قال: وإلى جانبه حَجر، فتناوله، وعدا خلفي، فتجاوَزني الحجر، وعُدْت فقَعَدْت بعيداً منه.

قال: فقال لي: والله ما أحسَنَ، ولا أجمل حيث يقول:

علقْتُكِ إذ عيني عليها غِشاوَة ... فلمَّا انجلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومها[1]

ما له لم يقل كما قلتُ:

رَماني الهوَى منه بأعظم شَجْوة ... وعَسْكر حَوْلي الهَجْرُ دون حَبيبي[2]

فصبراً لَعَلَّ الدّهر يجمع بيننا ... بإلفِ حَبيب أو بموت رَقيبِ

قال: ثم قال: ألا تقول ما هو أحسن من هذا: لا إله إلا الله الواحد الأحد، خلَق فقَدّر، وحكم فعَدل!

٨٨٠ ـ وبه حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني العباس بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري، قال: حدثني أبي، قال: سمعت عبد الله بن إدريس، يقول: رأيتُ ابن أبي مالك جالساً في موضعٍ قد كان فيه رَماد، ومعه قِطعة جِصّ يخطط بها، ويَستبين بياض الجِصّ في سواد الرَّماد، قال: فقلت له: يا ابن أبي مالك ما تصنع؟ قال: ما كان صاحبنا يصنع؛ يعني مجنون بني عامر. قال: فقلت: وما كان يصنع؟ قال: سمعته يقول:

عشيةَ ما لي حِيلةٌ غير أنّني ... بِلَقْطِ الحَصا والخَطِّ في الدّار مُولَعُ

أخطُّ وأَمْحو فيه ما قد خَطَطْتُه ... بدَمْعيَ والغربان في الدّار وُقَّعُ[3]

قلتُ: ما سمعته. قال: فتضاحك ثم قال: أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان/ ٤٥]. أفسمعته أو رأيته يا ابن إدريس؟! هذا كلام العرب.

٨٨١ ـ وبالإسناد حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني محمد بن الفضل، قال: حدثني بعض أهل الأدب، عن محمد بن أبي نصر الأزدي، قال: رأيت بالبصرة مجنوناً، قاعداً على

---

(١) انظر ديوان مجنون ليلى ص ١٥٧، طبع دار الكتاب العربي.
(٢) الشجو: الحزن.
(٣) ديوان مجنون ليلى ص ١٢٨.

ظهر الطّريق بالمِرْبد[1]، وكلما مرَّ به ركب قال:

ألاَ أيّها الـرّكـبُ اليَمـانُـون عَـرِّجُـوا ... علينـا فقـد أمسَـى هَـوَانـا يمـانِيَـا
لنسـألكـم هـل سَـال نُعمـان بعـدنـا ... فحُـبَّ إلينـا بطـن نعمـان واديـاً

قال: فسألت عنه، فقيل: هذا رجل من البصرة، كانت له ابنة عمّ، وكان يُحبها، فتزوّجها رجل من أهل الطائف فنقَلها، فاستوْلَه عليها.

٨٨٢ ـ وبه حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني أحمد بن معاذ بن يزيد الكَتاني، قال: حدثني محمد بن زياد الأعرابي، قال: رأيت بالبادية أعرابياً في عُنقه تمائِم[2]، وهو عُريان، وعلى سوأته خِرْقة، وفي رِجْله حَبْل، وخَلْفه عجوز تُمسكه بطَرَفِ الحَبْل، وإذا هو يَعَضُّ ذِراعيه. فقلتُ للعجوز: من هذا؟ فقالت: ابن ابنتي. فقلت لها: ما حاله؟ أبه مسٌّ من الجنّ؟ قالت: لا والله، لكنّه نشأ وابنة عمٍّ له في مكان واحد، فعَلِقها، وعَلِقَتْه، فحبَسها أهلها عنه، ومنعوها منه، فزال عقلُه، وصار إلى ما ترَى. فقلت لها: ما اسمه؟ فقالت: عكرمة. فقلت: أيا عكرمة: ما أصابك؟ فقال:

أصـــابنـــي داءُ قَيْـــسٍ ... وعُـــــروةٍ وجميـــــلْ
فـــالجســـمُ مِنّـــي نحيـــلٌ ... وفـــي الفـــؤاد غَليـــلْ

قال: فتركته ومضيت.

٨٨٣ ـ وبالإسناد حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني عبد الرحمن بن عبد الله السَّرَخْسِي، قال: حدثني عباس بن عُبَيدة، قال: كان بالمدينة جارية ظَريفة حاذِقة بالغِناء فهَوِيَت فتًى من قريش، فكانَتْ لا تُفارقه، ولا يُفارقها، فمَلَّها الفتى، وتزايدت هي في محبّته، وأسِفَت[3]، وغارت، وَوَلِهَتْ[4]، وجعل مولاها لا يعبأ بذلك ولا يَرِقّ لشكواها، فتفاقم الأمر بها، حتى هامَت على وجهها، ومزَّقت ثيابَها، وضرَبت مَن لقِيها. فلمّا رأى مولاها ذلك عالَجها فلم ينجح فيها العلاج، وكانتْ تدُور بالليل في السّكك بعد الطوف، فلقيها مولاها ذات يوم في الطريق، ومعه أصحابٌ له، فجعلت تبكي، وتقول:

الحُـبُّ أول مــا يكــون لُجَـاجَــة ... تــأتــي بــه وتَسُـوقــه الأَقْــدارُ
حتـى إذا اقتحَـم الفتَـى لُجَـجَ الهـوَى ... جــاءت أمــورٌ لا تُطــاقُ كِبــارُ

---

(١) المِرْبَد: سور بالبصرة مشهور.
(٢) التمائم: واحدَتُها تَمِيمة، وهي خرزات كان الأعراب يُعَلِّقونها على أولادهم يَنفون بها النَّفْسَ والعين بزَعْمِهم، فأبطله الإسلام.
(٣) أسِفت: حَزِنت.
(٤) الوله: ذهاب العقل والتحيّر من شدة الوَجْد.

قال: فما بقي أحدٌ إلاّ رحمها. فقال لها مولاها: يا فلانة، امضي معنا إلى البيت. فأبت، وقالت: شغَلَ الْحَلْيُ أهلَه أن يُعارا[١].

قال: وذكر بعض من رآها ليلة وقد لَقِيَتْهَا مجنونةٌ أخرى، فقالت لها: يا فلانة كيف أنت؟ فقالت: كما لا أُحِبّ، فكيف أنت مِن وَلهك وحبّك؟ فقالت: على ما لم يزلْ يتزايد على مرّ الأيام. قالت لها: فغنّي بصوتٍ من أصواتك، فإنّي قريبة الشَّبَهِ بك. فأخَذَت قَصْبة، تُوقِع[٢] بها، وغنّت:

يـا مـن شكـا ألمـاً للحُـبّ شبَّهَـه ... بـالنّـار في القَلْب من حُزْنٍ وتَـذْكَـارِ
إنّـي لأعْظِـم مـا بـي أن أشبِّهـه ... شيئـاً يُقـاسُ إلـى مِثْـلٍ ومقـدار
لـو أنّ قلبـيَ فـي نـارٍ لأحـرَقهـا ... لأنّ أحـزانـه أذكـى مـن النـارِ

قال: ثم مضت.

٨٨٤ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المحسِّن، عن أبيه، قال: أخبرني أبو الفَرج الأصبهاني، قال: حدثني حَبيب بن نصر المُهَلَّبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثني عبد الله بن نصر المَرْوزي، قال: حدثني محمد بن عبد الله الطَّلْحِي[٣]، قال: حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ، قال: قدم على نيسابور إبراهيم بن سيّابة الشاعر البصري، فأنْزَلْتُه عليَّ، فجاء ليلة من الليالي، وهو مَكْرُوب وقد هاج، فجعل يَصيح بي: يا أبا يوسف، فخشيتُ أن يكون قد غَشِيَتْه بَلِيّة، فقلت له: ما تشاء؟ فقال:

أعيـانـيَ الشـادِنُ الـرّبيـبُ[٤]

فقلت: بماذا؟ فقال:

قـد كنـت أشكـو فـلا يُجيـب

فقلت: داوِه، ودواوِه. فقال:

مـن أيـن أبغـي شفـاءَ دائِـي ... وإنّمـا دائِـيَ الطَّبيـبُ

فقلت: إذن يُفَرّج الله عزّ وجلّ. فقال:

يـا ربّ فـرِّج إذن وعَجِّـلْ ... فـإنّـك السّـامِـع المُجيـبُ

ثم انصرف.

---

(١) مَثَل يضربه المسؤول شيئاً هو أحوج إليه من السائل. مجمع الأمثال ٢/ ١٨٠.

(٢) أي تضرب بها الأرض بوَقْع مُعَيَّن يُحْدِث نغماً.

(٣) الطَّلْحِي: نسبة إلى طَلْحة بن عبيد الله الصحابي المعروف رضي الله عنه. انظر: الأنساب ٤/ ٧٠، ولب اللباب ٢/ ٩٢.

(٤) الشّادِن: هو الغزال إذا قوي وطلَع قرناه، ومراد الشاعر واضح.

٨٨٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار:

وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا ابن السرّاج:

قالا: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: حدثنا ابن حيويه، قال: حدثنا أبو بكر بن المرزبان ـ إذناً ـ، قال: حدثنا عبد الله بن عُمر، قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النَّوْفَلي، قال: ذكر أبو المختار، عن محمد بن قيس العَبْدي، قال: إنِّي لبمزدلفة بين النائم واليقظان، إذ سمعتُ بكاءً حَرِقاً ونفساً عالياً، فاتّبَعْتُ الصَّوت، فإذا بجارية كأنها الشمس حسناً، ومعها عجوز، فلطَطْتُ[1] بالأرض، أُلاحظها، وأُمَتِّع عَيْنَيَّ بحُسْنها، فسمعتها تقول:

دعَوْتُكَ يا مولايَ سِرًّا وجهرةً ... دُعاءَ ضعيفِ القَلْبِ عن مَحْمل الحُبِّ

بُليتُ بقاسي القلبِ لا يعرِفُ الهوَى ... وَأَقْتَلِ خلقِ اللَّـهِ للهائِم الصَّبِّ[2]

فإن كنتَ لم تقضِ المودَّة بيننا ... فلا يَخْلُ من حبٍّ له أبداً قلبي

رَضِيت بهذا ما حَيِيت فإنْ أَمُتْ ... فحسبي ثواباً في المَعاد بهِ حسبي

قال: وجعلت تردِّد هذه الأبيات وتبكي فقمت إليها، وقلتُ: بنفسي أنت مع هذا الوجه وهذا الجمال يمتنع عليك مَن تُريدين؟! قالت: نعم والله، والله يفعل هذا تصبُّراً، وفي قلبه أكثر مما في قلبي. قلت: فإلى كم البكاء؟ قالت: أبداً، أو يصير الدّمع دماً، وتتلف نفسي غمًّا. قلت: إن هذه آخر ليلة من ليالي الحجّ، فلو سألت الله عزّ وجلّ التوبة مما أنت فيه، رجوتُ أن يُذْهِب حُبّه من قلبك. قالت: يا هذا، عليكَ بنفسك في طلَب رغبتك، فإنّي قد قدَّمت رَغْبتي إلى من لا يجهل بُغْيَتِي. وحَوَّلَتْ وجهها عنّي، وأَقْبَلَتْ على بُكائِها وشِعْرِها، ولم يكن بها قولي ووعظي.

٨٨٦ ـ أنبأنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا عبد الصمد بن محمد بن مُكْرِم قال: أنبأنا إسماعيل بن سعيد بن سُويد قال: حدثنا الحُسين بن القاسم الكَوْكبي قال: حدثنا محمد بن موسى المَارِسْتَاني قال: حدثنا الزّبير بن بكّار قال: حدثني أحمد بن معذّل قال: كان سَوّار بن عبد الله القاضي[3] قد خامرَ قلبَه شيء من الوَجْد فقال:

---

(١) لططت بالأرض: التصقت بها. يعني أنه هوى إلى الأرض متخفياً.

(٢) الصبّ من الصَّبابة: وهي رِقة الشوق وحرارته.

(٣) هو الإمام العلامة القاضي: سَوّار بن عبد الله بن سَوّار بن عبد الله بن قدامة. أبو عبد الله التميمي العنبري البصري، قاضي الرُّصافة من بغداد. وكان من فحول الشعراء فصيحاً مفوّهاً. عَمِي في آخر عمره، ومات سنة (٢٤٥) هـ. انظر: السير ١١/٥٤٣، وتاريخ بغداد ٩/٢١٠، وتهذيب التهذيب ٤/٢٦٨، وشذرات الذهب ٢/١٠٨.

سَلَبَتِ عِظامي لحمَها[1] فتَرَكْتِهَا عَوارِيَ في أجلادها[2] تتكسّرُ
وأخليَتِ منها مُخَّها فكأنّها قواريرَ في أجوافها الرِّيحُ تَصْفِرُ
خُذي بيدي ثم ارْفَعي[3] الثّوْب فانظري بِلَى جَسَدي لكنّني أتَسَتّر

٨٨٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أخبرنا الجوهري، قال: أنبأنا ابن حَيويه، قال: حدثنا أبو بكر بن المَرْزُبان ـ إذناً ـ، قال: حدثني عبد الرحمن بن بَشير، قال: حدثني محمد بن الحَسن، قال: حدثتني أم إبراهيم بن جَميل، قالت: حدثني عبيد الله الشَّرَوي[4] قهرمان سليمان بن أبي جعفر، قال: دخل هارون الرّشيد على سليمان بن أبي جعفر، وكان عَليلاً، فرأى عنده جارية له تُسمَّى ضعِيفة، في غاية الحسن والجمال والشّكل، فوقعت في قلبه، فقال هارون لسليمان: هَبْها لي، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين. فلما أخذها مرض سليمان من شِدّة حبّه لها، فقال سليمان:

أشكو إلى ذي العَرْش ما لاَقيتُ من أمر الخَليفَه
يَسَع البريَّةَ عَدْلُه ويُريد ظلمي في ضَعِيفهْ
عَلِق الفؤادُ بحبّها كالحِبر يعلَقُ بالصَّحيفهْ

قال: فبلغ ذلك هارون الرشيد فردّها عليه.

٨٨٨ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا ابن شاهين، قال: أنبأنا جعفر بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، قال حدثنا علي القُمّي، قال: حدثني أبو المُصْعَب المَدِيني، قال: دخلتُ على الرَّبيع بن عُبيد، وكان قد تُيِّم عقلُه، فسمِعْتُه وهو يُخاطب نفسه، ويقول:

الحبُّ لو قطَّعني ما قلتُ للحُبّ ظَلَمْ
قد كنتُ خِلْواً زمناً فاليوم يبدو ما كُتِمْ

قال: قلت: يرحمك الله. فقال: مَن أنت؟ قلت: أنا أخوك أبو المصعَب: قال: عَشِيّة تجيء وأُخرى تذهب، وأنا أتوقع الموت ما بين ذلك. قلت: الله بينك وبين مَنْ ظلمك. قال: مه، والله ما أحبّ أن ينالَه مكروه. ثم تنفَّس حتى رَحِمْتُه، وذهَب عقله، فقمت عنه.

---

(١) في تاريخ بغداد ٩/ ٢١٠ والسير ١١/ ٥٤٤: مُخّها.
(٢) في تاريخ بغداد: ممّا نالها، بدل: في أجلادها، وهي في السير كما هنا.
(٣) هكذا في التاريخ، وفي السير: ثم اكشفي.
(٤) الشَّرَوي: بفتحتين، نسبة إلى الشَّرَاة، صُقع بالشام. انظر الأنساب ٣/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤، ولب اللباب ٢/ ٥٣.

٨٨٩ ـ أنبأنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار: وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد: قالا: أنبأنا الجوهري قال: حدثنا ابن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن القُرشي، قال: حدثنا محمد بن عُبيد، قال: حدثنا ابن عُبَيد، قال: حدثنا أبو مِخْنَف، عن هشام بن عروة، قال: أَذِن معاوية بن أبي سفيان للناس يوماً، فكان فيمن دخل عليه فتًى مِنْ بني عُذْرة، فلما أخذ الناس مجالسهم قام الفتى العُذْرِيّ بين السِّمَاطَيْن[1] ثم أنشأ يقول:

معـاويَ يـا ذا الفَضْـل والحلم والعَقْـلِ　　　وذا البِـرّ والإحسـان والجُـود والبَـذْلِ
أتيتُـك لمّـا ضـاقَ فـي الأرضِ مَسْلَكـي　　　وأُنْكِـرتُ ممـا قـد أصيـبَ بـهِ عقلـي
ففَـرِّج كَـلاك اللـهُ عنّـي فـإنّنـي　　　لَقِيـتُ الـذي لـم يلْقَـهُ أحـدٌ قبلـي[2]
وخُـذْ لِـي هـداك الله حقّـي مِـنَ الـذي　　　رَمـانـي بسهـمٍ كـان أهـونُـه قَتْلـي
وكنـتُ أُرَجّـي عَـدْلَـه إنْ أتيتـه　　　فـأكثـر تـردادي مـع الحَبْـس والكَبْـلِ
فطلَّقتُهـا مـن جهـد مـا قـد أصابنـي　　　فهـذا، أميـر المـؤمنيـن، مِـنَ العَـدْل؟

فقال معاوية: أَدْنُ بارك الله عليك، ما خَطْبك؟ فقال: أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنّني رجل من بني عُذْرة، تزوجت ابنة عم لي، وكانت لي صِرْمة[3] من إبل وشُوَيْهَات[4]، فأنفقتُ ذلك عليها، فلمّا أصابتني نائبة الزّمان، وحادِثات الدّهر، رَغِب عنّي أبوها، وكانت جارية فيها الحياء والكرم، فكرِهَتْ مخالفة أبيها، فأتيتُ عامِلك ابن أمّ الحَكَم، فذكرتُ ذلك له، وبلَغه جمالَها، فأعطَى أباها عشرة آلاف دِرهم وتزوّجها، فأخذني وحبسني وضَيَّق عليَّ، فلما أصابني مسُّ الحَديد وألم العذَاب طلقتُها، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين، وأنت غِياث المَحْرُوب[5]، وسَند المَسْلوب، فهل من فرَج؟ ثم بكى وقال في بكائه:

فــي القلــبِ منّــي نــارُ　　　والنّــار فيهــا شــرارُ
والجســمُ منّــي نحيــلٌ　　　واللــون فيــه اصفــرار
والعيــن تبكــي بشَجْــوٍ　　　فــدَمْعُهــا مِــدْرَار
والحــبُّ داءٌ عَسِيــر　　　فيــه الطَّبيــب يَحــارُ
حَمَلْــتُ منــه عظيمــاً　　　فمــا عليــه اصْطِبَــار

---

(١) أي: بين الصفّين.
(٢) كلاك الله: رعاك.
(٣) الصِّرْمة: القطعة من الإبلْ، يعني: القليل منها.
(٤) شويهات: جمع شُوَيْهَة، وهي مصغر: شاة.
(٥) المحروب: المسلوب، تقول: حُرِب فلانٌ مالَه، أي: سُلِبَه.

فليسَ ليلي بليلٍ ولا نهاري نهارُ

فَرَقّ له معاوية، وكتب إلى ابن أم الحكم كتاباً غليظاً، وكتب في آخره:

رَكِبْتَ أَمْراً عظيماً لستُ أعرفه أستَغْفِرُ اللهَ مِنْ جَوْر امرىءٍ زانِ
قد كنتَ تشبه صوفيّاً له كُتُبٌ مِنَ الفرائض أو آياتِ فُرْقانِ
حتى أتاني الفتى العُذْريّ مُنْتَحِباً يشكُو إليَّ بحقٍّ غير بُهْتَان
أُعْطِي الإلَه عهوداً لا أَخِيسُ بها أو لا فَبُرِّئْتُ من دِين وإيمان[1]
إن أنتَ راجَعْتَنِي فيما كتبتُ به لأجعلنّك لَحْماً بين عُقْبانِ[2]
طَلّقْ سعادَ وفارِقْها بمُجْتَمَعٍ أَشْهِد على ذاك نَصْراً وابن طِبْيَان
فما سمعتُ كما بُلِّغْتُ من عَجَبٍ ولا فِعالك حقّاً فعلَ إنسان

فلما ورَد كتاب معاوية على ابن أُم الحكم تنفّس الصعداء، وقال: ودِدْت أنّ أمير المؤمنين خلَّى بيني وبينها سنة ثم عرَضَني على السيف. وجعل يُؤامر نفسه على طلاقها، فلما أزعجه الوَفْد طلّقها، ثم قال: يا سُعاد، اخرجي. فخرجت شَكِلَةً غَنِجَة[3]، ذات هيئة وجمال، فلمّا رآها الوَفْد قال: ما تصلح هذه إلاّ لأمير المؤمنين، لا لأعرابي. وكتب جواب كتابه:

لا تحنثنَّ أميرَ المؤمنين، فقد أوفي بعهدِك في رِفْقٍ وإحسان
وما رَكِبْتُ حراماً حين أعجبني فكيف سُمِّيتُ باسم الخائِن الزّاني
وسوف تأتيك شمسٌ لا خفَاء بها أَبْهَى البَرِيَّة مِنْ إنسٍ ومِنْ جَانِ
حَوْراءُ يقصرُ عنها الوَصْفُ إن وُصِفَتْ أَقُول ذلك في سرٍّ وإعلان

فلما ورد على معاوية الكتاب قال: إن كانت أُعْطِيَتْ حُسْنَ النَّغْمَة مع هذه الصفة فهي أكمل البريّة، فاستنطقها، فإذا هي أحسن الناس كلاماً وأكملهم شكلاً ودِلاً، فقال: يا أعرابي، هل لك من سُلُوٍّ عنها بأفضل الرّغبة؟ قال: نعم إذا فرقت بين رأسِي وجسدي، ثم أنشأ الأعرابي يقول:

لا تجعَلَنِّي والأمثال تُضْرَب بي كالمستغيث مِنَ الرَّمْضاء بالنّار
أُردُد سعاد على حَيران مُكْتَئِبٍ يُمسي ويُصبح في هَمٍّ وتَذكار
قد شفَّه قلقٌ ما مثله قلق وأُسْعِر القلبُ منه أيَّ إسعار

---

(١) لا أَخِيس بها: أي لا أغدر.
(٢) عُقبان: جمع عقاب، وهو الطير المعروف.
(٣) أي مُزَيَّنة مُدَلّلة.

واللـهِ واللـهِ لا أنسَـى محبّتهـا حتى أُغيَّبَ في رَمْسٍ وأحجارِ[1]
كيف السُّلُوُّ وقد هامَ الفؤادُ بها وأصبـحَ القلـبُ عنهـا غيـر صبّـارِ

قال: فغضِب معاوية غضباً شديداً، ثم قال لها: اختاري إن شئت أنا، وإن شئت ابن أُم الحكم، وإن شئت الأعرابي. فأنشأت سعاد تقول:

هـذا، وإنْ أصبـح فـي أَطْمـار[2] وكـان فـي نَقْـصٍ مـنَ اليَسَـارِ
أكثـرُ عنـدي مـن أبـي وجـارِي وصـاحِـب الـدِّرهـم والـدينـار
أخشـى إذا غـدرْتُ حـرَّ النـار

فقال معاوية: خذها، لا بارك الله لك فيها.

فأنشأ الأعرابي يقول:

خَلُّـوا عـن الطّـريـق لـلأعـرابـي ألـم تَـرِقُّـوا وَيْحَكُـم لِمَـا بـي!

قال: فضحك معاوية وأمر له بعشرة آلاف دِرهم وناقة ووِطَاء، وأمر بها فأُدْخلت في بعض قُصوره، حتى انقضَتْ عدّتها من ابن أم الحكم، ثم أمر بدفعها إلى الأعرابي.

٨٩٠ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أخبرني الأزهري، قال: حدثنا محمد بن الحَسن بن المأمون، قال حدثنا أبو بكر الهَاشمي، قال: حدثنا محمد بن أحمد المُقَدَّمِي[3]، قال: حدثنا أبو محمد التَّيْمي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرّحمن مولى الأنصار، قال: حدثنا الأَصْمعي، قال: قال لي الرّشيد: أحبّ أن أسمع حديثاً أَتَفَرّج به، فحدثني بشيء. فقلت: يا أمير المؤمنين، صاحبٌ لنا في بَدْو بني فلان، كنتُ أغشاه وأتحدّث إليه، وقد أتتْ عليه ست وتِسعون سنة، أصحّ الناس ذِهْناً، وأجودهم أَكْلاً، وأقواهم بدَناً، فغَبَرْتُ[4] عنه زماناً، ثم قصدته، فوجدته ناحِل البدَن، كاسِفَ البال، مُتَغَيِّر الحال، فقلت: ما شأنك، أصابتك مُصيبة؟ قال: لا. قلت: أفمرضٌ عَرَاك؟ قال: لا. قلت: فما سببُ هذا الذي أراه بك. قال: قصَدْتُ بعض القرابة في حيّ بني فلان، فألفيتُ عندهم جارية قد لاثَت[5] رأسها، وعليها قَمِيص وقِناع مصبوغان، وفي عُنقها طَبْل تُوقع عليه، وتنشد:

---

(١) الرَّمْس: تراب القَبْر.
(٢) الأطمار: جمع طمر، وهو الثوب البالي.
(٣) المُقَدَّمي: نسبة إلى مُقَدّم جَدّ. انظر: اللباب ٣/٢٤٧، ولب اللباب ٢/٢٧١.
(٤) أي: غبتُ عنه.
(٥) أي لفّت عليه عمامة وعصبَتْه.

محاسِنها سهام للمَنايا   مُريَّشَةٌ بأنواع الخُطُوبِ
بَرَى ريبُ المَنون لهنَّ سَهْماً   يُصيب بنَصْلِه مُهَجَ القلوبِ

فأجبتها:

قِفي شَفَتي في مَوْضِع الطبل ترتقي   كما قد أبَحْتِ الطبلَ في جِيدِكِ الحَسَنْ
هَبِيني عُوداً أجْوَفاً تحتَ شَنَّة   تمتَّعَ فيما بين نَحْرك والذَّقَنْ

فلما سمعت الشعر منّي نزعت الطبل فرمتْ به في وجهي وبادرت إلى الخِباء فدخلت. فلم أزل واقفاً إلى أنْ حمِيَت الشمس على مَفْرِق رأسي لا تخرج إليَّ، ولا ترجع إليَّ جواباً. فقلت: أنا والله معها كما قال الشاعر:

فوالله يا سَلْمَى لطال إقامتي   على غيرِ شيءٍ يا سُلَيْمى أُراقِبُه

ثم انصرفتُ سَخِين العَيْن، قَرِح القلب، فهذا الذي ترَى من التغير من عشقي لها.

فضحك الرشيد حتى استلقى، فقال: ويحك يا عبد الملك، ابن ست وتسعين سنة يعشق! قلت: وقد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

٨٩١ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حَيّويه، قال: أنبأنا محمد بن خلَف، قال: أخبرني أبو العباس المَرْوزي، قال: أخبرني بعْضُ أهْل الأَدَب: أنّه كان للمُتَوَكّل جارية يقال لها: مَحْبُوبة، وكانت من الأدب والإحسان في الغِناء على غاية ما يكون مثلها، وكان المُتوكّل يَجِدُ بها وَجْداً شَديداً، وكانت له على مثل ذلك. فلمّا كان مِنْ أَمْرِ المتوكّل ما كان، تفرّقت الجواري إلى القُوّاد فصارَت محبوبة إلى وَصِيف، فكان لباسها البياض الخَشِن، وكانت تذكره فتشهق وتنتحب.

قال: فجلس وَصِيف يوماً للشُّرْب، وجلَس الجواري اللاتي كُنَّ للمُتوكل في الحُلِيِّ والحُلَل، وجاءت محبوبة في مِعْجَر[1] أبيض، فجلَست، فما هو إلاّ أنْ دار النَّبِيذ بين النّدماء، فأقبل وَصِيف علَى من حضره مِن جواري المتوكّل، وكان عنده منهنّ جماعة، فقال: غنِّين. فما بقيت منهن واحدة إلاّ غنّت وطَرِبت وضَحِكَت وشَرِبت، إلى أن أومأ وَصِيف إلى مَحبُوبة بالغناء، فقالت: إنْ رأى الأمير أن يعفيَني. فأبى، وقال لها الجواري: لو كان في الحزن فَرَجٌ لَحَزِنَّا معك؟ وجيء بعودٍ فَوُضِع في حِجْرها، فَسَوَّتْه وأنشأَتْ تقول:

أيّ عَيْشٍ يَطِيب لي   لا أرى فيه جعفرا

---

(١) المِعْجر: ما تلفّه المرأة على رأسها.

ملـــكٌ قـــد راتّـــه عيـ ـنـي جَـرِيحـاً مُعَفَّـراً[1]
كـلّ مَـن كـان هَـائمـاً وَسقيمـــاً فقـــد بَـــرا
غيـــر محبـــوبـــةَ التـــي لـــو تـــرَى المـــوتَ يُشْتَـــرى
لاشْتَـــرتْـــه بمـــا حـــوَ تْـــه جميعـــاً لِتُقْبَـــرَا
إنَّ مَـــوْتَ الكَئِيـــب أطيـــبَ مِـــنْ أنْ يُعمَّـــرا

فاشتد ذلك على وَصيف، فأمر بإخراجها، فصارت إلى قَبيحة[2]، فلما كان بعد هُنيهة سأل عنها وَصيف، فقيل له: صارت إلى قَبيحة. فبعث إليها، فقالت: تمسَّحَتْ[3] ومضت، فوالله ما أدري إلام صارت.

٨٩٢ ـ أخبرنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن قال: أنبأنا محمد بن العباس قال: حدثنا محمد بن خلف قال: ترى العاشق إذا رأى مَن يُحبه أو سَمِع بذكره كيف يهرب دمه، ويستحيل لونه، ويَخفق فؤاده، وتأخذه الرِّعْدة، وربّما امتنع مِنَ الكلام ولم يُطِق رد الجواب!

٨٩٣ ـ وقد قال بعض الشعراء:

عـلامَـةُ مَـن كـان الهـوَى فـي فـؤادِه إذا مـــا رأى الأَحْبَـــابَ أن يَتَحَيَّـــرَا
ويَصَفَـرَّ لـونُ الـوجـهِ بعـد احمِـراره وإن حـــرَّكـــوه للكـــلام تَثَـــوَّرا

٨٩٤ ـ أنبأنا عبد الوهاب الأنماطي، قال: أنبأنا محمد بن أبي نصر الحُمَيْدي، قال: أخبرني صاحب لي بالمغرب، قال: أخبرني سليمان بن محمد المقرىء الصِّقِليّ، قال: كان بسُوْسَة إفريقية رجل أدِيب شاعر، وكان يهوَى غلاماً جميلاً من غِلْمانها، وكان كَلِفاً به، وكان الغُلام يُعرض عنه، ويتَجَنّى عليه. فبينما هو ذات ليلة منفرداً يشرب وحدَه ـ على ما أخبرَ عن نفسه ـ وقد أخَذ النَّبِيذُ منه، إذ خطر بباله أن يأخذ قبَس نار ويُحرق داره عليه لتجنّيه عليه، فقام مِن حينه ونهض بِقَبَس نار، فجعله عند باب الغلام فاشتعل ناراً، واتفق أن رآه بعض الجيران، فبادَرُوا النار بالإطفاء، فلمّا أصبحوا نهضوا إلى القاضي فأعلَموه وشَكُوا منه، فأرسل إليه القاضي، وقال له: لأي شيء أحرَقْت باب هذا؟ فأنشأ يقول:

لمَّـــا تمـــادَى علـــى بُعـــادي وأَضْـــرَمَ النـــارَ فـــي فـــؤادي
ولـــم أجِـــدْ مِـــنْ هـــواه بُـــدًّا ولا مُعِينـــاً علـــى السُّهـــادِ

---

(١) العَفْر: التراب، وعَفَرَه في التراب وعَفَّرَه: مَرَّغه.
(٢) اسم امرأة.
(٣) تمَسّحت: أي لبست المسوح، والمسوح: ثوب من الشعر الغليظ.

حملتُ نفسي على وُقوفي ... ببابِه حَمْلَةَ الجَواد
فطار مِنْ بعض نارِ قلبي ... أقلّ في الوَصْف مِنْ زَنادي
فأحرَقَ البابَ دون عِلْمي ... ولم يكن ذاك مِنْ مُرادي

قال: فاستَظْرَفَه القاضي، وتحمَّل عنه ما أفسد، وخلَّى سبيله، أو كما قال.

٨٩٥ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أنشدنا علي بن محمد، قال: أنشدنا أبو بكر الصَّنَوْبَري لنفسه:

أَخَذوا للسَّيْر أُهْبَتَه ... وأخَذْنا أُهْبَةَ الكَمَدِ
زَعموا أنّ الفِراق غداً ... وفِراق الرُّوح بَعْد غدِ

٨٩٦ ـ حدّث الأصمعي، قال: رأيت امرأة في الطّواف وهي تقول: اللهم مالكَ يومِ القَضا، وخالِقَ الأرض والسَّما، ارحم أهل الهَوى، فإنّك قريبٌ ممن دعا.

ثم أنشأت تقول:

يا ربِّ إنك ذُو مَنٍّ ومَغفِرَة ... ثَبِّتْ بعَافيةٍ منك المُحبِّينا

فقلتُ: يا هذه، أَتَرْفُثِين[1] وأنت في الطّوّاف! فقالت: إليك عني، لا رَهَقَكَ الحُبّ. فقلتُ لها: وما الحبّ؟ فقالت: جَلَّ أن يخفَى، ودَقَّ أن يُرَى، له كُمون ككُمُون النار في الحَجَر، إنْ قدَحْته أورَى، وإن تركته توارى. قال: فتبِعْتها حتى عَرَفْتُ منزلها، فلما كان من الغَد جاء مطرٌ شديد، فمررتُ ببابها وهي قاعدة مع أترابٍ[2] لها، وهي تقول لهنّ: قد أضرَّ بنا المطر، ولولا ذلك لخرجنا إلى الطواف. وأنشأت تقول:

قالوا أضرَّ بنا السّحابُ وقَطْرُه ... لمّا رأَوْهُ لعَبْرَتي يَحكِي
لا تعجَبوا ممّا تَرَوْن فإنّما ... هَذِي السماء لرحمتي تبكي!

٨٩٧ ـ وبلغنا عن بعض من تَبع الحاجّ أنه قال: كنت في الطّوَاف، وقد مضى أكثر الليل، وإذا أنا بامرأة كأنّها شمس على قَضِيبِ غُرِسَ في كَثِيب[3]، وهي تقول:

رأيتُ الهوَى حُلْواً إذا اجتمَع الوَصْل ... ومُرًّا على الهِجرانِ، لا بل هو القَتْلُ
ومَن لم يذُقْ للهَجْر طَعْماً فإنّه ... إذا ذاق طعم الوصل لم يَدْرِ ما الوصل
وقد ذقتُ طعْميه على القُرْب والنّوى ... فأبْعَده قتلٌ وأقربه خَبْلُ[4]

---

(١) الرَّفَث: الفُحْش من القول.
(٢) أي: صديقات لها.
(٣) الكثيب: الرمل المتراكم كالتلة.
(٤) الخَبْل: الخبل: فساد يعتري الأعضاء (القلب والعقل والأطراف) حتى لا يدري كيف يمشي.

ثم التفتت، فرأتني، فقالت: يا هذا ظُنَّ خيراً، فإنّ مَن ضَعُفَتْ قوّتُه عن حَمْل شيء ألقاه طلباً للراحة، وفِراراً مِنْ ثِقَل المَحبّة، وقد نَطَقْتُ بما علمه الله وأحصاه الملَكان، فإن يعْفُ عن أهل السّرائر أكُنْ فيهم، وإن يُعاقَبوا فيا خَيْبة المُذْنِبين. ثم بكت، فما رأيْتُ دُرًّا قُطِعَ سِلْكه فانْتَثَر، بأحسن منْ تناثر دُموعها. فاعتزلتُ خوفاً أن يَصْبُوَ قلبي إليها.

٨٩٨ ـ وحدّث الأصمعي، قال: رُئِي أبو السّائب المَخْزومي مُتعَلّقا بأستار الكعبة، وهو يقول: اللهم ارحم العاشِقين. فقِيل: يا أبا السائب في مثل هذا المقام تقول هذا المقال! قال: إليك عنّي، فوالله إنّ الدعاء لهم أفضل من حَجَّة بعمرة، ثم أنشأ يقول:

يا هجرُ كُفَّ عن الهوَى ودَع الهوى ... للعاشِقين يَطيب يا هجرُ
ماذا تُريد منَ الذين جُفُونهم ... قَرحَى وحشوُ قلوبهم جَمْرُ[١]
والحزن حشْو صدُورهم ووجوههم ... مما تَجِنُ صدورهم صُفرُ[٢]
وسوابقُ العَبَرات فوق نُحورهم ... دُرَرٌ تَلُوح كأنّها القَطْرُ
صرعى على جِسْر الهوَى لِشَقائِهم ... بنفُوسهم يتلاعب الدّهر

٨٩٩ ـ حكى لي بعض الناس: أنّ امرأة نزلَت معهم في سفينة، فوصَلَت إلى بعض الأماكن، فقالت: رَقُّوني[٣]. فقالوا: ليس هذا بموضع صُعود، فقالت: لا بدّ، فصَعَدَتْ، قال: وسِرنا، فلمّا عُدْنا وجدناها قد وَلَدَتْ وماتت هناك. وهذه امرأة قد هربت من بلدِها لعارٍ ارتكبته، فآثرت الموت على العار، فانظر ما يصنع الهوى بأربابه!

٩٠٠ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد بن الفرج، قالت أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل الضَّرَّاب[٤]، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أحمد بن مروان، قال: حدثنا عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال: قرأت في سِيَر العجَم أنّ أَرْدَشِير لما اسْتَوثق له أمره، وأقرَّ له بالطاعة ملوك الطّوائف، حاصر مِلِك السّريانية، وكان متحصّناً في مدينة يُقال لها الحَضْر، فحاصَره فلم يقدر على فتحها، حتى رَقَتْ بنتُ الملِك يوماً على الحُصْن، فرأت أردَشِير فهَوِيَته، فنزلت فأخذَتْ بنشّابة، فكتبت عليها: إن أنت شَرَطْتَ لي أن تَتزَوّجني دَلَلْتُك على موضِع تفتحُ به المدينة بأيسرِ الحِيلة وأخفّ المُؤْنة. ثم رمتْ بالنشّابة نحو أردَشير، فقرأه وأخذ نشابة فكتب عليها: لكِ الوفاء بما سألِتِني، ثم ألقاها إليها، فدلّته على الموضع فأرسل إليها فافتتحها. فدخل وأهلُ المدينة غارُّون[٥] لا يشعرون، فقَتَل الملِك وأكثر القَتْل فيها، وتزوجها.

---

(١) قَرْحَى: أي جَرْحى.
(٢) تجنّ: تستر.
(٣) مِن رَقِي: إذا صعد وارتفع.
(٤) الضرَّاب: نسبة إلى ضرب الدراهم والدنانير. انظر: اللباب ٢/ ٢٦٢، ولب اللباب ٢/ ٨٠.
(٥) غارّون: غافلون.

فبينما هي ذات ليلة على فراشه أنكرت مكانها حتى سَهِرت أكثر ليلتها، فقال لها: ما لكِ؟ قالت: أنكرتُ فراشي، فنَظروا تحت الفِراش، فإذ تحته طاقة آسٍ[1] قد أثّرَت في جِلْدها، فتعَجّب من رِقّة بشرتها. فقال لها: ما كان أبوك يغذوك؟ قالت: كان أكثر غذائي عنده الشَّهْد والمُخّ والزّبد. فقال لها: ما أحد بالِغٌ منك في الحِباء[2] مبلغ أبيك، وإن كان جزاؤه عندك على جَهْد إحسانه مع لطف قَرابته وعِظَم حقّه، إساءتُك إليه، ما أنا بآمِنٍ مثلَ ذلِك منك. ثم أمر بأن تُعقد قرونها بذَنَبِ فرسٍ شديد الجَرْيِ جَمُوح، ثم يَجْري، ففُعل ذلك بها حتى تساقطت عُضواً عضواً.

٩٠١ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني القاضي أبو القاسم عبد الله بن الحُسين الرَّحَبي، قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد الجَرْمي، قال: حدثنا الحُسين بن علي بن أحمد المُهلَّبي، قال: أخبرنا أبو العباس بن عطاء، قال: كان يحضر حلقتي شاب حسن الوجه يُخَبِّىءُ يدَه، قال: فوقع لي أنّ الرجل قد قُطعت يده على حال من الأحوال.

قال: فجاءني يوم جمعة وقد جاءَتِ السماء بالبركات ولم يَجِئني في ذلك اليوم أحد.

قال: فطالبتني نفسي بمخاطبته، ودافعتها مِراراً كثيرة، إلى أَنْ غلب عليّ كلامه، فكلمته، فقلت: يا فتى، ما لي أرى يدك تُخَبِّئُهَا ثم لا تخرجها؟ فإن كان بها علّة دعونا الله تعالى لك بالعافية. فأَخْرَجها فرأيتُ فيها شبيهاً بالشلل. فقلت: يا فتى ما أصابَ يدك؟ قال: حَدِيثي طويل. قلت: ما سألتك إلاّ وأنا أُحبّ أن أسمعه. فقال لي: أنا فلان بن فلان، خَلّف لي أبي ثلاثين ألف دينار، فقَدِمت بها، فعَلِقَتْ نفسي بجارية من القِيان[3]، فأنفقتُ عليها جملة[4]، ثم أشاروا علي بشرائها، فاشتريتُها بستة آلاف دينار، فلمّا حَصَلَتْ عندي وملكتُها قالت: لمَ اشترَيْتَني، وما في الأرض ابغضُ إليّ منكَ، وإنّي لأرى نَظَرِي إليك عقوبة، فاستَرِدَّ مالك، فلا مُتْعَةَ لك بي مع بُغْضِي لك.

قال: فبذلتُ لها كلَّ ما يبذله الناس، فما ازدادَتْ إلاّ غُلواً، فهَمَمْتُ بردّها، فقالت لي دايةٌ لي: دَعْها تموتُ ولا تموتَ أنت. قال: فاعْتَزَلَتْ في بيتٍ ولم تأكل ولم تشرب إلاّ تبكي وتَضَرّع، حتى ضَعُفَ الصّوتُ وأَحْسَسْنا منها بالموت. وما مضى يوم إلاّ وأنا أمضي إليها وأبذل لها الرّغائب، وما ينفع ذلك، ولا تزداد إلاّ بغضاً. فلما كان اليوم الرابع أقبلتُ عليها

---

(١) أي: قطعة من الآس، والآس نبات معروف ذو ثمار كروية بيضاء، ورائحة زكيّة.
(٢) الحِبَاء: العطيّة.
(٣) القِيان: جمع قَيْنة: وهي الجارية مغنية ـ وهو الأغلب ـ أو غير مغنّية.
(٤) أي مالاً كثيراً.

وسألتها عمّا تشتهيه، فاشتهت حَرِيرة[1]، فحلفْتُ لا يعملها أحدٌ سِواي، فأوقدتُ النّار ونَصَبْتُ القِدْر، وبقيت أَمْرُس ما جُعل فيها، والنّار تعمل، وقد أَقْبَلَتْ عليّ تشكو ما مرّ بها مِنَ الآلام في هذه الأيام، فأقبلَتْ دايتي، فقالت: يا سيدي ارفع يدَك، فرفعتها وقد انسمطت على ما تراه. قال أبو العباس: فصَعَقْتُ صَعْقَةً وقلتُ: بآبائي! هذا في هوَى مخلوقٍ أَقْبَلَ عليك، فنالك هذا كلّه!!

٩٠٢ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر قال: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي الأَزَجي[2] قال: أنبأنا أبو الحسن بن جَهْضَم قال: حدثنا علي بن محمد الزَّيَّات قال: حدّثني أبو محمد الحسن بن محمد الجَرَوي قال: حدثني سُمْنُون قال: كان في جِيراني رجلٌ له جارية، وكان شديد الميل إليها، فاعتلّت الجارية عِلّة شديدة، فجلَس يُصلح لها حِسَاءً، فبينا هو يُحرّك القِدر إذ قالت الجارية: أوّه، فسقط ما كان في يده، وجعل يُحَرّك القِدْر بيده، حتى سقَط لحم أصابعه وهو لا يشعر، فنظرت إليه الجارية، فقالت: إيش هذا؟ فقال: هذا موضع قولك أوّه.

٩٠٣ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن بكر البَسْطَامي، قال: حدثنا ابن دُرَيد، قال: حدثنا أحمد بن عيسى العُكْلي[3]، عن ابن أبي خالد، عن الهيثم بن علي، قال: كان لعَمْرو بن دُوَيْرَة أخ قد كَلِف بابنة عمّ له كَلَفاً شديداً، وكان أبوها يأباه، فحمَل الحبّ عليه أن تسوَّر الجِدار، وحصَل معها، فأحسَّ به أبوها، فقبَض عليه، وأتى به خالد بن عبد الله القَسْري[4]، وادّعى عليه السَّرِقة، وأتى بجماعة يشهدون أنّهم وجدوه في منزله ليلاً، وقد دخل دخول السُّرَّاق، فسأل خالد الفتَى، فاعترف أنّه دخل ليَسْرق، وما سرَق شيئاً، ليدفع بذلك الفضيحة عن ابنة عمّه. فأراد خالد أن يقطعه، فرفع عَمْرو أخوه إلى خالد رقعة فيها:

أخـــالـــدُ قـــد والله أُوطِئْـــتَ عَشْـــوةً ... ومـا العَـاشِـقُ المظلـوم فينـا بسـارِقِ[5]

---

(١) حريرة: نوع من الطعام، وهو دَقِيق يُطبخ بلبن.

(٢) الأَزَجي: نسبة إلى باب الأَزَج، محلّة كبيرة ببغداد. انظر: اللباب ١/ ٤٥، ولب اللباب ١/ ٥٠.

(٣) العُكْلي: نسبة إلى عُكْل، بطن من تَمِيم. وقيل: بل أَمَة لامرأة من حِمير. الأنساب ٤/ ٢٢٣، ولب اللباب ٢/ ١١٩.

(٤) هو الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد البَجلي القَسْري الدِّمشقي، أمير العراقين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد ثم لسليمان. وكان جواداً ممدّحاً معظّماً، عالي الرتبة، من نبلاء الرجال، توفي مقتولاً سنة (١٢٦) هـ. انظر: السير ٥/ ٤٢٥، الكامل في التاريخ ٥/ ١٢٤، البداية والنهاية ١٠/ ١٧، وشذرات الذهب ١/ ١٦٩.

(٥) عشوة: مثلّثة العَيْن: عَشوة، وعِشوة، وعُشوة: وهي ركوب الأمر على غير بَيان.

أقَــرَّ بمـــا لـــم يـــأتِــه المــرءُ إنّـــه رأى القطـع خيـراً مـن فَضيحَـة عـاشـق
ولـولا الـذي قـد خِفْـتُ مـن قَطْـع كَفّـه لأُلفِيــت فــي أمــرٍ لهــم غيـر نـاطـق
إذا مُـدَّتِ الغـايـات فـي السَّبْـق للعـلا فــأنــتَ ابــنَ عبـد اللـه أوّل سـابـق

فأرسل خالد مولى له يسأله عن الخَبر، ويتجسّس عن جَليّة الأمر، فأتاه بتصحيح ما قاله عَمْرو في شِعْره، فأحضَر الجارية وزوّجه، وساق خالد المَهْر عنه من ماله.

٩٠٤ ـ أنبأنا الحُسين بن محمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو جعفر بن المسلمة، قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص، قال: أنبأنا أحمد بن سليمان بن داود الطُّوسي، قال: أنبأنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني محمد بن حسن، عن إبراهيم بن محمد الزّهري، عن أبيه، قال: كانت زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بارعة الجمال، وكانت تُدْعى المَوْصُولة، وكانت عند أَبان بن مروان بن الحكم، فلما تُوفي أَبان بن مروان دخل عليها عبد الملك فرآها فأخَذَتْ بنفسِه، فكتب إلى أخيها المغيرة بن عبد الرحمن يأمره بالشُّخُوص(١) إليه، فشَخَص إليه. فنزل على يحيى بن الحكم، فقال يحيى: إنّ أمير المؤمنين إنما بعث إليك لتُزوّجه أختَك زينب، فهل لك في شيء أدعوك إليه؟ قال: هلمّ فاعرض. قال: أُعطيك لنفسِك أربعين ألف دينار، ولها عليَّ رِضاها وتزوّجْنِيها. فقال له المُغيرة: ما بعد هذا شيء. فزوّجه إياها. فلمّا بلغ عبد الملك بن مروان ذلك أسِف عليها، فاصْطَفى كلَّ شيء ليحيى بن الحكم، فقال يحيى بن الحكم: كَعْكَتَيْن وزينب. يُريد أنه يجتزيء بكعكتين إذا كانت عنده زينب.

٩٠٥ ـ أخبرنا أبو بكر بن حبيب الصّوفي قال: حدثنا أبو سعد بن أبي صادق الحِيْري قال: حدثنا ابن بَاكويه الشِّيرازي قال: حدثنا أحمد الطَّبري الزَّاهد قال: حدثني جعفر بن القاسم الخَوّاص قال: سمعت ابن مِلْكي يقول: كنت في البادية فدخلتُ بعض الأحياء أطلب شيئاً آكل، فرأيت فتًى على باب الحيّ مُسَجّى(٢)، فقلت له: ما عِلّتك؟ فقال: سَلْ تلك القائمة، قلت: وأي شيء تكون منك؟ قال: هي ابنة عمّي. قلت: فهي لك وبين يديك، فما هذا النّحول؟ فقال لي: أما علمت أن من لا حَظّ له في الوِصال علم أنّ الفِراق يفنى، ومن لا حظّ له في الفراق علم أن الوصال يبقى.

٩٠٦ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري قال: أنبأنا أبو عُمر بن حَيويه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: أخبرني أبو

---

(١) أي: المُثول عنده والحضور لديه.
(٢) أَي: ملقى على الأرض.

عبد الله أحمد بن عبد الرحمن، عن العباس بن علي قال: حدثني بعض أهل المدينة قال: دعاني فتى من أهل المدينة إلى جارية تُغنّي، فلما دخلنا عليها إذا أحسن الناس وجهاً، وإذا بها انْخِرَاط وجه وسَهْو وسكوت، فجعَلْنا نبسطها بالمزاح والكلام، ويمنعها من ذلك ما تُكاتِم، فقلتُ في نفسي: والله إنّ بها لَهُيَاماً وطائِفاً من الحبّ، فأقبلتُ عليها، فقلت: بالله لتصدُقِيني بالذي بك، فقالت: بَرْحُ[1] الذّكر ودوام الفِكر وحلول النّهار والتشوّق إلى مَن سار، وأخذَتِ العُود فغنّت:

سَيُوردني التذكارُ خَوْضَ المهالِك ... ولَسْتُ لتِذكار الحَبيب بتارِكِ

أَبَى الله إلاّ أن أموتَ صَبابةً ... ولستُ لما يَقضِي الإلٰه بمالِك

كأنّ بقلبِي حِين شطَّتْ به النَّوَى ... وخَلَّفني فَرْداً صُدُورَ النَّيازك[2]

تقطَّعَتِ الأخبارُ بيني وبينَه ... لبُعد النَّوى وانسدَّ سُبْل المسالِكِ

قال: فوالله لقد خِفت أن أُسْلَب عقلي لما غنَّت. فقلت: جعلني الله فداكِ، وهذا الذي صَيّرك إلى ما أرى يستحقّ هذا منك؟! فوالله إنّ الناس لكثير، فلو تسلَّيْتِ بغيرِه فلعل ما بك أنْ يسكُن، أو يَخفَّ، فقد قال الأول:

صَبَرْتُ على اللذّات حتى تولَّتِ ... وألزمتُ نفسي صَبْرَها فاستمرَّتِ

وما النفسُ إلاّ حيث يجعلُها الفتى ... فإن أُطْمِعَتْ تاقَت وإلا تسلَّتِ

فأقبلت عليّ وقالت: قد والله رُمْتُ ذلك، فكنتُ كما قال قيسُ بن الملوّح:

ولمّا أبَى إلاّ جِماحاً فؤادُه ... ولم يَسْلُ عن ليلَى بمالٍ ولا أهلِ

تسلَّى بأخرَى غيرَها فإذا التي ... تسلَّى بها تُغْري بليلَى ولا تُسْلِي[3]

قال: فأسْكَتني واللّهِ تواتر حُجَجِها عن محاوَرتها، وما رأيتُ كمَنْطِقها ولا كَشَكْلها وأدبها.

٩٠٧ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن القَزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثنا أبو القاسم الأزهري، قال: حدثنا عثمان بن عَمرو المقرىء، قال: حدثنا جعفر بن محمد الخوّاص، قال: حدثني أحمد بن محمد الطُوسي، قال: حدثني محمد بن علي الرَّبِيعِي، قال: سمعت صالح بن سليمان العَبْدي، يقول: كان محمد بن عبد الملك الزَّيّات يَتَعَشَّق جارية من جوارِي القِيان، فبِيعت مِنْ رَجل من أهلِ خراسان، فأخرجها، فذهل عَقْلُ محمد بن عبد الملك حتى خُشِيَ عليه، ثم أنشأ يقول:

---

(١) بَرْحُ الذكر: عذابه وألمه.
(٢) شطت: بَعُدَت. النّوى: الوجه الذي ينويه المسافر. النَّيْزَك: الرمح الصغير.
(٣) انظر ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوّح) ص ١٥٩. طبع دار الكتاب العربي.

يـا طـول سـاعـاتِ ليـلِ العـاشِـق الـدَّنِـف		وطـــولَ رَعْيته للنَّجـم فـي السَّـــدَفِ[1]
مـــاذا تُـــوَاري ثيــابــي مـــن أخـــي حَــرَق		كـــأنّمـــا الجســـم منـــه دِقَـــة الألِـــفِ[2]
مـــا قـــال يـــا أسفـــا يعقـــوبُ مـــن كَمَـــدِ		إلاّ لطـــول الـــذي لاقَـــى مِـــنَ الأســـف
مَـــن ســـرّه أن يـــرَى مَيْـــتَ الهـــوَى دَنِفـــاً		فليستـــدلَّ علـــى الـــزّيّـــات وليَقِـــف

٩٠٨ ـ وبلغنا عن مُصعب بن الزبير لما خرج من الكُوفة فصار على عشرة أميال، كتب إلى سُكينة بنتَ الحُسين زوجته:

وكـــان عـــزيـــزاً أن أبيـــتَ وبيننـــا		حجـابٌ فقـد أصبحـتِ منّـي علـى عَشْـرِ
وأبكـــاهمـــا للعَيْـــن والله فـــاعلَمِـــي		إذا ازدَدْت مثلَيْهـا فصِـرْت علـى شَهْـر
وأبَكَـــى لقلبـــي منهمـــا اليـــوم أننـــي		أخـــاف بـــأن لا نلتقـــي آخـــرَ الـــدهـــر

* * *

(١) الدّنِفَ: المرَض الملازم الثقيل. السَّدَف: الظلمة.
(٢) أخو حرق: أي ذو حرق، وهو ألم الحب والاشتياق.

البَابُ الأَرْبَعُون

فِي ذِكْرِ الحِيَلِ والمُخَاطَرَاتِ بالنُّفُوسِ وإلْقَائِهَا فِي الهَلَاكِ لأَجْلِ المَحْبُوْبِ

٩٠٩ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا علي بن المحسِّن التَّنُوخي، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرّحيم المازني، قال: حدثنا علي بن الحُسين بن القاسم الكَوكبي، قال: حدثنا أبو العباس الكُرَيمي، قال: أنبأنا السُّلَيمي، عن محمد بن نافع مولاهم، عن أبي رَيْحانة أحد حجّاب عبد الملك بن مروان، قال: كان عبد الملك يجلس في كلّ أسبوع يومَين جلوساً عامّاً، فبينا هو جالس في مُسْتَشْرَفٍ له، وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يدِهِ قصة غير مترجمة[1]، فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة أن تغنّي ثلاثة أصوات ثم يُنفِذْ فيَّ ما شاء من حُكمِه، فعَل.

فاستشاط مِنْ ذلك غضباً، وقال: يا ربَاح، عليّ بصاحب هذه القصة. فخرج الناس جميعاً، فأُدْخِل عليه غلام كما عَذَّر[2]، كأَهْيَأ الفتيان وأحسنهم، فقال له عبد الملك: يا غلام، أهذه قصتك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرَّك منّي، والله لأُمَثِّلَنْ بك ولأَرْدَعنَّ بك نظراءَك من أهل الجَسارة. عليَّ بالجارية. فجيء بجارية كأنّها فلقة قمر، وبيدها عود، فطَرح لها كرسي وجلست. فقال عبد الملك: مُرْها يا غلام. فقال لها: غَنِّيني يا جارية بشعر قَيْس بن ذَرِيح[3]:

لقـد كنـتِ حسْـبَ النفس لـو دام وُدُّنـا ... ولكنَّمـــا الـــدّنيـــا متـــاعُ غـــرورِ
وكنّــا جميعــاً قبــلَ أن يظهــرَ الهــوَى ... بـــأنْعَـــم حـــالَـــيْ غبطـــةٍ وســـرورِ

---

(١) غير مترجمة: أي غُفل من التوقيع (اسم المُرْسِل).
(٢) عذر الغلام: نبت شعر عِذاره (خده).
(٣) هو قيس بن ذَرِيح الليثي، مِن أعراب الحجاز، شاعر مُحسن، كان يُشبّب بأمّ معمر لُبنى بِنت الحُباب الكعبيّة، ثم تزوّج بها، ثم طلّقها لأجل أمّه، فعَظُم فراقها عليه وجَهَده، ونظمه في الذّروة العليا، رقّة، وحلاوةً، وجزالةً. انظر: السير ٣/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥، والبداية والنهاية ٨/ ٣١٣، والنجوم الزاهرة ١/ ١٨٢.

فمـا بَـرِح الـواشُـون حتـى بَـدَتْ لنـا بطـونُ الهـوَى مقلـوبـةً بظهـورِ

قال: فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقاً، ثم قال له عبد الملك: مُرْها تغنيك الصوت الثاني. فقال: غنيني بشعر جَميل:

ألا ليـت شعـري هـل أَبِيتَـنَّ ليلـة بـوادي القُـرى إنّـي إذن لسعيـدُ
إذا قلـتُ: مـا بـي يـا بُثينـة قـاتلـي مـنَ الحـبّ قـالـتْ ثـابـتٌ ويـزيـدُ
وإن قلـتُ: رُدِّي بعـضَ عقلـي أَعِـشْ بـه مـعَ النّـاس، قـالـت: ذاك مِنْـكَ بعيـد
فـلا أنـا مَـردودٌ بمـا جئـتُ طـالِبـاً ولا حبُّهـا فيمـا يَبِيـد يَبِيـدُ
يمـوتُ الهـوىَ مِنّـي إذا مـا لَقِيتُهـا ويَحْيَـا إذا فـارقتُهـا فيعـودُ

فغنّته الجارية، فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة، ثم أفاق فقال له عبد الملك: مُرْها فلتغنّك الصوت الثالث. فقال: يا جارية غنِّيني بشعر قيس بن الملوح المجنون:

وفـي الجِيـرة الغَـادِيـن مـن بَطْـنِ وَجْـرَةٍ[1] غـزالٌ غَضيـضُ المُقْلَتَيـن رَبِيـبُ
فـلا تَحْسَبـي أنّ الغَـريـبَ الـذي نـأى ولكـنّ مَـن تَنْـأيـن عنـه غـريـبُ[2]

فغنّته الجارية، فطرح الغلام نفسه من المستشرف، فلم يصل إلى الأرض حتى تقطَّع.

فقال عبد الملك: ويحه لقد عجّل على نفسه، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل. وأمر فأُخرجت الجارية عن قصره، ثم سأل عن الغلام، فقالوا: غريب، لا يُعرف إلاّ أنه منذ ثلاثٍ ينادي في الأسواق، ويده على رأسه:

غـداً يكثـر الـواشـون منّـا ومنكـمُ وتـزداد داري عـن دِيـاركُـم بُعـدَا

* * *

٩١٠ ـ قلت: وقد رُوي لنا أن مثل هذا جرَى في مجلس سليمان بن عبد الملك. فبلغنا عن الجاحظ أنه قال: قعد سليمان بن عبد الملك يوماً للمظالم، وعُرِضت عليه القَصص، فمرّت به قِصة فيها: إنْ رأى أمير المؤمنين أن يخرجَ إليّ فلانة ـ يعني: إحدى جواريه ـ تُغنّي ثلاث أصوات، فعل. فاغتاظ سليمان وأمر أن يَخْرُجَ إليه فيأتيه برأسه، ثم أَتْبَع الرسولَ برسول آخر، فأمر أن يُدْخَلَ الرّجلُ إليه. فأدخل، فلمّا مَثَل بين يديه، قال له: ما الذي حمَلك على ما صنعتَ؟ قال: الثِّقة بحِلْمِك، والاتّكال على عفوك. فأمره بالقُعود، حتى إذا لم يبقَ منْ بني أميّة أحد، أمر فأُخرجت إليه الجارية، ومعها عود، ثم قال له: اختر. فقال: تغنّي بقول قيس بن الملوح:

---

(١) وَجْرَة: اسم مكان.
(٢) انظر ديوان مجنون ليلى ص ٢٩.

تعلَّــقَ رُوحــي روحَهـــا قبْـــلَ خلْقِنـــا ... ومِــنْ بعــد مــا كُنّــا نِطــافــاً وفــي المهــدِ
فعــاش كمــا عشنــا فــأصبــحَ نــاميــاً ... وليــس وإن مِتْنَــا بمنتقِــضِ العهــدِ[1]
ولكنّــه بــاقٍ علــى كــلِّ حــالــةٍ ... وزائــرُنــا فــي ظلمــةِ القبــر واللَّحْــد[2]
يكــادُ فَضِيــضُ المــاء يَخْــدُش جلــدَهــا ... إذا اغتسلــت بــالمــاء مــن رِقّــة الجلــد[3]
وإنّــي لَمُشتــاقٌ إلــى ريــح جَيْبِهــا ... كمــا اشتــاق إدريسٌ إلــى جَنّــة الخلد[4]

فغنّت. ثم قال: تأمر لي برطل، فشَرِبه. ثم قال: تغني بقول جميل:

علقْــتُ الهــوَى منهــا وليــدًا فلــم يَــزَل ... إلــى اليــومِ ينمــى حبهــا ويَــزيــدُ
وأفنيــتُ عُمْــري بــانتظــارِ نَــوالِهــا ... ونِلْــت بِــذاكَ الــدّهــرَ وهــو جــديــد
فــلا أنــا مــردود بمــا جئــتُ طــالبــاً ... ولا حبهــا فيمــا يبيــد يبيــدُ
إذا قلــتُ: مــا بــي يــا بُثَيْنَــةُ قــاتلــي ... مــنَ الحــبّ، قــالــت: ثــابــتٌ ويــزيــد
وإن قلــتُ: رُدّي بعــضَ عَقْلــي أعِــشْ بــه ... مــعَ النّــاس، قــالــت: ذاك منــك بعيــدُ

فغنّت. فقال له سليمان: قل ما تريد. قال: تأمر لي برَطل، فشربه، ثم قال: تغنّي بقول قيس بن ذَرِيْح:

لقــد كنــتِ حَسْــبَ النفس لــو دام ودّنــا ... ولكنّمـــا الـــدّنيـــا مَتَـــاعُ غُـــرور
وكنّــا جميعــاً قبــل أن يُعلــمَ الهــوَى ... بــأحســن حــالــيْ غِبطــة وســرور
فمــا بَــرِحَ الــواشُــون حتــى بَــدَتْ لنــا ... بطـــونُ الهـــوى مقلـــوبـــة بظهـــور

فغنّت. فقال سليمان: قل ما تشاء، قال: تأمر لي برطل. فما استتمه حتى وثَب فصعد إلى أعلى قبة ثم زجّ نفسه على دماغه. فقال سليمان: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أتُراه تَوَهّم الجاهل أنّي أُخرِج إليه جاريتي وأردّها إلى مِلكي. يا غلام خُذ بيدها فانطلق بها إلى أهله، إن كان له أهل، وإلاّ فبيعوها وتصدقوا بثمنها عنه. فلما انطلقوا بها نظرتْ إلى حُفَيرة في دار سليمان أُعِدّتْ للمطر، فجَذَبَتْ يدَيْها من أيدِيهم وجعلت تقول:

مــن مــات عِشْقــاً فليمُــتْ هكــذا ... لا خيــر فــي عِشْــقٍ بــلا مــوتِ

فزجّت[5] نفسها في الحفيرة على دماغها، فماتت.

---

(١) في ديوان قيس: بمُنقَصِفِ، بدل: بمنتقِضٍ، والمعنى واحد.
(٢) في الديوان: وسائِرنا، بدل: وزائرنا.
(٣) الفَضيض: الرذاذ.
(٤) الجيب: الصّدْر، أو القميص.
(٥) أي: رَمَت.

٩١١ ـ قلت: وبلغنا أنّ مثل هذا جرَى في مجلس الرشيد. فأخبرنا المُبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاَّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدِيُّ، قال: حَدثنا محمد بن جعفر الخرَائطي، قال: حدثني أبو بكر محمد بن علي المَخْرَمي، قال: اشتريتُ لهارون الرشيد جارية مدنيّة، فأُعْجِب بها، وأمر الفضلَ بن الربيع أن يبعث في حَمْل أهلها ومواليها لينصرفوا بجوائزها، وأراد بذلك تشريفها، فوفد إلى مدينة السلام ثمانون رجلاً ووَفد معهم رجلٌ من أهل العراق استوطن المدينة كان يهوَى الجارية، فلمّا بلغ الرشيد خبرهم أمرَ الفضلَ أن يخرج إليهم، فيكتب اسم كل واحد منهم وحاجته. ففعل ذلك، فلما بلغ إلى العراقي قال له: ما حاجتك؟ فقال له: إن أنت كتبتها وضَمِنْت لي عرضها مع ما تعرِضُ أنبأتك بها. فقال: أَفْعَلُ ذلك. فقال حاجتي أن أجلس مع فلانة حتى تغنِّيني بثلاثة أصواتِ وأشرب ثلاثة أرطال، وأخبرها بما تُجِن ضُلوعي من حبّها. فقال الفضل: أنت مُوَسْوَس مدخول عليك في عقلِك. فقال: يا هذا قد أُمِرْت أن تكتب ما يقول كلّ واحد منا، فاكتب ما أقول واعرضه، فإنْ أُجبتَ إليه، وإلاّ فأنت في أوسع العُذر. فدخل الفضلُ مُغْضَباً، فوقف بين يدَي الرّشيد، فقرأ عليه ما كتب، فلما فرغ، قال: يا أمير المؤمنين فيهم واحد مجنون، سأل ما أُجِلُّ مجلس أمير المؤمنين عن التفوُّه به. فقال: قُل، ولا تَجْزَعَن. فقال: قال كذا وكذا. فقال اخرج إليه، وقل له: إذا كان بعد ثلاث فاحضُر لنُنْجِز لك ما سألت، وكُنْ أنت تتولى الاستئذان له. ودعا بخادم، فقال له: امضِ إلى فلانة، فقل لها قد حضر رجل سأل كذا وكذا، وقد أجبناه إلى ما سأل، فكوني على أهبة. ثم خرج الفَضل إلى الفتى فأدّى إليه ما قال الرشيد فانصرف. فلما كان في اليوم الثالث حضَر وعرَف الرشيد خَبره. فقال يُلقى له بحيث أرى كرسيٌّ من فضة، وللجارية كرسيّ من ذهب، وليُخْرَج إليه ثلاثة أرطال، فجلس الفتى على الكرسي، والجارية بإزائه يُحَدّثها، والرشيد يراهما، فقال الخادم: لم تدخل لتَشْتَوِي وتُصَيِّف[1]، فأخذَ رَطْلاً وخَرّ ساجداً، وقال إذا شئتِ أن تُغَنّي فغَنّي:

خليلــيَّ عــوُجــا بــارك الله فيكمــا ... وإن لــم تكــنْ هنــدٌ بـأرضِكمـا قَصْـدا
وقُـولا لهــا ليــسَ الضّــلالُ أجـازنــا ... ولكِنَّمــا جُــزْنَــا لنلقــاكُــم عَمْـدَا
غــداً يكثــرُ البــاكــون مِنّــا ومنكــمُ ... وتــزداد داري مِــنْ ديــاركــم بُعْــدَا

فغنّت. ثم شرِب الرّطل، وحادثها ساعة فاستحَثّه الخادم، فأخذ الرطل بيده، وقال: غَنّي، ـ جعلني الله فداك ـ:

---

(١) أي: لم تدخل لتقيم الشتاء والصيف هنا.

تكلّمُ مِنّا في الوجوهِ عيُونُنا ... فنحن سُكوتٌ والهوَى يتكلّمُ
ونَغضبُ أحياناً ونرضى بطرفنا ... وذلك فيما بيننا ليسَ يُعْلم

فغنّته. فشرب الرطلَ الثاني وحادثها ساعة، فاستعجله الخادم، فخرَّ ساجداً يبكي وأخذ الرطل بيده واستودعها اللّهَ وقام على رجليه ودموعه تستبق استباق المطر، وقال: إذا شئت أن تغني فغَنّي:

أَحْسَنَ ما كنا تفرَّقْنَا ... وخانَنَا الدّهرُ وما خُنّا
فليتَ ذا الدّهر لنا مرّةً ... عاد لنا يوماً كما كُنّا

فغنته الصوت، فقلَب الفتى طَرْفه فبَصُرَ بدَرَجَةٍ فأَمَّها[1]، فاتَّبعه الخَدَمُ ليهدوه الطريق، ففاتهم وصَعد الدَّرْجة فألقَى نفسه إلى الأرض على رأسه فخر ميتاً. فقال الرشيد: عَجِل الفتى ولو لم يعْجَل وهبناها له.

٩١٢ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المُبَارك الحافظ، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُمَيدي، قال: حدثني أبو محمد علي بن أبي عُمر اليَزِيدي، قال: حدثنا أبو البَركات محمد بن عبد الواحد الزُّبَيري، قال: حدثني أبو علي حسن بن الأشْكُريُّ المصري، قال: كنتُ من جُلاَّس الأمير تميم بن المعز[2]، وممَّن غلب عليه جداً، قال: فبعث إلى بغداد فاشتُرِيَتْ له جارية رائعة من أفضل ما وُجِد في الحُسْن والغناء، فلمّا وصَلتْ إليه أقام دعوة لجلسائه، قال: وأنا فيهم، ثم وُضِعَت الستارة فأمرَها بالغناء، فغنّت:

وبَدَا له من بعدِ ما اندَمَلَ الهوَى ... بَرْقٌ تألَّقَ مَوْهِناً لَمعَانُهُ[3]
يبدو كحَاشِيَةِ الرِّداء ودُونه ... صعبُ الذُّرى متمنِّعٌ أركانُهُ

في غير هذه الرواية هذان البيتان:

فبدا لينظر كيف لاح فلم يُطِقْ ... نظراً إليه وصدَّه سَجّانُه
فالنّارُ ما اشتملَت عليه ضلُوعه ... والماء ما سمَحتْ به أجفانه

قال: فأحْسَنتْ ما شاءت، وطَرِب تميم وكلّ مَن حضر. ثم غنّت:

---

(١) أَمَّها: قصدها.

(٢) هو الأمير أبو علي تميم بن المعز بن المنصور الفاطمي، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، ومال تميم إلى الأدب، فنظم الشعر الرقيق، وديوانه مطبوع مشهور، توفي سنة (٣٧٤) هـ ولم يلِ الخلافة. انظر: يتيمة الدهر ١/٢٥٣، وفيات الأعيان ١/٣٠١، وتاريخ الإسلام (٣٥١ ـ ٣٨٠) ص ٥٥٣، طبع دار الكتاب العربي.

(٣) المَوْهِن والوَهْنُ: نحو من نصف الليل، وقيل: هو حين يدبر الليل.

سَيُسْلِيك عمّا فات دَوْلةُ مُفْضِلٍ أوائلُه محمودةٌ وأواخره
ثنَى اللّهُ عِطْفَيْه وألّف شخصه على البرِّ مذ شُدّت عليه مآزره

فطرب الأمير تميم وكلّ من حضر طرباً شديداً. ثم غنت:

استودعُ اللّهَ في بغداد لي قمراً بالكَرْخِ مِن فلَك الأزرار مطلعه[1]

فاشتد طرب الأمير تميم وأفرط جداً، ثم قال لها: تمني ما شئت فلك مُناك. فقالت: أتمنى عافية الأمير وبقاءه. فقال: والله لا بدّ لك أن تتمنّي. فقالت: على الوفاء أيّها الأمير بما أتمنى؟ فقال: نعم. فقالت له: أن أُغَنّي هذه النَّوبة[2] ببغداد، قال: فاسْتَنْقع[3] لون تميم وتغيّر وجهه وتكدّر المجلِس وقام وقمنا كلّنا. قال ابن الأَشْكُرِي: فلَحِقَني بعضُ خدمه، وقال لي: ارجع فالأمير يدعوك، فرَجَعت فوجدته جالساً ينتظرني، فسلّمت وجلست بين يدَيه، فقال: ويحك أرأيت ما امتُحنّا به؟ قلت: نعم أيّها الأمير، فقال: لا بدّ من الوفاء لها، وما أثِق في هذا بغيرك، فتأهَّبْ لتحمِلها إلى بغداد، فإذا غَنّت هناك فاصرِفْها. فقلت: سَمْعاً وطاعة. قال: ثم قمتُ وتأَهّبْتُ وأمرَ لها بالتأهّب وأصْحَبها جارية سوداء تُعادِلها[4] وتخدمها وأمر بناقة ومحمل فأُدْخِلت فيه وجعلها معي. ثم سِرْت إلى مكة مع القافلة فقضينا حجنا، ثم دخلنا في قافلة العراق وسرنا. قال: فلمّا وَرَدْنا القادِسِيَّة أتتني السوداء عنها، فقالت: تقول لك سيدتي أين نحن؟ فقلت لها: نحن نزولٌ بالقادسية. فانصرفَتْ إليها وأخبرتها، فلم ألبث أن سمعت صوتاً قد ارتفع بالغناء:

لمّا وَرَدْنا القادِسِـ ـيّة حيثُ مجتمع الرِّفاقِ
وشَمَمْتُ مِنْ أرض العِرا ق نَسيمَ أنفاسِ العِراقِ
أيْقَنْتُ لي ولمن أحبُّ بجمع شَمْلٍ واتفاقِ
وضحِكْتُ من فرحِ اللقا ء كما بَكَيْتُ من الفِراقِ

فتصايح النّاس من أقطار القافلة: أَعِيدِي بالله أعيدي بالله. قال: فما سُمع لها كلمة. قال: ثم نزلنا باليَاسِرِيّة[5] ـ وبينها وبين بغداد قريب ـ، في بساتين متّصلة ينزل الناس بها فيَبِيتون ليلتهم ثم يُبكرون لدخول بغداد. فلمّا كان قرْب الصباح إذا أنا بالسوداء قد أتتني

---

(١) الكَرْخ: محلة في بغداد. انظر معجم البلدان ٤/٥٠٧.
(٢) أي: هذه المجموعة من الأشعار.
(٣) استنقع: أي تغيّر لونه واصفرّ.
(٤) أي: تركَبُ معها، تقول: عادله في المَحمل، عِدَالاً: ركب معه.
(٥) الياسريّة: منسوبة إلى ياسر، اسم رجل: وهي قرية كبيرة على ضفّة نهر عيسى، بينها وبين بغداد ميلان، وعليها قنطرة مَلِيحة. انظر: معجم البلدان ٥/٤٨٨.

مَذْعُورة. فقلت: مالك؟ قالت: إن سيدتي ليست حاضرة. فقلت: وأين هي؟ قالت: والله ما أدري. قال: فلم أحسّ لها أثَراً بَعْدُ. ودخلتُ بغداد وقضيتُ حوائجي بها، وانصرفتُ إليه فأخبرته الخبر، فعَظُم ذلك عليه، واغتمَّ له. ثم ما زال ذاكراً لها، واجماً عليها.

٩١٣ ـ أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنوخي، عن أبيه قال: حدثني أبو الفرج أحمد بن عثمان بن إبراهيم الفقيه المعروف بابن النَّرْسي قال: كنت جالساً بحضرة أبي وأنا حَدَث، وعنده جماعة، فحدّثني حديث وُصول النِّعَم إلى الناس بالألوان الظريفة. وكان ممن حضر صَديق لأبي، فسمعته يحدّث أبي، قال: حضرت عند صَديق لي من التجّار، كان يُحْزَر بمائة ألف دينار في دعوة، وكان حسن المروءة، فقدم مائدته، وقدّم عليها ديكيريكة[1] فلم يأكل منها، فامتنعنا، فقال: كلُوا فإنّي أتأذى بأكْل هذا اللون. فقلنا: فنساعدك على تَرْكه. فقال: بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى، فأكل. فلما أراد غسل يده أطال، فعَدَدْتُ عليه أنه قد غسلها أربعين مرة. فقلت يا هذا أوسوست؟ فقال: هذه الأذيّة التي فَرِقْتُ منها. قلت: وما سببها؟ فامتنع من ذكرها، فألحَحْت عليه، فقال: مات أبي وسنّي عِشرون سنة، وخلَّف لي نعمة صغيرة، ورأس مال ومتاعاً في دكّانه، وكان دكاننا في الكَرْخ. فقال لي لمّا حضرته الوفاة: يا بُني إنّه لا وارث لي غيرك، ولا دَيْن عليَّ ولا مَظْلَمة. فإذا أنا متّ فأحْسِن جهازي، وتصدّق عليَّ بكذا وكذا، وأخرج عنّي حجة بكذا، وبارك الله لك في الباقي، ولكن احفظ وَصِيّتِي، فقلت: قل. قال: لا تُسرف في مالك، فتحتاج إلى ما في أيدي الناس، ولا تَجِده، واعلم أنّ القليل مع الإصلاح كثير، والكثير مع الفَساد قليل، فالزم السّوق، وكن أوّل من يدخلها، وآخر من يخرج منها، وإن استطعتَ أن تدخلَها سَحراً بليل فافعل، فإنّك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام. ومات فأنْفَذْتُ وصيَّته وعملتُ بما أشار به، وكنت أدخل السوق سَحَراً، وأخرج منه عشياً، فلا أعدم من يجيئني يطلب كفناً فلا يجد من فَتَح غيري، فأحكمُ عليه، ومَن يبيعُ شيئاً والسوق لم يقم فأبيعه له. وأشياء مِنْ صِنْفِ هذه الفوائد.

ومضى على لزُومي السّوقَ سنة وكَسْر، فصار لي بذلك جاه عند أهلها، وعرَفوا استقامتي فأكرموني. فبينا أنا جالسٌ يوماً ولم يتكامل السّوق، إذا بامرأة راكبةٍ حماراً مصريّاً، وعلى كَفَله منديل دَبيقيٌ[2]، وخادم، وهي بزِيّ القَهْرَمانة، فبلغت آخر السوق، ثم رَجعت فنزلت عندي، فقُمت إليها، وأكرمتها، وقلت لها: ما تأمرين؟ وتأمّلتُها فإذا بامرأة لم أر قبلها ولا بعدها إلى الآن أحسن منها في كلّ شيء. فتكلّمت وقالت: أريد كذا وأريد كذا، ثياباً

---

(١) نوع من الطعام، ولم يحصل لي مما تتكوّن وكيف تُعْمل.
(٢) دَبِيقي: نسبة إلى بلدة دبيق بمصر، كانت مشهورة بصنع المناديل الجيدة، انظر لب اللباب ١/٣١٣.

طلبَتْها، فسمعتُ نغمة ورأيت شكلاً قتلَني، وعشِقْتُها في الحال أشدّ العِشْق. وقلتُ: اصبري حتى يخرج الناس فآخذ لك ذلك. فليس عندي إلاّ القليل مما يصلُح لك. وأخرجتُ الذي كان عندي.

فجلسَتْ تُحادثني، والسّكاكين في فؤادي من عِشقها، وكشفَت عن أنامل رأيتها كالطَّلْع[1]، ووجه كدَارَةِ القمر، فقُمت لئلاّ يزيد عليَّ الأمر، وأخذتُ لها منَ السّوق ما أرادت، وكان ثمنه مع ما هو لي نحو خمسمائة دينار، فأخذَتْهُ وركِبَت ولم تُعطني شيئاً، وذهب عني ـ لِمَا تداخلني من شهوتها ـ أن أمنعها منَ المتاع إلاّ بالمال، أو أَسْتَدِلَّ منزلَها ومِنْ دار مَن هي. فحِين غابت عنّي وقع لي أنّها مُحتالة، وأنّ ذلك سبب فقْري، فتحيّرتُ في أمري وقامت قِيامتي، وكتمتُ خَبَري لئلاّ أفتضحَ بما للنّاس عليّ، وعمِلْتُ على بيع ما في يدِي منَ المَتاع، وإضافته إلى ما عِندي منَ الدّراهم، ودَفْع أموالِ الناس إليهم، ولزوم البيت، والاقتصار على غَلّة العقَار الذي وَرِثْتُه، ووطَّنْتُ نفسي على المِحْنة، وأخذتُ أشرع في ذلك مدّة أسبوع، فإذا بها قد نَزَلَتْ عندي.

فحين رأيتها أُنسيت جميع ما جرَى عليّ، وقمتُ إليها، فقالت: يا فتى تأخَّرْنَا عنك لشُغْلٍ عَرَض لنا، وما شَكَكْنا في أنك لم تَشُكَّ أنا احْتَلْنا عليك. فقلتُ: قد رفع الله قدرَك عن هذا، فقالت: هاتِ التّخت والطَّيار[2]. فأحضره، فأَخْرَجَتْ دنانير عُتْقاً فوَفّتْني المال بأسره، وأخرَجَتْ تذكرةً بأشياء أخر. فأنفذت إلى التجار أموالهم، وطلبتُ منهم ما أرادت، وحَصَّلتُ أنا في الوسَط رِبحاً جيداً، وأحضر التّجار الثياب، فقُمت وثمَّنْتُها معهم لنفسي، ثم بعتها عليها بربحٍ عظيم، وأنا في خلال ذلك أنظر إليها نظر تالفٍ من حُبّها، وهي تنظر إليّ نظر مَن قد فَطَنَت بذلك، ولم تُنكره، فهممتُ بخطابها ولم أقدر أُقْدِم. فاجتمع المتاع وكان ثمنه ألف دينار، فأخذَتْه وركِبت، ولم أسألها عن موضِعها، فلمّا غابت عنِّي قلت: هذا الآن هو الحِيلة المُحكمة، أعطتني خمسمائة دِينار، وأخذت ألف دينار! وليس إلاّ بيع عقاري الآن، والحصول على الفقر المُدْقِع[3]!

ثم سمَحت نفسي برؤيتها، مع الفقر، وتطاولت غيبتها نحو شهر، وألحَّ التجّار عليَّ بالمُطالبة، فعرضْتُ عِقاري للبيع، ولازمني بعض التجار، فوزَنْتُ جميع ما كنت أملِكه وَرِقاً، وعَيْناً[4]، فأنا كذلك إذ نزلَتْ عندي، فزال عنّي جميع ما كنت فيه برؤيتها! فاستَدْعَت الطيّار

---

(١) الطَّلع: أول ما يظهر من ثمر النخل.
(٢) التخت: الخِزانة، خزانة المال أو غيره، والمراد هنا: صندوق المال. والطيار: ميزان الدراهم.
(٣) الفقر المُدْقِع: أي الشديد.
(٤) الوَرِق: الفضة. العين: الذهب المضروب دراهم.

والتَّخْت، فوزَنت المال، وقدّمت لي تذكرة يزيد ما فيها على ألفَيْ دِينار بكثير، فتشاغلتُ بإحضار التجار، ودفعِ أموالهم إليهم، وأخْذ المتاع منهم، فطال الحديث بيننا. فقالت: يا فتَى لك زوجة؟ فقلت: لا والله ما عرفتُ امرأةً قط. وأطمعني ذلك فيها، وقلت: هذا وقت خطابها، والإمساك عنها عَجْز، ولعلّها تعود، أو لا تعود. وأردتُ كلامَها، فَهِبْتُها، وقمتُ كأنني أحثّ التجار على جمع المتاع، وأخذتُ يد الخادم، وأخرجت إليه دنانير، وسألته أن يأخذها ويقضي لي حاجة، فقال: أفعل وأبلغ لك محبتك. وقصصت عليه قصتي، وسألته توسّط الأمر بيني وبينها، فضحك وقال: إنّها لك أعشقُ منك لها. ووالله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذي تشتريه. وإنّما تجيئك محبّة لك، وطريقاً إلى مطاولتك، فخاطِبْها بِظَرْف، ودَعني فإنّي أفرغ لك من الأمر. فجسَّرني بذلك عليها، فخاطبتُها، وكشفتُ لها عِشقي، ومحبّتي، وبَكَيْت، فضَحِكَت، وتقبّلت ذلك أحسن تَقَبّل، وقالت: الخادم يجيئك برسالتي، ونهضَت، ولم تأخذ شيئاً منَ المَتاع، فرددتُه على الناس، وقد حصل لي مما اشتريته أولاً وثانياً ألوفُ دراهم رِبحاً، ولم يحملني النوم تلك الليلة شَوْقاً إليها وخَوْفاً من انقطاع السبب بيننا.

فلمّا كان بعد أيام، جاءني الخادم، فأكرمتُه، وسألته عن خبرها. فقال: هي والله عَلِيلة من شوقِها إليك. فقلتُ: اِشرَح لي أمرها. فقال: هذه مملوكة السيّدة أمِ المقتدر، وهي مِنْ أخصّ جواريها بها، واشتهَتْ رؤية الناس، والدّخول والخروج فتوصَّلَتْ حتى جعلتْها قَهْرَمانة، وقد والله حَدَّثَت السيدة بحديثك، وبكت بين يدَيها، وسألتها أن تزوّجها منك، فقالت السيدة: لا أفعل أو أرى هذا الرجل فإن كان يستأهلك، وإلاّ لم أدَعْكِ ورأيك. وتحتاج أن تحتال في إدخالك الدّار بحِيلة، فإنْ تَمّت وصَلْتَ بها إلى تزويجها، وإن انكشَفْتَ ضُرِبَتْ عنقك في هذا، وقد أنفذَتْني إليك بهذه الرسالة، وقالت لك: إن صَبَرْتَ على هذا، وإلاّ فلا طريق لك والله إليّ، ولا لي إليك بعدها. فحمَلني ما في نفسي على أن قلت: أصبر. فقال: إذا كان الليلة فاعبر إلى المُخَرَّم[1] فادخل إلى المسجد وبت فيه. ففعلتُ. فلما كان السحر إذا بطيّار[2] قد قدِم، وخدَم قد رَقّوا[3] صناديق فُرَّغاً، فجعلوها في المسجد وانصرفوا، فخرجَت الجارية فصعدت إلى المسجد ومعها الخادم الذي أعرفه، فجلست، وفرّقت باقي الخدَم في حوائج، واستدعَتْني، فقَبّلَتْني، وعانقتني طويلاً، ولم أكن قد نِلْت قَبل ذلك منها قُبلة، ثم أجلَسَتْني في بعض الصناديق وقَفلته.

---

(١) المُخَرَّم: وهي محلّة كانت ببغداد بين الرُّصافة ونهر المعلّى، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البُوَيهية والسلجوقية، خلف الجامع المعروف بجامع السلطان، خرّبها الناصر لدين الله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد في سنة (٥٨٧) هـ. انظر: معجم البلدان ٥/ ٨٥.

(٢) الطيّار: نوع من المراكب النهرية.

(٣) أي: أصعدوا، رفعوا من المركب.

وطلعت الشمس، وجاء الخدَم بثيابٍ وحوائج من المواضع التي كانت أنفَذَتْهُم إليها، فجعلَت ذلك بحضرتهم، في باقي الصناديق، وقفلتها، وحملتها إلى الطيّار، وانحدر.

فلما حصلتُ فيه ندِمتُ، وقلت قَتَلْتُ نفسي لشهوة، وأقبلتُ ألومها تارة، وأشجّعها أخرى، وأَنْذُر النّذُور على خلاصي، وأُوَطِّن مرة نفسي على القَتْل، إلى أن بلغنا الدّار، وحَمل الخدم الصناديق، وحَمَل صندوقي الخادمُ الذي يعرف الحديث، وبادَرَت بصندوقي أمام الصناديق، وهي معي، والخدَم يحملون الباقي ويلحقونها، فكلّما جازتْ بطبقة من الخدَم والبوابين، قالوا: نريد تفتيش الصندوق، فتصيح عليهم وتقول: متى جرى الرَّسم معي بهذا؟! فيُمْسِكون، ورُوحي في السياق. إلى أن انتهينا إلى خادم خاطبته هي بالأستاذ: فعلمتُ أنه أجَلُّ الخدَم، فقال: لا بدّ من تفتيش الصندوق الذي معك، فخاطَبَتْه بلِين وذُلّ فلم يُجبها، وعَلِمْتُ أنّها ما ذَلّت له ولها حِيلة، فأُغْمِي عليَّ، وأُنْزِل الصندوقَ ليُفتح فذهب عليّ أمري وبُلْتُ فزَعاً فجرى البول من خَلَل الصندوق، فقالت: يا أستاذ، أهلكت علينا متاعاً بخمسة آلاف دينار في الصندوق، وثياب مصبّغات وماء ورد، قد انقلب على الثياب، والساعة تختلط ألوانها، وهي هلاكي مع السيدة! فقال لها: خذي صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ومُرِّي. فصاحت بالخدم: احملوه، وأُدْخِلْتُ الدّار ورَجعت إليَّ روحي، فبينا نحن نمشي إذ قالت: وا ويلاه، الخليفة والله. فجاءني أعظمُ من الأول، وسمعتُ كلام خدَم وجَوارٍ وهو يقول مِن بينهم: ويلك يا فلانة! إيش في صندوقك، أريني هو. فقالت: ثياب لستّي يا مولاي، والساعة أفتحه بين يَدَيْها وتراه. وقالت للخدم: أسرعوا ويلكم، فأَسْرَعوا وأَدْخَلَتْنِي إلى حُجْرَة وفَتَحَتْ عَنِّي وقالت: اصعد هذه الدَّرجة إلى الغرفة، واجلس فيها، وفتحَتْ بالعجلة صندوقاً آخر، فنقَلَت بعض ما كان فيه إلى الصندوق الذي كنتُ فيه، وقفلت الجميع. وجاء المُقْتَدر، وقال: افتحي، ففتحَتْه، فلم يرضَ منه شيئاً، وخرج، فصعَدَتْ إليَّ وجعلت ترشُفُنِي وتقبّلني، فعشتُ ونسِيت ما جرَى. وتركتني وقفلَتْ باب الحجرة يومها، ثم جاءتني ليلاً فأطعَمَتْني وسقَتْني وانصرفت.

فلما كان منَ الغدِ جاءتني فقالت: السيدة الساعة تجيء، فانظر كيف تُخاطبها. ثم عادت بعد ساعة مع السيدة، وقالت: انزل فنزلتُ، فإذا بالسيدة جالسة على كرسي، وليس معها إلاّ وَصِيفتان وصاحِبَتي. فقَبّلْتُ الأرض وقمتُ بين يدَيها، فقالت: اجلِس. فقلت: أنا عبد السيدة وخادمها، وليس من محلّي أن أجلِس بحضرتها، فتأملتني وقالت: ما اخْتَرتِ يا فُلانة إلاّ حُسْن الوجهِ والأدَب. ونَهضت. فجاءتني صاحبتي بعد ساعة فقالت: أَبشِر، فقد أَذِنت لي والله في تزويجك، وما بقِيَ الآن عُقْبة إلاّ الخروج، فقلتُ: يُسَلِّم الله. فلما كان مِنَ الغد حملَتني في الصندوق، فأُخرِجْتُ كما أُدْخِلت بعد مُخاطرة أخرى وفزَع ثان، ونزلتُ في المسجد ورَجعت إلى منزلي فتصدّقت، وحمدتُ الله تعالى على السّلامة.

فلما كان بعد أيام جاءني الخادم ومعه كِيس فيه ثلاثة آلاف دِينار عَيْناً، فقال: أمرَتْني سِتّي بإنفاذ هذا إليك مِن مالها، وقالت: تشتري بها ثياباً ومَرْكُوباً وخدماً وتُصلح بِهِ ظاهرك، وتعالَ يوم المَوْكِب إلى باب العامّة وَقِفْ حتى تُطْلَب، فقد وافق الخليفة أن يُزَوِّجك بحضرته. فأجبتُ عن رُقْعَةٍ كانتْ معه وأخذتُ المال فاشتريتُ ما قالوه بشيء يسير منه، وبقي الأكثر عندي، ورَكِبْت إلى باب العامّة في يوم المَوْكب بزيّ حسَن، وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة ووقفتُ إلى أن استُدْعِيت فدخلتُ، فإذا أنا بالمُقْتَدِر جالس والقُضاة والقوّاد والهاشِمِيِّين. فهِبْتُ المجلسَ، وعُلِّمْت كيف أسلم، ففعلتُ وتقدّم المقتدر إلى بعض القضاة الحاضرين، فخَطب لي وزوّجني، وخرجتُ مِنْ حضرته، فلما صِرْتُ في بعض الدّهاليز قريباً من الباب عُدِلَ بي إلى دارٍ عظيمة مفروشة بأنواعِ الفَرْش الفاخر، وفيها منَ الآلات والخدَم والقماش كلّ شيء لم أرَ مثله قط. فأُجْلِسْتُ فيها وتُرِكْتُ وحدي، وانصرَف مَن أدخلني، فجلستُ يومي لا أرى مَنْ أعرف، ولا أَبْرَح موضِعي إلاّ إلى الصلاة، وخَدَم يدخلون ويخرجون، وطعامٌ عظيم يُنقل، وهم يقولون: الليلة تُزَفّ فلانة، باسم صاحِبتي، إلى زوجِها البزّاز، فلا أُصدِّق فرحاً.

فلما جاء الليل أثّر فيَّ الجوع، وقُفِّلَت الأبواب، ويَئِسْت من الجارية، فقُمت أطوف الدّار، فوقعتُ على المطبخ ووجدتُ الطبّاخين جُلوساً فاستطعمتُهم فلم يَعْرِفوني وقَدّروني[1] بعض الوكلاء، فقدّموا إليَّ هذا اللون مِنَ الطعام مع رغيفين، فأكلتهما وغسلت يدي بأشنان كان في المطبخ، وقدَّرْت أنّها قد نقيت، وعدتُ إلى مكاني. فلما جنّني الليل إذا بطبول وزُمور وأصوات عظيمة، وإذا بالأبواب قد فُتحت وصاحبتي قد أُهديت إليّ وجاؤوا بها، فجَلُّوها علي وأنا أُقَدِّر أن ذلك في النوم فرَحاً، وتُرِكَتْ معي في المجلس وتفرق الناس.

فلما خلونا تقدمتُ إليها فقبَّلْتُها وقَبّلتني، وشمَّت لحيتي فرَفَسَتْني ورَمَتْ بي عنِ المِنَصّة، وقالت: أَنْكَرْتُ أن تُفلِح يا عامِّي يا سَفَلَة. وقامت لتخرج، فقمتُ وتعلّقت بها، وقبلتُ الأرض ورجليها، وقلت: عرّفيني ذنبي، واعملي بعده ما شئت. فقالت: ويحك، أكلت ولم تغسل يدك! فقصَصْت عليها قصّتي، فلما بلغتُ إلى آخرها قلتُ: عَلَيَّ وعَلَيَّ فحلفْتُ بطلاقها وطلاقِ كلّ امرأة أتزوجها وصدقة مالي وجميع ما أملكه، والحجّ ماشياً على قدَمَيَّ، والكفر بالله، وكلّ ما يحلف المسلمون به، لا أكلتُ بعدها ديكيريكة إلاّ غسلتُ يدي أربعين مرة! فاستَحْيَتْ وتبسّمت وصاحت: يا جواري. فجاء مِقدار عشر جوار ووصائف. فقالت: هاتوا شيئاً نأكل. فقُدِّمَتْ إليَّ ألوانٌ ظريفةٌ وطعامٌ من أطعمة الخُلفاء، فأكَلْنا وغسلنا أيدينا، واستَدْعَت شراباً فشربنا، وغنّى أولئك الوصائف أطيب غِناء وأحسنه، ثم قُمنا إلى

---

(١) قدّروني: ظنّوني.

الفراش، فدخلتُ بها، وبِتّ بليلةٍ من ليالي الخلفاء، ولم نفترق أسبوعاً، وكان يوم الأسبوع وليمة هائلة، اجتمع فيها الجواري.

فلما كان من غَدٍ قالت: إنّ دار الخلافة لا يحتمل أن يكون المقام فيها أكثر من هذا، ولولا أنّه استؤذن فأذن بعد جهد، لما تمَّ لنا هذا، إلاّ أنّه شيء لم يُفعل قط مع جارية غيري، لمحبّة السيدة لي، وجميع ما تراه فهو هِبة لي من السيدة، وقد أعطتني خمسين ألف دينار من عَينٍ وَوَرِق وجوهر ودنانير وذَخائر لي خارج القصر، أشياء كثيرة مِن كلّ لون، وجميعها لك فاخرج إلى منزلك وخذ معك مالاً فاشتر داراً سويّة واسِعَة الصَّحْن، فيها بستان كبير، كثيرة الحُجَر، فاخرة الموقع، وتحوَّل إليها وعَرِّفني لأنقل هذا كلّه إليك، فإذا حصل عندك جئتك. وسَلّمَتْ إلي عشرة آلاف دينار عَيْناً، فحملها الخادم معي، فابتَعْتُ الدّار، وكتبت إليها بالخبر؛ فحمَلَت لي تلك النّعمة بأسرها. فجميع ما أنا فيه منها، فأقامت عندي كذا وكذا سَنة أعيش معها عَيْش الخلفاء، ولم أَدَعْ مع ذلك التجارة؛ فزاد مالي، وعَظُمت مَنزلتي، وأَثْرَت حالي، وولدت لي هؤلاء الفِتيان، وأومأ إلى أولاده. ثم ماتت رحمها الله؛ وبقِي عليّ من مضرّة الديكيريكة ما شاهدته!

وممّن نال نعمة عظيمة بسبب أنّه عشِق: محمد بن جعفر المعروف بزَوْج الحرّة[1].

٩١٤ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: حدثنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن القاضي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني الأمير أبو الفضل جعفر بن المُكتفي بالله، قال: كانت بنتُ بَدْر مولى المعتضد بالله زوجة أمير المؤمنين المقتدر بالله فأقامت عنده سِنين، وكان لها مُكرِماً وعليها مُفْضِلاً الإفضال العظيم. فتَأَثَّلت[2] حالها، وانضاف ذلك إلى عَظِيم نعمته المَوْرُوثة، وقُتِل المقتدر، فأفلَتَتْ من النَّكبة وسَلِم لها جميع أموالها وذخائرها، حتى لم يَذْهب لها شيء.

وخرَجت عن الدّار فكان يدخل إلى مطبخها حدَثٌ يحمِل فيه على رأسه، يُعرف بمحمد بن جعفر، وكان حَرِكا فنفَق على القَهْرمانة بخدمته، فنقلوه إلى أنْ صار وَكيل المَطْبخ، وترقَّى أمرُه حتى صار ينظر في ضِياعِها وعَقارها، وغلب عليها، فصارَت تكلّمه مِنْ وراء سِتْر وخلْف باب أو سِتارة، وزاد اختصاصُه بها حتى عَلِق بقلبها فاستَدْعته إلى تزويجها، فلم يَجْسُر على ذلك، فجسَّرته وبَذَلت مالاً حتى تمّ له ذلك. وقد كانت حاله تأَثّلت بها وأعطَته لمّا أرادت ذلك منه أموالاً جعلها لنفسِه ونعمة ظاهرة، لئلاّ يمنعها أولياؤها مِنه

(١) هو محمد بن جعفر بن أحمد بن جعفر، أبو بكر البغدادي الحريري المعدّل، ثقة جليل، وتوفي سنة (٣٧٢) هـ. انظر: تاريخ بغداد ١٥٣/٢، المنتظم ١١٨/٧، تاريخ الإسلام (٣٥١ ـ ٣٨٠) ص ٥٢٦.
(٢) تأثّلت، أي ازدادت شرفاً وعزّاً ومالاً.

بالفَقر، وأنّه ليس بكفء، ثم هادَت القُضَاة بهدايا جَلِيلة حتى زوَّجوها منه، واعترَض الأولياء فغالبتهم بالحُكْم والدّراهم. فتمّ له ذلك ولها، فأقام معها سنين، ثم ماتت فحصل له من مالها نحو ثلاثمائة ألف دينار ظاهرة وباطنة، فهو يتقلّب إلى الآن فيها.

قال أبي: وقد رأيتُ أنا هذا الرجل، وهو شيخٌ عاقل شاهِد مقبول، توصّل بالمال إلى أن قَبِله أبو السائب القاضي حتى أقرَّ في يدِه وُقوف الحُرّة ووَصِيَّتِها، لأنّها وصَّتْ إليه في أموالها، وأوقافها، وهو إلى الآن لا يُعرف إلا بزوج الحُرّة.

وإنّما سميت الحُرّة لأجل تزويج المقتدر بها، وهكذا عادة الخلفاء لغَلبة المماليك عليهم، إذا كانت لهم زوجة قيل: الحُرّة[1].

٩١٥ ـ قال الخطيب: قال لنا أبو علي بن شاذان: كان محمد بن جعفر زوج الحُرّة جارنا، وسمعتُ منه مجالسَ من أماليه، وكان يحضره في مجلس الحديث القاضي الجرَّاحي، وأبو الحسن بن المظفر، وأبو عُمر بن حيَّويه، وأبو الحسن الدارقطني وغيرهم من الشيوخ. توفي في صَفَر سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، ودُفن بالقُرْب من قَبْر مَعْرُوف الكَرْخي.

٩١٦ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي، قال: أخبرنا محمد بن جعفر الخَرائطي، قال: حدثنا محمد بن أحمد، قال: حدثنا إسحاق بن الصيّف، عن أبي مُسْهِر قال: كان وَضَّاحُ اليمن نشأ هو وأمّ البَنِين صغيرَين، فأحبّها وأحبته، وكان لا يصبر عنها، حتى إذا بلغَت حُجبت عنه، فطال بهما البلاء، فحجّ الوليد بن عبد الملك فبلغه جمال أم البَنِين وأدَبها، فتزوَّجها ونقلها إلى الشام.

قال: فذهب عقلُ وضّاح عليها، وجعل يذوب وينحل، فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام فجعل يطوف بقصر الوليد بن عبد الملك كلّ يوم، لا يَجد حِيلة، حتى رأى يوماً جارية صفراء، فلم يزل حتى أنِسَ بها. فقال لها: هل تعرفين أُم البَنِين؟ فقالت: إنّك تسأل عن مولاتي؛ فقال: إنّها لابنة عمّي، وإنها لَتُسَرُّ بمكاني وبموضعي، فلو أخبرتها. قالت: إنّي أخبرها. فمَضت الجارية فأخبرَت أمَّ البنين، فقالت: ويلك أوَحيٌّ هو؟ قالت: نعم. قالت: قولي له: كن مكانك حتى يأتيَك رَسولي، فلن أدَع الاحتيالَ لكَ.

فاحتالت إلى أن أدخَلْته إليها في صندوق فمكث عندها حِيناً، فإذا أمنَت أخرجَتْه فقعد معها، وإذا خافت عَيْنَ الرَّقيب أدخلَتْه الصندوق. فأُهْدِيَ للوليد بن عبد الملك يوماً جَوْهر.

---

(١) انظر ملخص هذه القصة في تاريخ الإسلام، وتاريخ بغداد.

فقال لبعض خدمه: خذ هذا الجوهر فامضِ به إلى أم المؤمنين، وقل لها: أُهْدِي هذا إلى أمير المؤمنين، فوجَّه به إليك؛ فدخل الخادم من غير استئذان ووضاحٌ معها؛ فلَمَحَهُ ولم تشعر أمّ البَنِين؛ فبادر إلى الصندوق فدخله، فأدى الخادم الرِّسالة إليها، وقال لها: هَبِي لي من هذا الجوهر حجراً، فقالت: لا أُمّ لكِ، وما تصنع أنت بهذا؟

فخرج وهو عليها حَنِق، فجاء الوليد فخبَّره الخبر، ووصفَ له الصندوق الذي رآه دخلَه. فقال له: كذبتَ لا أمّ لك. ثم نهض الوليد مسرعاً فدخل إليها وهي في ذلك البيت، وفيه صناديقُ عِداد. فجاء حتى جلس على ذلك الصندوق الذي وَصَف له الخادمُ، فقال لها: يا أمّ البَنين هَبِي لي صندوقاً من صناديقك هذه فقالت: يا أمير المؤمنين هي وأنا لك. فقال: لا أريد غيرَ هذا الذي تحتي. قالت: يا أمير المؤمنين إنّ فيه شيئاً من أمور النساء. قال: ما أريد غيره. قالت: هو لك. فأمر به فحُمِل، ودعا بغلامَيْن فأمرهما بحفر بئر، فحفرا حتى إذا بلغا الماء وضَع فمه على الصندوق، وقال: أيّها الصندوق: إنّه قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقاً فقد دفنّا خبرَك ودَرَسْنا[1] أثرك، وإن كان كذباً فما علينا في دفن صندوق من خشب حرَج. ثم أمر به فأُلقِي في الحفرة، وأمرَ بالخادم فقُذِف في ذلك المكان فوقه، وطمّ عليهما جميعاً التراب. قال: فكانت أمّ البنين تُوجَد في ذلك المكان تَبكي، إلى أنْ وُجِدَتْ يوماً مكبوبة على وجهها ميتة.

قلت: وقد روَى المعافى بن زكريا هذه الحكاية. فذكر أنّ الخليفة كان يَزِيد بن عبد الملك.

٩١٧ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السَّراج، قال: أنبأنا أبو علي محمد بن الحسين الجازِرِي، قال: حدثنا المعافَى بنُ زكريا، قال حدثني أبي، قال: حدثنا أبو أحمد الختّلي، قال: حدثنا أبو حفص النسائي، قال: حدثني محمد بن حيَّان بن صدقة، عن محمد بن أبي السَّرِي، عن هشام بن محمد بن السائب، قال: كانت عند يزيد بن عبد الملك بن مروان أمّ البَنين، وكان لها مِنْ قلبه موضع. قال فقدِم عليه من ناحية مصر بجوهر له قَدْر وقيمة. قال: فدعا خَصِيًّا[2] له، فقال: اذهب بهذا إلى أمّ البَنين، وقل لها: أُتيتُ به الساعة فبَعَثْتُ به إليك. قال: فأتاها الخادم فوجَد عندها وضّاح اليَمن، وكان من أجمل العرب وأحسنهم وَجْهاً، فعشِقَتْه أمّ البنين فأدخلته عليها، فكان يكون عندها، فإذا أحسّت بدخول يزيد بن عبد الملك عليها أدخلته في صندوق من صناديقها. فرآه الغلام ورأى الصندوق الذي دخل فيه، فوضع الجوهر بين يدَيْها، وأبلَغَها رسالة يزيد، ثم قال: يا سَيّدتي

---

(١) دَرَسْنا: مَحَوْنا.

(٢) الخصيّ والمَخْصيّ: الذي قُطعت خصيتاه.

هبِي لي منه لؤلؤة. قالت: لا ولا كرامة. فغضِب وجاء مولاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي دخلت عليها وعندها رجل، فلما رأتني أدخلَتْه صندوقاً، وهو في الصندوق الذي من صفته كذا وكذا، وهو الثالث أو الرابع. فقال له يزيد: كذبت يا عدو الله، جأوا[1] عنقه، فوجأوا عنقه ونحّوه عنه.

قال: فأمهل قليلاً ثم قام فلبس نعله، ودخل على أم البنين، وهي تمتشط في خزانتها، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وَصف له الخادم، فقال: يا أمّ البَنين، ما أحبَّ إليك هذا البيت؟ قالت: يا أمير المؤمنين أدخله لحاجتي، وفيه خِزانتي فما أردتُ من شيء أخذْتُه مِن قُرْب. قال: فما في هذه الصناديق التي أراها؟ قالت: حِلْيتي وأثاثي، قال: فهَبِي لي منها صندوقاً، فقالت: كلّها يا أمير المؤمنين لك، قال: لا أريد إلاّ واحداً ولك عليَّ أن أعطيك زنته وزِنة ما فيه ذَهباً. قالت: فخذ ما شئت، قال: هذا الذي تحتي، قالت: يا أمير المؤمنين عَدِّ عن هذا، وخذ غيره فإنّ لي فيه شيئاً يَقع بمحبّتي. قال: ما أريد غيره، فقالت: هو لك.

قال: فأخذه ودعا الفَرّاشين فحمَلوا الصندوق، فمضَى به إلى مجلسه، فجلَس ولم يفتحْه ولم ينظر ما فيه، فلمّا جَنّه الليل دعا غلاماً له أعجمياً، فقال له: استأجر أُجراء غرباء ليسوا من أهل المصر. قال: فجاءه بهم وأمرهم فحفروا له حَفِيرة في مجلسه حتى بلَغوا الماء، ثم قال: قَدِّموا إليّ الصندوق، فألقاه في الحفيرة، ثم وضع فمَه على شَفِيره، فقال: يا هذا قد بَلَغنا عنك خبر، فإن يك حقاً فقد قطعنا أثره، وإن يكن باطلاً فإنّما دَفَنّا خشباً. ثم أَهَالُوا عليه التراب حتى استوى. قال: فلم يُرَ وضاح اليمن حتى الساعة. قال: فلا والله ما بان لها[2] في وجهه ولا في خلائقه ولا في شيء، حتى فرّق الموتُ بينهما.

٩١٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا ابن حَيويه، قال: أنبأنا ابن خلف، قال: أخبرني أبو بكر النَّسائي، قال: أخبرني علي بن محمد بن سليمان المَوْصِلي، قال أخبرني رجلٌ سمّاه، أحسبه ذكر محمد بن إسحاق قال: كان لقمان بن عاد من أشد قومه وأجلدهم، فقالوا له: لو تزوّجت فبقي مِن نسلك في عادٍ. فقال: إنّي أكره النساء، فلم يزالوا به حتى تزَوّج امرأةً من مِنَى، ثم بنَى بيتاً طويلاً وجعل له باباً من أسفلِه، وسكَن في أعلاه مع امرأته، وجعل خيطاً في جُلْجُل[3]، فإذا جاء من يريده حرَّك الجُلْجُل، لئلا تسمع امرأته كلام رجل، فولدت له ابنة. وإنّ فتى مِن عاد قال لقومه: أريدُ أن أرى امرأة لقمان بن عاد؛ فمَنعوه من ذلك، فقال: والله لئن لم أَرها لأَجُرَّن على عاد جريرة يكون فيها استئصال عاد.

---

(١) أي: اقطعوا.
(٢) أي: ما ظهر لأمّ البَنِين من يزيد بن عبد الملك.
(٣) الجُلْجُل: الجرسِ الصغير.

قال: فجَمعوا سيوفاً وسِلاحاً وأدخلوه في جوف حزمة منها، ثم أَتوا لقمان فقالوا: إنّا نريد نُجْعَةً[1] لنا، ونريد أن نضع سلاحنا عندك، فأتوه به، وصَعِد به فوضعه عنده، وعاد القوم وأخذوا سيوفهم بعد أيام. فبينا لقمان مع امرأته إذ نظر إلى نُخامَةٍ[2] في سقف بيته، فقال: مَن تَنَخَّم هذه؟ قالت: أنا، قال: أقائمة أم نائمة؟ قالت: قائمة، قال: فتنَخّمي، فتنخمت فلم تبلُغ، فقال: السيوفُ دهَتْني[3]، فذهب مثلاً. قال: فقتلها ونَزل. فلقِي ابنته فقتلَها، فأَتى قومه، فقال: والله لتصدُقُنّي، فصدَقوه. فقال: ائتوني بهذا الفتى. فخاف الفتى فلحِق بالوحوش، فكان يأوي معها، فكَفَّ لقمان عن قومه حين بلغه أمر الفتى. فقيل له في قتل الصَبيّة: ما كان ذنبها؟ ولِمَ قتلْتَها؟ قال: إنها منَ النِّساء!

وقد رويت لنا هذه الحكاية أتم من هذا.

٩١٩ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا القاضي أبو عبد الله محمد بن سَلامَةَ القُضاعي ـ ولقيتُه بمدينة الرسول ﷺ ـ، قال: أخبرنا أبو مسلم الكاتب، قال: أخبرنا ابن دُرَيْد، قال: حدثنا العُكْلِي، عن ابن أبي خالد، عن الهَيْثم، عن مُجالد، عن الشَّعْبِيّ، قال: كان لقمان بن عاد بن عاديا الذي عمّر سبعة أنْسُرٍ مُبتلىً بالنساء، وكان يتزوّج المرأة فتخُونه، حتى تزوّج جارية صغيرة لم تعرِف الرجال، ثم نَقَر لها بيتاً في سفح جبل، وجعلَ له دَرجة بسلاسل ينزل بها ويصعد، فإذا خرج رُفعت السلاسل. حتى عرَض لها فتى منَ العماليق، فوقَعَتْ في نفسِه، فأَتى بني أبيه، فقال: والله لأَجْنِيَنّ عليكم حرباً لا تقومون بها. قالوا: وما ذاك؟ قال: امرأة لقمان بن عادٍ هي أحبُّ الناس إليّ. قالوا: فكيف نحتال لها؟ قال: اجمعوا سيوفكم ثم اجعلوني بينها وشدّوها حُزمة عَظيمة، ثم ائتوا لقمان، فقولوا له: إنّا أردنا أن نُسافر، ونحن نستودِعك سيوفنا حتى نرجع، وسمُّوا له يوماً. ففَعلوا وأقبلوا بالسيوف فدفعوها إلى لقمان فوضعها في ناحية بيته، وخرج لقمان، وتحرّك الرجل، فحلَّت الجارية عنه. فكان يأتيها، فإذا أحست بلقمان جعلته بين السيوف. حتى انقضت الأيام. ثم جاؤوا إلى لقمان فاستَرْجعوا سيوفهم، فرفع لقمان رأسه بعد ذلك، فإذا نخامة تَنُوسُ[4] في السقف. فقال لامرأته: مَنْ نَخِم هذه؟ قالت: أنا. قال: فتنخّمي، ففعلت، فلم تصنع شيئاً. فقال: يا وَيلتاه السيوف دَهَتْنِي. ثم رمى بها منْ ذُرْوَة الجبَل فتقطعت قطعاً، فانحدَر مُغْضَباً، فإذا ابنةٌ له يُقال لها: صُحْر، فقالت له: يا أبتاه ما شأنك؟

---

(١) النُّجْعَة: طلَب الكَلأ والمرعَى في موضعه.
(٢) النخامة وتُسمّى: النُّخاعة، هي: ما يدفعها الإنسان من أنفه أو صَدْره.
(٣) دَهَتْنِي: أي أصابتني بداهية، وهِي الأمر المنكر والمصيبة.
(٤) تقول: ناس الشيء: تحرّك وتَذَبْذب متدلّياً.

قال: وأنت أيضاً منَ النساء، فضرَب رأسها بصخرة فقتلها، فقالت العرب: ما أذنَبْتُ إلاّ ذنب صُحْر. فصارت مثلاً.

٩٢٠ ـ أنبأنا محمد بن أبي منصور قال: حدثنا عبد المحسن بن محمد قال: حدثني منصور محمد بن علي الواسطي قال: حدّثني الأمير مُنْتخب الملك قال: كان ابن المغربي مُختفياً بالقاهرة، والسلطان يطلبُ دمَه، وكان بمصر صَبِيٌّ أمردُ ممن انتهى الحسن إليه في زَمانه، وكان يَشْتَهِي يراه، فخَبرَه أنّه يَسْبح في الخليج: فخرَج وغَرّر بنفسه فنظر إليه فقال:

عُلِّمْــتُ منطــقَ حــاجبَيْــه ... والبيــن ينشــر رايتَيْــه
وعــرفــتُ آثــار النَّعِيــم بقُبْلَــة فــي عــارضيْــهِ[1]
هــا قــد رَضِيــتُ مــن الحيــاة بــأســرهــا نظــرِي إليــه
ولقــد أراه فــي الخليــج يَشُقُّــه مِــن جــانبيْــهِ
والمــوجُ مثــل السيــف وهو فِرِنْده في صَفْحَتَيْه[2]
لا تشــرَبــوا مــن مــائِــه ... أبــداً ولا تَــرِدُوا عليــه
قــد ذابَ منــه السّحــر فــي ... حــرَكــاتــه مِــن وَجْنَتَيْــه
فكــأنّــه فــي المَــوْج قلــبِي بيــن أشــواقــي إليــه

* * *

(١) العارض: صفحة الخد.
(٢) فرند السيف: جوهرة.

البَابُ الواحِد والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ مَنْ ضُرِبَتْ بِهِ الأَمْثَالُ فِي العِشْقِ

أشهر المشهورين بذلك: **مجنون ليلى**[1]. وله أخبار كثيرة وأشعار كَثيرة، وإنّما أَنْتقِي محاسنها. اختلف العلماء بالأنساب في اسمه ونسبه.

٩٢١ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البخاري، قال: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري:

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التنوخي. قالا[2]: أنبأنا أبو عُمر بن حَيّويَه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال ابن دَأبٍ، عن رَبَاح بن حبيب العامري، قال: هو قيس بن الْمُلَوَّح بن مزاحم.

٩٢٢ ـ وقال أبو عبيدة: هو البَخْتُري بن الْجَعْدِيّ.

٩٢٣ ـ وقال أبو عمرو الشيباني: أخبرني أبو بكر الوَالِبِيُّ، عن بعض ولد عليّ بن أبي طالب، قال: هو قيس بن معاذ العُقَيْلي.

٩٢٤ ـ وقال أبو العالية: هو الأقرع بن معاذ.

٩٢٥ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا ابن حَيّويه، قال: أخبرنا محمد بن خلف، قال: أخبرني أحمد بن حَرْب، قال: أخبرني ابن أبي كَرِيم، قال: أخبرنا أبو قلابة العامِري، عن القاسم بن سُويد الحَرَمي، قال: كان في بني عامر ثلاثة مَجانين: مُعاذ ليلى، وهو معاذ بن كُليب، أحد بني عامر بن عُبَيْد. وقيس بن معاذ. ومهديُّ بن الملوّح الجعدي.

---

(١) قال الذهبي في السير: أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا دَفْعٌ بالصدر، فما مَن لم يعلم حُجّة على مَن عنده عِلم، ولا المثبت كالنافي، لكن إذا كان المثبتُ لشيء شبه خُرَافة، والنافي ليس غرَضُه دفعَ الحقّ فهنا النافي مُقدّم، وهنا تقعُ المكابرةُ وتُسْكَبُ العَبْرَة. توفي في حدود عام (٦٥) هجري. انظر السير ٤/ ٥ ـ ٧، تاريخ الإسلام ٣/ ٦٤، وكتاب الأغاني ٢/ ١ فما بعدها حيث ذكر أغلب القصص والأشعار التي سيذكرها المُصَنّف.

(٢) قالا، أي: الحسن بن علي الجوهري، وعلي بن المُحَسِّن التنوخي. وفي المطبوعة: قال، وهو خطأ.

فأمّا ليلى فاختلفوا في نسبها. فقال بعضهم: ليلى بنت مهدي. وقال بعضهم: ليلى بنت ورد من بني رَبيعة. وفي كُنيتها قولان: أحدهما: أم مالك، وكذلك كنّاها المجنون في شِعره. والثاني: أمّ الخليل.

سياق بداية معرفة المجنون بليلى

اختلفوا في ذلك:

٩٢٦ ـ فأخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار:

وأخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرَّاج:

قالا: أنبأنا علي بن المحسِّن التنوخي:

وأخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري:

قالا[1]: أنبأنا ابن حَيّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلَف، قال: أخبرني أبو محمد بن البَلْخي، قال: أخبرني عبد العزيز بن صالح، عن أبيه، عن ابن دأبٍ، قال: حدثني رجل من بني عامر، يُقال له: رباح بن حَبيب، قال: كان مِن بني عامر جارية من أجمل النساء، لها عقل وأَدَبٌ، يقالُ لها: ليلى بنت مهدي، فبلغ المجنونَ خبرُها وما هي عليه من الجمال والعقل، وكان صَبًّا بمُحادثة النِّساء، فعمَد إلى أحسن ثيابه فلبسها وتهيأ، فلما جلس إليها وتحدّث بين يدَيها، أعجبَتْهُ ووقعتْ بقلبه. فَظَلَّ يومَه ذلك يُحدّثها وتُحَدِّثه حتّى أمسَى، فانصرف إلى أهله، فبات بأَطْوَلِ ليلة، حتى إذا أصبح مضى إليها، فلم يزل عندها حتى أمسى، ثم انصرف، فبات بأطول من ليلته الأولى، وجَهِد أن يُغمض، فلم يقدر على ذلك، فأنشأ يقول:

نهـارِي نهـارُ النّـاسِ حتـى إذا بـدا ... لِـيَ الليـلُ هَـزَّتْنِـي إليـكِ المَضَـاجـعُ
أُقضِّـي نهـاري بـالحـديـث وبـالْمُنَـى ... ويجمعنـي والهـمَّ بـاللَّيْـلِ جـامـعُ[2]

وأدامَ زيارَتها، وترَك إتيانَ كلّ مَن كان يأتيه، فوقع في قلبِها مثلَ الذي وقع في قلبه. فجاء يوماً يُحدّثها فجعلت تُعرِض عنه وتُقْبل على غيره، تُريد أن تمتحِنَه وتعلَمَ ما في قلبه. فلمّا رأى ذلك منها اشتدّ عليه وخرَج، فلما خافت عليه أقبلت عليه، فقالت:

كِـلانـا مُظْهِـرٌ للنّـاس بُغْضـاً ... وكـلٌّ عنـد صـاحبـه مَكِيـنُ

---

(١) أي: التنوخي والجوهري.
(٢) انظر هذه الأبيات والأبيات الآتية للمجنون في ديوانه، طبع دار الكتاب العربي.

فسُرِّيَ عنه عند ذلك. فقالت: إنّما أردتُ امتحانَك، والذي لكَ عندِي أكثر من الذي لي عندَك، وأنا معطيةٌ اللَّهَ عهداً إنْ أنا جالستُ بعدَ يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت، إلاّ أن أُكْرَه على ذلك. فانصرف وهو أَسَرُّ الناس، فأنشأ يقول:

أظـنُّ هـواهـا تـارِكـي بمَضَلَّـةٍ ... مـنَ الأرض لا مـالٌ لـدَيَّ ولا أهـلُ
ولا أحَـدٌ أُفْضِـي إليـه وَصِيَّتـي ... ولا وارثٌ إلاّ المَطِيّـةُ والـرَّحْـلُ[1]
مَحَـا حُبُّهـا حـبَّ الأُلَـى كُـنَّ قَبْلَهـا ... وحلَّـتْ مكـانـاً لـم يكـن حُـلَّ مـن قَبْـلُ

قلت: قد ذكرنا في هذه الحكاية قوله: «هَزَّتْني إليكِ المضاجعُ»، وما رُوي لنا إلاّ بالزاي، ولا سمعنا أحداً يذكره إلا كذلك. ثم رأينا [أبو] الفَتْح بن جنّي[2] يذكره بالراء، فقال: «هَرَّتْنِي إليكِ المضاجعُ». قال: والزّاي تَصْحِيف عندهم. قال: ويقال هرَّ الشيءَ يهرُّ ويهره إذا كَرِهه. فمعنى هَرّتني: كرهتني فَنَبَتْ بي.

قلت: وفي بداية معرفتها قول آخر.

٩٢٧ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوهري:

وأخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن:

قالا: أنبأنا أبو عُمر بن حَيَّويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال العُمَري، عن لَقِيط بن بُكير المُحاربي: أن المجنون عَلِقَ بليلى علاقة الصِّبَا، وذلك أنّهما كانا صغِيرَيْن يَرْعَيَان أغناماً لقَوْمِهما، فعَلِق كلّ واحد منهما صاحِبَه، إلاّ أن المجنون كان أكثر منها. فلم يزالا على ذلك حتى كبِرا، فلمّا عُلِم بأمرهما حُجِبَت ليلى عنه، فزال عقلُه. وفي ذلك يقول:

تَعَلَّقْـتُ ليلـى وهِـي ذات ذؤابـة ... ولـم يَبْـدُ لـلأَتْـرَاب مِـنْ ثَـدْيِهـا حجـمُ
صغيـريْـنِ نـرعَـى البَهْـمَ يـا ليـت أنّنـا ... إلـى اليـوم لـم نَكْبُـر ولـم تَكْبَـرِ البَهْـمُ[3]

٩٢٨ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو بكر الأرْدَستاني، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي، قال: حدثنا أحمد بن سَعيد، قال: حدثنا

---

(١) المطيّة: الناقة، والرَّحْل: ما يوضع ليركب عليها ـ كالسَّرْج للفرس ـ والمتاع.
(٢) هو إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جِنِّي المَوْصلي، صاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي دهراً، حتى برع، وصنّف، وسكن بغداد، له كتب كثيرة وله نظم جيد، خدم عَضُدَ الدولة وابنه، قرأ على المتنبي ديوانه، وشرَحَه. توفي سنة (٣٩٢) هـ. انظر: السير ١٧/١٧، تاريخ بغداد ٣١١/١١، البداية والنهاية ١١/ ٣٣١، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٠.
(٣) البَهْم: جمع بَهْمَة، وهي صغير الشاة والغنم، وتستعمل للمذكر والمؤنث.

محمد بن سَعيد، قال: حدثنا عباس التَّرقُفي، قال: حدثنا عبد الله بن عَمرو، قال: حدثنا الحسن بن عليّ، قال: حدثنا أبو غياث البَصري، عن إبراهيم بن محمد الشافعي، قال: بينا ابن أبي مُلَيْكة[1] يُؤَذِّن إذ سمع الأخضر الْجَدّي يتغنّى في دار العاص بن وائل ويقول:

صغيـرَيْـن نـرعَـى البَهْـم يـا ليـت أنّنـا   إلـى الآن لـم نكْبـر ولـم تكبَـرِ البَهْـمُ

قال: فأسرع في الأذان، فأراد أن يقول: حَيَّ على الصلاة، فقال: حَيّ على البهْم، حتى سمعه أهل مكة، فجاء يعتذِر إليهم!

٩٢٩ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو القاسم التَّنُوخي قال: حدثنا ابن حَيويه قال: أنبأنا محمد بن خلف قال: حدثنا عبد الله بن عَمرو قال: حدثني يحيى بن أبي جابر قال: حدثني رَبيعة بن عبد الحَميد قال: كان المجنون من ولد أبي بكر بن كِلاَب فأتَى عليه عصرٌ مِنَ الدّهر لا يعرف ليلى ثمّ عَشِقها، فخطبها فلم يُزَوِّجوه، فاشتدّت حالتُه وزاد ما كان يجِده وفشَا أمرُه في الناس، فلقِيه ابن عمّ له فقال: يا أخي اتّق الله في نفسِك فإنّ هذا الذي أنت فيه من عمَل الشيطان فازْجُره عنك. فأنشأ يقول:

يـا حَبَّـذا عَمَـلُ الشيطـان مِـنْ عمـلِ   إن كـان مـنْ عمَـل الشيطـان حُبِّيهَـا
منَيّتُهـا النفـسَ حتـى قَـدْ أضـرَّ بهـا   وأحْـدَثَـتْ خُلُقـاً ممَّـا أُمَنِّيهـا

قال ابن خلَف: وقال أبو عبيدة: كان المجنون يجلِس في نادي قومه وهم يتحدثون، فيقبل عليه بعض القوم؛ فيحدّثه وهو باهت ينظر إليه، ولا يفهم ما يحدِّثه به، ثم يثوب إليه عقله فيُسْأل عن الحديث فلا يعرفه. فحدّثه مرة بعضُ أهله بحديث، ثم سأله عنه في غد، فلم يعرفه، فقال: إنّك لمجنون. فقال:

إنّـي لأجلِـسُ فـي النـادي أُحَـدِّثهـم   فـأَسْتَفِيـقُ وقـد غـالَتْنِـيَ الغـولُ[2]
يَهـوِي بقلبـي حـديـثُ النفسِ دونكـم   حتـى يقـولَ خليلـي أنـتَ مخبـولُ

قال أبو عبيدة: فتزايد الأمرُ به حتى فقَد عقلَه، فكان لا يقرُّ في موضع، ولا يؤويه رَحْل، ولا يعلوه ثوْبٌ إلاّ مزّقه. وصار لا يفهم شيئاً مما يُكَلَّم به، إلاّ أن تُذكر له ليلى، فإذا ذُكِرتْ أجاب النّداء به ورَجع عقله.

---

(١) هو عبد الله بن عُبيد الله بن أبي مُلَيْكَة، الإمام الحافظ الحُجّة، أبو بكر، أو أبو محمد القرشي، التيمي، المؤذّن، ولد في خلافة عليّ رضي الله عنه أو نحوها، حدّث عن عدد من الصحابة الكرام، وكان عالماً مُفْتِياً، صاحب حديثٍ وإتقان، وَلي القضاء لابن الزبير والأذان أيضاً، توفي سنة (١١٧) هـ. انظر: السير ٥/٨٨، تذكرة الحفاظ ١/١٠١، تهذيب التهذيب ٥/٣٠٦، وشذرات الذهب ١/١٥٣.

(٢) غاله الشيء غالاً: أهلكه. الغول: المنيّة.

٩٣٠ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا ابن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: روَى رباح بن حَبيب، عن رجل من بني عامر، قال: لما كَثُر ذكرُ المجنون لليلى، واشتهر أمره، اجتمع إلى أبيه أهلُه، وكان سيداً، فقالوا له: زوِّج قَيْساً فإنّه سيكفّ عن ذكر ليلى، وينساها، فعَرض عليه أبوه التزويجَ فأبى، وقال: لا حاجة لي إلى ذلك. فأتى ليلى بعضُ فتيان القوم ممن كان يَحْسد قيساً ويُعاديه، فأخبرها أنه على أن يتزوج. وجاء المجنون كما كان يجيء، فحَجَبَتْه، ولم تظهر له، فرَجع، وهو يقول:

فــواللّــهِ مــا أَدْرِي عَــلامَ هَجَــرْتِنــي ... وأيَّ أمــورِي فيــك يــا ليــلَ أركــبُ
أأقطــعُ حبــلَ الــوَصْــل، فــالمــوتُ دُونَــه ... أم أشــربُ رَنْقــاً منكــم ليس يُشْــرَبُ[1]
أم أهــربُ حتــى لا يُــرَى لــي مجــاورٌ ... أم أفعــلُ مــاذا، أم أبُــوح فــأُغْلَــبُ
فــواللّــهِ مــا أدرِي وإنّــي لــدَائِــبٌ ... أُفكِّــر مــا جُــرمــي إليهــا فــأَعْجَــبُ

قال: فبلغها قوله؛ فأنشأت تقول: صدق والله قيس حيث يقول:

ومَــن يُطِــعِ الــوَاشيــن لا يتــركــوا لــه ... صَــدِيقــاً وإن كــان الحَبيــبَ المقــرَّبــا[2]

٩٣١ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البخاري:

وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج:

قالا: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا ابن حَيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال أبو عَمْرو الشَّيْباني: لما ظهر منَ المجنون ما ظهر، ورأى قومه ما ابتُلي به، اجتمع قومُه إلى أبيه وقالوا: يا هذا قدْ تَرى ما ابْتُلي به ابنُك؛ فلو خرجت به إلى مكة فعاذ ببيتِ الله، وزار قبر رسول الله ﷺ ودعا الله عزّ وجلّ رَجَوْنا أن يرجِع عقلُه ويعافيه الله تعالى. فخرج أبوه حتى أتى مكة؛ فجعل يَطُوف به ويدعو الله له بالعافية، وهو يقول:

دعــا المُحْــرِمُــون اللّــهَ يَسْتَغْفِــرونــه ... بمكّــة وَهْنــاً أنْ سَتُمْحَــى ذنــوبُهــا
ونــاديــتُ أنْ يــا ربّ أَوّلُ سُــؤْلَتــي ... لنفســيَ ليلــى ثــم أَنْــت حسيبُهــا
فــإن أُعْــطَ ليلَــى فــي حيــاتــي لا يَتُــبْ ... إلــى الله خلْــقٌ تــوبــةً لا أَتُــوبهــا

حتى إذا كان بمِنَى نادى مُناد مِنْ تلك الخيام: يا ليلى. فخرّ قيس مغشيّاً عليه، واجتمع الناس حوله ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق، وهو يقول:

---

(١) الرنق: الماء الكدر، يغلب عليه الطين.

(٢) معنى الخَيْف: هو كل موضع هبوط وارتقاء من سفح جبل، هو اسم موضع طرف مِنى، والذي صلّى فيه النبيّ ﷺ في حجه، وبُني في الموضع مسجدٌ، هو المسمّى الآن بمسجد الخيف.

وداعٍ دَعــا إذْ نَحْــنُ بــالخَيْــفِ مــن مِنًــى ... فهَيَّــج أطــرافَ الفــؤاد ومــا يَــدْري[1]
دعــا بــاســمِ ليلَــى غيــرَهــا فكــأنّمــا ... أطــار بليلَــى طــائــراً كــان فــي صَــدْرِي

٩٣٢ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: ذكر محمد بن حبيب، عن هشام بن محمد الكَلْبي، وغَيْث الباهِلي، وأبي عَمرو الشّيباني، عن ابن دَأبٍ، عن رَباح، قال: حدثني بعض المشايخ قال: خرجتُ حاجّاً، حتى إذا كنت بمِنى إذا بجماعة على جَبل من تلك الجبال، فصعدتُ إليهم فإذا فيهم فتًى أبيض حسن الوجه، وقد علاه الصّفار وبدَنه ناحل، وهم يُمسكونه. فسألتهم عنه، فقالوا: هذا قيس الذي يُقال له: المجنون، خرج به أبوه لِمَا بُلي به يستجير له ببَيْت الله الحرَام وقبر محمّد عليه أفضل الصلاة والسلام، فلعلّ الله أنْ يعافيَه. قلتُ لهم: فما لكم تُمسكونه؟ قالوا: نخاف أن يَجْني على نفسِه جناية تُتلفه. قال: وهو يقول لهم: دَعُوني أتنسّم صَبَا[2] نَجْد. فقال لي بعضهم: ليس يَعْرفك، فلو شئتَ دَنَوْتَ منه فأخبرتَه أنّك قد قدِمْتَ من نَجد وأخبرته عنها. قلت: نعم أفعل. فدنوتُ منه، فقالوا: يا قيس هذا رجل قدِم من نجد. قال: فتنفَّس حتى ظننتُ أنّ كَبِده قد تَصَدّعتْ، ثم جعل يُسائلني عن موضع موضع ووادٍ وادٍ، فأنا أُخبره، وهو يَبْكي. ثم أنشأ يقول:

ألاَ حَبَّــذا نجــدٌ وطِيــبُ تــرابــه ... وأرواحُــه إن كــان نجــدٌ علــى العهــدِ
ألا ليــتَ شِعــري عــن عُــوارضَتَــيْ قَنَــا ... بطــولِ الليــالــي هــل تغيّــرتَــا بعــدي[3]
وعــن جــارَتَيْنَــا بــالبَتِيــلِ إلــى الحِمَــى ... علــى عهــدنــا أم لــم يَــدُومــا علــى العهــد[4]
وعــن عُلْــوِيَّــاتِ الــرِّيَــاحِ إذا جَــرَتْ ... بــريــح الخُــزَامــى هــل تهــبُّ علــى نجــد[5]
وعــن أُقْحُــوان الــرَّمــل مــا هــو صــانــعٌ ... إذا هــو أَثْــرَى ليلــةً بثــرىً جَعْــدِ[6]

٩٣٣ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حيويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: قال محمد بن

---

(١) الصّبا: الرّيح التي تهبّ من جهة الشرق.
(٢) العُوارض، هنا الجبل. قنا: اسم مكان.
(٣) البَتِيل: جبل بنجد.
(٤) عُلْويّات: جمع علوية؛ نسبة إلى العالية، وهي اسم موضع في نجد. الخُزَامى: نوع من الزهر طيّب الرائحة.
(٥) الثرى الجَعْد: المُبْتَلّ بالندى.
(٦) أي: تغزّل.

زياد بن الأعرابي: لما شَبّب[1] المجنون بليلى، وشُهِر بحبّها، اجتمع إليه أهلها، فمنعوه من محادثتها، وزيارتها، وتهدّدُوه، وأَوْعَدُوه بالقتل، فكان يأتي امرأة فتعرِف له خبرَها، فنهَوْا تلك المرأة عن ذلك، فكان يأتي غَفَلَات الحيّ في الليل. فلما كثُر ذلك خرج أبو ليلى ومعه نفر من قومه إلى مَروان بن الحَكم فشكَوا إليه ما ينالهم من قَيس بن المُلَوّح، وسألوه الكتاب إلى عامله عليهم يمنعه من كلام ليلى. فكتب لهم مروان كتاباً إلى عامله يأمره أن يُحْضِر قيساً، ويتقدّم إليه في تَرْك زيارة ليلى، فإن أصابه أهلها عندهم فقد أَهْدَرُوا دَمَه. فلمّا ورد الكتاب على عامِله بعث إلى قيس وأبيه وأهل بيته، فجمعهم، وقرأ عليهم كتاب مروان، وقال لقَيْس: اتّق الله في نفسِك، لا يذهب دمك هدْراً، فانصرف قيسٌ وهو يقول:

ألا حُجِبَـت ليلـى وآلـى أميـرُهـا ... علـيَّ يمينـاً جـاهِـداً لا أزورُهـا[2]
وأوعَـدنـي فيهـا رجـالٌ أبـوهُـم ... أبـي وأبـوهـا خُشِّنَـتْ لـي صُـدورهـا
علـى غيـرِ شـيء غيـرَ أنّـي أحبّهـا ... وأنَّ فـؤادي عنـدَ ليلـى أسِيـرُهـا

فلما أَيِس منها وعلم أن لا سبيل إليها، صار شبيهاً بالتائه العَقْل، وأحبَّ الخَلْوة وحديث النفس، وتزايد الأمر به حتى ذهب عقلُه، ولعِبَ بالحصا والتّراب، ولم يكن يعرف شيئاً إلاّ ذكرَها، وقولَ الشعر فيها، وبلَغها ما صار إليه قيس فجَزِعَت أيضاً لفِراقه، وضَنِيَت ضَنًى شديداً.

٩٣٤ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أخبرنا ابن حيويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أبو معاذ النُّمَيْري: أنّ مروان بن الحكم استعمل رجلاً من قَيس على صدَقات كعب بن ربيعة بن عامر، وهم قيس والْحَرِيش وجَعْدة، فسمع بخبر قيس بن مُعاذ وهو مجنون بني عامر، فأمر أنْ يؤتَى به، فأُتي به فسأله عن حاله، واستنشده فأنشده، فأُعْجِب به، وقال له: إلْزَمْني فلَكَ أنْ أحتال لك في أمرِ ليلَى حتى أجمَع بينَك وبينها، فلازَمه، وكان يأتِيه فيتحدّث إليه.

وكان لبني عامر مُجتمع يَجتمعون فيه في كلّ سنة، وكان الوالي يخرج معهم إلى ذلك المجتمع لئلاّ يكون بينهم اختلاف، فحضَر الوقت، فقال قَيس للوالي: أتأذن لي في الخروج معك إلى هذا المجتمع؟ فأذِن له. فلمّا عزم على الخروج جاءه قوم من رَهْط قيس، فقالوا له: إنّما سألك الخروج معك ليرى ليلى ويكلّمها، وقد استعدَى عليه بعضُ أهلها وأهدَر لهم السلطان دمَه إنْ أتاهم. فلمّا قالوا له ذلك منعه من الخروج معه وأمر له بقلائِص[3] من إبل الصّدقة، فردّها وأبَى أن يقبَلها، وأنشأ يقول:

---

(١) آلى: حلف.
(٢) القلائِص: جمع قلوص، وهي النُّوْق الشابّة، كالجارية من النساء.
(٣) خلّفوني: تركوني.

رَدَدْتُ قـلائِـص القُـرَشِـيِّ لمّـا ... بَـدَا لـي النقـضُ منـه للعهـودِ
سَعَـوْا للجَمْـع ذاك وخلَّفـونـي ... إلـى حـزنٍ أُعـالِجُـه شَـديـدِ[1]

فلما علم قيس بن معاذ أنه قد مُنع، وأنْ لا سبيل إليها، ذهب عقلُه، وصار لا يلبس ثوباً إلاّ خرّقه، وهام على وجهه عُرياناً، لا يعقل شيئاً مما يُكلَّم به، ولا يصلّي، فلما رأى أبوه ما صنع بنفسه خاف عليه التلَف، فحبسه وقيّده، فجعل يأكل لَحْمَه، ويضرب بنفسه الأرض. فلما رأى أبوه ذلك حَلّ قيدَه وخلاّه، فكان يدور في فيافيهم عُرْياناً، ويلعب بالتّراب، وكانت له دَاية لم يكن يأنس بأحدٍ غيرها، وكانت تأتيه في كلّ يوم برغيف وماء، فتضعه بين يدَيه فربّما أكله وربما ترَكه ولم يأكله.

٩٣٥ ـ أخبرتنا شهْدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السراج، قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر البَرْمَكِي، قال: أنبأنا محمد بن العبّاس بن حَيَّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا زكريا بن موسى، قال: حدثني شُعيب بن السَّكَن، عن يُونس النَّحْوي، قال: لما اختلط قيسُ بن المُلَوّح وزال عقله، وامتنع من الأكل والشّرْب، صارت أُمُّه إلى ليلَى، فقالت لها: إنّ ابني جُنَّ من أجلِك، وذهب حبُّك بعقلِه، وقد امتنع من الطعام والشراب، فإن رأيت أنْ تصيري معي إليه، فلعلّه إذا رآك أن يسكُنَ بعض ما يَجِد، فقالتْ لها: أمّا نهاراً فلا يُمكنني ذلك، فإنْ علِم أهلُ الماء ذلك لم آمنهم على نفسي، ولكنّي سأصير إليه في الليل. فلما كان الليل صارَت إليه وهو مُطْرِق يَهْذِي، فقالت له: يا قيس، إنّ أُمك تزعم أنّك جُنِنْت على رأسي، وأصابك ما أصابك. قال: فرفع رأسه ونظر إليها، وتنَفّس الصعداء، وأنشأ يقول:

قالت: جُنِنْتَ على رأسي، فقلتُ لها: ... الحـبُّ أعظـمُ ممـا بـالمجـانيـن
الحـبُّ ليـس يُفِيـق الـدّهـرَ صـاحبُـه ... وإنمـا يُصْـرَعُ المجنـون فـي الحيـنِ

وفي رواية أخرى زيادة:

لـو تعلميـن إذا مـا غِبْـتِ مـا سَقَمـي ... وكيـف تسهـر عينـي لـم يلـومـونـي

٩٣٦ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار:

وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا ابن السرّاج: قالا: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني ابن عائشة، عن أبيه، قال: وَلِيَ نوفلُ بن مُسَاحِق صدَقات كعب بن ربيعة، فنزل بِمَجْمع من تلك المجامع، فرأى قيسَ بن معاذ المجنون وهو يلعب بالتراب، فدنا منه فكلّمه، فجعَل يُجيبه

(١) الشَّطْر الأول ديوانه (ص ٧٣) هكذا: وراحوا مُقْصِرين وخَلَّفوني.

بخلاف ما يسأل عنه، فقال له رجل من أهله: إن أردْتَ أن يكلِّمك كلاماً صحيحاً فاذكر له ليلى؛ فقال له نوفل: أتحبّ ليلى؟ قال: نعم، قال: فحدثني حدِيثك معها. قال: فجعل يُنشده شعرَه فيها؛ فأنشأ يقول:

وشُغِلْتُ عن فَهْم الحدِيث سِوَى ... ما كان فيك فأنْتُم شُغْلي
وأُدِيم نحوَ مُحَدِّثي ليَرى ... أَنْ قد فَهِمْتُ وعندكم عَقْلِي

وأنشد:

سَرَتْ في سوادِ القَلْبِ حتى إذا انتهى ... بها السيرُ وارتادَت حِمَى القلْب حَلَّتِ[1]
فلِلْعَيْنِ تَسْكابٌ إذا القلبُ مَلَّها ... وللقلبُ وَسْوَاس إذا العين مَلَّت
واللَّهِ ما في القَلْبِ شيءٌ مِنَ الهوى ... لأُخْرَى سِواها أكثَرَتْ أم أقَلَّتِ

وأنشد:

ذَكَرْتُ عشيةَ الصَّدَفَيْن ليلى ... وكُلَّ الدّهر ذِكْرَاها جديدُ[2]
عليَّ أَلِيَّةٌ إن كنتُ أدري ... أينقُص حبّ ليلى أم يزيدُ[3]

فلما رأى نوفل ذلك منه أدخله بيتاً وقَيّده، وقال: أُعالجه؛ فأكل لحم ذراعيه وكفيه، فحلَّه وأخرجه. فكان يأوي مع الوحوش، وكان له داية ربَّتْه صغيراً، وكان لا يألف غيرها، ولا يقرُب منه أحد سواها؛ فكانت تخرجُ في طلبه في البادية، وتحمل له الخبز والماء، فربما أكل بعضه وربما لم يأكل، فلم يزل على ذلك حتى مات.

٩٣٧ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أخبرنا أبو محمد بن السرّاج، قال: أنبأنا الجوهري، قال: حدثنا أبو عُمر بن حَيّوَيه، قال: حدثنا ابن خلف، قال: أخبرني إسحاق بن محمد، قال: حدثني أبو معاذ النُّمَيْري، قال: لقي مجنونُ بني عامر الأَحْوَصَ بن محمد الأنصاري؛ فقال له: حدِّثني حديث عُروة بن حزام، قال: فجعل الأحوص يحدّثه وهو يسمع حتى فرغ من حديثه؛ ثم أنشأ يقول:

عجبت لعُروة العُذْريّ أمسَى ... أحاديثاً لقوم بعدَ قومِ
وعُروة ماتَ يوماً مُسْتَرِيحاً ... وهأنذا أموتُ بكلِّ يومِ

٩٣٨ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري:

وأخبرتنا شهدة قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السَّراج:

---

(١) ارتادت: وَصلت.
(٢) اسم مكان.
(٣) الأَلِيَّة: القسم.

قالا: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري قال: أنبأنا ابن حيَّوَيه قال: أنبأنا ابن خلف قال: أخبرني عبد الله بن محمد الطَّالْقَاني قال: أخبرني السَّرِيُّ بن يحيى الأزْدِي، عن الفضل بن الحسن المَخْزُومي، قال: دخل كُثَيِّر عَزَّة على عبد الملك بن مروان فجعل يُنشده شعراً في عَزّة وعيناه تَذْرِفان، فقال له عبد الملك: قاتلك الله يا كُثَيِّر. هل رأيت أحداً أَعْشَقُ منك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، خرجتُ مرّة أسيرُ في البادِية على بعير لي يُوْضَع[1]، فبينا أنا أسير، إذ رفع لي شخص فأممْتهُ، فإذا رجل قد نصب شَرَكا للظِّباء وقَعد بعيداً منه، فسلّمت عليه، فردّ السلام، فقلت له: ما أجلَسك ها هنا؟ فقال: نصبتُ شرَكاً للظِّباء، فأنا أَرْصُده. فقلت: إن أقمتُ لدَيْك فَصِدْتَ أَطْعَمْتَنِي؟ فقال: إيهاً والله.

قال: فنزلتُ وعقَلْت ناقتي، وجلستُ أحدّثه، فإذا هو أحسن خَلْق الله حديثاً، وأرقُّه وأجزله. قال: فما لبثنا أن وقعت ظَبْية في الشَّرَك فوثَب ووَثَبْتُ معه، فخلّصها من الحبائل، ثم نظر في وجهها مَلِياً، ثم أطْلَقَها، وأنشأ يقول:

أيـا شِبْـهَ ليلـى لـن تُـرَاعِـي فـإنّنـي ... لـكِ اليـومَ مِـن بيـن الـوُحـوش صـديـقُ
ويـا شبـهَ ليلـى لـن تَـزالـي بـرَوْضـة ... عليـــكِ سَحَـــابٌ دائـــمٌ وبُـــروقُ
فمــا أنَــا إذ أشبهتَهــا ثــم لــم تَــؤُبْ ... سليمــاً عليهــا فــي الحيــاة شَفيــقُ
فَفِــرّ فقــد أطلَقْــتُ عنــكِ لِحُبِّهــا ... فــأنــتِ لليلَــى مــا حَيِيــتُ طليــقُ

ثم أصلح شَرَكه وعدنا إلى موضعنا. فقلت: والله لا أبرحُ حتى أعرف أمر هذا الرجل. فأَقمْنَا باقي يومنا فلم يقع لنا شيء، فلما أمسينا قام إلى غارٍ قريب منَ الموضع الذي كنّا فيه، وقمتُ معه فبِتْنَا به، فلمّا أصبح غدَا فنَصب شَرَكه فلم يلبَثْ أن وقعَتْ ظبية شبيهة بأُخْتِها بالأمس، فوثب إليها ووثبتُ معه، فاستخرَجها من الشَّرَك ونظر في وجهها ملياً، ثم أَطْلَقها فمرَّت. فأنشأ يقول:

إذهبــي فــي كــلاَءَةِ الــرَّحمْــن ... أنــتِ مِنِّــي فــي ذِمَّــةٍ وأمــانِ[2]
تَـرْهَبِينـي والجِيْـدُ منـك لليلـى ... والحشَــا والبُغــام والعينَــان[3]
لا تخـافـي بـأن تُهـاجـي بسـوءٍ ... مـا تغنَّـى الحمـامُ فـي الأغصـان

ثم عُدنا إلى موضعنا فلم يقع يومنا ذلك شيء، فلمّا أمسينا صرنا إلى الغار فبِتْنا فيه، فلما أصبحنا غدا إلى شَرَكه وغدَوْت معه، فنَصبه وقعدنا نتحدّث وقد شغلني يا أمير المؤمنين

---

(١) يُوضَع: يُسْرِع، تقول: وَضَعَ البعير، أسرع في سيره.
(٢) كلاءة الرحمن: أي رعايته.
(٣) الجِيد: العُنُق. البُغام: صوت الظبي.

بحسْن حديثه عنِ الجُوع، فبينا نحن نتحدث إذ وقعت في الشرك ظَبْية فوثَب إليها ووثبتُ معه فاستخرَجها من الشرَك، ثم نظر في وجهها وأراد أن يُطْلقها فقبضتُ على يدِه، وقلت: ماذا تريد أن تعملَ؟ أقمتُ لديْك ثلاثاً كلّما صِدْتَ شيئاً أطْلَقْتَه! قال: فنظر في وجهي وعيناه تذرفان وأنشأ يقول:

أتَلْحَى مُحِبًّا هائمَ القَلْبِ أنْ رأى ... شَبيهاً لمن يهواه في الحَبْل مُوثَقا
فلما دَنَا منه تذكَّر شَجْوَه ... وذكَّره مَن قد نَأى فتَشَوَّقا[(١)]

فرحمتُه والله يا أمير المؤمنين وبَكِيت لبكائه، ونَسَبْتُه[(٢)]، فإذا هو قيس بن معاذ المجنون. فذاك والله أعشق منِّي يا أمير المؤمنين.

٩٣٩ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار:

وأخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السرّاج:

قالا: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا ابن حيَّويه، قال: أنبأنا ابن خلف، قال: حدثني قاسم بن الحسَن، عن العُمري، قال: أنبأنا الهيثم بن عَدِي، قال: أنبأنا عثمان بن عُمارة، عن أشياخهم من بني مُرَّة، قال: رحل رجلٌ منّا إلى ناحية الشام مما يلي تَيْماء والشَّراةَ في طلب بُغية له، فإذا هو بخيمة قد رُفعت له، وقد أصابه مطَر، فعدَل إليها فتنحنح، فإذا امرأة قد كلّمته، فقالَتْ له: انزل. فنزل، وراحَتْ[(٣)] إبلُهم وغنَمُهم، فإذا أمرٌ عظيم وإذا رِعاءٌ كثير، فقالت لبعض العبيد: سَلُوا هذا الرّجل من أين أقبل؟ فقلتُ: من ناحية اليَمامة ونَجْد. فقالت: أيَّ بلاد نجد وَطِئت؟ فقلتُ: كلّها. فقالت: عند مَن نزلت هناك؟ قلت: ببني عامر. فتنفَّسَتِ الصُّعَداء، وقالت: بأي بني عامر؟ فقلت: ببني الحَرِيش. فاستعْبرتْ[(٤)]، ثم قالت: هل سمعتَ بذكر فتَى يُقال له: قيس، ويُلَقّب بالمجنون؟ فقلت: إِي والله، ونزلت بأبيه وأتيتُه حتى نظرت إليه يِهيم في تلك الفَيَافِي ويكون مع الوحوش لا يَعْقِل ولا يفهم إلاّ أن تُذكر له لَيلى فيَبْكِي ويُنشد أشعاراً يقولها فيها.

قال: فرَفَعَتِ السِّترَ بيني وبينها، فإذا شقّة قمر، لم ترَ عيني مثلَها، فبكَتْ وانتَحَبَتْ حتى ظننتُ والله أنْ قَلْبَها قد انصدع. فقلتُ لها: أيتها المرأة اتَّقِي الله، فوالله ما قلتُ بأساً. فمكثَتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والنَّحِيب، ثم قالت:

---

(١) أتَلْحَى: أتلوم محباً. شَجْوَه: حُزنَه. نأى: بَعُد.
(٢) نَسَبْتُه: أي سألته عن نسبه.
(٣) راحت: أي رجعت مراحها.
(٤) استَعْبَرَت: نزلت عَبْرَتُها، يعني: دموعها.

ألا ليــتَ شِعْـري والخُطُـوبُ كثيـرةٌ متـى رَحْـلُ قيـسٍ مستقـلٌّ فـراجـعُ
بنفســيَ مَـن لا يستقـلّ بِـرَحْلـه ومَـن هـو إن لـم يحفـظِ اللـهُ ضـائـعُ

ثم بكَتْ حتى غُشِيَ عليها فلمّا أفاقت، قلتُ: مَن أنت يا أمة الله؟ قالت: أنا ليلى المشؤومة عليه، غيرُ المساعدة له.

٩٤٠ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج، قال: أنبأنا الجوهري، قال: أنبأنا أبو عُمر الخَزّاز، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا العُمَري، عن عطاء بن مُصْعب، قال: خرج المجنون مع قوم في سَفر فبينا هم يَسيرون إذ تشعّبت لهم طريق إلى الماء الذي كانت عليه ليلى، فقال المجنون لأصحابه: إن رأيتم أن تحطُّوا وتَرْعَوا وتنتَظِرُوني حتى آتي الماء. فأَبَوْا عليه وعَذَلوه، فقال لهم: أَنْشُدُكم الله لو أنّ رجلاً صحبكم وتحرَّم بكم فأضَلَّ بِعيره، أكنتم مُقيمين عليه يوماً حتى يطلبَ بَعِيره؟ قالوا: نعم. فقال: فوالله للَيلَى أعظم حرمة منَ البَعِير، ثم أنشأ يقول:

أأتــرُك ليلـى ليـسَ بينـي وبينهـا سـوَى ليلــةٍ إنّــي إذن لصَبُــورُ
هَبُـونـي امـرأ منكـم أضَـلَّ بعيـرَه لــه ذِمّــةٌ إنّ الــذّمــام كَبيــر
ولَلصاحـبُ المتـروكُ أعظـمُ حُـرْمـةً علـى صـاحِـبٍ مِـن أن يَضِـلَّ بعيـرُ
عفـا الله عــن ليلـى الغَـدَاةَ فـإنَّهـا إذا وَلِيَــتْ حكمــاً علــيَّ تجــورُ

قال: فأقاموا عليه حتى مضَى ورَجع.

٩٤١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا الحُمَيدي، قال: أنبأنا أبو غالب بن بِشران، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن دِينار، قال: أنبأنا علي بن الحُسين الكاتب، قال: أخبرني الحسن بن علي، قال: حدثني عبد الله بن عَمرو بن أبي سعد، قال: حدثنا علي بن الصبّاح، عن ابن الكَلْبي قال: خرَج المجنون في عدّة من قومه يُريدون سفراً لهم، فمَرُّوا في طريق يتشعّب وجهَيْن، أحدهما ينزله رهطُ ليلى وفيه زيادة مَرْحلة، فسألهم أنْ يَعْدِلُوا معه إلى تلك الجهة، فأبَوْا، فمضَى وحدَه وقال: أأترك ليلى. . . فذكر الأبيات.

٩٤٢ ـ وقد روى العُتْبيّ قال: مرّ المجنون يوماً بزَوْج ليلى وهو جالس يَصْطَلِي[١] في يوم شاتٍ، فوقَف عليه ثم قال:

بـربِّـك هـل ضَمَمْـت إليـك ليلـى قُبَيْــل الصبــح أو قبَّلْــتَ فــاهــا
وهــل رَفَّــتْ عليــك قُــرون ليلــى رَفيــف الأُقْحُــوانــة فــي نَــدَاهــا[٢]

---

(١) اصْطَلى بالنّار: تدَفّأ بها.
(٢) القرون: ضفائر الشعر.

فقال: اللهمّ إذ حَلَّفْتَني فنعم. فقبَض المجنون بكلْتَيْ يدَيْه قبضةً من الجَمْر فما فارَقها حتى خر مغشياً عليه، فسقط الجمر مع لحم راحَتَيْه.

٩٤٣ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: حدثنا أبو عُمر بن حيَّويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: حدثني عبد الله بن عَمرو، قال: حدثنا علي بن الحَسن، قال: حدثنا داود بن محمد، عن عَمرو بن رزام، قال: وَفد فتَى مِن نَهْد يُقال له: صباح بن عامر، على المُلَوّح أبي قيس المجنون، فسلم عليه وخبَّره بنسَبِه، وقال له: إنّي قد وَفَدْت من بلدي لأنظر إلى قيس وأسمع من شعره، فما فعل؟ فبكى الشيخ حتى غشي عليه، ثم سكن، وقال: أنَّى لك بقيس؟! إنّ قيساً عَشِق ابنة عم له، وإنّه جُنَّ على رأسها، فهو لا يأنَسُ بأحدٍ، يَرِدُ مع الوحوش يوم ورُودها ويَصْدُرُ معها إذا صدَرَت، ولكن ها هنا شابّ يذهب إليه في كلّ وقت وهو يأنس به ويأخذ منه ما يقول، وقد حفِظ له قصيدة يُقال لها المُؤْنِسة، فإذا أنشده إياها أنِس به وحدّثه، فإنْ شئت فصِر إليه.

قال صباح: فصِرْت إلى الفَتى، فرحّب بي وسألني عن حالي، فأخبرته، فقال لي: أتروي لقيس بن ذَرِيح شيئاً؟ فإنّ المجنون مُسْتَهتِرٌ بشِعْره. قلت: أنا أحفظ الناس لشعر قيس، قال: فَصِرْ إلى موضع كذا وكذا فاطلبْه في تلك الفَيافِي فإنّك تجده، واعلم أنّه إذا رآك سوف ينفِر منك ويهوِي إليك بحجر، فلا يَهُولنَّك واقعُد كأنّك لا تُريده، فإذا رأيته قد سكن فاذكر له ليلى، فإنّه سيرجع إلى عقله ويُراجع صحّته ويُحَدِّثك عن حاله، ثم أنْشِده من شعر قَيْسٍ شيئاً فإنّه مشغوف به.

قال صباح: ففعلتُ الذي أوصاني به الفتى، ولم أزلْ أطلبه حتى انتصف النهار، فإذا أنا برجل عريان قد سقَط شعرُ رأسه على حاجِبَيْه، وإذا هو قد حظَّر حَظيرةً من تراب وهو قاعد في وسطها، وإلى جانبه أحجار وهو يُخطِّط بإصبعه في الأرض، فلما رآني أهوى إلى حجر ووَثَب ليقوم، فقعدتُ ناحيةً أرْمِي بِبَصَرِي إلى غيره، ولا أحْفِل به، ثم إنّه رجع إلى عَبَثِه وتَخْطِيطِه، فقلتُ له: أتعرِف ليلى؟ قال: بأبي والله هي، فكيف لا أعرفها؟

قلت: لله قيس بن ذَرِيح حيث يقول:

وإنّـي لَمُفْـنٍ دمـعَ عينـيّ بـالبُكـا ... حـذَاراً لمـا قـد كـان أو هـو كـائـنُ
وقـالـوا: غـداً أو بعـد ذاك بلَيْلَـة ... فِـراقُ حبيب لـم يَبِـنْ وهـو بـائـنُ(١)
ومـا كنـتُ أخشَـى أن تكـون مَنِيّتـي ... بكفَّيْـكِ إلاّ أنّ مـا حُـمَّ حـائـنُ(٢)

---

(١) بائن: بعيد.
(٢) المنيّة: الموت. حُمَّ: قُضِي وقُدِّر. حائن: نازل.

فقال: أنا والله أشعرُ منه حيث أقول:

نَعَبَ الغُرابُ بِبَيْنِ ليلى إنّه ... كان الكتاب بِبَيْنهم مخطوطَا[1]
أصبحتُ مِن أهلي الذين أحبّهم ... كالسَّهْم أصبح رِيشه مَمْرُوطَا[2]

ثم وثَب مُسرعاً إلى ظِباء سَنَحَتْ له، فغاب عنّي فتبِعْته، فجعلتُ أَقْفُو أثرَه إلى آخر النهار، فما وقعتْ عيني عليه. ثم غدَوْتُ في اليوم الثاني فجعلتُ أطوف عليه في تلك الفَيافي، حتى إذا جَنَّني الليلُ انصرفتُ، فلمّا كان في اليوم الثالث طلبتُه، فإذا أنا به عريان بين أحجارٍ ميتٌ.

٩٤٤ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري:

وأخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج:

قالا: أنبأنا الحسنَ بن علي، قال: أنبأنا ابن حَيَّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا أحمد بن الهيثم القُرَشي، قال: حدثني العباس بن هشام، عن أبيه هشام بن محمد بن السائب: أنّ رجلاً من أهل الشّام كان له أَدَب، وإنّه ذُكر له المجنون فأُخبر بخَبَرِه، فأحبّ أنْ يراه وأن يسمَع مِنْ شِعْره، فخرَج يُريده حتى إذا صار إلى حَيّه، سأل عنه، فأُخْبِر أنه لا يُؤْوِيه مكان، وأنّه يكون مع الوَحْش. قال: فكيف لي بالنَظر إليه؟ قيل: إنّه لا يَقِف لأحدٍ حتى يكلّمه إلاّ لدايةٍ له، هي التي كانت ربَّتْه. فكلَّم دايتَه وراسَلها فخرَجَتْ معه تطلبه في مَظَانِّه التي كان يكون فيها في البَرِّيَّة، فطلبوه يومَهم ذلك فلم يَقْدِروا عليه، ثم غَدَوا في اليوم الثاني يطلبونه فبينما هم كذلك إذ أَشْرَفوا على وادٍ كثيرِ الحجارة، وإذا به في ذلك الوادي بين الحجارة ميتاً، فاحْتَمَلَه الرّجلُ ودايتُه حتى أتيَا بِه الحيَّ فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه.

وقد حُكي في موت مجنون بني عامر غير ما تقدم.

٩٤٥ ـ فذُكِر أن كُثَيِّراً قال: بينا أنا عند مجنون بني عامر، جاء إليه رجل، فقال: تَعَزَّ يا قيس. قال: عمَّن؟ قال: عن ليلى. فقام إلى بعيره وقُمْتُ إلى بَعيري، ثم أتينا الحيَّ فأَرْشِدْنا إلى قَبْرِها، فأقبلَ يُقبِّله ويلتَزِمْه ويشمّ تُرابه وينشد الشِّعر، ثم شَهِق فمات، فدفنتُه.

سياق أبيات من مستحسن شعره

٩٤٦ ـ أخبرنا ابن أبي منصور قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا علي بن

---

(١) نَعَبَ الغُراب: إذا صَوّت منذراً بالبَين والبُعد.
(٢) الممروط: المنتوف.

المُحَسِّن قال: أنبأنا ابن حيَّويه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثني سليمان بن أيوب المَدِيني قال: سمعت مُصْعَباً الزُّبَيْري يقول: كان مجنون بني عامر يَسِيح مع الوَحْش وينثُر الشِّعر نثراً، وكان الرُّكبان يتلقَّون منه الشعر فيَرْوُونه. قال ابن خلف: قال القَحْذمي: لما قال المجنونُ:

قضاها لغَيْرِي وابتلاني بحُبّها ... فهلاَّ بشيء غيرِ ليلَى ابتلانِيَا

سُلِبَ عقلُه.

٩٤٧ ـ قال ابن خلف: وأنشد مصعب بن الزّبير للمجنون:

ألا أيها القلبُ الذي لجَّ هائماً ... وليداً بليلى لم تُقطَّعْ تَمائِمُهْ
أَفِقْ قد أفاق الوَاجِدون وقد أنى ... لدائِك أن يلقَى طبيباً يُلائمهْ[١]
وما لك مسلوبَ العزاء كأنّما ... ترى نأيَ ليلى مَغْرَماً أنت غارِمه[٢]
أجَدَّك لا يُنْسِيك ليلى ملمّةٌ ... تُلِمُّ ولا يُنْسِيك عهداً تَقادُمُهْ[٣]

٩٤٨ ـ قال ابن خلَف: وأنشد أبو عَمرو الشَّيْبَاني للمجنون:

دعاكَ الهوى والشوقُ حتى ترنّمت ... هَتُوفُ الضحى بين الغُصون طَرُوبُ[٤]
تُجَاوِبُ وُرْقاً قد أُرِعْنَ لصوتِها ... فكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ ومُجيبُ[٥]
ألا يا حمامَ الأَيْكِ ما لك باكياً ... أفارَقْتَ إلْفاً أم جفاكَ حبيبُ[٦]

٩٤٩ ـ أخبرتنا شهدة قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري قال: حدثنا أبو عُمر بن حيَّوَيه قال: حدثنا محمد بن خلف قال: حدثنا عبد الملك بن محمد الرَّقاشي قال: حدثنا عبد الله بن المُعَدِّل قال: سمعت الأصمعي يقول: ـ وذُكر مجنون بني عامر ـ فقال: هو قيس بن معاذ. ثم قال: لم يكن مجنوناً وإنّما كانت به لُوْثة، وهو القائل:

ولم أر ليلى بعدَ موقِفنا الذي ... بِخَيْفِ مِنًى ترمي جمارَ المُحَصَّبِ[٧]
ويُبْدِي الحصَا منها إذا قذَفَتْ به ... منَ البُرْد أطرافَ البَنان المُخَضَّبِ[٨]

---

(١) أي: حان. الداء: المَرض.
(٢) أي: غَرامة ودَيْناً أنت مُلزم بها.
(٣) أجدك: أحظّك. المُلِمّة: المصيبة.
(٤) هَتوف الضُّحى: التي تهتف في الصباح.
(٥) الورق: الحمام البرّي. أُرعن: خِفْنَ وفزعن.
(٦) الأيك: الشجر الكثير الملتف. الإلْف: الحبيب والصديق.
(٧) المُحَصّب: موضع رمي الجمار (الحصى) بِمِنَى.
(٨) البُرد: الثوب. البنان: الأصابع.

٩٥٠ ـ أخبرنا عبد الوهاب، ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا يحيى بن الحَسن القاضي، قال: أنبأنا ابن سُويد، قال: أنبأنا أبو بكر بن الأنباري، قال: أنشدنا أحمد بن يحيى، لقيس بن معاذ:

إذا قَـرُبَـتْ دارٌ كَلِفْـتُ وإن نـأَتْ ... أسِفْـتُ فـلا بـالقُـرْب أسلـو ولا البُعْـدِ
وإن وعَـدَتْ زاد الهـوَى لانتظـارِهـا ... وإن بَخِلـت بـالـوَعْـدِ مِـتُّ على الـوعـدِ
ففـي كـلّ حـبٌ لا محـالـة فَـرْحَـةٌ ... وحبّـك مـا فيـه سـوى محكَـم الْجَهْـدِ

وفي رواية أخرى أنه اجتمع بليلى يوماً فلمّا حان فراقها أنشد هذه الأبيات.

٩٥١ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الأَرْدَسْتاني، قال: أنبأنا الحَسن بن محمد بن حَبيب، قال: سمعت أبا علي الحُسين بن أحمد البَيْهَقي، قال: سمعت أبا بكر بن الأَنْباري، يقول: سمعت العبّاس بن سالم الشَّيْباني، يقول: سمعت ابن الأعرابي، قال: ومِنْ جَيِّد شِعره ـ يعني مجنون بني عامر ـ:

وجـاؤوا إليـه بـالتعـاويـذ والـرُّقَّـى ... وصَبُّوا عليه الماءَ من أَلَم النُّكْسِ[١]
وقـالـوا: بـه مـن أَعْيُـن الجـنّ نظـرةٌ ... ولـو عَقَلـوا قـالـوا بـه أعيـن الإِنْـسِ

٩٥٢ ـ وحُكي أن قوماً قالوا لأبيه: أطلُبْ له طَبيباً. فأتاه بطبيبٍ، فأنشأ قَيس يقول:

ألا يـا طبيـبَ النَّفـس أنـت طبيبُهـا ... فـرِفقـاً بنفـسٍ قـد جفَـاهـا حبيبُهـا
دَعَتْنـي دواعِـي حـبِّ ليلـى ودُونهـا ... ذُرىً فقـد جسـم الحُـزن منهـا قلـوبُهـا
فلَبّيـكِ مـن داعٍ دعـا ولَـو انَنـي ... صَـدىً بيـن أحجـارٍ لظـلَّ يُجيبهـا
ومـا هَجَـرَتْـكِ النفْـسُ مـن أجـل أنّهـا ... قَلَتْـكِ، ولكـن قـلَّ منـكِ نَصِيبُهـا[٢]

٩٥٣ ـ وله في قصيدة:

سقَـى اللّـهُ جـاراتٍ لليلـى تبـاعَـدَتْ ... بهـنّ النَّـوى حيـثُ احتلَلْـنَ المطـاليـا[٣]
بِثَمْـدِيـنَ لاحـتْ نـار ليلـى وصحبتـي ... بقـرْع الغَضـا تُـزْجـي المطـيَّ الخَـوافيـا[٤]
فقـال بصيـرُ القـوم: لَمْحَـةُ كـوكـب ... بَـدَا فـي سـواد الليـل فـرْداً يمـانيـا
فقلـتُ لهـم: بـل نـارُ لَيـلاَيَ أُوقِـدتْ ... بِعَلْيَـا، تَسـامَـى ضـوؤهـا فبـدا ليـا

---

(١) النكس: عَوْد المرض بعد النَّقَه والتماثُل للشفاء.
(٢) قَلَتْكِ: كَرِهَتْكِ.
(٣) المطالي: أرض سهلة ليّنة تنبت العِضاة. وقيل: هي الروضات.
(٤) تمدين وقرع الغضا: اسمان لمكانين. تزجي: تدفع وتسوق. الخوافي: الجن، وشبّه النوق بالجن لسرعتها.

بَلَى نارُ ليلى يا خليلَيّ أريتما الْـ ... ـقِلاص فلا تأووا لهنّ ولا ليا[1]
أشوقاً ولما يَمْضِ لي غيرُ ليلة ... رويدَ الهوَى حتى تَغِبَّ لياليَا[2]
خليلَيّ لا والله ما أملِك البُكا ... إذا عَلَمٌ من أرض ليلى بَدَا ليا
خليلَيّ لا والله لا أملِك الذي ... قضَى اللهُ في ليلَى ولا ما قضَى لِيا
قضاها لغيري وابتلاني بحبّها ... فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا
وخَبّرتُمَاني أنّ تيماء مَنْزِلٌ ... لليلَى إذا ما الصّيفُ ألقى المراسِيَا
فهٰذي شهور الصَّيف أمْسَتْ قدِ انقَضَت ... فما للنّوى ترمِي بليلى المَراميا
فلو كان واشٍ باليمامة داره ... ودارٌ بأعلى حَضْرَمَوْتَ اهتدَى ليا
وماذا لهم لا أحسنَ الله حِفْظَهم ... مِنَ الحَظِّ في تَصْريمِ ليلى حِبَالِيَا[3]
وقد كنتُ أعلو حُبَّ ليلى فلم يزل ... بيَ النَّقْضُ والإبرامُ حتى عَلَانيا
فيا ربّ سَوِّ الحُبَّ بَيْني وبينها ... يكون كَفَافاً لا عليَّ ولا لِيَا
فما طلَع النَّجْم الذي يُهتدى به ... ولا الصّبح إلاّ هَيَّجَا ذكرَها ليا
ولا سِرْتُ مِيلاً من دمشق ولا بدا ... سهيلٌ لأهل الشام إلاّ بدا لِيا
ولا سُمِّيَتْ عندي لها من سَمِيَّةٍ ... منَ الناس إلاّ بَلَّ دمعي رِدَائِيا
ولا هَبَّت الرِّيحُ الجَنوبُ من ارضها ... منَ الليل إلا بِتُّ للرِّيح حَانِيا
ويومٍ كظِلّ الرِّمح قصَّرتُ طولَه ... بليلَى فألْهَتْني وما كنتُ لاهيا
فيا ليلَ كم من حاجة لي مهمة ... إذا جئتكم بالليل لم أدرِ ماهيا
خليليَّ إلاّ تبكيا لِيَ ألْتَمِسْ ... خليلاً إذا أنزفْتُ دمعي بكى ليا
فقد يجمع اللهُ الشَّتِيتَيْن بعدما ... يظنان جَهْد الظن ألا تلاقيا
فإن تمنعوا ليلى وتَحْموا بلادها ... عليَّ فلن تَحْمُوا عليَّ القوافيا
فأشْهَدُ عند الله أني أحبّها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا؟
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا ... وبالشّوق منا والعَنَاءِ قضَى ليا
وإن الذي أمَّلْتُ من أم مالك ... أشاب قَذَالي واسْتَهام فؤاديا[4]
أعُدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ ... وقد عِشْتُ دهراً لا أعدُّ اللياليا
وأخرجُ من بين البيوت لعلَّني ... أحدِّث عنكِ النفس يا ليلَ خاليا
إذا سِرْتُ أرضاً بالفضاء رأيتُني ... أصانع رَحْلي أن تميل حِيَاليا

---

(١) القلاص: جمع قلوص، وهي الناقة الشابة.
(٢) تغبّ: تمضى.
(٣) تصريم: تقطيع.
(٤) القَذال: ما بين الأذنين من مؤخّر الرأس.

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن ... شمالاً ينازعني الهوى من شماليا
أراني إذا صلَّيتُ يَمَّمْتُ نحوها ... بوجهي وإن كان المُصَلَّى ورائيا
وما بِيَ إشراك ولكنَّ حبَّها ... كعَظْم الشَّجا أَعْيَى الطبيب المداويا[1]
أحبُّ من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشْبَهَهُ أو كان منه مُدانيا
خليليَّ ليلى أكبر الحَاجِ والْمُنَى ... فَمَنْ لي بليلى أو فمن ذا بها لِيَا؟[2]
فقد طال ما ألْبَثْتِني عن صحابتي ... وعن حوج قِضَّاؤُهَا من شِفَائيا
لعَمْري لقد أبكيتني يا حمامة الـ ... ـعَقِيق وأبكَيْتِ العيونَ البَواكيا
وكنتُ ربيطَ الجأشِ ما تستفزُّني ... رياحُ الصَّبا لو نُحْتِ نَوْحاً مُدانيا
فأصبحتُ بعد الإنس صاحبَ جِنَّةٍ ... تجاوَزْنَ بي عُرض النّعاف الفيافيا[3]
خليلَيّ ما أرجو من العيش بعدما ... أرى حاجتي تُشْرَى ولا تشترى ليا
وتُجْرِم ليلى ثم تزعم أنني ... سَلَوْتُ ولا يخفى على الناس ما بيا
فلم أرَ مِثْلَيْنا خليلَيْ جِنايةٍ ... أشدَّ على رَغْم العَدُوّ تَصافيا
خَليلان لا نرجو لِقاءً ولا ترى ... خليلين إلا يَرجُوان تلاقيا
وإني لأَسْتحيِيك أن أَعْرِض المُنَى ... بوَصْلك أو أنْ تَعْرِضي في المُنَى لِيا
يقول أناس عَلَّ مجنونَ عامر ... يَروم سُلُوًّا قلت: إني لما بِيَا
بِيَ اليأسُ أو داء الْهُيَام أصابَني ... فإيّاكَ عني لا يَكُنْ بك ما بيا
إذا ما طواكِ الدهرُ يا أمَّ مالك ... فشأنُ المنايا القاضيات وشانيا
إذا اكْتَحَلَتْ عيني بعينك لم تزَل ... بخير وجَلَّتْ غَمْرَةً عن فؤاديا
وأنتِ التي إنْ شئتِ أشقَيْت عِيشَتي ... وإن شئت بعدَ الله أنْعَمتِ باليا
وأنت التي ما من صديقٍ ولا أخٍ ... يرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلا أوى ليا[4]
وإني لأستغشي وما بِيَ نعسةٌ ... لعلَّ خيالاً منكِ يلقى خياليا
هي السحرُ إلا أن للسِّحَر رُقيةً ... وإنيَ لا ألقى لسحريَ راقيا
إذا نحن أدْلَجْنا وأنت أمامنا ... كفى لِمَطَايَانا بذِكْراكِ هاديا
ذَكَتْ نارُ شوق في فؤادي فأصبحت ... لها وهج مُستضرمٌ في فؤاديا
ألا أيها الركبُ اليَمانُون عَرِّجوا ... علينا فقد أمسى هوانا يمانيا

---

(١) الشّجا: ما اعترض في الحَلْق من عظم ونحوه أعيى: أعجز، وأتعب.
(٢) الحاج: جمع حاجة.
(٣) النعاف: جمع نِعْف، وهو الناحية من الجبل. والفيافي: جمع فيفى، وهي المفازة التي لا ماء فيها.
(٤) النضو: البقية الباقية بسبب الهزال والضعف.

نسائلكم هل سال نَعمانُ بعدنا ... وحُبَّ إلينا بطنُ نعمان واديا[1]
ألاَ يا حمامَيْ بطن نعمان هِجْتُما ... عليّ الهوى لمَّا تَغَنَّيْتُما لِيا
ألا أيها القُمْريّتان تجاوبا ... بلحنيكما ثم اسجعا عَلِّلانيا[2]
فإن أنتما استطربتما وأردتما ... لحاقاً بأطلال الغَضا فاتْبعانيا
ألا ليت شعري ما لِلَيلى وما لنا ... وما للصِّبا من بعد شيب عَلانيا
ألا أيها الواشي بليلى ألا ترى ... إلى مَن تَشِيها أو بمن جئتَ واشيا؟!
إذا نحن رُمْنا هجرَها ضمَّ حبَّها ... ضميمُ الحشا ضمَّ الجناح الخوافيا[3]
لئن ظَعَن الأحباب يا أُمَّ مالكِ ... لمَا ظعن الحبّ الذي في فؤاديا[4]
فيا ربِّ إذ صيَّرتَ ليلى هي الْمُنَى ... فَزِنِّي بِعَيْنَيْها كما زِنتها ليا
وإلا فبغِّضها إليَّ وأهلَها ... فإني بليلى قد لقيتُ الدواهيا
ألا لا أحب السيرَ إلا مُصَاعداً ... ولا البرقَ إلا أن يكون يمانيا
على مثل ليلى يقتل المرءُ نفسَه ... وإن كنتُ من ليلى على اليأس طاويا
خليليَّ إن ضَنُّوا بليلى فقرِّبا ... ليَ النعشَ والأكفانَ واستغفرا ليا
ألا يا حمامَ الطَّلْح إن كنت باكياً ... فمِلآن فاهَتجْ إنّني قد أنَى لِيا
فيا أخوَيْ حَزْمِ ألِمَّا هُدِيتما ... على حاضري الريان ثم اذكرانيا

٩٥٤ ـ وله:

وإنّي لمجنونٌ بليلَى مُوَكَّلٌ ... ولستُ عَزُوفاً عن هَواها ولا جَلْدا[5]
إذا ذُكِرَتْ ليلى بكيتُ صَبابَةً ... لِتِذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكا الخَدَّا

٩٥٥ ـ ويروى له في أخرى:

أيا حَرَجَاتِ الحيّ يوم تَحمَّلوا ... بذي سَلَمٍ لا جَادَكُنّ رَبيعُ[6]
إلى الله أشكو أنّه شُقَّتِ العَصا ... هي اليومَ شتّى وهي أمسُ جميعُ
فإنّ انهمال العينِ يا ليلُ كلّما ... ذكرتُكِ وحْدِي خالياً لسَريع
فلو لم يَهِجْني الظّاعِنُون لهاجَني ... حمائمُ وُرْقٍ في الدّيار وُقوعُ

---

(١) نعمان: اسم جبل. والمراد: سال ماؤه.
(٢) القمريتان: مثنّى قُمرية، وهي طير صغير.
(٣) الخوافي: ريشات إذا ضمّ الطائر جناحيه خفيت.
(٤) ظَعَن: ارتحل.
(٥) عَزوفاً: تاركاً. جلداً: أي قوياً صبوراً.
(٦) الحَرَجات: جمع حرجة، نوع من الشجر الملتف. تحمّلوا: حملوا أغراضهم وارتحلوا.

تجاوَبن فاستَبْكَين مَنْ كان ذا هَوى ... نوائح ما تجرِي لهم دموعُ
لعمرك إنّي يوم جَرْعاء مالكٍ ... لعاصٍ لأمر الرّاشدين مُضيعُ[1]
مضَى زمنٌ والنّاس يستشْفِعون بي ... فهل لي إلى ليلَى الغداةَ شفيعُ
ندِمْتُ على ما كان منّي فقدتُني ... كما يندم المَغْبُون حِين يَبِيعُ
فقدتُّك من نفسٍ شَعاع فإنما ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[2]
فقرَّبْتِ لي غيرَ القَرِيب وأشرَفَتْ ... مُناكِ ثنايا ما لهنّ طُلوعُ

٩٥٦ ـ وله:

يقَرُّ بعيني قربُها ويَزِيدُني ... بها عجَباً مَن كان عندي يَعِيبُها
فكم قائلٍ فيكم قَريب عصَيْتُه ... وتِلك لَعَمْري توبةٌ لا أتُوبها
فيا نفسُ صَبْراً لستِ واللهِ فاعْلَمِي ... بأوّل نفسٍ غَابَ عنها حَبيبُها

٩٥٧ ـ وله:

تجنَّبْتَ ليلى أنْ يَلجَّ بك الهوى ... وهيهات، كان الحبّ قبل التجنّب
ولم أرَ ليلى قبل موقفِ ساعة ... ببطن مِنى ترْمي جمارَ المُحَصَّب

٩٥٨ ـ وله في أخرى:

وألقَى من الحبّ المُبَرِّح سَوْرَة ... لها بين جلْدي والعِظام دَبيبُ
لقد شفَّ هذي النفسَ أن ليس بارِحاً ... لها شَجَنٌ ما يُستطاع قَريبُ
فلا تتركي نفسِي شَعاعاً فإنها ... من الوَجْدِ قد كادت عليكِ تَذُوبُ

فصل: ومن المشتهرين بالعشق: **عُرْوةُ بن حِزَام**[3].

٩٥٩ ـ أخبرتنا شهْدَة بنت أحمد، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد السَّرَّاج، قال: نقلتُ من خط أبي عُمر بن حَيَّوَيْه، قال: حدثنا أبو بكر بن الْمَرْزُبان، قال: حدثني أبو العباس فضل بن محمد اليَزيدي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليُّ، قال: أخبرني لَقيط بن بُكَيْر المُحاربي: أنّ عُروة بن حِزام، وعفراء ابنة مالك العُذْرِيَّيْن، وهُما بطن من عُذرة، يقال لهم: بنو هند بن حزام بن ضِنَّة بن عبد بُكَير بن عُذْرة. ويُقال: إنّهما نشآ جميعاً فَعِلقها علاقة

---

(١) جَرْعاء مالك: اسم موضع.
(٢) نفس شَعاع: نفس ضائعة موزّعة لا تستقر على رأي.
(٣) هو عروة بن حِزام بن مهاجر الضِّنِّي، شاعر من متيّمي بني عذرة، كان يحب ابنة عمّه عفراء، حيث نشأ معها في بيت واحد، ولكن زوّجت برجل آخر، فمرض بسبب ذلك وضَني، إلى أن مات نحو سنة(٣٠) هـ، وله ديوان صغير. انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٢٢٦، ومعجم المؤلفين ٢/ ٣٧٤.

الصِّبَا، وكان عُروة يتيماً في حِجْر عمّه حتى بلَغ، فكان يسأل عمَّه أن يزوِّجه عَفراء، فيُسَوِّفُه، إلى أن خرجت عِير لأهله إلى الشام، وخرج عُروة إليها.

ووفد على عمِّه ابنُ عمّ له منَ البَلقاء[١] يُريد الحجّ، فخطبها، فزوَّجها إياه، فحملها.

وأقبل عروة في عِيره تلك، حتى إذا كان بتَبُوك نظر إلى رُفْقة مُقبلة من نحو المدينة فيها امرأة على جَمل أحمر، فقال لأصحابه: والله لكأنّها شمائل[٢] عفراء. قالوا: وَيْحَك ما تترك ذكر عَفراء لشيء! قال: وجاء القوم فلمَّا دنوا منه وتبيَّن الأمر يَبِس قائماً لا يتحرّك ولا يُحِير كلاماً ولا يَرْجِعُ جَواباً، حتى بَعُدَ القوم، فذلك حيث يقول:

وإنّـي لتَعـرُوني لِـذِكْـرَاك رِعْـدَةٌ ... لهـا بيـن جِلْـدي والعِظـام دَبيـبُ
فمـا هـو إلاّ أنْ أراهـا فُجـاءةً ... فـأبْهَـتُ حتـى مـا أكـادُ أُجِيبُ
وقلـتُ لعـرَّاف اليَمـامـة دَاوِنـي ... فـإنّـك إنْ أبْـرأْتَنِـي لطَبيـبُ
فمـا بـي مِـن حُمَّـى ولا مَـسِّ جِنَّـة ... ولكـن عَمِّـي الْحِميَـرِيَّ كَـذُوبُ

قال أبو بكر: وعرّاف اليمامة هذا الذي ذكره عُروة وغيره من الشعراء هو رِيَاح بن راشد ويكنى أبا كُحَيلة، عبدٌ لبني يَشْكُر تزوّج مولاه امرأة من بني الأعرج، فساقه في مهرها، ثم ادَّعى نسباً في بني الأعرج.

ثم إنّ عروة انصرف إلى أهله وأخذَه البكاءُ والهُلَاسُ[٣]، حتى نَحَلَ جسمُه، فلم يبقَ منه شيء. فقال بعض الناس: هو مسحور. وقال قوم: به جِنَّة. وقال آخرون: بل هو مُوَسْوَس، وإنّ بالحاضِر مِنَ اليمامة لطبيباً له تابع من الجِنّ، وهو أَطَبُّ النّاس، فلو أتيتموه، فلعل الله يعافيه. فساروا إليه من أرض عُذْرَة، حتى داوَاه فجعل يسقيه ويُنَشِّرُ[٤] عنه، وهو يزداد سقماً. فقال له عروة: يا هناه[٥]، هل عندك للحُبّ دواء أو رُقْية؟ فقال: لا والله. فانصرَفوا. حتى مَرُّوا بطبيب بحَجْر فعالجه، وصنع به مثل ذلك. فقال له عُروة: ما دائي ودوائي إلاّ شخص بالبلقاء مُقيم، فهو دائي وعنده دوائي. فانصرَفوا به، فأنشأ يقول عند انصرافهم به:

جَعَلْـتُ لعـرَّاف اليمـامـة حُكْمَـه ... وعـرّافِ حَجْـرٍ إنْ همـا شَفَيـانـي

---

(١) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القُرى، (وهي الآن في الأردن)، فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، انظر: معجم البلدان ١/٥٧٩ ـ ٥٨٠.
(٢) شمائل: جمع شميلة، وهو الثوب.
(٣) الهُلاس: مرضٍ السّل أو الهلوسة.
(٤) أي: يعَوِّذه بالنُشرة، والنُّشْرَة: رُقية كانوا يُعالجون بها المجنون أو المريض.
(٥) من الهناءة: البشر والخير، وكانت العرب تستخدم هذه اللفظة للتفاؤل.

فقالا: نعم نشفي مِنَ الداء كلّه وقاما مع العُوّاد يَبْتدرانِ
فما تركا من رُقية يَعْلَمَانِها ولا سلْوة إلاّ وقد سقيانِي
فقالا: شفاك اللّهُ، واللّهِ ما لنا بما ضُمِّنَتْ منك الضلوعُ يَدانِ

قال: فلمّا قَدِم على أهله، وكان له أخوات أربع ووالدة وخالة، فمرَّضْنَهُ دهراً، فقال لهنّ يوماً: اعْلَمْنَ أنّي لو نظرتُ إلى عفراء نظرة واحدة ذهَب وجعي. فذهبوا به حتى نزلوا البلقاءَ مُسْتَخْفِين، فكان لا يزال يُلِمُّ بعَفْراء وينظر إليها، وكانت عند رجل كريم سيّد كثير المال والغَاشية، فبينما عُروة يوماً بسُوق البلقاء إذ لقيه رجل من بني عُذْرة، فسأله عن حاله، ومَقْدَمه، فأخبره. قال: والله لقد سمعتُ أنك مريض، وأراك قد صَحَحْت.

فلما أمسىَ الرجلُ دخل على زوج عفراء، فقال: متى قدِم هذا الكلبُ عليكم الذي قد فضَحَكم؟ قال زوج عفراء: أي كلْب هو؟ قال: عروة. قال: وقد قدِم؟ قال: نعم. قال: أنت والله أولَى بها منه أن تكون كلباً، ما علمتُ بقدومه، ولو علمت لضَممْته إليّ.

فلمّا أصبح غدَا يسأل عنه حتى جاءَه فقال: قدِمْتَ هذه البلد فلم تنزِل بنا ولم ترَ أن تُعلِمنا بمكانك فيكون منزلك عندنا، عليّ وعليّ إن كان لكم منزل إلاّ عندي. قال: نعم، نتحوّل إليك الليلة أو في غَدِ. فلما ولّى قال عُروة لأهله: قد كان ما ترون، وإن أنتم لم تخرجوا معي لأرْكَبنّ برأسي ولألْحَقن بقومِكم، فليس عليّ بأس.

فارتَحلوا ورَكبوا طريقهم ونُكِسَ عُروة ولم يزل مُدْنَفاً[1] حتى نزلوا وادي القُرى.

٩٦٠ ـ وفي رواية أخرى: أن حِزاماً هلك وترك ابنه عروة في حِجْر عمّه عقال بن مهاصر، وكانت عفراء تِرْباً[2] لعروة، يلعبان جميعاً، حتى أَلِف كلّ واحد منهما صاحبه. فكان عقال يقول لعروة: أبشِر فإنّ عفراء امرأتك إن شاء الله تعالى.

فلما بلغا أتى عروةُ عمّة له، يقال لها: هند بنت مهاصر، فشكا إليها حبَّ عفراء، وقال: يا عمة، إنّي أكلمك وإنّي أستحيي منك، ولكن ما أفعل هذا حتى ضِقْتُ ذرعاً بما أنا فيه. فذهَبَتْ إلى أخيها فقالت: يا أخي قد أتيتك في حاجة يَأْجُرك الله عليها، تُزَوِّج عُروةَ عفراءَ. فقال: ما عنه مذهب، ولكنّه ليس بذي مال، وليس عليه عَجَلة.

وكانت أم عفراء لا تريد لها إلاّ مَن له مال. فخطب رجلٌ له مال عفراءَ، فأتى عروةُ عمّه، فقال: قد عرفتَ قرابتي وقد بلغني أنّ رجلاً يخطب عفراء، فإنْ تُجبْه قتلتني. فقال: ليس أخرجها إلى غيرك، ولكنّ أمّها تريد مَهْراً غالياً، فاسترزِق الله. واضطَرَب.

---

(١) نُكِس: انتكس وعاد إليه المرض. مُدْنفاً: مريضاً.
(٢) التِّرْب: المَثيل والمشابه في السّن.

فخرج إلى ابن عم له مُوسر باليمن، واشترط على أَبَوَيْ عفراء أن لا يُحْدِثا فيها حدَثاً، فضمِنا له ذلك. وذهب إلى ابن عمه فوَصله وأعطاه مائة مِنَ الإبل.

واتّفق أنّ رجلاً خطَب عفراء، وكان ذا مال، فاعتذر أبوها إليه، وأجابته أمُّها وصَرَفَتْ أباها عن رأيِه، وقالت: قد جاء الغِنَى إلى بابنا، ولا ندْرِي أعروة حيّ أم ميت وهل يأتي بشيء أم لا. فزوَّجه وارتحل بها إلى الشام، وعمَد أبوها إلى قبرٍ عتيق فجدّده وسواه، وقال: الحقّ كتمان الحال. فقدم عُروة فنعاها أبوها إليه، فجعل يختلف إلى القبر أياماً، ثم أُخبر بالحال، فرحَل إلى الشام، فنزل بالرجل وهو لا يعرفه، فأحسَن ضيافته ثم علِمت به عفراء. وجاء رجل فقال: تركتم هذا في داركم يفضحُكم؟! فأنكر الزوج على هذا القائل واستحضر عروة، وقال: لا تبرَح من عندي. ثم خرج وترَكها عند عروة، وأَوْصَى خادم الباب بحِفْظِ ما يقولان. فقال: قد أجْمَلَ هذا الرجل، وما أقيم بعد عِلْمه، وإنّما أرحل إلى مَنِيَّتي. ثم رحل فتناولته الأسقام.

٩٦١ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الخَبْرية، قالت: أخبرنا علي بن الحسن بن الفضل، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن خالد الكاتب، قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن المُغيرة، قال: حدثنا أحمد بن سَعيد الدمشقي، قال: حدثني الزُّبير بن بكّار، قال: حدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن أبي السّائب المَخْزُومي، قال: أخبرني ابن أبي عَتيق، قال: إنّي لأسير في أرض عُذْرة، فإذا بامرأة تحمِل غُلاماً خدلاً[١] ليس مثله يُتَوَرَّك[٢]، فعجِبْت لذلك فإذا برجل له لحية، قال: فقالت لي: سمعتَ بعُروة بن حزام؟ قال: قلت: نعم، قالت: هذا والله عُروة بن حزام، فقلتُ: أنت عُروة؟ فكلّمني وعيناه تدُوران في رأسِه، فقال: نعم أنا والله الذي أقول:

جعلتُ لعرَّاف اليمامة حُكْمَه ... وعرّافِ نجدٍ إنْ هما شفياني
فقالا: نعم نشفي من الدّاء كلِّه ... وراحا مع العُوَّاد يبتدران
فما تركا من سُلْوة يَعْلَمانِها ... ولا شَرْبة إلاّ وقد سَقَياني
فقالا: شفاك اللّهُ، واللّهِ ما لنا ... بما ضُمِّنَتْ منْك الضلوعُ يدان
فعفراء أحظَى الناسِ عندي مودةً ... وعفراءُ عنّي المُعْرِضُ المُتَواني

قال: ثم ذهبتُ، فما رُحْتُ من الماء حتى سمعت الصيحة، فقلت: ما هذا؟ فقيل: مات عروة. قال عبد الملك، فقلت: يا أبا السائب، والله ما أُراه إلاّ شَرِق[٣]! قال: فمِمَّ

---

(١) الخدل: العظيم الممتلىء.
(٢) التَّوَرّك هو الجلوس على الوَرِك، والوَرك ما فوق الفخذ.
(٣) شَرِق: غصّ.

شَرِق؟ قلت: شَرِق بريقه، تُرى إنساناً يموت من الحبّ؟! فقال: سَخِنَت عيناك!!

٩٦٢ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنت أحمد، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أحمد بن ثابت، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن رَوْحٍ، قال: حدثنا المعافى بن زكريا، قال: حدثنا علي بن سلمان الأَخْفَش، قال: أنبأنا محمد بن يزيد، قال: حدثني مسعود بن بشر المازني، قال: حدثني العُتْبِي، عن أبيه، عن رجل، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن النعمان بن بشير الأنصاري، قال: ولِيت صدَقات بني عُذرة، قال: فدُفِعْتُ إلى فتَى تحت ثوب، فكشفتُ عنه، فإذا رجل لم يبق إلاّ رأسه. فقلت: ما بك؟ فقال:

كـأن قطـاةً عُلِّقَـتْ بجنـاحهـا ... علـى كبـدِي مـنْ شِـدّة الخَفَقَـانِ[1]
جعلـتُ لعـرَّاف اليمـامـة حُكْمَـه ... وعـرّاف نجـدٍ إنْ همـا شفيـانـي

ثم تنفس حتّى ملأ الثوب الذي كان فيه، ثم جمد، فإذا هو قد مات، فأُصْلِح من شأنه، وصليتُ عليه. فقيل: أتدري من هذا؟ هذا عروة بن حزام.

٩٦٣ ـ حدثنا المبارك بن عليّ قال: أنبأنا أحمد بن عبد الجبار. وأنبأنا محمد بن أبي طاهر، كلاهما عن إبراهيم بن البَرْمَكِي، عن أحمد بن جعفر بن سلم قال: حدثني أبو دُلف هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن الفرج الرِّيَاشي قال: حدثنا عُمر بن بُكير قال: حدثنا الهيثم بن عدِي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: حدثني النعمان بن بشير قال: استعملني عُمر بن الخطاب، أو قال: عثمان ـ شكَّ الرّاوي ـ، على صدقات سعد هُذيم، فلما قبضتُ الصدقة، وقسّمتها بين أهلها أقبلتُ، فلمّا كنتُ ببلاد عُذْرة في حيّ منهم يقال له: بنو هند، إذ أنا ببيت حَرِيد[2] مُفْرد عن الحيّ، فمِلْتُ إليه، فإذا عجوز جالسة عند كِسْر البيت، وإذا شابّ نائم في ظِلّ البيت، فلما دَنَوْتُ منه وسلّمت، ترنّم بصوتٍ له ضعيف:

جعلـتُ لعـرّاف اليمـامـة حُكْمَـه ... وعـرّافِ نجـدٍ إنْ همـا شفيـانـي
فقـالا: نعـم نشفـي مـن الـدّاء كلِّـه ... وقـامـا مـع العُـوَّادِ يَبْتَـدِران
نعـم، وبلـى، قـالا: متـى كنـت هكـذا؟ ... ليستَخْبِـرانـي، قلـت: منـذ زمـانِ
فمـا تـركـا مـن رُقْيَـةٍ يعلمـانهـا ... ولا سلـوة إلاّ بهـا سَقيـانـي
فقـالا: شفـاك اللَّـهُ، واللَّـهِ مـا لنـا ... بمـا حُمِّلَـتْ منـك الضّلـوعُ يَـدان

ثم شهِق شهقة خفيفة، فنظرتُ فإذا هو قد مات. فقلتُ: أيُّها العجوز، ما أظنّ هذا النائم بفناء بيتك إلاّ مات. فقالت: نفسه والله نفسه. ثلاث مرات.

---

(١) القَطاة: طائر بحجم الحمام.
(٢) حَرِيد: منفرد بعيد.

فدخلني من ذلك ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، فاغتَمَمْت وخِفْت أن يكون موته لكلامي.

فلمّا رأت العجوز جزَعي قالت: هَوِّن عليك فإنّه قد مات بأَجَلِه، واستراح مما كان فيه، وقَدِم على ربٍّ غَفُور، فهل لك في استكمال الأجر؟ هذه الأبيات منك قريب تأتيهم فَتَنْعَاه إليهم، وتسألهم حضوره. فركبتُ فأتيتُ أبياتاً منهم على قدْرِ ميل، فنعَيْتُهُ إليهم، وقد حفظت الشِّعر، فجعل الرجل بعد الرجل منهم يسترجع.

فبينا أنا أدور، إذا أنا بامرأة قد خرَجت من خِبائها تجرّ خمارها، ناشرة كأنّها الشمس طالعة، فقالت: أيها الناعي بفيك الكَثْكث[1]، بفيك الحجر، من تنعى؟ قلت: عروة بن حزام، قالت: بالذي أرسل محمداً بالحقِّ، واصطفاه بالنبوّة هل مات؟ قلت: نعم. قالت: ماذا فعل قبل موتِه؟ فأنشدتها الشِّعر. فوالله ما نَهْنَهَت[2] أن قالت:

عــدَانــيَ أن أزورَك يــا خَليلــي ... معــاشــرُ كلّهــم واشٍ حَسُــودُ
أشَاعـوا مـا سمِعْـتَ مـنَ الـدَّوَاهِـي ... وعــابُــونــا ومــا فيهــم رَشيــدُ
فــأمّــا إذ ثــوَيْــتَ اليــومَ لحــداً ... ودُورُ النّــاسِ كلّهــم لُحُــودُ
فــلا طــابَــتْ لــيَ الــدنيــا فــوَاقــاً ... ولا لهــمُ ولا أثْــرَى عــديــدُ

ثم مضَتْ معي ومع القوم تَصِيح وتولول، حتى انتهينا إليه، فغسّلناه وكفّناه وصلينا عليه، وقبَرْنَاه، فجاءت فأكَبّتْ على القبر.

وحرّكتُ مطيتي ودخلتُ الشام. فدخلتُ على يزيد فدفعت إليه الكتاب، و أخبرته بالأمر الذي قدِمتُ له. فقال لي: هل رأيت في طريقك شيئاً؟ فحدّثْتُه، وذكر الحديث إلى أن قال: فأكَبّتْ تلك المرأة على القبر ثلاثة أيام لم تأكل، ولم تشرب، فما رُفِعَت إلاّ ميتة.

قلت: هذه الحكاية لا أحسَب الرّاوي عن الهيثم حفظها، وقد رُويت لنا من غير هذه الطريق أصح.

٩٦٤ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله الأنْمَاطي، قال: أنبأنا أبو حامد بن الحسين الْمَروَزِي، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم المَروزي، قال: حدثني جدّي محمد بن عبد الكريم، قال: حدثنا الهيثم بن عَدِي، قال: أنبأنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن النُّعمان بن بَشير قال: استعملني عُمر بن الخطاب، أو عثمان بن عفان ـ شك الراوي ـ على صدَقات سعد هُذيم، وهم عذرة وسلامان والحارث، وهم من قُضاعة. فلما قبضتُ

---

(١) بفيك: بفمك. الكثكث: دقاق التراب وفتات الحجارة.
(٢) نهنهت: تلكأت وتأخّرت.

الصّدقة وقسّمتها بين أهلها، وأقبلتُ بالسهمَيْن الباقِيَيْنِ إلى عُمر ـ أو عثمان ـ فلمّا كنت ببلاد عُذرة في حيّ يُقال لهم بنو هند، إذا أنا ببيت حَرِيد منتزح[1] عن الحيّ، فمِلت إليه، فإذا عجوز جالسة عند كِسْرِ البيت، وإذا شاب نائم في ظلّ البيت. فلما دنوتُ سلّمت، فترنّم بصوتٍ له ضعيف، فقال:

جعلــتُ لعــرّاف اليمــامــة حكْمَــه　　وعــرّاف نجــد إن همــا شفَيــانــي
فقــالا: نعــم نشفــي مــنَ الــدّاء كلِّــه　　وقــامــا مــع العُــوّاد يبتــدرانِ
نعــم، وبلــى، قــالا: متى أنــت هكــذا؟　　ليستخبــرانِــي، قلــتُ: منــذ زمــانِ
فمــا تــركــا مِــن رُقيــة يعلَمــانهــا　　ولا سَلْــوَة إلاّ بهــا سَقيــانــي
فقــالا: شفــاك اللّــهُ، واللّــهِ مــا لنــا　　بمــا ضُمِّنَــت منــك الضلُــوعُ يــدانِ

ثم شهِق شهقة خفِيفة، فنظرتُ فإذا هو قد مات.

فقلت: أيّتها العجوز ما أظن هذا النائم بفناء بيتك إلاّ قد مات. قالت: والله أظنّ ذلك، فقامت فنظرَت إليه فقالت: قاضٍ وربّ محمد. فقلتُ: يا أمَةَ الله مَن هذا؟ قالت: عروة بن حزام العُذْري، وأنا أمُّه. قلت: وما صيَّرَهُ إلى هذا؟ قالت: العِشق، لا والله ما سمِعْتُ كلامَه منذ سنة إلاّ في صَدْر يومنا هذا فإنّي سمعته يقول:

مَــن كــان مــن أمهــاتــي بــاكيــاً أبــداً　　فــاليــومَ إنّــي أرانــي اليــوم مقبــوضَــا
تُسْمِعُنَنِيــهِ فــإنّــي غيــرُ ســامِعــه　　إذا علــوتُ رِقــاب القــومِ معــروضــا

قال النعمان: فأقمتُ والله عليه حتى غُسِّل وكفن وحنط، وصُلِّيَ عليه ودفن.

قال: قلت للنعمان: فما دعاك إلى ذلك؟ قال: احتساب الأجر والله فيه.

٩٦٥ ـ وقد رَوى هشام بن محمد السائب، عن أبي مِسكين؛ أنّ عفراء لما بلغها وفاةُ عروة قالت لزوجها: يا هناه قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغَك، والله ما كان ذلك إلاّ على الحسَن الجميل، وإنّه قد بلغني أنّه قد مات قبل أن يصير إلى أَرْضِه في أرض غُرْبة، فإن رأيتَ أن تأذن لي فأخرج في نسوة مِنْ قومي فَينْدُبْنَه ويَبْكِين عليه. فقال: إذا شئتِ، فأذِن لها، فخرَجت وقالت تَرثيه:

ألا أيُّهــا الــرَّكْــبُ الْمُخِبُّــون ويحكــم　　بحــقٍّ نَعَيْتُــم عُــروة بــنَ حــزَام[2]
فــلا هَنِــيءَ الفتيــانَ بعــدك غــارةٌ　　ولا رَجعــوا مــن غَيْبَــة بســلامِ
فقــل للحُبــالــى: لا تُــرجِّيــن غــائبــاً　　ولا فَــرِحــاتٍ بعــده بغــلامِ

---

(١) نزحت الدّار: بعُدَت وانفردت.
(٢) الخَب: ضَرْب ونوع من العَدْو.

قال: ولم تزل تردّد هذه الأبيات وتبكِي حتى ماتت، فدُفنت إلى جانبه.

فبلغ الخبر معاوية فقال: لو علمتُ بهذين الشَّرِيفَين لجمعتُ بينهما.

قلت: وقد رُوي عن عمر بن الخطاب أيضاً أنه قال: لو علمتُ بهما جمعت بينهما.

٩٦٦ ـ أخبرتنا شُهْدة بنت أحمد بن الفرج، قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد، قال: ذكر محمد بن العباس بن حَيَّوَيْه، قال: حدثني أبو بكر بن خلف، قال: حدثني أبو محمد البَلْخي، قال: حدثني أحمد بن سُرَاقة، قال: حدثنى العباس بن الفرج، قال: سمعتُ الأَصْمَعِي يقول: عن ابن أبي الزناد، قال: قال عُمر بن الخطاب: لو أدركتُ عفراء وعُرْوة لجمعتُ بينهما[١].

٩٦٧ ـ وقد ذكر أبو بكر بن داود في كتاب الزّهرة حكاية موتِ عفراء مبسوطة، قال: لما انصرف عُروة بن حزام من عِند عفراء بنت عُقال فتُوفّي وَحيداً، مَرَّ به ركْبٌ فعرفوه، فلما انتهوا إلى منزِلها صاحَ بعضهم:

ألا أيهــا القَصْــر المُغَفَّــلُ أهلُــه ... بحــقٍّ نَعيْنَــا عُــروةَ بــن حــزام

فأجابته، فقالت:

ألا أيّهـا الـركـب المُخِبُّـون وَيْحَكـم ... بحـقٍّ نَعَيْتُـمْ عـروةَ بـن حـزام؟

فأجابوها:

نعـم قـد تـركنـاه بـأرضٍ بعِيـدة ... مُقيمـاً بهـا فـي دَكْـدَكٍ وإِكَـام[٢]

فقالت لهم:

فـإن كـان حقـاً مـا تقـولـونَ فـاعلَمـوا ... بـأَنْ قـد نَعَيْتُـم نـورَ كـلِّ ظـلامِ
فــلا لقــيَ الفتيــان بعــدَك لــذةً ... ولا رجَعــوا مِــنْ غَيْبَــةٍ بســلام
ولا وضَعــت أنثــى تمــامــاً بمثلِــه ... ولا فَــرِحــت مِــنْ بعــده بغــلام
ولا لا بلغتــم حيــث وُجِّهتــم لــه ... وبُغِّضْتُــمُ لَــذَّاتِ كــلِّ طعــام

ثم سألتهم أين دفنوه، فأخبروها فسارت إلى قبره، فلمّا قَرِبوا من موضع قبره، قالت:

---

(١) ذكره ابن كثير في مسند الفاروق ١/٣٩٧ من طريق أبي عمر ابن حيّويه به، ثم قال: «هذا منقطع، وعفراء وعروة بن حزام كانا في الجاهلية، ويؤثر عنهما أشعار في المحبة. قال امرؤ القيس:
عـوجـا علـى الطلـل المحيـل لعلنـا ... نبكـي الـديـار كمـا بكـى ابـن حـزامِ».
وقال محقق مسند الفاروق: «أغلب المراجع على أن القائل هو معاوية بن أبي سفيان».

(٢) الدّكدك من الرمل ما التَبَد منه بالأرض ولم يرتفع. وإكام: جمع أكمة، وهي التل والمرتفع من الأرض.

إنّي أريد قضاء حاجة فأنزَلوها، فانسلت إلى قبره فأكَبّت عليه، فما راعهم إلاّ صوتها، فلما سمعوها بادَروا إليها فإذا هي ممدودة على القبر، قد خرجت نفسُها فدفنوها إلى جانبه.

٩٦٨ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثنا علي بن أيوب القُمِّي، قال: حدثنا محمد بن عِمران، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي سعيد، قال: حدثني إسحاق بن محمد النَّخْعي، قال: حدثني معاذ بن يحيى الصَّنْعَاني، قال: خرجت من مكة إلى صنعاء، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمسٌ، رأيت النّاس ينزِلون عن محامِلِهم ويَرْكبون دوابّهم. فقلت: أين تُريدون؟ قالوا: نُريد ننظر إلى قبر عفراء وعروة. فنزلتُ عن محملي وركبتُ حِماري واتصلت بهم: فانتهيت إلى قبرَين مُتلاصِقَين، قد خرج من هذا القبر ساق شجرة، ومن هذا ساق شجرة، حتى إذا صارا على قامَةٍ التقيا. فكان الناس يقولون: تآلفَا في الحياة وفي المَوْت!

وفي رواية أخرى، قال إسحاق: قلتُ لمعاذ: أي ضرْب هو من الشجر؟ فقال: لا أدري. وقد سألتُ أهلَ القرية عنه، فقالوا: لا يُعرف هذا الشجر ببلادنا.

٩٦٩ ـ ومن شِعْر عروة المستحسن:

لـو أنّ أشـدّ النـاسِ وَجْـداً ومثلَـه ... مِـنَ الجِـنّ بعـد الإنـس يلتقيـانِ
فيشتكيـانِ الـوَجْـدَ ثمّـت أَشْتكـي ... لأضعـف وجْـدي فـوق مـا يجـدانِ
فقـد تـرَكَتْنـي لا أعِـي لِمُحَـدِّثٍ ... حـديثـاً وإنْ نـاجَيْتـه ونَجـانـي
وقـد تـركَـتْ عفـراءُ قلبـي كـأنّـه ... جنـاحُ عُقـابٍ دائـمُ الخَفَقَـانِ

فصل: ومن المشهورين بالعشق: **العباس بن الأحنف بن الأسود**[1]. أصله من خراسان، ونشأ ببغداد.

٩٧٠ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني علي بن أيوب قال: حدثنا محمد بن عِمران قال: أخبرني محمد بن يحيى قال: قال العباس بن الأحنف:

ويـح المُحِبِّيـن مـا أشقَـى جُـدُودهـمُ ... إنْ كـان مثـلُ الـذي بـي بـالمُحِبّينـا[2]
يشقَـوْنَ فـي هـذه الـدنيـا بعِشقهـم ... لا يُـدْرِكـون بـه دُنيـا ولا دِينـا

---

(١) هو العباس بن الأحنف بن أسود بن طلحة الحنَفي اليَمامي، من فحول الشعراء، وله غزل فائِق، توفي ببغداد سنة (١٩٢) هـ، وله ستين سنة. انظر: السير ٩/٩٨، تاريخ بغداد ١٢/١٢٧، البداية والنهاية ١٠/٢٠٩، وشذرات الذهب ١/٣٣٤.

(٢) جُدودهم: حظوظهم.

يـرِقّ قلبـي لأهـلِ العِشـق إنّهُـم إذا رأَوْنـي ومـا ألقَـى يَـرِقُّـونـا(1)

٩٧١ ـ قال: وله أيضاً:

أيّهـا النّـادبُ قـومـاً هلكـوا صـارت الأرض عليهـم طَبَقَـا
أنْـدُبِ العُشّـاقَ لا غَيْـرَهُـمُ إنّمـا الهـالِـك مَـن قـد عَشِقـا

٩٧٢ ـ أنبأنا محمد بن عبد الملك، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن المُهْتَدِي، قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون، قال: حدثنا محمد بن أبي أيوب، قال: اجتمع أبو نوّاس(2) والعباس بن الأحنف. فاستنشد أبو نواس العباسَ فأنشده:

حُـبُّ الحِجـازِيّـة أبْلَـى العظـامْ

فلما انتهى إلى قوله:

سيّـدتـي سيـدتـي، إنّـه ليـس لمـا بـالعـاشِقيـن اكتتـامْ
سيـدتـي سيـدتـي، إنّنـي أعجـز عـن حَمْـل البـلايـا العِظـامْ
سيـدتـي سيـدتـي، فـاسمَعِـي دعـوةَ ميْـتٍ عـاشـقٍ مستهـامْ

ومرّ في أبيات كثيرة أول كلّ بيت: سيدتي سيدتي، فقال له أبو نواس: لقد خضَعْت لهذه المرأة خُضوعاً ظننتُ معه أنّك تموت قبل تمام هذه القصيدة.

٩٧٣ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا محمد بن الحسن الأَهْوازي قال: أنبأنا الحسن بن عهد الله اللُّغَوِي، عن محمد بن يحيى قال: سمعت عبد الله بن المُعْتَز يقول: لو قِيل لي: ما أحسن شِعر تعرفه؟ لقلت: شعر العباس بن الأحنف:

قـد سحـب النـاسُ أذيـالَ الظّنـون بنـا وفَـرّق النـاسُ فِينـا قـولهـم فِـرَقـا
فكـاذبٌ قـد رمَـى بـالظـنّ غيـركُـمُ وصـادقٌ ليـس يـدرِي أنّـه صَـدَقـا

٩٧٤ ـ أخبرنا أبو منصور، قال: أنبأنا أحمد بن علي، قال: أنبأنا الجَوْهري، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنْبَاري، قال: حدثنا محمد بن

---

(١) انظر هذه الأبيات والأشعار الآتية للعباس بن الأحنف في ديوانه طبع دار الكتاب العربي.

(٢) هو رئيس الشعراء أبو علي الحسن بن هانىء الحِكَمي، وقيل: ابن وهب، وُلد بالأهواز، ونشأ بالبصرة، ومدح الخلفاء والوزراء، ونظمه في الذروة، حتى قال فيه أبو عبيدة شيخه: أبو نوّاس للمُحْدَثين كامرىء القيس للمتقدّمين. ولقب بأبي نواس: لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقيه أي: تضطربان وتتدليان. مات سنة (١٩٥) هـ وقيل غير ذلك. انظر: السير ٩/٢٧٩ ـ، تاريخ بغداد ٧/٤٣٦، البداية والنهاية ١٠/٢٢٧، وشذرات الذهب ١/٣٤٥.

المَرْزُبان، قال: حدثنا أحمد بن أبي طاهر، قال: قال لي بعض أصحابنا: قال بشّار: ما كنا نعدّ هذا الغلام من الشعراء ـ يعني العباس بن الأحنف ـ حتى قال هٰذَيْن البيتَيْن:

نَـزَف البُكـاءُ دمـوعَ عينِـك فـالتمِسْ ... عينـاً لغيـرِك دمْعُهـا مـدرارُ
مَـنْ ذا يُعيـرك عينَـه تبكِـي بهـا ... يـا مَـن لعيـنٍ للبكـاء تُعـار

٩٧٥ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي قال: حدثنا علي بن أيوب قال: أنشدنا أبو عبد الله الْمَرْزُباني، عن محمد بن يحيى الصُّولي، للعباس بن الأحنف:

بـرغمـي أُطيـل الصـدَّ عنـك وأبتلِـي ... بهجـرك قلبـاً لـم يَـزَلْ منـك مُتعبـا
ومـا أنـا فـي صَـدِّي بـأوّل ذي هـوَى ... رأى بعـض مـا لا يَشْتَهـي فتجنَّبـا
تَجنّـبَ يَـرتـادُ السُّلُـوَّ فلـم يجـد ... لـه عنـكِ فـي الأرضِ البعيـدةِ مـذهبـا[1]

٩٧٦ ـ قال ابن المَرْزُبان: وحدثنا عليّ بن هارون، قال: أنبأنا أبي، قال: مِنْ بارع شِعر العباس بن الأحنف قوله:

قـدْ رَقَّ أعـدائـي لِمـا حـلّ بـي ... فليْـتَ أَحْبَـابـي كـأعـدائـي
أَمَّلْـتُ بـالهجـران لـي راحـةً ... مِـنْ جمـراتٍ بيـن أحشـائـي
فـازداد جَهْـدي وبَـلائـي بهـا ... أنـا الـذي استشفيـتُ بـالـدّاء

٩٧٧ ـ قال: وقوله:

يـا ذا الـذي أنكـرَنـي طَـرْفُـه ... أنْ ذاب جِسْمـي وعَـلانـي شُحُـوبْ
مـا مَسّنـي ضـرّ ولكنّنـي ... جَفَـوْتُ نفسِـي إذ جفـانـي الحَبيـبْ

٩٧٨ ـ أخبرني أبو منصور، قال: أنبأنا أحمد بن علي، قال: أنبأنا علي بن أيوب، قال: أنبأنا المَرْزُباني، قال: أنبأنا الصُّوليّ، قال: رُوِي عن الزّبير بن بكّار أنّ بشاراً أنشد قولَ العباس بن الأحنف أوّل ما قال الشِّعر:

لمـا رأيـتُ الليـلَ سـدَّ طـريقـه ... عنّـي وعـذّبنـي الظّـلامُ الـرّاكِـدُ
والنجـمُ فـي كَبِـدِ السّمـاء كـأنّـه ... أعمَـى تحيَّـرَ مـا لـدَيْـه قـائِـدُ
نـاديـتُ مَـنْ طـرَد الـرُّقـادَ بنَـوْمِـه ... عمّـا أُلاقـي وهْـوَ خِلْـوٌ هـاجِـدُ[2]

فقال: قاتَلَ اللهُ هذا الغلام، ما رَضِي أن يجعله أعمَى حتى جعله بلا قائد.

قلت: وقد سقط من هذه القصيدة بيت آخر:

---

(١) السّلو: النسيان، مذهبا: مفرّاً وملجأ.
(٢) الهاجد: النائم.

نـادَيـتُ مَـن منَـع الـرُّقـادَ بصـدّه حتـى متـى أنـا سـاهـرٌ يـا راقـدُ

٩٧٩ ـ وللعباس بن الأحنف:

تجنَّبْتُهـم والقَلْـب صـابٍ إليهـمُ بنفسـيَ ذاك المنـزلُ المتَجَنَّـبُ
إذا ذُكـروا أعـرَضْـتُ لا عَـنْ مَـلالـةٍ وذِكْـرهـمُ شـيءٌ إلـيَّ محبَّـبُ
علـى أنّهـم أَحْلَـى مـن العيشِ عندنـا وأعـذبُ مِـن صَفْـوِ الحيـاة وأطيـبُ

٩٨٠ ـ وله:

إذا أردتُ سُلُـوًّا كـان نـاصِـرَكـم قلبـي فهـلْ أنـا مِـنْ قلبـي بمنتصِـرِ
فـأَكثِـرُوا أو أقِلّـوا مِـن إسـاءَتِكـم فكـلّ ذلـك محمـولٌ علـى القَـدَرِ
وضعتُ خـدّي لأَدْنَـى مَـن يَطِيف بكـم حتـى احْتُقِـرْتُ ومـا مِثلـي بمحتقَـرِ

٩٨١ ـ وله:

قلبـي يقـول لِعَيْنـي كلّمـا نظَـرَتْ كـم تنظُـريـن رَمَـاكِ اللـهُ بـالعَـوَرِ
يـا مَـن يُسـائـل عـن فَـوْزٍ وصُـورتهـا إنْ كنـتَ لـم تـرهـا فـانظـر إلـى القَمَـرِ
مـا زِلْـتُ أحسِـب أنّ الشمـس واحـدةٌ حتـى رأيْـتُ لهـا أُخْتـاً مِـنَ البَشَـرِ

٩٨٢ ـ أخبرنا عبد الوهاب وابن ناصر، قالا: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا يحيى بن الحسن بن المنذر، قال أنبأنا إسماعيل بن سُويد، قال: حدثنا أبو بكر بن الأَنْبَاري، قال: أنشدني أَبِي للعباس بن الأَحنف؛ قال: وتُرْوَى لغيره:

جرَى السَّيْل فاستَبْكانِيَ السيلُ إذ جرَى وهـاجَـتْ لـه مِـنْ مُقْلَتـيّ غُـرُوبُ[1]
ومـا ذاك إلاّ حيـن أُخْبِـرْت أنّـه يمـرُّ بـوادٍ أنـتِ منـه قـريـب
يكـونُ أُجـاجـاً دونكـمْ فـإذا انتهـى إليكـم تلقّـى طِيبكـم فيطِيـب[2]
فيـا سـاكِنـي شَـرْقـيّ دَجْلَـة كلّكـم إلـى القَلْـب مِـنْ حُـبّ الحبيـب حبيـبُ

٩٨٣ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا صاعد بن سَيّار، قال أنبأنا أحمد بن أبي سهل الغُوْرَجي، قال أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافِظ ـ إجازة ـ، قال: سمعت الحسن بن علي السِّجِسْتَاني، يقول: سمعت أبا القاسم النُّمَيْري، يقول: سمعت أبي، يقول: سمعت أحمد بن عمر الزَّنْبَقي[3] يقول: قال العباس بن الأحنف:

---

(١) الغروب: الدموع، ومجاري الدمع.
(٢) الماء الأجاج: الشديد الملوحة.
(٣) الزَّنْبَقي: نسبة إلى الزنبق، قال ابن الأثير: وظنّي أنّه نسبة إلى بيع دهن البنفسج والأدهان الطيبة. اللباب ٢/٧٦، ولب اللباب ١/٣٨٤.

لـيـس أمـر الهـوَى يُـدْبِـر بـالـرأ ي ولا بـــالقيـــاس والتَّفْكِيـــر
إنّمــا الأمــرُ فــي الهــوَى خطـرات مُحْــدِثــات الأمــور بعــد الأمــور

٩٨٤ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرني أبو القاسم الأزْهَري قال: حدثني محمد بن جعفر الأَدِيب قال: حدثنا أبو القاسم السَّكُوني[١] قال: حدثنا الحُسين بن مُكْرم، قال: حدثنا يزيد الثُّمالي، قال: مات أبو العتاهية والعباس بن الأحنف وإبراهيم المَوْصلي في يوم واحد، فرُفِع خبرُهم إلى الرّشيد، فأمر المأمونَ بالصّلاة عليهم. فوافَى المأمونُ وقد صُفّوا له في موضع الجنائز فقال: مَن قَدَّمتم؟ قالوا: إبراهيم. قال: أَخِّروه وقدِّموا عباساً. فلمّا فرغ من الصّلاة اعترَضه مَنْ قال له: لِمَ قَدّمت عباساً؟ قال: بقوله:

سَمَّــاكِ لــي قــومٌ وقــالــوا: إنّهــا لهــي التــي تشقَــى بهــا وتُكــابــدُ
فجَحَــدْتُهــم ليَكُــون غيــرك ظنَّهــم إنّــي ليُعجِبُنــي المُحِــبُّ الجــاحــدُ

قال الخطيب: في هذا نظر، لأنّ وفاة العباس كانت بالبصرة.

٩٨٥ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت:
وأنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو طاهر بن سوار:

قالا: أنبأنا علي بن المحسّن التّنُوخي، قال: أنبأنا عُبَيد الله بن عبد الرّحمن الزُّهري، قال: حدثنا محمد بن القاسم الشَّطَوي[٢]، قال: حدّثنا أحمد بن عُبيد، قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: بينا أنا ذات يوم قاعدٌ في مجلسٍ بالبصرة، إذا بغلام أحسن النّاسِ وجهاً وثوباً واقفٌ على رأسي، فقال: إنّ مولاي يُريد أن يوصِيِ إليك. فقمتُ معه، فأخذَ بيدي حتى أخرَجني إلى الصحراء، فإذا أنا بالعباس بن الأحنف مُلْقًى على فراشِه يَجُود بنفسه، وهو يقول:

يــا بَعيــدَ الــدّار عــن وطَنِــه مُفْــرداً يبكِــي علــى شَجَنِــهْ
كلّمــا جَــدَّ النَّحِيــبُ بــهِ زادَتِ الأسْقَــامُ فــي بَــدَنِــه

ثم أُغْمِي عليه ساعة، فانتَبَه ـ بصوتِ طائرٍ على شجرة ـ وهو يقول:

ولقــد زادَ الفــؤادُ شجَــى هــاتــفٌ يبكِــي علــى فَنَنِــهْ[٣]
شــاقَــهُ مــا شــاقَنــي فبكَــى كلُّنــا يبكِــي علــى سَكَنِــه

---

(١) السَّكوني: نسبة إلى السَّكون، بَطْن من كِندة. انظر: الأنساب ٣/ ٢٧٠، ولب اللباب ٢/ ٢٢.
(٢) الشَّطَوي: نسبة إلى شطا، قرية بأرض مصر. لب اللباب ٢/ ٥٤ ومعجم البلدان ٣/ ٣٤٢.
(٣) الفَنَن: الغصن.

ثم أُغْمِي عليه، فظنَنْته مثل الأولى، فحرّكته فإذا هو قد مات.

فصل: ومن المشهورين بالعشق: ذو الرُّمَّة[1].

٩٨٦ ـ أنبأنا علي بن عُبيد الله، قال: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن الْمُسْلِمَة، قال: أنبأنا أبو عُبيد الله محمد بن عِمران المَرْزُباني، قال: حدثني محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، عن محمد بن زياد الأَعْرابي، قال: حدثني أبو صالح الفَزَارِي، قال: ذُكر ذو الرّمة في مجلِس فيه عدّة من الأعراب، فقال عصمة بن مالك الفَزاري ـ شيخ منهم، بلغ مائة وعشرين سنة ـ: إيّاي فَسَلُوا عنه، كان حُلْوَ العَيْنَيْن حسَن المَضْحَك، بَرّاق الثنايا، خفيف العارِضَيْن، إذا نازعَك الكلامَ لا تسأم حديثَه، وإذا أنشدَ بَرْبَرَ وجَشَّ[2] صوته. جمعني وإياه مَرْبَعٌ[3] مرّة، فأتاني، فقال: هيا عصمة، إنّ مَيًّا مِنْقرية، ومِنْقَرٌ أخبثُ حَيّ أَقْوَفُه[4] لأثر، وأثْبَتُه في نَظر، وأعْلَمُه بِبَصر، وقد عَرفوا آثار إبلي، فهل مِنْ ناقة نَزْدَارُ عليها ميًّا؟

قلتُ: إي والله، الْجُؤْذَر[5]. قال: فعلينا بها. فجِئتُ بها فركب ورَدِفْتُه[6]. ثم انطلقنا حتى نهبطَ حيَّ مَيٍّ. وإذا الحيّ خُلُوف[7]، فلما رآنا النسوة عرَفْنَ ذا الرُّمة فتَقَوَّضْن[8] من بيوتهن حتى اجتمعْنَ إلى مَيّ، وأَنَخْنَا قريباً، وحيَّيْناهُنّ، فقالت ظَرِيفةٌ منهن: أنشدنا ذا الرّمة. فقال لي: أَنْشِدْهنّ. فأنشدتُهنّ قوله:

وقفتُ على رَبْعٍ لِميَّة ناقتي ... فما زِلتُ أبكي عنده وأُخاطبهْ

فلما انتهيتُ إلى قوله:

نظرتُ إلى أظعانِ مَيٍّ كأنّها ... ذُرَى النَّخل أو أَثْلٌ تميلُ ذوائِبهْ[9]

---

(١) من فحول الشعراء: غيلان بن عُقبة بن بُهَيْس المُضَرِي، شبَّب بميَّة بنتِ مقاتل المِنْقرية وبالخرقاء، وله مدائح في الأمير بلال بن أبي بردة، قال أبو عمرو بن العلاء: افتتح الشعراء بامرىء القيس، وخُتموا بذي الرُّمة. مات بأصبهان كهلاً سنة (١١٧) هـ. انظر: السير ٥/٢٦٧، الأغاني ١٦/١٠٦، تاريخ الإسلام ٤/٢٤٧، والبداية والنهاية ٩/٣١٩.

(٢) بَرْبَر: صاح وهذى. جش صوته: غلظ وخشن.

(٣) المربع: الموضع الذي يُقام فيه في فصل الربيع، طلباً للماء والكلأ والخصب.

(٤) أقْوَفه: من الاقتفاء، وهو تتبع الأثر.

(٥) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، اسم سمّى الناقة به.

(٦) أي: ركبت خلفه.

(٧) خُلُوف: أي مُخَلَّفين، حيث ارتحل عنهم الرجال لحرب أو نحو ذلك.

(٨) أي: فَخَرَجْنَ.

(٩) الظَّعِينة: الهودج يركب فيه النساء للسفر والانتقال. الأَثْل: نوعٌ من الشجر.

فـأَسْبَلَـتِ العينـانِ والقلـبُ كـاتـمٌ   بمغـرَوْرِق تمَّـتْ علـيَّ سـواكِبُـهْ
بكَـى وامـقٌ جـاء الفِـراق ولـم تُجُـلْ   جـوائلَهـا أسـراره ومعـاتِبُـهْ[١]

قالت الظّريفة: لكن اليوم فلتُجِلْ. ثم مضيتُ فلمّا انتهيتُ إلى قوله:

وقـد حلَفَـتْ بـاللـه مَيَّـةُ مـا الّـذِي   أُحـادِثُهـا إلاّ الـذي أنـا كَـاذِبُـهْ
إذَن فـرَمـانـي اللـهُ مِـنْ حيـثُ لا أرَى   ولا زال فـي أرضِـي عـدوٌّ أُحَـارِبـه

قالت مَيّ: ويحك يا ذا الرُّمة، خَفْ عواقِبَ اللهِ عزّ وجلّ. ثم مضَيْتُ إلى أن انتهيتُ إلى قوله:

إذا سَـرحَـتْ مِـنْ حـبِّ مـيٍّ سـوارحٌ   علـى القلـبِ آبَتْـهُ جميعـاً عـوازبُـهْ[٢]

فقالت الظّريفة: قتَلْتِه قتَلَكِ الله. فقالت مَيّة: ما أصحّه وهنيئاً له.

قال: فتنفس ذُو الرُّمة تَنَفُّسَةً كاد حرُّها يَطِيرُ بلحيته. ثم مضيت حتى انتهيت إلى قوله:

إذا نـازعتـك القـولَ مَيَّـةُ أو بَـدا   لـك الـوجْـه منهـا أو نَضَـا الـدِّرعَ سـالبُـه[٣]
فيـا لـك مـن خـدٍّ أَسِيـلٍ ومَنْطِـق   رَخِيـم ومِـن خَلْـق تعلَّـل جـادبـه[٤]

فقالت الظريفة: هذا الوجه قد بدا، وهذا القول قد تُنُوزع، فمن لنا بأن يَنْضوَ الدّرعَ سالبُه؟! فالتَفَتَتْ إليها ميٌّ فقالت: ما لك قاتَلَكِ الله، ماذا تُجيبين به؟ فتضاحك النسوة. فقالت الظَّريفة: إن لهذين لشأناً، فقُوموا بنا عنهما. فقُمْنَ وقمتُ، فصِرْت إلى بيت قريب منهما أراهما ولا أسمع كلامهما إلاّ الحرْف بعد الحرف، فوالله ما رأيته برَح مكانه ولا تحرّك، وسمعتها تقول: كذَبْتَ والله. فوالله ما أدري ما الذي كذَّبته فيه. فتحدّثنا ساعة ثم جاءَني ومعه قُوَيْرِيرَة[٥] فيها دهنٌ طَيِّب، فقال: هذه دهنة أَتْحَفَتْنَا بها مَيٌّ، فشأنك بها، وهذه قلائِدُ زوَّدتناها للجُؤْذَر، فلا والله لا قلّدْتُهنّ بَعِيراً أبداً. ثم عقدَهن في ذؤابة سَيْفه.

قال: وانصرفْنا فلم نزل نختلف إليها مَرْبَعَنَا حتى انقضى. ثم جاءني يوماً، فقال: يا عصمة قد ظَعَنَتْ ميٌّ، فلم يبق إلاّ الدّيار والنَّظَر في الآثار، فامضِ بنا ننظر إلى آثارها. فخرَجْنا حتى وقفنا على ديارها، فجعل ينظر، ثم قال:

---

(١) وامِق: مُحِبّ لم تجل جوائلها: لم تدر مدارها، أي لم تظهر ولم تبدُ.
(٢) العازِب: ما بَعُد وغاب وخفي.
(٣) نَضَا: خلع ونزع.
(٤) أَسِيل: ليِّن ناعم. رخيم: لين. الجادبُ: العائب الكاذب. وانظر هذه القصيدة وما سيأتي من أشعاره في ديوانه، طبع دار الكتاب العربي.
(٥) قُوَيْرِيرة، مصغر قارُورة.

ألاَ فـاسْلَمـي يـا دارَ مـيٍّ علـى البِلَـى ... ولا زال مُنْهَـلاً بِجَـرْعـائـك القطْـرُ[1]
وإن لـم تكـونـي غيـرَ شـامٍ بقَفْـرَةٍ ... تَجُـرُّ بهـا الأذيـالَ صَيْفِيَّـةٌ كُـدْرُ[2]

ثم انتضحَتْ عيناه بعَبْرة، فقلْتُ: مَه، فقال: إنّي لجلدٌ، وإن كان مِنّي ما ترى.

فما رأيتُ صبابة قط، ولا تجلّداً أحسنَ من صبابته، وتجلّده يومئذ.

ثم انصرفنا، فكان آخر العهد به.

فصل: ومنهم: تَوْبَةُ[3] مع ليلى الأخْيَلِيَّةُ.

٩٨٧ ـ أخبرنا عبد الوهّاب، وابن ناصر، قالا: أنبأنا أبو الحَسن بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحُسين بن محمد النَّصِيبي، قال: أنبأنا إسماعيل بن سُويد، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنْبَاري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عُبيد، عن أبي الحسن المَدَائِني، عمّن حدَّثه، عن مولى لعَنْبَسة بن سَعيد بن العاص، قال: كنت أدخل مع عَنْبَسة بن سعيد إذا دخل على الحَجّاج، فدخل يوماً فدخلتُ إليهما وليس عند الحجاج غير عَنْبسة، فقعدتُ، فجاء الحاجب، فقال: امرأةٌ بالباب، فقال الحجاج: أَدْخِلْها؛ فدخلَت؛ فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه. فجاءَتْ حتى قعدت بين يدَيه؛ فنظر إليها؛ فإذا هي امرأة قد أَسَنَّتْ، حَسَنَةُ الخَلْق، ومعها جاريتان لها، وإذا هي ليلى الأَخْيَلِيّة.

فسألها الحجاج عن نَسَبِها؛ فانتسبَتْ له؛ فقال: يا ليلى ما أتاني بكِ؟ قالت: إخلافُ النجوم، وقِلّة الغيوم، وكلَب[4] البَرْد، وشدة الجَهْد، وكنتَ بعْدَ الله الرِّفد[5]. فقال لها: صِفي الفِجاج[6]. فقالت: الفِجاجُ مُغْبرَّة، والأرض مُقْشعِرَّة، والمَبرَكُ مُعْتَلّ[7]، وذو العِيال مُخْتَلّ[8]، والهالِك المُقِلُّ، والناس مُسْنِتُون[9]، رحمةَ الله يرجون، وأصابتنا سنُون مُجْحِفَة

---

(١) الجرعاء: رابية سهلة لينة. وقيل: مرتفع من الرمل مستوٍ.

(٢) الشام: لون يخالف لون الأرضين، جمع شامة، والمقصود: الآثار. الأذيال: مآخير الرياح وما جرّت. كدر: فيها غُبْرة.

(٣) هو توبة بن الحمير الخفاجي العقيلي العامري، شاعر من عشاق العرب المشهورين. كان يهوى ليلى الأخيلية وخطبها إلى أبيها، فرده وزوجها غيره، فانطلق يشبب بها بأشعار رقيقة عذبة، إلى أن قتل حوالى سنة (٨٥) هـ. انظر الأعلام ٢/٨٩، ومعجم المؤلفين ١/٤٥٩.

(٤) كَلَب البرد: شدته.

(٥) الرِّفد: أي المعين.

(٦) الفِجاج: ما اتسع من الأرض.

(٧) المَبْرك: أي مبارك الإبل ونحوها، تقصد أن الأنعام من الإبل ونحوها مريضة وغليلة.

(٨) مُخْتَلّ: أي مُحتاج.

(٩) مُسْنِتون: مقحطون.

مُبْلِطَةٌ[١]، لم تَدَعْ لنا هُبَعاً، ولا رُبَعاً[٢]، ولا عافِطة، ولا نَافِطة[٣]، أَذْهَبَتِ الأموال، وفرَّقت الرِّجال، وأهلَكَتِ العِيال.

ثم قالت: إنّي قد قلتُ في الأمير قولاً. قال: هاتِ؛ فأنشَأَتْ تقول:

أحجّاجُ لا يُفْلَلْ سلاحُك إنما الـ ـمنايا بكفِّ اللهِ حيثُ يراها[٤]
أحجّاجُ لا تُعْطِ العُصَاةَ مُناهمُ ولا اللهُ يعطِي للعصاة مُناها
إذا هبط الحجّاجُ أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائِها فشَفاها
شفاها مِنَ الدّاءِ العُضَالِ الذي بها غُلامٌ إذا هزَّ القناة سَقاها
سقاها فروّاها بِشُرْبِ سِجالِه دماءَ رجالٍ حيث قال حَمَاها[٥]
إذا سمع الحجّاجُ رَزَّ كَتِيبَةٍ أعدّ لها قَبل النزول قِرَاها[٦]
أعدَّ لها مَسْمُومَةً فارسيةً بأيدي رِجَال يحلِبُون صَرَاها[٧]
فما وَلد الأبْكارُ والعُوْنُ مثله بنجدٍ ولا أرضٍ يخِفُّ ثراها[٨]

قال: فلما قالت هذا قال الحجّاج: قاتَلها الله، ما أصاب صِفَتي شاعرٌ منذ دخلتُ العِراق غيرها. ثم التفَتَ إلى عَنْبسة بن سعيد فقال: واللهِ إنّي لأُعِدُّ للأَمْر عسَى أن لا يكون أبداً. ثم التفتَ إليها، فقال: حسْبُك، وَيْحُكِ حسبك؛ ثم قال: يا غلام اذهب إلى فلان فقل له: اقطع لسانَها. قال: فأمَر بإحضار الحجّام؛ فالتفتَتْ إليه فقالت: ثَكِلَتْكَ أُمُّك، أما سمعت ما قال؟! إنّما أمرَكَ أن تقطعَ لِساني بالصِّلة[٩]. فبعث إليه يَسْتبِينُه، فاستَشَاط الحجاجُ غضباً، وهمَّ بقطع لسانه، وقال: اردُدْها؛ فلما دخلَتْ عليه، قالَتْ: كاد ـ وأمانة والله ـ يقطع مِقْوَلي[١٠]؛ ثم أنشأت تقول:

حَجّاجُ أنتَ الذي ما فوقَه أحدُ إلاّ الخليفةُ والمُستغفَرُ الصَّمَدُ

---

(١) سنون: مجاعة وجائحة. مُجْحفة: قاسية، مُبْلِطة، من البَلاط، أرادت أن هذه الجائحة التي أصابتهم أَبْلَطَتْهم فجعلتهم لا يملكون شيئاً. تقول: أبلط فلان: إذا افتقر وذهب ماله.
(٢) الهُبع: الفَصِيل ـ ولَد الناقة ـ الذي يُنتج في الصيف، والرّبع: الفصيل الذي يُنتج في الربيع.
(٣) العافطة: النعجة، والنافطة: إتباع وقيل النافطة: العنز أو الناقة وقيل غير ذلك.
(٤) تقول: تفلّل السيفُ؛ إذا تَثَلّم وخرب حدّه.
(٥) السجال: جمع سَجل، وهو الدلو الذي فيه ماء، سواء كان قليلاً أو كثيراً.
(٦) الرز: الصوت تسمعه من بعيد. القِرى: طعام الضيافة، وهنا استعاره لعدّة القتال.
(٧) الصرى: المقصود هنا السُّمّ المنقوع منذ زمن في أوعيته.
(٨) العُون: جمع عوان، وهي المرأة التي ولّدت بعد ولدها البكر.
(٩) الصلة: العطية. أي أمرك أن تجزل صلتي لأكف عن طلب المزيد.
(١٠) مقولي: لساني.

حَجّاجُ أنت شهابُ الحَرْب إذ لقحتْ وأنت للناسِ نجمٌ في الدُّجى يَقِدُ

ثم أقبل الحجاجُ على جلسائه؛ فقال: أتدرون مَنْ هذه؟ قالوا: لا والله يا أمير المؤمنين، إلاّ أنا لم نر امرأة قط أفصَحَ لساناً، ولا أحسن مُحاورة، ولا أملَح وجهاً، ولا أرصَنَ شعراً منها. فقال: هذه ليلى الأَخْيَلِيّة التي مات توبَةُ الخِفاجي من حُبّها. ثم التفتَ إليها فقال: أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فِيك تَوْبَة.

فقالت: نَعم أيّها الأمير، هو الذي يقول:

وهل تَبْكِيَنْ ليلى إذا مِتُّ قبلها وقام على قبري النِّساء النَّوائِحُ
كما لو أصاب الموتُ ليلى بكَيْتُها وجادَ لها دَمْعٌ من العَيْنِ سافِحُ
وأُغْبَط مِنْ ليلي بما لا أنالُه بلى كلُّ ما قَرَّتْ به العَيْنُ صالح
ولو أن ليلى الأَخْيليّة سَلَّمَتْ عليَّ ودُوني تُرْبةٌ وصَفائِحُ
لسَلّمْتُ تسليمَ البَشَاشَةِ أو زَقَا إليها صَدى من جانبِ القبر صائح[١]

فقال لها: زِيدينا من شعره؛ فقالت وهو الذي يقول:

حمامةَ بطْنِ الوادِيَيْن تَرنَّمي سَقاك من الغُرِّ الغَوادي مَطِيرُها[٢]
أَبِيني لنا لا زال رِيشك ناعماً ولا زلتِ في خضراءَ غَضٍّ نَضِيرُها
وأُشْرِفُ بالقُورِ اليَفاع لعلّني أرى نار ليلى أو يَراني بَصِيرها[٣]
وقد رَابَنِي منها صُدودٌ رأيتُه وإعراضها عن حاجتي وبُسُورها[٤]
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تَبَرْقَعَتْ فقد رابَني منها الغَداةَ سُفورها[٥]
يقول رجالٌ: لا يضرُّك نأْيُها، بلى كلّ ما شفَّ النّفوسَ يَضِيرُها
بلى قد يضرُّ العينَ أن تكثرَ البُكا ويُمنع منها نومُها وسُرورها
وقد زَعَمَتْ ليلى بأنِّيَ فاجرٌ لنفسِي تُقَاها أو عليها فجورها

فقال لها الحجاج: يا ليلى ما الذي رابَه من سُفورك؟ قالت: أيّها الأمير كان يَلُمُّ بي[٦] كَثيراً، فأَرسلَ يوماً إليَّ: إنّي آتيك. وفَطِنَ الحيُّ فأَرْصَدوا له، فلما أتاني سَفَرْتُ فعلم أن

---

(١) زقا: أي قفز، والصدى: زعموا أنه طائر يخرج من رأس المقتول أو الميت.
(٢) الغر: السحاب الأبيض.
(٣) القُور: الجبل الصغير. اليَفاع: ما ارتفع من الأرض.
(٤) بسورها: أي: عجلتها.
(٥) تبرقعت: أي غطت وجهها بالبُرْقع، وهو القناع. والسفور: كشف القناع عن الوجه.
(٦) يلمّ بي أي: ويأتيني ويزورني.

ذلك لشرّ، فلم يَزِد على التسليم والرّجوع. فقال: لله درّك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه؟ فقالت: لا والله الذي أسأله أن يُصلِحَك، غير أنّه قال لي مرة قولاً ظننتُ أنه قد خضَع لبعض الأمر؛ فأنشأتُ أقول:

وذي حاجة قُلنا له لا تَبُحْ بها ... فليس إليها ما حَيِيتَ سَبيلُ
لنا صاحبٌ لا يَنْبَغي أن نخونَه ... وأنت لأُخرى فارغٌ وخليلُ

فلا والذي أسأله أنْ يصلِحَك، ما رأيتُ منه شيئاً، حتى فرّق الموتُ بيني وبينه.

قال: ثم مَه[1]؟ قالت: ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له، فأوصى ابنَ عمّه: إذا أتيتَ الحاضر من بني عُبَادة فنادِ بأعلى صوتك:

عفا اللهُ عنها هل أَبيتنَّ ليلةً ... مِنَ الدهر لا يَسْرِي إليَّ خيالُها!

فخرجتُ وأنا أقول:

وعنه عفا ربي وأحسَنَ حالَه ... فعزَّتْ علينا حاجةٌ لا ينالُها

قال: ثم مه؟ قالت: ثم لم يلْبَث أن مات، فأتانا نعيُّه.

قال: فأنشِدينا بعض مَرَاثِيك فيه. فأنشدَتْ:

لِتبْكِ العذَارى مِن خُفَاجَة نِسْوةٌ ... بماء شُؤون العَبْرة المتحدِّر[2]
كأنّ فتى الفتيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ ... قلائص يَفْحَصْن الحَصا بالكراكر[3]

قال: فأنشدِينا. فأنشدَتْه، فلما فرَغت من القصيدة قال محصن الفَقْعَسي ـ وكان من جُلساء الحجاج ـ: مَن هذا الذي تُقول هذه هذا فيه؟ فوالله إنّي لأظنّها كاذبة. فنظرَتْ إليه ثم قالت: أيّها الأمير، إنّ هذا القائل لو رأى تَوْبَةَ لسرَّه أن لا يكون في داره عذراء إلاّ وهي حامل منه! فقال الحجاج: هذا وأبيك الجواب وقد كنتَ عنه غنياً.

ثم قال لها: سَلِي يا ليلى تُعْطَيْ. قالت: أَعْطِ فمثلك أعطَى فأحسن. قال: لكِ عِشرون. قالت: زِدْ فمثلك زاد فأَجْمل. قال: لك أربعون. قالت: زِدْ فمثلك زاد فأفضل. قال: لك سِتون. قالت: زِدْ فمثلك زاد فأكمل. قال: لك ثمانون. قالت: زدْ فمثلك زاد فأتمَّ. قال: لك مائة، واعْلَمي يا ليلى أنّها غنَم. قالت: مَعاذ الله أيّها الأمير، أنت أجود

---

(١) ثم مَه، أي: ثمّ ماذا.
(٢) الشّؤون: هي مَواصِلُ قبائِل الرأس ومُلْتقاها، ومنها تجيءُ الدموع.
(٣) يُنِخ: يُبرِك. القلائص: النوق. يفحصن: يقلبن ويفرقن بعضه عن بعض. الكراكر: جمع كِركِرة، وهو الصدر من كل ذي خف من البهائم.

جوداً، وأَمْجد مَجداً، وأوْرَى زَنْداً[1] مِن أَنْ تجعلَها غنماً. قال: فما هي وَيْحك يا ليلى؟ قالت: مائة ناقة بِرِعائِها. فأمر لها بها، ثم قال: ألك حاجةٌ بعدها؟ قالت: تدفع إليَّ النابغةَ الجَعْدِيَّ[2] في قَرَن[3]، قال: قد فعلتُ، وقد كانت تهجوه ويهجوها. فأُبْلِغ النابغةُ ذلك ففرَّ هارباً عائذاً بعبد الملك، فاتَّبَعَتْه إلى الشام، فهرب إلى قُتيبة بن مسلم بخراسان، فاتَّبَعَتْه على البريد بكتاب الحجّاج إلى قُتيبة، فماتَتْ بقُوْمِس[4]، ويقال: بحلوان.

٩٨٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن عبد الجبار، قال: حدثنا أبو الطيِّب طاهر بن عبد الله الطَّبَري، قال: حدثنا القاضي أبو الفرج بن طرَّاد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو أحمد الخُتَّلي، قال: أنبأنا عُمر بن محمد بن الحكم النَّسائي، قال: حدثني إبراهيم بن زيد النَّيْسَابوري: أنّ ليلى الأخيلية بعد موت تَوْبَة تزوّجت، ثم إنّ زوجها بعد ذلك مرَّ بقبر توبةَ وليلى معه. فقال: يا ليلى هل تعرفين هذا القبر؟. فقالت: لا، قال: هذا قبر تَوْبَة، فسلِّمي عليه. قالت: امضِ لشأنك، فما تريد من توبة وقد بليت عظامه! قال: أريد تكذيبه، أليس هو الذي يقول:

ولـو أن ليلـى الأخيَلِيّـة سلَّمـت ... علـيَّ ودُونـي تـربـةٌ وصَفَـائِـحُ
لسَلّمْـتُ تسليـمَ البَشـاشـة أو زقـا ... إليها صدىً من جانِبِ القبر صائح

فوالله لا بَرِحْتِ أو تُسَلِّمي عليه. فقالت: السلام عليك يا توبةُ ورحمة الله وبارك لك فيما صِرْت إليه. فإذا طائرٌ قد خرج من القبر حتى ضرَب صَدْرَها فشهقَتْ شهقةً فماتت، فدُفِنت إلى جانب قبره، فنبتت على قبره شجرةٌ وعلى قبرها شجرةٌ، فطالتا فالتقيا.

٩٨٩ ـ ومن محاسن أشعار تَوْبَة:

يقـولُ رجـالٌ: لا يَضِيـرُك نَـأْيُهـا ... ألاَ كُـلُّ مـا شَـفَّ النفـوس يَضِيـرُهـا
أليـس يضـرُّ العيـنَ أن تُـدْمِـنَ البُكـا ... ويُمنَـع منهـا نـومُهـا وسـرورهـا
أرى اليـومَ يَـأتـي دون ليلـى كـأنّمـا ... أتَـتْ دون ليلـى حجـةٌ وشهـورهـا

---

(١) أُورى: أقدح. الزند: العود الأعلى الذي يقتدح به، والأسفل يسمى زَنْدة. ويقال: إنه لواري الزند ووريُّه: يكون ذلك في الكرم وغيره من الخصال المحمودة.

(٢) هو أبو ليلى قيس بن عبد الله بن عدس الجعدي العامري، شاعر زمانه، له صحبة، ووفادة، يُقال: عاش (١٢٠) سنة وقيل (١٨٠)، وقيل أكثر، وكان يتنقّل في البلاد، ويمتدح الأمراء، وشعره سائر كثير، عاش إلى حدود السبعين هجرية. انظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٧٧، أسد الغابة ٤/٢٢٣ و ٥/٢، والإصابة ٣/٥٣٧، والاستيعاب لابن عبد البر (١٢٩٧ ـ ١٥١٤).

(٣) القرن: حبل يشدّ به الأسير ويكون طرفه الآخر بيد الآسر.

(٤) قومس: كورة واسعة بين الري ونيسابور، في ذيل جبال طبرستان، قصبتها دامغان. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٧٠.

خليلَيَّ ما مِن ساعةٍ تَقِفَا بها ... من الليل إلاّ مثلُ أخرى نسيرها
حمامةَ بطنِ الوادِيَيْن ألاَ اسْلَمِي ... سقاكِ مِنَ الغُرِّ الغوادي مطيرها
أَبِيني لنا لا زال رِيشُك ناعماً ... وبَيْضُك في خضراء غضٌّ نضيرها
وكُنتُ، إذا ما زُرْتُ ليلى تَبَرْقعت ... فقد رابَني منها الغداة سُفورها
ألا يا صَفِيَّ النفس كيف تقولُها ... لو أن طَريداً خائفاً يستجيرُها
عليّ دماء البُدْن إنْ كان زوجها ... يرَى لِيَ ذنباً غير أنّي أزورُها
وإنّي إذا ما زُرْتُها قلتُ: يا اسلَمِي ... وما كان في قلبي لها ما يُضِيرها
وقد زعمَتْ ليلى بأنّيَ فاجرٌ ... لنَفسِي تُقاها أو عليها فُجورها

٩٩٠ ـ وله:

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلَّمَتْ ... عليَّ ودُوني تربة وصفائح
لسلَّمْتُ تسليمَ البَشاشة أوْ زَقَا ... إليها صدىً من جانب القَبْر صائحُ
إذا النّاس قالوا: كيف أنت؟ وقد بدَا ... ضمير الذي بي، قلتُ للناس: صالح
فهل تَبْكِني ليلى إذا مِتُّ قبلها ... وقام على قَبْري النساء النوائحُ
كما لو أصاب الموتُ ليلى بكَيْتُها ... وجادَ لها دارٌ مِنَ الدّمع سافحُ

٩٩١ ـ وله في أخرى:

فإنْ تَمنعوا ليلى وحُسْنَ حديثها ... فهل تمنعوا مِنِّي البكا والقَوَافيَا
فهلاَّ مَنَعْتُم إذ منعتم كلامَها ... خيالاً يُمَسِّينا على النَّأي هادِيا
يلومك فيها اللاّئمون فصاحةً ... فليتَ الهوَى باللاّئمين مكانيَا
لعَمْرِي لقد أسهدتني حمامةُ الـ ... ـعَقِيق وقد أبكيتُ مَنْ كان باكيا
ولو أنّ ليلى في بلادٍ بعيدةٍ ... بأقصَى بلادِ الله فالحُر واديا
لكانت حديثَ النّفس لا يَلْحني بها ... إذا عَلِق الرّكبُ الحديثُ فؤاديا[1]
ذكرتُكِ بالقُورِ التُّهامِيّ فأُصْدِعَتْ ... شجونُ الهوَى حتى بلَغْنَ التَّراقيا[2]
بِثَمْدِين لاحت نارُ ليلى وصحبتي ... بقَرْع الغَضا تُزجي القِلاصَ الخوافيا[3]

ومنهم: جَميل[4] وبُثَينة.

---

(١) لا يَلْحني: لا يَلُمْني.
(٢) القُور: الجبل الصغير. أصدعت: انشقت. التراقي: جمع تَرْقُوَة، وهي مقدّم الحَلْق في أعلى الصدر.
(٣) سبق هذان البيتان في قصيدة مجنون ليلى.
(٤) هو جميل بن عبد الله بن معمر العُذْري، أبو عَمْرو، الشاعر البليغ، يُحكى عنه تصوّن ودين وعِفّة. مات سنة (٨٢) هـ، وقيل: بل عاش حتى وفَد على عمر بن عبد العزيز، ونظمه في الذّروة لطافة =

٩٩٢ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنت أحمد قالت: أخبرنا جعفر بن أحمد قال: كنت مارًّا بين تيماء ووادي القُرى صادِراً من مكة، فرأيتُ صخرة عظيمة ملساء فيها تربيعٌ بقدر ما يجلس عليها النَّفر كالدِّكَة. فقال بعض من كان معنا من العرب ـ وأظنه جُهَنِيًّا ـ: هذا مجلس جميل وبثينة فاعْرِفْه.

٩٩٣ ـ أخبرتنا شُهْدَة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا أبو محمد الحَسن بن علي، قال: أنبأنا ابن حَيّويه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر، قال: أخبرنا المَدائني، قال: قال هشام بن محمد: سمعتُ رجلاً من بني عُذْرة يُحَدّث، قال: لما عَلِق جميلُ بُثينةَ وجعل يُشَبّب بها، استَعْدى عليه أهلُها رِبْعيَّ بن دجاجة، وهو يومئذ أمير تيماء. فخرج جميل هارباً حتى انتهى إلى رَجُلٍ من عُذْرة بأقصى بلادهم، وكان سيِّداً، فاسْتَجَار به. وكان للرجل سبع بنات، فلما رأى جَميلاً رَغِب فيه، فأراد أن يُزَوِّجه لِيَسْلُوَ عن بُثَينة، فقال لبناته: البَسْنَ ثيابَكُنّ وتَحَلَّيْنَ بأحسن حُلِيّكن، وتَعَرَّضْنَ له، فلعلّ عينَهُ أنْ تقع على إحداكنّ فأزوّجه إياها. قال: وكان جميل إذا أراد الحاجة أبْعَد في المَذهب، فإذا أقبل رَفَعْنَ جانب الخِباء، فإذا رآهن صرف وجهه. قال: ففعلن ذلك مراراً، فعرف جميلُ ما أراد به الشيخ. فقال:

حَلَفْتُ لِكَيْما تَعْلَمِينيَ صادقاً ... ولَلصِّدقُ خيرٌ في الأمورِ وأَنْجَحُ
لتَكْلِيمُ يومٍ واحدٍ من بثينةٍ ... ورؤيتُها عندي ألذُّ وأَمْلَحُ
مِنَ الدهر لو أخلو بكنّ وإنّما ... أُعالج قلْباً طامحاً حين يطمحُ[1]

فقال الشيخ: أَرْخِين عليكن الخِباء، فوالله لا يُفلح هذا أبداً!

٩٩٤ ـ أخبرنا هِبَةُ الله بن محمد بن الْحُصَين، قال: أنبأنا أبو محمد الحَسن بن عيسى بن المُقتدر، قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: أنبأنا الصُّولي، قال: حدثنا محمد بن زكريا الغَلَابيُّ، عن أبيه، قال: لما حضَرت الوفاة جميلاً بمصر، قال: من يُعْلِم لي بُثَينة؟ فقال رجلٌ: أنا. فلمّا مات صار إلى حَيِّ بُثينة فقال:

بَكَرَ النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثَوَى بمصرَ ثَواءَ غَيرِ قَفُولِ[2]
بكر النَّعيُّ بفارسٍ ذِي هِمّةٍ ... بطلٍ إذا حمَل اللواءَ مُدِيلِ[3]

= ورقّة وبلاغة. انظر: السير ٤/ ١٨١ و ٣٨٥، تاريخ الإسلام ٣/ ٣٤٧، البداية والنهاية ٩/ ٤٤.
(١) انظر هذه الأبيات والأشعار الآتية لجميل في ديوانه، طبع دار الكتاب العربي.
(٢) كنى بالشيء: ذكره ليدلّ به على غيره. غير قَفول: أي غير راجع.
(٣) مُديل: غالِب.

فسمعت بثينةُ فخرَجت مكشوفةَ الرأس، تقول:

وإنّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ ... منَ الدّهر ما حانت ولا حانَ حِينُها
سواءٌ علينا يا جميلَ بنَ مَعْمَرٍ ... إذا مِتَّ بأساءُ الحياة ولِينُها

٩٩٥ ـ وبلغنا من طرق أخرى عن جميل أنه لما حضرته الوفاة قال: من يأخذُ ناقتي وما علَيْها، ويأتي ماءَ بني فلان. ويُنشد هذَيْن البيتَيْن:

بَكَرَ النَّعيُّ وما كَنَى بجميلِ ... وثوَى بمصر ثَواءَ غيرِ قَفُولِ
غَدَر الزّمانُ بفارسٍ ذي هِمَّةٍ ... ثَبْتٍ إذا حَمَل اللواءَ نَزُولِ[١]

فلما قضَى حياته أتى الرّجلُ الماءَ، فأنشد البيتَيْن، فخَرجت بُثينة ناشرَةً شعرَها، شاقَّةً جَيْبَها، لاطِمَة خَدَّها، وهي تقول: يا أيها النّاعي بِفِيك الحَجر، أما والله لئن كنتَ كَذَبتني لقد فضَحْتَني، وإن كنت صدَقْتَني لقد قَتَلْتَنِي. ثم أنشأت تقول:

وإن سُلُوِّي عن جميلٍ لساعةٌ ... مِنَ الدّهر ما جاءَت ولا جاءَ حينُها
سواءٌ علينا يا جميلَ بنَ مَعْمَرٍ ... إذا مِتَّ بأساءُ الحياةِ ولينُها

ويقال: إنّها لم تقُلْ شعراً غيره.

ومن مستحسن أشعار جميل:

٩٩٦ ـ أخبرتنا شُهدة قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو الحسين التَّوَّزي قال: أنبأنا محمد بن الحَسن بن المأمون قال: حدثنا أبو بكر الأنباريُّ قال: قال جميلُ بن مَعْمَر:

خَلِيلَيَّ عُوجا اليومَ حتى تُسَلِّما ... على عَذْبةِ الأنْيَاب طَيِّبَة النَّشْرِ[٢]
فإنكما إنْ عُجْتُما لِيَ ساعةً ... شكَرْتُكما حتى أُغَيَّبَ في قبري
وإنّكما إنْ لم تَعُوجا فإنّني ... سأصْرِفُ وَجْدي فائْذَنا اليومَ بالهَجْرِ
وماليَ لا أبكي وفي الأَيْكِ نائِحٌ ... وقد فارقَتْني شَخْتَة الكَشْح والخصرِ[٣]
أَيَبْكي حمامُ الأَيْك مِن فَقْدِ إلْفِه ... وأصبِرُ؟ ما بي عن بُثينة مِنْ صبر
يقولُون: مسحورٌ يُجَنُّ بذِكْرها ... وأُقسِم ما بي من جُنون ولا سِحر
وأُقسمُ لا أَنْساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وما خَبَّ آلٌ في مُلَمَّعةٍ قَفْرِ[٤]

---

(١) نَزول: من النِّزال، والمراد القتال والحرب.
(٢) النّشر: الرائحة الطيّبة.
(٣) الأيك: الشجر الملتف. شختة الكشح: ضامرة الخصر.
(٤) ذرّ: أشرق. الشارق: الشمس. خَبَّ: خدع. الآل: السراب. الملمعة: الفلاة يلمع فيها السراب. القفر: لا ماء فيها ولا ناس ولا شجر.

ومـا لاحَ نجـمٌ فـي السمـاء معلَّـقٌ ... ومـا أَوْرَق الأغصـانُ مِـن ورق السِّـدْر
لقـد شَغَفَـت نفسـي بُثَيـنُ بـذِكْـركـم ... كمـا يُشغـف المخمـورُ يـا بَثْـنَ الخمـرِ
ذكـرتُ مقـامِـي ليلـة البَـان قـابِضـاً ... علـى كـفّ حَـوْراء المـدامِـع كـالبَـدْر
وكِـدْتُ ولـم أملِـك إليهـا صبـابـةً ... أَهِيـمُ وفـاض الـدّمـع منّي علـى النّحْـرِ
فيـا ليـت شعـري هـل أبِيتَـنَّ ليلـةً ... كَلَيلتنـا حتـى نـرَى سـاطِـع الفجـر
تجـودُ علينـا بـالحَـديـث وتـارةً ... تَجُـود علينـا بـالـرُّضـاب مـن الثَّغْـر
فليـت إلهـي قـد قضَـى ذاك مـرّة ... فيعلـمَ ربّـي حيـن ذلِـك مـا شُكـري
ولـو سـألَـتْ منّـي حيـاتـي بـذلتُهـا ... وجُـدْتُ بهـا إنْ كـان ذلـك عَـنْ أَمْـرِي

٩٩٧ ـ ومن أشعاره:

رأيتُـكَ تـأتـي البيـتَ تُبغِـضُ أهلَـه ... وقلبُك في البيت الـذي أنت هـاجِرُهْ
أجَـدّكَ لا يُنسيـك جُمْـلا وذكـرهـا ... تطـاوُلُ هـذا الليـل ثـم تقـاصُـرُهْ[1]

٩٩٨ ـ وله في أخرى:

طَـرِبْـتُ وهـاج الشّـوقُ منّـي وربمـا ... طـرِبْـتُ وأَبْكـانـي الحَمَـامُ الهـواتِـفُ
وأصبَحْـتُ قـد ضمَّنْـتُ صـدرِي حـرارة ... وفـي الصـدر بلبـالٌ تليـدٌ وطـارفُ[2]
إذا ذَكَـرَتْـكِ النفسُ ظَلْـتُ كـأنّنـي ... يُقَـرِّف قَـرْحـاً فـي فـؤاديَ قـارفُ[3]
وقلـتُ لقلـبٍ قـد تمـادى بـه الهـوَى ... وأبـلاه حـبٌّ مِـن بُثينـة رادِفُ:
لَعَمْـرُك لـولاَ الـذِّكـر لانقطـع الهـوَى ... ولـولا الهـوَى مـا جُـنَّ للبَيْـن آلـفُ
وصـاحَ بشَعْـب[4] الـدّار منّـا ومنهـمُ ... غَـداة ارْتَحَلْنـا للتفـرّق هـاتِـفُ

٩٩٩ ـ وله في أخرى:

ألا لا أُبـالـي جفـوةَ النّـاس بعـدمـا ... بـدَا منـكِ رأيٌ يـا بُثَيـنُ جميـلُ
ومـا لـم تُطيعـي كـاشِحـاً وتَبـدّلـي ... بِنـا بَـدَلاً أو بـانَ مِنـك ذُهـولُ[5]
وإنّ صَبـابـاتـي إليـكِ كثيـرةٌ ... بُثيـنُ ونسيـانيكُـمُ لقليـلُ

١٠٠٠ ـ وله في أخرى:

رَسْـمُ دارٍ وقفـتُ فـي طَلَلِـهْ ... كـدتُ أقضـي الحيـاةَ مـن جَلَلِـهْ

---

(١) أجدك: مالك، أو أبجدٌ منك هذا.
(٢) تليد وطارف: أي قديم وجديد.
(٣) قرَف القَرْح: قشّره. القارف: العائب.
(٤) شَعب الدار: تفرّق أهله.
(٥) الكاشح: العدو المبغض الذي يضمر العداوة.

مُـوحشـاً مـا تـرَى بـه أحـداً تنسـجُ الـرِّيـح ثـوبَ مُعْتَـدِلِـه
قـد أصـونُ الحـديـثَ دُون خليـلٍ لا أخـافُ الأذاةَ مـن قِبَلِـهْ
غيـر مـا بِغْضَـةٍ ولا لاجتنـابٍ غيـر أنّ المحـبَّ مِـن وَجَلـهْ

١٠٠١ ـ وله:

أصبحـتَ ودَّعـت الصَّبَـابَـةَ والجهـلا وقـال لـك الشيـبُ الـذي قـد عَـلاَ: مَهْـلاَ
وقـال الأُلـى كـانـوا لِـدَاتـكَ: هـل تـرى إلى الشيب، فاجْدُدْ جِدَّنَا وَدَعِ الهَزْلا(١)
فكيـف وقـد لَجَّـت مـنَ العَيـن نظـرةٌ لِبُثْنَـةَ تـأبَـى أن تُبـتَّ لهـا حَبْـلاَ
وتـرجـع عينـي بـالـرِّضـا مِـن لقـائهـا ولم تَكُ ترضَى البخلَ، ما أعْيَبَ الْبُخْلا
تـرى العيـنُ منهـا مـا لَـوَ أنـك قـادرٌ عليـه إذن لـم تَبْـغِ مـالاً ولا أهْـلاَ
بُثينـة مِـن صِنْـفٍ يقلِبْـن أيـدِيَ الـرُّ مـاةِ ومـا يحمِلْـن قَـوْسـاً ولا نَبْـلا
ولـو كُـنَّ يَصْطَـدْن القلـوب بشِكّـةٍ لم أعجب، ولكن كيف يصطدنها غزْلا!

١٠٠٢ ـ وله في أخرى:

فكَـم قـد رأينـا سـاعِيـاً بنميمـةٍ لآخـرَ لـم يعلـم بكـفٍّ ولا رِجْـلِ
إذا مـا تـذاكَـرْنـا الـذي كـان بينَنـا جَـرَى الـدمـع مـن عينـيْ بُثينة بـالكُحْـل
كِـلانـا بكـى أو كـاد يبكِـي صَبـابـةً إلـى إلْفِـه واستعجَلَـتْ عَبْـرَةً قبلـي
فيـا وَيْـحَ نفسِـي، حَسْبُ نفسي الـذي بهـا ويـا ويـح أهلـي مـا أُصيـب بـه أهلـي
ولـو تـركـتْ عقلـي معـي مـا طَلَبْتُهَـا ولكـنْ طِـلاَبيهـا لِمَـا فـات مِـن عَقْلـي
خليلـيَّ فيمـا عِشتُمـا هـل رأيتمـا قَتيـلاً بَكـى مـن حُـبِّ قـاتِلِـه قبلـي!
فـإن قَـرُبَـتْ لـم ينفـعِ القـربُ عنـدَهـا وإن بَعُـدَتْ زادَتْـك خَبْـلاً علـى خبْـلِ
أولئـك إنْ يَمْنَعْـنَ فـالمنـعُ شِيمـة لهـنّ وإن يُعْطِيـن يُعطيـن عَـنْ بُخـلِ

١٠٠٣ ـ وله في أخرى:

أَرَاعَـكَ بـالْبَيـنِ الخليـطُ المُـزايـلُ ومَـنْ وُدُّه فـي أسْـوَد القلـبِ داخـلُ
فقـد جعـلَ الليـلُ القصيـر لنـا بهـا علـيَّ بِـرَوْعـات الهـوَى يتطـاولُ
إذا مـا اعتَـرتْنـي لـوعـةٌ فـادَّكَـرْتُهَـا تجـدَّد وَجْـدي واعْتَـرَتْنـي البـلابـل
فِبِـتُّ نَجِيّـا للهمـوم مُسَهَّـداً ونـامَـتْ فلـم يـأْرَق لـذاك العَـوَاذِل
ألا رُبَّ لاحٍ لـو بَـلا الحـبَّ لـم يَلُـمْ ولكنـه مـن سَـوْرة الحـبّ جـاهـلُ(٢)

---

(١) لدَاتك: اللدّ: القرين والمِثْل.
(٢) اللاّحي: اللائم، بلا: اختبر وجرّب. سورة الحب: شدّته.

١٠٠٤ ـ وله في أخرى:

وَلَـرُبَّ عـارضـةٍ علينـا وصْلَهـا بـالجـدِّ تَخْلِطـه بقـول الهـازلِ
فـأجَبْتُهـا بـالقـولِ بعـدَ تستُّـر حُبِّـي بُثينـةَ عـن وصـالـك شـاغلـي
لـو كـان فـي قلبـي كَقَـدْرِ قُـلامـةٍ فضـلٌ وَصَلتُـكِ أو أتَتْـكِ رَسَـائلـي(١)

١٠٠٥ ـ وله في أخرى:

ولمَّـا عَصَيْـتُ النّـاصِحيـن ولـم أُطِـعْ مَقـالتهـم ألْقَـوْا علـى غَـارِبي حبْلِـي(٢)
بُثينـةُ إنّـي قـد عَصَيْـتُ عَـوَاذِلـي وإنّـك لا تَعْصِيـن مَـنْ لامَ مِـن أجلـي
تُـرِيـديـن قَتْلـي لا تُـرِيـديـن غيـره ومـاذا الـذِي يُـرضيـكِ يا بُثْنُ مِن قتلي؟

١٠٠٦ ـ وله في أخرى:

أهـاجَتْـكِ المعـارفُ والطُّلـول عَفَـوْن وخَـفَّ منهـنَّ الحلـولُ
نعـم، فـذكـرتُ دنيـا قـد تَقَضَّـتْ وأيُّ نَعِيـم دُنيـا لا يَـزُول!
بـرابيـةٍ تُجَـنُّ الـرِّيـح فيهـا كمـا جُنَّـتْ مُـوَلَّهـةٌ عَجُـولُ
أُسـائِـلُ دارَ بَثْنَـةَ أيـنَ حلَّـتْ؟ كـأن الـدّار تَفقَـهُ مـا أقـول
فَهَـمَّ صَحـابتـي أنْ يَعْـذِلـونـي فقلـتُ لهـم: أليـس لكـم عُقـولُ
مَـلامُكُـمُ علـيَّ أذىً وضُـرٌّ ومـوقـفُ سـاعـةٍ منكـم قليـلُ

١٠٠٧ ـ وله في أخرى:

ألاَ أيّهـا القلْـبُ اللَّجُـوجُ ألا تَسْلُـو ألسـتَ بـذِي عَقْـلٍ فينفَعُـك العقـلُ!
فتتـركَ هـذا الجَهْـل يـومـاً لغيـره إذا أنـتَ لـم يُعْـرَفْ لأمثـالِـك الجَهْـلُ
أظـنُّ هـواهـا تـارِكـي بِمَضَلَّـةٍ مِـنَ الأرض لا مـالٌ لَـديَّ ولا أهْـلُ
ولا أحـدٌ أقْضِـي إليـه وَصِيَّتـي ولا وارثٌ إلاّ المَطِيّـةُ والـرَّحْـلُ
مَحَـا حبُّهـا حُـبَّ الأُلـى كُـنَّ قَبْلَهـا وحلَّـتْ مكـانـاً لـم يكـن حُـلَّ مِـنْ قَبْـلُ

١٠٠٨ ـ وله في أخرى:

لَحَـى اللَّـهُ مَـن لا ينفـعُ الـوُدُّ عِنـده ومَـن حَبْلُـه إن مُـدَّ غيـرُ مَتِيـنِ
ومَـن هـو إن تُحْـدِثْ لـه العَيْـنُ نَظْـرةً يُقَطِّـعْ لهـا أسبـابَ كـلِّ قَـرِيـن
ومَـن هـو ذو لَـوْنَيـن ليـس بـدائـم علـى خُلُـقٍ خَـوّانُ كـلِّ أميـن
فليـتَ رِجـالاً فِيـكِ قـد نَـذَرُوا دَمِـي وهمُّـوا بقَتْلـي يـا بُثَيْـنُ لَقُـونـي

---

(١) قلامة الظفر: ما قطع من طرفه، ويضرب بها المثل في الشيء النزر القليل.
(٢) غاربي: كاهلي. وألقوا حبله على غاربه: تركوه لأمره ليعمل ما يشاء.

إذا مـا رَأَوْنـي طـالعـاً مِـن ثَنِيَّـةٍ ... يقـولـون: مـن هـذا؟ وقـد عَـرَفـونـي
يقـولـون لـي: أهـلاً وسهـلاً ومـرحبـاً، ... ولـو ظفـروا بـي سـاعـة قَتلـونـي
أرادوا لِكَيْمـا يقتلـونـي ولا يَـدُوا ... دَمِـي غيـرَ أنَّ الـواقِيـاتِ تَقِينـي
وكيـف ولا تُـوفِـي دِمـاؤُهـم دَمـي ... ولا مـالهـم ذو نَـدْهَـة فيَـدُونـي[1]

١٠٠٩ ـ وله في أخرى:

حَلَّـتْ بُثينـةَ مِـنْ قلبـي بمنـزلـةٍ ... بيـن الجَـوانِـح لـم ينـزِلْ بهـا أحـدُ
صـادَتْ فـؤادي بعينَيْهـا ومُبْتَسَـمٍ ... كـأنّـه حيـن أبْـدَتْـه لنـا بَـرَدُ
وعـاذِليـن لَحَـوْنـي فـي مـوَدَّتِهـا ... يـا ليتهـم وجَـدوا مثـلَ الـذي أَجِـدُ
لمَّـا أطـالـوا عِتـابي فيـكِ قلتُ لهـمْ: ... لا تُفْرِطُوا بعضَ هذا اللّوم، واقتصدُوا
قـد مـاتَ قَبْلـي أخـو نهـدٍ وصَـاحِبُـه ... مُـرَقِّـشٌ واشتفَـى مـن عُـروة الكَمَـدُ[2]
وكلّهـمْ كـان فـي عِشْـقٍ مَنِيَّتُـه ... وقـد وجَـدْتُ بهـا فـوق الـذي وَجَـدُوا
إنّـي لأَحْسَبُنـي أو كِـدْتُ أعلمُـه ... أنْ سَوْف يُورِدُني الحَوْضَ الذي وَرَدُوا!
إن لـم تَنِلْنـي بمعـروفٍ تَجُـود بـه ... أو يـدفـعِ اللّـهُ عنّـي الـواحِـدُ الصَّمـدُ

١٠١٠ ـ وله في أخرى:

أعـاذِلَتـي أَكْثَـرْتِ جَهْـلاً مـنَ الجَهْـلِ ... علـى غيـرِ شـيءٍ مِـنْ مَـلاَمٍ ومِـنْ عَـذْلِ
أعـاذلُ فـي حُبِّـي بُثينـةُ ضِلَّـةً ... وقـد سـار حُبّـي فـي عِظـامـي وفِـي عَقْلـي
كـأنّـكِ لا تَـدْريـن مـا وجْـدُ ذِي الهـوَى ... ولـم تَعْلَمـي فـي النّـاس ذا صَبْـوَةٍ قَبْلـي
يقُلْـنَ التَمِـس بـالنَّـأيِ للحُـبّ سَلْـوَةً ... ولـم يُلْـفَ طُـول النـأي عـن حبِّهـا يُسْلـي
وأنـتِ حـديـثُ النَّفْـسِ إن كنـتُ خـاليـاً ... وجِـدُّ حَـدِيثـي إن جَـدَدْتُ وفـي الهَـزْل
ومـا وَجْـد النَّهْـدِيُّ مِـن داخـل الهـوَى ... كـوجْـدِي ولا مَـن كـان ذا جِـدَةٍ قَبْلـي

١٠١١ ـ وله في أخرى:

تـذكَّـرتُ ذاتَ الخـالِ مِـنْ فَـرْط حُبّهـا ... ضُحـىً والعِتَـاقُ اليَعْمـلاتُ بنـا تَخْـدِي[3]
فمـا ملكَـتْ عَيْنَـايَ حيـن ذكـرتُهَـا ... دُمـوعهمـا كـالنَّظْـم تَجْـرِي علـى خَـدّي
فعنَّفَنـي صَحْبـي وقـالـوا: مِـنَ الهـوَى ... بكيـتَ! ولـو كـانـوا بهـا وَجَـدُوا وَجْـدي

---

(١) الندهة: الكثرة من المال من صامت أو ماشية.
(٢) أخو نهد: عبد الله بن عجلان النهدي. مرقّش: عوف (أو عمرو) بن سعد الضبيعي المعروف بالمرقش الأكبر. عروة: عروة بن حزام العذري. والثلاثة من الشعراء العشاق المتيمين.
(٣) ذات الخال: اسم مكان. النوق العتاق: السريعة الشابة الكريمة الأصل، واليعملات: النوق النجيبة الفارهة السريعة المطبوعة على العمل.

لما عَنَّفُوني في البُكاء من أجلها ... ورَبَّ مِنيَ لكن شُغِفْتُ بها وَحْدي
وقالوا: لقد كنّا عَهِدْناك مرّة ... جَليداً، فما هذا بفِعْل الفتى الجَلْدِ
ألا تَرْعَوي مِنْ أنْ يَشُوقُكَ ذِكْرُها ... وأنْتَ على هَوْلٍ تَسِيرُ مع الوَفْدِ
فقلتُ: ذَرُوا لَوْمِي فلستُ وإنْ نَأَتْ ... بمُنْصَرِفٍ عنها هوَاي ولا وُدِّي
ولستُ وإن شطَّتْ بها غُرْبَةُ النَّوَى ... بناسٍ هواها أو أُغيَّبَ في لَحْدِي
وما كُنْتِ لي إلاّ خَيالاً وفِتْنَةً ... فيا ليتَ أنّي مِتُّ إذ كنتُ في المَهْد
ولم أكُ في الدّنيا عَلِقْتُ عَلاقة ... وما كان عِرْفانيكِ إلاّ شَقا جَدِّي

فصل: وقد ذُكِر في المشتهرين بالعشق: كُثَيِّرٌ[1] عزة، وليس بذاك.

فإنّ عزَّة تنكَّرَت له فلَم يَعرِفْها فمال إليها، فقالت: فأَيْنَ قولك في عَزّة؟ فقال: لو كانت عزّة لي لجعلتها مملوكةً لكِ. وسنذكر قصته هذه في باب أدوية العشق عند ذكر التسَلّي[2]. ومن يكون على مثل هذه الحال، فليس بصادق في المحبّة.

على أنّ قوماً قد فَضّلوا كُثَيِّراً على جَميل في المحبّة بقوله:

هَنِيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ ... لعَزّة مِن أعراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ[3]

١٠١٢ ـ فأخبرتنا شُهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السَّرَّاج، قال: أنبأنا القاضي أبو الطيب الطبري، قال: حدثنا المعافَى بن زكريا، قال: حدثنا محمد بن يحيى الصُّولي، قال: حدثنا محمد بن يزيد، قال: حدثنا ابنُ عائشة، قال: حدثني أبي، قال: حدثني رجل من بني عامر بن لُؤَي، ما رأيت بالحجاز أعلم منه، قال: حدثني كثير، أنه وقف على جماعة يفيضون فيه وفي جميل، أيهما أصدق عشقاً؟ ولم يكونوا يعرفونه بوجهه، ففضَّلوا جميلاً في عشقه، فقلت لهم: ظلمتم كثيِّراً، كيف يكون جميل أصدق عشقاً من كثير، وإنما أتاه عن بثينة بعض ما يكره فقال:

رمَى اللّهُ في عَينيْ بُثينة بالقَذَى ... وفي الغُرِّ من أنيابها بالقَوَادِحِ

والقوادح: ما يَنقُبها ويعيبها، وكثيِّر أتاه عن عَزَّة ما يكره فقال:

---

(١) هو أبو صخر، كُثَيِّر بن عبد الرحمٰن بن الأسود الخُزاعي المدني، من فحول الشعراء العشاق. وكان قد تتيّم بعزّة، ـ والبعض يشكّك في ذلك ـ وشبّب بها، وبعضهم يُقدّمه على الفرزدق والكبار، مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة (١٠٧) هـ. انظر: السِّيَر ٥/١٥٢، وتاريخ الإسلام ٤/١٨٦ فما بعدها، وشذرات الذهب ١/١٣١.

(٢) انظر رقم (١٢٠٦).

(٣) انظر هذا البيت وما سيأتي من أشعار كثير عزة ديوانه، طبع دار الكتاب العربي.

هَنِيئاً مَرِيئاً غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ لعَزّة مِن أعراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

قال: فما انصرفوا إلاّ على تفضِيلي.

قلت: لَعَمري إنّ قول كُثَيِّر يدلّ على شدّة محبته، غير أنّ فعله على ما سنذكره من اختيارِ غيرها، مقدّم على قولِه المحتمِل للصدق والكذب، والذي يصدر لا عن إرادة.

١٠١٣ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر قالا: أنبأنا أبو الحَسن بن عبد الجبار قال: أنبأنا الجَوْهري قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه قال: أنبأنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن الزُّبير بن بكّار قال: كتب إليَّ إسحاقُ بن إبراهيم المَوْصِلي يقول: حدثني أبو المُشَيّع قال: خرج كُثَيِّر يلتمس عزّة ومعه شُنَينة[1] فيها ماء، فأخذه العَطش فتناول الشُّنينة فإذا هي عَظْمٌ ما فيها شيء من الماء، ورُفِعَت له نار، فأمَّها فإذا بقُرْبها مظلّة بفَنائها عجوز، فقالت له: مَن أنت؟ قال: أنا كُثَيِّر، قالت: قد كنت أتمنّى ملاقاتك، فالحمدُ لله الذي أرانيك. قال: وما الذي تلتَمِسينه عندي؟ قالت: ألسْتَ القائل:

إذا ما أتَتْنا خُلَّةٌ كي نُزِيلها أبَيْنا وقُلْنا الحاجبيَّةُ أولُ

قال: بلى. قالت: أفلا قلت كما قال سيِّدك جميل:

يا رُبَّ عارضةٍ علينا وَصْلَها بالجِدِّ تخلطه بقول الهازلِ
فأجبتها في القول بعد تأمّل حُبّي بُثينةَ عن وِصالِك شاغلي
لو كان في قَلْبي كقَدْر قُلامةٍ فضلٌ لغيرِك ما أتتك رسائلي

قال: دعي هذا واسقيني ماءً. قالت: والله لاسقيتُك شيئاً. قال: وَيْحَكِ إنّ العطش قد أضرَّ بي. قالت: ثَكِلَتْ بثينة إن طعِمْتَ عندي قطرة. فكان جهده أن ركض راحلته، ومضى يطلب الماء، فما بلغَه حتى ضُحى النّهار وقد كَرَبَ[2] أن يقتله العطش.

١٠١٤ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، وشُهدة بنت أحمد، قالا: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج. وأنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قالا: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: أنبأنا علي بن عيسى الرُّمَّاني[3]، قال: أنبأنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: أنبأنا عبد الأول بن مُريد، قال: أخبرني حمَّاد بن إسحاق، عن أبيه، قال: خرج كُثَيِّر يُريد عبد العزيز بن مَروان، فأكرمه ورَفع منزلته وأحسن جائزته، وقال: سَلْني ما شئتَ منَ الحوائج. قال: نعم، أُحبّ أن تنظر

---

(١) شنَيْنة: مصغر: شَنّ، وهي القِربة الخَلَق البالية.
(٢) كَرَب: قارب.
(٣) علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرّمّاني، أبو الحسن، النحوي المتكلم. توفي سنة (٣٨٤) هـ. انظر: الأنساب ٨٩/٣، واللباب ٣٦/٢، ولب اللباب ٣٥٨/٢. والأعلام ٣١٧/٤.

لي من يعرف قبرَ عزّة فيَقِفني عليه. فقال رجل من القوم: إنّي لعارف به، فانطلَق به الرجل حتى انتهَى به إلى موضع قبرِها، فوضَع يده عليه وعيناه تجريان، وهو يقول:

وَقَفْـتُ علـى رَبْـعٍ لعَـزَّة نـاقتـي ... وفـي البُـرْد رشَّـاشٌ مـن الـدّمـع يسفـحُ
فيـا عـزُّ أنـتِ البـدرُ قـد حـال دونَـه ... رَجيـع التّـراب والصَّفِيـح المضـرَّحُ[1]
وقـد كنـتُ أبكـي مـن فِـراقـك حِقْبَـةً ... فهـذا لعَمْـري اليـوم أنـأى وأنـزح[2]
فهـلاّ فـدَاك المـوتَ مَـن أنـت زَينُـه ... ومـن هـو أسْـوا مِنـكِ حـالاً وأقبـح
ألا لا أرَى بعـد ابنـةِ النّضـر لـذّة ... لشـيءٍ ولا مِلْحـاً لِمَـنْ يتملَّـح
فـلا زال وادي رَمْـسِ عَـزّة سـائـلاً ... بـه نعمـة مِـنْ رحمـة الله تَسْفـح
فـإنّ التـي أحبَبْـتُ قـد حـال دونهـا ... طـوالُ الليـالـي والضّـرِيح المـوَجَّحُ[3]
أرَبَّ بعينـيَّ البُكـا كـلّ ليلـة ... فقـد كـاد مجـرَى دمـع عينـيَّ يَقْـرَحُ
إذا لـم يكـن مـاء تحلَّبتـا دَمـاً ... وشـرُّ البكـاءِ المستعـارُ المُمتَّـحُ[4]

فصل: وقد اشتهر بالعشق جماعة يطول ذكرهم، وجمهورهم مذكور في غضون كتابنا، وإنما ذكرنا الذين اشتدت شهرتهم، فلنقتصر على ذلك.

* * *

(١) رجيع التراب: التراب الذي أُخرِج من الحفرة ثم أعيد إليها. الصفيح: جمع صفيحة، وهي الحجر العريض الرقيق تسقف به القبور وتُبلَط به الدّور. المضرّح: المشقوق المُعَدّ للضريح وسط القبر.
(٢) أنأى وأنزح: أبعد.
(٣) في ديوان كثيّر: المصفّح، وهما بمعنى واحد.
(٤) في ديوان كثير: المُسَيّح، والممتح: المنتزع.

البابُ الثاني والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ مَنْ حَمَلَهُ العِشْقُ على أنْ زَنا بمحارِمِهِ

١٠١٥ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن سعيد النَّصِيبِي، قال: حدثني أبو الحسن بن نُجَيح، قال: حدثني رجل مستور كان لي صديقاً، وكان ينزل بقُرْب مقابر الخَيْزَرَان ببغداد، قال: رأيت ليلةً في منامي كأنّي قد اطلعتُ مِنْ داري إلى المقبرة، على رَسْمي في ذلك في اليقظة، فإذا أنا بالقبور مُفَتَّحة، وأهلها يخرجون منها شُعْثاً غُبْراً[١] حُفاة عُراة، فيجتمعون في موضع منها حتى لم يبق قبر إلاّ خرج مَن كان فيه، ثم ضجّوا بالبكاء والدُّعاء والابتهال إلى الله تعالى في أن يصرفَ عنهم دَفْنَ المرأة التي تُدفن عندهم في غَدٍ، فكأنّي قد سألت بعضهم، فقال: هذه امرأة من أهل النّار، وإنْ دُفِنت عندنا تأذَّيْنا بسماع عذَابِها وما يجرِي عليها؛ فنحن نسأل الله صَرْفَ دَفْنِها عنا.

قال: فانتَبَهْتُ فعَجِبْتُ من هذا عَجباً شديداً، وطال الليلُ بي.

فلمّا أصبحتُ سألت الحفَّارين: هل حَفروا قبراً لامرأة؟ فدَلّني بعضُهم على قُبّة عظيمة لقوم مِنَ التّجار مَياسِير، قد ماتت زوجةُ أحدِهم، ويُريد دفنها في القبر، وقد حُفِر لها.

قال: فقصَصْتُ الرؤيا على الحفّارين، فطمُّوا القبر في الحال. وراعَيْتُ أمرَ المرأة؛ فجاء رُسُل القوم يسألون عن القبر؛ فقال الحفّارون: إنّ الموضِع ليس يتأتّى فيه قبرٌ لأنّا قد وَقَعْنا على حَمْأَة[٢] تحت الأرض لا يثبت فيها مَيّت. فَسَألوا جماعة من أصحابِ القِباب أن يحفروا عندهم؛ فأبوا عليهم، وكان الخَبر قد اشتهر بين الحفّارين وانتشر؛ فمَضوا إلى مقبرة أُخرى فحفروا للمرأة. فاستَدْلَلْت على الموضِع الذي تخرُج منه الجنازة، فدُلِلْت.

فحضرتُ وشَيَّعْتُ الجنازة، وكان الجمع عظيماً هائلاً، والرّجل جَليلاً، ورأيتُ خلف الجنازة فتًى مُلْتَحِياً حسَن الوجه، ذُكِر أنه ابنُ المرأة، وهو يُعزَّى وأبوه، وهما وقيذان[٣]

---

(١) الأشعث: الثائر الرأس متفرّق الشعر. والغبر: جمع أغبر، وهو الذي علاه الغبار.
(٢) الحَمْأ: الطين الأسود.
(٣) وَقيذان: مثنّى وَقِيذ، وهو الشديد المرض المشرف على الموت. والمراد هنا شدة حزنهما.

بالمُصيبة. فلمّا دُفِنت المرأة تقدّمْتُ إليهما. فقلت: إنّي رأيت في منامي في أمرِ هذه المتوفَّاة، فإنْ أحْبَبْتما قصَصْتها عليكما؟ فقال الشيخ الذي هو زوج المتوفاة: أمّا أنا فما أُحِبُّ ذلك؛ فأَقْبَل الفتى فقال: إنْ رأيتَ أن تفعل. فقلت: تَخْلُو معي. فقام، فقلتُ: إن الرؤيا عظيمة فاحتَمِلْنِي. قال: قُل. فقصَصْتُ عليه الرؤيا، وقلتُ: يجِب لك أن تنظرَ في هذا الأمر الذي أَوْجَب مِنَ الله لهذه المرأة ما ذكرْتُه لك، فتجتَنِبَ مثلَه، وإنْ جاز أن تُعَرِّفْنِيه لأجتنب مثلَه فَافْعَل. فقال: والله يا أخي، ما أعرِف من حالِ أُمي ما يُوجب هذا، أكثرَ مِنْ أنّ أُمي كانت تَشربُ النَّبِيذ، وتسمعُ الغِناء، وتُرْمَى بالنّساء، وما يُوجِب هذا الأمر العظيم، ولكِنْ في دارنا عجوز لها نحو تسعين سنة هي دَايَتُها، وماشِطَتُها، فإن نَشَطْتَ صِرْتَ معي فسألناها، فلعلّها تُخبرنا بما يُوجب هذا، فنَجْتَنِبَه.

فقُمْتُ معه فقَصدنا الدّار التي كانت للمتوفّاة، فأَدْخلني إلى غرفة فيها، وإذا بعجوز فانِيَة، فخاطبها بما جرَى، وقَصَصْتُ أنا عليها الرؤيا. فقالت: أسألُ الله أن يغفرَ لها، كانت مُسْرِفة على نفسِها جداً. فقال لها الفتَى: يا أُمّي، بأكثر من الشّراب والسماع والنساء؟ فقالت: نعم يا بني، ولولا أن أسوءك لأَخْبَرْتُكَ بما أعلم. إنّ هذا الذي رآه هذا الرجلُ قليل مِنْ كثيرِ ما أخاف عليها من العذاب. فقال الفتى: أُحِبّ أن تُخْبِريني. ورَفَقْتُ أنا بالعجوز، فقلتُ: أخبرينا لنَجْتَنِبَه ونتَّعِظ به. فقالت: إن أخبرتُكم بجميع ما أعرفه منها، ومِنْ نفسي معها طال، وبكَت، وقالت: أمّا أنا فقد علِم الله أنّي تائبة منذ سِنين، وقد كنت أرجو لها التوبة فما فَعلت، ولكن أُخبركم بثلاثةِ أحوال مِن أفعالها، وهي عندي أعظمُ ذنوبها. فقلنا: قولي.

فقالت للفتى: كانت من أشدّ الناس زِناً، وما كان يمضِي يوم إلاّ تُدْخِل إلى دار أبيك بغيرِ عِلْمه الرّجل والرّجلَيْن، فيطَأُونها ويَخرُجون، ويكون دخولهم بألوان كثيرةٍ من الحِيَل، وأبوك في سُوقه. فلمّا نشَأْتَ أنت وبلَغْت مبلغ الرِّجال خَرَجْتَ في نهاية الملاَحة، فكنتُ أراها تنظر إليك نظر شَهوة، فأَعْجَبُ من ذلك. إلى أن قالت لي يوماً: يا أُمّي قد غلبَ على قلبي عِشقُ ابني هذا، ولا بدّ لي أنْ يَطأني، فقلتُ لها: يا بِنْتي اتّق الله ولك في الرِّجال غيره متسع، فقالت: لا بدّ من ذلك، فقلتُ: كيف يكون هذا أو كيف يجيئك وهو صبِيّ وتفتضحين ولا تَصِلين إلى بُغيتك، فدَعي هذا لله عزّ وجلّ. فقالت: لا بد أن تساعديني، فقلتُ: أعمل ماذا؟ فقالت: تَمْضِين إلى فلان المُعَلِّم ـ وكان مُعلِّماً في جِوارنا أَدِيباً، ورَسْمه[1] أن يكتب لها رِقاعاً إلى عشّاقها، ويُجِيب عنها، فتُبِرُّه وتُعْطِيه في كلّ وقت ـ فقالت: قولي له يكتب إليهِ رُقْعَة يذكر فيها عِشقاً وشَغَفاً ووَجْداً، ويسأله الاجتماع، وأَوْصِلي الرّقعة كأنّها من فلانة ـ وذكَرت صبيّة مِنَ الجِيران مَلِيحة ـ.

---

(١) أي: عَمَله.

قالت العجوز: ففعلتُ ذلك وأخذتُ الرّقعة وجئتُك بها. فلما سمِعْتَ ذكر الصبِيّة التهب قلبُك ناراً، وأجَبْت عن الرّقعة تسألها الاجتماع عندها، وتذكر أنه لا موضع لك، فسلَّمْتُ الجواب إلى والدتك. فقالت: اكتبي إليه عن الصّبِيّة أن لا موضع لها، وأنّ سبيل هذا أن يكون عنده، فإذا قال لك: ليس لي موضع فأعدِّي له الغرفة الفُلانِيّة وافرِشِيها، واجعلي فيها الطِّيب والفاكهة، وقولي له: إنّها صبية وهو ذا نستحي، ولكن عِشْقك قد غلب وهي تجيئك إلى ها هنا ليلاً ولا يكون بين أيديكما ضوء، حتى لا تَسْتَحِي هي ولا تَفْطُن والدتُك بالحديث ولا أبوك، إذا رأَوْا في الغرفةِ ضوء سِراج، فإذا أجابَكِ إلى هذا فأَعْلِميني.

قالت: ففعلتُ ذلك، وأجَبْتَ أنت إلى هذا، وتَقرّر الوَعْد ليلة بعينِها، وأَعْلَمْتُها، فلبِسَت ثياباً وتبَخّرت وتطيّبت وتعطّرت، وصعَدت إلى الغرفة، وجئتَ أنت وعندك أنّ الصبية هناك، فوقَعْتَ عليها وجامَعْتَها إلى الغداة، فلما كان في وقت السحر جئتُ أنا وأيقظْتُك وأنزلتك وأنت نائِم، وكان صعودها إليك بعد أن نام أبوك. فلمّا كان بعد أيام قالت لي: يا أمّي قد والله حَبِلْتُ من ابني، فكيف الحِيلة، فقلتُ: لا أدري. فقالت: أنا أدري. ثمّ كانت تجتمع معَك على سبيلِ الحِيلة التي عَرّفْتُك، إلى أن قارَبَت الوِلادة. فقالت لأبيك: إنّها عَلِيلة، وقد خافت على نفسِها التّلَف، وإنّها تُريد أن تمضي إلى بيت أمّها فتَتَعَلّل هناك، فأذِن لها ومَضَت، وقالت لأمها إنّها عليلة، فأُدْخِلَتْ وأنا معها في حُجْرة من دارها، وجئنا بقابِلة، فلمّا ولدَت قتلت ولدها، وأخرجَتْه فدفنته على حِيلة وسِتْر، وأقامت أياماً وعادت إلى منزلها. فقالت لي بعد أيام: أريد ابني، فقلت: وَيْحك ما كفَاك ما مضَى؟ فقالت: لا بد، فجئتك على تلك الحِيلة بعَيْنها، فقالت لي من غد: قد واللهِ حَبِلت، وهذا والله سبب موتي وفَضِيحتي، وأقامَتْ تجتمع معك على سَبيل الحِيلة إلى أن قاربَت الوِلادة، فمضَت إلى أمّها وعَمِلَت كما عَمِلت، فولدَتْ بنتا مَلِيحة، فلم تَطِب نفسُها بقتلها، وأخَذْتُها أنا منها ليلاً، فأخرَجْتُها إلى قوم ضُعفاء لهم مولود، فسلّمْتُها إليهم وأعطيتُهم من مالَ أبيك دراهم كثيرة، ووافقتهم على إرضاعها والقيام بها، وأن أُعطِيَهم في كلّ شهر شيئاً بعَيْنِه، وكانت تُنفِذُه إليهم في كلّ شهر وتُعطيهم ضِعْفه، حتى تُدَلّل الصّبية، وتُوفد إليها الثِّياب النّاعِمة، فنشأت في دَلال ونِعْمة، وهي تَراها في كلّ أيام إذا اشتاقتها.

وخطب أبوك عليك مِنَ النّساء، فتزوجْتَ بزوجتِك الفلانية، فانقطع ما بينك وبينها، وهي مِن أشدّ الناس عِشْقاً لك وغَيْرة عليك من امرأتك، ولا حِيلة لها فيك. حتى بلغَتِ الصّبِيّة تسع سنين، فأَظْهَرت أنّها مملوكة قد اشْتَرَتْها ونقَلَتْها إلى دارها لتراها كلّ وقت لشدّة محبّتها لها، والصّبِية لا تعلم أنّها ابنتُها، وسَمّتها باسم المماليك.

ونشأتِ الصبية من أحسن الناس وجهاً، فعلّمَتْها الغِناء بالعُود فبرَعَت فيه، وبلغَتْ مبلغ النساء. فقالت لي يوماً: يا أمي هو ذا تَرَيْن شَغفي بابنتي هذه، وإنّه لا يعلم أنّها ابنتي غيرُك،

ولا أقدر على إظهار أمرها، وقد بَلغَتْ حدًّا إن لم أُعَلِّقْها برجل خِفْت أن تخرج عن يَدِي، وتلتمِسَ الرجال وتلتمس البيع، وتظنّ أنّها مملوكة، وإن منعتها تَنَغَّصَ عيشُها وعيشي، وإن بِعْتها وفارَقْتُها تَلِفَتْ نفسي عليها، وقد فكّرت في أنْ أَصِلَها بابني. فقلتُ: يا هذه، اتقي الله يكفِيك ما مضَى. فقالت: لا بدّ من ذلك، فقلتُ: وكيف يتم هذا الأمر؟ قالت: امضي واكتُبي رُقْعة تذكرين فيها عِشقاً وغراماً، وامضِي بها إلى زوجة ابني، وقولي لها: إنّها من فلان الجندي جارنا ـ وذكَرَتْ لها غلاماً حين بَقَل عذاره[1]، في نهاية الحُسْن ـ قد كانت تَعْشقه ويعشقها، وارْفُقي بها، واحتالي حتى تأخُذِي جوابها إليه. ففعلتُ، فلحِقَني من زوجتك امتهانٌ وطَرْد واستخفاف، فتردّدت إليها، وما زلت بها حتى درّ مَتْنها، فقرَأتِ الرّقعة وأجابت عنها بخطّها، وجئتُ بالجواب إلى أمّك فأخذَتْه ومضَت به إلى أبيك، فشَنَّعَتْ عليها وألْقَت بينها وبين أبيها وأبيك وبين أمّها شرًّا كنّا فيه شهوراً، إلى أن انتهَى الأمر إلى أن طالبَك أبوك بتطلِيق زوجتك، أو الانتقال عنه، وأن يهجُرَك طُول عمرِه، وبذَل لك وَزْن الصّداق من ماله، فأطعْتَ أبويْك، وطلقتَ المرأة، ووزَن أبُوك الصّداق. ولحقك غمّ شديد وبُكاء وامتِناع عن الطعام، فجاءتك أمّك وقالت لك: لم تغتَمّ على هذه القَحْبَة؟ أنا أَهَبُ لك جاريتي المغنّية، وهي أَحسن منها، وهي بِكْر وصالحة، وتلك ثيّب فاجِرةٌ، وأَجْلُوها عليك كما يُفعَل بالحرائر، وأُجَهِّزها من مالي ومال أبيك بأحسن من الجهاز الذي نُقل إليك. فلمّا سَمِعْتَ ذلك زال غمُّك، وأَجَبْتها فوافَقْتَ على ذلك، وأصلَحت الجهاز وصاغَتِ الحُلِيّ عليك، وأَوْلَدْتَها أولادَك هؤلاء، وهي الآن قَعِيدة بيتك.

فهذا باب واحدٌ مما أعرفه مِن أمّك. وباب آخر، وبدأَتْ تُحدّث. فقال: حَسْبي، حَسْبي، اقطَعِي، لا تقولي شيئاً، لعن الله تلك المرأة ولا رَحِمها، ولعَنَكِ معها، وقام يستغفرُ الله، ويبكي، ويقول: خَرِب واللهِ بيتي، واحتجتُ إلى مفارقة أمّ أولادي. وأخذ بيدي، وقُمت وفي قلبِي حَسْرة، كيف لم أسمع باقي ما أرادَتِ العجوزُ أن تحدثَنا به.

١٠١٦ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: حدثني إبراهيم بن علي النَّصِيبِي، قال: حدثني أبو بكر النّحوي، قال: حدثني أبو علي بن فتح، قال: حدثني أبي، قال: كنت سنة من السِّنين جالساً في دَرْبي، إذ دخل رجل شابٌّ حسن الوجه والهيئة وعلَيْه أثر نِعمة، فسأل عن دارٍ فارغة في الدَّرْب يَكْتَريها[2]، وكان أكثر الدَّرْب لي، فقمتُ معه إلى دار فيه كبيرة حسنة فارغة، فأريته إياها، فاستحسنها ووَزَن لي أجرتها لشهر، وأخذ المفتاح. فلمّا كان من غدٍ جاء وجاء معه

---

(١) بَقَل عذَاره: أي نبت شعر خدّه.
(٢) يَكْتَريها: يستأجرها.

غلام، ففتحا الباب وكنَس الغلامُ الدارَ ورَشّ، وجلس هو، ومضَى الغلام، وعاد بعد العصر ومعه عِدّة حَمّالِين وامرأة، فدَخلوا الدّار وأغلق الباب فما سمعنا لهم حركة، وخرج الغلام قبل العشاء، وبقي الرجل والمرأة في الدار، فما فتحا الباب أياماً. ثم خرج إليّ في اليوم الرّابع، فقلت: ويحك، ما لك؟ فأومأ إلى أنه مستتر من دينٍ عليه، وسألني أن أندب[1] له رجلاً يَبتاع له كلّ يوم ما يُريده دفعة واحدة، ففعلتُ فكان يخرج في كلّ أسبوع فيَزن دَراهم كثيرة، فيُعطيها للغلام الذي نصبته له ليشتري له بها ما يَكفيه لطول تلك الأيام منَ الخبز واللحم والفاكِهة والنّبيذ والأَبْقال، ويصبّ الماء في الْحِباب[2] الكثيرة التي قد أعدّها لتلك الأيام، ولا يفتح الباب أو ينقضي ذلك الزّاد. فكان على هذا سنة، ولا يجيء إليه أحد، ولا يخرج من عنده أحد، ولا أراه أنا ولا غيري، إلى أنْ جاء في ليلة وقتَ المغرب، فدَقّ بابي، فخرجتُ، فقلتُ: ما لك، فقال: اعلم أَنّ زوجتي قد ضرَبها الطلقَ، فأَغِثْني بقَابِلَة، وكان في داري قابلة لأمّ أولادي، فحمَلْتها إليه، فأقامت عنده ليلتها، فلمّا كان من الغدِ جاءتني فذكَرَتْ أنّ امرأته ولدت في الليل بنتاً، وأنّها أصلحت أمورَها، وأنّ النُّفَساء في حالة التَّلَف. وعادت إليها.

فلمّا كان في وقت الظّهيرة ماتت الجارية، فجاءَتِ القابِلَة فأخبرتْنا، فقال: الله الله أنْ تَجِيئَني امرأةٌ أوْ يلطم أحد، أو يجيء أحد من الجيران فيُعَزِّيني أو يصير لِي جَمْع.

ففعلت ذلك ووجدته منَ البكاء والشَّهيق على أمر عظيم، فأحضرت له الجنازة بين العِشاءَيْن، وقد كنت أنفَذْت مَنْ حفَر قبْراً في مقبرة قريباً مِنّا، فانصرف الحفّارون لمَّا أَمْسُوا، وقد كان وافَقَني على صرْفهم، وقال: لا أريد أن يرانِيَ أحدٌ، وأنا وأنت نحمل الجنازة إن تفضّلْت بذاك، ورَغِبْتَ في الثواب، ونَلِي دفنها، فاستحيَيْتُ، وقلت له: أفعل.

فلما قَرُبَتِ العتمة خرَجْت إليه، فقلت له: تُخْرِجُ الجنازة؟ فقال: تتفضل أولاً تنقل هذه الصَّبِيّة إلى دارك على شرط. قلت: وما هو؟ قال: إنّ نفسي لا تُطيق الجلوس في هذه الدّار بعد صاحبتي ولا المقام في البلد، ومعي مال عظيم وقماش، فتفضّل بأخذه، وتأخذ الصبيّة، وتُنفق عليها من ذلك، من أثمان الأمتعة إلى أن تكبر الصبية، فإن ماتت وقد بقي منه شيء فهو لك، بارك الله لك، وإن عاشت فهو يكفيها إلى أن تبلغ مبلغ النساء، فحينئذ تُدَبِّر أمرها بما ترى، وأنا أمضي بعد الدفن فأخرج عن البلدة. فوعَظْتُه وثَبَّتُّه فلم يكن إلى ذلك سبيل. فنقلتُ الصَّبِية إلى بيتي، وحمَل الجنازة وأنا معه أساعده، فلما صرنا على شَفِير القبر، قال لي: تتفضل وتبتعد، فإنّي أريد أن أودِّعَها فأكشف وجهَها فأراه ثم أدفنها. ففعلتُ، فحَلَّ

---

(١) أندب: أستدعي.

(٢) الحِباب: الجِرار والخوابي.

وجهها وأكَبّ عليها يُقَبّلها، ثم شدّ كفَنها وأنزلها القبر، ثم سمعت صيحة من القبر، ففزعت فجئت فاطلعت، فإذا هو قد أخرج سيفاً كان معلقاً تحت ثيابه مجرّداً، وأنا لا أعلم، فاتكأ عليه فدخل في فؤاده وخرج من ظهره، وصاح تلك الصيحة، ومات، كأنّه ميت من ألف سنة. فعجبْتُ من ذلك عجباً شديداً وخفت أن يُدرَك فيصير قصّة، فأَضْجَعْتُه فوقَها في اللَّحْد، وغيَّبتُ عليهما اللَّبِن، وهِلْتُ التراب وأحكمتُ أمر القبر، وصببتُ عليه جِرار ماء كانت لنا في المكان، وعدت فنقلْتُ كلّ ما كان في الدّار إلى داري وعَزّلته من بيته، وختمته[1]، وقلت: هذا أمر لا بد أن يظهر له عاقبة، وما كان ينبغي أنْ أمسَّ من هذا المال والمتاعِ شيئاً ـ وكان جَلِيلاً يساوي ألوف دَنانير ـ وأحْتَسِب النفقة على هذه الطِّفلة، وأعُدُّها مَلْقُوْطَةً من الطَّرِيق ربّيتُها للثَّوَاب.

ففعلتُ ذلك، فمضَى على موتِ الغلام والجارية نحو سنة، فإنّي لَجالس على بابي يوماً، إذ اجتاز شيخٌ عليه أثرُ النُّبْل واليَسَار، وتحته بغلة فارِهة[2]، وبين يدَيْه غلامٌ أسود، فسلّم ووقفَ، وقال: ما اسمُ هذا الدَّرْب؟ فقلت: درب فتح. فقال: أنت من أهل الدر؟ قلت: نعم. قال: منذ كم سكنته؟ قلت: منذ نشأتُ وإليَّ يُنسب وأكثره لي. فثنى رِجْلَه ونزَل، فقمْتُ إليه وأكرمته، فجلَس تجاهي يُحادثني، وقال: لي حاجة. فقلت: قل. فقال: أتعرف في هذه الناحية إنساناً وافَى منذ سنتين، شابٌ مِنْ حاله وصِفَتِه ـ فوصَفَ الغلام ـ واكترَى ها هنا داراً؟ فقلت: نعم، قال: وما كانت قصّته وإلى أي شيء انتهى أمره؟ فقلت: ومَن أنت منه حتى أُخبرك؟ قال: تُخبرني؟ فقلت: لا أفعل أو تصْدُقني. فقال: أنا أبوه. فقصَصْت عليه القصّة على أتمّ شرح، فأَجْهَش بالبكاء، وقال: مُصيبتي أنّي لا أقدر أن أترَحّم عليه، فقدَّرته يومِىء إلى قتل نفسه، فقلت: لعله ذهَب عقله فقتلَ نفْسَه. فبكَى وقال: ليس هذا أردت، فأَيْنَ الطفلة؟ فقلتُ: عندي والمتاع. فقال: تُعطيني الطفلة. فقلت: لا أفعل أو تصدقني. فقال: تُعْفِيني. فقلت: أُقسم عليك بالله إلاّ فعلْت.

فقال: يا أخي مصائب الدنيا كثيرة، ومنها أنّ ابني هذا نشأ، فأَدّبته وعَلّمته، ونشأت له أختٌ لم يكن ببغداد أحسنَ منها، وكانت أصغر سناً منه، فعَشِقَها وعَشِقَتْه، ونحن لا نعلم ثم ظهر أمرهما، فَزَجَرْتُهما وأنكرْتُ عليهما، وانتهى الأمر إلى أن افْتَرَعَها[3]. فبلغني ذلك، فضرَبْته بالمَقارِع[4] وإيّاها، وكتمتُ خبرهما لئلا أُفتضح، ففَرّقت بينهما وحَجَرْتُ عليهما،

---

(١) ختمته: أغلقته وأقفلته.
(٢) فارهة: فتيّة نشيطة.
(٣) أي: وطئها وفض بكارتها.
(٤) المقارع: الأسواط.

وشَدَّدَتْ عليهما أمُّهما مثلَ تشديدي، فكانا يجتمعان على حِيلة، كالغَرِيبان. فبلغنا ذلك فأخرجْتُ الغلام من الدار، وقَيّدْتُ الجارية، فكانا على ذلك شُهوراً كثيرة، وكان يخدمني غلام لي كالوَلد، فتَمَّت لولدِي عليّ حِيلَةٌ به، يترسّل بينهما، حتى أخذوا مِنّي مالاً جليلاً وقُماشاً كثيراً، وهرَبوا منذ سنين وعملوا على أخذ ذلك والهرَب حِيلةً طويلَةَ الشَّرح. فلم أقِفْ لهم على خبر، وهان عليّ فقدُ المال لبعدهما، فاسترَحْت منهما، إلاّ أنَّ نفسي كانت تحِنّ إليهما، فبلغني أنّ الغلام في بعض السكك منذ أيام، فكبَسْتُ عليه الدّار، فصعَد إلى السطح، فقلتُ له: بالله عليك يا فلان ما فعل ولداي، فقد قتلَني الشوقُ إليهما وأنت آمِن. فقال لي: علَيْك بدَرْب فتح في الجانب الغربي فسَلْ عنهما هناك. ورمَى نفسه إلى سطح آخر وهرَب. وأنا أُعْرَف بفلان مِن ميَاسِير التجّار بالجانب الشرقي.

وأخذ يَبكي، وقال: تَقفني على القبر، فجئت به حتى وقَفْتُه على القبر، ثم جاء فأدخلتُه داري فأريته الصَّبِيَّة، فجعل يتَرَشَّفها ويبكي، وأخذها ونهض، فقلتُ: مكانك، أُنقل متاعَك، قال: أنت في حِلٍّ منه وسَعَة، فما زلتُ أُداريه[1] إلى أن عَلِقت به، وقلتُ: خذ المال وأرِحْني من تَبِعَتِه، فقال: على شرط نقسمه بيني وبينك، فقلتُ: والله لا تَلَبَّسْتُ منه بِحَبَّة. قال: فاطلب حَمّالين، فجئتُ بهم، فحمل تلك التركة والصَّبِيّة وانصرف.

* * *

(١) أي: ألاطفه.

البابُ الثَّالِثُ والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ مَنْ كَفَرَ بِسَبَبِ العِشْق

١٠١٧ ـ أخبرنا ابن الْحُصَين قال: أنبأنا ابن الْمُذْهب قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا عبد الرزاق قال: أنبأنا محمد بن راشد، عن مكحول، عن رجل، عن أبي ذَرٍّ، عن النبي ﷺ قال: «كان رجلٌ يعبد الله بساحِل البحر ثلثمائة عام، يصومُ النهار ويقوم الليل، ثم إنّه كفَر بالله العظيم في سبب امرأة عَشِقها، وترك ما كان عليه مِنْ عِبادة الله عزّ وجلّ، ثم استدرَكَه الله ببعض ما كان منه فتاب عليه»(١).

١٠١٨ ـ حدثنا المبارك بن علي الصَّيْرفي قال: أنبأنا عبد الوهاب بن أحمد المُسْتَعْمِل قال: حدثنا الحسن بن أحمد الخلاَّل قال: حدثنا عمر بن أحمد الواعِظ قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شَيْبة قال: حدثنا محمد بن بكر القَصِير قال: حدثنا عُبيد الله بن العباس بن الربيع الحَارِثي، عن محمد بن عبد الرحمن السَّلْماني، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «هنَّ صواحبات داود وسليمان وكرسف ـ يعني النّساء ـ قيل: وما كرسف؟ قال: رجل ممن كان قبلكم عبَدَ الله عزّ وجلّ على ساحل البحر ثلثمائة سنة، فمرّت به امرأة أَعْجَمِيّة، فكفرَ بالله عزّ وجلّ، فتداركه الله عزّ وجلّ بما شاء من عبادته، فتاب عليه»(٢).

١٠١٩ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو القاسم بن البُسْري، عن أبي عبد الله بن بَطَّة، قال: حدثني أبو صالح، قال: حدثني الحُسين بن عبد العزيز، قال: حدثنا سَعْدان بن يزيد، قال: قال لي سُنيد: سمعت حجاجاً يقول: رأيتُ رجلاً عَشِق فتنصَّر.

١٠٢٠ ـ سمعت شيخنا أبا الحَسن علي بن عُبيد الله الزَّاغُوني(٣)، يحكِي أنّ رجلاً اجتاز بباب امرأة نصرَانية، فرآها فهَوِيَها من وقته، وزاد الأمرُ به حتى غلَب على عَقْله، فحُمِل إلى المارِسْتان، وكان له صديق يتردّد إليه ويترسّل بينه وبينها، ثم زاد الأمر به، فقالت أمُّه لصديقه: إنّي أجيء إليه ولا يُكلّمني. فقال: تعالِي معي. فأَتَتْ معه، فقال له: إنّ

---

(١) تقدّم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) الزاغوني: نسبة إلى زَاغُونا، قرية ببغداد. انظر: اللباب ٢/ ٥٣، ولب اللباب ١/ ٣٦٩.

صاحبتك قد بعثت إليك برِسَالة، فقال: كيف؟ فقال: هذه أمك تؤدي رِسَالتها، فجعلت أمُّه تحدِّثه عنها بشيء منَ الكذب، ثم إنه زاد الأمر عليه، ونزَل به الموت، فقال لصديقه: قد جاء الأجلُ وحان الوقت، وما لَقِيت صاحبتي في الدنيا، وأنا أُريد أن ألقاها في الآخرة، فقال له: كيف تصنع؟ قال: أَرْجِع عن دينِ محمدٍ، وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم. فقال ذلك ومات! فمضى صديقُه إلى تلك المرأة، فوجدها مريضة، فدخل عليها وجَعَل يُحدّثها، فقالت: أنا ما لَقِيت صاحبي في الدنيا، وأريدُ أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، وأنا بريئة مِنْ دِين النّصرانية. فقام أبوها فقال للرجل: خُذوها الآن فإنّها منكم. فقام الرجل ليخرج، فقالت له: قف ساعة. فوقف، فماتت.

١٠٢١ ـ وبلَغني عن رجل كان ببغداد، يُقال له صالح المُؤَذِّن، أذَّن أربعين سنة، وكان يُعْرَف بالصّلاح، أنه صعَد يوماً إلى المنارة ليؤذِّن، فرأى بنتَ رجلٍ نصرانيّ كان بيته إلى جانبِ المسجد، فافتَتَنَ بها، فجاء فطرَق الباب، فقالت: مَن؟ فقال: أنا صالحُ المؤذِّن، ففتَحَت له، فلما دخل ضمّها إليه. فقالت: أنتم أصحاب الأَمانات، فما هذه الخِيانة؟! فقال: إنْ وافقْتِيني على ما أريد وإلاّ قتلتُكِ. فقالت: لا، إلا أن تترك دِينك. فقال: أنا بريء من الإسلام، ومما جاء به محمد. ثم دنا إليها. فقالت: إنّما قلتَ هذه لتقضِي غرَضك ثم تعود إلى دِينك، فكُلْ مِن لحمِ الخِنزير. فأكل، قالت: فاشرَبِ الخمر. فشرِب، فلما دبَّ الشّراب فيه دنا إليها، فدخلت بيتاً وأغلقت الباب، وقالت: اصعد إلى السطح حتى إذا جاء أبي زوَّجني منك، فصَعد فسقط فمات، فخرَجَتْ فلَفَّته في مَسْح[1]، فجاء أبوها فقَصّت عليه القصّة، فأَخرَجه في الليل فرَماه في السِّكة، فظهر حَدِيثُه، فرُمي في مزبلة!

* * *

(١) المَسْح: ثوب يُصنع من نسيج الشَّعر.

البَابُ الرَّابع والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ مَنْ حَمَلَهُ العِشْقُ على قَتْلِ النَّاسِ

١٠٢٢ ـ أخبرنا عبد الوهاب ومحمد بن ناصر قالا: أنبأنا أبو الحُسين بن عبد الجبار قال: أنبأنا أبو الحُسين بن محمد النَّصِيبِي قال: أنبأنا إسماعيل بن سُوَيد قال: حدثنا أبو بكر بن الأنْبَاريّ قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن عُبَيد، عن الهيثم قال: حدثني رجل من بَجِيلة، عن مَشْيَخة قومه: أنّ عبد الرحمن بن مُلْجَم(١) لعنه الله، رأى المرأةَ من تَيْم الرّباب، يُقال لها: قَطَام، وكانت من أجملِ النساء، ترى رَأْيَ الخوارج، قد قُتِل قومُها على هذا الرأي يوم النَّهْروان، فلمّا أبصرَها عشِقها فخَطبها، فقالت: لا أتزوّجك إلاّ على ثلاثة آلاف، وقتْل علي بن أبي طالب؛ فتزوّجها على ذلك، فلما بنَى بها(٢)، قالت له: يا هذا قد فَرَغْت فافرغ. فخرج مُتَلَبِّساً سلاحَهُ، وخرَجت قَطام، فضرَبَتْ له قُبّة في المسجد، وخرَج عليٌّ يقول: الصّلاة الصلاة، فأتْبَعَه عبد الرحمن فضرَبه بالسيف على قَرْنِ رأسه. فقال الشاعر:

لَــم أرَ مَهْــراً ســاقَــه ذُو سَمَــاحــة كمَهْــرِ قَطَــامٍ بيِّنــاً غيــر مُعْجَــمِ
ثَــلاثَــةُ آلاف وعبــدٌ وقَيْنَــةٌ وقَتْــلُ علــيٍّ بــالحُســام المُصَمَّــمِ
فَــلا مَهْــرَ أغْلــى مِــن علــيٍّ وإنْ غــلا ولا فَتْــكَ إلاّ دون فَتْــكِ ابــن مُلْجَــمِ

١٠٢٣ ـ أخبرنا عبد الأوّل بن عيسى، قال: أنبأنا محمد بن عبد العزيز الفَارِسي، قال: أنبأنا عبد الرحمن بن أبي شُرَيح، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد البَغَوي، قال: حدثنا أبو الجهم العلاء بن موسى، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن نافع: أنّ وَلِيدة(٣) كانت بالمدينة في خلافة معاوية، كان لها هوَى، فقالت: لا أرضَى حتى تقتلَ فلاناً، لسَيِّدها، فقتلَه وأعانته على ذلك، فأُخِذَ الرجلُ وأُخِذت معه، فتحابلت(٤)، فتركوها قريباً من ثلاثة أشهر، فلما تبين لهم أنه لا حمل بها قتلوها.

---

(١) هو قاتل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأخزى الله ابن مُلجم.
(٢) كناية عن الوطء والنكاح.
(٣) وَليدة: أَمَة.
(٤) ادّعت الحبل.

١٠٢٤ ـ أخبرنا أبو المَعْمر الأنصاري، قال: أنبأنا أبو القاسم هِبَة الله بن عبد الله الوَاسِطي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحُمَيْدي، قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن إدريس: أنّ أبا عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر ـ المعروف بالطَّلِيق من بني أمية ـ، كان يتَعَشَّق جارية، كان أبوه قد رَبّاها معه وذكرها له، ثم إنّه استأثرها وخلا معها، فيُقال: إنه اشتدت غيرته لذلك، وانتضى سيفاً وتَغَفَّل أباه في بعض خَلواته فقتله، فسجَنه المنصور محمد بن أبي عامر سِنين، وقال في السجن أشعاراً رائعة اشتهر بها، ثم أُطْلِق فَلُقِّب: الطَّلِيق. ويُقال: إنه اعتراه مِن ذلك شَبيه الجنون، وكان يُصْرَع في الأوقات.

١٠٢٥ ـ فأخبرني أبو الحسن نافع بن رياض الشّاعر: أنه دخَل عليه أَعْقَاب[1] ذلك، فوجده قاعداً على ماء فأَنْشَده، فأمرَ له بصِلَةٍ، وعلى رأسه خادم صَقْلَبِي يَسْتَحِثُّه ويستعجله الخروج، فلمّا خرَج أخبره ذلك الخادم أنّه يُصرع، وأنه إذا أَحَسّ بالصرع رمَى نفسه في الماء، وهذه عادته ويزعم أنه يجد لذلك خِفّة، وأنّ استعجاله إياه كان من أجل ذلك خوف فُجَاءَتِه.

١٠٢٦ ـ قال لي أبو عبد الله بن إدريس: ومِن أشعاره في السِّجن:

المـوتُ أحسَـنُ أَحْـوالاً مـنَ أحْـوَالـي ... أقلُّهُــنّ فــراقُ الأهْــل والمــالِ
لا أَشْتكـي اللَّـهَ بـلِ أشكـو إليـه فكـم ... أبكِـي وحُـزْنـي جـديـدٌ ليس بـالبـالـي
أضحَـى لِسـانـي وكفِّـي صـاحبَـيْ قـدمِـي ... قــد قُيِّــدا دون أقــوالٍ وأفعــالِ
بملْحَـدٍ بيــن مــوتــي مِيتَتَيْــنِ بــه ... مـوت الجهـالـة فـي مَـوْتٍ مـن الحـالِ
فمــا يشكِّــي هِــزَبْــرٌ ضِيــقَ خَلخـالِ ... قَبْلــي ولا دَفنــوه بيــن أَوْعــالِ[2]
يمــرُّ بــي كــلّ يــوم مِــنْ مصــائبــه ... مــا لا يمــرّ علــى وَهْــم ولا بــالِ
وكــلُّ حــال مــن الأحــوال حــائِلــةٌ ... ومــا يَحُـول مــنَ الأحــوال أحــوالـي
ومــا حَيِيــتُ لأَنّ العيــشَ أحمــدُ لــي ... لكِــنْ حَيِيــت لأنّ المــوت أَحْيَــى لــي
وكيــف جــاز لــدَهْــرِي أن يــرَى عُطُــلاً ... حـالـي بـه وهـو مـن مَجْدي بـه حـالي[3]
فمــا أعــزَّ زَمــانــي إذ ذَلَلْــت بــه ... ومــا أذَلَّ المَعــالــي يــوم إذلالــي
فليــت شِعــري هــل يَبــدُو لنــا زمــنٌ ... يبــدو بــأيَّــامــه فضــلٌ لمفضــالِ

---

(١) أي: بَعْد ذلك.
(٢) الهِزَبر: الأسد. أوْعال: جمع وَعْل: وهو تيس الجبل، له قرنان قويّان منحنيان كسيفين أَحْدَبَين.
(٣) العَطَل: جمع عاطل، وهي المرأة التي لا حلي عليها.

١٠٢٧ ـ قال: ومما يُستحسن له في وَصْف الكأس:

أصبَحَـتْ شمسـاً وفـوه مغـربـا ويـدُ السَّـاقـي المُحيِّـي مشـرِقـا
فـإذا مـا غَـرَبَـتْ فـي فمِـه تـرَكَـت فـي الخـدّ منـه شَفَقَـا

١٠٢٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: حدثنا الحسن بن علي الجَوهري، قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني أبو محمد بن القاسم بن الحَسن، قال: حدثنا أبو عُمر الباهِلي، قال: حدثنا محمد بن حرب، قال: كانت رقَاشُ امرأةً مِن إياد بن نزار، وكان أبوها يُحبّها حباً شديداً. فخَطبها رجلٌ من قومها، فأُعْجِبت به ووَقَع مِنْ قلبها فامتَنَع أبوها من تزوِيجه، فسَقَتْ أباها شربة، فلما وجد حسَّ الموت، قال: يا رقاش قَتَلْتِنِي لِمَن هو أبعدُ مِنّي، وسوف ينالك وبالُ النّقمة.

قال: فلمّا هلك أبوها تزوّجت ذلك الرجل، فلَمْ ينشب أنْ ضَربها، فقيل لها: يا رقاش ضَرَبك زوجُك، فقالت: مَن قلَّ ناصرُه اعترف بالذّل. ثم لم ينشب أن تزوّج عليها، فقيل: يا رقاش تَزَوّج عليك زوجُك فلو سألتِيه الطّلاق. قالت: لا أبغِي الشرّ بالشرّ، وحسبك بالطلاق عَيْباً بالحُرّة.

١٠٢٩ ـ أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: حدّثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني الشريف أبو أحمد الحُسين بن موسى العَلَوي النَّقِيب، قال: حدثني شيخ كان يَخْدِمني: أنه حلَف بالطّلاق أن لا يحضر أبداً دعوةً، فسألْتُه عن سبب ذلك، فقال: كنت قد انحَدَرْتُ إلى البصرة من بغداد، فصعدت إلى بعضِ مشارِع البصرة، فاستقبَلني رجلٌ فكنّاني بغير كنيتي، وبشَّ بي واحتفَى، وجعل يُسائلني عن قومٍ لا أعرفهم، وكنتُ غريباً لا أعرِف مكاناً، فقلتُ: أبِيتُ عنده الليلة إلى غدٍ فأطلب مكاناً، فوَهَّمْتُ عليه في القول، فجذَبني إلى منزله، ومعي رجلٌ صالح، وفي كُمِّي دراهم كثيرة، فدخلتُ إليه فرأيتُ داراً حسَنة وحالاً متوسطاً، وإذا عنده دعوة وهم على نَبيذ، وقد خرَج لحاجة، فشَبَّهني بصديق كان له، وكان فيمن كان عنده غلامٌ أمرد. فلما أخَذنا مضجعنا للنوم ندِمْت على فِعْلي، ونامت الجماعة، فلما كان بعد ساعة طويلة رأيتُ أحد الجماعة قد قام إلى الغلام الأمرَدِ ففسَق به ورجع إلى موضعه، وكان قريباً من صاحب الغلام، فاستيقظ صاحب الغلام وحرّكه، فقال له الغلام: ما تريد؟ ألم تكن الساعة عندي وفعلت بي كذا وكذا؟ فقال له: لا. فقال: قد جاءني الساعة مَن فعل بي كذا، وظننتُ أنك هو أنت فلم أتحرّك، ولم أظن أنّ أحداً يَجْسُر عليك. فنخَر الرجل وجرّد سكيناً في وسَطه، واتفق أنه بدأ بصاحب الخِيانة وأنا أُرْعَد فزعاً، ولو كان بدأ بي فوجدني أُرْعَد لقتلَني، وكان يَظُنّ أنّني صاحب القصّة، فلِمَا أراده اللّهُ من حياتي بدأ بصاحِب القصّة، فوَضع يدَه على قلبه

فوجده يَخْفِق، وقد تناوَمَ عليه الرَّجل يرجو بذلك السّلامة، فوَضع السكين في فؤاده وأمسك فاه فاضطرب الرَّجل وتَلِف، وأخذَ بيد غلامِه وانصرف.

١٠٣٠ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن، عن أبيه، قال: حدثني أبو القاسم بُهلول بن أبي طالب القاضي ـ صاحب الرّبع بباب الشام ـ قال: كنت أعمل مع صاحب الشّرطة ببغداد، فأخرجَ لصوصاً مِنَ الحَبْس، واستأذن مُعِزّ الدولة في قَتْلِهم وصلْبهم عندَ الجِسر، فأذِن له، فصلَبهم عشاء، وكانوا عشرين رجلاً ووكّلَ بهم جماعة، فكنت فيهم، والرئيس عَلَيْنا فلان، وقالوا: كونوا عند خَشَبِهم بَقِيّة يومكم وليلتكم، حتى إذا كانوا من غدٍ ضُرِبَت أعناقهم. فبِتْنا ونمنا فاحْتَال بعضُ اللصوص في أنْ قطَع الحَبْل ونزَل منَ الخشَبة، فما انْتَبَهْنا إلاّ بصَوْتِ وقُوعه وعَدْوِه، فعَدا رئيسُنا وأنا خَلْفَه، فما لحِقْناه. وخفنا أن يتشَوّش الرَّجالة الباقون فيفلت إنسان آخر، فرجَعْنا مُسْرِعين وجلَسْنا مَغْمُومين نفكّر ماذا نعمل. فقال رئيسُنا: إن صاحب الشرطة لا يُقِيل عَثْرَةَ ولا يقبل عُذْراً، ويَقعُ له أنّني قد أخذْتُ منَ اللصّ مالاً وأطلَقْته، فيضربني للتقرير فلا أقرّ، فيقع له أنّي أَتَجَلّد فيمدّ الضرْب عليّ إلى أن أَتْلَف، فما الرأي؟ فقلتُ له: نَهْرُب. قال: فمن أين نَعيش؟ فقلتُ: هذا نِصْف الليل، ولم يعلم بما جرَى أحد، فقُم فلن يخلوَ أن يقعَ بأيدِينا مشؤومٌ قد جاءت مَنِيّته، فنُوثِقُه ونَصْلِبه، ونقول سَلّمت إلينا عِشرين رجلاً وهؤلاء عِشرُون، فإنّه ما أَثْبَت حلاهم[1]. فقال: هذا صَواب. فقُمنا نَطُوف، وسلَكنا طريق الجِسْر لنعبر إلى الجانب الغربي، فرأينا في أسفل كُرْسِي الجِسرْ رجلاً يَبُول، فعَدَلْنا إليه فقبَضْنا عليه، فصاح: يا قوم ما لكم، أنا ملاّح صعدت مِن سُمَيْرِيّتي[2] أبولُ، وهذه سُميريّتي، وأومأ إليها، أيّ شيء بيني وبينكم؟ فضرَبْناه، وقُلنا: أنت اللصّ الذي هرَب مِنَ الخَشَبة. وجئنا به ورقّيناه إلى الخشبة وصلَبْناه مكان الهارِب، وهو يَصِيح طول الليل ويَبكي، فتقطّعت قلوبُنا رحمة له، وقلنا مظلوم ولكن ما الحِيلة!

فلما كان من الغَد ركِب صاحب الشرطة، واجتمع الناس، وجاء ليضرِب أعناق القوم، فصاحَ به الملاّح: بوقوفك بين يدَي الله ادْعُ بي واسمَعْ كلامي، فلستُ مِن اللصوص الذين أخرجتَهم وأمرت بصَلْبهم، وأنا مظلومٌ وقد وقعَتْ بي حِيلة. فأنزلَه وقال: ما قصّتك؟ فشرح له حديثَه على حقيقَته. فدعا بنا وقال: ما هذا الرجل؟ فقلنا: ما نعرف ما يَقول؟ سَلّمتَ إلينا عِشرين رجلاً وهؤلاء عِشرُون. فقال: قد أخذتم من اللصّ دراهم وأطلقتموه، واعتَرَضْتم منَ الطريق رجلاً غريباً فأخذتموه. فقلنا: ما فعلنا هذا، واللص الذي سلّمت إلينا هو هذا.

---

(١) أي: أشكالهم.
(٢) السُّمَيْرِيّة: القارب الصغير.

فضرَب أعناق الجماعة وترَكَ الملاّح، وقال: هاتوا السّجّانين والبَوّابين، فجاؤوا، فقال: هذا مِن جملة العِشرين الذين أخرَجْناهم؟ فتأمّلوه بأجمَعِهم، فقالوا: لا. ففكّر ثم أمر بإطلاقه، ثم قال هاتوه إليّ، فردَدَناه، فقال: اشرح لي قصتك، فأعاد عليه الحديث، فقال له: في نِصْف الليل ايش كنت تعمل في ذلك المَوْضِع؟ فقال: كنتُ قد بِتُّ في سُمَيْرِيَّتي فأخَذَتْني بولة فصعدت أبول. قال: ففكّر ساعة، ثم قال له: اصْدُقني أمرَكَ على الحقيقة حتى أُطْلِقَك، وأيّ شيء كنت تعمل هناك، حتى أطلِقَك. فلم يُخبره بغير ذلك.

قال: وكان مِنْ رَسْمه[1] أنه إذا أراد أن يُقرِّر إنساناً قرَّره وهو قائم بين يدَيه، ووراءَه جماعة بِمَقارِع، فإذا حَكّ رأسَه ضُرِب المُقرَّر واحدةً عظيمة، فيقول هو للذي ضرَبه: قطع الله يدَيك ورِجْلَيك يا فاعل يا صانع، مَن أمرك بضَرْبه؟! ولمَ ضَرَبْته؟ تقَدّمْ يا هذا، لا بأس عليك، اصدُق وقد نَجَوْتَ. فإنْ أقرَّ وإلاّ حَكّ رأسه ثانية وثالثة، أبداً على هذا. وكذا كانت عادته في جميع الجُنَاة! فلمّا أطال عليه المَلاّح، حكَّ رأسه فضَرَب قفاه بعضُ القائمين بِمِقْرَعة عَظيمة، فصاحَ صِياحاً شديداً، فقال هو: مَن أمرك بهذا؟ يا فاعل، يا صانع، قطَع الله يدَيك. ثم قال للملاّح: اصدُق وانْجُ بنفسك، فقال له الملاّح: اللَّهُ شاهدٌ عليك، أنّي آمِن على نفسي وأَعْضَائي حتى أصْدُق؟ قال له: نعم.

فقال: أنا رجلٌ ملاّح أعمَل في المَشْرَعة[2] الفُلانية، يعرِفُني جيراني بالسَّتْر، كنتُ قد سرّحت سُمَيْرِيّتي البارحة بعد العَتَمة أتفرّج في القمر، فنزل خادمٌ مِنْ دارٍ لا أعرفها، فصاح: يا ملاّح، فتقدّمْتُ، فسلّم إليّ امرأةً حسَنة ومعها صَبيّتان، وأَعطاني دِرْهماً صحيحاً، وقال: إحْمِلْ هؤلاء إلى باب الشَّمّاسِية، فصاعَدْتُ[3] بهم قِطعة من الطريق، فكشفَتِ المرأةُ وجهها، فإذا هي مِن أحسن الناس وَجْهاً كالقمر، فاشتهيتُها. فعَلّقْتُ مجادِيفي في الدَّرْنُوك، وأخرَجْتُ السّفينة إلى وسَط دجْلة، وتقدّمتُ إلى المرأة فرَاوَدْتُها عن نفسِها، فأخذَتْ تصِيح، فقلتُ: والله لئن صِحْتِ لأُغْرِقَنَّكِ الساعة. فسكتَتْ وأخذت تُمانعني عن نفسِها، فاجتهدْتُ بأن أقدر عليها فما قدرت. فقلتُ لها: مَن هاتان الصبيّتان منك؟ فقالت: بَناتي، فقلتُ لها: أيّما أحبّ إليك: تمكِّنيني مِن نفسِك، أو أُغْرِق هذه؟ وقبضتُ على واحدة منهما. فقالت: أما أنا فلا أُطيعك فاعمل ما شِئت. فرميتُ إحدَى الصَّبِيَّتَين في الماء، فضرَبْتُ فاها وصِحْتُ معها: والله لا طَلَّقْتُكِ ولو قَتَلْتِيني. ليشتَبِه ذلك على مَن عساه يسمَع الصِّياح في الليل، فسكَتَتْ وأَقْبَلَت تبكي. فتركتُها ساعة ثم قلتُ لها: دَعيني وإلاّ أغرقتُ الأخرى. فقالت: والله لا فَعَلْتُ،

---

(١) رَسْمه: أي طريقته وعمله.
(٢) المَشْرَعة: مَوْرِد القوم الذين يسكنون على ضفّة النهر.
(٣) أي: أبْحَرت صُعُداً.

فأخذتُ الصبيةَ الأخرى فرمَيْت بها إلى الماء، فصاحَت وصحتُ معها. ثم قلتُ لها: ما بقي إلاّ أن أقتلَكِ أنت، فدَعِيني وإلاّ قتلتُكِ، وأخذْتُها ورَفَعْتُ يدَيْها لأرمِي بها إلى الماء، فقالَت: أدَعُك. فرددتها إلى السُّمَيْرِيَة. فمكنَتْني مِنْ نفسِها فوطئتها، وسِرْتُ لأمضي بها إلى المشرعة. فقلتُ: هذه الساعة تصعد إلى دارِها وإلى الموضِع الذي تأوِي إليه، فتُنْذِر بي، فأُوخذ وأُقْتل، وليس الوجهُ إلاّ تغريقها، فجمعتُ يدَيها ورِجْلَيها ورميتُ بها في الماء فغَرِقَتْ. ففكرتُ فيما ارتكبتهُ وما جَنَيْتهُ، فندِمت، وكنت كرجل كان سَكْراناً فأفاق، فقلتُ: أيّ شيء أعمل؟ ليس إلاّ أنْ أنحدِر في سميريتي هذه إلى البَصْرَة وأغوصُ في أنهارِها، فلا أُعْرَف، فانحدَرْت، فلمّا صرتُ حذاء الجِسْر أخذتْني بَطْني، فصعَدْتُ لأتمَسّح وأعود إلى سُمَيْرِيّتي، فقَبَض عليَّ هؤلاء.

فقال له صاحب الشرطة مُتطايباً: فأيّ مُعاملة بين مثلِك وبيني، انْصَرِف بسلام! فظنّ بجهالته أنّ ذلك حقيقة، فولّى يمشي لينصرِف، فصاح به: يا فتى، هو ذا تنصَرِف، وتدعنا مِنْ حَقِّنا، فلا أقلّ من أن ترجع لنحلفك أن لا تعود إلى مِثل هذا. فرَجع، فقال: خُذوه. فأخذوه. فقال: اقطعوا يده. فقال: يا سيّدي تقطع يدِي! أليس قد أمَّنْتني؟ فقال: يا كَلْب، أمان لمِثْلِك؟! قد قتلتَ ثلاثة أنفس وزَنَيْت، وأَخَفْتَ السَّبيل.

قال: فقُطِعَت يداه ورِجلاه، ثم ضُرِبَت عنُقه وأُحْرِق جسدُه في مكانه.

* * *

البَابُ الخامِسُ والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ أَخْبَارِ مَنْ قَتَل مَعْشُوْقَهُ

١٠٣١ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار:
وأخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السراج:

قالا: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه، قال: حدثنا ابن خلَف، قال: حدثني أبو عبد الله اليَمامي، عن العُتْبِي، عن أبيه، قال: كان رجل مِنَ العرب تحته ابنة عمّ له، وكان لها عاشِقاً، وكانت امرأةً جميلة، وكان مِن عِشْقه لها أنّه كان يقعد في دِهليزه مع نُدَمائِه، ثم يدخل ساعة بعد ساعة ينظرُ إليها، ثم يرجعُ إلى أصحابه عِشقاً لها، فَطَبِنَ[1] لها ابن عمّ لها، فاكْتَرَى داراً إلى جَنْبِه، ثم لم يزل يُراسلها حتى أجابَتْه إلى ما أراد، فاحتالَتْ وتدَلّت إليه، ودَخل الزوجُ كعادته لينظر إليها فلم يرَها، فقال لأُمِّها: أين فلانة؟ فقالت: تقضِي حاجة، فطلَبها في الموضِع فلم يجدْها، فإذا هي قد تَدَلّت، وهو ينظر إليها، فقال لها: ما وراءك؟ والله لتصدقنّي، قالت: والله لأصْدُقَنَّك، منَ الأمر كَيْت وكَيْت. فأقرّت له، فسلَّ السيفَ فضرب عنقَها، ثم قتلَ أمّها، وهرب، وأنشأ يقول:

يــا طلعــةً طلَــعَ الْحِمــام عليهــا ... وجَنَــتْ لهــا ثمــر الــرّدَى بيَــدَيْهــا

وقال ابن السرّاج: فجنَى لها.

رَوَّيــتُ مِــنْ دمِهــا الثَّــرَى ولَــرُبّمَــا ... روَّى الهــوَى شفتَــيَّ مــن شَفَتَيْهــا

وقال ابن السراج: الحسام.

حكَّمْــتُ سيفــي فــي مجــالِ خِنــاقهــا ... ومَــدامِعــي تَجْــرِي علــى خــدَّيْهــا
مــا كــان قَتْلِيهــا لأنّــي لــم أكــن ... أبكِــي إذا سقَــط الــذُّبــاب عليهــا
لكــن بَخِلْــتُ علــى العُيــون بحُسْنِهــا ... وشَفِقْــتُ مِــنْ نظــر الغــلام إليهــا

وقال ابن السراج: وأَنِفْتُ من نظر العيون إليها.

زاد ابن السرّاج في روايته عن خلَف، قال: وزادني غير أبي عبد الله: وكان لها أختٌ شاعرةٌ، فقالت تُجيبه:

---

(١) طبِنَ لها: أي فَطن بها.

لــو كنــتَ تُشْفِــق أو تــرقُّ عليهــا ... لـرفَعْـتَ حـدَّ السيـفِ عـن وَدَجَيْهـا[١]
ورحِمْـتَ عَبـرَتهـا وطــولَ حَنينهـا ... وجَـزِعْـتَ مِـن سـوءٍ يصيـرُ إليهـا
مَـن كـان يفعـل مـا فَعلـتَ بمثلِهـا ... إذْ طـاوَعَتْـك وخـالَفَـتْ أبـوَيْهـا
فتـرَكْتَهـا فـي خِـدْرِهـا مقتُـولَـةً ... ظُلْمـاً، وتبكِـي يـا شَقِـيُّ عليهـا!

١٠٣٢ ـ أخبرنا أبو المَعْمر الأنصاري، قال: أنبأنا صاعد بن سيَّار، قال: أنبأنا أحمد بن سهل الغُورَجي، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ ـ إجازة ـ، قال: سمعتُ الخليل بن أحمد القاضي، يقول: نظر دِيك الجنّ[٢] ـ وكان أحد الشعراء ـ إلى غلام له، يتأمّل جارية له، والجارية تنظر إليه فقتلَهما جميعاً، ثم أظهر النّدم، وأنشأ يقول:

يــا مهجــةً بــرَكَ الْحِمــام عليهــا ... وجنَــى لهــا ثمـرَ الـرّدَى بيـدَيْهـا[٣]
مــا كــان قتليهــا بــأنّــي لــم أكــن ... أبكِــي إذا وقَــع الــذباب عليهــا
لكــن نَفِســتُ عــن العيــونِ بنظــرةٍ ... وأنِفْــتُ مــنْ نظـرِ الغُـلام إليهـا[٤]

اسم ديك الجنّ: عبد السلام بن رَغبان، وإنّما لُقِّب بديك الجِنّ.

١٠٣٣ ـ وقد روىَ عليّ بن الحُسين الأصبهاني: أنّ ديك الجن هوَى نصرانية، فدعاها إلى الإسلام، فأسلمت، وكان اسمها وَرْداً فتزوجَها، وكان له ابن عم يُبغضه، فأشاع أنّها تهوى غلاماً لدِيك الجن، فضرَبها بالسيفِ فقتلَها، فطلَبه السلطان فهَرَب، ثم علم كيف جرَى الأمْرُ، فأقام على البُعاد، وقال:

يــا طلعــةً طلَــع الْحِمــامُ عليهــا ... وجنَــى لهــا ثمـر الـرّدَى بيــديْهـا
رَوَّيــتُ مــن دمهــا الثّــراءَ وطــالمــا ... رَوَّى الهــوَى شفَتــيَّ مِــن شفتَيْهـا
قــد بــات سَيْفِــي فــي مجــالِ وِشــاحهــا ... ومــدامعــي تَجــري علــى خَــدَّيهـا
فــوحَــقّ نعلَيْهــا فمــا وطــىء الثّــرى ... شــيءٌ أعــزّ علــيّ مــن نعلَيْهـا
مــا كــان قتليهــا لأنّــي لــم أكــن ... أبكِــي إذا سقــط الــذُّبــاب عليهـا
لكــن ضنَنْــتُ علــى العيــونِ بِحُبّهَــا ... وأنِفْــت مــنْ نظـر الحَسـود إليهـا[٥]

---

(١) الودج: عرق في العنق.
(٢) هو أبو محمد عبد السلام بن رَغبان بن عبد السلام الكلبي الحمصي السَّلَماني الشيعي، كبير الشعراء، طريف ماجن خِمِّير خَليع بطَّال، مات سنة (٢٣٥) هـ. انظر السير ١١/ ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/ ١٨٤، والأغاني ١٤/ ٥١.
(٣) الحِمام: الموت والهلاك.
(٤) نَفِسْتُ: ضننتُ.
(٥) القصة في الأغاني ١٤/ ٥٥ ـ ٥٨ بأتم من هذا.

١٠٣٤ ـ وقد روَى الأصبهاني: أنّ السُّليك بن مَجْمع كان من الفُرْسان، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم، وكان يهوَى ابنة عم له، وكان يخطبها، قد منعه أبوها، ثم زوجها له خوفاً منه، فدخل بها في دار أبيها، ثم نقلها بعد أسبوع إلى عشيرته، فلقِيَه من فزارة ثلاثون فارساً، كلّهم يطلبه بدَم، فقاتَلهم وقاتلوه حتى إذا أُثْخِن بالجراح وأيقَنَ بالموت صار إليها فقال: ما أسمح بك لهؤلاء، وأُحِب أنْ أقدِّمك قبلي. قالت: افعل، ولو لم تفعل فعلته أنا! فضرَبها بسيفِه فقتلَها، وأنشأ يقول: «يا طلعة طلع الحِمام إليها. . .» فذكر الأبيات المتقدِّمة، ثم نزل إليها فتمرغ في دمها، وتخضَّبَ به، ثم تقدَم فقاتل حتى قُتِل.

١٠٣٥ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن علي، قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه، قال: أنبأنا محمد بن أبي خلف ـ إذناً ـ، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، عن أحمد بن هشام، قال: أخبرني أشياخ من بني سعد ومالك ابنيّ زيد بن مناة، عن أشياخ من قومِهم أدركوا ذلك الدّهر: أنّ أبا البلاد، وهو بِشر بن علاء، أخُو بنِي طُهَيَّة، ثم أحَد بني سَوْد، كان في الشرَف من قومه، وكان يَتيماً في حِجْر عمّه، وكان لعمّه ابنةٌ يُقال لها: سلمى، وكانت أجمل فتاة بنَجْد مشهورة بذلك، فعَلِقها أبو البلاد وعمّه لا يشعر بذلك، وكان يَهاب عمّه أن يخطبَها إليه، فغاب أبو البلاد غَيبة فزَوّجها أبوها أحد بني عمّها. وبلغ ذلك أبا البلاد فذُهِل عقلُه، فأتَى الخِباء الذي تكون به سلمَى، كما كان يأتي، فرأت سلمى في وجهه صُفْرة، ورأت به زمَعاً[١]، فحَسِبَت أنه جائع، فدَفعت إليه مِنْ وراء السِّتر جَفْنَة[٢] فيها طَبيخ منْ لحمِ طير قد راح به رِعاؤهم، فطَفِق يأكلُ أكل مَسْلوس[٣] فظنّت الفتاة أنه عرَض له عارض منَ الجنّ، فخرَجت من كِسْر البيت تُريد أختَها ليلى، وسمع حَفِيف ثوبها، فخرج مُعارضاً لها بالسيف، فضربها على حبل عاتقها فقتلها.

وقد نُقلت إلينا هذه الحكاية أبسط من هذا.

١٠٣٦ ـ أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التنوخي، قال: أنبأنا محمد بن العباس: قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، عن أحمد بن هشام، قال: أخبرني أشياخ من بني سعد ومالك ابنَي زيدِ مَناة، عن أشياخ من قومهم أدركوا ذلك الدَّهر: أنّ أبا البلاد، وهو بِشر بن العلاء أحد بني طُهَيّة، ثم أحد بني سَود، كان في شرَف من قومه، وكان يتيماً مِن أمّه، وكَنَفَه[٤] عمّه ـ وكان اسم عمّه حُنيف بن

---

(١) الزَّمَع: الدهش والجزع.
(٢) جَفْنة: قَصْعة كبيرة، وهي عبارة عن وِعاء يُؤكل فيه.
(٣) المَسْلُوس: مَن ذهب عقله.
(٤) كنَفه: حاطه ورعاه.

عمرو ـ وكان عنده آثر من والده، وكانت لعمّه ابنةٌ يقال لها: سلمى، وكانت أحسن فتاة بنجد، مشهورة بذلك، وكان يَهاب عمّه أن يخطِبها إليه، فغاب غيبة، فزوّجها أبوها أحد بني عمّها. وبلغ ذلك أبا البلاد، فذُهِل عقلُه، وإنّه أتى الخِباء الذي تكون به سلمى كما كان يأتي، فرأَتْ سلمَى في وجهه صُفرة، ورأت به زَمَعاً فحَسِبَت أنّه جائع، فدفعَتْ إليه من وراء السِّتر جَفْنة فيها طبيخ من لحم طير قد راح به رعاؤهم، فطفق يأكل أَكْلَ مَسْلُوس، فظنت الفتاة أنّه عرَض له عارض مِنَ الخافي، فخرجت من كِسْر البيت تُريد بيتَ أختِها ليلى، وسمع حَفيف ثوبِها، فخرَج مُعارضاً لها بالسيف، فضربها على حَبْل عاتِقها، وسمعت ليلى الوَجْبة[1]، فَغَدتْ عليه بهرَاوة، وأَدْبَر، فاتَّبعَتْه الفتاةُ، فأصابَتْ خِشَاشَه[2]، فتَتَعْتَعَ فسقط، ثم انْتَعَشَ فعَدا هارباً، وقال في ذلك:

إنَّ لليلَــى بيــن أذنــي وعــاتقــي　　　كضـربـة سلْمَـى يـوم نَعْـف الشقـائـق

قال: واستصرخ أبوها وعمُّها وإخوتها فأَقْبَلوا، ويَأْوي أبو البلاد في قارة[3] حِذاء أبياتهم، فكان يكون فيها نهاره، ويَنحدر بالليل، فيتنوّر نارَ أهلِها، وهي تَضْرِب بنفسِها في ثيابٍ لها، بها عَلَزُ[4] الموت فيراها، فأُخْبِر بذلك أبوها، فقال: ما كنت لأقتل ولداً بولد.

وقال أبو البلاد، وهو يرَى نار سلْمى التي كانت تُوقَد لها قبل الموت:

يـا مُـوقِـدَ النّـار وَهْنـاً مُـوقـد النّـار　　　بجانِب الشّيح من رقصات أَعْيارِ[5]
يـا مُـوقِـد النّـار أَشْعلهـا بِعَـرْفَجَـة　　　لمـن تَنَـوَّرهـا مـن مُـدْلِجٍ سـارِي[6]
نـار تضـيء سُليمـى وهـي حـاسِـرةٌ　　　سُقْيـا لِمُـوْقِـدِ تلـك النّـارِ مـن نـار

قال: فماتت سلمى، ولم يزل بأبي البلاد بعد ذلك وَسْوَسة، وبَهْتَةٌ، حتى مات.

١٠٣٧ ـ أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: حدّثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني شيخ ـ كان يَخدِمُنِي ـ، وقد تَجارينا أحاديث، قال: بتُّ ليلة في مكان، فقَتل رجلٌ رجلاً، فخرجتُ والليلُ مُنتصف لا أدرِي أين أقصِد، وخِفْتُ العَسَس[7]، فرأيت أتّون[8] حمّام ولم يوقد بعد، فقلت: أختبىء فيه إلى أن

---

(١) الوَجْبَة: السَّقْطة مع الهَدَّة.
(٢) خِشاشُ الشيء: جانبه.
(٣) قارَة: جُبيل صغير.
(٤) العَلَز: ـ بالتحريك ـ خِفَّة وهلَع يُصيب المريض والمحتضر.
(٥) الوهن: نحو من نصف الليل. الأعيار: جمع عير، وهو الحمار الأهلي أو الوحشي.
(٦) العَرْفَج: شجرٌ معروف صغيرٌ سريعُ الاشتعال بالنار، وهو من نبات الصَّيف.
(٧) العَسَس: الذين يطوفون في الليل ويحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة.
(٨) الأَتُّون ـ بتشديد التاء المضمومة ـ: كهف توضع فيه بعض أنواع الحجارة، وتوقد فيه النار إلى أن =

يَفْتَح الحمَّام فأدخله، فجلَسْت في ناحيةِ من الأَتون. فما لبثتُ حتى سمعتُ وقع حافرٍ، فإذا رجلٌ معه جارية، فأَدْخَلَها إلى الأَتون فذَبحها، وترَكها، ومضَى، فرأيتُ بريق خَلخالَين في رِجلها فانتزَعْتُهما منها، وصبرتُ ساعة، ثم خرجتُ، وما زلت أمشي في طريقٍ لا أعرفه متحَيّراً إلى أنْ اجتزت بحمّام قد فُتِح، فدخلتُه وخبَّأت ما معي في ثيابي.

وخرجت، فعرفت الطّريق، وعَلِمْتُ أنّي بالقرب من دار صَدِيق لي، فطلبتُها، ودقَقْتُ بابه، ففتَح لي وسُرَّ بقُدومي، وأَدْخَلني، فدفعتُ إليه دراهمي لِيُخَبِّئَهَا والخَلخَالَين. فلما نظر إليهما تغَيّر وجهُه، فقلتُ: ما لك؟ فقال: مِن أين لك هذان الخلخالان؟ فأخبرْتُه بخبري كلّه في ليلتي تلك، فقال لي: تعرف الرجل الذي قتلَ الجارية؟ فقلت: أمّا بوجهه فلا، لأنّ الظُّلمة كانت حائِلة بيننا، ولكن إن سمعت كلامَه عرفته. فأعدَّ طعاماً ونظَر في أمره، ثم خرَج وعاد بعد ساعة ومعه رجل مِنَ الجُند، فكلّمه وغمَزني عليه، فقلت: نعم هو الرجل!. ثم أَكلْنا، وحضرَ الشّراب فحمَل عليه بالنَّبِيذ حتى سَكِر ونام في موضِعه، فغَلّق باب الدَّرْب وذَبح الرّجل. وقال لي: إنّ المقتولة أختي، وكان هذا قد أفسَدها، وأنا منذ مدّة أتخبَّرُ، فلا أُصْدَق، إلاّ أنّي طرَدْت أختي، وأبعدتُها عنّي، فمَضَت إليه، ولستُ أدري ما كان بينهما حتى قتلَها، وإنما عرفت الخلخالَين، فدخلتُ وسألتُ عن أمرِهما، فقالوا لي: هي عند فلان، فقُلْتُ: قد رَضِيتُ عنها، فوَجّهوا رُدُّوها، فمضوا يَعْرِفُون خبرها، فلَجْلَجَ الرَّجل، فعلِمْتُ أنّه قد قتلَها كما ذكرتَ، فقتلتُه. فقم حتى ندفنه. فخرجنا ليلاً أنا والرّجل حتى دفناه، وعدْتُ إلى المشرعة هارباً مِنَ البصرة حتى وصلتُ إلى بغداد، وحَلَفْتُ لا أحضر دعوة أبداً!

١٠٣٨ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: حدثني إبراهيم بن علي النَّصِيبي، قال: حدثني أبو علي بن حامد بن أبي بكر بن أبي حامد، قال: حدثني بعض أصحاب أبي، قال: كان جدك أبو حامد، وهو صاحب بيتِ المال إذْ ذاك يتمشّى في دارِ الخلافة، فينصرفُ وقد مضَى ربعُ الليل، وثلُثه، فيجلس في طَيّاره[١]، ويصعد إلى داره، ونحتاج نحن أن يكون لنا سفن مشاهرة[٢]، فإذا رَكِب طياره، نزلنا نحن سفننا، وكان برسمي ملاّح على مرور الأوقات. فلما كان ليلة من الليالي خرجتُ مع جدّك، فطلبتُ ملاّحي فلم أجدْه، فأخذني بعضُ أصحاب جدّك في سُمَيْرِيّته، وبكّرت من الغَد فلم أعرف له خبراً، وتَمادى ذلك سِنين.

= تصير كِلْساً.

(١) طيّاره: قارب صغير فارِه.

(٢) أي: مستأجرة شهرياً.

فلما كان بعد سنين رأيته في الكَرْخ[1] بطَيْلَسان[2]، ونعل طاق، ورِداء بزي التجار المَياسير، فقلت: فلان؟ فحين رآني اضطرب، فقلت: ويحك! ما قصّتك؟ قال: خير، فقلت: وما هذا الزّي؟ قال: تركت المِلاحة وصرت تاجراً، قلت: فرأس المال من أين لك؟ فجهد أن يفلت، فقلت: لا تُطِوِّل عليَّ، والله لا افترَقْنا، أو تخبرني خبرَك، ولِمَ تركتني تِلْك الليلة، ثم لم نَرَك إلى الآن؟ فقال: على أن تستر عليَّ؟ فقلت: أفعل. فأحلَفَني فحلَفْت.

قال: إنك أبْطَأت تلك الليلة، وَعَرَضَتْ لي بَوْلَةٌ فأَصْعَدْتُ من دار الخلافة إلى مشرعة بنهر مُعَلَّى، فبُلْت، وإذا برجل قد نزَل، فقال: احمِلْني، فقلت: أنا مع راكب لا يمكنني فراقه، فقال: خذ منّي ديناراً واحملني. فلمّا سمعت ذِكْر الدِّينار طمِعت، وظننته هارباً، فقلت: إلى أين أحملك؟ فقال: إلى الدَّبّاغين، فقلت: لا أحملك، فقال: خذ دينارَيْن، فقلت: هات، فأعطاني دينارَين فجعلتهما في كُمِّي، وكان معه غلام، فقال: امضِ وهاتِ ما معك، فمضى الغلام، ولم يَحْتَبِس حتى جاء بامرأة، لم أرَ قطّ أحسَن وجهاً منها، ولا ثِياباً، وجاء بجُونة[3] كبيرة حَسَنة وأطباق فاكهة، وثَلْج، ونَبيذ، وكانت ليلة مُقمرة، وجاء بعُود فأخَذَتْه الجارية في حِجْرها، فسَهُلَ عليَّ لطِيب الوقتِ أن أخِلَّ بك.

ثم قال للغلام: امضِ أنتَ، فمضَى. قال: ادفَعْ فدفعتُ، وكشفَتِ الجارية وجهَها، فإذا هي أحسن من البَدْرِ بشيء كبير، فلما بلغتُ الدبّاغين جرّد سيفاً كان معه، وقال: ادفَعْ إلى مكان أقول لك وإلاّ ضربتُ عنقك. فقلتُ: ما بك إلى هذا حاجة، السَّمْعُ والطاعة. فانحدرت. فقال لها: تأكلين شيئاً؟ فقالت: نعم، فأخرج ما كان في الجُوْنة، فإذا طعام نَظِيف ظريف، فأكلا، وألقَى الجُوْنة إليّ، ثم أخذَتِ العُود وغنّت أحسن غِناء يكون وأطيَبَه، فقال لي: يا ملاّح لولا خوفي أن تسكر لسقيتُك، فقلت: يا أستاذ أنا أشرب عِشرين رَطلاً نبيذاً ولا أسكر. فأعطاني ظَرْفاً فيه خمسة أرطال، وقال: اشرب لنفسِك، فجعلت أشرب على الغِناء، وأجدف وهما يشربان، إلى أن دنا منها، فقبّلها كثيراً، واحتَدّت شهوتُه فجامَعها وأنا أراه، ثم عاوَدَها دفعات، وثَمِل. فقال: يا فلانة خُنْتِ عهدي وميثاقي، ومكَّنْت فلاناً من نفسِك. حتى فعلَ بك كَيْت وكيت، وفلاناً، وفلاناً، وجعل يواقِفُها، وهي تقول: لا والله، لا يا سيدي ما فعلتُ هذا، وإنّما كذَبوا عليَّ عِندك ليُباعدوني منك، قال: كذبتِ، أنا توصّلت إلى أن حصلتُ معكم في ليلة كذا في الدّار الفُلانية، وقد دعاك فلان وصَنعتم كذا، وفعلتم كذا، وأنا أراكم بعيني، وما بعد هذا شيء، وتدرِين لم جئتُ بِك إلى هذا الموضِع وعاتبتُك

---

(١) الكَرْخ: عدّة محالّ، والمراد هنا كَرْخ بغداد.
(٢) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص، وهو من لباس العجم.
(٣) الجُونة: سلةٌ مستديرة.

ها هنا؟ فقالت: لا، فقال: لأنْ أودِّعَك، وأَجْعل هذا آخر العَهد بك، وأقتلَكِ، وأطرحَكِ في الماء.

قال: فجزِعَتِ الجاريةُ جَزَعاً شديداً، ثم قالت: يا مولاي ويَطِيب قلبُك؟ قال: إي والله. ثم خالَطها، وأخرج تِكّتَها[1] فكَتَّفها بها. فقلتُ: يا سيدي اتق الله! مثل هذا الوجه وأنت تالِفٌ من حُبّه تعمل به مثلِ هذا! فقال: الساعة والله أبتدىء بك. وأخذ السيف فجزِعْتُ وأمسَكْتُ، وتقدّم إليها فذبحها، وأمسكَها حتى جرى دمها وماتت. ثم أقبل ينزع حُلِيّها، ويَرمي به إلى صَدْر السُّمَيْرِيّة، ثم نزَع الثياب عنها، وشق جوفها، وجعل يقطعها قِطعاً، ويرمِي بها إلى الماء. وكنّا قد قاربنا المدائن، وقد مضَى أكثر الليل، فرأيتُ منظراً لم أر قط مثله، ومِتُّ جزَعاً، وقلت: الساعة يقتُلني لئلا أنِمَّ عليه، ولم أجِد حِيلة، فاستَسْلمت، وطرَح نفسه كالمغشِيّ عليه، وجعل يبكِي ويقول: شفيتُ نفسي، وقتلتُ نفسي، ويلطُم، ورمَى بالعُود وجميع ما كان معَه من فاكهة وأكْلٍ وشراب إلى الماء، فطَلَع الفجرُ وأضاء، وبقي بيننا وبين المدائن نصْف فرسخ. فطمِعْتُ في الحِيلة عليه فقلتُ له: يا سيدي قد أصبحنا أفَلا تُصلّي؟ وأردْتُ أن يصعَد إلى الشطِّ، وأنحدِر أنا في السُّمَيْرِيّة، وأدَعه، فقال: بلى اطْرَحْنِي إلى الشط. فقَدّمْتُ السّميرِيَّة إلى الشطّ وطرحته، فحِين صعد من السّمَيْرِيّة أذْرُعاً يَسيرة، إذا سبع قد قفَز عليه فتناوله، فرأيته والله في فمِه كالفأرة في فَمِ التّنُّور! فلا أنسَى ما ورَد على قلبي من السّرور بذلك. فحدَرْت السفينة، فلما تجاوزت المدائن طرحت إلى الشطّ، وجمعت الحُلِيّ وخَبّأته تحت بَارِية السّمَيْرِيّة، وتأملتُ الثّياب، فغسّلت ما أثّرَ الدمُ فيه وخبّأته، وانحدَرْت فما ردَّ وجهي شيء إلى البصرة، فنظرتُ فإذا معِي حليّ مِنْ ألف دينار، وثياب بعتها بجملة دنانير كثيرة، فأقمتُ بالبصرة أتّجِرُ وخفت العَوْد إلى بغداد لئلا يراني ذلك الغُلام أو يطالبني بالرجل، أو أُسْأَل عن الحديث. فلما طالت المدة، وانقضَتِ السّنون، وقع لي أنّ الأمر قد نُسي، واشتقتُ إلى بغداد، وكانت البِضاعة قد نَمَتْ وزادت، فاشتريتُ بجمِيعها تجارة إلى بغداد، ودخلتُ وأنا فيها منذ نحو سنة حتى رأيتَني اليوم.

١٠٣٩ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التّنُوخي، عن أبيه، قال: حدّثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني الشّريف أبو أحمد الحُسين بن موسى العَلوي النَّقِيب، قال: حدثني شيخ كان يخدمني، أنّه حلَف بالطلاق لا يُشَيِّع جنازةً، فسألته عن السبب فقال: خرجتُ يوماً ببغداد في نِصف النهار من يوم حارّ لحاجة لي، فاستقبَلَتْنِي جنازة يحمِلها اثنان، فقلتُ: غريب فقير، أُرَبِّعها فأُثاب، فدخلتُ تحتها بدلاً من أحد الحَمّالين،

---

(١) التِّكَة: رِباط السراويل.
بارية: عارضة.

فحين استقرّت على كتفي افتقدتُ الحمال، فقلت: يا حمَّال يا حَمّال؟ فقال الآخر: إيش تُريد؟ امشِ واسكُتْ، قد انصرَف الحمّال، فقلت: الساعة والله أَرْمِي بها، فقال الحمال: والله لئن فعلت لأصِيحن. فاستحيَيْت، واحتَمَلْتُ الأذى، وقلت: ثواب. وما زلت أسير في الشمس والرَّمْضاء، إلى الشُونِيزيّة[1] فلما حطَطْنا الجنازة في مسجد الجَنائز هرب الحمال الآخر. فقلت في نفسي: ما لهؤلاء الملاَعِين! والله لأتَمِّمَنَّ الثواب. وأخرجتُ من كمِّي دراهم، وصحتُ: يا حفّار: أين قبر هذه الجنازة، فقال: لا أدري، فقلت: احفر. فأخذ مِنِّي درهمَين، وحفر قبراً، فلمّا صوَّبْتُ عليه الجنازة ليأخذ المَيّت ليدفنه، وثَب من اللَّحْد وتلكَّمَنِي وجعل عِمامتي في رقبتي، وصاح: يا قوم قَتِيل. واجتمع الناس وسألوه، فقال: هذا جاء برجل مقطوع الرَأس لأدفِنه له، فحُلَّ الكَفَن فوُجِد الأمرُ على ما قاله الحفار، فبُهِتُّ وتَحيَّرت، وجرَى عليَّ مِنَ العامّة مِنَ المكروه ما كادت نفسِي تتلف، إلى أن حُمِلت إلى صاحِب الشُرطة فأخبِر الخبَر، فجُرِّدْتُ للسياط وأنا ساكِت باهِتٌ، وكان له كاتب، فحِين رأى حَيْرتي قال له: انظرني حتى أكشف أمر هذا الرَّجل، فإنّي أحسبه مظلوماً. فخلا بي، وساءَلني فأخبرتُه خَبَري، لم أزد فيه ولم أنقص، فنحّى الميت عن الجنازة، وفتّشها، فوجَد فيها كتابة أنّها للمسجد الفلاني للناحية الفلانية، فأخذ معه رجاله، ومضَى فدخل المسجد مُتنكّراً، فوجد فيه خيّاطاً، فسأله عن جِنازة كأنه يُريد أن يحمل عليها ميتاً له، فقال الخياط: للمسجد جنازة إلاّ أنها أُخِذَت منه الغدَاة لحَمْل ميت، ولم تُرَدّ. فقال: مَن أخذها؟ فقال: أهل تلك الدَّار، وأومأ إليها. فكَبَسَها الكاتب برِجالَةِ الشّرطة، فوجد فيها رِجالاً فقبض عليهم، وحمَلهم إلى الشرطة، وأخبر صاحِبَه الخبر، فقدم القوم، وقرّرهم، فأقرُّوا: أنهم تغايروا على غلام أمْرَد معهم فقتلوه، وحزُّوا رأسه، ودفنوه في بِئْر حفروها في الدار، وحمَلوه على تلك الصّورة، وأن الحماليَنِ كانا أحد القوم، فضُربت أعناقُ القوم وخُلِّي سبيلي. فهذا سبب توبتي أنْ لا أَحْضر جنازة.

١٠٤٠ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السَّراج، قال: أنبأنا أبو الحُسين أحمد بن علي التَّوَّزي، قال: حدثنا إسماعيل بن سَعيد بن سُوَيد، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم، قال: حدثنا عُبيد الله بن خرْدَاذْبَة، قال: أخبرني موسى بن المأمون، قال: كان فَرُّوح الزَّنَّاء يعشَق جارية بالمدِينة يُقال لها: رَهْبة، ثم اشتراها فقال:

يـا رَهْـبُ لـم يَبْـقَ لـي شـيءٌ أُسَرُّ بـه ... إلاَّ الجُلـــوس فتَسْقِينـــي وأَسقيـــكِ
وتَمْـزُجِيـن بـريـقِ منـكِ لـي قَـدَحـاً ... وتَشْتَفـــي بكـــم نفسِـــي وأَشْفيـــكِ
يـا رَهْـبُ مـا مَسَّني شـيءٌ أُغَـمُّ بـه ... إلا تفَـــرَّجَ عنّـــي حيـــن آتيـــكِ

---

(١) الشُونِيزيّة: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي منها. انظر: معجم البلدان ٣/ ٤٢٤.

قال: ثم عثر على رِيبة بينها وبين جاريةٍ فقتَلها.

أنبأنا به عالياً عليُّ بن عُبيد الله، قال: أنبأنا جعفرُ بن الْمُسْلِمة، قال: أنبأنا إسماعيل بن سَعيد، فذكره وقال: يقال لها وَهْبَة، فقال: يا وَهْب، بالواو.

١٠٤١ ـ أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، عن أبيه، قال: أخبرني أبو القاسم الْجُهَنِي، قال: كان في جِواري ببغداد امرأة جميلة مستورة، ولها ابنُ عمّ يَهواها، كان قد رُبِّي معها، فعدَل بها أبوها عنه إلى رجل غريب فزوَّجه بها، فكان ابنُ العمّ يلزَم بابها طمَعاً فيها، وأحسّ الزوجِ بذلك، فكان يحتَرِز. فخرج يوماً زوجها، فأرادَت المرأةُ أن تَبْترِدَ، فنزَعت ثيابَها واغتَسَلَتْ، وتركت خواتِيم لها مِنْ ذهب عند ثيابها، فأخذَ الخواتيم عَقْعَقٌ[1] كان في الدّار وخرج إلى الباب، فوافَق خروجه ابنَ عمِّها، فأخذ الخواتيم منه فلَبِسها، وقعد على الباب لِيراه زوج المرأة، فيظنّ أنّه كان عندها فيُطلِّقها. فجاء الزوج فقام إليه ابن العم مُسَلِّماً، وتعمّد أن يُرِيه الخواتيمَ في يدِه، فرآها فعرفها. فدخل فوجد امرأته تغتسل، فلم يشكّ أنه غُسْل جنابة، وأن ابنَ عمها قد كان عندها. فقال لجارية كانت عنده: اذهبي. فذهبَت، فأغلقَ الباب وذبَح المرأة، ولم يَسْألها عن شيء. فجاءَتِ الجاريةُ فرأَتْها مقتولة فصاحت، فحُمِل الرجل إلى السلطان فقُتِل بها، وأخرَج ابنُ العمّ الحديثَ، وكان ذلك سبب توبته ولزُومه العِبادة إلى أن مات.

* * *

---

(١) العَقْعَقُ: طائر على شكل الغراب.

البابُ السَّادِسُ والأَرْبَعون

في ذِكرِ أَخْبَارِ مَنْ قُتِلَ منَ العُشّاقِ بسَبَبِ العِشْقِ

١٠٤٢ ـ أخبرنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الحَسن بن علي الجَوهري قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه قال: أنبأنا أبو بكر بن خلف ـ إذْنا ـ: وحدثنا عنه محمد بن حُرَيث قال: أنبأنا قاسم بن الحسن قال: أنبأنا الْعُمَري قال: أنبأنا الهيثم بن عدي، عن عبد الله بن عَيَّاش، عن مجالد، عن الشَّعبي، قال: دخل عَمْرو بن مَعْدِي كَرِب[١] يوماً على عُمر بن الخطاب، فقال له عُمر: يا عَمرو أخبرني عن أشجع من لَقيت، وأَجْبَن من لقيت. فقال: نَعم يا أمير المؤمنين، خرجتُ مرّة أُريد الغارة، فبينا أنا أسير إذا أنا بفَرس مشدود، ورُمْح مركوز، وإذا رجل جالس، وإذا هو كأعظم ما يكون من الرِّجال خَلْقاً، وهو مُحْتَبٍ بسيف. فقلتُ له: خذ حذرك فإنّي قاتلك. فقال: ومَن أنت؟ قلت: أنا عَمرو بن معدِي كرب. فشَهِق شهقة فمات، فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين.

وخرجتُ يوماً آخر، حتى انتهيت إلى حيّ، فإذا أنا بفَرس مشدود ورُمح مركوز، وإذا صاحبه في وَهْدة يقضي حاجة، فقلتُ له: خذ حِذْرك فإنّي قاتلُك، قال: من أنت؟ قلت: أنا عَمرو بن معدِي كرب، قال: يا أبا ثور ما أَنْصَفْتَني، أنت على ظهرِ فرسِك وأنا في بِئْر، فأعطني عَهْداً أنك لا تقتلني حتى أركب فرسي وآخذ حِذْري. فأعطيته عهداً أن لا أقتله حتى يركب فرسه ويأخذ حذره، فخرج من الموضع الذي كان فيه، حتى احتبَى بسيفه وجلَس، فقلتُ له: ما هذا؟ فقال: ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك، فإن نكثتَ عهداً فأنت أعلم. فتركته ومضيت؛ فهذا يا أمير المؤمنين أَحْيَلُ من رأيت.

ثم إنّي خرجتُ يوماً آخر إلى موضع كنتُ أقطَعُ فيه، فلم أر أحداً، فأجرَيْتُ فرسي يميناً وشمالاً فإذا أنا بفارس، فلمّا دنا منّي إذا هو غلام حِين بَقَل وجهُه[٢]، مِن أجمل مَن

---

(١) هَو أبو ثور عَمرو بن معدِي كرِب الزبيدي، فارس اليمن، أسلم ثم ارتد ثم تاب، شهد اليرموك والقادسية. وأخبار شجاعته مشهورة، وله شعر جيد. توفي سنة (٢١) هـ. انظر الإصابة (٥٩٧٢) والأعلام ٥/٨٦.

(٢) بقَل وجهه: أي أول ما نبت شعر خده.

رأيتُ مِن الفتيان وأحسنهم، فإذا هو قد أقبلَ مِنْ نحو اليمامة، فلمّا قَرُب منّي سلّم فردَدْت عليه، وقلت: من الفتى؟ قال: أنا الحارث بن سعد فارِس الشَّهْباء. فقلت له: خذ حِذرك فإنّي قاتلك. قال: بل الوَيْل لك، من أنت؟ قلت: أنا عَمْرو بن معدِي كرب. قال: الحَقِير الذَّليل، والله ما يمنعني من قتلِك إلاّ استصغارك. قال: وتصاغَرَتْ نفسِي إليَّ، وعظُم عندي ما استقبلنِي به، فقلت له: خذ حِذْرك فوالله ما ينصرف إلاّ أحدُنا. قال: اغرُب ثكلتك أمك، فإنّي مِنْ أهل بيت ما نكَلْنا[١] عن فارس قط. فقلتُ: هو الذي تَسْمَع فاختَر لنفسك. فقال: إمّا أن تَطِّرِد لي[٢] وإمّا أن أطّرد لك. فاغتنمتُها منه، فقلت: اطّرِد لي. فاطّرد، وحملتُ عليه حتى إذا قلتُ: إنّي قد وضعت الرُّمح بين كتفيه إذا هو قد صار حزاماً لفرسه، ثم اتَّبَعَنِي فقرع بالقناة رأسي، وقال: يا عَمرو خذها إليك واحدة فوالله لولا أنّي أكره قَتْلَ مِثلك لقَتَلْتُك. فتصاغَرَتْ إليّ نفسي وكان الموتُ والله يا أمير المؤمنين أحبّ إلي مما رأيت. فقلت: واللهِ لا ينصرفُ إلاّ أحدنا. فقال: اختر لنفسك. فقلت: اِطّرد لي. فاطّرد، وظننتُ أنّي قد تمكنت منه واتَّبَعْتُه، حتى إذا ظننتُ أنّي قد وضعْتُ الرّمح بين كتفيه، فإذا هو قد صار لَبَباً[٣] لفرسه، ثم اتَّبَعَنِي فقَرَع رأسي بالقَناة، وقال: يا عَمرو خُذها إليك اثنتين. فتصاغَرَتْ إليَّ نفسِي، فقلتُ: والله لا ينصرفُ إلاّ أحدنا. فقال: اختر لنفسك. فقلت: اطّرِد لي. فاطَّرد حتى إذا قلتُ وضعتُ الرُّمْح بين كتفَيْه وثَب عن فرسه، فإذا هو على الأرض فأخطأتُه ومضيتُ، فاستوى على فرَسه، فاتَّبَعَني فقرَع بالقناة رأسي، وقال: يا عَمرو خذها إليك ثلاثاً، ولولا أنّي أكره قَتْلَ مِثلك لقتلتك. فقلتُ له: اقتلني أَحَبّ إليّ مما أرى بنفسِي وأن تسمَعَ فتيان العرب بهذا. فقال لي: يا عَمرو إنّما العفو ثلاث، وإنّي إنِ استمكنتُ منك الرّابعة قتلتُك. وأنشأ يقول:

وَكَّـذتُ أغـلاظـاً مِـنَ الأيمـانِ ... إن عُـدْتَ يـا عَمـرو إلـى الطِّعَـانِ
لَتُـوجَـرَنَّ لَهَـب السِّنـانِ ... أَوْ لاَ فلسـتُ مِـن بنـي شيبـان[٤]

فلما قال هذا كرهتُ الموت، وهِبْتُه هيبة شديدة، وقلتُ له: إنّ لي إليكَ حاجة. قال: وما هي؟ قلت: أكون لكَ صاحِباً ـ ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين ـ. قال: لستَ من أصحابي. فكان ذلك أشدّ عليّ وأعظم مما صَنع، فلم أزل أطلبُ إليه حتى قال: ويحك، وهل تدري أين أريد؟ قلت: لا. قال: أُريد الموت عِيَاناً. فقلت: رَضِيت بالموتِ معَك.

---

(١) نكَلْنَا: جَبُنَا.
(٢) أي: تركض أمامي فأطاردك.
(٣) اللَّبَبُ: موضع القِلادة من الصدر.
(٤) أوجره الرمح: طعنه به في فيه أو صورة.

قال: امض بنا. فسِرنا جميعاً يومَنا حتى جَنَّنا[1] الليل وذهب شَطْره، قال: فورَدْنا على حَيٍّ من أَحْيَاء العرَب، فقال: يا عَمرو في هذا الحيّ الموتُ، ثم أومأ إلى قُبّة في الحَيّ، فقال: وفي تلك القُبة الموت الأحمر. فإمّا أنْ تُمسك عليَّ فرسِي فآتي بحاجتي، وإمّا أن أُمْسِك عليك فرسَك فتنزل فتأتيني بحاجتي. فقلت: لا، بل إنْزِل أنت، فأنت أعرفُ بموضِع حاجَتِك.

فرمَى إليّ بعِنان الفرس فنزل، ورَضِيت - والله يا أمير المؤمنين - أن أكون له سَائِساً. ثم مضى حتى دخل القبة فاستخرَج جارية لم تَرَ عَيناي مثلها قطّ حُسْناً وجَمالاً، فحَملها على ناقة، ثم قال لي: يا عَمْرو. قلتُ: لبيك، قال: إمّا أن تحمِيَني وأقود أنا، وإمّا أن أحميَك وتقود أنت. قلتُ: لا بل تحمِيني أنت وأقود أنا. فرمَى إليَّ بزِمام الناقة، ثم سِرنا بين يدَيه وهو خلفنا، حتى إذا أصبحنا، قال لي: يا عَمرو. قلت: لبيك ما تشاء؟ قال: التفتْ فانظر هل ترى أحداً؟ قال: فالتفتُّ فقلت: أرى جِمالاً، فقال: أَغِذَّ السيرَ. ثم قال: يا عَمْرو. قلتُ: لبيك، قال: انظر فإنْ كان القوم قليلاً فالجَلَد والقوّة وهو الموت، وإنْ كانوا كثيراً فليسوا بشيء. قال: فالتفتُ، فقلتُ: هم أربعة أو خمسة، قال: أَغِذَّ السَّيْر، ففعلت. وسَمِع وَقْع الخيل عن قُرْب، فقال لي: يا عَمرو. قلت: لبيك، قال: كن عن يمين الطّريق وقِف وحَوِّل وجوه دَوَابِّنا إلى الطريق. ففعلتُ، ووقفتُ عن يمين الرّاحلة، ووقف هو عن يسارها.

ودنا القوم مِنّا فإذا هم ثلاثة نفر، فيهم شيخٌ كبير، وهو أبو الجارية، وأخواها غلامان شابّان، فسَلَّموا فردَدْنا السلام، ووقفوا عن يسار الطريق، فقال الشيخ: خَلِّ عن الجارية يا ابنَ أخي. فقال: ما كنتُ لأخلِّيها ولا لهذا أخذتُها. فقال لأصغر ابنَيه: اخرج إليه. فخرَج وهو يَجُرُّ رُمْحَه، وحمل عليه الحارثُ وهو يقول:

مِنْ دون ما تَرجوه خَضْبُ الذَّابلِ[2] ... مِن فارس مُسْتَلْئِم مُقاتِلِ[3]
يُنْمَى إلى شَيْبان خَيْرِ وائلِ[4] ... ما كان سَيْري نحوَها بباطِلِ

ثم شدَّ عليه، فطَعنه طعنةً دُقَّ منها صُلْبُه، فسَقط ميتاً. فقال الشيخ لابنه الآخر: اخرُج إليه يا بُني، فلا خيرَ في الحياة على الذُّلّ. فخرج إليه، وأقبل الحارث يقول:

لقد رأيتَ كيف كانت طَعْنتي ... والطَّعْنُ للقِرْن شديداً نهمْتي[5]
والموتُ خيرٌ مِنْ فِراقِ خُلَّتي ... فَقَتْلَتِي اليومَ ولا مَذَلَّتي

---

(١) جنَّنا الليل: أي أظلَم علينا وسترنا
(٢) الذابل: الرمح الدقيق، وخضب الذابل: الدم.
(٣) مستلئم: لابس لأمة الحرب، أي عدة الحرب كالسيف والرمح والدرع.
(٤) يُنمى: يُنسب.
(٥) القِرْن: المقاوم والكفء في شدة البأس والقتال. والنهمة: الضربة، وبلوغ الهمة في الشيء المراد.

ثم شدّ عليه، فطعَنه طعنةً سقَط منها ميتاً. فقال له الشيخ: خَلِّ عن الظَّعينة يا ابنَ أخي، فإنّي لستُ كمَن رأيت. قال: ما كنتُ لأخلّيها، ولا لهذا قصدت. فقال له الشيخ: اختَر يا ابنَ أخي، فإن شئت طاردتُك وإنْ شئت نازلتُك. قال: فاغتنمها الفتَى فنَزل ونزل الشيخ، وهو يقول:

مـــا أرتجـــي بعـــد فنـــاءِ عُمْـــرِي ... ســـأجعـــلُ السِّنيـــن مثـــل الشهـــرِ
شيـــخٌ يُحـــامـــي دونَ بَيْـــضِ الخِـــدْرِ[1] ... إنَّ اسْتبـــاحَ البَيْـــض قَصْـــمُ الظَّهـــرِ
ســوفَ تــرَى كيــف يكــون صَبْــري

فأقبل الحارث وهو يقول:

بعـــد ارْتِحـــالـــي وطُـــول سَفـــري ... وقـــد ظَفِـــرتُ وشفيـــتُ صَـــدْري
والمـــوتُ خيـــرٌ مـــن لِبَـــاس الغَـــدْرِ ... والعـــارُ أُهْـــدِيـــه لِحَـــيٍّ بَكْـــرِ

ثم دَنا. فقال له الشيخ: يا ابنَ أخي إنْ شئت ضربتك وإن بقِيَتْ منك قوة ضرَبْتَني، وإن شئت فاضْرِبني، فإنْ بقِيَت فيّ قوة ضربتُك. فاغتنمها الفتى فقال: أنا أبدأ أولاً، قال: هات، فرفع الحارث السيف فلما نظر الشيخ أنه قد أهْوَى به إلى رأسه، ضربه ضربة قَدَّ منها مِعاه[2] ووَقَعَتْ ضربةُ الحارثِ في رأسِه فسقطا ميِّتَين. فأخذتُ يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلتُ إلى النّاقة فعقَدْتُ أَعِنّة الأفراس بعضها إلى بعض، وجعلتُ أقود، فقالت لي الجارية: يا عَمرو، إلى أَيْن ولستَ لي بصاحب ولستَ كمن رأيت، ولو كنتَ لي صاحباً لسلكتَ سبيلهم. فقلتُ: اسكتي. قالت: فإن كنتَ صادقاً فأَعْطني سَيْفاً أو رمحاً فإن غَلَبْتَني فأنا لك، وإن غلبتُك قتلتُك. فقلت لها: ما أنا بمُعْطِيك ذاك وقد عرفتُ أصْلَك وجُرأة قومك وشجاعتهم. فرمَت بنفسها عن البَعير ثم أَقْبلَت إلي وهي تقول:

أَبَعْــدَ مــا شيخــي وبَعْــدَ إخــوتــي
أطلُــبُ عَيْشــاً بعــدَهُــم فــي لَــذَّتــي
هَــلاّ تكــون قبــل ذاك مِيتَتِــي

ثم أَهْوَتْ إلى الرُّمح وكادت تنتزعه من يدِي، فلما رأيتُ ذلك منها خِفْت إنْ هي ظفرت بي أن تقتُلَني، فقتلتُها. فهذا أشد مَن رأيته قط يا أمير المؤمنين. فقال عُمر: صدقت يا عَمرو.

١٠٤٣ ـ أخبرنا سَعيد بن أحمد بن الحسن، قال: أنبأنا أبو سعد محمد بن الرُّسْتمي، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن بِشْرَان، قال: أنبأنا إسماعيل بن محمد الصَّفَّار، قال: حدثنا

---

(١) البيضة: كل شيء حُزته ومسؤول عنه، والخِدر: السِّتر، يقصد: ابنته.
(٢) قَدّ: قطع. المِعاء: مصران البطن.

سعدان بن نَصْر، قال: حدثنا سُفيان بن عُيَيْنة، عن الزُّهري، عن القاسم بن محمد، عن عُبيد بن عَمَيْر: أنّ رجلاً أضَاف ناساً من هُذَيل، فذهبت جاريةٌ له تَحْتَطب، فأرادها رجلٌ منهم عن نفسِها، فرَمَتْه بِفِهْر[1] فقتلَتْه. فرُفع ذلك إلى عُمر بن الخطاب، فقال: ذاك قَتيل الله، والله لا يُودَى أبداً[2].

١٠٤٤ ـ أخبرتنا شهْدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن علي السَّوّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: أنبأنا أبو الحُسين عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا أبو بكر بن خلَف، قال: حدثنا أحمد بن منصور الرَّمَادي، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثني الليث، قال: أُتِي عُمر بن الخطاب يوماً بفتَى أمرد قد وُجد قتيلاً على وجه الطريق، فسأل عن أمرِه واجتهد فلم يقِف له على خبر ولم يعرف له قاتل. فشَقّ ذلك على عُمر، وقال: اللهمّ أَظْفِرْني بقاتِله. حتى إذا كان رأسُ الحَوْل أو قريباً من ذلك، وُجِد صبيّ مولُود ملقَى بموضِع القَتيل، فأُتِيَ به عُمر، فقال: ظفرت بدم القَتيل إنْ شاء الله.

فدَفع الصبيَّ إلى امرأةٍ، وقال لها: قُومي بشأنِه وخُذي منّا نفقته، وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدتِ امرأةً تُقبّله وتَضمّه إلى صدرِها فأَعْلِميني بمكانها. فلمّا شبّ الصَّبِيُّ جاءَت جاريةٌ فقالت للمرأة: إنّ سيدتي بعثتني إليكِ لِتَبْعَثِي بالصّبي لتراه وتردَّه إليك، فقالت: نعم اذهبي به إليها وأنا معك، فذَهبت بالصّبي والمرأة معها، حتى دخلَت على سَيّدتها، فلما رأته أخذتْهُ فقبّلته وضَمّته إلى صدرِها، فإذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ. فأخبرَت عمرَ خبرَ المرأة، فاشتمل عُمر على سيفه، ثم أقبلَ إلى منزلها، فوجد أباها مُتكئاً على باب داره، فقال: يا أبا فلان، ما فعلَتْ ابنتُك فلانة؟ قال: يا أمير المؤمنين جزاها اللَّهُ خيراً هي مِنْ أعرفِ النّاس بحقِّ الله تعالى، وحق أَبيها، مع حُسْن صلاتها وصيامها والقيام بدينها. فقال عُمر: قد أَحْبَبْتُ أن أدخلَ إليها فأزيدَها رَغْبةً في الخَيْر، وأَحُثّها على ذلك. فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين، امكث مكانَك حتى أرجع إليك. فاستأذن لعُمر، فلمّا دخل أمر عُمرُ كلَّ مَن كان عندها فخرَج، وبقيت هي وعُمر في البيت، وليس معهما أحد، فكشَف عمر عن السّيف، وقال: لتصدِقِنّي. وكان عُمر لا يُكْذَب. فقالت: على رِسْلك يا أمير المؤمنين والله لأصْدُقَنّ. إنّ عجوزاً كانت تدخل عليّ فاتّخذتُها

---

(١) الفِهْر: الحجر ملء الكفّ، وقيل: هو الحجر مطلقاً.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف ٩/٤٣٥، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/٣٣٧، وذكره ابن حزم في المحلى ٨/٢٥١، وابن كثير في مسند الفاروق ٢/٤٥٦. قال ابن كثير عقبه: «إسناد جيد وفيه انقطاع، والله أعلم».

أمًّا، وكانت تقوم مِن أمري ما تقوم به الوَالدة، وكنتُ لها بمنزلة البنت، فأمْضَت بذلك حِيناً، ثم إنّها قالت: يا بُنَيّة إنّه قد عرَض لي سفر، ولي بنت في موضعٍ أتخَوّف عليها فيه أن تَضِيع، وقد أحبَبْتُ أن أضُمّها إليك حتى أرجع من سفري. فعمَدتْ إلى ابن لها شابّ أمرد فهيّأته كهيئةِ الجارية وأتَتْني به لا أشكّ أنه جارية، فكان يرَى مني ما ترى الجارية من الجارِية، حتى اغْتَفَلَنِي يوماً وأنا نائمة، فما شعرت حتى علاني وخالَطني، فمدَدْت يدي إلى شفرة كانت إلى جَنبي فقتَلتُه، ثم أمرتُ به فأُلقي حيث رأيتَ، فاشتملتُ منه[1] على هذا الفتى، فلمّا وضعته ألقيته في موضع أبيه، فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك. فقال عُمر: صدقتِ بارك الله فيك، ثم أوصاها ووَعظها ودعا لها، وقال لأبيها: بارك اللّهُ لك في ابنتِك، فنِعْم الابنةُ ابنتك، فقال الشيخ: وصلَك الله يا أمير المؤمنين وجزاك خيراً عن رعيتك[2].

١٠٤٥ ـ أخبرتنا شهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو علي رَبيب أبي حَيّوَيه القاضي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن نصر، قال: حدثنا أبو عَمرو عثمان بن محمد السَّمَرْقندي، قال: حدثنا أحمد بن شَيْبان، قال: حدثنا مُؤَمّل، عن حَمّاد بن سلمة، وحماد بن زيد، عن أيوب: أن رجلاً خرَج غازياً، فخرج رجلٌ من جِيرانه، فأَبْصَر في بيته ذات ليلة مصباحاً، فقام قريباً من منزله فسمع:

وأشعثَ غرَّه الإسلامُ مِنّي ... خَلَوْتُ بعِرسه ليلَ التمام
أبِيتُ على تَرائبها ويُضْحِي ... على جرداء لاحقة الحزام[3]
كأنّ مواضع الرَّبَلات منها ... قيام يَنْتَمين إلى قيام[4]

قال: فدخل عليه فقتَله، ثم رمَى به. فلمّا أصبح أُخبر عُمر بذلك، فقام يخطب الناس فقال: أنْشُد الله رجلاً وأَعْزِم عليه، علِم مِنْ عِلْم هذا الرجل عِلْماً إلاّ أَخْبَرنا به، فقام الرّجل فأخبره بما رأى وبما سمع، فقال عُمر: اقْتُل. قال: فعلتُ يا أميرُ المؤمنين.

١٠٤٦ ـ أخبرتنا شهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن عليّ السَّوَّاق، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا أبو الحُسين بن بيان الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف المُحَوّلي، قال: حدثنا أحمد بن زُهير، قال:

---

(١) أي: حَبلت.

(٢) ذكره ابن كثير في مسند الفاروق ٢/٤٥٦ من طريق أحمد بن منصور الرمادي، وابن القيم في الطرق الحكمية ص ٤١. قال ابن كثير عقبه: «هذا أثرٌ غريب، وفيه انقطاع، بل مُعْضل».

(٣) الترائب: موضع القلادة من الصدر. الجرداء من الخيل والدواب: القصيرة الشعر. لاحقة الحزام: أي سريعة تكاد أرجلها تضرب بالحزام من سرعتها.

(٤) الربلات: جمع ربلة، وهي كل لحمة غليظة، وقيل: هي باطن الفخذ، أو ما حول الضرع منه.

حدثنا داود بن رَشيد، قال: حدثنا أبو المَلِيح، عن الزّهري، قال: كان رجلٌ يهوَى امرأة، فأرادها فأَغْلَقَتْ الباب دونه، فأَدْخَل الرجلُ رأسه من أُسْكُفّة[1] الباب، فأخذَتِ المرأة حَجراً أو خشبة، وضَرَبت رأسَه فدمَغَتْه[2]، فرُفِع ذلك إلى عبد الملك بن مروان، فقال: بِهِ لا بِظَبْيِ، وأهدَر دمه.

١٠٤٧ ـ أخبرنا المبارك بن عليّ قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاَّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْرَان قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي قال: أنبأنا محمد بن جعفر الخَرائطي قال: حدثنا الحُسين بن أيوب قال: حدثنا أبو عبد الله بن أسباط قال: حدثني دِعْبَل قال: كنت بالثَّغر فنُودي بالنَّفِير، فخرَجْتُ مع الناس، فإذا أنا بفتَى يجرّ رُمحه بين يدَيّ، فالتفتَ فنظر إليّ، فقال: أنت دعْبَل؟ قلت: نعم. قال: اسمع مِنّي بيتَيْن، فأنشدني:

أنـــا فـــي أَمْـــري رَشـــادُ ... بيـــن غـــزوٍ وجهـــادِ
بـــدَنـــي يغـــزُو عـــدوِّي ... والهـــوَى يغـــزُو فـــؤادي

ثم قال: كيف ترى؟ قلتُ: جيد. قال: والله ما خرجتُ إلاّ هارباً مِنَ الحبّ. ثم التقينا، فكان أول قتيل.

١٠٤٨ ـ وقد بلغتنا هذه الحكاية عن دعبل على غير هذا الوجه، أنه قال: كنتُ مع الدَّمَنِي في غَزَاته التي حارب فيها كَلْب الروم، فلما وقف الجيشان برز عِلْجٌ[3] من الرُّوم، فقتل سبعة من مُبارزي المسلمين، ثم جعَل يجرُّ رُمحه ويطلب البِراز، فلا يبرز له أحد. فلما طال ذلك علينا وخِفْنا الهزيمة، برزَ غلامٌ وضِيء الوَجه، ظاهر الجمال، له ذؤابتان مِن وَرائه، فبارَز العِلْجَ فقتلَه، ثم ابتدر إليه عشرةٌ من عُلوج الروم، فقتلَهم، وردَّ الرومَ منهزمين، فقُتل منهم في ذلك اليوم سبعة آلاف رجل، وأقبلَ الناس على الغنائم، فارتقَى الغلام رَابِية، ونزَل عن فرسِه، وأخذ مِقْودَه بيده، وجعلَتْ دموعُه تنحدِر على الأرض كالقطر. قال دعبل: فنزلتُ عن فرسي فقلتُ: يا بنيّ قد أَبلَى الله تعالى على يدِك هذا البلاء للإسلام وأهله، ألا أراك تتعرّض لشيء مِنَ الغنائم، وأنت مِنَ البكاء على هذه الحالة، فأَعْلِمْني قصّتك. فأطرَق ساعة ثم أنشأ يقول:

أنـــا فـــي أَمْـــرِي رَشـــادُ ... بيـــن غـــزوٍ وجهـــادِ
بـــدَنـــي يغـــزُو عَـــدُوِّي ... والهـــوَى يغـــزو فـــؤادي

---

(١) أسكفة الباب: عتبته.
(٢) دَمَغَتْه: شجَّته حتى بلغت الشجّة دِماغه.
(٣) العِلْج: الرجل الضخم القويّ من كفّار العجم.

ثم مضى ولا أعرف اسمه ولا نسبه.

١٠٤٩ ـ أخبرتنا شهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو طاهر أحمد بن عليّ السَّوَّاق، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن فارس، قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الزَّينبي، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: أخبرني إسحاق بن محمد، قال: حدثنا محمد بن زياد الأعْرَابي، قال: نزل رجلٌ من العرب بامرأة من باهلة. وليس عندها زوجها فأكرَمَتْه وفرَشَتْه، فلما لم يرَ عِندها أحداً ولا قُربها، سامَها نفسَها. فلما خَشِيَتْه قالت له: امكُث أستَصْلِحْ لكَ، ثم راغَت[1] فأَخَذَتْ مُدْية فأخْفَتها، ثم أقبَلَت إليه، فلما رآها ثار إليها، فضرَبَت بها في نحره، فلما رأتِ الدمَ سقطَتْ مغشياً عليها، وسقط هو ميتاً، فأتاها آتٍ من أهلها فوجدها على تلك الحال، فأجلَسها حتى أفاقت. فقال أَعْشَى باهلة في ذلك:

لَعَمْـري لقـد أَخْفَـتْ معـاذةُ ضَيْفهـا ... وسَـوَّتْ عليـه مَهْـدَه ثـم بَـرَّتِ

فلمـا بغَـاهـا نفسَهـا غضِبَـتْ لهـا ... عُـروقٌ نَمَـتْ وسـط الثـرَى فـاستقَـرَّتِ

وشَـدَّتْ علـى ذِي مُـدْيـة الكَـفِّ مِعْصمـاً ... وضِيئـاً وعَـزَّتْ نفسُهـا فـاستمـرَّتِ

فـأَمَّـتْ بهـا فـي نَحْـرِه وهـو يَبْتَغـي النِّـ ... ـكـاحَ فمـرَّتْ فـي حشَـاه وجَـرَّتِ

فَثَـجَّ كـأن النِّيـل فـي جـوفِ صَـدْره ... وأدركهـا ضعـفُ النسـاء فخَـرَّتِ[2]

١٠٥٠ ـ قال ابن خلف: وحدثنا أبو بكر العَامري، قال: حدثنا عبد الله بن عُمر، قال: حدثنا أبو عباد شيخ قديم، قال: أدركْتُ الخادم الذي كان يقوم على رأس الحجّاج، فقلتُ له: أخْبِرْني بأعجبِ شيء رأيتَه من الحجاج. قال: كان ابنُ أخيه أميراً على واسط، قال: وكان بواسط امرأة، يقال إنه لم يَكُ بواسِطَ في ذلك الوقت أجمل منها، فأرسَل ابنُ أخيه إليها يُريدها على نفسِها مع خادم له، فأبَتْ عليه، وقالت: إن أردتَني فاخطُبْني إلى إخوتي، قال: وكان لها إخوة أربعة. فأبَى، وقال: لا إلاّ كذا، وعاوَدَها فأبَتْ عليه إلاّ أن يخطِبَها، فأمّا حرامٌ فلا، قال: وأبَى هو إلاّ الحرام، فأرسَل إليها بهدِيّة فأخذَتْها فعزَلتها. قال: وأرسل إليها عَشِيّة جمعة: أنّي آتيك الليلة. فقالت لأمّها: إنّ الأمير قد بعث إليَّ بكذا وكذا. قال: فأنكرَتْ أمّها ذلك، وقالت: أمّها لإخوتها: إنَّ أختكم قد زَعمت كذا وكذا. فأنكروا ذلك وكذّبوها، فقالت: إنّه قد وَعَدني أن يأتيَني الليلة فستَرَوْنه.

قال: فقعَد إخوتها في بيتٍ حِيال البيتِ الذي هي فيه، وفيه سِرَاج، وهم يرون مَن يدخل إليها، وجُوَيرية لها على باب الدّار قاعدة، حين جاءَ فنزل عن دابّته، وقال لغلامه: إذا أَذّن المؤذّن في الغَلس فائتِني بدابّتي، ودخل. فمَشَتِ الجارية بين يدَيه وقالت له: ادخل،

(١) راغ: من المراوغة: المكر والخديعة، وراغ إلى كذا: مال إليه سرّاً.
(٢) ثجّ: سال دمه.

فدَخل، وهي على سَرير مُستلقية، فاستلقَى إلى جانبِها، ثم وضَع يده عليها، وقال: إلى كم ذا المَطْل. فقالت له: كُفَّ يدك يا فاسق، قال: ودخل إخوتُها عليه معهم سيوف، فقطّعوه ثم لفُّوه في نِطْع[1]، وجاؤوا به إلى سكّة من سِكك واسط فألقوه فيها، وجاء الغلام بالدّابة، فجعل يدقّ الباب دقّاً رقيقاً وليس يكلّمه أحد، فلمّا خشي الصبح، وأن تُعْرَف الدّابة انصرف. وأصبَحوا فإذا هم به، فأتوا به الحجّاج فأخذَ أهل تلك السكّة فقال: أخبروني ما هذا وما قصّته؟ قالوا: لا نعلم حاله، غير أنا وجدناه مُلْقَى. ففَطِن الحجّاج، فقال عليَّ بمن كان يخدمه. قال: فأُتِي بذلك الخَصِيّ الذي كان الرّسول. فقالوا: هذا كان صاحب سِرّه. فقال له الحجاج: اصْدُقني، ما كان حاله وما قصّته. فأبى، فقال له: إنْ صَدَقْتني لم أضرِب عنقك، وإن لم تصدقني ضربتُ عنقَك وفعلتُ بك وفعلت. قال: فأخبرَه الأمر على جهته. فأمر بالمرأةِ وأمّها وإخوتها، فجِيء بهم، فعُزِلت المرأةُ عنهم فسألها فأخبرته بمثل ما أخبره به الخَصِي. ثم عزَلها، وسأل الإخوة فأخبروه بمثل ذلك. وقالوا: نحن صنَعنا به الذي ترَى. قال: فعَزلهم، وأمر برقيقه ودوابّه وماله للمرأة. فقالت المرأةُ: عندي هديّته. فقال: بارك الله لكِ فيها، وأكثرَ في النِّساء مثلَك، هي لكِ وكلّ ما ترَك مِن شيء فهو لك. وقال: مثل هذا لا يُدفن فألقُوه للكلاب، ودعا الخَصِيَّ، فقال: أما أنت فقد قلتُ لك: إنّي لا أضرب عنقك، وأمر بضَرْب وسَطِه.

١٠٥١ ـ حكى لي ابن رشادة الطّبيب: أنّ طبيباً نصرانياً كان بواسط ـ وكان شاباً مستحسَناً تتعشّقه النساء ـ فدخَل إلى امرأةٍ بعض الأكراد ليَفْصِدها[2]، فأخرَجَتْ ذِراعها، فحَار لحُسْنه، ثم جعل يلمِسه لَمْسَ ملتذّ به، فلم يَخْفَ ذلك على المرأة. ثم قال لها: اليوم لا يتهيأ الفَصْد فأخّريه إلى غدٍ وخرج. فجاء زوجُها فحدّثته الحديث، فخرَج وبعث إلى الطّبيب فأتاه، فقال له: تجيء معي لتنظر إلى مَريض، فنزلا في سُمَيْرِيّة[3] وأخرجه إلى البطائح، ثم قطّعه قِطعاً بالسّيف.

* * *

(١) النطع، وهو: بِساطٌ من جلد.
(٢) الفَصْد: قطع العِرْق ليخرج بعض الدم منه.
(٣) السميْريّة: القارب الصغير.

البابُ السّابعُ والأَرْبعُون

في ذِكرِ مَنْ قَتَلَهُ العِشْقُ

١٠٥٢ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا علي بن محمد العَلّاف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْرَان قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي قال: أنبأنا محمد بن جعفر الخَرائطي قال: حدثنا أبو يوسف الزُّهري قال: حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال: حدثنا محمد بن عيسى بن بَكّار، عن فُليح بن إسماعيل بن جعفر، عن عبد الملك بن صالح، عن عمه سليمان بن علي، عن عِكْرمة قال: إنّا لَمَع عبد الله بن عباس عَشِيّةَ عرَفة إذ أقبل فتية يحمِلون فتى من بني عُذْرة قد بَلِي بدنُه، وكانت له حلاوة وجمال، حتى وَقَفُوه بين يديه، ثم قالوا: استشفِ لهذا يا ابن عمّ رسول الله ﷺ. فقال: وما به؟ فترنَّم الفتى بصوتٍ ضعيف لا يتبيّن وهو يقول:

بِنا مِن جَوَى الأَحْزانِ والحُبِّ لوعةٌ ... تكادُ لها نفس الشَّفيق تذوبُ
ولكنما أبْقَى حشاشةَ مُعْوِلٍ ... على ما به عودٌ هناك صَلِيبُ[1]
وما عَجَبٌ موتُ المُحِبِّين في الهوى ... ولكنْ بقاءُ العاشِقين عَجيبُ

ثم شهَق شهقة فمات. قال عِكرمة: فما زال ابن عباس بقية يومه يتعوَّذ بالله من الحبّ!

١٠٥٣ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا أبو القاسم بن البُسْرِي، عن أبي عبد الله بن بَطّة، قال: حدثنا محمد بن أبي القاسم الأنْبَاري، قال: حدثنا أبو الحسن بن البَرَاء، قال: حدثنا الزُّبير، عن محمد بن عيسى، عن فُليح بن إسماعيل، قال: حدثني عبد الملك بن صالح، قال: حدثني عمّي سليمان بن عليّ، عن عِكْرمة، قال: إنّي لَمع ابن عباس عشِية عرفة إذا فتية يحملون فتى في كِساء مَعْرُوقَ الوجه[2] ناحلَ البدن أحلى مَن رأيت من الفتيان، فوَضعوه بين يدي ابن عباس، فقالوا: استشْفِ له يا ابن عمّ رسول الله ﷺ. فقال: وما بِه؟ فأنشأ الفتى يقول:

بنا مِنْ جَوَى الأحزانِ والحُبِّ لوعةٌ ... تكادُ لها نفس الشَّفيقِ تذوبُ

---

(١) العود: كناية عن جسمه النحيل. الصليب: القوي.
(٢) معْرُوق الوجه: أي قليل لحم الوجه من النحول والضعف.

ولكنّمـا أَبقـى حشـاشـة مُعْـولٍ ... علـى مـا بـه عـودٌ هنـاك صليـبُ

قال: وأنشأ الفتى يقول:

وبـي لـوعـةٌ لـو تشتكـي الصّـمُّ[1] مثلَهـا ... لفُطِّـرَتِ الصّـمُّ الصِّـلاَبُ فخـرَّتِ

ولـو قَسَـمَ اللَّـهُ الـذي بـي مـن الجَـوَى ... علـى كـلِّ نفـسٍ حَظَّهـا لألَمَّـتِ

ولكنمـا أبقَـى حشـاشـةَ مُعْـولٍ ... علـى مـا بـه صَلْـبُ النجـار فَمُـدَّتِ

قال: ثم حمل فخفت فمات في أيديهم. فقال ابن عباس: هذا قَتِيل الحُبّ، لا عَقْل ولا قَوَد! قال عكرمة: فما رأينا ابنَ عباس سألَ الله في تلك العشِيَة حتى أمسى إلاّ العافية مما ابتُلي به ذلك الفتى.

١٠٥٤ ـ أنبأنا أبو بكر محمد بن الحُسين قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن النَّقور قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص قال: أنبأنا رضوان بن محمد قال: أنبأنا أبو عمر العُطَاردي، عن يونس، عن ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عتبة، عن الزّهري قال: حدثني ابن حَدْرَد، عن أبيه[2] قال: كنت في خَيْل خالد بن الوليد ـ التي أصاب بها بني جُذَيْمة ـ إذا فتى منهم مجموعةٌ يده إلى عُنقه برُمَّة[3] ـ يقول: نحيل ـ، فقال لي: يا فتى هل أنت آخِذٌ بهذه الرُّمة فمُقَدِّمِي إلى هؤلاء النّسوة حتى أقضِي إليهنّ حاجة، ثم تصنعون ما بدا لكم؟ فقلت: لَيَسِير ما سألتَ. فأخذتُ برُمَّته فقدمته إليهنّ، فقال: اسلمي حُبَيْش على بُعْد العيش، ثم قال:

أَرَيْتُـكِ إذ طـالَبْتكـم فـوجـدتكُـمْ ... بِحَلْيَـة أو أَلْفَيْتُكُـمْ بـالخَـوانِـقِ[4]

ألـم يَـكُ حقـاً أن يُنَـوَّل عـاشـقٌ ... تكَلَّـف إدْلاجَ السُّـرَى والـوَدَائـقِ[5]

فـلا ذنـبَ لـي قـد قلـتُ إذ أهلُنـا معـاً: ... أثِيبِـي بـودٍّ قبـل إحـدَى الصَّفـائـقِ[6]

أثِيبِـي بـودٍّ قبـل أن تَشْحَـط النَّـوى ... ويـنـأى الأميـرُ بـالحَبيـبِ المُفـارقِ

فـإنِّـيَ لا سِـرٌّ لـدَي أضَعْتُـه ... ولا راق عَيْنِـي بعـد وجهِـك رائـقُ

علـى أنّ مـا نـاب العشيـرة شـاغـلٌ ... عـن اللّهـو إلاّ أن يكـون تَـوَامُـقُ[7]

---

(١) أي: الأحجار الصمّاء الصلبة المتينة.

(٢) هو الصحابي: حَدْرد بن أبي حَدْرد بن عمير الأسلمي، يُكنى أبا خراش المدني، له حديث عند أبي داود والبخاري في الأدب المفرد. انظر: الإصابة ٣١٦/١، والتقريب (١١٥١).

(٣) الرُّمّة: القطعة من الحبل البالي.

(٤) حلية والخوانِق: اسمان لمكانين في تهامة.

(٥) ودائق جمع وَدِيقة: وهي شدّة الحرّ في منتصف النهار، وإدلاج السرى: السير ليلاً.

(٦) الصفائق: الدواهي.

(٧) التوامق: التحاب. وفي البيتين الأخيرين إقواء.

فقالت: وأنتَ فحُيِّيت عَشْراً وسبعاً وتراً وثمانياً تَترى. ثم قدمناه فضربنا عنقه.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس، عن أشياخ من قومه شهدوا مع خالد بن الوليد، قالوا: فلما قُتل قامت إليه فما زالت تَرْشُفُه[١] حتى ماتت عنده.

وقد رويت لنا هذه الحكاية أبسط من هذا، وفيها بداية هذه المحبة.

١٠٥٥ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: ذكر أبو عُمر بن حَيّوَيه ـ ونقلته من خطه ـ، أنّ أبا بكر بن المَرْزُبان حدّثهم، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الكُوفي، قال: حدثنا الهيثم بن عَدِي، قال: حدثني سعيد بن شَيبان، عن أبي مسعود الأَسْلَمي، عن أبيه، قال: نشأ فينا غلامٌ يُقال له: عبد الله بن علقمة، وكان جَميلاً فهوي جارية من غير فخَذِه[٢] يقال لها: حُبَيشة، وكان يأتيها ويتحدّث إليها، فخرَج ذات يوم مِن عندها ومعه أمُّه، فرأى في طريقه ظبية على رَابية، فأنشأ يقول:

يــا أُمَّتَــا خَبِّـرِينــي غيــرَ كــاذبــةٍ ... ومــا يُـريـد مَسُـول الْخَيـرِ بـالكَـذِبِ[٣]
حُبَيْـــشُ أَحْسَـــنُ أم ظبــيٌ بـــرابيــةٍ ... لا بَــلْ حُبَيْشَــةُ مِــنْ دُرٍّ ومــن ذَهَــبِ

ثم انصرَف مِن عندها مرة أخرى، فأصابته السماء، فأنشأ يقول:

ومـــا أدري إذا أبصـــرتُ يـــومـــاً ... أصـــوبُ القَطْـــر أحســـنُ أم حُبَيْـــشُ
حُبَيْـــشٌ والـــذي خَلَـــقَ الهـــدَايـــا ... علـــى أنْ ليـــس عِنْـــدَ حُبَيْـــشٍ عيـــشُ

فلما كثر ذلك منه وشهر بها، قال قومه لأمّه: إنّ هذا الغلام تُيِّم، وإن أَهْل هذه المرأة يرغبون بأنفسهم عنكم، فانظري جارية من قومك، ممن لا تمتنع عليك فزيّنيها، واعرضِيها عليه لعلّه يتعلّقها ويَسْلو تلك. ففعلَتْ وحضرَ نساؤها، فجعلوا يَعْرِضون عليه نساءَ الحَيّ، ثم يقولون له: يا عبد الله كيف ترى؟ فيقول: إنّها والله حَسْناء جَمْلاَءُ. إلى أن قال قائل: هي أحسن أم حُبيشة؟ فقال: مَرْعى ولا كالسَّعْدان[٤].

فلما يَئِسوا أن ينصرفَ عنها، قال بعضُهم لبعض: عليكم بحُبَيْشة؛ وطمِعوا أن يأتوا الأمر من قبلها، فقالوا: والله لئن أتاك فلم تَزْري به وتَتَجَهَّميه وتقولي له: أنتَ أبغضُ الخلقِ إليّ فلا تَقْرَبْني، لنَفْعَلنّ بكِ ما يسوؤك. فأتاها فلم تكلّمه بشيء مما قالوا، ولم تزِدْ على أن

---

(١) أي: تُقَبِّله.
(٢) أي: من غير عشيرته وقبيلته.
(٣) أي: مسؤول.
(٤) مرعى ولا كالسعدان: مثل يضرب للشيء فيه نفع وغيره أنفع منه. والسَّعدان: نَبت، وهو من أفضل مراعي الإبِل.

نظرَت إليه ونظَر إليها، ثم أرسلَتْ عينَها تبكي، فانصرَف عنها، وهو يقول:

وما كان حُبِّي عن نَوالٍ بَذلْتِه ... وليس بِمُسْلِيَّ التجَهُّم والهَجْرُ
سِوَى أنَّ دائي منك داءُ مودةٍ ... قديماً ولم يُمْزَج كما تمزجُ الخمرُ
وما أَنْسَ مِلْ أشياءِ لا أنْسَ دمعَها ... ودمعتَها حتى يُغَيِّبَني القبرُ

فبينما هما على أشدّ ما كانا عليه من الهوى والصَّبْوة، هجم عليهم خالد بن الوليد يوم الغُمَيْصَاء، فأخذَ الغلامَ رجلٌ من أصحاب خالد، فأراد قتله. فقال له: ألْمِمْ[1] بي أهلَ تلك البيوت أقضِي إليهنّ حاجة، ثم افْعَل ما بَدَا لك. قال: فأقبلتُ به حتى انتهى إلى خيمةٍ منها، فقال: اسْلَمِي حُبَيش بعد انقطاعِ العيش. فأجابَتْه فقالت: سَلِمت وحيّاك الله عشرا، وتسعاً وترا، وثمانيةً تترى، فلم أرَ مثلَك يُقْتَلُ صبرا. وخرجَتْ تشتَدّ وعليها خمار أسود لاثَتْه[2] على رأسها، وكأنّ وجهها القمر ليلة البدر. فقال حين نظر إليها:

أرَيْتُك أنْ طالَبْتُكُمْ فوجدتكم ... بِبَرْزَةَ أو أَدْرَكْتُكم بالخَوانِقِ
أمَا كان حقّاً أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكَلَّف إدْلاجَ السُّرَى والودائقِ
فإنّيَ لا سِرٌّ لَدَيَّ أضَعْتُه ... ولا راقَ عيني بعد وجهكِ رائقُ
على أنّ ما نابَ العَشِيرةَ شاغلٌ ... فلا ذِكْرَ إلاّ أن يكون تَوامُقُ
فها أنا مأسورٌ لديكِ مُكَبَّلٌ ... وما إنْ أراني بعده اليومَ ناطقُ

فأجابَتْه:

أرَى لكَ أسباباً أظنّك مُخْرِجاً ... بها النّفسَ من جَنْبَيَّ والرّوحَ زاهقُ

فأجابها فقال:

فإنْ يقتلُوني يا حُبَيْشُ فلم يَدَعْ ... هواكِ لهم منّي سوى غُلَّة الصَّدْرِ[3]
وأنْتِ التي قَفَّلْتِ جِلْدي على دَمِي ... وعَظْمِي وأسْبَلْتِ الدموعَ على النحرِ[4]

فأجابَتْه فقالت:

ونحنُ بكَيْنا مِن فِراقِكَ مرةً ... وأخرى وقايَسْنا لك العُسْرَ باليُسْرِ
فأنتَ فلا تَبْعُدْ فنِعم أخُو النَّدَى ... جميلُ المُحَيَّا في المروءةِ والبِشْرِ

قال الذي أخذه: فضربتُه ضربة قَطَعْتُ منها يدَه وعُنقه، فلما رأتْه قد سقط، قالت:

---

(١) ألحم: اقترب.
(٢) لاثَتْه: ربطته، واللاثة: ما تربطه المرأة على رأسها.
(٣) غُلَّة الصدر: حرارة الحزن والحب في الصدر.
(٤) أقفل الجلد وقفّله: أيبسه.

ائذن لي أن أجمع بعضه إلى بعض. فأذِنْتُ لها، فجمَعَتْه وجعلت تمسح التراب عن وجهه بخمارها وتبكي، ثم شَهَقت شَهْقة خرجَت معها نفسُها.

وقد رُوِيت لنا هذه الحكاية، وفيها ذكر رسول الله ﷺ، وأنه حُدِّث بحال هذا الرجل.

١٠٥٦ ـ أخبرتنا شُهْدة بنت أحمد بن الفرج، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السَّراج، قال: ذكر أبو عُمر بن حَيّوَيه ـ ونقلته من خطه ـ، أنّ أبا بكر محمد بن خلف حدّثهم، قال: حدثنا أبو العباس محمد بن موسى القُرَشي، قال: حدثنا إبراهيم بن بشار الرَّمادي، قال: حدثنا سفيان بن عُيَينة، قال: حدثنا عبد الملك بن نَوْفل بن مُسَاحِق، عن ابن عصام المُزَني، عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سَرِيّة إلى بَطْن نخلة، فإذا رجل معه ظعائن له يُسوقهنّ أمامه، فأتَينا عليه، فقلنا له، أسْلِم. فقال: وما الإسلام؟ فعرَضْناه عليه، فإذا هو لا يعرفه. فقلنا له: إنّا قاتلوك. فقال: هل أنتم تاركيَّ حتى ألحق بهؤلاء الظَّعائِن؟ قال: قُلنا: نعم، ونحن مُدْرِكُوك لا مَحالة. قال: فأتَى هودجَ ظَعِينة منهنّ، قد وصَفها بشيء من حُسْنٍ وجمال، فقال:

أَرَيْتُـك أن طـالَبْتكـم فلحِقْتكـم ... بِحَلْيَـةَ أو أدركتكُـمْ بـالخَـوانِـقِ
أمـا كـان حقًّـا أن يُنَـوَّل عـاشـقٌ ... تكلّـفَ إدلاَج السُّـرَى والـودائـقِ

ثم قال:

فـلا ذنـبَ لـي، قـد قلتُ إذْ أهلنـا معاً ... أثيبـي بـوُدٍّ قبـل إحـدَى الصَّفـائـقِ
أَثِيبـي بـودٍّ قبـل أن تَشْحَـط النَّـوَى ... ويَنْـأى الأميـرُ بـالحَبيـبِ المُفـارقِ

ثم قال: اسْلَمِي حُبَيْش قبل انقطاع العيش. فقالت له: اسلم عشراً وتسعاً وتراً وثمانِيَ تَتْرَى. ثم أتى فمدَّ عنقَه، فقال: شأنكم فاصْنعوا ما أنتم صانعون. فقَدَّمْناه، فضرَبْنا عنقه، فرأيت تلك الظَّعينة نزلت من هودَجِها، فحنَت عليه، فلم تزل تُقبّله حتى ماتت.

قال: فحدَّثْنا رسولَ الله ﷺ، فرأيته قد ضحِك حتى بدَت نواجذه[(١)].

١٠٥٧ ـ أخبرتنا شُهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ، قال: حدثنا أبو نُعيم الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن النَّسائي، قال: حدثنا محمد بن علي بن حرب المَروزِي، قال: حدثنا علي بن الحُسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النَّحوي، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس، أنّ النبيّ ﷺ بعث سرِية، فغنِموا وفيهِم رجلٌ، فقال: اللهمّ إنّي لست منهم، عشقت امرأةً فلحِقتُها، فدَعُوني أنظرُ إليها نظرة ثم اصْنَعوا ما بدا لكم.

---

(١) إسناده ضعيف، فابن عصام المزني، لا يُعرف حاله، كما في التقريب (٨٤٨١)، وعبد الملك: مقبول، التقريب (٤٢٢٦) أي إذا توبع، ولم يتابع، وانظر القصة الآتية والتعليق عليها.

فإذا امرأة طويلة أَدْماء[1]، فقال: اسلمي حُبَيْش قبل نفَاد العيش:

أَرَيْتُكِ لو أتبعتكم فلحِقْتكم بحَلْيَةَ أو أدركتكم بالخَوانقِ
أما كان حقًّا أن يُنَوَّل عاشِقٌ تكلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والودائقِ

فقالت: نَعم فديتُك. فقدّموه فضربوا عنقه، فجاءَت المرأةُ، فوقَعت عليه، فشهَقت شهْقة أو شهقَتين ثم ماتت.

فلما قَدِموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر، فقال: «أما كان فيكم رجلٌ رحيم»[2]!!

١٠٥٨ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا محفوظ بن أحمد، قال: أنبأنا أبو علي محمد بن الحُسين الجَازِري، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنْبَاري، قال: حدثني محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الطَّائِفي، قال: حدثنا يوسف بن محمد التُّسْتَرِي، قال: حدثنا محمد بن مسعدة الأَخفش، قال: حدثنا أبو مَحْذُورة الوَرَّاق، قال: حدثنا أبو مالك الرّاوية، قال: سمعت الفرزدق يقول: أَبَقَ[3] غلامان لرجل من بني نَهْشل يقال له: الخضر، فحدّثني الخضر، قال: خرجتُ أَبْغِيهما، وقصدتُ ناحية اليَمامة على ناقةٍ لي عَيْساء كَوْماء.

قال ابن الأنباري: العيساء: البيضاء، والكوماء: العظيمة السنام.

فنشأَتْ سحابة فرعدَت وأبرقَت وحلَّت عَزالِيها[4]، فمِلْتُ إلى بعْض ديار بني حنيفة، فقصدتُ داراً وطلبْتُ القِرَى. فقيل لِيَ: ادخُل. فأَنَخْتُ ناقتي ودخلت، فجلَسْتُ تحت ظُلَّةٍ من جريد، وفي الدار جُوَيْريّة سوداء، فدخلَت جاريةٌ كأنها سَبيكة فضة، وكأن عينَيْها كوكبان، فقالت: لمن هذه الناقة؟ قالت السّويداء: لضَيْفِكم هذا، فسلَّمَتْ عليّ وقالت: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني حنظلة. قالت: من أَيِّهم؟ قلتُ: من بني نَهْشل. قالت: فأنت منَ البيت الذين يقول فيهم الفرزْدَق:

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا بيتاً دعائمُه أعزُّ وأطوَلُ
بيتاً بناه لنا المليكُ وما بنى مَلِكُ السماء فإنّه لا يُنقلُ
بيتٌ زُرَارة مُحْتَبٍ بفِنائه ومُجاشعٌ وأبو الفوَارس نهشلُ

---

(١) أدماء: سمراء.

(٢) إسناده حسن لا سيما إن ضممناه للإسناد السابق، فرجاله كلهم ثقات، سوى علي بن الحسين بن واقد: صدوق يهم، كما في التقريب (٤٧١٧).

(٣) أَبَق العبد: إذا هرب من سيده من غير سبب من تعب أو كدّ أو غيره.

(٤) العزالي: جمع عزلاء، وهو فم المزادة الأسفل؛ ويقال للسحابة إذا انهمرت بالمطر الغزير: قد حلت عزاليها.

فأعجبَني ذلك من قولها. قالت: إلاّ أن ابن الخَطَفى[1] نَقَضَ عليه، فقال:

أخـزَى الـذي سَمَـكَ السمـاءَ مُجَـاشِعـاً ... وبنَـى بنـاءَك بـالحَضِيـض الأسفـلِ
بيتـاً يُخيِّـم قَيْنُكـم بِفِنـائـه ... دَنِسـاً مقـاعـدُه خبيـثَ المـدخـلِ[2]

فخجِلْتُ واستحيَيْت. فقلت لها: أيّم[3] أنت أم ذات بعل؟ فقالت:

إذا رقـد النُّيـامُ فـإنّ عَمْـراً ... تـؤرِّقـه الهمـومُ إلـى الصبـاحِ
تُقَطِّـع قلبَـه الـذكـرَى وقلبـي ... فمـا هـو بـالخَلِـيِّ ولا بِصَـاحِ
سقَـى الله اليمـامـةَ دارَ قـوم ... بهـا عَمْـرو يحِـنُّ إلـى الـرواحِ

فقلت لها: من عَمرو هذا؟ فقالت:

سـألـتَ ولـو علمـتَ كفَفْـتَ عنـه ... ومَـن لـك بـالجـواب سِـوَى الخبيـرِ
فـإن تـكُ سـائـلاً عنـه فعَمـرو ... مـعَ القمـر المضِـيء المستنيـرِ

ثم قالت: أين تؤُم؟ قلت: اليمامة. فتنفَّسَت الصعداء، ثم قالت:

تُـذكّـرنـي بـلاداً حـلَّ أهلـي ... بهـا أهـلُ المَـوَدّة والكَـرَامـهْ
ألا فسَقَـى الإلـهُ أجـشَّ صـوت ... يَسِـحُّ بـدَرِّه بلـدَ اليمـامـهْ
وحيَّـا بـالسَّـلام أبـا نُجَيْـدٍ ... فـأهـلٌ للتحيـة والسـلامـهْ

ثم قالت:

يُخيَّـل لـي أيـا كعـب بـن عَمـرو ... بـأنّـك قـد حُمِلْـتَ علـى السـريـرِ
فـإن تـكُ هكـذا يـا عَمـرو إنّـي ... مُبكّـرَةٌ عليـك إلـى القبـورِ

ثم شهَقت شهقة فماتت. فسألتُ عنها، فقيل لي: هي من وَلد مُعرّق بن النعمان بن المنذر. وعَمرو بن كعب هوىً لها باليمامة. فركِبْتُ ناقتي وسِرْتُ إلى اليمامة. فسألت عن عَمرو بن كعب. فخُبِّرت أنّه مات في ذلك الوقت الذي قالت الجارية ما قالت.

١٠٥٩ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّراج، قال: أنبأنا أبو القاسم التَّنُوخي، قال: أنبأنا علي بن عيسى بن علي النَّحْوي، قال: حدثنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: حدثنا أبو حاتم، عن الأَصْمَعي، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن أيوب السَّخْتِيَاني، عن ابن سِيرِين، قال: قال عبد الله بن عَجْلان النَّهدِي في الجاهلية:

---

(١) هو: جرير بن عبد الله بن الخَطَفِي بن بدر التميمي، أبو حَرْزَة الشاعر المعروف.
(٢) القِين: الحداد. الدنِس: الوسِخ.
(٣) الأيِّم: هي المرأة التي لا زوج لها، سواء لم تتزوّج، أو تزوجت وفارقها زوجها بموت أو طلاق.

ألاَ إنّ هنـداً أصبحَـتْ منـكَ مَحْـرَمـاً وأصبحْـتَ مـن أدنَـى حُمَيِّمِهَـا حِمـى
وأصبحـتَ كـالمقْمُـورِ جَفْـنَ سلاحـه يُقلِّـب بـالكفيـن قـوْسـاً وأسْهُمَـا(١)

ومدَّ بها صوته حتى مات.

١٠٦٠ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاَّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْرَان، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي، قال: أنبأنا محمد بن جعفر الخرَائطيّ، قال: حدثنا أبو الفضل الرَّبَعِي، قال: حدثنا الرِّيَاشِي، عن الأَصْمَعي، عن أبي عَمرو بن العلاء، قال: حدثني رجل من بني تميم، قال: خرجْتُ في طلب ضالّة لي، فبينا أنا أدور في أرض بني عُذْرة أَنْشُدُ ضالّتي إذا ببيت مُعتزل عن البيوت، وإذا في كِسْر البيت فتى شاب مُغْمًى عليه، وعند رأسِه عجوز لها بقية من جمال سَاهِية تنظر إليه. فسلَّمْت فردت السلام، فسألتها عن ضالّتي فلم يك عندها منها علم. فقلت: أيتها العجوز، من هذا الفتى؟ قالت: ابني. ثم قالت: هل لك في أجرٍ لا مؤونة فيه؟ فقلتُ: والله إنّي لأحبّ الأجر، وإن رُزِئت(٢). فقالت: إن ابني هذا كان يهوَى ابنة عمّ له، وكان عَلِقَها وهما صغيران، فلما كَبِرا حُجِبَت عنه، فأخذه شَبيةٌ بالجنون، ثم خطَبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطَبها غيرُه فزوّجها إياه. فنَحَل جسمُ ولدي واصفرّ لونه وذهل عقله. فلما كان منذ خمسٍ زُفَّت إلى زوجها. فهو كما ترى لا يأكلُ ولا يشربُ مغمًى عليه. فلو نزلْتَ إليه فوعَظْتَه. قال: فنزلتُ إليه فلم أدَعْ شيئاً مِنَ الموعظة إلاّ وعظته، حتى أنّي قلتُ فيما قلت: إنهنّ الغَواني صاحباتِ يوسف، النّاقِضَات العهد، وقد قال فيهن كُثَيِّر عَزَّة:

هـل وَصْـلُ عـزةَ إلاّ وصـلُ غَـانيـةٍ فـي وصـلْ غـانيـةٍ مِـنْ وَصْلِهـا خلـفُ

قال: فرفعَ رأسَه مُحْمَرّة عيناه كالمُغْضَب، وهو يقول: لستُ ككُثَيِّر عزَّة، إنّ كُثيراً رجل مائِق، وأنا رجل وامِق(٣)، ولكنّي كأخي تميم حيث يقول:

ألا لا يَضِيـر الحـبُّ مـا كـان ظـاهـراً ولكــن مــا اجتــاف الفــؤاد يضيــرُ
ألا قـاتَـلَ اللـهُ الهـوَى كيـف قـادَنـي كمــا قِيــدَ مغلــولُ اليــدَيْـن أسيــرُ

فقلتُ له: فإنّه قد جاء عن نبينا ﷺ أنه قال: «مَن أُصِيب منكم بمُصِيبة فليذكر مُصابه بي»(٤). فأنشأ يقول:

---

(١) المقمور: المغلوب، والمخدوع؛ وقمرت القربة: إذا دخل الماء بين الأدمة والبشرة فأصابها فضاء وفساد. جفن السلاح: غمده، وما يحفظ فيه كالجعبة وغيرها.
(٢) أي: وإن أصابتني مصيبة.
(٣) مائق: أحمق. وامق: مُحِبّ.
(٤) حديث حسن بشواهده. عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢ للطبراني في المعجم الكبير من حديث=

ألا مـا للمليحـة لـم تَعُـدْنـي أَبُخْـلٌ بـالمليحـة أم صـدودُ[1]
مـرِضـتُ فعـادنـي أهلـي جميعـاً فمـا لـكِ لا تُـرَيْ فيمـن يعـودُ
فقـدتُـك بينهـم فبكيـتُ شَـوْقـاً وفَقْـد الإلْـف يـا أَمَلـي شـديـدُ
ومـا استَبْطَـأتُ غيـركِ فـاعلَميـه وحَـوْلـي مـن ذَوِي رَحِمـي عـديـدُ
ولـو كُنـتِ المـريـضَ لكنـتُ أسعَـى إليـكِ ومـا يُهـدِّدني الـوعيـدُ

قال: ثم شهقَ شهقة وخَفَتَ فمات. فبكتِ العجوز وقالت: فاضَت واللهِ نفْسُه. فدخلني أمرٌ لم يدخُلني مثله، فلمّا رأتِ العجوزُ ما حلَّ بي قالت: يا فتى لا تُرَعْ، مات واللهِ ولدي بأَجَلِه، واستراح من تبَارِيحِه[2] وغُصَصه. ثم قالت: هل لك في استكمال الصَّنْعة؟ قلت: قولي ما أحبَبْتِ. قالت: تأتي البيوت فتنْعَاه إليهم ليعاوِنُوني على رَمْسه، فإنّي وَحِيدة. قال: فركِبْتُ نحو البيوت فرَسي، فإذا أنا بجارية أجمل ما رأيتُ من النساء، ناشرةً شعرها، حديثةُ عَهْد بعُرْس، فقالت: بفِيك الحجرُ المُصْلَتُ، مَن تنعي؟ قلت: أنعِي فلاناً. قالت: أَوَ قَدْ مات؟ قلتُ: إي والله، قد مات. قالت: فهل سمعتَ له قولاً. قلتُ: اللهم لا، إلاّ شعراً. قالت: وما هو؟ قال: فأنشدتها قوله:

ألاَ مـا للمَليحـة لـم تعُـدْنـي أبُخْـلٌ بـالمليحـة أم صُـدودُ

فاستَعْبَرَتْ باكيةً، وأنشأت تقول:

عَـدَانـي أنْ أزورَك يـا مُنـايَ معـاشِـرٌ كلّهـم واشٍ حسـودُ[3]
أشـاعُـوا مـا علِمْـتَ مـنَ الـدَّواهـي وعـابُـونـا ومـا فِيهـمْ رشيـدُ
فلمّـا أنْ ثَـويْـتَ اليـومَ لحـداً فكـلُّ النَّـاسِ دُورهـم لُحـودُ
فـلا طَـابَـتْ لِـي الـدّنيـا فُـواقـاً ولا لهـمُ ولا أثْـرَى العَـدِيـدُ[4]

ثم شهَقت شهقة خرَّت مَغْشِياً عليها، وخرَج النساء من البيوت، واضْطَرَبَتْ ساعةً

= سابط الجمحي، ثم قال: «وفيه أبو بردة عَمرو بن يزيد، وثّقه ابن حبان، وضعّفه غيره». وعزاه السيوطي في الجامع الصغير ١/٢٨٦ لابن عديّ والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، ورمز لضعفه. قال المناوي في فيض القدير ١/٢٨٦: «وفيه: فطر بن خليفة، قال الذهبي عن السعدي: زائغ؛ وشرحبيل بن سعد: متهم». ثم قال: «لكن له شواهد» أي فيرتقي بها. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٤٧) والسلسلة الصحيحة (١١٠٦) فلينظر.

(١) تَعُدْني: أي تزُرني زيارة المريض.
(٢) تباريح الشَّوْقِ: تَوَهّجه.
(٣) عداني: منعني.
(٤) الفُوَاق: الوقت ما بين الحلبتين، وهو قدر ساعة تقريباً. أثرى: كثر. العديد: الجمع.

وماتت. فوالله ما برِحْتُ الحيَّ حتى دفنْتُهما جميعاً. وقد رُويت لنا هذه الحِكاية من طريق آخر.

١٠٦١ ـ فأنبأنا محمد بن ناصر الحافِظ، قال: أخبرنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أخبرنا أبو الحَسن علي بن محمد بن السّمْسَار ـ ويعرف بابن قُشَيش ـ، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الكاتب، قال: حدثنا أبو بكر الأنْباري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أحمد بن عُبيد، عن أبي عبد الله الزِّيادي، قال: قال محمد بن قيس الأبيدي: وَجَّهني عامل المدينة إلى يَزيد بن عبد الملك وهو خليفة في أمر من أمور الناس، وكتَب معي كِتاباً فسِرْنا، حتى إذا خلفنا المدينة على مسيرة ثلاثة أيام إذا أنا برجل على قارِعة الطريق حديث السنّ، واضع رأسه في حِجْر امرأة مُختمرة قد خلا مَن نَسَبها وفيها بقِيّة من جمال، والشابّ يتمَلْمَل ويضْطَرب، وكلّما تنَحّى رأسُه من حِجْرها ردّت المرأةُ رأسَه في حِجرها. وأنا على بَغلة، فسلَّمْت فرَدّت المرأة ولم يَرُدّ الشاب. فتفَرَّسَت فيَّ مَلِيّاً ثم قالت: يا عبد الله هل لك في أجرٍ من غير مَرْزأة. فقلتُ: نعم والله إنّي لأُحِبّ الأجر وإن رُزِئتُ. قالتْ: إنّ ابني هذا كان يهوَى ابنة عمّ له وكان عَلِقَها وهما صَغيران، فلمّا حُجبت خطبها إلى أبيها فأبَى أن يزوجَها، ونحن معاشر العَرب إذا كان الرجل منا يألفُ المرأةَ في صِغره لم يزَوِّجُوه مخافةَ أن تُرْمَى بالعَيْب، فيُقال: قد كان بينهما سوء قبل التزويج. قالت: وخطب المرأة ابنُ عمٍّ لها آخَر فزُوِّجَت منه. فهُوَ على ما ترى منذ بلَغه، لا يأكلُ ولا يشْرب ولا يصلِّي ولا يعقِل، فلو وَعَظْتَه.

قال: فنزلتُ إليه فلم أَدَع له شيئاً منَ الموعظة إلاّ وعظته، وقلت له: أترغَبُ فيمن لا يرغب فيك، وإنْ عَظُمَت عليك المُصيبة فيها فاذْكُر مصيبَتَك برسول الله ﷺ، فإنّه قال: «مَن أُصِيب بمصِيبة فعَظُمَت عليه فليذْكر مصيبته بي فإنّها أعظم المصيبات».

قال: فوالله ما تركتُ شيئاً منَ الموعظة إلاّ وعظته بها، وفتَلْتُ له في الذُّرْوة والغارِب[1]، وما يَحِير[2] كلمةً ولا جواباً أكثر من أن قال:

ألا ما للمَلِيحَة لم تَعُدْني ... أَبُخْلٌ بالمَلِيحة أم صُدودُ
مرِضْتُ فعادني أهلي جميعاً ... فما لَكِ لم تُرَيْ فيمن يَعُودُ
فقدتُكِ بينهم فبكيتُ شوقاً ... وفقدُ الإلْفِ يا أملي شديدُ
وما استَبْطأتُ غيرَك فاعلَميه ... وحَولي مِنْ ذَوِي رَحِمي عَدِيدُ
ولو كنتِ المريضَ لكنتُ أسعَى ... إليكِ وما يُهدِّدني الوَعيدُ

---

(١) فتلت لخ: عَقَدْت له. الذروة: أعلى الشيء، الغارِب: الكاهل، أو ما بين الظهر والعنق.
(٢) أي: وما يستطيع جواباً.

قال: ثم شهَق وخَفَتَ فمات، فدَخلني أمرٌ شديدٌ، وخِفت أن يكون مات مِنْ عِظَتي وكلامي. فلمّا رأت المرأة ما بي، قالت: هَوِّن عليك، عاش بأجل، ومات بقَدَر وقدِم على ربّ غفور، واستراح مما كان فيه مِنَ البلاء فهل لك في استِتْمام ما صنَعت؟

فاسترحتُ إلى قولها، وقلتُ: فما هو؟ قالت: هذه أبيات منا غير بعيد فتَأْتِيهم فتَنْعاه إليهم وتأمرهم[١] بحضوره... فأقبَلْتُ أَنْعَاه إليهم، وقد حَفِظْتُ الشِّعر، فبينَما أنا أنعاه إليهم، إذ خَيْمة قد رُفِع جانبٌ منها، فإذا امرأة قد خرَجت كأنّها القمرُ ليلة البدر ناشرة شعرَها تجرّ خمارها وهي تقول: بفِيك الحَجر، مَن تنعي. قلت: فلان بن فلان. قالت: الله لقد زارته شَعُوب[٢]؟ قلت: نعم. قالت: فهل قال مِن قولٍ قَبل وفاته؟ قلتُ: نعم ـ وقد حَفِظْته ـ، فأنشدتها الشعر، فوالله ما نَهْنهت أن قالت:

عــدَانــي أن أزورَك يــا حَبيبــي ... معــاشــرٌ كلّهــم واشٍ حســودُ
أشـاعُـوا مـا سمعْـتَ مـنَ الـدَّواهـي ... وعــابُــونــا ومــا فيهــم رَشيــد
فــأمّــا إذ ثَــوَيــت اليــومَ لحــدا ... ودورُ النّــاس كلّهــمُ اللّحــود
فــلا طــابَــت لــيَ الـدنيـا فَــواقــا ... ولا لهُــم ولا أَثْــرى عَــديــد

١٠٦٢ ـ وبالإسناد، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال حدثنا عليّ بن الأعرابي، قال: قال الضَّبِّي: عشِق كاملُ بن الوَضِين امرأةَ عبد الله بن مسافر ابنةَ عمِّه، فلم يزل به العِشق حتى صار كالشَّن[٣] البالي. فشكا أبوه إلى أبيها ما نزل بابنه، فأمر بالحمل إلى داره ليزوِّجها منه، ولم يعلم كامل بن الوَضِين، فعَلِم، فقال: وإن أسماء لتَسْمع كلامي؟ قيل: نعم. فشهَق شهقة وقضى مكانه. فقيل لها: مات بغُصّة شَجَنِه. قالت: والله لأَمُوتَنّ بمثلها، ولقد كنتُ على زيارته قادِرة، فمنَعني منها قُبح ذكر الرِّيبة، ومَرِضَت. فلما اشتدّ بها المرَض قالت لأشْفَقِ نسائها عليها: صَوِّري لي مثاله، فإنّي أحب أن أزورَه قبل موتي. ففَعلت فلما وصلَتِ الصّورة اعتنقَتْها، وشهَقت فقَضَت. فطلبَ أبو الفتى إلى أبِيها أن يدفِنَها بالقُرْب من قبرِ ابنه، ففعَل وكَتب على قبريهما:

بنفســي همــا، لــم يُمْتَعــا بهَــواهمــا ... علـى الـدَّهْـر حتـى غُيِّبـا فـي المقـابـرِ
أقــامــا علــى غَيــر التَّــزاور بُــرْهــةً ... فلمــا أُصِيبــا قُــرِّبــا بــالتَّــزاورِ
فيــا حُسْــنَ قبــرٍ زار قبــراً يُحِبّــه ... ويــا زَوْرةً جــاءَت بِــرَيْــب المَقَــادِر

(١) في المطبوعة: وتأمره.
(٢) الشّعوب: عَلَم للمَنِيّة.
(٣) الشَّنّ: الخلَق من كل آنية صُنعت من جلد، وجمعها شنان.

١٠٦٣ ـ وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثني أحمد بن عباس الصَّائغ قال: حدثني أحمد بن مُعاوية بن بكر البَاهِلي قال: حدثني رجلٌ من بني عُذْرة قال: كان فِينا فتى ظريف غَزل، وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء، فهوي جارية من الحيّ، فراسَلها فأظْهَرَتْ له جَفْوة، فوقَع مضنًى مُدْنفاً[1]، وظهر أمرُه، وتَبَيَّنَت دنَفَه، فلم يزلِ النساءُ مِن أهله وأهلها يكلّمونَها فيه حتى أجابَتْهُ فصارَت إليه عائِدَةً ومُسَلِّمة، فلمّا نظر إليهم تحدرت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

أَرَيْتُكِ إنْ مرَّتْ عليك جنازتي ... يَلُوح بها أيدٍ طوال وشُرَّع[2]
أمَا تَتْبَعِين النَّعْشَ حتى تُسلِّمي ... على رَمْسِ ميْتٍ في الحَفِيرة مُودَع

قال: فبكَت رحمةً له، وقالت: ما ظننتُ أنّ الأمر بلَغ بك هذا، فوالله لأُساعِدَنّك ولأُداوِمَنّ على وَصْلِك. فهَملت عيناهُ بالدموعِ، وأنشأ يقول:

دنتْ وظِلالُ المَوْتِ بَيْني وبينها ... ومَنّتْ بوصْلٍ حِين لا يَنفعُ الوصلُ

ثم شهَق شهقة، خرجت نفسُه. فوقعَتْ عليهِ تَلْثُمه وتَبكي، فرُفِعَتْ عنه مغشِيّاً عليها. فما مكثَتْ بعده إلاّ أياماً، حتى ماتت.

١٠٦٤ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّراج، قال: وجدتُ بِخَطّ أحمد بن محمد بن علي الآبَنُوسي[3] ـ ونقلتُه من أصلِه ـ، قال: حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن المُغيرة الجوهري، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن أسد الأَزْدي، قال: أنبأنا السَّاجِي، عن الأصْمَعي، قال: رأيتُ بالبادية رجلاً قد دَقّ عظمُه وضَؤُل جِسْمه ورَقّ جلده، فتعجَّبْتُ فدنوتُ منه أسأله عن حالِه، فلم يردّ جواباً، فسألت جماعةً حوله عن حاله، فقالوا: اذكر له شيئاً منَ الشِّعر يُكلِّمْك، فقلت:

سبقَ القضاءُ بأنَّني لكِ عاشِقٌ ... حتى المَماتِ فأينَ مِنك مذَاهِبي

فشهَق شهقةً ظَنَنْتُ أن روحَه قد فارقته، ثم أنشأ يقول:

أخلُو بذِكْرِكِ لا أُرِيدُ مُحَدِّثا ... وكفَى بذلِك نعمةً وسُرورَا
أبكِي فيُطْرِبني البكاء وتارةً ... يأبَى فيأتي مَن أُحِبُّ أسيرا

---

(١) الضنى: المرض. الدنف: ثِقل المرض وشدّته.
(٢) ارَيْتُك: أي أرأيتك، بمعنى: أخبريني.
(٣) الآبنوسي: نسبة إلى أبنوس، نوع من الخشب البحري، يُعمل منه الأشياء الجيدة، وانتسب إليها جماعة من تجارتها ونجارتها والعمل بها. انظر: الأنساب ٥٨/١، واللباب ١٨/١، ولبّ اللباب ٢٨/١.

قال: فقلت له: أخبرني عنك. قال: إن كنتَ تريد عِلْم ذلك فاحمِلْني وأَلْقِني على باب تلك الخيمة. ففعلتُ، فأنشأ يقول بصوتٍ ضَعيف يرفَعُه بجُهْدِه:

ألا مــــا للمليحـــــة لا تعـــــودُ أَبُخْـــلٌ بـــالمَليحـــة أم صُـــدودُ
فلـو كنتِ المـريضـةَ جئـتُ أسعَـى إليــكِ ولــم يُنَهْنِهْنِـي الــوعيــدُ

فإذا جاريةٌ مثل القمر قد خرَجت، فألقَتْ نفسَها عليه فاعتنقَا وطال ذلك، فسترتُهما بثوبي خشية أنْ يراهما الناس. فلمّا خِفت عليهما الفضيحة فرَّقت بينهما فإذا هما ميّتان. فما برِحت حتى صلَّيت عليهما ودفنتهما. فسألت عنهما، فقيل لي: عامر بن غالب وجميلة بنت أمَيل المُزَنِيّان. فانصرفت.

١٠٦٥ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك، ومحمد بن ناصر، قالا: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحَسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المَازني، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا أبو معاذ القَيْسِي، قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن عائشة، قال: حدثنا أبو مَنيع، قال: حدثنا عبدٌ لآل الحارث بن عبيد، قال: رأيتُ شيخاً جالساً على هَضْبة يبكي، فقلت له: ما يُبكيك؟ قال: الرحمة لجارية مِنا كانت تنزِل في أقصَى بلاد كلب، فتزوّجها رجلٌ من أهل الكوفة فغلبها الشّوق وأضرَّ بها الجوَى فأشْرَفَتْ فَوْق عُلِّية وأنشأت تقول:

لعَمْـرِي لئـن أشـرفْـتُ أرفـع مـا أرى وكلّفْــت عينــي مَنظــراً مُتعــاديَــا
وقلـــتُ زِيـــاداً تُـــؤْنِسيـــن وأهلَـــه أم الشـوق يُـدنِـي منك مـا ليس دانيـا
وقلــتُ لبَطْــن الجِــنِّ حيــن رأيتُــه سقـى الله أعـلاك السَّحـابَ الغـواديـا

ثم قضَت منْ وقتها في مكانها. بطنُ الجنِّ: وادٍ.

١٠٦٦ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: نقلتُ من خط ابن حَيَّويه، عن ابن المَرْزُبان، قال: أخبَرني بعضُ أصحاب المدائِني، قال: أنبأنا هشام بن محمد بن السائب، قال: كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان شاعراً، وكان عنده ابنة عمّ له وكان عاشِقاً لها مستهتراً بها، فضاقَ ضيقة شديدة، وأراد المَسير إلى هشام إلى الرَّصافة، فمنعه من ذلك ما كان يَجِدُ بها وكَرِه فراقَها. فقالت له يوماً وقد بلغ منها الضِّيق: يا ابن عمّ، ألا تأتي الخليفة، لعلَّ الله تعالى أن يَقْسِمَ لك منه رِزقاً فيكشفَ به بعضَ ما نحن فيه؟ فلما سمع ذلك منها نَشِط للخروج، فتجهّز ومضَى، حتى إذا كان مِنَ الرَّصافة على أميال خطر ذكرها بقلبِه وتمثّلت له، فلبِث ساعة شَبيها بالمَغْمِيّ عليه، ثم أفاق، فقال للجَمّال: احبس، فحبس إبله، فأنشأ يقول:

بينما نحنُ من بَلاَكِثَ فالقا ع سراعاً والعِيسُ تَهوي هُوِيًّا[1]
خطَرَتْ خطْرةٌ على القلب من ذِكـ ـراك وَهْناً فما أطقْتُ مُضِيّا
قلتُ: لبيك، إذ دعاني لك الشو قُ وللحادِيَيْن رُدَّا المُطِيّا[2]

ثم قال للجمّال: ارجع بنا. فقال له: سبحان الله! قد بلغتَ، وهذه أبيات الرّصافة. فقال: والله لا تخطو خطوة إلاّ راجعة. فرجَع حتى إذا كان من المدينة على قدْر ميل لقِيَه بعض بني عمّه فأخبره أن امرأته قد توفِّيت. فشهَق شهقة وسَقط عن ظهر البعير ميتاً.

١٠٦٧ ـ أخبرنا عمر بن ظفر المُقْري، وشُهدة بنت أحمد الإبَرِيّ، قالا: أنبأنا جعفر بن أحمد القاري، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي الأَزَجِيُّ، قال: حدثنا أبو الحَسن بن جهضم الصُّوفي، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن علي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الكاتب، عن محمد بن الحُسين البُرْجُلاني[3]، عن جعفر بن معاذ، قال: أخبرني أحمد بن سَعيد العابد، عن أبيه، قال: كان عندنا بالكوفة شابّ يتعَبّد، ملازم للمسجد الجامع لا يكاد يخلو منه، وكان حسَن الوجه، حسن القَامة، حسَن السَّمت[4]، فنظرَتْ إليه امرأةٌ ذات جمال وعقل فشُغِفَتْ به، وطال ذلك عليها، فلمّا كان ذات يوم وقَفت له على طريقه وهو يُريد منزله، فقالت له: يا فتى اسمع منِّي كلمات أكلّمك بها ثم اعْمَل ما شِئت، فمضى ولم يكلِّمْها. ثم وقفَتْ له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله، فقالت له: يا فتى اسْمَع منّي كلماتٍ أكلمك بها، فأطرق مليًّا، وقال لها: هذا موضِع تُهمة، وأنا أكره أنْ أكون للتُّهْمَة موضِعاً. فقالت له: والله ما وقفتُ موقفي هذا جهالة مِنِّي بأمرك، ولكن مَعاذ الله أن يتشرَّف العباد إلى مثل هذا مِنِّي، واللّهِ إنَّ الذي حملني على أنْ لَقِيتَك في هذا الأمر بنفسي، لَمعرفتي أنَّ القليلَ مِنْ هذا عند الناس كثير، وأنتم معاشر العبّاد في مثال القوارير أدنَى شيء يَعِيْبُه، وجملةُ ما أكلِّمُك به أنَّ جوارحي كلَّها مشغولةٌ بكَ، فاللّهَ اللّهَ في أمري وأمرِك. قال: فمضَى الشابّ إلى منزله، وأراد أن يصلّيَ فلم يعقل كيف يصلّي، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً، ثم خرج من منزله، فإذا بالمرأة واقفة في موضِعها. فألقَى إليها الكتاب ورجع إلى منزله.

وكان الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم، اعلمِي أيتها المرأة، أنّ الله تبارك وتعالى إذا

---

(١) بَلاكِث: اسم مكان قريب من بَرْمة، بين خيبر ووادي القرى، وهي أرض عيون ونخل لقريش. انظر: معجم البلدان ١/٥٦٦. العِيس: الجمال، تهوي هويًا: تسير مسرعة.
(٢) عزا الحموي في معجم البلدان ١/٥٦٦ هذه الأبيات لكثيِّر عزة، ولم أرها في ديوانه.
(٣) البُرْجُلاني: نسبة إلى بُرْجُلان قرية بواسط، ومحمد بن الحسين من المشهورين بالانتساب إليها، وقد سكن بغداد. انظر: الأنساب ١/٣١٠، واللباب ١/١٣٤.
(٤) السَّمْت: الهيئة.

عُصِي حَلُمَ، فإذا عاوَدَ العبدُ المعصيةَ ستَرَه، فإذا لبس لها ملابسَها غضِبَ اللَّهُ عزّ وجلّ لنفسِه غضبةً تَضِيق منها السماوات والأرض والجبال والشجر والدوابّ، فمَن ذا يُطِيق غضَبه! فإن كان ما ذكرتِ باطلاً، فإنّي أُذَكِّرك يوماً تكون السماء كالمُهل[1]، وتَصير الجبال كالعِهْن[2]، وتَجثُو الأمم لصولةِ الجبَّار العظيم، وإنِّي والله قد ضَعُفْتُ عن إصلاح نفسِي، فكيف بإصْلاح غيري! وإن كان ما ذَكَرْتِ حقاً، فإنّي أدلّكِ على طبيب هو أولى بالكُلُوم[3] المُمْرِضة والأَوْجَاع المُرمِضة[4]، ذلك اللَّهُ ربّ العالمين. فاقصُدِيه على صِدْقِ المسألة، فإنّي مُتشاغل عنكِ بقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَنْذِرْهم يومَ الآزِفَة، إذِ القلوبُ لدَى الحناجِرِ كاظِمين، ما للظَّالمين مِنْ حَميمٍ ولا شفيعٍ يُطاع؛ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر/ ١٨ ـ ١٩]. فأين المَهْرب من هذه الآية.

ثم جاءت بعد ذلك بأيام، فوقفَتْ له على طريقِه، فلمّا رآها من بَعيد أراد الرّجوع إلى منزلِه لئلا يراها. فقالت: يا فتَى لا ترجِع، فلا كان الملتقَى بعد هذا أبداً إلاّ بين يدَي الله عزّ وجلّ! وبكتْ بكاءً كثيراً، ثم قالت: أسألُ الله عزَّ وجلّ الذي بِيده مفاتيح قلبِكَ أنْ يُسَهِّل ما قد عَسُرَ من أمرك. ثم تبِعَتْه فقالت: امْنُنْ عليَّ بموعظة أحمِلها عنك، وأَوْصِني بوصيةٍ أعمَل عليها. فقال لها الفتى: أُوصِيكِ بحفظِ نفسِك مِنْ نفسِك، وأُذَكِّرُك قولَه عزَّ وجلَّ: ﴿وهو الذي يتوفّاكُمْ بالليلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتم بالنهار﴾ [الأنعام/ ٦٠].

قال: فأَطْرَقَتْ وبكَتْ بكاءً أشدّ مِنْ بكائِها الأوّل، ثم أفاقَتْ، ثم لزِمَت بيتها، وأخذَتْ في العِبادة. قال: فكانت إذا جَهَد بها الأمرُ تدعو بكتابِه فتَضعه على عَيْنَيْها. فيُقال لها: وهل يُغني هذا شيئاً؟ فتقول: وهل لي دواءٌ غيره! وكان إذا جَنَّ عليها الليل قامت إلى مِحرابها، فلم تزَلْ على ذلك حتى ماتت كَمَداً. فكان الفتى يذكُرها ثم يَبكي عليها، فيُقال له: ممَّ بكاؤك، وأنت أَيَّسْتَها. فيقول: إنّي ذَبَحْتُ طمعي منها في أوّل مَرّة، وجعلتُ قَطْعها ذَخِيرةً لي عند الله عزّ وجلّ، وإنّي لأستحيِي منَ الله عزّ وجلّ أن أستردّ ذخيرةً ادّخرتها عنده.

١٠٦٨ ـ قال ابن السرّاج: قال لنا أبو القاسم الأَزَجِيّ: ووجدتُ في نسخةٍ مسموعة عن الزَّيْنَبِي زِيادةً: ثم إنّ الجارية لم تلبَثْ أن بُليت ببلية في جِسْمها، فكان الطَّبيب يقطَعُ من لحمِها أَرْطالاً، وكان الطبيب قد عرَف حديثها مع الفتى. فكان إذا أراد أن يقطَع لحمها يحدِّثها بحديث الفتى، فما كانَتْ تجد لقَطْع لحمِها ألماً، ولا كانت تتَأَوّه. فإذا سكت تأوّهت. فلم تزَلْ كذلك حتى ماتت كمداً.

---

(١) المهل: النحاس المُذاب، وقيل: دُرْدِيّ الزَّيت، وقيل: القَيْح والصديد.
(٢) العِهْن: الصوف.
(٣) الكُلُوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.
(٤) المُرْمِضة: من الرّماضة، وهي الحِدَّة وشدّة الوَقْع.

١٠٦٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: حدثنا إبراهيم بن عُمر البَرْمكي، قال: أنبأنا أبو الحُسين الزَّيْنَبِي، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني معاذ بن عَمْرو الباهِليّ، عن مُوسى بن داود، قال: حدثني زيّاد بن أمية، قال: سمعت مُعافَى الكوفيّ يقول: كان عندنا بالكوفة فتى مِن آل المُهَلَّب بنِ أبي صُفرة، وكان ناسِكاً، له وَرع، وكان ينزِل في كِنْدة، وكان كثيراً ما يغشَى مجالس الذِّكر، فيَبْكِي حتى يَرِقَّ له أهل المسجد ويبكون لبكائه. وكان حسَن الوجه حسن النُّطق. قال: فرأته امرأةٌ ممن كان يحضرُ المجالِس فأحبته، فكانت لا تكاد تُفارق المجالس التي تعلم أنّه يحضُرها، فإذا انصرفَ قامت له بالطريق، فإذا مرَّ بها تنَفَّسَتِ الصُّعداء ثم قالت:

ألاَ أَيُّهــا المـاشــي بسَمْـتٍ وهَيْئَـةٍ ... ووجـهٍ جميـلٍ مـا لنـا فيـك مَطْمَـعُ
أمــوتُ وأحيـا عنـدَ ذِكـرك تـارةً ... ففـي القَلْـب منّـي حُـرْقَـة ليسَ تُـرْفَـعُ
أليـسَ عَجِيبـاً عـاشـقٌ يكتُـم الهـوَى ... يعلِّــلُ بــالآمــالِ قَلْبــاً يُقَطَّــعُ
بِمَـنْ ليـسَ يـدري أنّنـي فـي وَثـاقِـه ... بـرَوْضَـةِ أحـزانٍ بهـا الحُـزْن يُـزْرعُ

قال: ثم تُوَلِّي. فكان هذا دَأْبُها حِيناً، والفتَى في غفلة لا يعلمُ بشيء منه. فلمّا طال عليها ذلك وخَشِيَت أن تبدي به وقفَتْ في بعض طرُقِه التي كان يمرُّ فيها، فقالت:

ألا أيّهـا السّـاهـي وليس بـذِي سَهْـوِ ... رُوَيـدك إنّـي عنـك لسـتُ بـذِي لَهْـوِ

قال: فوقف، فقال لها: ما حاجَتُك؟ فقالت: أتُنْصِف من ناظرِك أم تَجُور عليه في حُكْمِك إذ صُيِّر أمرُه إليك؟ فقال لها: وَيْحك، إنّي قد أنكرت مقالتك إنكاراً شديداً، واستوْحَشَتْ منها جوارحي، وما أجدُ إلى الوقوف معكِ سبيلاً أحتجّ به عند ربّي غداً، ثم ولّى وتركها.

فأتى منزلَه مغمُوماً منها، فلزِم منزله، فكان لا يخرج منه حَذاراً أن يلقاها فتكلّمه.

قال: وكانت امرأةً ذات جمال وهَيْبة، وجعلت تطلبه وتسأل عنه مَن يعرفه، فيُخبرها أنه قد لزم بيته، فلمّا طال ذلك عليها كتبت بهذه الأبيات:

تقـولُ التـي قـد شفَّهـا حـبُّ نـاسِـكٍ ... وأمْـرضَهـا حتـى تغيَّـر حـالُهـا
وصَيَّـرهـا مثـلَ القَضِيـب بـرَوْضَـةٍ ... تُـزعـزعُـه ضعفـاً هنـاك شَمـالُهـا
وخَـلاَّه لـلأَحْـزان فَـرْداً مُعَـذَّبـاً ... ومـا لـيَ والأحـزانِ، مـا لـي ومـا لهـا
أفِي النّسْك أن لا تَرحَم اليوم عاشقاً ... شكـا حُرقـةً فـي القلْـب مِنْ ظالـمٍ لهـا

قال: وبعثَتْ بها إليه، وقالت للرسول: أَخْبِريه بما ترين من شِدّة الألم، فلعلَّ اللَّهَ أنْ يُسَهِّل أمره ويُعَطِّف قلبه، ولا تقصري في تَرغِيبه فيّ وما له في ذلك مِنَ الأجر!

قال: فأتته المرأةُ فاستأذنت عليه، فأذِن لها، فدخَلَتْ عليه فسلَّمَتْ عليه، وقالت: أيّها الرجل، إنّي قد حملتُ نفسِي على أمر لم يكن مِنْ شأني، غير أنّي تحمَّلته رجاءَ الثوابِ وحُسْن الجزاءِ منَ الله عزّ وجلّ، وإنّي أريد أن أُلقِي إليك أمراً لستُ أحبّ فيه مفارقةَ الحقّ، فإنّي رأيتُ كلّ باطل عند الحقّ مُضْمَحِلاً، وكلّ أمرٍ يدعو إلى ضرَر في الآخرة فاسداً. فقال: قُولي أيتها المرأة ما بدا لك أنْ تَقُولي، ودَعِي الإكثار، فإنّ النهار يمضي والساعات تُحْصَى، قال: فأَقْرَأَتْهُ الشعرَ وأخبَرَتْه بحالها. فقال: أيتها المرأة، إن لِلَّه مِحَناً يمتحن بها عبادَه وأولياءَه وأحبّاءه، لينظر كيف طاعتهم له، وكيف إيثارهم إياه عند اجتماع شَهوات قلوبِهم. وما أظنّ إلاّ أنّ اللَّهَ ابتلاني بما ذكرتِ مِنْ أمر هذه المرأة ليَمْتَحِنني. ووالله ما لي طاقة بِمحَن ربّي إنْ لم يُوفّقني ويُثَبّتني. ووالله لمفارقة الأحبّة في مرضاته أحبُّ إليّ من المقام معهم والاشتغال بما يقطعني عن خدمته والتحبّب إليه. فأبلِغيها عنّي السلام، وقولي لها: قد سمعتُ دعواكِ وما ذكرتِ، وإنّي والله ما أنا براضٍ عن نفسي في خدمة مَن إليه فَقْري وحاجتي، فكيف إذا علَّقْتُها ببلاءٍ لا يُمكنني التخلّص منه.

قال: فخرَجَتِ المرأةُ من عنده، فأتتها وأخبرتها بمقالته. فجعلَتْ تبكي، ثم قالت لها: فكيف كان إنصاته لكلامكِ حين أنشدتِه الشِّعر؟ قالت: يا أختاه، رأيتُ رجلاً مزوراً[1] مستوقراً، كأنّه قد نَصب الآخرة بين عينَيْه، فهو ينظر إليها، فأَبْقِي على نفسك ولا تُهلكيها فتندمي حين لا تُغْنِي النَّدامة.

قال: فلزمَت منزلها، وقالت: واللَّهِ لا أخرجُ منه إلى موضع أبداً، ولأَجْعَلَنَّه قبري أيامَ حياتي. قال: ثم لزمَتِ الصلاة، فكانت لا تَهْتَدي[2] الليل والنهار منَ الصلاة. فكانوا يسمعونها، فكانت تبكي بكاء شديداً، فقيل لها في ذلك، فقالت: إنّي والله قد غلب على قلبي ذكره حتى لا يُفارقني، وإنّي لأذكر ذنوبي فأَبْكِي على تفريطي، ثم أذكره فأبكي عليه، فيَهِيج من قلبي شَجْوٌ[3] لا يشبهه شجو، وإنّي أسأل الذي حَرَمني قرْبَه في الدنيا أن يُنسِيني ذكره، وأن يجمعَ بيني وبينه في داره. قال: ومرِضَتْ مرضاً شديداً، وبُلِيَت في بدنها بلاء عظيماً، قال: فكان المُعالِج إذا بدأ بمعالجتها حادَثها، فيقول: يا فلانة ما هذا الجزَع الذي تجزعين، فَوَاللَّهِ ما رأيتُ رجلاً هو أهيأ ولا أحسن هَدْياً ولا أصبر على بلاءٍ إذا نزل بهِ مِنْ فتًى في جيراني يُقال له فلان، يعني صاحبها. فتسكت ثم تقول هي: حدِّثني، وهو يَقْطع من لحمها. وكأنّها لما غلب على قلبها مِنَ المحبّة لذِكْره لا تحسّ بما يصنع بها، فإذا كفّ عن

---

(١) أي: قويّ العزيمة عاقلاً.
(٢) أي: لا تَهْدَأ.
(٣) الشجو: الهم والحزن.

ذِكره توجَّعَت وجَزِعَت، فما زالت في حالها تلك حتى ماتت. فلقد رأيتُه في جِنازتها مغطّى الرأس حتى دفنَها، وكنت كثيراً إذا مَرَرْتُ بالمقابر، أراه عند قبرها.

١٠٧٠ ـ أخبرنا أبو المَعمر الأنصاري قال: أنبأنا صاعد بن سَيّار قال: أنبأنا أحمد بن أبي سهل الغُورَجي قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن العباس قال: أنبأنا عبد الله بن موسى السّلامي قال: حدثنا محمد بن يَعْفُور قال: حدثنا العلاء بن منصور قال: حدثنا الأَصْمَعِي قال: بتُّ عند بعض الأعراب في البادية، وله ولد مُضْنَى على فراشه. فقال لي أبوه: ابني هذا قد نزَل به ما ترى من العِشْق. فدَنَوْت إليه، فقال: أنشِدْني شيئاً. فقلت: لستُ بشاعر. فقال: لولا أنك ضَيف لسألتُك أن تحدّثني، ولكن مِن حقّ الضيافة أن يُحَدَّث الضيف. فقلتُ له: فما حالك؟ فحدَّثني بحديث طويل، ثم شهَق شهقة وقال:

كـأنّ فـؤادي طـائـرٌ حـان وِرْده ... فهـزَّ جَنـاحَيْـه اشتيـاقـاً إلـى الـوِرْدِ

ثم فاضت نفسُه، فكنت فيمن صلّى عليه.

١٠٧١ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا ابن السرّاج، قال: وجدت بخطّ ابن حَيّويه، يقول: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثني عبد الواحد بن محمد، قال: حدثني محمد بن الهيثم بن عَدِي، عن الهيثم، قال: حدثنا محمد بن مالك، قال: حدثني عثمان بن عُمر التَّميمي. قال: هَوِي فتى من بني أسد فتاةً مِن فَخِذِه[١]، وكان أيسر منها وأغنَى، وكان أبوه يمنعُه من أن يتزوَّج بها، ويُريد له أشرفَ منها وأيسر، ويَعْرِض عليه غيرها، فيأبَى إلاّ هي. وكان أبوها قد حبَسَها عليه رجاء أنْ يتزوّجَها، فلما طال على أبيها وأَيِسَ منه زوَّجها من غيره، فلقِيها الفتَى يوماً فقال لها:

لعَمْـريَ يـا سُعْـدَى لطـال تـأيُّمِـي ... ومعصيتـي شَيْخَـيَّ فيـكِ كِلَيْهِمَـا[٢]

وتَـرْكِـيَ ذا الحَيَّيْـنِ لـم أبـغِ منهمـا ... سـواكِ ولـم يَـرْبَـعْ هـوايَ عليهمـا[٣]

فقالت الجارية:

حبيبـيَ لا تَعجـل لتفهـم حُجَّتـي ... كفَـانـيَ مـا بِـي مـن بـلاءٍ ومـن جَهْـدِ

ومِـن عبـراتٍ تَعْتَـرِينـي وزَفْـرَة ... تكـاد لهـا نفسـي تُسَـلُّ مـن الـوَجْـدِ

غُلِبْـتُ علـى نَفْسِـي جِهـاداً ولـم أُطِـقْ ... خِـلافـاً علـى أهلـي بهَـزْلٍ ولا جِـدِّ

---

(١) فخذه: أي قبيلته وعشيرته.

(٢) تأيُّمي: التأيّم: تَرْك التزوّج، كالتَّبَتُّل.

(٣) يَرْبَع: يَقف وينتظر.

ولـن يمنعـونـيَ أن أمـوتَ بِـرَغْمِهِـم غداً جَوْفَ هذا الغارِ في جَدَثٍ وحدي[1]
فـلا تنـسَ أن تـأتـي هنـاك فَتَلْتَمِـسْ مكـانِـي فتسلُـو مـا تَحَمَّلْـتَ مـن جَهْـدِ

فلما كان من غدٍ أتاها حيثُ زعمت له، فوجدها ميتة، فأدخلها شِعْباً ثم التزمَها فمات معها. قال: فالتُمِسا حَوْلاً فلم يُقْدَر عليهما ولم يُعلم لهما خبرٌ. فإذا هاتف يهتف على الجبل الذي هما فيه، وكان الجَبل يُدْعى أعرافاً:

إنّ الكـريْمَيْـن ذَوي التَّصـافِـي الـذّاهِبَيْـن بـالـوفَـاءِ الصّـافـي
واللّـهِ مـا لقيـتُ فـي تَطْـوافـي أبْعـدَ مـنْ غَـدْرٍ ومِـن إخْـلافِ
مـن ميّتَيْـن فـي ذُرى أَعْـرَافِ

قال: فصعَد القومُ فوجدوهما ميّتَيْن، فوارَوْهما.

١٠٧٢ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حيّوَيه، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: ـ وذكر بعض الرّواة عن العُمَري ـ قال: كان أبو عبد الله الْحُبْشاني يَعشق صفراء العملاقية، وكانت سوداء، فاشتكى مِنْ حبّها وضَنِي حتى صار إلى حد الموت، فقال بعضُ أهله لمولاها: لو وجّهت صفراء إلى أبي عبد الله الْحُبْشاني فلعلّه يَعْقِل إذا رآها، ففعل.

فلما دخلت عليه صفراء، قالت: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم تَبْرَحِي. قالت: ما تَشْتَهِي؟ قال: قُربَك. قالت: فما تشتكي؟ قال: حبّك. قالت: فتُوصي بشيء؟ قال: نعم، أوصِي بكِ إنْ قَبلوا منّي. فقالت: إنّي أريد الانصراف. قال: فتعجّلي ثوابَ الصلاة عليّ، فقامَتْ، فانصرفَتْ فلمّا رآها مُولّيةً تنفّسَ الصعداء، ومات من ساعته.

١٠٧٣ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، عن أبي إسحاق البَرْمَكي، عن أبي بكر بن سالم، قال: ذكر محمد بن موسى البَرْبَري، قال: حدّثني محمد بن أبي السَّري الأَزْدِي قال: حدثنا هشام بن محمد الكَلْبي، عن عَوانة بن الحكم: أن عبد الله بن جعفر وفَد إلى عبد الملك بن مروان، فحدّثه، قال: اشتريتُ جارية مُوَلّدة[2] بعشرَة آلاف درهم، فوُصِفَتْ ليزيد بن معاوية، فأرسلَ إليَّ: إمّا تهديها لي، وإمّا أنْ تَبيعها بحُكْمِك. فأرسلتُ إليه: لا تخرج والله عن مِلكي ببيع ولا هبة أبداً. ومَكَثَتْ عندي على تلك الحال لا أزداد لها إلاّ حباً، حتى أتتني عجوز من عجائِزنا فذكرَتْ أن بعض عُزّاب أهل المدينة يَهواها وأنّه يجيء في كلّ يومٍ متنكراً، فيقف بالباب حتى يسمع غناءَها. فراعيتُ مجيئَه ليلة، فإذا به قد أقبل متقنّع

(١) الجَدَث: القبر.
(٢) المُوَلّدة: مَن ولِد عند العرب من غيرهم، ونشأ مع أولادهم وتأدّب بآدابهم.

الرأس حتى قعد مُسْتَخْفِياً، فدعوتُ قَيِّمَة[1] الجارية، فقلتُ: انطلقي الساعة فأَصْلِحي هذه الجارية بأحسن ما أمكن، وعجِّلي بها إليّ. فلمّا جاءَت بها نزلْتُ قابضاً على يدِها، وفتحتُ الباب، ثم حرَّكْتُ الرجل فانتبه مذعوراً، فقلت: لا بأس عليك خُذْ بيد هذه الجارية هي لك، فإذا هَمَمْتَ بِبَيْعها فارْدُدْها إليّ. فدُهِشَ الفتى ولُبِطَ[2] به. فدَنَوْتُ إلى أذنه فقلت: وَيْحَك، قد أظْفَرَك اللَّهُ عزّ وجلّ بِبُغْيتك، فانصرِف إلى منزلِك. فإذا الفتى ميت كأن لم يكن، فلم أر شيئاً قطّ أعجب من ذلك، وهانت الجارية في عَيني، وكرِهْت أن أوجه بها إلى يَزيد، فيعلم حالها، أو تخبره عن نفسِها فيحقد ذلك عليّ، فمكثت مديدة ثم ماتت، ولا أظنّها ماتت إلاّ كمداً وأسفاً على الفتى.

١٠٧٤ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: أنبأنا أبو عمر محمد بن العباس بن حَيّوَيه، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن خلف بن المَرْزُبان، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن منصور بن سَيّار، قال: أخبرني عبد الله بن نصر المَروزي، قال: أخبرني عبد الله بن سُويد، عن أبيه، قال: سمعت عليّ بن عاصم يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني: هل لك في عاشق تراه؟ فمضيتُ معه، فرأيتُ فتى كأنّما نُزِعَتِ الروحُ من جسده، وهو مُتَّزِر بإزار مُرتدٍ بآخر، وإذا هو مفكِّر، وفي ساعده وَرْدة، فذكرنا له بيتاً من الشِّعر، فتَهيَّج وقال:

جعلـــتُ مـــن وردَتهـــا ... تميمـــةً فـــي عَضُـــدِي
أشمُّهـــا مـــن حُبّهـــا ... إذا عـــلانـــي جَهـــدي
فمَـــن رأى مِثْلـــي فتـــى ... بـالحُـزْن أضحـى مُـرْتـدي
أَسْقَمَـــه الحـــبُّ وقـــد ... صـــار قليـــلَ الأوَدِ[3]
وصـــار ســـاهِ دَهْـــرَه ... مقـــارِنـــاً للكَمَـــدِ[4]
ألا فمـــن يـــرحـــم أو ... يـــرقُّ لـــي مِـــنْ كمَـــدِ

ثم أطرق، فقلتُ: ما شأنه؟ قالوا: عَشِق جارية لبعض أهله، فأعطَى بها كلّ ما يملك وهو سبعمائة دينار، فأبوا أن يَبيعوها، فنزل به ما ترى وفقد عقله.

قال: فخرجنا فلبِثْنا ما شاء الله، ثم مات فحضرْتُ جنازته، فلمّا سوي عليه إذا بجارية تسأل عن القبر فدلَلْتُها عليه، فما زالَتْ تبكي وتأخذ التراب فتجعله في شعرها. فبينا هي

---

(١) قَيِّمة الجارية: القائمة على أمورها.
(٢) لُبِط به: تحيّر في أمره.
(٣) الأَوَد: القوة والحركة.
(٤) الكمَد: تغيّر اللون، وذهاب صفائه لشدّة الحزن والغم.

كذلك إذ جاء قوم يسعون، فأقبلوا عليها ضرْباً، فقالت: شأنكم، والله لا تنتفعون بي بعده أبداً.

وقد رويت لنا هذه الحكاية أبسط من هذا.

١٠٧٥ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد الإبَري، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد المُقْري، قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفَتح، قال: أنبأنا أبو الحُسين محمد بن عبد الله ـ إجازة ـ، قال: حدثنا جعفر الْخُلْدِي، قال: حدثنا ابن مسروق، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، قال: حدثنا سُويد بن سعيد، قال: سمعت علي بن عاصم، يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني: أُرِيك فتى عاشقاً؟ قلت: بلى والله فإنّي أسمع الناس يُنكرون العِشق وذهاب العقل فيه، وإنّي لأحبّ رؤيته، فعِدْني يوماً أجيءُ معك فيه. قال: فوعدته يوماً، فمضينا، فأنشأ صاحِبِي يُحدّثني عن نُسكِه وعبادته وما كان فيه من الاجتهاد. قلت: وبمن هو متعلّق؟ قال: بجارية لبعضِ أهله كان يختلف إليهم فوقَعَتْ في نفسِه، فسألهم أن يبيعوها منه، فأبوا وبذل لهم جميع ملْكه، وهو سبعمائة دينار، فأبوا عليه ضِراراً وحسداً أن يكون مثلها في ملكه. فلما أَبوا عليه بَعَثَتْ إليه الجاريةُ وكانت تحبّه حباً شديداً: مُرني بأمرك فوالله لأُطِيعَنَّك، ولأنتهينَّ إلى أمرك في كلّ ما أمرتني به. فأرسلَ إليها: عليكِ بطاعة الله، فإنّ عليها المُعوَّل، والسّكون إليها، وبطاعة مَن يملِك رِقَّك فإنّها مضمومة إلى طاعة ربك عزّ وجلّ، ودَعِي الفكر في أمرِي لعلّ الله أن يجعلَ لنا فرَجاً يوماً من الدهر، فوالله ما كنت بالذي تَطيب نفسي بِنَيْل شيءٍ أحبّه أبداً في مِلكي فأمْنَعَه، أمدُّ يَدَيّ إليه حرَاماً بغير ثمن، ولكن أستعينُ بالله على أمري فليكن هذا آخر رسلك إليّ، ولا تعودي، فإنّي أكره والله أنْ يَراني الله تعالى وأنا في قبضته ملتمساً أمراً يكرهه منّي. فعليكِ بتقوى الله عزّ وجلّ فإنّها عصمة لأهل طاعته، وفيها سلو عن معصيته.

قال: ثم لزِم الاجتهاد الشّديد، ولبس الشَّعْر وتوَحّد، فكان لا يدخل منزله إلاّ من ليلٍ إلى ليل، وهو مع ذلك مشغول القلب بذِكْرها ما يكاد يفارقه. فوالله ما زال الأمر به حتى قطّعه، فهو الآن ذاهب العقل وَاله في منزله.

قال: ثم صِرْنا إلى الباب فاستأذنّا فأُذِن لنا. قال عَلِيّ: فدخلتُ إلى دار قَوْراء سريّة[1]، وإذا أنا بشابّ في وسَط الدار على حَصير مُتّزر بإزار مُرْتدٍ بآخر. قال: فسلّمنا عليه فلم يردَّ علينا السلام، فجلَسْنا إلى جنبه، فإذا هو من أجمل من رأيتُ وجهاً، وهو مُطْرِق ينكتُ في الأرض، ثم ينظرُ إلى ساعده، ثم يتنفّس الصعداء، حتى أقول قد خرَجَتْ نفسه، وهو مع

---

(١) قوراء: مستديرة. سريّة: جيدة جميلة.

ذلك كالخِلَال[1] من شِدّة الضرّ الذي به. قال: فالتفتُّ فإذا أنا بوردَةٍ حمراء مشدودة في عضده. قال: فقلت لصاحبي: ما هذه؟ فوالله ما رأيت العام ورداً قبل هذه. فقال: أظنّ فلانة ـ سماها ـ بعثَتْ بها إليه، فلما سمّاها رفَع رأسه فنظر إلينا، ثم قال:

جعلـــتُ مِـــنْ وردتهـــا   تميمـــةً فـــي عَضُـــدي
أشمّهـــا مـــن حبّهـــا   إذا عَـــلانـــي كَمَـــدِي
فمَـــن رأى مثلـــي فتـــىً   بـــالحـــزن أضحَـــى مُـــرْتـــدي
أسقمَـــه الحـــبُّ فقـــد   صـــار حَليـــف الأوَدِ
وصـــار سَهْـــواً دَهْـــرَه   مُقـــارِنـــاً للكمَـــدِ

قال: ثم أطرق، فقلت: الساعة والله يموت! قال عَلي بن عاصم: ووردَ عليّ من أمره ما لم أتمالك، وقمتُ أجرّ ردائي، فوالله ما بلغتُ الباب حتى سمعتُ الصّراخ. فقلت: ما هذا؟ فقالوا: مات والله. قال علِي: فقلت: والله لا أبرح حتى أشهده. قال: وتسامع الناس فجاؤوا بطبيب، فقال: خُذوا في أمر صاحبكم فقد مضَى لسبيله. فغسّلوه، وكفّنوه، ودفنوه، وانصرف الناس، فقال لي صاحبي: امضِ بنا، فقلتُ: امضِ أنتَ فإنّي أريد الجلوس هاهنا ساعة، فمضَى، فما زلتُ أبكي وأَعْتَبِر به، وأذكر أهل محبّة الله عزّ وجلّ وما هم فيه. قال: فبينا أنا على ذلك، إذا أنا بجارية قد أقبلَت كأنّها مَهاة[2]، وهي تُكثِر الالتفات، فقالت لي: يا هذا أين دفن هذا الفتى؟ قال عَلِيّ: فرأيتُ وجهاً ما رأيت قبله مثله، فأومأتُ إلى قبره. قال: فذهبَت إليه، فواللّهِ ما تركت على الأرض كثير تراب إلاّ ألقته على وجهها، وجعلَت تتمرّغ فيه حتى ظننتُ أنّها ستموت، فما كان أسرع من أن طلَع القومُ يسعون حتى جاؤوا إليها وأخذوها فجَعلوا يضرِبونها، فقُمْت إليهم، فقلت: رِفقاً بها رحمكم الله. قالت: دعهم أيها الرجل يبلغوا هِمّتهم، فواللّهِ لا انتَفَعُوا بي أبداً بعدَه أيّامَ حياتي، فليَصْنَعوا بي ما شاؤوا. فإذا هي التي كان يُحبّها الفتى، فانصرفتُ.

١٠٧٦ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا التَّنُوخي، قال: حدثنا ابن حَيّوَيه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان، قال: ذكر بعض الرّواة عن محمد بن معاوية، قال: حدثني إبراهيم بن عثمان العُذْري ـ وكان ينزل الكوفة ـ قال: رأيتُ عُمر بن مَيْسرة، وكان كهيئة الخَيَال وكأنه صُبغَ بالوَرْس[3] لا يكاد يُكلِّم أحداً ولا يُجالسه، وكانوا يَرَوْن أنه عاشِق، فكانوا يسألونه عن قِصّته فيقول:

---

(١) الخِلال: العود الذي يُتَخَلل به.
(٢) المهاة: بقرة وحشية يُشَبّه بها في حسن العينين.
(٣) الورس: نبت أصفر يكون باليمن.

يُسائلني ذو اللُّبِّ عن طُول عِلَّتي ... وما أنا بالمُبْدِي لذي النّاسِ عِلَّتي
سأكتُمُها صَبْراً على حَرِّ جَمْرِها ... وأكتُمها إذ كان في السرّ راحتي
إذا كنتُ قد أبصرْتُ موضع علّتي ... وكان دوائي في مَواضع لذّتي
صَبَرتُ على دائي احتِسَاباً ورَغْبَةً ... ولم أكُ أُحْدوثاتِ أهلي وخُلَّتي

قال: فما أظهرَ أمره ولا عَلِم أحدٌ بقِصَّته، حتى كان عند الموت، فإنّه قال: إنّ العلة التي كانت بي من أجل فلانة ابنة عمّي، والله ما حجَبني عنها وألْزَمني الضرَّ إلاّ خوفُ الله عزّ وجلّ لا غير، فمن بُلي في هذه الدنيا بشيء فلا يكن أحد أوثقَ عنده بسِرّه من نفسِه، ولولا أنّ الموت نازلٌ بي الساعة ما حدّثتكم، فأقرئوها مني السلام، ومات!

١٠٧٧ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: وجدت بخط ابن حَيّوَيه، ونقلته منه، قال: حدثنا أبو بكر بن المَرْزُبان، قال: أخبرني صالح بن يوسف، قال: أخبرني أبو عثمان المازني، قال: أنبأنا العُتْبِي، عن شبّابة بن الوليد العُذْري: أن فتًى من عذرة يُقال له: أبو مالك بن النضر، كان عاشقاً لابنة عمّ له عِشقاً شديداً، فلم يزل على ذلك مدة، ثم إنه قعد بِضع عشرة سنة لا يُحَسُّ له خبر. قال شبّابة: فاضْتَلَلْتُ إبلاً لي فخرجتُ في طَلَبها، فبينا أنا أسيرُ في الرّمال، إذا بهاتف يهتف بصوتٍ ضعيف:

يا ابنَ الوليد ألا تَحْمُون جاركُم ... وتحفظون له حقَّ القَراباتِ
عهدي إذا جارُ قوم نابَهُ حَدَثٌ ... وَقَوْهُ من كلِّ مَفْرُوج المُلِمَّاتِ[1]
هذا أبو مالك المُمْسي ببلْقَعةٍ ... معَ الضِّباع وآسادٍ وغاباتِ[2]
طليحُ شوقٍ بنارِ الحبّ مُحترقٌ ... تَعتاده زَفَراتُ إثْرَ لَوْعَاتِ[3]
أمَّا النهارُ فيُضْنِيه تَذَكُّرُه ... والليلُ مُرتَقِبٌ للصُّبْح هل ياتي
يَهذي بجَارِيةٍ من عُذْرةَ اختَلَسَتْ ... فؤادَه فهْوَ منها في بَلِيّاتِ

فقلت: دُلّني عليه رحمك الله، قال: نعم، أقْصُد الصوتَ، فلما قصدتُ، سمِعْتُ أنِيناً مِنْ خِباء، فإذا قائل يقول:

يا رَسِيسَ الهوَى أذَبْت فؤادي ... وحَشَوْتَ الحَشَا عَذاباً أليمَا[4]

فدنَوْتُ فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم، فقُلت: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: حُبِّي سعادَ ابنة

---

(١) أي: المصائب المهلكات.
(٢) البَلْقَعَة: الأرض القَفر التي لا نبت فيها ولا شجر.
(٣) الطليح: المتعب المهزول.
(٤) رَسِيس الهوى: بقيّته وأثره.

أبي الهَيْذَام العُذْرِي، شكوت يوماً ما أجِد من حبّها إلى ابن عمّ لنا، فاحتملني إلى هذا الوادي منذ بضع عشْرَة سنة، يأتِيني كلّ يوم بخَبرِها ويقُوتُني مِن عنده. فقلت: إنّي أصير إلى أهلها فأُخبرهم بما رأيت. قال: أنت وذلك. فانصرفتُ، فأخبرتهم، فرَقّوا له فزَوّجوه بحضرتي، فرَجَعْتُ إليه أُفَرّج عنه، فلما أخبرته الخبر، حدّد النظر إليّ ثم تَأَوّه تأوّهاً شدِيداً بلغَ مِنْ قلبي، ثم قال:

الآن إذ حَشْرَجَتْ نفسِي وحاضَرَها ... فـراقُ دُنيـا ونـادَاهـا مُنـاديهـا!

ثم زفر زفرةً فمات، فدفنتُه في موضعه، ثم انصرفتُ فأَخْبَرْتُهم الخبرَ، فأقامت الجارية بعده ثلاثاً لا تَطْعَم، ثم ماتت.

١٠٧٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاَّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا أبو الفضل الرَّبْعي قال: حدثنا محمد بن عُبيد الله العُتْبِي، عن مَن حدَّثه، قال: رأيتُ امرأةً مُنْحَطَّةً على قبر وهي تقول:

فيـا قبْـرُ لـو شفَّعْتنـي فيـه مـرةً ... فـأَخْـرَجْتَـه مـن ظُلمـة القبـرِ واللحـدِ
فكنـتُ أرَى هـلْ غيَّـر التُّـرْبُ وجهَـه ... وهـل عـاثَ دُود اللَّحْـد فـي ذلـك الخَـدِّ

فقلتُ لها: مَن صاحب القبر منك؟ قالت: ابن عم لي تزَوّجني، فطَفِق لا يَرْوَى مِنّي ولا أنْهَل منه، حتى كان العام الماضي، وغَزَتْنا سُلَيْم، وليس في الحيِّ غيري وغيره، فخرج يَحْمي وهو يقول:

نَعَتْنِـي زُبيْـد إنْ شَكَـوْتُ حَلِيلتـي ... طِعَـانـي وكَـرِّي مـا إذا الخَيـلُ كَـرَّتِ
فـإن مِـتُّ فـاغْـزِي كـلَّ يـومٍ وليلـة ... بِـذِكْـرِي ولا تنسِـي أميمـةُ خُلّتِـي

فوالله ما برح يُقاتل حتى قُتِل. قلت: فكم سَنة كانت له؟ قالت: أنا أكبر منه ولي تسع عشرة سنة، والله لا شَمَمْت رَوْحَ الدنيا أكثر من هذه الساعة، فظَنَنْتها هازئة. فلما أصبحتُ رأيت جنازة، فسألتُ عنها، فقيل لي: هذه الجارية التي كانت تُحَدِّثك بالأمس عند القبر عن بَعلها، والله لقد وَفَتْ لبَعْلِها وصدَقت في نفسِها.

١٠٧٩ ـ وبالإسناد قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا علي بن الفضل العُمَري، عن الرّبيع بن زياد، قال: رأيتُ جارية عند قبر وهي تقول:

بنفسـي فتًـى أوْفَـى البـريّـة كُلِّهـا ... وأقواهمُ في الموتِ صَبْراً على الحبِّ

فقلتُ: بم صار أقواهُم وأوفاهم؟ قالت: هَوِي فكان أهلي إذا جاهر بحُبّي لامُوه، وإذا كتَمه عَنَّفوه. فلما أخذه الأمر قال بيتَيْن من الشِّعر ولم يزل يردّدهما إلى أن مات. قلت: وما هما؟ قالت قوله:

يقولُون إنْ جاهرتُ قد عَضَّك الهوَى — وإن لم أَبُحْ بالحبِّ قالوا: تصبَّرَا
فما لِلَّذي يَهْوَى ويكتمُ حُبَّه — مِنَ الأمرِ إلاّ أن يموتَ فَيُعْذَرَا

والله يا هذا لا أبرحُ أو يَتَّصِل قبرانا! ثم شهَقت شهقة فصاح النساء، وقُلْنَ: قضَتْ والذي اختار لها الوفاة. فما رأيت أسرعَ ولا أَوْحَى من أمرها.

١٠٨٠ ـ أخبرتنا شُهْدة بنت أحمد قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّراج قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن العَلاَّف قال: أنبأنا عمر بن أحمد بن شاهين قال: حدثنا جعفر بن محمد الصُّوفي قال: أنبأنا أحمد بن محمد الطُّوسي قال: حدثني القاسم بن يزيد قال: حدثني محمد بن سَلاّم قال: حدثني جلاّد بن يزيد الأَرْقط قال: كان عُوَيْمر العُقَيلي مشْغُوفاً بابنةِ عمّ له، وكان يُقال لها: رَيّا، فزُوِّجت برجلٍ فحملها إلى بلاده، فاشتدّ وَجْده واعْتَلّ عِلّة، وأخذه الْهُلاَس[١]، فَدَعَوا له طبيباً لينظر إليه، فقال له: أخبرني بالذي تجِد، فرفع عَقِيرَته[٢]، فقال:

عطفتُ على أسراركم فكَسَوْتُها — قميصاً مِنَ الكتمان لا يَتَخرَّقُ
ولي عبرتانِ ما يَفيقَانِ: عبرةٌ — تفيضُ، وأخرى للصّبابة تَخْنُقُ
وأكثرُ حظِّي منكِ أنّي إذا جَرَتْ — لِيَ الريحُ من تلقائكم أتنشَّقُ

ثم ذهب عقلُه فما مكث إلاّ ليالي يسيرة حتى قضى.

١٠٨١ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارَك بن عبد الجَبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوهري، قال: أنبأنا ابن حَيَوَيه، قال: أنبأنا محمد بن خلَف، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، عن مصعب بن عبد الله الزُّبَيْري، قال: تزَوّج مالك بن عَمْرو الغَسَّاني بنتَ عمٍّ النعمان بن بشير، فشُغف كلٌّ واحد منهما بصاحبه، وكان مالك شُجاعاً مُسْبَعاً[٣]، فاشترطت عليه أن لا يقاتل إذا لقِي شَفَقةً عليه، وضَنّاً[٤] به، وإنّه غزَا حيّاً مِنْ لَخْم، فباشر القِتال، فأصابته جِراح، فقال وهو مُثْقَلٌ منها:

ألا ليتَ شعري عن غَزالٍ تركْتُه — إذا ما أتاه مَصْرَعي كيف يصنعُ
فلو أنّني كنتُ المؤَخَّرَ بعدَه — لما بَرِحَتْ نفسي عليه تَطَلَّعُ

وإنه مكث يوماً وليلة، ثم مات من جراحه. فلما وصل خبره إلى زوجَتِه بكَتْ سنةً ثم اعتُقل لسانها، فامتنعَتْ من الكلام، وكثُر خُطّابها، فقال عمومتها وولاةُ أمرها: نُزوِّجها،

---

(١) الهُلاس: الهَلْوَسة، أو مرض السِّلّ.
(٢) رفع عَقيرته: أي صوته.
(٣) أي: كالسَّبُع لا يخاف شيئاً.
(٤) أي: بُخلاً.

فلعل لسانها ينطلق، ويذهبُ حزنها، فإنّما هي مِنَ النساء. فزَوَّجوها بعض أبناء الملوك، فساق إليها ألفَ بعيرٍ، فلمّا كانت الليلة التي أُهْدِيَت إليه فيها، قامَتْ على باب القُبّة، فقالت:

يقولُ رِجالٌ زَوِّجُوها لعلّها ... تَقَرُّ وترضَى بعدَه بِحَلِيلِ
فأَخْفَيْتُ في النفسِ التي ليس بعدَها ... رَجاءٌ لهم، والصِّدقُ أفضلُ قِيلِ
أَبَعْدَ ابنَ عمِّي فارسِ القومِ مالكٍ ... أُزَفُّ إلى بَعْلٍ بِهَضْبِ كَلِيلِ
وحدَّثني أصحابُه أنَّ مالكاً ... أقامَ ونادَى صحبُه برَحِيلِ
وحدَّثني أصحابُه أنَّ مالكاً ... ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ غيرُ نَكُولِ[1]
وحدَّثني أصحابه أنَّ مالكاً ... جوادٌ بما في الرَّحْلِ غيرُ بَخِيلِ
وحدَّثني أصحابه أنَّ مالكاً ... خفيفٌ على الْحُدَّاثِ غيرُ ثقيلِ
وحدَّثني أصحابه أنَّ مالكاً ... صَرُومٌ كماضي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيلِ[2]

قال أبو بكر العامري: وحدثني مُشْكِدَانة، قال: حدثني عَمرو بن محمد العبقري، قال: أخبرني شيخ أَثِقُ به ـ وذكر الحديث ـ وزاد فيه: فلمّا فرَغت منَ الشّعر شهَقت شهقة فماتت.

١٠٨٢ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السَّراج، قال: أنبأنا أبو الحُسين محمد بن محمد الوَرَّاق، قال: حكَى لي أبو الحُسين علي بن الحُسين الصُّوفي المعروف برَباح، قال: حدثني بعض أصدقائي: أنّه دخل بعض المارستانات[3] ببغداد فرأى شاباً حسن الوجه، نظيف الثِّياب، جالساً على حَصِير نظيفٍ، وعن يساره مخدّة نظيفة، وفي يده مَرْوحة، وإلى جانبه كرَّار فيه ماء، قال: فسلمتُ عليه فردّ السلام أحسن ردّ، فقلت له: هل لك من حاجة؟ قال: نعم، أُريد قِرْصَين وعليهما فالُوذَج[4]. فمضَيْتُ فجئته بذلك، وجلستُ مُقابله حتى أكلَ، ثم قلت له: بقي لك حاجة؟ قال: نعم وأظنّك تقدِر عليها. فقلت: اذكرها فلعلّ الله عزّ وجلّ أنْ يُيَسِّرها. فقال: تمضي إلى نهر الدَّجاج، دَرْب أحمد الدّهقان إلى دارٍ على باب زقاق الغَفْلة، فاطرقِ الباب، وقل: إنّ فلاناً قال لي:

مُرَّ بالحبيبِ وقُل لهُ: ... مجنونُكُمْ مَنْ يَحُلُّهْ

قال: فمضيتُ، وسألت عن الدَّرب والزّقاق، فدُلِلْتُ عليه، فطَرَقْتُ الباب، فخرجَت إليّ عجوز، فأبلَغْتُها الرِّسالة، فدخَلَت وغابت عنّي ساعة، ثم خرَجت وقالت:

---

(١) غير نكول: غير جبان.
(٢) صرومٌ: قاطعٌ، أي يَمضي في أمره ولا يثنيه شيء.
(٣) المارستان: دار المرضى.
(٤) الفالوذج: نوع من الحلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل وغير ذلك. ويقال له أيضاً: الفالوذ، والفالوذق.

ارجـــع إليـــه، وقـــل لـــه: عليكـــــمُ مَـــــنْ أَعَلَّـــــه

فرجَعتُ إلى الفتى، فأخبَرْتُه بالجواب، فشهَق شهقة فمات، وعُدت إلى القوم، أُخبرهم بذلك، فوجَدْتُ الصّراخ في الدار، وقد ماتت الجارية، أو كما قال.

١٠٨٣ ـ أخبرنا المُبارك بن علي، قال: أنبأنا أبو علي محمد بن محمد المَهْدي، قال: أنبأنا أبو الحَسن أحمد بن العَتِيقي[1]، قال: أنبأنا أبو بكر بن شاذان، قال: حدثنا أبو بكر بن أبي الأزهر، قال: قال الرِّياشي: قال ابن عائشة: أحبَّ رجلٌ ابنةَ عمّ له، فقالت: إنّ الناس قد أكثَروا علينا، فلو خرجْتَ بنا من هذه البلدة. قال: فخرَج بها وخرج في إثرِهما أخٌ له، فجعلَ لا يترك منزلاً إلاّ قيل له: قد نزَلا وارتحلاَ، حتى أتى منزلاً، فقيل له: نزلاَ بهذا الماء فمرِضَتْ فماتت فدفنَّاها، ثم كان يأتي الرجلُ قبرَها فيبكِي وينصرِف، فلم يزل كذلك حتى مات، ودُفن إلى جانبها، وهذان هما. فأنشأ يقول:

أَفِــقْ مُــرَّ إنّ الــوُدَّ شَــرٌّ لَصِيــقِ وإلاّ فَمُــتْ إنْ كنــتَ غيــرَ مُطيــقِ
فقــد ســاق ليلــى الحــبُّ حتــى أَحلَّهــا بِــرَاذان قبــراً غيــرَ جِــدٍّ عميــقِ[2]
فــلا تَبْعُــدي مِــن ذي هــوَى ومَشُــوقِ فمِــن بيــن مَــوْتــانــا دُفنــتِ غَــريبــةً

١٠٨٤ ـ أخبرنا عبد الوهاب بن المُبارك، قال: أنبأنا أحمد بن الحَسن بن خَيْرُون، قال: أنبأنا أبو الطَّيِّب الطَّبري، قال: أنبأنا المُعافَى بن زكريا:

وأخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو طاهر بن العَلاّف، قال: أنبأنا عُمر بن أحمد بن شاهين:

قالا: حدثنا جعفر بن محمد الخوَّاص، قال: حدثنا أبو العباس بن مَسروق، قال: حدّثني فضل اليَزِيدي، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم، أنَّ المَهْدِي بن عَمرو الهِلالي، قال: شهدت أبا يحيى التيمي يقول: كان يختلفُ معنا فتى مِن النّساك ـ يقال له: أبو الحسن ـ إلى مِسْعر بن كِدام[3]، وكان يختلف معه فتى حسن الوجه يفتن النّاس إذا رأوه، فأكثَرَ الناسُ القولَ فيه وفي صُحبته إياه، ومَنعه أهله أنْ يصحَبَه وأن يُكلِّمَه، فذُهِل عقلُه حتى خُشِي عليه التّلَف. فبلغ ذلك مِسْعراً، فقال: قولوا له: لا يقرَبني ولا يأتِي مَجْلِسي، فإنّي له كاره. فلقِيتُه فأخبرتُه بذلك، فتنفّسَ الصُّعَداء، ثم أنشأ يقول:

---

(١) العَتِيقي: نسبة إلى عتيق، جَدّ. وأبو الحسن هو أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي العَتِيقي المُجَهِّز السَّفَّار، إمام محدّث ثقة. انظر: السير ١٧/ ٦٠٢، والأنساب ٤/ ١٥٦.

(٢) راذان: كورة بسَوَاد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. معجم البلدان ٣/ ١٣ ـ ١٤.

(٣) هو مِسْعر بن كِدَام بن ظُهَرْ الهلالي، أبو سلمة الكوفي، الإمام الثبت، شيخ العِراق، الحافظ، مات سنة (١٥٣) هـ. انظر: السير ٧/ ١٦٣، حلية الأولياء ٧/ ٢٠٩، تهذيب التهذيب ١٠/ ١١٣.

يا مَنْ بدائِعُ حُسْنِ صُورته ... تَثْنِي إليه أَعِنَّةَ الحدَقِ[1]
لي منك ما للنّاسِ كلِّهمُ ... نظَرٌ وتسليمٌ على الطُّرُقِ
لكنّهم سَعِدوا بأَمْنِهمُ ... وشَقِيتُ حين أراك بالفَرَقِ

ثم صرخ صرْخة وشَخَص بصرَه نحو السماء، وسقط فحَرّكْتُه فإذا هو ميت.

١٠٨٥ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حيّويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، قال: أخبرني سُليمان بن الربيع الكَادِحيّ، قال: حدثنا عبد العزيز بن الماجِشُون، عن أيوب، عن ابن سِيرِين، قال: عبدُ الله بن عَجْلان ـ هو صاحب هند بنت كعب بن عَمرو ـ وإنه عَشِقها فمرِض مرضاً شديداً حتى ضَنِيَ، فلم يَدْرِ أهلُه ما به، فدخلَتْ عليه عجوز، فقالت: إنّ صاحبكم عاشِق، فاذبحوا له شاة واتُوه بها وغَيِّبوا فؤادَها. ففَعلوا وأتَوْه بها. فجعل يرفع بِضْعَة ويضَعُ أخرى، ثم قال: أمَا لشاتكم قَلْب؟! فقال أخوه: ألا أراك عاشقاً ولم تخبرنا!

فبلغني، والله أعلم، أنّه قال لهم بعد ذلك: آه، ومات.

١٠٨٦ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّراج، قال: ذكر أبو عُمر بن حيّويه ـ فيما نقلته من خطّه ـ، قال: حدثنا محمد بن خلف، قال: حدثنا الحُسين بن جعفر، قال: حدثني عبد الله بن أحمد العَبْدي، قال: حدثني سليمان بن علي الهاشمي: أنّ عليَّ بنَ صالح بن داود ذكر عن جارية من جواري القِيَان. أنّها كانت تَمِيل إليه محبّة وكَلَفاً، وكانت موصُوفة بالأدَب، شاعِرة، فحَضر يوماً عند بعض أهل البصرة، فلمّا رأَته قالت: طاب عَيشُنا في يومنا هذا، فلم يلتفِتْ إليها، فكتبَتْ على منديل:

لعلَّ الذي أَبْلَى بِحُبِّك يا فتى ... يَرُدُّك لي يوماً إلى أحْسَنِ العَهْدِ

ثم تغافلَتْ أهل المجلس وألقت إليه المنديل. قال: فما هو إلاّ أن قرأتُ الشعر حتى وجدتُ في قلْبي من أمرها مثلَ النّار، فقُمت وانصرفتُ خوفاً من الفَضيحة، ثم لم أزل أُعْمِل الحِيلة في ابتِياعها من حيث لا تعلم، فعسُر ذلك، فعرَّفتها ما قد عزَمْتُ عليه من ابتِياعها، فأعانَتْني على ذلك حتى ملكتُها، فلم أوثر عليها أحداً من حَرَمِي وأهلي، ولا كان عندي شيء يعدلُها، فتُوُفِّيَتْ، فأنا لا عيش لي ولا سرور. فوالله ما لبث بعد هذا الكلام إلاّ أياماً يَسيرة حتى مات أسفاً عليها وكَمَداً، فدُفن إلى جانبها.

١٠٨٧ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد بن السّراج:
وأنبأنا ابن الْحُصَين، قالا: أنبأنا أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله، قال:

(١) أعِنَّة: جمع عِنان، وهو ما يُربط به الفرس ليُمْنَع ويُسَيِّر. الحَدَق: العيون.

أنبأنا أبو العباس أحمد بن منصور اليَشْكُري[1]، قال: أنبأنا أبو القاسم الصَّائغ، بإسنادٍ له، عن ابن الأشدق، قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيتُ شاباً تحت المِيزاب قد أدخل رأسه في كِسائه، يَئِنّ كالمَحْمُوم، فسلَّمْتُ فردَّ، ثم قال: من أين؟ قلتُ: من البصرة، قال: وراجعٌ إليها؟ قلت: نعم، قال: إذا دخلت النبَّاج[2] فاخرُج إلى الحيّ، ثم نادِ: يا هلال، تخرج إليك جارية، تُنْشِدها هذا البيت:

وقـد كنـتُ أهـوى أن تكـونَ مَنِيّتـي ... بعينَيْـك حتـى تنظـرِي ميّـت الحُـبِّ

ومات مكانه.

فلما دخلتُ النَّباج أتيتُ الحيّ، فنادَيْتُ: يا هلال، يا هلال، فخرَجَتْ إليَّ جارية لم أرَ أحسن منها، قالت: ما وراءك؟ قلت: شابّ بمكة أنشدَني هذا البيت، قالت: وما صنع؟ قلتُ: مات، فخرَّت مكانها ميتة.

١٠٨٨ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي قال: أنبأنا أبو القاسم التَّنُوخي، وأبو محمد الجوهري، كلاهما عن أبي عبد الله المَرْزُباني قال: أنبأنا ابن دُرَيد قال: أنبأنا العباس بن الفرج الرِّياشي، عن محمد بن سَلام قال: حدثني بعضُ أهل الكوفة قال: حَجَجْتُ فرأيتُ امرأة قبيل فَيْدٍ[3] وهي تقول:

فـإن تضـرِبـوا ظَهْـري وبَطْـني كِلَيْهمـا ... فليـسَ لقلـبٍ بيـن جَنْبَـيَّ ضـاربُ

فسألتُ عنها، فقيل: عاشق.

ثم عدْتُ من العام المُقبل، فإذا بها قد حال لونها مع حُسْنه، وهي تقول:

فـإن يـكُ عيسـى قـد أطـاعَ بـي العِـدَا ... فـلا وأبيـه مـا أَطَعْـتُ الأعـاديَـا

يقـولُـون لـي: مـولًـى فـلا تقـربَنّـهُ، ... وعَيْـشُ أبـي إنّـي أحـب المـواليَـا

ثم رجَعتُ من العام الثالث، فإذا هي مُقَيّدة، فاقدةٌ عقلها، وهي تقول:

أيـا طلحـة الـرُّعيـان ظلّـك بـاردٌ ... ومـاؤك عَـذْبٌ يَستسيـغ لِشَـاربِ

ثم سَأَلْتُ عنها بعد ذلك، فأُخبرت أنها ماتت.

---

(١) اليَشْكُري: نسبة إلى يَشْكُر بن وائل بن قاسط، وقيل: يَشْكُر بن بكر بن وائل. انظر: الأنساب ٥/٦٩٧، واللباب ٣/٤١٣ ـ ٤١٤، ولب اللباب ٢/ ٣٤٠.

(٢) النَّبَاج، اسم منطقة على طريق البصرة يُقال له: نِباج بني عامر، وهو بحذاء فَيْد. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٦.

(٣) فَيد: بُلَيْدَة في نصف طريق مكة من الكوفة عامرة، انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.

١٠٨٩ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد الإبَرِيّ، قالت: أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد القارىء، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الأرْدِستاني بقراءتي عليه بمكة باب النَّدْوة، قال: أنبأنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، قال: حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بِنَسَف[١]، قال: حدثنا أبو يعلى محمد بن مالك الرَّقِّيّ، قال: حدثنا عبد الله بن عبد العزيز السَّامِري، قال: مررتُ بدَيْر هِزْقل[٢] أنا وصديق لي، فقال: هل لك أن تدخل فترى مَن فيه مِن مِلاح المجانين؟ قلت: ذاك إليك، فدخَلْنا، فإذا بشابّ حسن الوجه، مُرَجَّل[٣] الشَّعْر، مكحول العين، أزجّ[٤] الحواجب، كأن شعر أجفانه مقادِيم[٥] النسور، وعليه طلاوة تعلوه حلاوة، مشدود بسِلسلة إلى جدار. فلما بصُر بنا قال: مرحباً بالوفد قرَّب الله ما نأى منكم، بأبي أنتم. قلنا: وأنت، فأمتع الله الخاصة والعامة بقربك، وآنَسَ جماعة ذوي المروءة بشخصك، وجعلنا وسائر من يحبك فداك. فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاءكما، وتولّى عَنّي مكافأتكما. قلنا: وما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال:

اللـــهُ يَعْلـــم أنّنـــي كمِـــدُ ... لا أستطيـــع أبُـــثُّ مـــا أجِـــدُ
رُوحـــان لـــي: روحٌ تضمَّنها ... بلـــدٌ، وأخـــرى حـــازَهـــا بلـــدُ
أمـــا المقيمـــة ليـــس ينفعها ... صبـــرٌ وليـــس بِقُـــرْبها جَلَـــدُ
وأظـــنّ غـــائبتـــي كشـــاهـــدتـــي ... بمكـــانِهـــا تجـــدُ الـــذي أجـــدُ

ثم التفتَ إلينا، فقال: أحسنتُ؟ قلنا: نعم. ووَلَّيْنا، فقال: بأبي أنتم ما أسرع مَلَلكم، بالله أَعِيْرُوني أفهامَكم وأذهانكم. قلنا: هات، فقال:

لَمَّـــا أنـــاخـــوا قُبيـــل الصُّبْـــح عِيـــرَهُـــم ... ورحّلـــوهـــا فســـارت بـــالهَـــوى الإبـــلُ
وقلَّبَـــتْ مـــن خـــلال السَّجْـــفِ نـــاظـــرهـــا ... تـــرْنُـــو إلـــيَّ ودمـــعُ العيـــن مُنْهَمِـــلُ[٦]
فـــودَّعَـــتْ ببنـــانٍ عَقْـــده عَنَـــم ... نـــاديـــتُ لا حَمَلَـــتْ رِجـــلاك يـــا جَمَـــلُ[٧]

---

(١) نَسَف: مدينة كبيرة كثيرة الأهل، بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العِلم في كلّ فن، وتُسَمّى: نَخشب. انظر معجم البلدان ٥/ ٣٢٩.
(٢) دَير هِزقل: أصله حزقيل، ثم نقل إلى هِزقل، دير مشهور بين البصرة وعسكر مُكْرَم. انظر: معجم البلدان ٢/ ٦١١.
(٣) أي: مُسَرّح بمِشط.
(٤) أزَجّ الحاجبين: أي دقيقهما.
(٥) مقاديم وقوادم: أي الرّيشات التي في مقدّم الجناح، وهي كبار الرِّيش، ومراده بيان طول شعر أجفانه.
(٦) السَّجَف: السُّتران ـ جمع سِتار ـ بينها فرجة أو شق.
(٧) عَنَم: شجر له ثمرة حمراء، يُشَبَّه به البنان ـ الأصبع ـ المَخضُوب.

ويلـي مِـنَ البَيْـن مـاذا حَـلَّ بـي وبهـا ... يـا نـازِحَ الـدار حـلَّ البَيْـنُ فـارتحلـوا
يـا راحـل العِيـس عـرِّج كـي أُوَدِّعهـا ... يـا راحل العِيس فـي تَرْحَـالك الأجَلُ[1]
إنّـي علـى العهـد لـم أنقُـضْ مَـوَدَّتكـم ... فليـتَ شِعـري، وطـال العهـد، مـا فَعلـوا

فقلنا، ولم نعلم بحقيقة ما وصف ـ مجُوناً ـ: ماتوا، فقال: أقسمتُ عليكم ماتوا؟ فقلنا: انظُرْ ما تصنع، نعم ماتوا. قال: إنّي والله مَيّت في إثرهم. ثم جذَب نفسه في السلسلة جذبة دُلع[2] منها لسانه ونَدَرَت لها عيناه وانبعثَتْ شفتاه بالدماء، فتلبَّط ساعة ثم مات. فلا أنسى ندامتنا على ما صنعنا!

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر.

١٠٩٠ ـ فأخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو علي الحَسن بن محمد بن عيسى، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن م حمد بن القاسم بن مرزوق، قال: أنبأنا إبراهيم بن علي البغدادي، قال: حدثنا محمد بن يحيى، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، قال: حدثني المُبَرِّد، قال: خرجتُ أنا وجماعة من أصحابي مع المأمون، فلما قربنا من نحو الرَّقة[3]، إذا نحن بدَيْر كبير، فأقبلَ إليّ بعضُ أصحابي، فقال: مِلْ بنا إلى هذا الدَّير، لننظر مَن فيه ونحمد الله سبحانه على ما رَزقنا من السلامة. فلما دخلنا إلى الدَّير رأينا مجانِين مُغَلْغَلِين وهم في نهاية القذَارة، فإذا منهم شابّ عليه بقية ثياب ناعمة. فلما بصُر بنا قال: مِن أين أتيتم يا فتيان؟ حياكم الله. فقلنا: نحن من العراق، فقال: بأبي العراق وأهلها، بالله أنشدوني أو أنشدكم، فقال المبرّد: والله إنَّ الشعر من هذا لظريف. فقلنا: أنشدنا، فأنْشَأ يقول:

اللـهُ يعلـم أنَّنِـي كمِـدُ ... لا أستطيـع أُبُـثُّ مـا أجِـدُ
رُوحـان لـي: رُوح تضمَّنهـا ... بلـدٌ، وأخـرى حـازهـا بلـدُ
وأرى المُقيمـةَ ليـس ينفعهـا ... صَبْـرٌ ولا يقـوى بهـا جَلَـدُ
وأظـنّ غـائِبَتـي كشـاهـدتـي ... بمكـانهـا تجـدُ الـذي أجـدُ

قال المبرّد: إنّ هذا لظريف والله، زدنا. فأنشأ يقول:

لَمّـا أنـاخـوا قُبيـل الصُّبْـح عِيـرَهـم ... وَرَحّلـوهـا فثـارت بـالهـوَى الإبـلُ
وأَبْـرَزَتْ مـن خـلال السَّجْـف نـاظـرهـا ... تـرنـو إلـيَّ، ودمـعُ العيـن منهمـلُ

---

(١) العيس: الإبل البيض التي يُخالط بياضها شيء من الشقرة.
(٢) دُلع: أي خرج من فمه.
(٣) الرَّقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة العربية لأنها من جانب الفرات الشرقي. انظر: معجم البلدان ٣/ ٦٧ ـ ٦٨.

وودَّعـــتْ بِبَنَـــانٍ عقـــدهـــا عَنــمٌ ... نـــاديــتُ لا حَمَلَــتْ رِجــلاك يــا جَمَــل
ويْلـي مـن البَيْـنِ مـاذا حـلَّ بـي وبهـا ... مِـن نـازلِ البَيْـن حـان البَيْـن وارتحلـوا
يـا راحـلَ العِيـس عَـرِّج حتـى نُـوَدِّعهـا ... يـا راحـل العِيـس فـي تَـرْحـالـك الأجَـلُ
إنّـي علـى العهـد لـم أنقـضْ مـودَّتَهـم ... فليـت شِعـري لطـول العهـد مـا فعلـوا

فقال رجل من البُغضاء الذين كانوا معي: ماتوا. قال: إذن فأموت. فقال له: إن شئت. فتَمَطّى واستند إلى السارية التي كان مشدوداً فيها، فما برحنا حتى دفناه[١].

١٠٩١ ـ أخبرتنا شهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا القاضي أبو الحُسين أحمد بن علي التَّوَّزي، قال: أنبأنا عُبيد الله بن أحمد الجَرَادي، قال: أنبأنا جعفر:

وأنبأنا الحُسين بن محمد بن طاهر الدَّقاق، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن المُكْتَفي بالله: قالا: حدثنا ابن دُرَيد، قال: أنبأنا عبد الرحمن، عن عمّه، عن يونس، قال: انصرفْتُ من الحجِّ، فمررت بماوِيّه[٢]، وكان لي فيها صديق مِن بني عامر بن صَعْصَعة، فصِرْت إليه مُسَلِّماً، فأنْزَلني، فبينا أنا عنده ونحن قاعِدان بفنائه، إذا نساء مُسْتَبْشرات، وهنَّ يقلن: تكلّمَ تكلّمَ، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: فتى منّا، كان يعشَق ابنة عمّ له فتزوجت وحُمِلت إلى ناحية الحِجاز، فإنّه لعلَى فِراشه منذ حَوْلٍ[٣] ما تكلم. فقلتُ: أُحِبّ أن أراه. فقام وقمت معه، فمشَيْنا غير بعيد، وإذا فتى مضطجع بفِناء بيت من تلك البيوت، لم يبقَ منه إلاّ خيال، فأكبَّ الشيخُ عليه فسأله، وأمُّه واقفة، فقالت: يا مالك هذا عمّك أبو فلان، يَعُودك، ففتَح عيْنَه وأنشأ يقول:

لِيَبْكِنـــي اليـــومَ أهـــلُ الـــوُدِّ والشَّفَـــقِ ... لم يبقَ مِنْ مُهجتي شيءٌ سوَى رَمَقِي[٤]
اليـــومَ آخِـــرُ عهـــدي بـــالحيـــاةِ فقـــد ... أُطْلِقْــتُ مِــنْ رِبْقَــةِ الأحــزانِ والقَلَــقِ[٥]

ثم تنفّس الصعداء فإذا هو ميت. فقام الشيخ، وقمت فانصرفت إلى خِبائه، وإذا امرأة بَضَّةٌ[٦] تبكي وتَفَجّع، فقال الشيخ: ما يُبكيك؟ فأنشأت تقول:

ألا أَبْكِـــي لِصَـــبٍّ شَـــفَّ مهجتَـــه ... طُـولُ السَّقـام وأَضْنَـى جسمَـه الكَمَـدُ

---

(١) انظر هذه القصة في معجم البلدان: ٢/ ٦١١ (ديرهزقل).
(٢) ماوِيَّة: مدينة على جادّة الطريق بين البصرة إلى مكة، وكان ملوك الحيرة يتبدّون إلى ماوِيّة فينزلونها. وهي من أعذب مياه العرب. انظر معجم البلدان ٥/ ٥٧.
(٣) حَوْل: سنة.
(٤) المُهْجَة: الدم، أو دم القلب، أو النفس. الرمق: بقية الحياة، أو آخر النفْس.
(٥) رِبْقة: قَيْد.
(٦) بضّة: أي رقيقة الجلد، ناعمة في سِمَن.

يـا ليـتَ مـن خَلَّـفَ القَلْـبَ المهيمَ بـه عنـدي فـأشكـو إليـه بعـضَ مـا أجِـدُ
أم أنـتَ حيـثُ يُنـاط السَّحْـرُ والكبِـدُ[1] أَنَشْـرُ تُـرْبِـكَ أسَـرَى لـي النَّسيـمُ بـه

ثم انكبت على كبدها، وشهَقت فإذا هي ميتة.

قال يونس: فقمتُ من عند الشيخ وأنا وَقِيذ[2].

١٠٩٢ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرَّاج، قال: ذكر أبو الحُسين المدائني، عن محمد بن صالح الثَّقَفي: أن بعضَ الأعراب عَشِق جارية من حَيِّه، فكان يتحدث إليها، فلمّا علِم أهلُها بمكانه، ومجلِسِه منها، تَحَمّلوا بها، فتَبِعهم ينظرُ إليهم ففُطِن به، فلما علم أنه قد فُطِن به انصرَف وهو يقول:

بـــان الخَلِيـــطُ فـــأَوْجعـــوا قلبـــي حَسْبــي بمــا قـــد أَوْرَثـــوا حَسْبِـــي
إن تكتبـــوا نَكْتُـــبْ وإن لا تكتبـــوا تـــأتيكـــمُ بمكـــانكـــم كُتْبِـــي
جَـدَّ الـرَّحِيـلُ وكـان فـرقـةُ بَيْننـا لا شـــكَّ أنّـــي مُنْقَـــضٍ نَحْبِـــي

قال: ثم وقف على جبل ينظرُ إليهم ماضِين، فلما غابوا عن عينِه خرَّ ميتاً.

١٠٩٣ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدث أبو علي بن شَاذان، قال: حدثني أحمد، قال: حدثنا أحمد بن سليمان الطُّوْسِي، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني هارون أبو موسى، قال: حدثني موسى بن جعفر، وعبد الملك بن الماجشون: أنّ يزيد بن عبد الملك لما دَفَنَ حُبابة رجَع فما خرج من منزله حتى خُرِج بنعشه.

وفي رواية أخرى: أنّ يزيد بن عبد الملك قال: إنَّ قوماً زَعموا أنّه لا يصفُو لأحدٍ عيشه يوماً إلى الليل لا يكدّره شيء، سأُجَرِّب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً فلا تُخبروني بشيء ولا يأتيني كتاب. وخلا هو وحُبابة، فأُتِيا بما يأكلان، فأكَلَتْ رُمّانة، فشرِقت بحبّة منها، فماتت، فأقام لا يدفنها حتى تغيَّرت، وأَنْتَنَت، وهو يشمُّها ويَلْثُمها، فعاتَبوه على ذلك، فأَذِن في غسْلها، وخرَج معها، فلما دُفنت قال: أصبحتُ والله كما قال كُثَيِّر:

فــإن تسـلُ عنـك النفسُ أو تــدع الصِّبـا فبــاليـــأس تسلـــو عنـــك لا بـــالتّجَلُّـــدِ

فما أقام إلاّ خمس عشرة ليلة حتى دُفن إلى جانبها. وفي رواية: بقي أربعين يوماً، وخرج يوماً فقال: انبِشُوها حتى أنظر إليها. فقِيل له تصِير حديثاً، فسكت.

وحكى الأصبهاني عن المدائني أنه أمَر بنبشها بعد ثلاث، فنُبشت، وكُشِف له عن

---

(١) السَّحْر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن.
(٢) وَقِيذ: شديد المرض، مُشْرف على الموت.

وجهها، وقد تغيّرت تغيراً قبيحاً، فقيل له: ألا تراها كيف صارت؟! فقال: ما رأيتها قط أحسن منها اليوم، أخرجوها. فما زالوا به حتى سكَت. ثم مات عَقِيب ذلك.

١٠٩٤ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن التَّوَّزي، قال: أنبأنا أحمد بن محمد الرَّصَافي، قال: حدثنا أحمد بن كامل، قال: حدثنا موسى بن حماد، قال: حدثني أبو عبد الله العَدَوِي، قال: حدثني الحُسَين، قال: سمعت أبي يقول: سمعت مُصْعباً يقول: قرأتُ على لَوْحَين مكتوباً عليهما على قبرَين:

أَمُغَطَّى مِنِّي على بَصَري في الحـ ... ـبّ أم أنت أَكْملُ الناس حُسْناً
وحديث أَلَذُّه هو مما ... ينعتُ النَّاعِتون يُوزَن وَزْنَا

ورأيتُ امرأة عند القبرَين تقول: بأبي لم تُمَتِّعْك الدنيا من لذّاتها، استودعتك من وَهبك لي ثم سَلَبك أَسَرّ ما كنت بك. فقلتُ لها: من هذا؟ قالت: ابني وهذه ابنة عمِّه، كان مسمًّى بها، فليلة زفَّتْ إليه، أخذَها وَجَعٌ أتى على نفسِها فَقَضَت فانصَدَع قلبُ ابني فلحِقَت روحُه روحَها، فدفنتهما في ساعةٍ واحدة. قلتُ: فمن كتب هذين البيتَيْن؟ قالت: أنا، كان كثيراً ما يتمَثّل بهما، قُلت: ممن أنتِ؟ قالت: فَزَارية، قلت: ومَن قائلهما؟ قالت: مالكُ بن أسماء بن خارجةَ بن حِصْن[1]، يقولهما في امرأتِه حبيبة بنت أبي جُندب الأنصاري. ثم قالت: وهو الذي يقول:

يا منْزِلَ الغَيْث بعدما قَنطوا ... ويا وليَّ الإنعام والمِنَنِ
يكونُ ما شئتَ أن يكونَ وما ... قَدّرتَ أن لا يكون لم يَكُنِ
لو شئتَ إذ كان حبُّها عرَضاً ... لم تُرِنِي وجهَها ولم تَرَنِي
يا جارةَ الحيِّ كنتِ لي سَكَناً ... إذ ليس بعض الجِيران بالسَّكَنِ
أَذْكُرُ من جارتي محاسِنَها ... طرائِقاً مِنْ حديثِها الحسَنِ
ومِنْ حديثٍ يزيدني مِقَةً ... ما لِحَديث المَوْمُوق من ثَمَنِ

قال: فكَتَبْتُها، ثم قامت مُوَلِّية.

١٠٩٥ ـ بلغني عن الهيثم بن عدي أنه حَدَّث عن رجل من بني نَهد، قال: كان رجلٌ مِنّا يُقال له: مُرّة، زُوِّج ابنة عمّ له جميلة يقال لها: ليلى، وكان مُسْتَهاماً بها، فضُرِب عليه البَعْثُ إلى خُراسان، فكرِه فِراقها، واشتدّ عليه، ولم يجد مِن ذلك بدّاً، فخلَّفها عند رجل من

---

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري، من فُحول الشعراء، له وِفادة على عبد المِلك بن مروان، وكان عاملاً على الحيرة للحجّاج، وكان جميلاً وسيماً. انظر: السير ٣٥٧/٤، تاريخ الإسلام ١٨٨/٤.

قومه براذان، فغزا، ثم تَعَجّل. فلما صار براذان جلَس قريباً من القَصْر، وكرِه أن يدخُل نهاراً، فخرَجَت من القصر جارية، فقال لها: ما فعلَتِ المرأةُ التي خلّفْتُها عندكم؟ قالت: أما ترى ذلك القبر الجديد، فإنّه قبرُها. فلم يصدِّق حتى خرَجت أخرى فسألها، فقالت مثل ذلك، فأتى القبرَ فجعل يبكي ويتمرغ عليه ويقول:

فيا قبرَ ليلَى لو شَهِدْناك أَعْوَلَتْ عليكَ نِساءٌ مِنْ فصيحٍ ومِن عَجَمْ
ويا قبرَ ليلى ما تَضَمَّنْتَ مثلها شبيهاً لليلى في عفافٍ وفي كَرَمْ
ويا قبرَ ليلى أكْرِمنّ محلّها تكُن لك ما عِشْنا علينا بها نِعَمْ
ويا قبرَ ليلى إنّ ليلى غريبةٌ براذان لم يشهدك خالٌ ولا ابنُ عَمّ

ولم يزل يبكي حتى مات فدُفن إلى جانبها.

١٠٩٦ ـ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا أبو القاسم علي بن المُحَسِّن، قال: أنبأنا أبو عمر بن حَيَّوَيه، قال: أنبأنا محمد بن خلَف، قال: أخبرني محمد بن موسى، عن سَعيد بن عبد الله بن ميسرة، قال: حدثني شيخ من أهل الشام، قال: صحِبني فتى في بعض أسفاري، فكنت كثيراً أسمعه ينشد هذه الأبيات:

ألاَ إنّما التقوى ركائِبُ أَدْلَجتْ وأدركت السَّاري بليلٍ فلم يَنَمْ[1]
وفي صحبة التقوى غَناءٌ وثَرْوَةٌ وفي صحبة الأهواء ذلٌّ مع النَّدَمْ
فلا تَصْحِبِ الأهواءَ واهجُر مُحِبَّها وكُن للتُّقى إلْفاً وكُن في التقى عَلَمْ

فقلت له يوماً: ما هذه الأبيات التي أسمعك كثيراً تنشدها؟ فضحِك، وقال: كيف سألتني عنها؟ فقلتُ: لأنّي أراك كثيراً ما تُنشدها، فأردْتُ أن أعلم مِن قولِك هِي؟ قال: لا، ولكنها من قول أخٍ لي، وله حديثٌ عَجِيب. فقلتُ له: حدِّثني، فقال: نعم. كان لي أخ، وكُنت أحبِّه الحبَّ الذي لا شيء بعده، فمكَثْنا بذلك حِيناً؛ فلزم الحديثَ والفقه والأدب، وما رأيتُ فتى مع التقوى أَمْزَحَ منه. قال: ثم تغيَّر عن بعض ما كنتُ أَعْهد منه من المِزاح والسرور وحُسْن الحديث، فلما رأيتُ ذلك منه غمَّني، وأنكرْتُه. فخلَوْت به يوماً، فقلتُ: يا أخي ما قصّتك، وما حالك، وما الذي نزَل بك؟ أخبِرني، فإنْ كان مِن أمرِ الآخرة سُرِرْت به، وإن كان من أمر الدنيا أعَنْتُك عليه. قال: والله يا أخي ما هو مِنْ أمر الآخرة، ولكنّه من أمر الدنيا، ولستُ أُبْدِيه حتى يبلغ الأمرُ آخِرَه ويخرج من يَدِي، ولا أستطيعُ ردَّه. قال: ولهج بهذه الأبيات:

ألا إنّما التقوى ركائبُ أَدْلجت

(١) الإدلاج: سير الليل.

قال: فعَظُم عليّ ما نَزل به، وشَغل قلبي وأَخَذَه شَبِيهٌ بالسَّهْو ويَقول في بعض السّاعات: ربّ لا تسْلبني ديني ولا تفتنّي بعد إذ هَدَيْتني. فقلتُ في نفسي: ما أُراه إلاّ وقد غلَبت عليه وَسْوَسة من الشيطان، فهو يخاف، ومكث بذلك حيناً ما يزداد إلاّ ضَنًى. وجعَل أهلُه يسألونَني فأقولُ: والله ما عِلمي به إلاّ كعِلْمكم، ولقد سألتهُ عن حاله، فما يُخبرني بشيء.

واشتدّ عليه الأمر فسقطَ على الفراش، وكان الناس يَعُودونه، ودَخل الأطبّاء عليه، فبعضُهم يقول: سُلّ، وبعضهم يقول: غَمٌّ، واختلفَتْ في أمره علينا الأقاويلُ، وكان لا يتكلّم بشيء أكثر من قوله:

ألا إنّمـا التقـوَى رَكـائـبُ أَدْلجـت ... فـأدركَـتِ السّـاري بليـلٍ فلـم يَنَـمْ

قال: ولم يزل به الأمر حتى غُلب على عقلِه وضاق به مكانه، فأدخَلْناه بيتاً فكان يصرُخ الليلَ كلّه، فإذا ملَّ منَ الصراخ أَنَّ كما يَئِن المُدْنَفُ من علته. فأشاروا علينا بتخلِيته، وقالوا: إنكم إن خلَّيتموه تفرَّح واستراح. فخلّيناه، فكان إذا أصبح خرج فقعد على باب داره، فكلُّ من مرّ به سأله: أين تُريد؟ فيقول: أُريد موضِع كذا وكذا. فيقول: اذهب محفوظاً، لو كان طريقك على بُغْيتنا أوْدَعناك كلاماً. قال: فمرَّ به بعضُ إخوانه، فقال: أين تريد؟ قال: أريد حيث تُحِبّ، فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ فقال:

تَقْـرا السّـلام علـى الحَبيـب تحيـةً ... وتَبُثُّــــه بمُطَــــاوَلِ الأسْقَـــــامِ
وَتَقُــلْ لـــه: إنّ التّقَـــى زَمّ الهـــوَى ... لمّـــا سَمَـــا مُستعجِـــلاً بـــزِمـــامِ

فقال: أَفْعل إن شاء الله، قال: فمضى فما كان بأسرع من أن رجعَ، فقال: قد بَلّغتُ القومَ رِسالتك. قال: فما قالوا؟ قال: قالوا:

لَئِـن كـان تَقْـوى الله زَمَّـكَ أن تَنَـلْ ... أُمـــوراً نهَـــى عنهـــا فَهُـــنَّ حَـــرَامُ
فــزُرْنـا لنقضِـي مِـن حـديـثٍ لُبَـانَـةً ... ونَشْفــي نفـــوســاً آذَنَـــتْ بِسَقَـــامِ

قال: فوثَب قائماً ثم أنشأ يقول:

لا قَـلَّ مِـن هـذا وفيـه لـذي الهـوَى ... شِفـاءٌ وقـد يَسْلُـو الفتـى جِـدُّ وامِـقِ
إذا اليـأس حَـلَّ القلـبَ لـم ينفَـعِ البُكـا ... وهـل ينفـعُ المَعْشُـوقَ دمعـةُ عـاشِـقِ

قال: ومضى، فقمتُ خلْفه، فقلتُ لأهله: لا يتبعني أحدٌ منكم، وتبعتهُ حتى أتى منزلَ رجلٍ من أهلِ الفضل والرأي والدِّين، وكانت له ابنة من أجمل النساء، فوقَف على الباب فقال:

فهـأنـذا قـد جئـتُ أشكُـو صَبـابتـي ... وأُخْبِـركـم عمّـا لَقِيـتُ مـنَ الحُـبّ

وأُظْهِــرُ تسليمـــاً عليكـــم لتعلَمـــوا أنّــي وَصُــولٌ ثــم ذا منكُــم حَسْبِــي

قال: فلما فهِمْتُ القصّة وخشيتُ أنْ يلحقَنِي أحدٌ أو يراه بعضُ من يعرِفُه أو يفهم قصته، خرجتُ عليه فقلت: ما جُلوسك على باب القوم ولم يأذَنوا لك؟ قال: بلى. فقلت: كيف وهم يقولون:

بــاللــهِ ربِّــك لا تَمُــرَّ ببــابنــا إنّــا نخــاف مقــالَــةَ الحُسَّــادِ
ودَعِ التعتُّــبَ والتــذكّــرَ إنّــه يَنْقُلْــهُ عنــك أجِلَّــةُ العُــوَّادِ

قال: يا صالح وقد قالوا هذا؟ قلت: نعم: فجعل يَهذي ويقول:

إنْ كــان قــد كــرهــوا زيــارةَ عــاشــقٍ فلــرُبَّ معشــوقٍ يَــزور العــاشِقــا

فلما رجَعتُ سألوني عن قصّته، فقلتُ: ما أخطأ الْجَبَّانَة.

ولزم بيته فلم يزل زائل العقل حتى مات.

١٠٩٧ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد القَارىء، قال: أنبأنا المُحَسِّن بن حمزة بن عُبيد الله الوَرّاق، قال: حدثنا أبو علي الحُسين بن علي الدَّيْبُلِي[١] قال: حدثنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: حدثنا عُبيد النَّعَالي ـ غلام أبي الهُذيل ـ، قال: انصرَفْتُ من جنازة وقت الهَاجِرة[٢]، فتوخَّيت سِكّة ظَليلة، فاضطجَعْتُ على باب دار، فسمعتُ تَرَنّماً يَجْذِب القلبَ، فطرقْتُ البابَ واستسقيتُ ماءً، فإذا فتى ابتهَرْتُ بجماله إلاّ أن آثار العِلة والسَّقم عليه بيّنة، فأدْخلَني إلى خَيش[٣] نظيف وفَرْش سَوِيّ. وجاءت وَصيفة معها طِسْتٌ ومنديل، فغسلتُ رِجلَي، وجاءت أخرى بطست فغسلت يدَي للطعام، وأقبل الفتى ضاحِكاً ليُؤْنِسَني، وأنا أعرف العَبْرة في عَيْنَيه، وأقبل يأكلُ كأنه يغصّ بما يأكله، وهو في ذلك يُنَشِّطني. فلما انقضى أَكْلُنا أُتِينا بشراب، فشَرب قدحاً وشربت آخر، ثم زفر زفرة ظننت أن أعضاءه قد انتقضت، وقال لي: يا أخي إنّ لي نَديماً فقم بنا إليه. فقمتُ وتقدَّمني فدخل مجلِساً فإذا قبرٌ عليه ثوب أخضر، وفي البيت رمل مصبوب، فقَعد على الرَّمل وطرح لي مُصَلّى، فقلت: والله لا قعدتُ إلاّ كما تقعد. وأقبل يُرَدِّد العَبرات ثم شرِب كأساً وشرِبْتُ، وأنشأ يقول:

أَطَــأُ التُّــرابَ وأنــتِ رَهْــنُ حُفَيْــرةٍ هــالَــتْ يَــداي علــى صَــدَاك تــرابَهــا
إنّــي لأَغْــدَرُ مَــن مشــى إنْ لــم أطــأْ بجفــون عينــي مــا حَيِيــتُ جنــابَهــا

---

(١) الدَّيْبُلِي: نسبة إلى دَيْبُل، مدينة قريبة من السِّند. انظر: الأنساب ٢/٥٢٣، واللباب ١/٥٢٢.
(٢) الهاجرة: نصف النهار في القيظ وشدّة الحرّ.
(٣) الخَيْش: نسيج خشن من الكتان كان يعلق في مجاري الهواء ويرش بالماء فيبرّد ما وراءه.

لــو أن جَمْــر جَــوانِحــي مُتَلَبِّــسٌ بــالنّــارِ أطفــأَ حــرّهــا وأذابَهــا

ثم أكبَّ على القبر مَغْشِياً عليه، فجاءَه غلامٌ بماء فصبّه على وجهِه فأفاق فشَرب وأنشأ يقول:

اليــومُ ثَــاب لــيَ السّــرورُ لأنّنــي أيْقَنْــتُ أنّــي عــاجــلاً بــكِ لاحــقُ

فغــداً أُقــاسِمــك البِلَــى ويَسُــوقنــي طَــوْعــاً إليــكِ مِــنَ المَنِيّــة ســائــقُ

ثم قال لي: قد وجبَ حقّي عليك، فاحْضُرْ غداً جنازتي: قلتُ: يُطيل الله عُمرك. قال: إنّي ميت لا مَحالة، فدعوتُ له بالبقاء، فقال: لقد عَقَقْتَني، ألا قلتَ:

جــاوِزْ خَلِيلَــكَ مُسْعِــداً فــي رَمْسِــه كَيْمــا ينــالُــك فــي البِلَــى مــا نــالَــهُ

فانصرفتُ وطالت عليَّ ليلَتي، وغدَوْت فإذا هو قد مات.

١٠٩٨ ـ أخبرتنا شُهدة قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعِيُّ[١] قال: أنبأنا يوسف بن يعقوب بن خُرْزَاد قال: أنبأنا جعفر بن شاذان القُمّي قال: كان عَمرو بن يُوْحَنّا النَّصْرَانِيَ يسكن في دار الرّوم ببغداد من الجانب الشّرْقي، وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم، وكان مُدْرك بن علي الشَّيْباني يهواه، ثم خرَج إلى الوَسْواس وسُلَّ جسْمُه وذَهُل عقلُه، فلزِم الفراش، فحضَره جماعة، فقال لهم: ألستُ صديقكم القديمَ العِشْرَةِ لكم؟ أما فيكم أحدٌ يُسعدني بالنّظر إلى وجه عَمْرو. فمضوا بأجمعهم إليه، وقالوا له: إن كان قَتْلُ هذا الفتى دِيْناً إنَّ إحياءَه لَمُروءة. قال: وما فعل؟ قالوا: قد صار إلى حال ما أظنّك تلحقه. فلبس ثيابَه ونهض معهم، فلمّا دخلوا عليه سلّم عليه عَمرو، وأخذ بيدِه، وقال: كيف تجدك يا سيدي؟ فنظر إليه فأُغْمِي عليه ساعة، ثم أفاق وفتح عينَيْه، وهو يقول:

أنــــا فــــي عــــافيــــة إلاّ مِــــنَ الشــــوقِ إليكَــــا

أيّهــــا العــــائــــدُ مــــا بــــي منــــكَ لا يخفَــــى عليكــــا

لا تَعُــــدْ جِسْمــــاً وعُــــد قلبــ ــــاً رَهينــــاً فــــي يَــــدَيْكــــا

كيــــف لا يهلــــك مــــرْشُــــو قٌ بسَهْمَــــيْ مُقْلَتَيْكــــا

ثم شهَق شهقة فارق فيها الدنيا، فما برحنا حتى دفنوه.

---

(١) القُضاعي: قُضاعة، شَعْب مِن مَعَدّ وقيل: من اليَمَن؛ والمنتسب إليهم خلق كثير، من أشهرهم القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القُضاعي، قاضي مصر. انظر: الأنساب ٤/٥١٦، واللباب ٣/٤٣.

١٠٩٩ ـ أخبرتنا شُهدة قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرّاج، قال: وجدتُ بخط أبي عُمَرو بن حيّويه، يقول: حدثنا أبو بكر بن المَرْزُبان، قال: أخبرني أبو جعفر أحمد بن الحارث، قال: أنبأنا أبو الحسن المدَائِني؛ عن بعض رِجاله، قال: حجّ ابن أبي العَنْبس الثَّقفي، فجَاوَر[١] ومعه ابنُ ابنه، وإلى جانبه قوم من آل أبي الحكم مُجاورون. وكان الفتى يجلس مجلساً يَشْرُف منه على جارية منهم فعَشِقها، فأرسل إليها فأجابَتْه فكان يأتيها فيتحدّث إليها، فلما أراد جَدُّه الرَّحيل جعل الفتى يتأبّى، فقال له جده: ما يُبكيك يا بُني؟ لعلك ذكرت مِصْر، وكانوا من أهل مصر، فقال: نعم، وأنشأ يقول:

يُسائلني غداةَ البَيْنِ جَدِّي ... وقد بَلَّتْ دُموعُ العَيْنِ نَحْرِي
أمِن جَزَعٍ بكيتَ ذكَرْت مصراً؟ ... فقلت: نعم، وما بي ذِكْرُ مصرِ
ولكنْ لِلَّتي خلَّفْتُ خَلفِي ... بكَتْ عَيني وقلَّ اليومَ صبري
فمَن ذا إن هلكتُ وحان يومي ... يُخَبِّرُ والدِي دائِي وخُبْري
فيحفظُ أهلَ مكة في هَوَايَ ... وإنْ كانوا إلى قَتْلي وضُرِّي

قال: فارتَحلوا. فلمّا خرجوا عن أبياتِ مكة أنشأ يقول:

رحلَوا وكلّهمُ يَحِنُّ صبابةً ... شوقاً إلى مصرَ وداري بالْحَرَمْ
ليتَ الرِّكابَ غداةَ حانَ فراقُنا ... كانت لحوماً قُسِّمَتْ فَوْق الوَضَمْ[٢]
راحوا سِراعاً يُعْمِلُون مطيَّهمْ ... قُدماً وبِتُّ منَ الصَّبابة لم أنَمْ[٣]
طوبَى لهم يَسْعَون قَصْد سبيلهمْ ... والقَلْبُ مُرْتَهَنٌ ببيتِ أبي الحكَمْ

ثم إنّ الفتى اعتَلّ واشتدّت علته، فلما وردُوا أطرافَ الشام مات الفتَى، فدفَنه جده، ووجد عليه وَجْداً شديداً، وقال يَرثيه:

يا صاحبَ القبرِ الغَرِيبِ ... بالشّام منْ طَرَفِ الكَثِيبِ
لمّا سمعتُ أنينه ... ونِداءه عندَ المَغِيبِ
أقبَلْتُ أطلبُ طِبَّه ... والموتُ يُعْضِل بالطبيبِ

١١٠٠ ـ أخبرتنا شُهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: وذكر أبو عُمرو بن حيّويه، ـ ونقلته من خطه ـ، قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر العَامِري، قال: أخبرني رِياح بن قُطَيب الأسَدي، عن قَرِيبةِ ابنة أَبَاق الدّبيرية، قالت: كان عبد المخَبَّل،

---

(١) جاور: أي سكَن في مكة واعتكف فيها.
(٢) الوَضَم: خشبة الجزّار التي يُقطّع عليها اللحم.
(٣) مطيَّهم: ما يركبون عليه من إبِل وخيل ونحو ذلك.

وهو كعب بن مالك يهوَى ابنةَ عمّ له يُقال لها: أم عَمرو، وكانت أحبَّ الناس إليه، فخلاَ بها ذات يوم فنظَر إليها وهي واضعةٌ ثيابَها، فقال لها: يا أم عَمرو، هل تَرَيْن أنّ أحداً منَ النساء أحسن منك؟ قالت: نعم، أختي مَيْلاء أحسن منّي، قال: فكيف لي بأن تُرِينِيها، قالت: إنْ علِمَتْ بك لم تخرج إليك، ولكن أُخَبِّئُكَ في السِّتر، وأبعثُ إليها.

ففعلَت، فجاءت ميلاء، فلمّا نظر إليها عَشِقها، فلمّا تَرَوَّحَت من عند أختها عارَضَها مِنْ مكان لا تَحْتَسِبه، فشكا إليها حبَّها، وأَعْلَمها أنّه قد رآها. فقالت: والله يا ابنَ عم ما وَجَدْتَ بي من شيء إلاّ قد وجدتُ بك مثلَه.

وظنّت أمّ عَمرو أنه قد عشِق أختها، فتبعَتْهما حتى رأتهما قاعدَين جميعاً. فمضت قصْد إخوتها، وكانوا سبعة، فقالت: إمّا أن تُزَوِّجوا كعباً من مَيْلاء، وإمّا أن تغيِّبوها عَنّي، فلما بلغَه أنّ ذلك قد بلغ إخوتها هرَب فرمَى بنفسه نحو الشام، وقال:

أفـي كـلِّ يـومٍ أنـتِ مِـن بَـارِحِ الهـوَى ... إلـى الشُّـمِّ مـن أعْـلاَم مَيْـلاءَ تنظـرُ[1]

فروَى هذا البيت رجلٌ من أهل الشام، ثم خرج يُريد مكة، فمرّ على أم عَمرو وأختها ميلاء، وقد ضَلَّ الطريق، فسلّم عليهما وسألهما عن الطريق. فقالت أم عَمرو: يا ميلاء صِفي له الطريق، فتمثّل الرجل بالبيت، فعرَفت الشعر. فقالت: يا عبد الله من أين أنت؟ قال: من الشام. قالت: فمن أين رَوَيت هذا الشعر؟ قال: رويته عن أعرابي بالشّام. قالت: أَوَتَدْرِي ما اسمه؟ قال: كعب. قالت: فأقسمتُ عليك أن لا تبرَح حتى يراك إخوتنا فيُكْرِموك ويَدُلّوك على الطريق.

فنزَل الرجل، فجاء إخوتهما فأخبراهم الخَبر، وكانوا مُهْتَمِّين بكعب لأنّه كان ابن عمِّهم، فخرَجوا يطلبون كعباً بالشّام، فوجدوه، فأَقْبَلوا به حتى إذا صار إلى بلدهم نزل في بيت ناحية من الحيّ، فرأى ناساً قد اجتمعوا عند البيوت، فقال كعب لغلام قائم ـ وكان قد ترك بُنَيّاً له صغيراً ـ: يا غلام مَن أبوك؟ قال: كعب، قال: فعلام يجتمع هؤلاء؟ قال: على خالتي مَيْلاء ماتت الساعة. فزَفر زَفْرة خرَّ منها ميتاً. فدُفن إلى جانب قبرها.

١١٠١ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السرَّاج، قال: أنبأنا أبو عبد الله الحُسين بن محمد بن طاهر الدّقاق، قال: أنبأنا الأمير أبو الحَسن أحمد بن محمد بن المُكْتَفي بالله، قال: حدثنا ابن دُرَيد، قال: أخبرني الرِّيَاشِيُّ، عن الأَصْمعي، عن جبر بن حَبيب، قال: أقبلتُ من مكة أريد اليمامة، فنزلت بحيٍّ من عامر، فأكرَموا مَثْوَاي، فإذا فتى حسن الهيئة قد جاءني فسلّم عليّ، فقال: أين تريد أيّها الراكب؟ قلتُ: اليمامة. قال: أتأذن

---

(١) بارِح الهوى: شدّة الشوق وتوهّجه. الشُّم: الأَشَمّ: المرتفع، أعلام: جبال.

في صُحبتك إلى اليمامة؟ قلت: أَحَبُّ مَصْحُوب. فقام، فما لبث أن جاء بناقة كأنّها قلْعة بيضاء وعليها أداة حسنة، فأناخَها قريباً من مَبِيتي وتَوَسَّد ذِراعها، فلما هَمَمْتُ بالرّحِيل أيقظته، فكأنه لم يكن نائماً، فقام فأصلح رَحْله، فركب وركبت، فقصَّر عليَّ يومي بصُحْبته، وهو لا يُنشدني إلاّ بيتاً مُعْجَباً في الهوى، فلما قربنا مِنَ اليمامة، مال عن الطريق إلى أبيات قرِيبة منّا، ثم قال: هل أنت مُوفٍ حقَّ الصُّحبة؟ قلت: أَفْعل. قال: مِلْ معي. فمِلْتُ معه، فلمّا رآه أهل الصِّرْم[1] ابتَدَرُوه وأظهروا السّرور، ثم قال: قوموا إن شئتم، فصِرنا إلى قبرٍ حديث التَّطْيين، فألقَى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

لئـن مَنعـونـي فـي حيـاتـي زيـارةً ... أُحـامِـي بهـا نفسـاً تَـرَشَّفَهـا الحـبُّ
فلـن يمنعـونـي أنْ أُجـاور لَحْـدَهـا ... فيجمـعُ جسمَيْنـا التّجـاورُ والتُـرْبُ

ثم أَنَّ أنّات فمات. فأقمتُ مع الفتيان حتى دفنّاه، فسألتُ عنه، فقالوا: ابن سَيّد هذا الغائِط[2]، وهذه ابنة عمّه، وكان بها مُغرماً فماتت منذ ثلاث. فركبتُ والله وكأنّي قد ثُكِلْتُ حميماً.

١١٠٢ ـ قال ابن دُرَيد: وحدثنا السَّكَن بن سَعيد، عن العباس بن هشام، عن أبيه، عن جدّه، قال: حدثني مِصْدَع بن غلاب الْحِمْيَري ـ وكان مُخَضْرَماً ـ[3]، قال: وأدركته وهو ابن ثمان عشرة ومائة سنة، وما في وَفْرَته[4] ولحيته بيضاء، قال: حدّثني أبي غَلاّب، قال: كان بذِمَارٍ[5] فتى من حِمْيَر، يُقال له: زُرْعة بن رُقَيْم، وكان جميلاً شاعراً لا تراه امرأة إلاّ صَبَتْ إليه، وكان في ظهر ذمَار شيخ كثير المال له بنت تُسمّى مُفَدّاة، بارعة الجمال حَصِيفة[6] اللّب، وكان زُرْعة يتحدّث إليها، وإنّه خامره مِن حُبِّها ما غلَب على عقْلِه، واحتجَبَت المُفَدّاة عنه، فامتنع منَ الحرَكة والطعام، فغَبَر بذلك حولاً. ثم مات عظيمٌ من عُظماء القَبائل، فبلغ زُرعة أنّ المُفَدّاة في مأتمٍ من ذلك المأتم، فاحتَمَل حتى عَلاَ نَشْزاً[7]، ثم شهَق فمات.

فبلغ المُفَدّاة خبَره، فجاءت حتى وقفت عليه فهَمَّت أن تلقِيَ نفسَها عليه، ثم تَماسكت وبادَرت خِباءها فسقطَتْ تائِهةَ العقل تُكلَّم فلا تجيب، فلما جَنّ[8] عليها الليل رفَعت عقِيرتها فقالت:

---

(١) الصِّرْم: جماعة البيوت.
(٢) الغائط: الأرض الواسعة السهلة.
(٣) المُخَضْرم: هو الشاعر الذي أدرك الجاهلية والإسلام.
(٤) الوَفرة: مجمل شعر الرأس.
(٥) ذِمَار: قرية باليمن، على مرحلتين من صنعاء، يُنسب إليها نفرٌ من أهل العلم. معجم البلدان ٣/ ٧.
(٦) الحصيفة: جيدة الرأي محكَمَة اللبّ، أي: العقل.
(٧) نَشزاً: مرتفعاً.
(٨) جَنَّ عليها الليل: أي أظلم وسترها.

بِنَفْسِيَ يا زُرْعَ بن أرقم لَوْعَةٌ ... طويتُ عليها القَلْبَ والسِرُّ كاتمُ
لئِن لم أَمُتْ حُزناً عليه فإنّني ... لألأمَ مَن نِيطَتْ[1] عليه التمائمُ
لئن فُتّني حَيّاً فليسَ بفائِتي ... جوارك مَيْتاً حيثُ تُبلَى الرَّمائِمُ

ثم تنفَّسَتْ نفساً أَنْبَه مَنْ حولها، فإذا هي ميتة، فدُفِنت إلى جنبه.

فقالت امرأة من حِمْير:

وَفَيْتُ لابن مالك بن أَرْطَاهْ ... كما وفَتْ لِزُرْعَةَ المُفَدّاه
والله لا خِسْتُ به أو ألقاه ... حيثُ يُلاقي وامقٌ مَن يهواه

١١٠٣ ـ أنبأنا محمد بن عبد الباقي البزّاز، قال: أنبأنا علي بن المُحَسِّن التَّنُوخي، قال: أنبأنا أبو عُمر بن حيّويه، قال: أنبأنا محمد بن خلف، قال: وجَدْتُ في كتاب بعض إخواني من أهل العلم: حدثنا زكريا بن إسحاق، قال: سمعت مالك بن سعيد يقول: حدثني مَشْيَخة من خُزاعة: أنه كان عندهم بالطائف جارية عَفِيفة صالحة، وكانت لها أمّ من خيارِ النساء لها فَضْل ودِين، وكانت لهم بِضَاعة مع رجل من أهل الطائف، وكان يَتَّجر لهم بها، ويُعطيهم فَضْلَها.

قال: فبعث الرجل إليهم ذات يوم ابنَه في حاجة، وكان غلاماً جميلاً، فدَخل والجارية جالسة لم تعلَمْ بدخولِه، فنظرَ إليها، وكانت ذات جمال، فوقَعَتْ بقلبِه، فخرَج مِنْ عندهم وما يدرِي أين يسلُك، وجعل الأمر يتزايد عليه، حتى تَغَيَّر عقلُه، ونحل جسمُه، ولزِم الوحْدة والفِكر، وكتَم حالَه وجعل لا يَقَرُّه قرار. فلما رأى أهلُه ذلك حَبَسوه في بيتٍ وأَوْثَقوه، فكان رُبّما أَفْلَت، فيجتمعُ عليه الصِّبيان، فيقولون له: مُتْ عِشْقاً، مُتْ عشقاً.

قال: وكان يقول إذا كَثُروا عليه:

أأُفشي إليكم بَعْضَ ما قد أَصابني ... أم الصَّبرُ أهْيَا بالفتَى عندما يلقَى
سلامٌ على مَن لا أُسَمِّي باسْمِها ... ولَو صِرْتُ مثلَ الطَّير في غَيْضَةٍ مُلْقَى[2]
ألا أيّها الصِّبيان لو ذُقْتُمُ الْهَوَى ... لأَيْقَنْتُم أنّي أُحَدِّثكم حقّا
أُحِبّكم مِنْ حُبّها وأراكُمُ ... تقولون لي: مُتْ يا شجاع بها عِشقاً
فلَم تُنصِفوني، لا، ولا هي أَنْصَفَتْ ... فرِفْقاً قليلاً بالفتَى وَيْحَكُمْ رفقا

قال: فلمّا صَحّ ذلك عند أهله، وعلِموا أنّه عاشق جعلوا يسألونه عن أمرِه، فلا

---

(١) نِيطت: عُلِّقت.
(٢) الغَيْضَة: الأَجَمة أو الأَكَمَة، وهي مَغِيض ماء يجتمع فينبُت فيه الشجر.

يُخبرهم بقصّته ولا يُجيبهم، فلمّا رأوْا ذلك منه حَبَسوه في بيتٍ وقيّدوه، فكان إذا جنّه الليل هتَف بصوت له حَزين، يقول:

يـــا ليـــلُ أنـــت رَفِيقـــي ... مِـــن بيـــن أهلـــي ومـــالِـــي
يـــا ليـــلُ أنـــت أنِيســـي ... مِـــن وَحْشتـــي واحتيـــالِـــي
يـــا ليـــل إنَّ شكـــاتـــي ... إليـــك طـــول اشتغـــالِـــي
بمـــن بَـــرَتْ جِسْـــمَ صَـــبٍّ ... فصَـــار مثـــلَ الخِـــلالِ[١]
فـــالجسْـــم منِّـــي نحيـــلٌ ... لـــم يَبْـــقَ إلاّ خَيـــالـــي
والشَّـــوْقُ قـــد شَـــفَّ جِسْمـــي ... وليـــس يُخْلِـــق بَـــالِـــي[٢]
فلـــو رآنـــي عَـــدُوِّي ... لـــرَقَّ لـــي ورثَـــى لِـــي

قال: فلم يزل تلك حاله حتى مات. وقد رُويت لنا هذه الحكاية أتمَّ من هذا.

١١٠٤ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السَّرّاج، قال: أنبأنا أبو طاهر محمد بن علي بن العَلاّف، قال: حدثنا عُمر بن أحمد بن شاهين، قال: حدثنا جعفر بن محمد الصّوفي، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مَسْروق، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، قال: حدثنا زكريا بن إسحاق، قال: سمعت مالك بن سَعيد يقول: حدثني مشيخة مِن خزاعة: أنّه كان عندهم بالطائف جارية مُتعَبِّدة ذات يَسار ووَرَع، وكان لها أم أشدُّ عِبادة منها، وكانت مشهورة بالعبادة، وكانتا قليلتَيْ المخالطة للناس، وكانت لهما بِضاعة مع رجلٍ من أهل الطائف، فكان يُبَضّعها لهما، فما رزقهما الله مِنْ شيء أتاهنّ به.

قال: فبَعث يوماً ابنَه ـ وكان فتًى جميلاً مُسْرِفاً على نفسِه ـ إليهنّ ببعض حوائِجِهنّ، فقرع الباب، فقالتْ أمُّها: مَن هذا؟ قال: أنا ابنُ فلان، قالت: ادخل، فدخل وابنتها في بيتٍ لا تعلم بدخولِ الفتى، فلما قعدَ معها خرجَتْ ابنتُها وهي تظنّ أنّها بعضُ نسائِهِنّ، حتى جلَست بين يديه، فلما نظرت إليه قامت مُبَادِرة، ونظرَ إليها فإذا هي من أجمل العرَب.

قال: ووقع حبُّها في قلبه، فخرَج لا يدري أين يسلُك، فجعل يَنْحَل ويَذُوب، ولزم الوحدة والفكر حتى سقط مغشياً عليه على فراشه. فدعا له أبوه الأطباء، فجَعل يَصِف كلٌّ دواءً. فلما طالت علّته دعا أبوه فتياناً من الحيّ، وإخوانه الذين كانوا له أُنْساً، فقال: اخلوا به وَسلُوه عن عِلّته، لعله يُخبركم ببعض ما يجده. فأتوه فسألوه، فقال: والله ما بي علّة أعرِفها فأُبيّنها لكم، وأُخبركم بما أجد منها، فأَقِلّوا الكلام.

---

(١) الخِلال: العُود الذي يُتخلل به.
(٢) يُخلِق: يبلي.

وكان الفتى ذا عقل، فلما طال به الوَجْدُ دعا امرأةً من أهله، وقال: إنّي مُلْقٍ إليك حَدِيثاً ما ألقيتُه إلاّ عند اليأس مِنْ نفسي، فإن ضمِنْتِ لي كتمانَه أخبرتُك وإلاّ صَبَرْتُ حتى يحكُمَ اللّهُ في أمري، وبعدُ فوالله ما أخبرتُ به أحداً قبلَكِ، ولئن كتمتِ عليّ لا أخْبِر به أحداً بعدَك، وإنّ هذا البلاء الذي أرَى لا شكّ قاتلي، وإنّه يَجِب عليّ في مَحَبَّتي لِمَن أُحِبّ أن أكون له صَائِناً، وعليه مُشْفِقاً مِن تزَيُّد الناس وإكثارهم، فاللّهَ اللّهَ في أمري، واجعلِيه مُحْرَزاً في صَدْرِك. فقالت له المرأة: قُل يا بني، فوالله لأكْتُمَنَّ أمرَك ما بقيتُ. فقال: إنّ مِن قصتي كذا وكذا. قالت: يا بني أفلا أخبَرْتنا؟ فوالله ما رأيتُ كلمةً تَسْكُن القلبَ فلا تُفارقه من كلمةِ عاشِق أَخْبَرَ من يُحبّه أنّه له وامقٌ، فتِلك الكلمة تَزْرع في قلوب ذوِي الألباب شَجَراً لا تُدرَك أُصُوله. فقال: ومن لي بها؟ و كيف السَّبيل إليها؟ وقد بلغك حالها وشدّة عبادتها؟ قالت: يا بُنَيّ عليّ أن آتيك بما تُسَرُّ به.

فلبسَتْ ثوبها وأتت منزل الجارية، فدخَلَتْ فسلمت على أمِّها وحادثتها ساعة، فسألتها أمّها عن حاله وعن وَجْده، فقالت: والله لقد رأيتُ الأوْجَاع والآلام، فما رأيتُ وجَعاً قطّ كوجعه، وإنّه ليَزيد ويتَراقى، وهو في ذلك صابرٌ غير شاكٍ. قالت: ألاَ تدعون له الأطباء؟ قالت: والله ما وَقع أحد منهم على دائه.

ثم قامت فدخلَتْ على الجارية، فسلَّمَت عليها، وحادثَتْها ساعة، وقد كان وقَع إلى الجاريةِ خبرُه، فعلِمَت أنّ ذلك من أجلِها، فقالت لها المرأة: يا بُنَيّة أبْلَيْتِ شبابك، وأفْنَيْتِ أيامك على هذه الحال! قالت: يا عَمّتاه: أية حال سوء ترَيْني عليها؟ قالت: لا يا بُنَيّة، ولكن مثلك يَفْرح في الدنيا، ويلَذُّ ببعض ما أحلَّ الله، غير تارِكةٍ لطاعةِ ربك، ولا مُفارِقةٍ لخدمته، فيجمع الله لك بذلك الدَّارَيْن جميعاً. قالت: يا عمّتاه، وهذه الدارُ دار بقاءٍ تَثِقُ به الجوارح، فتجعل لله شطرها، وللدنيا شطرها، أم دار فناء؟! قالت: لا يا بُنَيّة بل دار فناء، ولكن الله تعالى قد جَعل لعبادِه فيها ساعاتٍ صدَقة منه على النفوس، تَنال فيها ما أحَلّ. فقالت: صدَقْت، ولكنَّ لله عباداً قد سكنَت نفُوسُهُمْ ورَضِيت بالصَّبر على الطاعة، لتَنال جملةَ الكرامة، وإنّ كلامَك ليدلُّني على أنّ تحته عِلَّة، وهو الذي حملك على مُناظرتك لي علَى مثل هذا. وقد كنتُ والله أظنّ قبل اليوم فِيكِ أنّك تأمرين بالحِرْص على طاعة الله عزّ وجلّ، والتقرّب إليه بالأعمال الزّكية، فقد أصبحتِ مُتَغَيِّرة عما عهِدْتك عليه، فأخبريني بما عندك. فقالت: يا بُنَيّة إنّ مِن قصة فلان كذا وكذا. قالت: قد ظننتُ ذلك، فأبْلِغيه منّي السلام، وقولي: أي أَخاه، إنّي والله قد وَهَبْت نفسي لِمَلِيكٍ يُكافىء من أقْرَضه بالعطايا الجَزيلة، ويُعِين مَنِ انقطع إليه وخَدمه، وليس إلى الرجوع بعد الهِبة سبيل. فتوَسَّلْ إلى مولاك بِمَحابِّه، واَضْرَعْ إليه في غُفران ما قَدّمتْ يداك، من عملٍ لم تَهَبْهُ فيه، فهو أوّل ما يجب عليك أن تسألَه، وأوّل ما يجب عليّ أن أَعِظَك به، فإذا خدَمْتَه قَدْرَ ما عصَيْته طاب لك الفراغ عن

سؤال شهوات القلوب وخطرات الصّدور، فإنّه لا يَحْسُن بعبد كان لمولاه عاصياً أن ينسَى ذُنوبه والاعتذارَ منها، ويسأل الحوائج. فاستَنْقِذ نفسَك يا أخي من مُهْلكات الذّنوب، ولستُ مُؤيِسَتَك[1] مِنْ فضلِه إن رآك مُتبَتِّلاً[2] إليه أن يَمُنَّ بي عليك، وليكن ما أخبرتك به نَصْب عينَيك، ولا تراذّني في المسألة فلا أجيبك. والسلام.

فقامت المرأة فأخبرَتْه بمقالَتِها فبكىَ بُكاء شديداً. فقالت العجوز: والله يا بُني ما رأيتُ امرأةَ اللَّهُ عزّ وجلّ في صدرها مِثل هذه المرأة، فاعمَلْ بما أمرَتْك به فقد والله بالغَتْ في النَّصِيحة، فلا تُلْقِ نفسك لمهلكاتِ الأمور فتَنْدم حيث لا تُغني النَّدامة، ولو علِمْتُ يا بني أنّ حِيلة تنفُذ لاحْتَلتُها، ولكنّي رأيتُها قد جعلَتِ الله عزّ وجلّ نصبَ عينَيْها، ومَن فعل ذلك لَهَا عن زينة الدنيا. فجعل يَبكي ويقول: كيف لي بالبُلوغ إلى ما دَعَتْ إليه، ومتَى تكون آخر المدّة التي نلتقِي فيها. واشتدّ وجعه فلمّا رأىَ القوم أنّه لا يقره قرار حَبَسوه في بيت، وتوَهّموا أنّ الذي به مِن عِشق. فكان ربما أفلتَ فيخرج من منزله فتجتمع إليه الصّبيان فيقولون: مُتْ عشقاً مُتْ عِشقاً، فكان يقول:

أأفْشي إليكم بعضَ ما قد يَهيجني ... أم الصّبرُ أولَى بالفتَى عندما يَلْقَى
سلامٌ على من لا أُسَمِّي باسْمِه ... ولَو صِرتُ مثل الطَّير في غَيضةٍ مُلْقَى
ألا أيها الصِّبيان لو ذُقتم الهوَى ... لأَيْقنتُم أنّي محدِّثكم حقًّا
أحبُّكم مِنْ حُبّها وأراكم ... تقولون: لي: مُتْ يا شجاع بها عِشقا
فلم تُنصفوني، لا، ولا هي أنصفَتْ ... فرِفْقاً رُوَيداً ويحكم بالفتَى رِفْقا

فلما صَحّ ذلك عند أهله وعَلِموا أنه عاشق، جعلوا يسألونه عن أمره فكان لا يجيبهم وكتَمَتِ العجوزُ قصّته، فأخذوه فحبَسوه في بيتٍ فلم يزل فيه حتى مات رحمه الله.

١١٠٥ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد السَّرّاج، قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن سَعيد، قال: حدثنا أبو صالح السَّمَرْقندي، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم بن اليَسَع، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عَمرو الدِّينَوَري، قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصُّوفي الخَيّاط، قال: قال أبو حمزة: رأيتُ مع محمد بن قطن الصّوفي غلاماً جميلاً، فكانا لا يفترقان في سَفَر ولا حضَر، فمكثا بذلك زماناً طويلاً فمات الغلام وكَمد عليه محمّد بن قطن حتى عاد جِلْداً وعَظْماً. فرأيته يوماً وقد خَرج إلى المَقابر فاتَّبَعْتُه فوقف على قبرِه قائماً يَبكي وينظر إليه، والسّماء تُمطر، فما زال واقفاً من وقتِ الضُّحَى إلى أن غربت الشمس لم يَبْرَح ولم يجلِس، ويده على خدِّه. فانصرفْتُ عنه وهو

(١) مُؤيِستُك: من الإِياس، وهو القُنوط وقطع الرجاء في الشيء.
(٢) المتبتِّل: المنقطع عن الدنيا إلى الله ولله عزّ وجلّ.

كذلك واقف، فلما كان الغد خرجتُ لأعرِف خبرَه وما كان من أمرِه، فصرت إلى القبر فإذا هو مكبوب لوجهه ميت، فدعوتُ مَن كان بالحَضْرة، فأعانُوني على حَمْله، فغسّلته وكفّنته في ثيابِه ودفنتُه إلى جانب القبر.

١١٠٦ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأَنْمَاطي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الْحُمَيْدي، قال: حدثني أبو محمد علي بن أحمد الفَقِيه الحافظ، قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن الحسن الْمَذْحِجِيّ[1] الأَدِيب، قال: كنت أختلِف في النَّحْو إلى أبي عبد الله محمد بن خطَّاب النَّحْوي في جماعةٍ أيام الحدَاثة، وكان معنا أسْلَم بن أحمد بن سعيد ابن قاضي قُضاة الأندلس.

قال محمد بن الحسن: وكان مِنْ أجمل مَن رأتْه العُيون، وكان معنا عند محمد بن خطاب أحمد بن كُليب وكان من أهل الأدَب والشّعر، فاشتدّ كَلَفُه بأسْلَم، وفارق صَبْره وصرَف فيه القول مُستتراً بذلك، إلى أن فشَتْ أشعارُه فيه وجَرَتْ على الألسِنة، وتُنُوشدت في المَحافل، فلعَهْدي بِعِرْسٍ في بعض الشوارع والنكوري الزّامر في وسط المحافل يزمر بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلَمَنــــــي فــــي هــــوا	أسْلَــــم هــــذا الــــرَّشَــــا
غــــزال لــــه مقلــــةٌ	يُصِيــــب بهــــا مــــن يَشــــا
وشــــى بيننــــا حــــاسِــــدٌ	سَيُسْــــأل عمّــــا وشَــــى
ولــــو شــــاء أن يَــــرْتَشــــي	علــى الــوصْــلِ رُوحــي ارتشــى[2]

ومُغَنٍّ مُحْسِنٍ يُسايره، فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلَم عن جميع مجالِس الطَّلَب، ولزِم بيته والجلوسَ على بابه، وكان أحمد بن كُلَيب لا شغل له إلاّ المرور على باب دار أسلم سائراً أو مُقبلاً نهاره كلّه. فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلّى المغرب واختلط الظلام خرج مُسْتَروحاً، وجلس على باب داره. فعِيل صبر أحمد بن كُليب، فتحيَّل في بعض الليالي ولبِس جُبّة صوف مِن جباب أهل البادية، واعتمّ بمثل عمائمهم، وأخذ بإحْدى يدَيه دجَاجاً وباليدِ الأخرى قفَصاً فيه بَيْض، كأنه قدم من بعض الضِّيَاع، وتَحَيَّن جلوس أسلم عند اختلاط الظّلام على بابه، فتقدّم إليه وقَبّل يدَه وقال: يا مولاي من يقبض هذا؟ فقال له أسلم: من أنت؟ قال: أَجِيرك في الضَّيعة الفُلانية، ـ وقد كان تعرَّف أسماءَ ضِياعه والعاملين فيها ـ، فأمر أسلَم غِلمانه بقَبْض ذلك منه على عادَتهم في قَبول هدايا

---

(١) المَذْحِجيّ: نسبة إلى مَذْحِج، قبيلة باليَمَن. انظر: اللباب ١٨٦/٣، ولب اللباب ٢٤٧/٢.
(٢) يرتشي: يأخذ الرشوة.

العامِلين في ضِياعهم، ثم جعل يسأله عن أحوال الضَّيْعة، فلمّا جاوبه أنكر الكلام، فتأمّله فعرفه، فقال له: يا أخي إلى ها هنا تَتْبعني؟! أما كفَاك انقطاعي عن مجالِس الطَّلَب، وعن الخروجِ جملةً وعن القعود على بابي نهاراً حتى قطعتَ عليَّ جميع ما لي فيه راحة؟ فقد صِرْتُ في سجنك، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قَعْر منزلي ولا جلستُ بعدها على بابي لا ليلاً ولا نهاراً! ثم قام، وانصرف أحمد بن كُليب حزيناً كئيباً.

قال محمد: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد بن كُلَيب: خسرْتَ دجاجَك وبيضَك؟ فقال: هاتِ كلَّ ليلة قبلة يده وأخسر أضعاف ذلك!

قال: فلما يَئِس من رؤيته البتة نهكَتْه العلة وأَضْجَعه المرض.

قال محمد بن الحسن: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعُدْتُه فوجدته بأسوأ حال، فقلتُ له: ولم لا تَتداوى؟ فقال: دوائي معروفٌ، وأما الأطباء فلا حِيلة لهم فيّ البتة.

فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أَسْلَم، فلو سعيتَ في أن يَزُورني لأعظمَ اللّهُ أجرَك بذلك وأجْرَه. قال: فرحمته وتقطَّعت نفسي له حسرة، فنهضتُ إلى أَسْلَم، فاستأذنتُ عليه، فأذِن لي، وتلقَّاني بما يَجِب، فقلتُ له: لي حاجة. فقال: وما هي؟ قلتُ: قد علِمْت ما جمَعك مع أحمد بن كُليب من ذِمَام الطلب عِندِي. فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه بَرَج[1] بي، وشَهَرَ اسْمِي وآذاني. فقلت له: كلّ ذلك يغتفر في مثل هذه الحال التي هو فيها، والرَّجل يموت فتفَضّل بعِيادته. فقال لي: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلّفني هذا. فقلت: لا بد مِن ذلك فليس عليك فيه شيء، وإنّما هي عِيادة مريض. قال: ولم أزَل به حتى أجاب. فقلتُ له: فقم الآن. فقال: لستُ والله أفعل ولكن غداً. فقلت له: ولا خُلْف[2]؟ قال: نعم.

فانصرفْتُ إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوَعْدِه بعد تأبِّيه فسُرَّ بذلك وارتاحت نفسُه، فلما كان من الغدِ بكَّرت إلى أسلم وقلتُ له: الوعد. قال: فوَجم، وقال: والله لقد تَحْمِلني على خطّة صعبة عليَّ وما أدري كيف أُطِيق ذلك. قال: فقلت له: لا بدّ أن تَفِي بوعدك لي.

قال: فأخذ رداءَه ونهض معي رَاجِلاً، قال: فلما أتينا منزل أحمد بن كُليب وكان يسكن في دَرْبٍ طويل وتوسّط الزقاق وقفَ واحمرّ وخجل، وقال لي: يا سيدي الساعة والله أموتُ وما أستطيع نقل قدمي، ولا أستطيع أن أَعْرِضَ هذا على نفسي. فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل تنصرف؟ قال: لا سبيل إلى ذلك والله البتة. قال: ورجَع هارباً فاتَّبَعْتُه

---

(١) بَرَج بي: شهّر بي، وجعل اسمي على كل لسان.
(٢) أي: لا إخلاف في الوعد.

وأخذتُ بردائِه فتمادى وتَمَزّق الرِّداء، وبَقِيَتْ قطعةٌ منه في يدِي لشدّة إمساكي له، ومضَى ولم أدركه. فرجَعت ودخلتُ على أحمد بن كُليب، قال: وقد كان غُلامه دخل عليه إذ رآنا من أوّل الزقاق مُبَشِّراً. قال: فلما رآني تَغيّر وجهه، وقال: وأين أبو الحسن؟ قال: فأخبرته بالقصّة فاستحال مِنْ وقته، واختلَط وجعلَ يتكلّم بكلام لا يُعقل منه أكثرَ من الاسترجاع. فاستبشعْتُ الحال وجعلْتُ أتوجّع وقمتُ. قال: فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، قلت نعم. قال: اسمع مِنّي واحفظ عنّي، ثم أنشأ يقول:

أسلَـــمُ يـــا راحـــةَ العَليـــل ... رِفْقــاً علــى الهــائِـم النّحِيــلِ
وصْلُـــك أشهَـــى إلـــى فـــؤادي ... مِـــنْ رَحْمـــةِ الخـــالـق الْجَليـــلِ(١)

قال: فقلتُ له: اتّقِ الله ما هذه العَظِيمة! فقال: قد كان. قال: فخرجْتُ عنه، فوالله ما توسَّطْت الزّقاق حتى سمعت الصُّرَّاخ عليه، وقد فارق الدنيا.

قال الْحُميدي: قال لنا أبو محمد: وهذه قصّة مشهورة عندنا، ومحمد بن الحسن: ثقة، ومحمد بن خَطّاب: ثقة، وأسْلَم هذا من بَني خالد، وكانت فيهم وِزارة وحِجَابة، وهو صاحب الدِّيوان المشهور في غِناء زِرْياب، وأبوه الآن في الحياة يُكْنَى أبا الجعْد.

قال أبو محمد: ولقد ذُكِرَت هذه الحكاية لأبي عبد الله بن سَعيد الخَوْلاني الكاتب فعرَفها، وقال لي: لقد أخبرني الثِّقة أنه رأى أَسْلَم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد أحدٌ يمشي في طريق، وهو جالس على قبر أحمد بن كُليب المذكور زائراً له، قد تَحَيّن غفلة الناس في مثل ذلك اليوم. قال الحميدي: وأنشدني أبو محمد علي بن أحمد، قال: أنشدني محمد بن عبد الرحمن بن أحمد التُجِيْبي لأحمد بن كُلَيْب، وقد أهْدى إلى أَسْلَم كتاب الفَصِيح لثَعْلَب:

هـــذا كتـــابُ الفَصِيـــحِ ... بكـــلّ لفـــظ مَلِيـــحِ
وهبتُـــه لـــك طَـــوْعـــاً ... كمـــا وهبتُـــك رُوحِـــي

١١٠٧ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: أنبأنا أبو بكر بن شَاذان، قال: أنبأنا إبراهيم بن محمد بن عرَفة، قال: أنبأنا أحمد بن يحيى، أنّ الزُّبير أخبرهم، عن محمد بن إبراهيم اللَّيْثي، قال: حدثني محمد بن مَعْن الغِفَاري، قال:

أقْحمت السنَةُ(٢) المدينةَ ناساً من الأعراب فحَلَّ المذَاد صِرْمٌ(٣) من بنى كلاب، وكانوا

---

(١) نستغفر الله من هذا الكفر العظيم.
(٢) أقحمت: اضطرت، تقول: أَقْحَم فرسَه النهر: أدخله بعنف فيه. السَّنَة: الجَدْبُ والمجاعة.
(٣) المَذاد: المَرْتع، وهو المكان الخصب الصالح للرعي. صِرْم: جماعة.

يسمّون عامهم ذلك الجَرّاف، فغدَوْت عليهم فإذا غلامٌ منهم قد عاد جِلْداً وعظماً ضِيْقَةً وضنانة[1] ومرضاً، وإذا هو رافع عَقِيرته بأبيات قالها:

ألا يـا سَنـا بـرقٍ علـى قُلَـلِ الحِمَـى ... لَهِنَّـك مـن بـرقٍ علـيَّ كـريـمُ[2]
فبِـتُّ بحـدِّ المِـرْفَقَيْـن أشِيمُـه ... كـأنّـي لبـرقٍ بـالسِّتـار حميـمُ[3]
فهـل مِـنْ مُعِيـري طَـرْفَ عَيْـنٍ خَلِيّـةٍ ... فـإنسـانُ طَـرْفِ العـامِـريّ كَلِيـمُ
رمَـى قلبَـه البَـرْقُ الْمُـلالِـيُّ رميـةً ... بـذِكـر الحِمَـى وَهْنـاً فكـاد يَهيـمُ

فقلتُ له: دون ما أنت فيه لَمَا أفحمَ عن قول الشعر. قال: صدقْتَ ولكنّ البَرْق أيقظني. فوالله ما لبثَ يومه حتى مات ما به داء غير الوَجْد.

١١٠٨ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا ابن السَّراج، قال: ذكر ابن حَيّوَيه، قال: حدثنا أبو بكر بن خلَف، قال: حدثني إسحاق بن محمد الكُوفي، قال: حدثنا عُبيد الله بن محمد بن حفص، عن أبيه، قال: كان مُسافر بن أبي عُمر بن أبي أميّة يتعَشّق جارية من أهل مكة، فنُذِر به أهلُها، فهرَب، فلحِق بالنّعمان بن المنذر فاعْتَلّ، ثم قدِم عليه رجلٌ من أهل مكة، فقال له: ما فعلَتْ فلانة؟ قال: تَزَوّجت، فشهَق ومات في مكانه.

١١٠٩ ـ قال ابن خلف: وحدثنا أبو عُبيد الله التَّميمي، قال: أنبأنا زياد بن صالح، قال: كان العلاء بن عبد الرحمن التَّغْلبي من أهل الأدَب والظَّرْف، فواصلَتْه جارية، وكان يُظهر لها ما ليس في قلبه، وهي على غاية العِشْق له، فماتت عِشْقاً له، فأسِف على ما كان مِن جَفائه لها وإعراضه عنها، فرآها ليلة في منامه وهي تقول:

أتَبْكِـي بَعْـدَ قَتْلِـك لـي عَلَيّـا ... فهـلاّ كـان ذا إذ كنـتُ حيّـا
سكَبْـتَ دمـوعَ عينِـك لـي عليّـا ... ومِـن قَبْـلِ الممـات تُسِـي إليّـا
فيـا قمَـراً بَـرَى جِسْمـي ورُوحِـي ... ويقتلُنـي ومـا أبْقَـى عليّـا
أقِـلَّ مِـنَ النِّيـاحـة والمَـراثـي ... فـإنّـي مـا أراكَ صَنَعْـتَ شيّـا

فزاد ما كان عليه من الأسف والغمّ والبكاء، حتى فاضَت نفسه فمات.

١١١٠ ـ أخبرنا أبو المعمر الأنصاري، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن المظفر بن الحسن الهمَذاني، قال: حدثنا أبي، قال: أنشدنا جدّي، قال: أنشدني جعفر بن نُصَيْر، قال: أنشدني ابن مسروق، قال: أنشدني البُرْجُلاَني:

---

(١) الضنانة: مِن الضَّنَى، وهو المرض الشديد الملازم.
(٢) سنا البرق: ضوؤه. قُلَل: جمع قُلّة، وقُلّة كلّ شيء أعلاه. لهنك: لأنّك.
(٣) شام البرق: نظر إليه أين يتجه وأين يُمطر.

ذكـرتُ فتًـى فيمـا مضَـى كـان عـاشقـاً　　فغــادره رَيْــبُ الـــزمـــان فخـــانَـــهُ
فعـــاش كئيبـــاً مُـــدْنَفـــاً فـــي حيـــاتـــه　　إلـى أن مضـى لـم يعـرف النـاس شـانَـهُ
بلـى قـال عنـد المـوت: وَا حسـرتـي علـى　　فتًـــى لا أسمّيـــه وعَـــضَّ بنـــانَـــهُ
وقلَّـــبَ طَـــرْفَيْـــهِ ونكَّـــس رأسَـــه　　وأنَّ بشهْقـــاتٍ ومـــاتَ مكـــانَـــهُ[1]
فيـا أهـل ودِّي هكـذا الحـبّ فـي الهـوَى　　ولكـــنَّ مـــا هـــذا الـــزَّمـــانُ زمـــانَـــهُ

١١١١ ـ أخبرتنا شُهْدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا أبو علي محمد بن الحُسين الجازِريّ، قال: حدثنا المعافَى بن زكريا، قال: حدثنا الحسين بن القاسم الكَوْكَبي، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن مالك النَّحْوي، قال: حدثنا يحيى بن أبي حماد، عن أبيه قال: وُصِفَت للمأمون جارية بكلّ ما يوصف به امرأة من الكمال والجمال، فبعثَ في شرائها، فأُتِي بها وَقْت خُروجه إلى بلاد الرّوم، فلمّا هَمَّ ليلبس دِرْعه خطَرت بباله، فأمر فأُخْرِجَت إليه. فلمّا نَظر إليها أُعْجِب بها وأُعجِبَت به، فقالت: ما هذا؟ قال: أريد الخروج إلى بلاد الرّوم. قالت: قتلْتَني واللّهِ يا سيدي! وحدَرت دموعها على خدّها كنظام اللؤلؤ، وأنشأت تقول:

ســـأدعـــو دعـــوةَ المضطـــرّ ربّـــاً　　يُثيـــب علـــى الـــدعـــاءِ ويستجيـــبُ
لعـــلَّ اللّـــهَ أن يَكفيـــك حَـــرْبـــاً　　ويجمعنـــا كمـــا تَهْـــوَى القلـــوبُ

فضمّها المأمون إلى صدرِه وأنشأ متمثلاً يقول:

فيـا حُسْنَهـا إذ يَغْسِـلُ الـدّمـعُ كُحْلَهـا　　وإذ هـي تُـذْرِي الـدمـعَ منهـا الأنـامـلُ
صبيحـة قـالـت فـي العِتـاب: قَتَلْتَنِـي　　وقتلـي بمـا قـالـت هنـاك تُحـاولُ

ثم قال لخادمه: يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلَّها، وأصلح لها كل ما تحتاج إليه من المقاصير[2] والخدم والجَواري إلى وقت رُجوعي، فلولا ما قال الأخطل:

قـومٌ إذا حـارَبـوا شَـدُّوا مـآزِرهـم　　دونَ النّسـاء ولـو بـاتَـت بـأطهـارِ[3]

ثم خرج، فلم يزل يتعاهَدُها ويُصلح ما أُمر به، فاعتَلّت الجاريةُ عِلّة شديدة أشفَق عليها منها، ووَرَد نعيُ المأمون، فلمّا بلغها ذلك تنَفّسَت الصعداء وماتت.

١١١٢ ـ أخبرتنا شُهدة قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد قال: أنبأنا القاضي أبو الطيّب

---

(١) أنَّ: مِن الأنين.
(٢) المقاصير: جمع مقصورة، وهي الغرف المخصصة للنساء في الدار.
(٣) أي: باتت طاهرة.

الطبري قال: سمعت أبا جعفر المُوسَائي[١] العَلوي يقول: حدّثني محمد بن أحمد الرُّصافي قال: قال لي عبد الملك بن محمد: إنّي خرجْتُ من البصرة أريد الحجّ، وإذا أنا بفتى نِضْو قد نهكه[٢] السَّقام، يقف على محمل محمل وهودج وهودج، ويطَّلع فيه، فتعجَّبْت منه ومِن فعله، فقال:

أحُجَّاجَ بيتِ الله في أيِّ هودجٍ ... وفي أيِّ خِدْرٍ مِنْ خُدورِكُمُ قلبي
أأبْقَى أسيرَ الحُبِّ في دارِ غُرْبةٍ ... وحادِيكُمُ يَحْدُو بقَلْبيَ في الرَّكْبِ[٣]

فلم أزل أقِف عليه حتى جاء المنزِل، فاستند إلى جدار، ثم قال:

خَلٍّ فيضَ الدَّمْعِ ينهملُ ... بَانَ مَن تهواه فارتَحلُوا
كُلُّ دَمْعٍ صانَه كَلِفٌ ... فهو يوم البَيْنِ مُبْتَذَلُ

قال: ثم تنفَّس الصعداء وشهَق شهقة، فحرّكته فإذا هو ميت.

١١١٣ ـ أخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر، قال: حدث أبو عمر بن حَيَّوَيه، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: حدثني العباس بن الفضل الأسدي، قال: حدثني محمد بن زياد الأعرابي، قال: خرج الأَحْوَص بن محمد إلى دمشق ومعه جارية له، يقال لها: بشرة، وكان شديد الإعجاب بها لا يكاد يَصْبِر عنها، وكانت هي له من المحبّة على أكثر من ذلك، فاشتكَى الأحوصُ ومات، فجَزِعت عليه ولم تزل تندبه إلى أن شهَقت شَهْقة فماتت، فدُفنت إلى جانب قبره.

١١١٤ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن عبد الجبار، قال: أنبأنا القاضي أبو عبد الله الحسين بن محمد النَّصِيبِي، قال: أنبأنا إسماعيل بن سُويد، قال: حدثنا أبو بكر الأنباري، قال: أنبأنا عبد الله بن خلف، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، قال: أخبرني دِعْبِل بن عبد الله الْخُزاعي، قال: كان بالكوفة رجلٌ من بني أسد، مال إلى جارية لبعض أهل الكوفة، فتعاظم أمرُه وأمرها، فكان يقول فيها الشعر. ويذكر بعض أهل الكوفة أنه مات من حبِّها، وصنعوا له كِتاباً في ذلك مثل كتاب جميل وبُثينة، وعفراء وعُروة، وكثيِّر وعزة. فباعها مولاها لرجل من أهل بغداد من الهاشمِيِّين. فيُروى أنّه مات حين أخرجت من الكوفة، وأنه لما بلغها موته ماتت أسفاً عليه. فمِن شعره عند فراقها:

---

(١) المُوسَوي، والمُوسائي، نسبة إلى موسى الكاظم، وأبو جعفر هو محمد بن جعفر بن محمد بن أحمد بن هارون بن موسى، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. انظر: الأنساب ٥/ ٤٠٥، واللباب ٣/ ٢٦٨، ولب اللباب ٢/ ٢٨٠.

(٢) نضو: مَهْزُول. نهكه: جهده وأضناه.

(٣) الحادِي: هو الذي يَحْدو الإبل، فيسوقها ويُغنِّي لها ليحثّها على الإسراع في السير.

جَدَّ الرحيلُ وحثَّني صَحْبي | قالوا: الرحيلَ، فطيَّروا لُبِّي
واشتَقْتُ شوقاً كاد يقتلني | فالنفسُ مشرفةٌ على نَحْبي[1]
لم يَلْقَ عند البَيْن ذو كَلَفٍ | يوماً كما لاَقَيْتُ من كَرْبِ
لا صَبْر لي عند الفِراق على | فَقْدِ الحَبيب ولوعةِ الحبِّ

١١١٥ ـ أنبأنا عبد الخالق بن البَدَن، قال: أخبرنا أبو الحُسين أحمد بن محمد السِّمْنانِيُّ، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن موسى بن الصَّلْت، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثني ابن المَرْزُبان، قال: حدثنا محمد بن هارون المقرىء، قال: حدثنا سعيد بن رشاد، قال: عَلِقَت فتاةٌ من العرب فتى من قومها، وكان الفتى عاقلاً فاضلاً، فجعلَتْ تُكثر التردّد إليه فتسأله عن أمورٍ من أمور النساء، وما بها إلاّ النظر إليه واستماع كلامه. فلما طال ذلك عليها مرِضَت وتغيّرت، واحتالَتْ في أن خلا لها وجهه فتعرّضت له ببعض الأمر فدَفعها عنه، فتزايد المرضُ حتى سقطَتْ على الفراش. فقالت له أمه: إن فلانة قد مرضت ولها علينا حقّ. قال: فعُوديها، وقولي لها: يقول لك: ما خَبَرُكِ؟ فمضَت إليها أمه، فقالت لها: ما بك؟ قالت: وجَعٌ في فؤادي هو أَصْل عِلّتي. قالت: فإنّ ابني يقول لك: ما عِلّتك؟ فتنفَّسَتِ الصُّعَداء وقالت:

يُسائلني عن عِلتي وهو عِلّتي | عَجيبٌ مِنَ الأنباءِ جاء به الْخَبَرْ

فانصرَفت أمه إليه فأخبرَتْه، وقالت له: قد كنتُ أُحِبُّ أنْ تسألها المَصِيرَ إلينا فنقضي حقّها ونَلِي خدمتها. قال: فسَلِيها ذلك. قالَتْ: قد أردتُ أن أفعلَه، ولكن أحبَبْتُ أن يكونَ عن رأيك. فمَضت إليها فذكرَت لها ذلك عنه، فبَكت وقالت:

يُباعدني عن قُرْبه ولقائِه | فلمّا أذابَ الجسمَ مِنّي تعطَّفا
فلستُ بآتي مَوْضِعاً فيه قاتِلي | كَفَى بي سَقاماً أن أموتَ كذا كفَى

وتَرامت[2] بها العِلة وتزايد المرض عليها حتى ماتت[3].

١١١٥ م ـ وقد روى أبو بكر بن الأنباري قال: حدثني محمد بن المَرْزُبان قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن محمد الكُوفي قال: عَلِق بدر بن سعيد بن الوليد الهَمداني نُعمَ بنت حاجب بن عُطارد، وكان سبب علاقته أنْ رآها تَطُوف بالبيت، فَفَتَنَتْه، فأنشأ يقول:

ما كنتُ أحسِب أنّ الحبَّ يَعْرِضُ لي | عندَ الطّوافِ ببَيْتِ الله ذِي السُّتُرِ

---

(١) نَحْبي: موتي وهلاكي.
(٢) ترامت: تمادت.
(٣) انظر الفقرة (٧٢٢).

حتى بَدَتْ في طَوافِ البيتِ جاريةٌ   أظنّها فتنةً ليست من البشرِ

ثم عظم عليه الأمر في ليلته، وامتنَع النومُ منه، فلمّا بدا الصبح، أنشأ يقول:

يا صُبْحُ قد جئتَ على ياسِ   مِن عاشق ماتَ بوَسْواسِ
صبراً وتسليماً لما قد قضى   ذو المَنِّ والطَّول على راسِي

وكانت تنزل الكوفة فلما عزمت على الرحيل، أنشأ يقول:

جَدّ الرَّحيلُ فكيف وَيْحكَ تصنعُ   أتُراك تصبرُ أم إخالك تَجْزَعُ[1]
يا بدرُ إنّك قد شَقيتَ بما ترى   كتَب الإلهُ عليك ما لا يُدْفَعُ
أبْصَرْتَ عندَ البيتِ خَوْداً غادةً   ذهبَتْ بعقلِك فالرُّقى لا تَنفَعُ[2]

ثم ارتحل معها إلى الكوفة فنزلَتْ في قصرِ حاجب، فكان يجلس بحذاء القصر ويقول:

يا قصرَ حاجبَ قد أصبحتَ لي سِجناً   لم يُبْقِ مَنْ فيك لي سمعاً ولا بصرَا
يا قصرَ حاجب هل لي فيك من طمع   أم ذاك مِنْكَ فَدَتْكَ النفسُ قد عَسُرَا
اللَّهُ يعلم أنّي ما ذكرتكُمُ   إلاّ تَرَقْرَق ماءُ العين فانْحَدرا

ونظر يوماً إلى حَمَامٍ على سطح القصر قد سقط إليه حَمَامٌ، فأنشأ يقول:

قد بدا الصُّبْحُ لي بشيءٍ مَليح   فرَّجَ الكَرْبَ عن فؤادٍ قَريحِ
مِنْ حَمَامٍ رأيتُه حين أوفى   فوق سطح يدعو بصوتٍ فَصِيحِ
فأتَتْه حمامةٌ فدَنت منـ   ـه دُنوّاً بغير أمرٍ قبيحِ
فزَجَرْتُ الحمام نفسي يَقيناً   وزَجرتُ الأخرى شقيقة روحي

فاتّصل خبره بها، وكثُر من يَعْذِله على ما يُلزِمَه نفسَه من أمر هذه المرأة، فأنشأ يقول:

أيها العَاذِلون بالله كُفُّوا   عن مَلامِي فقد خَلعْتُ العذارَا
لستُ واللّهِ قابلاً مِنْ عَذُولٍ   ما به في الهوى عليَّ أشَارَا

وكان بَدر معروفاً بالشجاعة والنّجدة والعَقْل والبَيان، فأُدْخِل على الحجّاج فخاطبه، فأعجب به، وغلَب على قلبه، وأحْسَن رِفْدَه[3]، وأخرَجَه فيمن أخرج إلى قِتال ابن الأشعث، فعمل في الحَرْب عمَلاً عُجِب منه فيه، وأكثر القَتْلَ في أصحاب ابن الأشعث، وعَظُمَت الجِراح به، فقال وهو بآخر رَمق: احملوني إلى الكوفة فادفنوني بها، ففُعِل ذلك به.

---

(١) إخالك: بكسر الهمزة وفتحها، أظنك.
(٢) الخود: المرأة الشابّة.
(٣) رِفْده: أي عطاءَه وصِلَته.

فاتّصل خبره بِنُعمَ فأَتَتْ قبره، وأنشأت تقول:

يـا مَـن لِعَيـنٍ بـالـدّمـوع سَكُـوبِ ... تبكِـي قَتيـلاً ثَـاوِيـاً بِقَلِيـبِ[1]
يـا بـدرُ قـد أشْجَيْتَنـيْ وتـركتنـي ... فـي كُـرْبـةٍ تَعتـادنـي ونَحِيـب
بـأبـي وأمّـي مِـن كـريـمٍ سَيِّـدٍ ... جَـزْلِ العطـايـا لـلأُلـوف وَهُـوبِ[2]
لَهَفِـي عليـك إذا الحُـروب تسَعَّـرَتْ ... وتضَـرَّمـت وتَلَهَّبَـتْ بلَهيـبِ[3]
فـلأَبْكِينَّـكَ مـا بَقِيـتُ بلَـوْعَـةٍ ... وأشُـقُّ مِـن جَـزَعٍ عليـك جُيـوبِـي
أبكيـك يـا بـدرُ بعيـنٍ سَحَّـةٍ ... وغليـلِ قلـب مُـوجَـعٍ مكـروبِ[4]
لا خيـر لـي يـا بـدرُ بعـدك فـي البَقَـا ... مـا خَيْـرُ عيـشٍ بعـد هُلْـكِ حَبيـبِ

ولم تزل مقيمة على قبره تَقَلَّبُ عليه وتبكي حتى ماتت، فدُفنت هناك إلى جانبه.

١١١٦ ـ وقال أبو بكر محمد بن داود الأَصْبهاني: بلغني أنّ فتى من الأعراب يُقال له: امرؤ القيس، هوي فتاة من الحَيّ، فلمّا وقفَتْ على أنّه يُحِبّها هجَرته، فزال عقلُه، وخُولط، وأَشْفَى على التَّلَف، وصار رحمة للناس، فلمّا بلغ المرأةَ حالهُ وما هو فيه، أَتَتْ فأخذَتْ بِعُضَادَتي[5] الباب، فقالت: كيف تجدك يا امْرَأَ القيس؟ فقال:

دنَـتْ وظِـلالُ المـوتِ بَيْنـي وبينهـا ... وأَدْلَـتْ بـوَصْلٍ حيـن لا ينفعُ الـوصلُ

ثم لم يلبث إلاّ يسيراً حتى مات.

١١١٧ ـ وقال الريّان بن علي الأَدِيب: عشِق فتى من أبناءِ بعض أصدقائي جاريةً فأَنْحَله العِشْق وتيّمه فزال عقلُه، وأخذ في الهُجْر[6] والهذَيان، فمَرَرْتُ به ذات يوم في بعض الخَرَابات، فقلتُ له: أبا فلان ما حالُك؟ فقال: أسوأُ حال: عقلٌ هائم، وغمٌّ لازم، وفكرٌ دائم، ثم أنشأ يقول:

تَيَّمنـي حبُّهـا وأَضْنَـانـي ... وفـي بِحـار الهُمـوم أَلْقـانِـي
كيـف احتِيـالـي وليـس لـي جلَـدٌ ... فـي دَفْـعِ مـا بـي وكَشْـفِ أحـزانِـي
يـا ربِّ فـاعطِـف بقلبِهـا فعسَـى ... تـرحَـمُ ضَعْفـي وطُـولَ أَشْجـانِـي

---

(١) ثاوياً: ميتاً. القَلِيب: البئر قبل أن تُطوى.
(٢) جَزْل العطايا: أي كثير العطايا.
(٣) تضرّمَت: اشتعلت.
(٤) السحّاحة: العين الغزيرة الدمع.
(٥) عضادَتَيْ الباب: خشبتاه من جانبيه.
(٦) الهُجْر: الهَذَيان.

ثم مررتُ به بعد أيام وهو يبكي ويَتَمرَّغ في التراب، فلمّا رآني قال: يا عمّ إنّي ميتٌ الليلة، فقلت: الله يَشفيك، فقُبض في ليلته.

١١١٨ ـ وقال إسحاق الرَّافِقيّ[١]: كنتُ في مجلِسٍ بالرَّافِقة مع عدّةٍ من الظُّرفاء وجماعة من الفتيان، ومعنا فتى كأَهْيَأ ما رأيتُ من الفتيان، وعليه أثر ذِلّة الهوَى، يُديم الأَنِين والبكاء، فغَنَّتْ إحداهُنَّ:

إنّـــي لأُبْغِـــضُ كـــلَّ مُضْطَبـــرٍ ... عـن إلْفِـهِ فـي الـوَصْـل والهَجْـرِ
الصّبــر يَحْسُـــنُ فـــي مــواطِنــه ... مـــا للفتـــى المحـــزونِ والصَّبـــرِ

قال: فنظرَ الفتى إليها وتبادَرَتْ عبراتُه، ثم وثَب على قدمَيْه ووضَع يدَه على رأسِه وقال:

غـداً يَكْثُـرُ البـاكُـون مِنّـا ومنكُـمُ ... وتَـزْدادُ داري مِـنْ ديـاركـم بُعْـدَا

ثم رمَى بنفسه فسقَط مجدلاً[٢] من قامَتِه فحمَلْناه ميتاً.

* * *

(١) الرافِقي: نسبة إلى رافِقة، بلد على الفُرات. انظر: اللباب ٢/٨، ومعجم البلدان ٣/١٥.
(٢) مجدلاً: مطروحاً.

البَابُ الثّامِنُ والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ أَخْبَارِ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسَبَبِ العِشْقِ

١١١٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: حدثنا أبو عمر بن حيّويه، قال: حدثنا أبو بكر بن خلف، قال: حدثنا أبو سعيد بن شَبيب، قال: حدثني العُتْبي، قال: كان عند خالد بن عبد الله ذات ليلة فقهاء من أهل الكوفة، فيهم أبو حمزة الثُّماليّ، إذ قال خالد: حدّثونا بحديث عِشق ليس فيه فُحْش. فقال أبو حمزة الثُّماليّ: أصلَح الله الأمير، زَعموا أنّه ذُكر عند هشام بن عبد الملك غَدْر النساء وسرعة تزويجهنّ، فقال هشام: إنّه ليبلُغني من ذلك العَجب.

فقال بعض جلسائه: أحدّثك عمّا بلغني من ذلك: بَلغني أنّ رجلاً من بني يَشْكر يقال له: غَسّان بن جَهْم بن العُذافر، كانت تحته ابنة عمّ له يقال لها: أم عقبة بنت عَمرو بن الأَبْجر، وكان لها محبّاً، وكانت له كذلك، فلمّا حضَره الموت وظنّ أنه مُفارق الدنيا قال ثلاثة أبيات، ثم قال: يا أم عقبة اسمعي ما أقول وأجيبي بحقّ، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسِك، بعد ما يُواريني التّراب. فقالت: قل، فوالله لا أُجيبك بكذب، ولا جعلته آخر حظّك مِنّي. فقال وهو يبكي بكاء كاد يمنعه الكلام:

أخبريني ماذا تُريدين بَعْدي ... والذي تُضْمِرين يا أُم عُقْبَهْ
تحفظيني بعد موتي لما قد ... كان من حُسْن خُلْقٍ وصُحْبَهْ
أم تريدين ذا جمال ومال ... وأنا في التراب في سِجْن غُرْبَهْ؟

فأجابته ببكاء وانتحاب:

قد سمِعنا الذي تقول وما قد ... خفْتَهُ يا غَسّان من أمّ عُقبهْ
أنا مِن أخفَظ النّساء وأرْعا ... ه لما قد أوْلَيْتَ من حسن صُحبهْ
سوف أبكِيك ما حَييتُ بشَجْوٍ ... ومَرَاثٍ أقولها وبِنُدْبَه

قال: فلما قالت ذلك طابت نفسُه ـ وفي النّفسِ ما فيها ـ فقال:

أنا والله واثقٌ منكِ لكن ... ربّما خِفْتُ منك غَدْر النِّساءِ
بعد موت الأزواج يا خَيرَ مَن عُو ... شِر فارعَيْ حقّي بحُسْنِ الوَفَاءِ

إنّــي قــد رَجَــوت أنْ تحفظــي العهــ ـــدَ فكــونــي إنْ مِــتُّ عنــد الــرّجــاء

ثم اعتُقِل لسانُه فلم ينطق حتى مات. فلم تلبث إلاّ قليلاً حتى خُطِبَت من كل جانب ورَغبت فيها الأزواجُ، لاجتماع الخِصال الفاضلة فيها من العَقْل والجَمال والعَفاف والحَسَب، فقالت مُجيبة لهم:

سـأحفـظُ غَسّـانـاً علـى بُعْـدِ داره وأرعـاه حتـى نلتقِـي يـوم نُحْشَـرُ
وإنّـي لفـي شُغْـلٍ عـن النّـاسِ كلّهـمْ فكُفُّـوا فمـا مِثلـي بمـن مـات يَغْـدِرُ
سـأبكِـي عليـه مـا حَيِيـتُ بعَبْـرةٍ تَجُـوْل علـى الخَـدّيـن منّـي فتكْثُـرُ

فيئس الناس منها حيناً، فلما مرّت بها الأيامُ نَسِيَت عهده، وقالت: من مات فقد فات، فأجابت بعض خطّابها فتزوَّجها، فلما كانت الليلة التي أراد الدخول بها جاءها غسّان في النوم وقد أغْفَتْ فقال:

غَـدَرْتِ ولـم تـرعَـيْ لبعلِـكِ حُـرْمـةً ولـم تَعْـرفـي حقّـاً ولـم تحفظـي عَهْـدَا
ولـم تصبـري حَـوْلاً حِفـاظـاً لصـاحـبٍ حَلَفْـتِ لـه يـومـاً ولـم تُنجـزِي وَعْـدَا
غـدَرْتِ بـهِ لمّـا ثـوَى فـي ضَـريحِـه كـذلـك يُنْسَـى كـلُّ مـن سكَـن اللّحـدَا

فلما قال هذه الأبيات انتبهَتْ مُرتاعةً مستحْيَة منه، كأنه بات معها في جانب البيت، وأنكر ذلك منها مَن حضرها من نسائها، فقُلْنَ: ما لك وما دهاك؟ فقالت: ما ترَكَ غسان بعده في الحياة أرَباً[1]، ولا بعده في الحياة سرورٌ ورَغْبة، أتاني في منامي الساعة فأنشدني هذه الأبيات، وأنشَدَتْها وهي تبكي بدمع غزير وانتِحَاب شديد.

فلمّا سَمِعْنَ ذلك منها أَخَذْنَ بها في حديث آخر لتنسَى ما هي فيه، فتغافَلَتْهُنّ ثم قامت فلم يُدْرِكنها حتى ذَبَحت نفسها حياءً مما كادَت تركبُ بعده من الغَدْر به والنِّسيان لعهده[2].

١١٢٠ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاَّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الخَرائِطي، قال: حدثنا العباس بن الفضل، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن أبي مِسْكِين، قال: ضلَّت ناقةٌ لفتى من تميم، فخرج إلى حيّ من بني شَيبان يَنْشُدها، فإنّه لكذلك إذ بَصُر بجارية كأنّها الشمس حُسْناً وجمالاً، فعشِقها عشقاً مُبَرِّحًا[3]، فرجَع إلى قومه وقد ذهب عقلُه، فما تمالك أن رجَع إلى حَيِّهم، فلمّا هدأ الليل قال لعلِّي أُسَكِّن بالنظر إليها

---

(١) أرَبا: أي حاجة.
(٢) هذا من قتل النَّفس الذي حرَّمه الله تعالى.
(٣) مبرَّحاً: شديداً.

بعض ما بي. فأتاها وهي جالسة وإخوتها نيام حولها، فقال لها: يا قرّة عيني قد والله أذهب الشوق عقلي وكدّر عليَّ عيشي. فقالت: امض إلى حالِك وإلاّ نبّهت إخوتي فقتَلُوك. فقال لها: إنّ القتل أهون عليَّ من الذي أنا فيه. قالت: وهل يكون شيء أشدّ من القتل؟ قال: نعم ما أنا فيه من حبك. قالت له: فما تشاء؟ قال: أمكنيني من يدك حتى أضعها على قلبي، ولك عهد الله عزّ وجلّ أنّي أرجع. ففعلت، فرجع. فلما كانت القابلة عاد فوجدها على مثل حالها فقالت له كقولها الأول، فقال: تمكنيني من شفتيك حتى أرشُفها وأنصرِف، فلمّا فعلت ذلك وقَع في قلبِها منه كهيئة النّار، فأقبلَتْ تلقاه كلّ ليلة. فنذر به حيُّها وإخوتها. فقالوا: ما لهذا الكلب قد أطال المُكْثَ في هذا الجبل وهو يتخطّانا. فقعدوا لطلبه في ليلتهم تلك، فأرسلَتْ إليه أنّ القوم يُريدونك فكن على حذر وإياك والغفلة. فجاءت السماء بمطر حال بينهم وبين طلبه، ثم انجلت السحاب وطلع القمر. فتَطَيَّبَت الجارية ونشَرَت شعرَها وأُعْجِبَتْ بنفسِها، واشتهت أن يراها على تلك الحالة، فقالت لتِرْبِ[1] لها ـ قَد كانت أَطْلَعَتْها على شأنها ـ: يا فلانة أَسْعِديني على المُضِي إليه، فخرجتا تُريدانه وهو على الجبل خائف من الطّلب، فبصر بشخصين يَسِيران في القمر، فلم يشكَّ أنّهما من الطالبِين، فانتزع سهماً فما أخطأ قلب صاحبته، فسقطت لوجهها مُضَرّجة بدمها، فلم تزل تضطرب حتى ماتت فبُهِتَ شاخِصًا ينظر إليها ثم أنشأ يقول:

نَعَـبَ الغُـرابُ بمـا كـرهـ ... ـتُ ولا إزالـة للقَـدَرْ
تبكـي وأنـت قتَلْتَهـا ... فـاصبـرْ وإلاّ فـانتحِـرْ

ثم جمع نَبْله فجعل يَجَأُ بها أوداجه حتى قتَل نفسه.

١١٢١ ـ أخبرنا المبارك بن علي، قال: أنبأنا علي بن محمد، قال: أنبأنا عبد الملك، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو بكر الخَرائِطي، قال: حدثنا محمد بن جعفر الدُّوْلابي، قال: حدثنا علي بن عيسى، عن عبد الرحمن بن إسحاق، قال:

انحدرتُ من سُرَّ مَنْ رأى مع إسحاق بن إبراهيم، فلما صِرْنا إلى موضع يقال له: العَلْث[2]، دعَا بالطّعام فأكَلْنا وحَوَّل من الحرّاقة[3] التي فيها الخدَمُ جاريتَيْن: عوَّادة وطُنْبورية[4]، ومُدّت ستارة، فغنّت الطُّنبورية:

يـا رحمتَـا للعـاشقينـا ... مـا إنْ أرى لهـمُ مُعِينـا

---

(١) التِّرْب: المثيل في السّن.
(٢) العَلْث: قرية على دجلة بين عُكبرا وسامرّاء. انظر: معجم البلدان ٤/ ١٦٤.
(٣) الحرّاقة: نوع من السفن.
(٤) العوادة: التي تضرب بالعود. والطنبورية: التي تضرب بالطنبور.

كـــــم يُهْجَـــــرُون ويُبْعَـــــدُونَ ويُضْـــــرَبُـــــون فيَصْبـــــرونـــــا

فقالت لها العوّادة: فيصنعون ماذا إذا لم يصبروا؟ فهتكت الستارة وقالت: يصنعون هكذا، وألقت بنفسها في دِجلة فغرقت. وكان على رأس إسحاق بن إبراهيم غلام من أحسن الناس وجهاً، فلما رأى ما صنعت الجارية قال:

أنـــتِ التـــي غَـــرَّقْتِنـــي بعـــد القَضـــا لـــو تَعْلَمينـــا
لا خَيْـــرَ بعـــدكِ إنْ بَقِينـــا والمـــوتُ زَيْـــنُ العَـــاشِقينـــا

وألقَى نفسه خلْفها فغرق. فاشتد على إسحاق وأمر بإخراجهما، فأخرجا من الماء فدفنا.

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر.

١١٢٢ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد السرّاج، قال: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا محمد بن العبّاس، قال: حدثنا محمد بن أحمد الكاتب، قال: حدثنا ميمون بن هارون الكاتب، قال: حدثني عبد الرحمن بن إسحاق القَاضي، قال: انحدرتُ من سر مَن رأى مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق، ودجلة تزخَرُ من كثرة مائها، فلما أنْ سِرنا ساعة، قال: ارْفُوا[1] بنا. ثم دعا بطعامه فأكلنا، ثم قال: ما ترى في النَّبِيذ؟ قلت له: أعزّ الله الأمير هذه دِجلة قد جاءت بمدٍّ عظيم يُرْعبُ مثلُه، وبينك وبين منزلك مَبيت ليلة، فلو شِئْت أخَّرْتَه، قال: لا بدّ لي من الشراب، فضُرِبَتْ سِتارة، واندفعَتْ مغنّية فغنّت، ثم اندفعت أخرى فغنت:

يـــا رحمتَـــا للعـــاشقينـــا مـــا إن أرى لهـــمُ معينـــا
كـــم يُشْتَمُـــون ويُضْـــرَبـــون ويُهْجَـــرون فيصبِـــرُونـــا

فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعون ماذا؟ قالت: يصنعون هكذا، فرفَعتِ السّتارة وقذفت بنفسها في دِجْلة، وكان بين يَدَي محمد غلام ـ ذُكر أنّ شِراءه ألف دينار ـ بيده مِذَبّة[2] لم أرَ أحسن منه، فوضَع المِذَبّة وقذف بنفسه في دجلة، وهو يقول:

أنـــتِ التـــي غـــرّقْتنـــي بعـــد القضـــا لـــو تعلَمِينـــا

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما فصاح بهم محمد: دعوهما يغرقا إلى لعنة الله. قال: فرأيتهما قد خرجا من الماء مُعتَنِقَيْن ثم غرقا!

---

(١) ارفوا: أي اقتربوا من الشط، وهو المرفأ.
(٢) المذَبّة: ما يُذَبّ به الذباب ويُبعد ويُطرد.

١١٢٣ ـ بلغني عن جميل بن مَعْمَر العُذْري أنه قال: دخلتُ على عبد الملك بن مروان، فقال: يا جميل حدّثني ببعض أحاديث بني عُذْرةَ، فإنّه قد بلَغني أنّهم أصحاب أدَب وغَزَل.

فقلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، انْتَجعوا[١] عن حيِّهم مرّة فوَجدوا النّجعةَ بموضع نازح فقَطَنوه، فخرجتُ أريدهم فبينا أنا أسير إذ غَلِطتُ الطريقَ، وجَنَّ عليّ الليلُ ولاح لي بابٌ فقصدته، حتى وردْتُ على راع في أصل جبل قد ألجأ غنَمه إلى كهف في الجبل، فسلَّمْتُ عليه فردّ السلام، وقال: أحسبك قد ضَلَلت الطريق؟ قلت: قد كان ذلك، فأَرْشِدني، قال: بل انزل حتى تُرِيحَ ظهْرَك[٢] وتبيت ليلتك، فإذا أصبَحْتَ وقَفْتُكَ على القَصْد.

فنزلتُ فرحَّبَ بي وأكرمني، وعَمَد إلى شاةٍ فذَبحها وأجَّج ناراً وجعل يشوي ويلقي بين يديّ ويُحدّثني في خلال ذلك، ثم قام إلى كِساء كان معه فقطع به جانب الخِباء ومهَّد لي جانباً وترك جانباً خالياً. فلمّا كان في الليل سمعْتُه يبكي ويشكو إلى شخص كان معه، فأَرِقْتُ ليلتي فلما أصبحتُ طلبتُ الإِذْن، فأَبَى، وقال: الضيافة ثلاث، فأقمتُ عنده وسألته عن اسمه ونسبه وحاله، فانتسب لي فإذا هو من بني عُذْرَة من أشرافهم. فقلتُ: يا هذا وما الذي أحلَّك هذا الموضع؟ فأخْبَرني أنه كان يهوَى ابنة عمٍّ له وتهواه، وأنه خطبها إلى أبيها فأَبَى أن يزوِّجَه منها لقِلّة ذات يده، وأنّه زوجها رجلاً من بني كِلَاب، فخرج بها عن الحيّ وأسكنها في موضِعه ذلك، وأنه تنكّر ورضي أن يكون راعياً لتأتيه ابنة عمّه ويراها. وجعل يشكو إليَّ صَبابته بها وعِشقه لها. حتى إذا جنّنا الليل وحان وقتُ مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد، كالمُتَوَقِّع لها، فأبطَأَتْ عن الوقت وغلبَهُ الشَّوْق فوثب قائماً، وأنشأ يقول:

مـا بـالُ مَيَّـة لا تـأتـي كعـادتِهـا	أهـاجَهـا طَـرَبٌ أم صـدَّهـا شُغُـلُ
لكـنّ قلبـيَ لا يُلْهيـه غيـرُكُـمُ	حتـى الممـات ومـا لـي غيـركم أمـلُ
لـو تعلمِيـن الـذي بـي مِـنْ فـراقِكُـمُ	لمـا اعتَلَلْـتِ ولا طـابـت لـك العِلـلُ
روحـي فـداؤك قـد هَيَّجْـتِ لـي سَقمـاً	تكـادُ مـن حَـرِّه الأعضـاءُ تنفصِـلُ
لـو أنّ عَـادِيَـةً[٣] مِنّـي علـى جَبَـلٍ	لـزال وانْهَـدَّ عـن أَرْكـانِـه الجَبَـلُ

ثم قال: يا أخا بني عُذْرَةَ مكانك حتى أعود إليك، فما أتوَهَّم أنّ أمرَ ابنةَ عمّي صحيح. ثم مضَى فما لبث أنْ أقبلَ وعلى يده شيء محمول، وقد علا شهيقهُ ونَحِيبه، فقال: يا أخا بني عُذْرةَ هذه ابنة عمّي أرادت أن تأتِيَني فاعترضها الأسَدُ فأكلها! ثم وضَعها عن يده،

---

(١) النَّجعَة: طلب الكلأ والمرعى.
(٢) أي: دابتك التي تركبها.
(٣) عادية: أي مصيبة.

وقال: على رِسْلك حتى أعودَ إليك. ومضَى فأبطأ حتى يئِسْت من رجوعه، ثم أقبل ورأسُ الأسدِ على يدِه، فجعل ينكث على أسنان الأسد ويقول:

ألاَ أيّهـــا الليـــث المُخِـــلُّ بنفسِـــه ... هُبِلْـتَ لقـد جَـرَّت يـداك لنـا حُـزْنـا
وغـادَرْتَنِـي فـرداً وقـد كنـت آلِفـاً ... وصيَّـرْتَ بطـن الأرض ثَـمَّ لنـا سِجْنَـا
أقـولُ لـدهـرٍ خـانَنـي بفـراقِـه ... معـاذ إلهـي أن أكـون لـه خِـدْنـا[1]

ثم قال: يا أخا بني عُذْرةَ، إنك ستراني بين يَدَيْك ميتاً، فإذا مِتُّ فاعْمَد إليَّ وابنة عمّي وأدْرِجْنا في كفَن واحد، واحفر لنا جدثاً واحداً فادفِنّا فيه، واكتُبْ على قبري هذَيْن البيتَيْن:

كنّـا علـى ظهـرهـا والعيـشُ فـي مَهَـلٍ ... والشَّمْـل يجمعُنـا والـدّار والـوَطـنُ
ففـرَّق الـدَّهـرُ والتَّصْـرِيـف إلْفَتَنـا ... فصـارَ يجمَعُنـا فـي بطنِهـا الكَفَـنُ

ورُدَّ الغنَمَ على صاحبها، وأَعْلِمْه بقصتنا. ثم عَمد إلى خِناقٍ فطَرَحه في عنقه، فناشَدته الله ألاّ يفعل، فأبى، وجعل يَخْنُق نفسَه حتى سقط ميتاً. فكفّنتهما ودفنتهما في قبر واحد كما أمرني، وكتبتُ البيتَيْن على قبرهما، ورددت الغنَم على صاحبها، وأعلمته بقصتهما، فحَزِن حُزناً شديداً أشفقتُ منه على نفسه، أسفاً على ما فرّط في اجتماعهما.

١١٢٤ ـ أنبأنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب، قال: حدثنا القاضي أبو القاسم هِبة الله بن الحُسين الرَّحبي، قال: حدثنا علي بن أحمد بن محمد الحَرَمي[2]، قال: حدثنا الحُسين بن علي بن أحمد المُهَلَّبي، قال: حدثني أبو عبد الله القُرشي، قال: رأيت رجلاً يُعاتب إلفاً[3] له على الجِسْر، وكنتُ قَريباً منهما بحيث أسمع ما كانا فيه جميعاً. فقال له: ألم أفعل بك كذا؟ ألم اصنع بك كذا؟ فلم يزل يُعَدِّد عليه ما أولاه إياه. فقال له المألوف: هذا الذي فعلتَ في هواك أو في هَواي؟ وخرج الكلام بينهما إلى أن قال له: قد أَضْجَرْتني فما تحبّ أن أفعل بنفسي حتى تَشْتَفِي؟ قال: تطرح نفسَك في هذا الماء إن كنت صادقاً في دعواك. قال: فعَهْدي به، وعلى رأسِه رداء، وقد لفَّ رأسه بردائه وزجَّ نفسَه في دجلة، فداخلني من الأمر ما غلَب عليّ، حتى صُعِقْتُ صَعْقَةً غُشِي عليّ منها، ولم أدر ما كان بعد ذلك.

١١٢٥ ـ وبلغنا عن سَعيد بن أحمد، قال: رأيت بالبصرة في خان[4] عطاء بن مسلم

---

(١) الخِدْن: الحبيب والصاحب.
(٢) الحَرَمي: نسبة إلى حرَم مكة. انظر لب اللباب ١/٢٤٣.
(٣) الإلْف: الصديق والحبيب.
(٤) الخان: النُّزُل والفندق.

شاباً وفي يدِه مُدْية[1] وهو ينادي بأعلى صوته والناسُ حولُه:

يـوم الفـراق مِـنَ القيـامـة أطـوَلُ   والمـوتُ مِـنْ ألـم التفـرُّق أجمـلُ
قالوا: الرحيلَ، فقلت: لست براحلٍ   لكـنّ مُهْجَتـي التـي تتـرحَّـلُ

ثم بقَر بطنه بالمُدْيَة وخرّ ميتاً، فسألت عنه وعن أمره، فقيل لي: إنه كان يهوَى فتى لبعض الملوك وحُجب عنه يوماً واحداً!.

١١٢٦ - وحكى أبو عبد الله الحُسين بن محمد الدّامَغَاني، قال: كان ببلاد فارس صُوفي كبير، فابتُلِيَ بحَدَث، فلم يملك نفسه أنْ دعَتْه إلى الفجور، فراقب الله تعالى ثم نَدِم على هذه الْهَمَّة، وكان منزله على مكان عالٍ، ووراء منزله بحر من الماء، فلمّا أخذته النّدامة صعد على السطح ورمَى بنفسه إلى الماء، وتلا: ﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾ [البقرة/ ٥٤]، فغرِق في الماء[2].

١١٢٧ - وذكر أهل العلم بالسِّير، أنّ شِيرين وُلِدت بالمدائن، وكانت يتيمة في منزل رجل من الأشراف في جوار هُرمز أَنُوشِرْوَان، وكان أبرويز صغيراً يدخل منزل هذا الرجل فيُلاعب شِيرين ويمازحها وتمازحه، فأخذَتْ في قلبه موضعاً، فنهاها الذي هي في منزله عن التعرّض لأبرويز، ثم رآها يوماً قد أخذت من أبرويز خاتماً كان في إصبعه، فقال: ألم آمرك بترْك التعرض لهذا الصبي؟! لا تُعرّضِينا للهلَكة. ثمّ أمر بعض من يثق به أن يحملها إلى شاطىء الفرات ويُغْرِقها، فحملها إلى شاطىء الفرات ليغرقها، فقالت له: ما الذي ينفعك من غرَقي؟ فقال: إنّي قد حَلَفْت لمولاي ولا بدّ، قالت: فما عليك إلاّ أن تأتي بي موضِعاً من الفرات فيه ماء رقيق فتَقْذِف بي فيه وتتركني وتمضي، فإن نجوتُ لم أظهر ما دمت باقية، وإن مت لم يكن عليك شيء. قال: أفعل ذلك. فأتى موضعاً فيه الماء إلى الرُّكبة فزجّها فيه، وتركَها تضطرب، وولّى عنها لا يلْتَفت، ثم وافَى مولاه فأخبره، وحلَف له أنه أغرقها. ثم إنّها تخلصت من الماء، فأتت بعض الدّيارات التي على شاطىء الفرات فآوَت إليه، وأعلَمَتِ الرُّهبان أنها قد وهَبَت نفسها لله تعالى، فأحسَنوا إليها.

فلما استقرّ المُلْك لأبرويز بعد أبيه هُرْمز ووجّه برُسله إلى قيصر، اجتاز الرسل بالدّير، فسألت شِيرين عن ذلك، فأعلمت أنّ القوم رُسل أبرويز الملِك ومعهم هدايا إلى قيصر، وأخبروها بملكه وما آل إليه أمره، فوَجَّهت إلى رئيس الرّسُل منتصحة له تخبره أنّها أَمَة

---

(١) المُدية: بضم الميم وكسرها: الشَّفْرَة.
(٢) قلت: ينبغي أن يُتنبّه إلى أن هذه الآية والحكم المذكور فيها خاصّ ببني إسرائيل، أما نحن أمة محمد ﷺ فلا يجوز لنا ذلك، والتوبة تكون بالعودة النصوح إلى الله تعالى والتمسّك بشرعه.

للملك أبرويز، وسألته إيفاد رسول إليه يُخبره بمكانها، ووجَّهت معه ذلك الخاتم.

فأنفذ الرجلُ رسولاً قاصداً إلى الملِك يُعرِّفه خبر شِيرين ومكانها والخاتم.

فلما ورد الرسول على أبرويز أمر للرسول بمال عظيم وجعل له رتبة جليلة ببشارته، ووجّه معه بخدم ومراكب وهوادج وكُسًى وحليٍّ وطِيب ووَصائِف، حتى أتوه بشِيرين، فورد عليه من الفَرح بها ما لم يفرح بشيء مثله، وكانت من أكمل النساء كمالاً وجمالاً وبراعة.

وذكر أبرويز أنه ما جامعها قط إلاّ وجدها كالعذراء، وكان قد شرط على نفسه أنه لا يأتي حرّة ولا أمة مرة واحدة إلا أتاها قَبْلُ، وعهد كلّ واحد لصاحبه أن لا يجتمع مع أحد لمُبَاضعة، فلما هلك أبرويز أرادها شِيرويه، فأبَت وعرَّفته العهود، فرماها بكلّ مُعضلة[1] من الفجور، وبَعَث[2] الشعراء على ذمّها.

فلما لجَّ ولم تجد عنه مَحِيداً، بعد أن غصَبها جميع مالها وضِياعها، قالت: أفعل ما سألْت بعد أن تقضيَ لي ثلاث حوائج: تردّ عليّ أموالي وضياعي، وتُسَلِّم إليّ قتلة زوجي، وتدعو العلماء والأشراف وترْقَى المنبر فتبرِّئني مما قذَفْتني به من الفجور.

ففعل ذلك، فقتلَتْ قَتَلَةَ زوجها بأفحش قَتْل. فقال لها: هل بقِيَتْ لكِ حاجة؟

قالت: نعم، إنّ الملك أَوْدَعَنِي وَدِيعة وجعلها أمانة في عُنقي، إن أنا تزوجت أن أردّها إليه، فتأمر بفتح النَّاوُوس[3] حتى أدفع الوَدِيعة إليه.

ففتح لها الناووس، فدخلَت وقَلَعَتْ فَصَّ خاتم في يدها تحته سُمُّ ساعةٍ فمَصَّتْه، ثم اعتنقَتْ أبرويز ولفَّتْ عليه يدَيْها ورجلَيْها حتى ماتت. فلمّا أبطأت على الحَوَاضِن[4] والخدَم صاحوا بها فلم تُجِب، فدخلوا فوجدوها ميتة معانقة لأبرويز، فرجعوا فأخبروا شيرويه، فندم ندامة لا توصف، وجعل يأكل أصابعه على صنيعها.

قلت: وقد سبق في باب الحِيل والمخاطرات ذكر جماعة قَتلوا أنفسهم بسبب العشق، فلم نر إعادة ذكرهم.

فصل: فانظر، وفَّقك الله، إلى ما صَنع العِشق بهؤلاء المَغْبُونين، من بين قاتلٍ لنفسه، وقاتل لغيره.

فأما قَتْل الغير فقد قال الله عز وجل: ﴿ومَنْ يَقْتُل مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً

---

(١) معضلة: شديدة.
(٢) بعث: حثّ.
(٣) الناووس: المقبرة.
(٤) الحَوَاضِن: النساء اللاتي يَعْتَنِين بها.

فيها، وغَضِبَ اللهُ عليهِ ولعَنه وأعدّ له عذاباً عظيماً﴾ [سورة النساء/ ٩٣]. وقال: ﴿ولا تَقْتُلوا النَّفْسَ التي حرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقِّ﴾ [الإسراء/ ٣٣].

وفي الصحِيحَين من حديث أبي هريرة عن النبيّ ﷺ: أنه ذكر المُوْبِقات[١] فَعَدّ منهن: قَتْل النَّفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحق[٢].

وأما قتل النفس فقد قال الله تعالى: ﴿ولا تقتُلوا أنفُسَكم﴾ [النساء/ ٢٩].

١١٢٨ ـ وقد أخبرنا هِبَة الله بن محمد بن الْحُصَين، قال: أنبأنا أبو علي بن المُذْهب، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا وَكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من تحسَّى سُمّاً فقتل نفْسَه فهو يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسَه بحَدِيدة فحَدِيدته يَتَوَجّأ[٣] بها في بطنه في نار جهنم خالداً مُخَلّداً فيها أبداً، ومن تردّى من جبل فقتلَ نفسه فهو يتردّى في نار جهنم خالداً مخلّداً فيها أبداً». أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحَيْن[٤].

وقوله: «خالداً مخلّداً فيها أبداً» محمول على من يَسْتَحِلُّ ذلك.

١١٢٩ ـ وفي الصحيحَيْن من حديث جُندب بن عبد الله البَجَلي، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «كان فيمن قبلكم رجلٌ به جرح، فجَزِع، فأخذَ سكيناً فحَزّ بها يده، فما رَقَأ[٥] الدّمُ حتى مات، فقال الله تعالى: «بادَرَني عبدي بنفسه، حَرَّمتُ عليه الجنة»[٦].

* * *

---

(١) المُوْبِقات: المهلكات.

(٢) رواه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩)، وأبو داود (٢٨٧٤)، والنسائي (٣٧٠١)، وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ٩/٤٥٨، والبيهقي في سننه الكبرى ٨/٢٤٩، وابن حبّان في صحيحه (٥٥٦١).

(٣) يتوجّأ: يطعن.

(٤) رواه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩)، والترمذي (٢٠٤٤)، والنسائي ٤/ ٦٦ ـ ٦٧، وابن ماجه (٣٤٦٠)، والدارمي (٢٣٦٢)، وأحمد في المسند ٢/ ٢٥٤، ٤٧٨، ٤٨٨، والبيهقي في سننه الكبرى ٨/ ٢٣ ـ ٢٤، و ٩/ ٣٥٥، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٢٤١٦)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٨٦).

(٥) رَقَأ: انقطع.

(٦) رواه البخاري (٣٤٦٣). واللفظ له، ومسلم (١١٣) بلفظ: «إن رجلاً ممّن كان قبلكم خَرَجَت به قَرْحة، فلمّا آذَتْه انتزَع سهماً مِن كِنانته [جعبته]. فنكأها [قشّرها وخرقها]، فلم يرقأ الدمُ حتى مات، قال ربكم: قد حرّمت عليه الجنّة»، والبيهقي ٨/ ٢٤، والطبراني في الكبير (١٦٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٥٩٨٨ ـ ٥٩٨٩).

قلت: وفي هذا الحديث فوائد عظيمة وكثيرة، انظرها في فتح الباري ٦/ ٥٠٠.

البابُ التّاسِع والأَرْبَعُون

في ذِكْرِ أَدْوِيَةِ العِشْقِ

الحِمْية اللازمة في زَمان الصّحة لا ينبغي أن تُترك. ومتى عُلِمَت أسبابُ مرضٍ وجب اجتنابها. ومعلوم أنّ الطِّباع تتساوى في الميل إلى الهوَى، فينبغي للحازِم اجتناب أسبابه. فمتى أصابه شيء من ذلك المرض وجب عليه أن يُبادر إلى الطبيب، قبل أن يصْعُبَ التّلافِي أو يَحلّ التّلَفُ.

فصل: ومن التفريط القَبيح الذي جَرَّ أصعب الجنايات على النفس محادثةُ النِّساء الأجانب والخَلْوة بهِنّ. وقد كانت عادةً لجماعة من العَرب، يرَوْن أنّ ذلك ليس بِعار، ويَثِقُون من أنفسهم بالامتناع من الزِّنا، ويَقْنَعُون بالنظر والمُحادثة. وتلك الأشياء تَعْمَل في الباطن، وهم في غفلة عن ذلك إلى أن هلكوا[1]. وهذا هو الذي جَنى على مجنون ليلى وغيره ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك.

وكان غلطهم من وجهين:

أحدهما: مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والخَلْوة.

والثاني: تعرِيض الطّبع لما قد جُبِل على الميل إليه، ثم مُعاناة كَفِّه عن ذلك، فالطَّبْع يَغْلب، فإنْ غلب وقَعَت المعاصي. وإن غُلِب حصَل التلَف بمنع العَطْشان عن تناول الماء.

واعلم أنّ أمراض العِشق تختلف. فينبغي لذلك أن يختلف علاجها. فليس علاج من عنده بداية المرض كعِلاج من انتهى به المرَض نهايتَه. وإنما يُعالج من هذا المرَض من لم يَرْتَقِ إلى غايته، فإنه إذا بلغ الغاية أحدَث الجنون والذهول، وتلك حالة لا تقبل العلاج.

١١٣٠ ـ قال بُقْرَاط: قَصَمْتُ الأدواء[2] بالعقاقير، وأَقَمْتُها بإزاء العِلل، فأَعْيانِي دواء الحبّ بعد تَمَكّنه أنْ أُدرِكه.

١١٣١ ـ قال البحتري:

---

(١) انظر في هذا المعنى رسالة: أحكام النظر إلى المحرّمات، للعامري: ص ٣٢ ـ ٥١.

(٢) أدواء: جمع داء: المرض.

ولقـــد قـــال طَبِيبـــي وطَبِيبـــي ذو احتيـــالِ
أُشْـكُ مـا شئـتَ سـوى الحـبّ فـــإنّـــي لا أُبـــالِـــي
سَقَـــمُ الحُـــبِّ رَخِيـــصٌ ودواءُ الحُـــبِّ غَـــالِـــي

١١٣٢ ـ وقال أبو غالب بن بِشران:

ومُنْتَصِـــحٍ قـــال لـــي إذ رأى دمـوعـيَ قـد أَقْـرَحَـتْ مَـدْمَعِـي:
متـى تستفيـق وتسلـو الهـوَى؟ فقلـت: إذا كـان قلبـي مَعِـي

١١٣٣ ـ وقال غيره:

دخُـولـك فـي بـاب الهـوَى إن أَرَدْتَـه يَسِيـرٌ ولكـنَّ الخُـروجَ شَـدِيـدُ

فصل: فإن قال قائل: كيف يُذْكَر للعِشْق أدوية، وهو قلَق لا سكون فيه، وسُكْرٌ لا صَحْوَ معه؟ فيقال: لمن يَهْوِي في الهواء: أَمْسِكْ نفسك؟! فالجواب من وجهَيْن:

أحدهما: أنّا قد قلنا إنما يُداوَى هذا المرض قبل بلوغ نهايته، فإنّها أحوالٌ يمكن علاجها.

والثاني: أن لكلّ شيء سبباً يُضْعِفُه ويقوِّيه. فأنا أُعَرِّفك السبب الذي يُضْعِف العِشق ويُوهِنه، وأُحَذّرك منَ السبب الذي يَزيده قوة. فما قلتُ لك: امنع النارَ أنْ تُحرِق، وإنّما قلت: اطْفِئها. ولا قلتُ: ادفع الماء عن أن يُغرق، وإنّما علَّمتُك السِّباحة.

وهذا حينُ شروعنا في ذِكْر المرَض والعِلاج، والله الموفق.

فصل: اعلم أن بدايةَ العشق في الأغلب تكون عند النَّظَر إلى المحاسن، ولحصول العشق بهذا النظر علامة، وهي أنه إذا وقع النظر إلى المستحسَن خفقَ القلبُ خُفوقاً يكاد يَطير إليه، فإذا ردَّ الإنسانُ الطَّرْفَ قَلِق القلبُ حتى يعود، فإذا أُطْلِق ثم رُدّ فَكَّ اللجامَ قهراً وعاوَد النظر.

فهذه علامة العشق لا تكاد تخطىء.

إلاّ أنّ في الناس من يتعلّق قلبه بالمنظور في بَدِيهة النظر، فإذا ردَّد نظره بان له مِنَ العيوب ما لم يكن بان، فزال ما كان عَلِق بقَلْبه، لأنّ النفس تصوَّرَت في بداية النظر مِنَ الصورة معنًى أعانَها عليه تحيّلُ الشهوة وتوهّم اللذة، فزادت الصِّفة عن مقدار العَيان، فإذا تكرّر النظر وحُقّق أُثْبت حقيقة الصّورة، فزالت زيادات التخيل وبِرْخاشات[1] التوهّم، فبرد

---

(١) برخاشات: أي تَخْلِيط، تقول برخَش وبرقش ـ بالخاء المعجمة ، وبالقاف: خلّط.

قلبُ المحب لزوال التوهم. وربّ امرأة تُستَحْسَن في نِقابها، فإذا أسْفَرَت لم تُستَحْسن.

١١٣٤ ـ أنبأنا أبو بكر بن أبي طاهر، قال: أنبأنا أبو الطيِّب الطبري، قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن سهل الرَّازي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله، قال: أنبأنا عمِّي، قال: حدثنا بعض أشياخ البصرة؛ أنّ رجلاً وامرأته اختصما إلى أمير من أمراءِ العراق، وكانت المرأة حسنة المُنْتَقب قَبيحة المَسْفَر، وكان لها لِسان[1]، فكأنّ العاملَ مال معها، فقال: يعمد أحدكم إلى المرأةِ الكريمة فيتزوّجها ثم يسيء إليها! فأهْوَى الرّجلُ فألقَى النّقاب عن وجهها، فقال العامل: عليكِ اللعنة، كلامُ مظلومٍ ووجهُ ظالم!

فصل: فأما إذا كان النظر عن تثبّت وتَحْقِيق، وزاد بترداده المرَض، فذلك العِشْق المتمكن. والواجب على مَن وقَع بصرُه على مستحسَنٍ، فوجد لذّة تلك النَّظْرة في قلبه أن يَصْرف بصرَه، فمتى ما تثبَّت في تلك النظرة أو عاوَد وقَع في اللَّوْم شرعاً وعَقَلاً.

فإن قيل: فإن وقع العِشق بأولِ نظرة، فأيّ لوم على الناظر؟

فالجواب: أنه إذا كانتِ النظرةُ لَمْحة لم تكَدْ تُوجب عِشْقاً، إنّما يُوجبه جُمودُ العَيْن على المنظورِ بقَدْر ما تَثْبُت فيه، وذلك ممنوع منه. ولو قدَّرنا وجودَه باللَّمْحَة فأثَر محبةً سَهُل قَمْعُ ما حصَل.

١١٣٥ ـ وقد أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا أبو محمد الجوهري، عن أبي عمر بن حَيّوَيه، عن ابن المَرْزُبَان، قال: حدثنا عبد الله بن عَمرو، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذِر، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عمّنْ حدَّثه قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّي رأيتُ امرأةً جميلة فعَشِقْتُها. فقال عمر: ذاك ما لا يُملَك.

فإن قيل: فما علاج العِشق إذا وقع بأول لَمْحَة؟

قيل: علاجه الإعراض عن النَّظَر، فإنَّ النظر مثل الحَبّة تُلقَى في الأرض، فإذا لم يُلتفَتْ إليها يَبِسَت، وإن سُقيت نبَتت، فكذلك النظرة إذا أُلحقَت بمثلها.

فصل: فإن جرَى تفريطٌ بإتْبَاع نظرةٍ لنظرة، فإن الثانية هي التي تُخاف وتُحْذَر، فلا ينبغي أن تُحقَر هذه النظرة، فربما أورَثَتْ صَبابة صبَّت دمَ الصَّبِّ[2].

---

(١) أي: كانت حسنة الكلام.

(٢) قوله: أوْرَثَت صبابةً صبّت دمَ الصَّبِّ، يعني: أورثت عِشْقاً سكَبَت دمَ العاشق الوَلِه.

١١٣٦ ـ أنشدنا ابن ناصر، قال: أنشدنا أبو زكريا، قال: أنشدنا ابن نِحْرير البغدادي:

تــولَّــع بــالعِشْــق حتــى عَشِــقْ ... فلمــا استقــلَّ بــه لــم يُطِــقْ
رأى لُجّــةً ظنّهــا مــوجَــةً ... فلمّــا تمكَّــنَ منهــا غــرِقْ[1]
ولمــــا رأى أدْمُعــــاً تَسْتَهِلْـ ... ـلُ وأبصــرَ أحشــاءَه تحتــرِقْ
تمنَّــى الإفــاقــةَ مِــن سُكْــرِه ... فلــم يستطِعْهــا ولــم يَسْتَفِــقْ

وعلاجُ هذه النظرة؛ بالنظر فيما تقدَّم ذِكْره، مِنَ الأمر: بغَضِّ البَصر، والتحذير من شرّ النظر، وخوفِ العقوبة من الله سبحانه عاجلاً وآجلاً، والحذَر من سُوء عاقبتها وما تجرُّ وتجني. فيتجدّد من العَزْم على الغضِّ معنى يُسَمّى اليأس، وهو دواء حاسم.

١١٣٦ ـ قال الحكماء: اليأسُ أحد الرَّاحتَين.

١١٣٧ ـ وقال الشاعر:

حــاولــتُ أمــراً فلــم يجــرِ القضــاءُ بــه ... ولا أرى أحــداً يُعْــدَى علــى القَــدَرِ
فقــد صبــرتُ لأمــرِ الله محتسبــاً ... واليــأسُ مِــنْ أشبــه الأشيــاء بِــالظَّفَــرِ

وليكُنْ لك في هذا الغَضّ عن المُشْتَهى نيةٌ تحتسِب بها الأجر، وتكتسب بها الفَضْل، وتَدْخل في جملة مَن نهَى النَّفْسَ عن الهوى.

وانظُر في باب ثواب من غَضّ بصرَه عن الحرام فقد تقدم.

فصل: فإن كان تكرار النظر قد نَقَش صُورةَ المحبوب في القلب نَقْشاً متمكّناً، وعلامة ذلك: امتلاءُ القلب بالحَبيب، فكأنّه يراه حالاً في الصدر، وكأنّه يضمه إليه عند النوم ويحادثه في الخَلوة. فاعْلَم أنّ سببَ هذا الطَّمَعُ في نيل المطلوب، وكفى بالطَّمع مرضاً، وقلَّ أن يقعُ الفِسق إلاّ في المطموع فيه. فإنّ الإنسان لو رأى زوجة المِلك فهَوِيَها لم يكَدْ قلبه يتعلّق بها، لأجل اليأس من مثلها. فأمّا من طمع في شيء فإنّ الطمعَ يحمِله على طلبه، ويُعذّبه إن لم يدركه.

١١٣٨ ـ وقد قال الشاعر:

ومــا النفــسُ إلاّ حيــث يجعلُهــا الفتَــى ... فــإن أُطْمِعَــت تــاقَــتْ وإلا تَسلَّــتِ

١١٣٩ ـ وقال آخر:

فقلــتُ لهــا: يــا عَــزُّ كــلُّ مصيبــة ... إذا وُطِّنَــتْ يــومــاً لهــا النَّفْــسُ ذلّــتِ

١١٤٠ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلف، قال: أنبأنا أبو

---

(١) سبق هذان البيتان تحت رقم (٧٩٩).

عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت أبا نصر الطُّوْسِي يقول: سمعت أبا مسلم الأصبهاني يقول: قال علي بن سهل: اِلتَمَسْتُ الراحة فوجدتُها في اليأس.

وعلاج هذا المرض: العَزْم القويّ على البُعْد عن المحبوب. والقَطْع الجَازِم على غضّ البصر عنه. وهجران الطمع فيه. وتَوْطِين النفسِ على اليأس منه. والنظر فيما تقدَّم مِن ذمّ الهوَى والتحذير من ذلك.

فصل: فإن كان تكرار النظر قد مكَّن نقشَ صورة المحبوب في القلْب، فأثَّر ذلك قوةَ الفكر وزيادة الشهوة واشتداد القَلَق، فسَبَبُ ذلك زيادةُ الطَّمَع وقوته.

وقد أعلمتُك أنَّ المحبة كشجرة، وأن النظراتِ كماء يجري إليها، فكلَّما سقاها عتَتْ وعَسَتْ، وإنّما دخلت هذه الآفات من باب إطلاق البَصر فيما حظره الشرع، فبذلك تمكَّن سلطان الهوَى من القلب فبثّ جندَ الفسادِ في رُسْتَاق(١) البَدَن. وكم قد تمكن هذا المرَض من شخْصٍ فلم يؤثِّر فيه عَذْلُ عاذِل ولا ضرْبُ ضارِب.

١١٤١ ـ أنبأنا علي بن عُبيد الله، قال: أنبأنا محمد بن أبي نصر، قال: أنبأنا منصور بن النّعمان، قال: أنبأنا أبو مُسلم الكاتب، قال: حدثنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: أنبأنا أبو حاتم، قال: قال الأَصْمَعي: تَزوَّج أعرابيٌّ امرأةً من بني عقيل، فسمعها تتمثّل ببيتِ غزل، فقال لها: ما هذا الذي تتمثَّلين به، لعلك عاشقٌ، لئن سمعتُكَ تَعُودِين لمِثل هذا لأضرِبَنّ ظهرك وبطنك، فأنشأَتْ تقول:

فإن يضرِبوا ظهري وبَطْني كِلَيْهما ... فليس لقلبِ بين جنبيَّ ضاربُ

فطلَّقها.

وعلاج هذا المرض: من جنس ما تقدم، إلاّ أنه ينبغي أن يكون أقوَى منه، فإنّه يفتقر إلى قوّة شدِيدةٍ في العَزْم على الغَضّ وهَجْر المحبوب قَطْعاً بَتّاً، ليعود بالغَضّ ـ نباتُ المحبّة الذي سُقِي بمياه النظرات ـ هَشِيماً.

وأنت تعلم أنه إذا انقطعت مياه الوادي نسَفَتْه الرّياح وأَنْشَفَتْه، فعاد كأَنْ لم يكن.

ودوام البُعْد عن المحبوب يعمل في مَحْو ما نُقِشَ في القلب، فيمحو اليَسِيرَ منه بَعْدَ اليسيرِ، من حيث لا يَعلم، كما أنّ مرور الزّمان يمحو أثرَ المُصيبة من القَلْب.

ومتى اشتدَّت العزيمة فقطَعَتِ الطَّمع ومكّنتِ اليأس، ثم أُجِيل الفِكْر في خَوْف العواقبِ في الدنيا والعقوبة في الأخرى، وكُرِّر على النفس ما سبَق من ذمّ الهوى، وما فَعَل بأربابِهِ

---

(١) الرستاق: الكورة التي تجمع عدة بلدان. والمعنى هنا مجازي يقصد به: جميع أعضاء البدن.

فأضْناهم وأمرضهم، وأذْهَب دِينهم ودُنياهم وجاههم بين الناس، فاستغاثوا بعد الفَوْت، كما قال محمد بن مناذر:

مَـنْ فتًـى أصبـح فـي الحُـبِّ ... سقـاه الحـبّ سُمّـا
كلّمـا أخفَـى جَـوى الحـبِّ ... عليـه الـدّمـع نَمّـا
سـاهـرٌ لا يطْعَـمُ النـو ... مَ إذا الليـلُ ادْلهمّـا
كلّمـا راقـب نَجْمـاً ... فهَـوَى راقَـبَ نجمـا
يـا ثِقـاتـي خَطَـمَ الحـبُّ ... لكُـمْ أنْفِـي وزَمّـا
يـا أخـي دائـي جـوَى الحُـبِّ ... وداء النـاس جُمّـا
لا تلُـمْ مفتضحـاً فـي الـ ... ـحُـبّ إنّ الحـبَّ أَعْمَـى[1]

فصل: فإن قال قائل: قد كَبُرَتْ جنايتي على نفسِي، وكرَّرْتُ النظر، وانتقَشَتْ صورةُ المحبوب في قلبي، وأُوْرثت القلقَ الدائم، ورأَتِ النفسُ أنّها تستشفي مِنْ هذا المرض بتكرار النظر والزيارة للمحبوب، فلمّا فعلتُ زاد الأمر بي، وما أقدر أن أصبر عن الحبيب لحظة، فهل لهذا مِنْ علاج أتلافَى فيه أمري قبل التَّلَف؟

فالجواب: كيف آمُرك بهَجْر مَنْ لا تصبر عنه لحظة، وكيف لا آمرك وأنت على شَفا هَلَكة قد لعبت ببدنك ودِينك.

١١٤٢ ـ فأنت كما قال الشاعر:

كَثَّـرَ فيـك اللُّـوَّمُ ... وأيـن سَمْعِـي وَهُـمُ

١١٤٣ ـ وقال الآخر:

بكَـرَتْ صبحـاً عـواذلـهُ ... ورَسِيـسُ الحُـبِّ قـاتِلـهُ[2]
هـو فـي وادٍ وليـس بـه ... والهـوَى عنهـنّ شـاغلـهُ
يتمَنَّيْـنَ السُّلُـوَّ لـه ... ومُنـاه مَـنْ يـواصلـهُ

ومع هذا فلا بدّ لي من نصيحتك، ما دام الكلامُ يَصِل إلى سمعك: إن كان التردد إلى محبوبك، يتردد في قلبك:

فـلا تـأتِيَـنّ إلـى واعـظٍ ... فلسـتَ بِمُنْتَفِـع بـالعظـاتِ

إنما يُوصَف الدَّواء لمن يَقْبل، فأما المُخَلِّط فإنّ الدواء يَضِيع عنده، فإنْ صحَّ عزمك على استعماله فاسْمَع أَصِفْ لك: اعلم أنَّ الخَيال الذي وقع لك، مِنْ أنّ التزاور والنظر يَشفي بعض المَرض خيالٌ فاسد.

---

(١) انظر هذه الأبيات وشرحها تحت رقم (٨٢٣).
(٢) رَسِيس الحبّ: بقيّته وأثره.

فإن قلتَ: فأرانِي أسكن في تلك الحالة.

فالجواب: أنه إنّما يسكن الوَجْد لمكان القُرْب، فإذا وقع البُعد زادت نارُ الشوق اشتعالاً، فأنت في ضرْب المثل كالعَطشان شَرِب الخمر، فإنه يَجِد رطوبة الرّيِّ عند تجرّعها، ثم تُلْهِبُه، فتزيد العطش. فكذلك قُرْب العاشق من معشوقه، يضمّ جُرْحاً إلى جرح، وعَقْراً[(١)] إلى عَقْر، وكلّما زادت الأسبابُ الظاهرة قوِيَت المحبّة في الآلاتِ الباطنة فعمِلت سُمومها في المَقاتل[(٢)]، والمقتول لا يرى القاتل.

١١٤٤ ـ كما قال الشاعر:

قبّلْتُهَا أَشْتَفِي بقُبْلتِها ... فزادني ذلك اللَّمَى ألَما[(٣)]
وساءَلْتني عن مُبْتَدا سَقَمِي ... مُسْقِمُ جَفْنَيْك مُسْقِمِي بهما

١١٤٥ ـ وقال الآخر:

أُعانقها والنفسُ بعدُ مَشوقةٌ ... إليها وهَلْ بعد العناق تَداني
وألْثمُ فاها كي تَزُول صَبابَتي ... فيزدادُ ما ألْقى مِنَ الْهَيمان

١١٤٦ ـ وقال محمد بن أبي أُمَيّة الكاتب:

يقولون لو لاقَيْتَها سكَنَ الذي ... بقلبك يا مُشتاق وانقطَع الحزنْ
فها أنا قد لاقيتها مثلَ قولهم ... ليَسْكن قلبي باللقاءِ فما سكنْ

١١٤٧ ـ وقال ابن الرُّومي:

نَعِمَتْ بها عيني فطال عذابُها ... ولكَمْ عذابٍ قد جَناه نعيمُ
نظرَتْ فأَقْصَدَتِ الفؤادَ بسَهْمِها ... ثم انْثَنَتْ نحوي فكِدْتُ أَهِيمُ
وَيْلاه إنْ نَظَرَتْ وإنْ هي أعرَضَتْ ... وقْعُ السِّهام ونزْعُهنَّ أليمُ

١١٤٨ ـ وقال أبو عبد الله بن الحجاج:

أَقَرَّ عيني ثم خلَّف لي ... قلباً بشوقي إليه قد جُرحا
ويخسرُ القلبُ بعد غَيْبَته ... ما كان طَرْفي عليه قد رَبحَا

١١٤٩ ـ وقال غيره:

وما في الأرض أشْقَى من مُحِبٍّ ... وإن وَجَد الهوَى عَذْبَ المَذاقِ
تراه باكياً في كلِّ حينٍ ... مخافَة فُرْقةٍ أو لاشتياقِ

---

(١) العَقَر: الجُرْح.
(٢) أي: الأماكن المهلكة التي تؤدي بصاحبها إلى القتل.
(٣) اللمى: سُمرة الشفتين واللثات.

فيبكي إنْ نأَوْا شوقاً إليهم ... ويبكي إن دَنَوْا خوفَ الفراقِ
فتَسْخَنُ عينه عند التنائي ... وتسخنُ عينه عند التلاقي

فإذا عرفتَ غُرور الشيطان في زَعْمه أنَّ القُرْب دواء، وأنَّ النظرَ شِفاء، بما أَوْضَحْتُ لك من أن قوله مُحال، وأنه أمرٌ تزيد به الحال، مع ارتكاب المحظور الذي لا طاقة بعَذابه، ولا قوّة على عِقابه، عَلِمْتَ حينئذ أنّه لا عِلاج إلا بالهَجْر، وحَسْم الطَّبْع من غير تردد.

١١٥٠ ـ أخبرنا إبراهيم بن دينار، قال: أنبأنا ابن نَبْهان، قال: أنبأنا ابن دُوما، قال: أنبأنا أحمد بن نصر الذَّارع، قال: حدثنا صدَقة بن موسى، قال: حدثنا الأَصْمعي، قال: قلت لأعرابي: صِفِ الحبَّ، فقال: هو نَبْتٌ بذرُه النظر، وماؤه المُزاورة، ونماؤه الوَصْل، وقِلَّته الهَجْر، وحصادُه التَّجَنّي.

١١٥١ ـ أخبرنا عُمر بن ظفر، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا عبد العزيز بن علي، قال: أنبأنا ابن جَهْضَم، قال: حدثنا محمد بن علي الوَجِيهي، قال: سئل أبو علي الرُّوذْباري: لِمَ يلحقُ الإنسانَ من التعذيب عند لقاء من يحبّه أشدُّ من وقت الفراق؟

فقال: أُجيب عنه ببيت شعر:

بكَى عليها حتى إذا حصَلَتْ ... بكى عليها خوفاً مِنَ الغِيَرِ[1]

فصل: وتفكّر في خطواتك إلى لقاء محبوبك. فاعلم أنّها مع ما بيَّنّا مِنْ ضررِ ألمِ الزيارة، مكتوبةٌ عليك وأنت مطالَبٌ بها.

١١٥٢ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا عبد القادر بن محمد بن يوسف، قال: أنبأنا ابن المُذْهب، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، عن مسلم، عن مسروق، قال: ما خطا رجلٌ خطوة إلاّ كُتبت عليه حسنة أو سيئة.

١١٥٣ ـ قال أحمد: وحدثنا حُسين بن محمد، قال: حدثنا أبو مَعْشر، عن سعيد، قال: خطب مروان بن الحكم فقال: يا أيها النّاس، لو كان الله تعالى مُغْفِلاً شيئاً من أعمالكم، لأَغْفَل هذا الأثر الذي تَسْفى عليه الرياح. ثم قرأ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الموْتى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثَارَهُم﴾ [يس/ ٢١].

فصل: وتفكّر في مُكالمتك محبوبك، فإنّك مسؤولٌ عمّا تقول، مع إلهاب الكلام نارَ الحبّ.

---

(١) الغِيَر: أحداث الدهر وتغيّره وتقلّبه.

١١٥٤ ـ أخبرنا هبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا قُتيبة، قال: حدثنا بكر بن مُضر، عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ العبد يتكلّم بالكلمة يَزِلّ بها في النّار أبعد ما بين المشرق والمغرب»(١). أخرجاه في الصحيحَيْن، مسلم والبخاري.

١١٥٥ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا محمد بن عَمْرو، عن أبيه، عن جَدّه علقمة، عن بلال بن الحارث، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الرجل ليتكلم بالكلِمة من سَخَط الله عزّ وجلّ، ما يَظُنُّ أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عزّ وجلّ بها عليه سَخطه إلى يوم القيامة»(٢). قال الترمذي: هذا حديث حسَن صحيح.

١١٥٦ ـ وكان الربيع بن خُثيم يقول: ما من شيء تتكلّم به إلاّ كُتِبَ. قال مجاهد: حتى أَنِين العَبْد في مَرضه.

١١٥٧ ـ أخبرنا يحيى بن علي الْمُدير، قال: أنبأنا أبو بكر الخَيّاط، قال: أنبأنا أبو علي بن حمكان، قال: حدثنا أبو علي السَّرَخْسي، قال: سمعت محمد بن الحُسين يقول: سمعت الحَسن بن علي يقول: سمعت حَاتماً ـ يعني: الأصمَّ ـ يقول: لو أنّ صاحب خَبَرٍ جلس إليك ليكتب كلامك لاحتَرَزْت منه، وكلامك يُعرض على الله فلا تَحْتَرز!

١١٥٨ ـ وهكذا حُدثنا عن سفيان الثوري أنه قال: أخبروني لو كان معكم مَن يَرْفَع الحديث إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإنّ معكم مَن يرفع الحديث إلى الله عزّ وجلّ!

فصل: فإن قوِيَتْ أسبابُ الهوَى فحمَلَتْك على الخَلْوة بحبِيبك، فقد تعرّضْتَ بالأَسَدِ في خِيسه(٣)، وبعيدٌ سلامةُ مثلك، فالهربَ الهربَ، فلا نجاة في غيره. فإنْ أمسكَك الهوَى فاجْتَذِبْ نفسَك من يدِه بخوفِ مَن يراك حين تقوم، واستحيِي من نظَرِه إليك فإنّه حاضر معك.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨)، وأحمد في المسند ٢/٣٧٩.

(٢) حديث صحيح. رواه الترمذي (٢٣١٩)، والنسائي في كتاب الرقائق من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ٢/١٠٣، وابن ماجه (٣٩٦٩)، ومالك في الموطأ ٢/٩٨٥، وأحمد في المسند ٢/٣٣٤ و ٣/٤٦٩.

(٣) الخِيس: غابة الأسد.

١١٥٩ ـ أخبرنا ابن الْحُصَين، قال: أنبأنا أبو علي التَّميمي، قال: أنبأنا ابن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن عُبيد، قال: حدثنا أبَان بن إسحاق، عن الصّبّاح بن محمد، عن مُرة الهَمذاني، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «استحيوا من الله عزّ وجلّ حقّ الحياء. قال: قلنا: يا رسول الله، إنّا نستحيي والحمد لله. قال: ليس ذاك، ولكن مَن استحيَى مِنَ اللَّهِ حقَّ الحياء، فليحفظ الرأسَ وما حوَى، والبطنَ وما وعَى، وليذكر الموتَ والبِلى، ومَن أراد الآخرة ترك زِينة الدنيا، فمَن فعل ذلك فقد استحيَى مِنَ الله حقّ الحياء»[١].

١١٦٠ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا إبراهيم بن عُمر البَرْمكي، قال: أنبأنا عبد الله بن إبراهيم الزَّيْنَبِي ـ إجازةً ـ، قال: حدثنا محمد بن المَرْزُبان، قال: حدثنا عبد الله بن محمد، قال: حدثنا القاسم بن هاشم، قال: حدثَتْنا سَعيدة بنت حكَّامة، قالت: حدثتني أمّي حكّامة بنت عثمان بن دينار، عن أمِّها، [عن أبيها]، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَشْيَةُ الله رأسُ كلّ حكمة، ومَن لم يكن له وَرَعٌ يصدّه عن معصية الله إذا خلاَ، لم يَعْبَأ اللَّهُ بشيء من عمله»[٢].

١١٦١ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلَف، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت عبد الله بن علي الطُّوسِي يقول: سمعت أبا جعفر الرَّازي يقول: سمعت يوسف بن الحُسين يقول: عَلِم القومُ أنّ الله يراهم فاستحيَوْا مِنْ نَظره أن يُرَاعوا شيئاً سواه.

١١٦٢ ـ قال السُّلمي: وسمعت أبا الحُسين الفارسي يقول: قال محمد بن علي التِّرمذي: اجعل مراقبتك لمن لا يَغيب عن نظره إليك، واجعل شُكرك لمن لا تَنْقَطِع عنك نِعَمه، واجعل خُضوعك لمن لا تخرُج عن ملكه وسلطانه.

وقد ذكرنا في باب من ذكرَ ربه فتَرك ذنبه مِن هذا ما فيه بلاغ.

فصل: فأدِرْ في تلذّذك ذكر مَرارة الموت الذي سمّاه رسول الله ﷺ: «هازم

---

(١) إسناد ضعيف: رواه الترمذي (٢٤٥٨)، وأحمد في المسند ١/٣٨٧. قال الترمذي: «هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه، عن الصبّاح بن محمد».
قلت: هو ابن أبي حازم البَجَلي الكوفي: ضعيف، أفرط فيه ابن حبان. التقريب (٢٨٩٨).

(٢) حديث ضعيف: رواه القضاعي في مسند الشهاب (٤١) مختصراً، وما بين المعقوفين زيادة منه. وفيه: سعيدة بنت حكّامة، تروي عن أبيها بواطيل. كما قال ابن الجوزي فيما نقله عنه صاحب كشف الأحوال، كما ذكر في فتح الوهاب ١/١٩.

اللذات»[1]، وتذكّر شدّة النَّزْعِ، وتفكّر في الموتى الذين حُبسوا على أعمالهم لِيُجَازَوْا بها، فليس فيهم من يقدر على مَحْوِ خطيئة ولا على زِيادة حسنة، فلا تَعِث[2] يا مُطْلَق!

١١٦٣ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبّار، قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفَتْح، قال: أنبأنا ابن أخي مِيمي، قال: حدثنا جعفر الخوَّاص، قال: حدثنا ابن مسروق، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، قال: حدثنا حسن بن الربيع، قال: حدثنا مَخْلَد بن الحُسين، قال: عُدْتُ مَريضاً، فقلتُ له: كيف تجِدك؟ قال: هو الموت. قلت: وكيف عَلِمتَ أنّه الموت؟ قال: أَجِدني أُجْتَذَبُ اجتذاباً، وكأنّ الخناجر مختلفة في جَوْفي، وكأنّ جوفي تَنُّورٌ مُحمًى يتلَهّب. قلت: فاعْهَد. قال: أرى الأمر أعْجَلَ من ذلك. فدعا بدَواة وصحيفة، فوالله ما أُتِي بها حتى شَخُصَ بصرُه فمات.

١١٦٤ ـ وقال إبراهيم بن يزيد العَبْدِي: أتاني رِيَاح القَيْسِي فقال: يا أبا إسحاق انطلِقْ بنا إلى أهل الآخرة نُحْدِث بقُربهم عهداً. فانطلقتُ معه، فأتى إلى المقابر، فَجَلَسْنا إلى بعض تلك القبور، فقال: يا أبا إسحاق، ما ترَى هذا متمنِّياً لو مُنِّيَ؟ قلتُ: أن يُرَدَّ والله إلى الدنيا فيستَمْتِع من طاعةِ الله ويُصْلِح. قال: فها نحن، ثم نهض فجدَّ واجتهد، فلم يلبَثْ إلاّ يسيراً حتى مات.

فصل: وصوِّر لنفسك حينَ اعتراضِ الهوَى عَرْضَك على ربك، وتَخْجِيله إيّاك بِمَضيض[3] العِتاب على فِعل ما نهاك عنه.

١١٦٥ ـ أخبرنا الكَرُوخي، قال: أنبأنا الأَزْدي، والغُورَجي، قالا: أنبأنا الْجَرَّاحي، قال: حدثنا المَحْبُوبي، قال: حدثنا التِّرمِذي، قال: حدثنا هَنَّاد، قال: حدثنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن خَيْثمة بن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سَيُكَلِّمه رَبُّهُ تبارك وتعالى ليس بينه وبينه ترجمان»[4]. أخرجاه في الصحيحَين.

١١٦٦ ـ أخبرنا ابن عبد الواحد، قال: أنبأنا أبو علي التَّمِيمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عَفَّان، حدثنا هَمَّام، قال: حدثنا قَتادة، عن صفوان بن مُحرز، قال: كنت آخِذاً بيد ابنِ عمر، إذ عرَض له رجلٌ،

---

(١) حديث حسن: رواه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي ٤/٤، وابن ماجه (٤٢٥٨). وقال الترمذي: «حديث حسن غريب»، وانظر صحيح الجامع (١٢١٠).

(٢) تَعِث: تَعْبَث وتفسد.

(٣) مضيض العتاب: أليمه، والمضض: ألَم المصيبة.

(٤) رواه البخاري (١٤١٣) و(٦٥٣٩) و(٧٤٤٣)، ومسلم (١٠١٦)، والترمذي (٢٤١٥)، وابن ماجه (١٨٤٣)، وأحمد في المسند ٢٥٦/٤ و٣٧٧.

فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النَّجْوى يوم القيامة؟ فقال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الله عزّ وجلّ يُدْني المؤمنَ فيضع عليه كَنَفه[1] ويستره من الناس ويقرِّره بذنُوبِه، ويقول له: أتعرِف ذنب كذا؟ أتعرِف ذنبَ كذا؟ حتى إذا قرَّره بذنُوبه ورأَى في نفسِه أنّه قد هلَك؟ قال: فإنّي قد سترتُها عليك في الدّنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»[2]. أخرجاه في الصحيحَيْن.

فصل: وتخايَلْ شهادة المَكان الذي تعصِي فيه عليك يوم القيامة.

١١٦٧ ـ أخبرنا أبو القاسم الشَّيْباني قال: أنبأنا أبو علي التَّميمي قال: أنبأنا أبو بكر القَطِيعي قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثنا أبي قال: حدثنا إبراهيم قال: حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبُري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يومئذ تُحَدِّثُ أخبارها﴾ [الزلزلة/ ٤]، فقال: «أتدْرُون ما أخبارها؟ أنْ تشهدَ على كلِّ عبدٍ وأَمَةٍ بما عَمِل على ظهرها، أنْ تقول: عمِل كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهو أخبارها»[3]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

فصل: ومَثِّل في نفسك عِنْد بعض زَلَلِك، كيف يُؤمر بك إلى النّار التي لا طاقَة لمخلُوق بها، وتَصَوَّرْ نفادَ اللذّة وبقاءَ العارِ والعذاب.

١١٦٨ ـ فقد قال الشاعر:

تَفْنَى اللَّذَاذةُ مِمَّن نالَ شهوتَه ... مِنَ الحَرام ويَبْقَى الإثْم والعارُ
تبقَى عواقبُ سوءٍ في مَغبَّتِها ... لا خَيْرَ في لذةٍ مِنْ بعدها النارُ[4]

١١٦٩ ـ أخبرنا هِبة الله بن محمد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا مَعْمر، عن هَمَّام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: «نارُكم هذه ـ ما يُوقد بنو آدم ـ، جزءٌ واحدٌ من سبعِين جزءاً من حَرِّ جهنم». قالوا: والله إن كانت لكافيةً. قال: «إنّها فُضِّلت عليها بتسعة وسِتّين[5] جزءاً كلهنّ مثل حرِّها»[6]: أخرجاه في الصحيحَيْن.

---

(١) كنفه: حفظه ورعايته.

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٥) و (٦٠٧٠)، ومسلم (٢٧٦٨)، وابن ماجه (١٨٣).

(٣) رواه الترمذي (٢٤٢٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. وفي الباب عن أنس وغيره، انظر الدر ٦/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦.

(٤) مغبتها: عاقبتها.

(٥) في المطبوعة: وتسعين.

(٦) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)، والترمذي (٢٥٨٩)، ومالك في الموطأ ٢/ ٩٩٤، والدارمي (٢٨٤٧)، وأحمد في المسند ٢/ ٣١٣، ٤٦٧، ٤٧٨.

١١٧٠ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا ابن السَّراج، قال: أنبأنا ابن الْمُذْهب، قال: أنبأنا ابن حمدان، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الوهاب، قال: حدثنا عَوْف، عن قسامة بن زُهير، قال: خطبنا أبو موسى، فقال: يا أيها الناس، ابكوا، فإنْ لم تبكوا فتَبَاكوا، فإنَّ أهل النّار يَبكون الدّمُوع حتى تنقطِع، ثم يبكون الدماء، حتى لو أُرْسِلت فيها السفن لجرَتْ.

١١٧١ ـ قال أحمد: وحدثنا إبراهيم بن خالد قال: حدثنا رِياح قال: حُدثت عن وَهب بن مُنبِّه أنّه قال: إذا سُيِّرت الجبالُ فسمِعَت حَسِيس[1] النّار وتغيّظها وزَفِيرها وشَهِيقها، صرَخت الجبالُ كما تصرُخ النساء، ثم ترجِع أوائلها على أواخرها يَدُقُّ بعضُها بعضاً.

١١٧٢ ـ أخبرنا عبد الله بن محمد البَيْضاوي قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن النّقور قال: أنبأنا عيسى بن علي قال: حدثنا البَغَوي قال: حدثنا داود بن عَمرو العُتْبي قال: حدثنا أبو الأَحْوَص، عن الأَعْمَش، عن مجاهد، عن عُبيد بن عُمر قال: إنّ أهْوَن أهلِ النار عذاباً رجلٌ له نَعْلان من نار وشِراكان من نار، أضراسه جَمْر، ومسامِعُه جمر، أَشْفار عينيه من لَهِيب النار، تخرجُ أحشاؤه من قدَمَيْه، وسائرهم كالْحَبِّ القَلِيل في الماء الكثير، فهي بهم تَفُور.

١١٧٣ ـ وكان بِشْر الحافي يقول: ما ظنّكم بأقوام وقَفوا بين يدَي الله تعالى مقدار خمسين ألف سنة، لم يأكلوا ولم يشربوا حتى تقطّعت أكبادُهم من العَطَش، وأجوافُهم من الجوع، وأعناقهم من التَّطَاول، ورَجُوا الفرَج، فأمر بهم إلى النار!

فصل: فإن قال قائل: قد عَرَفْتُ صحّة ما ذكرتَ كلّه، وعلمتُ أنْ لا دواء كاليأس، وقد عزمتُ على هَجْر المحبوب بالكلِّية، وقَطَعْتُ طمَعي منه جَزْماً، إلاّ أنني في قلقٍ لا يسكُن، وحُرْقة لا تَخْبُو، ولهيب لا يُطفأ. فهل لذلك علاج؟

فالجواب: إنه إن كان المحبوب مقدُوراً عليه مُباحاً، كجارية يُمكن شراؤها أو امرأة يُمكن أن تُتَزَوّج، فلا دواء لذلك كذلك. فإنَّ خلْقاً كثيراً أَضْناهم العِشق، فلما قَدِروا على المحبوب عاوَدَتهم الصحّة سريعاً، لأنّ النكاح يُزيل العِشق.

١١٧٤ ـ أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك، قال: حدثنا محمد بن المظفر بن بَكْران، قال: حدثنا أحمد بن محمد العَتِيْقي، قال: أنبأنا يوسف بن أحمد بن الدَّخِيل، قال: حدثنا أبو جعفر العُقَيْلي، قال: حدثنا محمد بن خُزَيمة، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف التِّنِّيسِيّ، قال: حدثنا محمد بن مسلم الطائِفي، عن إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «لم يُرَ للمتحابَّين مثل التزوج»[2].

---

(١) حسيس النار: صوتها وحركتها.

(٢) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

١١٧٥ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، وابن أبي عُمر، قالا: أنبأنا علي بن أيوب، قال: أنبأنا أبو علي بن شاذان، قال: حدثنا أبو الفوارس أحمد بن علي محتسب المصِّيصة، قال: حدثنا حيّان بن بشر، قال: حدثنا أحمد بن حَرْب، قال: حدثنا سفيان بن عُيَيْنَة، قال: حدثنا عَمرو بن دينار، عن جابر، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، عندنا يتِيمة، قد خطَبها رجلان مُوسِرٌ ومُعْسِر، هي تَهْوَى المُعْسر، ونحن نَهْوَى المُوسر، فقال رسول الله ﷺ: «لم يُرَ للمتحابين مثل النكاح»[(١)].

١١٧٦ ـ أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المُبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا الجَوْهري، قال: أنبأنا ابن حَيّويه، قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان ـ إجازة ـ، وحدثنا محمد بن حريث عنه، قال: حدثنا داود بن رُشَيد، قال: حدثني الهَيْثم بن عَدِي، قال: عن ابن شُبرمة، قال: كنت أقعد إلى فلانة التّرجمية، وكانت جميلة برزة[(٢)]، فخلا البيتُ يوماً، فقلتُ لها: هل لكِ فيما أحلّ الله عزّ وجلّ وأمر به؟ فقالت: يُعْجِبك؟ قلتُ: نعم، قالت: فلا تُرِدْه، فإنّ الحبّ إذا نُكِح فسد[(٣)].

١١٧٧ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن محمد البُخاري:

وأخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السّراج: قالا: أنبأنا الحسن بن علي الجَوْهري قال: أنبأنا ابن حَيّوَيه قال: حدثنا ابن خلف قال: زَعم ابن دَابٍ أنّ مُعاذ بن كُلَيب كان يعشق ليلى الأَعْلَمِيّة من بني عُقيل، وكان قد أقعَده حبُّها مِن رجلَيْه، فأتاه أخو ليلى بليلى، فلمّا نظَر إليها وكلّمته تحلّل ما كان به، وانصرَف وقد عُوفِي.

فصل: وإن كان حصول المحبوب ممكناً جائزاً في الشَّرْع إلاّ أنه تعسّر، فلْيَلْجأ المُحِبّ إلى الله سبحانه في تسهيله، وليعامله بالصَّبْر على ما نهَى عنه، فربما عجَّل له مُراده.

١١٧٨ ـ أخبرنا المبارك بن علي قال: أنبأنا علي بن محمد بن العَلاَّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي قال: أنبأنا محمد بن جعفر قال: حدثني أخي قال: حدثنا إسماعيل بن الحسن الجَوْهري قال: حدثنا جعفر بن العباس بن الهيثم قال: حدثني محمد بن عبيد الزَّاهد قال: كانت عِندي جارية فبعتُها، فتَتَبَّعَتْها نفسي، فصِرْتُ إلى مولاها مع جَماعة من إخواني، فسألتُه أن يُقِيلَني[(٤)] ويربح عشرين دينارًا، فأبى

---

(١) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) بَرْزة: البَرْزة من فاقَتْ صاحباتها فضلاً وجمالاً وشجاعة ونحو ذلك.

(٣) قلت: لعل هنا خطأً في هذا الأثر، إذ أن المعنى المأخوذ منه مخالف لما يريد المصنِّف الاستدلال له من أن أفضل شيء للمتحابين النكاح، وهنا في هذا الأثر ـ أن النكاح يُفْسِد الحبّ. والله تعالى أعلم.

(٤) يُقِيلني، الإقالة: فسخ العقد.

عليّ، فانصرفتُ من عنده فرُمتُ فِطْري[1] فلم أقدر عليه. فبتُّ ساهراً لا أدري ما أصنع. فخشي أن أعاودَه في غدٍ، فأخرَجَها إلى المدائن. فلمّا رأيتُ ما بي من الجَهد كتبتُ اسمَها في راحتي[2] واستقبلتُ القِبلة. فكلّما طرَقني طارق[3] من ذكرها رفعتُ يدَيّ إلى السماء وقلت: يا سيدي هذه قصّتي. حتى إذا كان في السَّحَر من اليوم الثاني إذا أنا برجلٍ يدق عليَّ الباب. فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: أنا مولى الجارية، فنزلتُ فإذا أنا به، فقال: خذ الجارية بارك الله لك فيها؛ فقلتُ: خذْ دنانيرك والرّبحَ؛ فقال: ما كنت لآخذ منك ديناراً ولا درهماً، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأنّه أتاني آتٍ الليلة في منامي، فقال لي: رُدَّ الجارية على ابنِ عُبَيد، ولك على الله الجنة.

١١٧٩ ـ أنبأنا المبارك بن علي قال: أنبأنا ابن العلاّف قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشْران قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكِندي قال: أنبأنا الخرَائطي قال: حدثنا حماد بن الحَسن قال: حدثنا سيَّار بن حاتم قال: حدثنا جعفر بن سُليمان قال: حدثنا ثابت البُنَاني قال: أخذ عُبيدُ الله بن زياد ابنَ أخي صفوان بن مُحْرِز المازني، فحبَسه، فتحمّل صفوان عليه بالنّاس، فلم يبقَ أحدٌ إلاّ كلمه؛ فلم يرَ لحاجته نُجْحاً. فأتاه آتٍ في منامه، فقال: يا صفوان قم فاطلب حاجَتك من وَجْهِها[4]، فقام وتوضّأ وصَلّى ودعا.

قال: فنبِّه عُبيد الله بن زياد لحاجة صفوان في بعض الليل، فقال: عليّ بابن أخي صفوان. قال: فجاء الحرَس والشُّرَط والنِّيران وفُتِحَت السّجون حتى استُخْرِج. فجيء به إلى عُبيد الله فقال: أنت ابنُ أخي صفوان؟ فقال: نعم. فأَرْسَله. فما شعر صفوان حتى ضَرَب عليه ابنُ أخيه الباب قال: من هذا؟ قال: فلان، نُبِّه الأمير في بعض الليل فجاء الحرَس والشُّرَط، وجيء بالنِّيران، وفُتِحت السجون، فجيء بي إليه فخلَّى عَنِّي بغير كفالة.

١١٨٠ ـ قال الخرائطي: وحدثنا أبو حفص النَّسائي قال: حدثنا أحمد بن أبي الْحَوَاري، قال: حدثنا أبو سلمة الطائي، عن أبي عبد الله النَّبَاجِي، قال: سمعت هاتفاً يهتف: عجباً لمن وَجَد حاجته عند مولاه فأنزلها بالعَبِيد!

فصل: سياق ذِكْر جماعة حصَل لهم مُرادهم مِن تزَوُّج النِّساء المَحْبُوباتِ أو مِلْك الجَواري[5]:

١١٨١ ـ أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا محمد بن الحسن البَاقِلاَّوِي، قال: أنبأنا

---

(١) فرُمْتُ فِطري: أي قَصَدْت طعامي.

(٢) الراحة: باطن الكف.

(٣) أي: أتاني آتٍ من ذِكرها.

(٤) من وَجْهِها: أي من طريقها الصحيح، والمراد: مِن الله تعالى.

(٥) هذا الفصل يستحق أن يُفرد في باب مستقلّ، كما فعل ابن قيم الجوزية في روضة المحبين ص ٣٨١ فما بعدها، وقد ذكر هناك كثيراً من القصص المذكورة هنا بالإضافة إلى قصص أخرى.

القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: حدثنا أبو الفتح محمد بن الحُسين الأَزْدِي، قال: حدثنا الحسن بن علي، قال: حدثنا سُويد بن سَعِيد، قال: حدثنا أبو الأَحْوَص، عن عطاء بن السائب، عن أبي البَخْتَري، قال: كان لعليّ رضي الله عنه جارية، وكان له مُؤَذِّن بالرُّحبة[1] يُؤَذِّن بغَلَس[2]، وكانت الجارية تخرُج تستَعْذِب له الماء منَ الفُرات، فكانت كلّما تمرّ بالمؤذِّن يقول لها: أنا والله يا فلانة أُحِبّك. فلما أكثَرَ عليها شكَتْه إلى عليّ، فقال لها: إذا قال لك أنا والله أحبّك، فقولي له: أنا والله أحبُّك، فماذا؟ فقالت له، فقال: نصبر حتى يَحْكُمَ اللَّهُ وهو خير الحاكِمين. فجاءت إلى عليّ فأخبرته، فقال: اذهبي فائتِني به. فلمّا دخل عليه رحَّب به وأدناه، وقال له: يا فلان في قلبِك من فلانة شيء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فهل علِم بذلك أحد من الناس؟ قال: لا والله. قال: فناشده ثلاثاً، كلّ ذلك يحلِف له. قال: فشأنُك بها فخُذْ بيدها فهي لك، فهذا مِنْ حُكْمِ الله وهو خيرُ الحاكِمين.

١١٨٢ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد قالت: أنبأنا أبو محمد جعفر بن أحمد السرّاج قال: أنبأنا أبو علي محمد بن الحسين الجازِرِيّ ـ إن لم يكن سماعاً فإجازة ـ قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا الْجَرِيْري قال: حدثنا أبو النَّضر العُقَيْلي قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن حَمْدُون النَّدِيم، عن أبي بكر العِجْلي، عن جماعة من مشايخ قريش من أهل المدينة قالوا: كانت عند عبد الله بن جعفر[3] جارية مُغَنِّية يقال لها: عُمارة، وكان يَجِدُ بها وَجْداً شديداً، وكان لها مكان لم يكن لأحدٍ من جواريه، فلمّا وَفَد عبد الله بن جعفر على معاوية خرج بها معه، فزاره يَزيد ذات يوم، فأخرَجها إليه، فلمّا نظر إليها وسمِع غناءَها وقَعَت في نفسه، فأخذه عليها ما لا يمكنه، وجعل لا يمنعه من أن يَبُوح بما يجد بها إلاّ مكان أبيه، مع اليأس من الظَّفَر بها، فلم يزل يُكاتِم الناسَ أمرها إلى أن مات معاوية وأفضَى الأمر إليه.

فاستشار بعضَ مَنْ قَدِم عليه من أهل المدينة وعامَّةَ مَنْ يثِقُ به في أمرِها وكيف الحِيلة فيها، فقيل له إنّ أمْرَ عبد الله بن جعفر لا يُرَام، ومنزلته مِنَ الخاصة والعامة ومنك ما قد

---

(١) الرُّحبة: قرية بحذاء القادسية، على مرحلة من الكوفة، على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكة، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب، لأنها في ضفّة البرّ ليس بعدها عمارة. انظر: معجم البلدان ٣/ ٣٧.

(٢) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القرشي الهاشمي، السيد العالم، وعِداده في صغار الصحابة، استُشْهد أبوه يوم مُؤتة فكفله النبيّ ﷺ ونشأ في حجره. وهو آخر مَن رأى النبيَّ ﷺ وصَحِبه من بني هاشم، له وِفادة على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن، كريماً، جواداً، وكان وافِر الحِشمة، كثير التنعُّم. مات سنة (٨٠) هـ. انظر: السير ٣/ ٤٥٦، الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٨٩، الاستيعاب لابن عبد البر (٨٨٠)، البداية والنهاية ٩/ ٣٣.

عَلِمْت، وأنت لا تَسْتجِيز إكراهَه، وهو لا يَبيعها بشيء أبداً وليس يُغْني في هذا إلاّ الحيلة.

فقال: انظرُوا لي رجلاً عِراقياً له أدَب وظَرْف ومعرفة، فطَلبوه فأتوه به، فلمّا دخل رأى بياناً وحلاوة وفهماً، فقال يزيد: إنّي دعوتك لأمرٍ إنْ ظفَرْتَ به فهو حظّك آخر الدّهر ويَدٌ أُكافِئك عليها إنْ شاء الله. ثم أخبرَه بأمره، فقال له: إنّ عبد الله بن جعفر ليس يُرام ما قِبلَه إلاّ بالخَدِيعة ولن يقدِر أحدٌ على ما سألتَ، فأرجو أن أكونَه، والقوّة بالله فأعِنِّي بالمال. قال: خذ ما أحببت. فأخذ مِنْ طُرَف الشّام وثِياب مصر، واشترَى متاعاً للتجارة من رَقيقٍ ودوابّ وغير ذلك، ثم شَخَص إلى المدينة، فأنَاخ بعَرْصة[1] عبد الله بن جعفر، واكترى[2] منزلاً إلى جانبه ثم توسّل إليه، وقال: رجلٌ من أهل العِراق قدِمْتُ بتجارة وأحبَبْتُ أن أكونَ في جِوارك وكَنَفِك إلى أن أبيع ما جئت به. فبعث عبد الله بن جعفر إلى قَهْرَمانه[3] أنْ أكْرِم الرجل ووسِّع عليه في نُزُله.

فلمّا اطمأن العِراقي سَلّم عليه وعرَّفه نفسَه، وهيأ له بَغْلة فارِهة وثياباً من ثياب العراق وألطافاً، فبعث بها إليه وكتب: يا سيدي إنّي رجلٌ تاجر ونعمة الله عليَّ سَابِغة، وقد بعثتُ إليك بشيء من لُطَف كذا وكذا مِنَ الثياب والعِطْر، وبَعَثْتُ ببغلة خَفيفة العِنان وَطِيئةِ الظَّهر، وأنا أسألك بقرابتك من رسولِ الله ﷺ إلاّ قبلتَ هديّتي ولم تُوحِشْني بِرَدّها، إنّي أَدِين الله تعالى بحبّك وحبّ أهل بيتك، وإنّ أعظم أملي في سَفَري هذا أن أستفيدَ الأُنْسَ بك والتَّحَرُّمَ[4] بمواصلتك. فأمر عبدُ الله بقَبْض هديّته وخرَجَ إلى الصلاة، فلمّا رجع مرَّ بالعِراقي في منزله، فقام إليه وقبّل يده، فرأى أدَباً وظَرْفاً وفصاحةً فأُعْجِب به وسُرَّ بنُزوله عليه.

فجعل العراقي في كلّ يوم يبعث إلى عبد الله بِلُطَفٍ تُطْرِفُه، فقال عبد الله: جزَى الله ضيفَنا هذا خيراً، قد ملأنا شُكراً، وما نَقْدِر على مكافأته.

فإنّه لكذلك إلى أن دعَاه عبدُ الله ودعا بعُمارة في جواريه، فلمّا طاب لهما المجلس وسمِع غناء عُمارة تَعجّب وجعل يزيد في عجبه، فلمّا رأى ذلك عبد الله سُرَّ به، إلى أن قال: هل رأيت مثل عُمارة؟ قال: لا والله يا سيدي، ما رأيت مثلَها، وما تصلُح إلاّ لك، وما ظننت أن يكون في الدنيا مثل هذه الجارية حُسْنَ وجهٍ وحُسْنَ عَمَل. قال: فكم تُساوي عندَك؟ قال: ما لها ثمنٌ إلاّ الخِلافة. قال: تقول هذا لتُزيِّن لي رأيي فيها وتَجْتَلِب سروري؟ قال له: يا سيّدي إنّي لأُحِبّ سرورك، وما قلت لك إلاّ الجد، وبعد، فإنّي تاجر أجمع

---

(١) العرصة: الساحة.
(٢) اكترى: استأجر.
(٣) القهرمان: القائم بالأعمال، أو الوكيل.
(٤) تحرّم: عاشره وتأكّدت الحرمة بينهما.

الدِّرْهم إلى الدرهم طلباً للربْح، ولو أعطيتَنِيها بعشرة آلاف دينار لأخذتها. فقال له عبد الله: عشرة آلاف! قال: نعم - ولم يكن في ذلك الزمان جارية تُعْرَف بهذا الثمن -. فقال له عبد الله: أنا أبيعُكها بعشرة آلاف دينار. قال: قد أخذتُها. قال: هي لك، قال: قد وَجَبَ البيع، وانصرَف العِراقي.

فلمّا أصبح عبدُ الله لم يشعر إلاّ بالمال قد وافَى به. فقيل لعبد الله: قد بعَث العراقيّ بعشرة آلاف دينار، وقال: هذا ثمن عُمارة. فردّها وكتَب إليه: إنّما كنت أمزَحُ معك، وممّا أُعْلِمك أنَّ مِثلي لا يَبيع مثلَها. فقال له: جُعِلْتُ فداك! إنّ الجدَّ والهَزْل في البيع سواء. فقال له عبد الله: وَيْحَكَ! ما أعلمُ جاريةً تُساوي ما بذَلْتَ، ولو كنتُ بائعها من أحد لآثرتك، ولكنّي كنت مازحاً، وما أبيعها بمِلْك الدّنيا، لِحُرْمَتِها بي ومَوْضِعها من قلبي. فقال العراقي: إن كنتَ مازحاً فإنّي كنتُ جادّاً، وما اطَّلَعْتُ على ما في نفسِك، وقد ملكتُ الجارية وبعَثْتُ إليك بثمنها، وليست تَحِلُّ لك، وما لي مِنْ أَخْذِها بُدٌّ.

فمانَعَهُ إياها، فقال له: ليست لي بَيِّنَة ولكنّي أستحلِفُك عند قبرِ رسول الله ﷺ ومِنْبَرِه.

فلما رأى عبدُ الله الجدّ، قال: بِئْس الضيفُ أنت! ما طرَقنا طارق، ولا نزل بنا نازل أعظم بليّة منك، أتُحَلِّفني، فيقول الناس: اضطهد عبدُ الله ضيفَه وقهَره، فألجأه إلى أنِ استحلَفَه! أما والله ليعلمَنّ اللّهُ عزّ وجلّ أنّي سائله في هذا الأمر الصَّبْرَ وحُسْنَ العزائم.

ثم أمر قَهْرَمانه بقَبْض المالِ فيه وتجهيز الجارية بما يُشبهها من الخدَم و الثِّياب والطِّيب. فجُهِّزت بنحوٍ من ثلاثة آلاف دِينار، وقال: هذا لك، ولَك عوضها مما أَلْطَفْتِنا، والله المستعان.

فقبض العراقيُّ الجارية وخرَج بها، فلما بَرز من المدينة قال لها: يا عُمارة، إنّي والله ما ملَكْتُكِ قط، ولا أنتِ لي، ولا مِثلي يَشتري جارية بعشرة آلاف دِينار، وما كنتُ لأقدم على ابن عمّ رسول الله ﷺ فأسلُبَه أحبَّ الناس إليه لنفسِي، ولكنّي دَسِيسٌ من يَزيد بن معاوية وفي طلبكِ بعثَ بي، فاستَتِري منّي، وإنْ داخَلَني الشيطان أو تاقَتْ نفسي إليك فامتَنِعي.

ثم مضَى بها، حتى وردَ دمشق، فتلقَّاه الناس بجِنازة يزيد، وقد استخلف ابنَه معاويةَ بنَ يزيد، فأقام الرجل أياماً، ثم تلطّف للدخول عليه، فشرَح له القصة.

ويُرْوَى أنه لم يكن أحد من بني أمية يَعْدِل عَدْل معاوية بن يزيد في زمانه بُتْلاً[1] ونُسْكاً، فلمّا أخبره قال: هي لك، وكلّ ما دفَعه إليك من أمرها فهو لك، وارحل من يومك، ولا أسمع بخبرِك في شيء من بلاد الشام.

---

(١) بُتْلاً: أي تَبَتُّلاً، وهو الانقطاع عن الدنيا لله عزّ وجلّ.

فرَحل العراقي، ثم قال للجارية: إنّي قلتُ لك ما قلتُ حين خرجتُ بك من المدينة، فأخبرتُك أنك ليَزيد وقد صِرْت لي، وأنا أُشْهِد الله إنّك لعبدِ الله بن جعفر، وأنّي قد رَدَدْتُك عليه، فاستَتِري منّي. ثم خرَج بها حتى قدم المدينة، فنزل قريباً من عبد الله، فدخل عليه بعض حَرَمه، فقال له: هذا العِراقي ضيفك الذي صنَع ما صنع، وقد نزل العَرْصة لا حيَّاه الله: فقال عبد الله: مه[1]، أنْزلوا الرَّجُل وأكرموه.

فلمّا استقرّ بعثَ إلى عبد الله: جُعِلْتُ فِداك، إنْ رأيتَ أنْ تأذَنَ لي أُذْنَة خَفِيفة لأُشافِهك بشيءٍ فعلتُ. فأذِن له، فلمّا دخَل عليه سلّم عليه وقَبّل يده، وقرّبه عبدُ الله، ثم اقتصَّ عليه القِصّة حتى فرَغ. قال: واللّهِ قد وهبتُها لكَ قبل أن أراها أو أضعَ يدي عليها، فهي لك، ومردودةٌ عليك، وقد عَلِم اللّهُ تعالى أنّي ما رأيتُ لها وجهاً إلاّ عندك.

وبعثَ إليها، فجاءَت، وجاء بما جَهّزها به مُوَفَّراً، فلمّا نظرَتْ إلى عبد الله خرَّت مَغْشِياً عليها، فأهوَى إليها عبد الله، فضمّها إليه، وخرَج العراقي، وتصايح أهل الدّار: عُمارة، عُمارة. فجعَل عبد الله يقولُ ودموعه تَجْرِي: أَحُلْمٌ هذا! أَحَقٌّ هذا، ما أُصَدِّق بهذا! فقال له العراقي: جُعِلْتُ فداك، رَدَّها عليك إيثارُك الوَفاء، وصَبْرُك على الحقِّ وانقيادُك له. فقال عبد الله: الحمدُ لله، اللهمّ إنك تعلم أنّي تَصَبَّرْت عنها، وآثرتُ الوفاء، وأسلمتُ لأمرِك، فرَدَدْتها علي بمنِّكَ، فلك الحمد.

ثم قال: يا أخا العِراق ما في الأرض أعظم مِنَّة منك، وسيُجازيك الله تعالى.

وأقام العراقي أياماً، وباع عبدُ الله غنماً بثلاثة عشر ألف دينار، وقال لقَهْرَمانه احملها إليه، وقال له: اعذِرْ، واعلَم أنّي لو وَصَلْتُك بكلّ ما أملك لرأيتُك أهلاً لأكثَر منه. وقَفَل العراقي محموداً وافِرَ العَرَض[2] والمال.

١١٨٣ ـ وروى مُصْعَب الزُّبيري، عن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن أبي مُليكة، عن أبيه، عن جدّه، قال: دخلَ عبُد الله بن أبي عَمَّار ـ وهو يومئذ فقيه أهل الحجاز ـ على نخّاس[3]، فَعَلِق فتاة فاشتهرَ بذِكْرها، حتى مشَى إليه عطاء وطاووس ومُجاهد يَعْذِلُونه، فكان جوابُه:

يلـومُنِـي فيـكِ أقـوامٌ أجـالِسُهـمْ فمـا أُبـالـي أطـارَ اللـوْمُ أم وَقَعَـا

فانتهَى خبرُه إلى عبد الله بن جعفر، فلم يكن له هِمّة غيرُه، فحجّ فبعَث إلى مولى

---

(١) مَه: اسكُت.
(٢) العَرَض: المتاع.
(٣) النخّاس: بائع الرَّقِيق والعبيد.

الجارية، فاشتراها منه بأربعين ألفاً، وأمَر قَيِّمَة[1] جواريه أن تُزَيِّنها وتُجَلِّيها[2]، ففعَلَتْ وبلغ الناسَ قُدومه، فدَخلوا عليه، فقال: ما لي لا أرى ابن أبي عمّار زائِرَنا؟ فأُخْبِر الشيخُ فأتاه. فلما أراد أن ينهضَ استَجْلسه، فقعَد، فقال له ابن جعفر: ما فعل حبّ فلانة؟ فقال: سِيط[3] به لَحْمِي، ودَمِي، وعَصَبي، ومُخّي، وعظامي! قال: فتَعْرفها إن رأيتَها؟ قال: وأعرف غيرها، قال: فإنّي قد اشتريتها، ووالله ما نظرتُ إليها.

وأمرَ بها، فأُخْرِجَت فزُفّت في الحُلَى والحُلَل، فقال: أهي هذه؟ قال: نعم بأبي أنتَ وأمي. قال: فخُذ بيدها، فقد جعلها الله لك، أرَضِيت؟ قال: إي والله، بأبي أنت وأمي، وفوق الرِّضا. فقال له ابن جعفر: ولكنّي والله لا أرضَى أن أعطيكها صُفْراً، احمِل معه يا غلام مائة ألف درهم كَيْلا يهتمّ بمؤونتها. قال: فراح بها وبالمال[4].

١١٨٤ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا طلحة بن محمد العَاقُوْلي، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن بَطَّة، قال: حدثنا أبو بكر بن دُرَيد، قال: حدثنا أبو عثمان المازِني، عن أبي عُبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى، قال: كان بالحِجاز رجلٌ له ابنةٌ جَميلة، فهَوِيها ابنُ عمّ لها، فبذَل لأبيها أربعةَ آلاف دِرْهم، فأبَى أن يزوِّجَها منه.

فأجْدبت الجارية وانقرَض مالُ الرجل، فتحوّل أبو الجارية بأهلِه مِنَ الشام، فكَثُر خُطَّابُها، فبلغ ذلك ابنَ عمّها، فصار إلى أبيها، فشكَى إليه، فقال له: قد كنتَ بذَلْت أربعةَ آلاف درهم، فأعْطِيناها، فهي أحبّ إلينا من قرابتك. قال: أَجِّلني شهراً. ولم يكن للأعرابي إلاّ ناقة، فركِبها ولَحِق بعبد الملك بن مروان، فأُصِيب بناقته، فحمل الحِلْسَ والقَتَب[5] على عُنقه، ودخل على عبدِ الملك بن مروان فلمّا وضَع الحِلْس والقَتَب بَيْن يديه أنشأ يقول:

مـاذا يقـولُ أميـر المـؤمنيـن لمـن ... أدلَـى إليـه بـلا قُـرْبٍ وَلا نَسَـبِ
مُـدَلَّـهٌ عقلُـه مِـنْ حُـبِّ جـاريـةٍ ... مـوصُـوفـة بكمـال الـدَّلِّ والأَدَبِ[6]
خطَبْتُهـا إذ رأيـتُ النـاس قـد لَهجُـوا ... بـذِكْـرهـا والهـوَى يـدعُـو إلـى العطَـبِ
فقلـتُ: لـي حسَـبٌ عـالٍ ولـي شـرفٌ ... قالوا: الدراهمُ خيرٌ مِنْ ذَوِي الحَسَبِ
إنّـا نـريـد ألـوفـاً منـك أربعـةً ... ولسـتُ أملِـك غيـر الحِلْـسِ والقَتَـبِ

---

(١) قيِّمة الجواري: القائمة على مصالحهم.
(٢) تصقلها وتُنظفها وتجمّلها وتكحلها.
(٣) سِيط: اختلط ومُزج.
(٤) هذه القصة ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٦١.
(٥) الحِلْس: كل ما يوضع على ظهر الدّابة تحت السَّرْج. القَتَب: الرَّحل.
(٦) المُدَلّه: الساهي القلب، الذاهب العقل من العشق ونحوه.

فـالنفسُ تعجـبُ لَمَّـا رُمْـتُ خِطبتهـا ... مِنّـي ويضحَـكُ إفـلاسِـي مـنَ العَجَـبِ
لـو كنـتُ أملِـك مـالاً أو أُحِيـطُ بـه ... أعطيتُهـم ألـف قِنْطـارٍ مـنَ الـذَّهـبِ
فـامنُـنْ علـيَّ أميـرَ المـؤمنيـن بهـا ... واجمَـعْ بهـا شَمْـلَ هـذا البائِس العَزَبِ
فمـــا وراءك بعـــدَ الله مُطَّلـــبٌ ... أنـت الـرَّجـاءُ ومنِّـي غـايـةُ الطَّلَـبِ

فضحِك عبد الملك، وأمر له بأربعة آلاف، قال: أُصْدُقْها[1] هذه، وأربعة آلاف قال: أَوْلِم بهذه، وأربعة آلاف قال: اقْتَنِ هذه. فأخذَها الفتَى ورجع إلى الشيخ، فزوَّجه ابنته.

١١٨٥ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا محفوظ بن أحمد قال: أنبأنا أبو علي محمد بن الحُسين الجازِري قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا قال: حدثنا محمد بن الحَسن بن دُرَيد قال: أنبأنا العباس بن الفرَج الرِّيَاشِيُّ قال: أنبأنا محمد بن سَلَّام قال: كان بالمدِينة فتى من بني أمية مِنْ ولد سَعِيد بن عثمان بن عفان، وكان يختلف إلى قَيْنة لبعض قريش، وكان طرِيراً[2] ظريفاً، وكانتِ الجاريةُ تحبّه ولا يعلم بحبّها، ويُحبّها ولا تعلم.

فأراد يوماً أن يَبْلو ذلك منها، فقال لبعض إخوانه: امضِ بنا إلى فُلانة، فانطلَقا، فدخلا إليها، فلما جلَست مَجْلِسها واحتجزَت بمِزْهَرِها قال الأُمَوِي: تُغَنِّين:

أحبّكُـم حبّـاً بكـلِّ جَـوارحـي ... فهـل لكُـم عِلـمٌ بمـا لكُـمْ عِنـدِي
وتُجـزَون بـالـوُدِّ المُضَـاعَـفِ مثلَـه ... فـإنّ الكـريـمَ مَـن جـزَى الـوُدَّ بـالـوُدِّ

قالت: نعم وأحسَن منه، وغنّت:

لِلَّـذِي وَدَّنَـا المَـوَدّةُ بـالضّعـ ... ـف وفضـلُ البـادِي بـه لا يُجَـازَى
لـو بَـدَا مـا بِنَـا لكُـمْ مـلأ الأر ... ضَ وأَقْطَـارَ شـامِهـا والحِجـازَا

فعجب القومُ مِنْ سُرْعَتِه مع شُغل قلبِه، ومِنْ ذهنها وحُسْن جوابها، فازدَاد كَلَفاً، وصرّح عما في قلبه، فقال:

أنـتِ عُـذْرُ الفتـى إذا هُتِـك السِّتـ ... ـرُ وإن كـان يُـوسـفَ المَعصُـومَـا
مـن يَلُـمْ فـي هَـواكِ يُقَصِّـرْ عـن اللـو ... م وإمّـا رآك كـان المَلُـومـا

وبلغ عُمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة خبرَها، فاشتراها بعشْر حدائق، ووهبَها له، وما يُصْلِحُها، فمكثَتْ عنده حَوْلاً ثم ماتت، فرثاها فقال:

قـد تمنيـتُ جَنّـةَ الْخُلْـدِ بـالجهـ ... ـدِ وأُدْخِلْتُهَـا بـلا اسْتِهـالِ

---

(١) أُصْدُقها: أي اجعلها صَداقها ومَهْرَها.
(٢) طَرِيراً: الطّار والطّرير: الغُلام طرّ شاربه، أي طلع.

ثم أُخرِجْتُ أن تطعَّمتُ بالنعمـ ـةِ منها والموتُ أحمدُ حالِ

فكرر هذا الشعر مِراراً، وقضى، فدُفنا معاً.

١١٨٦ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أبو محمد الجَوْهري، قال: حدثنا ابن حَيّويه، قال: حدثنا أبو بكر بن المَرْزُبان، قال: أخبرني أبو محمد التَّمِيمي، قال: أخبرني محمد بن عَمرو المؤدِّب، عن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم المَكِّي، قال: حدثني مُطَرِّف بن عبد الله: أنه كان بالمدينة جارية قد قرأتِ القرآن ورَوَتِ الأشعار، وكانت أحسن الناس وجْهاً، وكان الأَحْوَص وعبدُ الرحمن بن حَسّان(١) يختلفانِ إليها يُطارِحانها الشِّعر، فعَلِقاها، وعَلِقَت هي عبدَ الرحمٰن. فكانت إذا حَدَّثت أقبلَتْ بحدِيثها على عبد الرحمن، وإذا حَدَّث أنصتَتْ له، فغاظَ ذلك الأَحْوصُ، فقال: والله لأُعَرِّضَنَّ لها ببيتٍ مِنْ شِعْر، فقال:

أرى الإقبالَ منك على خَليلي وما لي في حَدِيثكِ من نَصيب

فقالت الجارية تجيبه:

لأنَّ اللَّهَ علَّقَه فُؤادي فأضحَى الحبَّ دونكَ والحبيب

فقال عبد الرحمٰن:

خليلي لا تَلُمْها في هواها أَلَذُّ العيشِ ما تهوَى القلوب

فقال الأحوص: والله لأجْهَدَنّ أن أفرِّق بينكما. فخرَج إلى يزيد بن عبد الملك وامتدَحَه، فأجازه وأحسن صِلَته، فقال: يا أمير المؤمنين نَصيحة، قال: وما هي؟ قال: جارية خَلّفتُها بالمدينة جَميلة، قد قرأتِ القرآن، ورَوَتِ الأشعارَ، وما تصلُح إلاَّ لِمُسامَرَة أمير المؤمنين. قال: وَيْحك صِفها في أبيات شِعْر، فقال:

كَمُلَتْ في الجمال والحُسْنِ والملـ ـح وتَمّت في عَقْلها والعفافِ
غَضةٌ بَضَّةٌ فتاةٌ كعوبٌ هَضمةُ الكَشْح وَغْثَةُ الأرداف(٢)
هي شمسُ النهار في الحُسْن إلاّ أنها فُضِّلت بعِطْف الظِّرافِ

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن حسّان بن ثابت الأنصاري المدني الشاعر، وأبوه شاعر النبيّ ﷺ والمُدافع عنه، وأمّه هي سيرين خالة إبراهيم ابن النبيّ ﷺ قيل: وُلد في حياة النبي ﷺ وعاش نيّفاً وتسعين سنة، توفي سنة (١٠٤) هـ. انظر: السير ٥/ ٦٤ ـ ٦٥، الإصابة ترجمة (٦١٩٩)، وتهذيب التهذيب ٦/ ١٦٢.

(٢) الغَضّة: الناعمة. بضّة: رقيقة الجلد ناعمة مع سِمَن. كَعُوب: قد نهد وبرز ثدييْها. الهضمة: خمصاء البطن. الكشح: ما بين السرّة والظهر. وَغْثَة الأرداف: غليظة الأعجاز.

ولهـــــا منظـــــرٌ ودَلٌّ شهـــــيٌّ وحـــديـــثٌ مُـــرَتَّـــلٌ غيـــرُ جـــافِـــي
خُلِقَـــتْ فـــوق مُنْيَـــةِ المُتَمَنِّـــي فـــاقْبَـــلِ النُّصْـــحَ يـــا ابْـــنَ عبـــد منـــافِ

قال: قد قبِلت، فبعث فاشتراها بمائة ألف درهم، فلمّا صارت إلى الشام خرَج الأحوصُ من الشام حتى قدم المدينة، فمرَّ بعبد الرحمٰن بن حسّان وهو جالس بفناء داره يخطّ الأرض، فوقف عليه فأنشأ يقول:

يـــا مبتلًـــى بـــالحـــبّ مَفْـــدُوحـــاً لاقَـــى مـــنَ الحـــبّ التَّبَـــاريحَـــا[1]
ألْجَمَـــــه الحـــــبُّ فمـــــا يَنْثَنِـــــي إلاّ بفـــــاسِ الحـــــبِّ مَكْبُـــــوحـــــاً
وصـــــار مـــــا يُعجبـــــه مُغْلَقـــــاً عنـــــه ومـــــا يكـــــرَهُ مَفْتُـــــوحَـــــا
قـــد حـــازَهـــا مَـــن أصبحَـــتْ عنـــده ينـــالُ منهـــا الشَّـــمَّ والـــرِّيحَـــا
خليفَـــــةُ الله فسَـــــلِّ الهـــــوَى وعَـــزِّ قلْبـــاً منـــك مَجْـــروحَـــا

فرفع عبد الرحمن رأسه إليه وهو يقول:

لا صبـــرَ لـــي عـــن شـــادِنٍ طَـــرْفُـــه يُـــورِث بـــاللَّحـــظ التبـــاريحَـــا[2]
لـــو تَخْلُـــص الـــرِّيـــح إلـــى جِسْمـــه ظـــلَّ لِمَـــسِّ الـــرِّيـــح مجـــروحَـــا
لا حـــظَّ لـــي منـــه ســـوَى أنّنـــي مِـــن نَحْـــوِه أستنشـــقُ الـــرِّيحَـــا
وكلّمـــــا اسْتَنْشَقْتُهـــــا مـــــرَّةً عـــدَدْتُهـــا غُنْمـــاً ومَفْـــروحَـــا[3]

ووافق ذلك خروجَ غلام من بني أميّة إلى يزيد بن عبد الملك فقال لعبد الرحمن بن حسان: ألك حاجة؟ قال: نعم، هذا الكتاب تلطّفْ في إيصاله إليها. وكتَب إليها يُعْلِمُها ما جرَى بينه وبين الأحوص منَ الشِّعر وشماتَتِه به، فكتبت الجارية إليه:

يـــا مُشتكِـــي الحُـــبّ ولَـــوْعـــاتـــه أصبَـــح قلبـــي مِنْـــكَ مقـــروحَـــا
مـــا قَـــرَّتِ العيـــنُ بمـــا نِلْتُـــه ولا عَـــدَدْتُ المِلْـــكَ مَفْـــروحَـــا
شَـــوْقـــاً إلـــى وجهِـــك ذاك الـــذي لـــم يُبْـــقِ لـــي فـــي يـــدِي رُوحَـــا

فلما قرأ كتابها استفزّه ذلك حتى خرج إلى الشام، فامتدَحه فأحسن صِلته وجائزته، ثم مكث أياماً. وعلِمت الجارية بقدُومه، فجعلَت توجِّه إليه تستخبِر خبَره، وكان الذي يختلف إليه خادمٌ لها، فقالت له يوماً: احْتَلْ في أن تُدخِلَه. فأتى يَزيدَ فأعلَمَه بالليلة التي يَدْخل فيها، فجلَس يزيد في موضعٍ يراهم ولا يَرَوْنه ويسمع كلامَهم، فلمّا دخل قامَت إليه فأخذَت

---

(١) مَفْدُوحاً: مُثقلاً. تباريح الشوق: توهُّجه.
(٢) الشادِن: ولد الظبية.
(٣) مفروحاً: أمراً يُفرح به.

بيده، ثم جلَست ناحية يتحدثان ويَبْكيان إلى أن طلعَ الفجر، فقام لينصرف، فأنشأت تقول:

مَن كـان أَضْحَى سَلاً بـاليأس عـن سَكَـنٍ ... فـإنّنـي عَنْـكَ مـا أَمْسيـتُ بـالسَّـالِـي

واللَّـهِ واللَّـهِ لا أنسـاك يـا سَكَنـي ... حتـى تفـارِقَ مِنِّـي الـروحُ أَوْصَـالِـي

فأجابها:

أضحى المُحِبّون بعد الوَصْل قد يَئِسوا ... وقـد يَئِسْـتُ ومـا أَسْلُـو علـى حـالِ

قال: فلما أصبح يزيد بعَث إليه وبعَث إليها، وأَقْبَل عليهما فقال: حَدِّثاني ما كان بينكما في هذه الليلة، فقد خَبَّرَني بعضُ من حضَر مجلسكما، فأخبراه بما كان. فأقبل على عبد الرحمن، فقال: أتحبّها؟ قال: إي والله يا أمير المؤمنين، حُبّاً تالِداً غيرَ طارِفٍ ولا مُسْتَأنَف[1]. فأقبلَ عليها، فقال: أَتُحِبِّينه؟ قالت: إي والله يا أمير المؤمنين، حُبّاً قد خَرَق شِغافَ قلبي. فقال: خُذْ بيدها. ثم قال: مكانك، إنّها لا تنفعك بغيرِ ما يُصلِحَكما فأمر له بمائة ألف درهم. فقدِم بها المدينة.

١١٨٧ ـ وروى أبو بكر بن دُريد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأَصْمَعي، عن عمّه، قال: حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة أخِيه سُليمان، فعُرِضَت عليه جارية مغنِّية جميلة، فأُعْجِب بها غاية الإعجاب، فاشتراها بأربعة آلاف دينار، وكان اسمها: العَالِية، فسمّاها حُبَابة، وكان يهواها الحارث بن خالد المخزومي، فقال لما بلغه خروجُ يزيد بها:

ظَعَـنَ الأميـرُ بـأحسَـنِ الْخَلْـقِ ... وغـدَا بِلُبِّـك مَطْلَـعَ الشَّـرْقِ

وبلغ سليمانُ خبرَها، فقال: لَهَمَمْتُ أن أَحْجِر على يزيد، يَبْتاع جارية بأربعة آلاف دينار! وكان يَزيدُ يَهَابه ويتَّقِيه، فتأدَّى إليه قوله، فردّها على مولاها واسترجَع منه المال، وباعها مولاها من رجل من أهل مصر بهذا الثّمن، ومكث يزيدُ آسِفاً متحسِّراً عليها.

فلم تمضِ إلاّ مُدَيدة حتى تقلَّد يزيدُ الأمرَ، فبينا هو في بعض الأيام مع امرأته سُعْدة بنت عَمرو بن عثمان، إذ قالت له: بقي في نفسك شيء من أمور الدنيا لم تَنَلْه؟ قال: نعم، حُبابة. فأمسكَتْ حتى إذا كان مِنَ الغد أرسَلَت بعضَ ثِقاتها إلى مصر، ودَفَعت إليه مالاً وأَمَرَتْه بابتياع حَبابة، فمضَى، فما كان بأسرع من أن وَرَد وهي معه قد اشتراها.

فأمرت سُعْدة قَيِّمَة جَواريها أنْ تَصْنَعها، وكسَتْها من أحسن الثِّياب وصاغَت لها أفخر الحُلِيّ، وقالت لها: أميرُ المؤمنين متحسِّر عليك وله اشتريتُك، فسُرَّت ودَعَتْ لها.

فلبثت أياماً تصنعها تلك القَيِّمة، حتى إذا ذهب عنها وَعْثُ السَّفَر، قالت سُعدة ليزيد:

---

(١) تالِداً غير طارِف: أي قديماً غير جديد. ومستأنف: مستَحْدَث.

إنّي أحبّ أن تمضي معي إلى بُستانك بالغُوطة لتتنزّه فيه. قال: أَفعل، فتقَدَّميني إليه.

فمضت، وضربت قُبّةَ وَشْيٍ[1] ونَجَّدَتها بالفرش، وجعَلت داخلها كِلّة[2] قَصَب، وأجلست فيها حَبَابة. وجاء يزيد، فأكلوا وجلَسوا على شرابهم، فأعادت سُعدة عليه: هل بقِي في نفسك من الدنيا شيء لم تبلغه؟ قال: نعم، حُبَابة. قالت: فإنّي قد اشتريتُ جارية ذكرَت أنّها عَلَّمَتْها غناءَها كلَّه، فهي تُغَنِّي مثلها فتنشط لاستماعها؟ قال: إي والله. فجاءت به إلى القُبّة، وجلَسا قُدّامها، وقالت: غَنِّي يا جارية، فغنَّت الصوتَ الذي غنته ليزيد لمّا اشتراها، وهو من شعر كُثيِّر:

وبيـــنَ التـــراقِـــي والفـــؤادِ حَـــرارةٌ مكـــان الشَّجـــا لا تستقـــلُّ فتبْـــرُدُ[3]

فقال يزيد: حُبَابة والله! فقالت سُعدة: حُبابة والله، لكَ اشتريتُها وقد أهديتُها لك.

فسُرَّ سروراً عظيماً، وشكرها غاية الشُّكر، وانصرَفَت وتركَتْه مع حُبابة في البستان.

فلما كان بالعَشِي صعد معها إلى مستشرَف في البستان، وقال لها: غنّي: وبين التراقي والفؤاد حرارةٌ. فغنّتْه، فأهوَى ليرْمِي بنفسه، وقال: أطيرُ والله! فتعلَّقت به، وقالت: اللَّهَ اللَّهَ يا أمير المؤمنين. وأقام معها ثلاثة أيام في البستان، ثم انصرَفا، وأقامَت أياماً ثم مَرِضَت وماتت، فحزِن عليها حُزناً شديداً، وامتنع عن الطعام والشراب، ومَرِض ومات[4].

١١٨٨ ـ أنبأنا هِبة الله بن أحمد الحَريري قال: أنبأنا محمد بن علي بن الفتح العُشَاري قال: أنبأنا أبو الحُسين ابن أخي مِيمي قال: حدثنا جعفر الْخُلْدي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: حدثنا محمد بن الحُسين البُرْجُلاني قال: حدثني أشْرَس بن النعمان قال: حدثني الْجَزَري قال: حدثني موسى بن عَلْقمة المَكِّي قال: كان عندنا ها هنا نَخَّاس، وكانت له جارية، وكان يُوصف من جمالها وكمالها أمرٌ عَجيب، وكان يُخرجها أيام الموسم، وكان يُبْذَل له فيها الرَّغائب فيمتَنِع عن بيعها، ويطلب الزيادة في ثمنها. فما زال بذلك حِيناً، وتَسامع بها أهل الأمصار، فكانوا يحجّون عَمْداً للنّظر إليها.

قال: وكان عندنا فتى من النسّاك قد نزَع إلينا من بلَدِهِ، وكان مجاوراً عندنا، فرأى الجارية يوماً في أيامِ العَرْض لها، فوقعت في نفسِه، وكان يجيء طول أيام العَرْض ينظر إليها

---

(١) قبة وَشْي: أي مزيّنة محسّنة بالألوان.
(٢) الكِلّة: السِّتر الرقيق.
(٣) التراقي: جمع تَرقُوَة، وهي العَظْمة التي بين ثُغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر. الشجا: ما اعترض في الحَلْق من عَظْم ونحوه.
(٤) انظر رقم(١٠٩٣).

ويَنْصَرِف، فلمّا حُجِبت أحزَنه ذلك وأمرضه مرَضاً شديداً، وجعل يَذُوب جسمه وينحل، واعتزل الناس، فكان يُقاسي البلاءَ طول سنته إلى أيام المَوْسم، فإذا خَرَجت الجارية إلى العَرْض خرَج فنظر إليها فسكن ما به، حتى تُحجب. فبقي على ذلك سِنين يَنْحل ويَذُوب، ولم أزل به وألحّ عليه، إلى أنْ حدثني بحدِيثه وما يُقاسيه، وسأل أن لا أُذيع عليه ذلك، ولا يَسمع به أحد.

فرحمته لِما يُقاسي وما صار إليه، فدخلتُ إلى مولى الجارية ولم أَزَل أُحادِثه إلى أن خَرَجْتُ إليه بحديث الفتى وما يُقاسي، وما صار إليه، وأنه صار على حالة الموت. فقال: قُم بنا إليه حتى أشاهدَه، وأَنْظُرَ حاله. فقُمْنا جميعاً، ودخلْنا عليه، فلما دخل مولى الجارية ورآه وشاهد ما هو عليه لم يتمالك أنْ رَجَع إلى داره، فأخرَج ثياباً حسَنة سَرِيّة، وقال: أصلِحوا فُلانة، ولَبّسوها هذه الثياب، واصنَعوا ما تصنعون بها أيام المَوْسِم، ففَعلوا بها ذلك؛ فأخذ بيدها وأخرجها إلى السوق، ونادى في الناس فاجْتَمعوا، فقال: معاشر النّاس، اشهدوا أنّي قد وَهَبْتُ جاريتي فلانة لهذا، وما عليها، ابتغاءَ ما عند الله. ثم قال للفتَى: تَسلَّم هذه الجارية فهي هَدِيّة مِنّي إليك بما عليها. فجعل الناس يَعْذِلونه ويقولون: وَيْحَك، ما صنعت، قد بُذِل لك فيها الرَّغائب[1] فلم تَبِعْها، ووهبتَها لهذا! فقال: إليكم عنّي، فإنّي أَحيَيْت كلّ مَن على وجه الأرض. قال الله تعالى: ﴿ومَن أحياها فكأنما أحيا الناسَ جميعاً﴾ [المائدة/ ٣٢].

١١٨٩ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القَزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أحمد بن عُمَر بن رَوْح النَّهْرَواني، قال: أنبأنا المُعافى بن زكريا الْجَرِيري، قال: أنبأنا محمد بن أبي الأزْهر، قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق المَوْصِلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني بِشر بن الوليد، قال: كنت عند أبي يوسف القاضي[2]، فحَدّثني قال: بينا أنا البارحة قد أَوَيتُ إلى فراشِي، فإذا داقٌّ يَدُقّ البابَ دقّاً شديداً، فأخذتُ عليَّ إزاري وخرجتُ، فإذا هَرْثمة بن أعْيَن، فسلّمْتُ عليه، فقال: أَجِبْ أمير المؤمنين، فقلتُ: يا أبا حاتم لي بك حُرْمة، وهذا وقتٌ كما ترى، ولَسْتُ آمن أن يكون أمير المؤمنين دَعاني لأمر من الأمور، فإنْ أمكنك أن تدفَعَ بذلك إلى الغَد، فلعلّه أن يَحْدُث له رأي. فقال: ما لي إلى ذلك سبيل. قلت: كيف كان السَّبب؟ قال: خرَج إليَّ مسرورٌ الخادمُ، فأمَرني أنْ آتي بك أميرَ المؤمنين.

---

(١) الرغائب: جمع رَغِيبة، وهي الأمر المرغوب فيه والعطاء الكثير.

(٢) هو القاضي الإمام المجتهد، قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي تلميذ أبي حنيفة وصاحبه. ولد سنة (١١٣) هـ، تعاهده أبو حنيفة إلى أن حفظ التفسير والمغازي وأيام العرب والفقه وغلومه وغير ذلك، توفي سنة (١٨٢) هـ. انظر: السير ٨/ ٥٣٥، تاريخ بغداد ١٤/ ٢٤٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٢، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٩٧.

فقلت: تأذَن لي أنْ أصبَّ عليَّ ماءً وأتَحنَّط[1]، فإن كان أمرٌ مِنَ الأمور كنت قد أحكمت شأني، وإن رزَق اللّهُ العافية فلن يضرّ. فأذِن لي.

فدخلتُ فلبسْت ثياباً جُدُداً وتَطَيَّبْتُ بما أمكن من الطِّيب، ثم خرجنا، فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين الرَّشيد، فإذا مَسْرورٌ واقفاً. فقال له هَرثمة: قد جئت به. فقلت لمسرور: يا أبا هاشم، خدمتي وحرمتي، وهذا وقتٌ ضيِّقٌ، فتَدْرِي لِمَ طَلَبَنِي أمير المؤمنين؟ قال: لا. قلتُ: فمَن عنده؟ قال: عيسى بن جعفر. قلتُ: ومن؟ قال: ما عنده ثالث. فقال: مُرَّ، فإذا صِرْتَ في الصَّحن فإنّه في الرِّواق جالس، فحَرِّك رِجْلَك بالأرض، فإنّه سيسألك، فقل: أنا. فجئتُ ففعلتُ فقال: مَن هذا، قلت: يَعقوب. قال: ادْخُل. فدخَلْتُ، فإذا هو جالسٌ وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلّمت، فردَّ عليَّ السلام، وقال: أَظُنّنا رَوَّعناك، قلت: إي والله، وكذلك مَن خَلْفي. قال: اجلس. فجلسْتُ حتى سكَن رُوْعِي[2]، ثم التفتَ إليّ فقال: يا يعقوب، تَدْرِي لِمَ دعوتك؟ قلت: لا. قال: دعوتُك لأُشْهِدك على هذا، إنّ عنده جارية، سألته أنْ يَهَبها لي فامْتَنع، وسألته أن يَبِيعَها فأَبى، ووالله لئن لم يفعل لأقتلَنّه. قال: فالتفتُّ إلى عيسى فقلت: وما بلَغ اللهُ بجاريةٍ تمنعَها أميرَ المؤمنين وتتْرك نفسَك عند هذه المنزلة؟ قال: فقال لي: عَجِلتَ عليَّ في القول قبل أن تَعْرِف ما عندي. قلتُ: وما في هذا من الجواب؟ قال: إنّ عليّ يميناً بالطلاق والعِتاق، وما أَملِكُ صدَقةً أنْ لا أبيع هذه الجارية ولا أهَبَها. فالتفتَ إليَّ الرَّشيد، فقال: هل في ذلك مِنْ مَخْرج؟ قلتُ: نعم. قال: وما هو؟ قلت: يَهَبُ لك نصفَها، ويبيعُكَ نصفَها، فيكون لمَ يَبع ولم يَهَب. قال عيسى: ويجوز ذلك؟ قلت: نعم. قال: فأُشْهِدُك أنّي قد بِعْتُه نِصْفَها ووهَبْته النِّصف الباقي بمائة ألف دينار. فقال: الجاريةَ. فأُتِي بالجارية وبالمال، فقال: خُذْها يا أمير المؤمنين، بارك الله لك فيها. قال: يا يعقوب، بَقِيت لك واحدة. قلتُ: وما هي؟ قال: هِيَ مملوكة، ولا بدّ أن تُسْتَبْرأ، ووالله لئن لم أبِتْ معها ليلتي إنّي لأظنّ أنّ نفسي ستخرج! قلتُ: يا أمير المؤمنين، تُعْتِقها وتتزوَّجها، فإنّ الحُرَّة لا تستبرأ. قال: فمن يُزَوِّجْنِيها؟ قلت: أنا. فدعا بمَسْرور وحَسَن، فخَطَبْتُ وحَمَدْتُ اللهَ وزوَّجته على عِشْرين ألف دينار. فدعا بالمال فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب انصرِف، ورَفع رأسه إلى مسرور، فقال: يا مسرور، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: احمِل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعِشرين تَخْتاً[3] ثياباً. فحمَل ذلك معي. قال بِشر بن الوليد: فالتفتَ إليَّ يعقوب فقال: هل رأيت بأساً فيما فعلتُ؟ قلت: لا. قال: فخُذ

---

(١) أتحنط: أضع الحنوط، وهو طيب يدهن به الميت خاصة.
(٢) رُوعي: قلبي.
(٣) أي: حقيبة الثياب.

منها حقّك. قلتُ: وما حقي؟ قال: العُشر. قلت: فشكرتُه ودعوتُ له، وذهبت لأقوم، فإذا بعجوز دخلَتْ فقالت: يا أبا يوسف، بنتك[1] تُقْرِئك السّلام وتقول لك: والله ما وصل إليَّ في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلاّ المهر الذي قد عرفتَه، وقد حملتُ إليك النِّصْف منه، وخلَّفتُ الباقي لِمَا أحتاجُ إليه. فقال: ردِّيه، فواللهِ لا قَبِلته، أخرجتُها مِنَ الرِّق وزوجتُها من أمير المؤمنين، وترضَى لي بهذا؟!

فلم نزل نطلب إليه أنَا وعُمومتي، حتى قَبِلها، وأمر لي منها بألف دِينار.

١١٩٠ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا القاضي أبو الطَّيِّب الطَّبري، قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا، قال: حدثني محمد بن القاسم الأَنْباري، قال: حدثني أبي، قال: قال منصور البَرْمكي: كان لهارون الرَّشيد جارية غُلامِيّة[2] تَصُبُّ على يدِه وتقف على رأسه، وكان المأمون مُعْجباً بها وهُو أمْرَد، فبينا هي تصبّ على هارون من إبريق معها، والمأمون مع هارون الرشيد قد قابَل بوجهه وجه الجارية، إذ أشار إليها بقُبلة، فَزَبَرَتْهُ[3] بحاجِبِها، وأبطأت عَن الصَّبِّ في مهلةٍ ما بين ذلك، فنظر إليها هارون، فقال: ما هذا؟ فتلكّأت عليه، فقال: ضَعي ما معك، عليَّ كذا إن لم تُخْبِريني لأقتلَنّكِ. فقالت: أشار إليَّ عَبدُ الله بقُبلة. فالتفتَ إليه، فإذا هو قد نزَل به مِنَ الحياء والرُّعب ما رَحِمَه منه، فاعْتَنَقَه وقال: أتُحِبّها؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: قم فاخْلُ بها في تلك القُبّة، فقام ففعل. فقال له هارون: قل في هذا شعراً. فأنشأ يقول:

ظَبْـيٌ كَتَبْـتُ بطَـرْفـي ... عـن الضَّميـر إليـهِ
قَبَّلْتُـه مِـن بعيـدٍ ... فـاعْتَـلَّ مِـنْ شَفَتَيْـهِ
وردَّ أحسـنَ رَدٍّ ... بـالكَسْـرِ مِـنْ حـاجبيـهِ
فمـا بَـرِحْـتُ مكـانـي ... حتـى قَـدَرْتُ عليـهِ

١١٩١ ـ أنبأنا عليّ بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو جعفر بن المُسْلِمة، قال: أنبأنا إسماعيل بن سعيد بن سُوَيد، قال: أنبأنا أبو علي الحُسين بن القاسم الكَوْكَبي، قال: حدثنا أبو الفضل الرَّبْعي، عن أبيه، قال: كانت أمّ جعفر قد رَبَّتْ جارية وأدَّبَتْها، وكانت تختلِف في مُهِمّ أمورِها إلى كُتّابها وعُمّالها ودِيوانها، وكان لأمّ جعفر مَوْضع تُشْرِف منه على الدِّيوان، ترَى مَن فيه حيثُ لا يَرَوْنها. فقالت يوماً لجارِيتها تلك: يا فُلانة، مَن أحْسَنُ مَن في الدِّيوان؟ قالت: فلان مولاكِ. قالت: كيف ذاك وهُناك فلان الهاشِمي، وفلان الكاتِب،

---

(١) بنتك: تقصد الجارية التي عقد لها على الرشيد.
(٢) غُلامِيّة: أي تعمل ما يعمله الغُلام.
(٣) زَبرَته: زَجَرَته ونَهَرَته.

وفلان وفلان؟ قالت: هو والله أحسَن القوم، لأنّي أُحِبّه. قالت: وكيف علِمْت أنّه يُحبك؟ قالت: لأنني أخرج إلى الديوان في أمرٍ من أمورك، فإذا رآني مُقْبلة ترَك عمَله ثم لا يزال ناظراً إليّ حتى أُوَلي، ثم لا يزال ينظر إليّ مُوَلّية حتى أَغِيب عنه، فعلِمْتُ أنه يحبني، فأحببته. قالت: فاذهَبي إليه الساعة حتى تُقَبِّليه قُبلة على فمه، فانطلقت، فلما رآها مُقْبلة ألقى القُرْطاس والقلَم من يدِه، ثم بَهَت ينظر إليها، فلمّا دَنت منه ظنّ أنها جاءت برِسالةِ أمّ جعفر، فأقبلَ عليها كالمُصْغِي إليها، فقبّلته، ففَزِع لذلك، ثم ثاب إليه عقلُه، وعلِم أنّها لم تفعل هذا إلاّ عن أمر، فدعاها ثم كتب رُقعة فقال لها: ارفعيها إلى أمّ جعفر، فإذا فيها:

قـد وجـدنـا طَعْـم الحـرام لـذيـذاً ... فـأَذِيقِـي مـولاكِ طعْـمَ الحـلالِ

فكتبَتْ أمّ جعفر في أسفل رُقْعَتِه:

ليـس فيهـا مطمَـعٌ لِمُحِـبٍّ ... إنمـا نَقْتَنِـي لغَيْـر الـرِّجـالِ

فيئِس منها. ثم أمرَتْ بتزويجه إياها، وأمرَتْ له بثلاثين ألف دِرْهم، وأحسنَتْ جِهَازها.

١١٩٢ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو القاسم الأَزْهري، قال: حدثنا محمد بن العباس الخَزّاز، قال: حدثنا محمد بن خلف بن المَرْزُبان، قال: حدثنا يعقوب النَّخْعي، قال: حدثنا علي بن زيد كاتب العباس بن المأمون، قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلي، قال: حدثني أبي، قال: حجّ الرشيد ومعه جعفر بن يحيى البَرْمكي، وكنتُ معهم، فلما صِرْنا إلى مدينة الرسول ﷺ، قال لي جعفر بن يحيى: أحِبّ أن تنظر لي جاريةً ولا تُبقي غاية في حَذاقتها بالغِناء والضَّرْب والكَمال في الظَّرْف والآداب، وجَنّبْني قولَهم صفراء.

قال: فأُرشِدتُ إلى جاريةٍ لرجل، فدخلْتُ عليه، فرأيتُ رُسومَ[1] النِّعمة، وأَخرجها إليّ فلم أرَ أجمل منها ولا أصبحَ ولا آدَب، ثم تَغنّت أصواتاً فأَجادَتْها، فقلْت لصاحبها: قل ما شئت. قال: أقول لك قولاً لا أُنْقِص منه درهماً. قلت: قل. قال: أربعين ألف دينار. قلتُ: قد أَخَذْتُها، وأَشْتَرِطُ عليك نَظْرَةً[2]. قال: ذاك له.

قال: فأتيت جعفر ين يحيى، فقلت: قد أصبتُ حاجتك على غاية الظَّرْف والأَدَب والجَمال ونقاء اللونِ وجُودة الطَّرَب والغِناء، وقد اشترطتُ نظرةً، فاحمِل المال ومُرَّ بنا.

---

(١) رُسوم النِّعمة: علاماتها.

(٢) أي: اشترط أن ينظر إليها جعفر بن يحيى نظرة، فإن أعجبته تمّ البيع وإلاّ فلا، وهذا ما يُسمّى عند الفقهاء بخيار الشرط وهو مجمع عليه في الجملة، وإن اختلف فيه في بعض جزئيّاته.

فحمل المال على حمّالين، وجاء جعفرُ مستخفياً، فدخلنا على الرّجل، فأخرَجها فلمّا رآها جعفر أُعْجِب بها وعرَف أنْ قد صَدَقْتُه، ثم غَنّت فازداد بها عُجْباً، فقال لي: اقطع أمرها. فقلتُ لمولاها: هذا المال قد وَزَنّاه ونَقَدْناه، فإنْ قَنعتَ، وإلاّ فوجِّه مَن شِئْتَ لِتَنقِده. فقال: لا بل أَقْنَع بما قلتم. فقالت الجارية: يا مولاي، في أيّ شيء أنت؟ قال: قد عَرَفْت ما كنّا فيه من النِّعْمة وما كنتُ فيه من انبساطِ اليد، وقد انقبَضْتُ عن ذلك لتغيّر الزمان علينا، فقدّرتُ أن تَصيري إلى هذا المِلك لتَنْبَسِطي في شَهواتك وإراداتك. فقالتِ الجارية: واللهِ يا مولاي لو ملكتُ منك ما مَلَكْتَ مِنّي ما بِعْتُك بالدنيا وما فيها، وبَعْدُ، فاذْكُرِ العهد ـ وقد كان حلَف لها ألاّ يأكلَ لها ثمناً ـ.

قال: فتَغرْغَرَتْ عينُ المولَى، وقال: اشهدوا أنّها حرة لوجه الله، وأنّي تزوجتُها، وأمْهَرْتُها داري. فقال لي جعفر: انهض بنا. قال: فدعوت الحمّالين ليحملوا المال. قال جعفر: لا والله، لا يَصْحَبُنا منه درهم. قال: ثم أقبلَ على مولاها فقال: هو لَكَ مُبارَكٌ لك فيه، أنفِقْه عليها وعليك. وقُمنا فخرجنا.

١١٩٣ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا علي بن أبي علي المُعَدِّل، قال: حدثني أبي، قال: روى أبو رَوْق الهِزّاني، عن الرِّياشي: أن بعض أهل البصرة اشترَى صَبِيّة، فأحسن تأديبها وتعلِيمها، وأحبّها كلّ المَحَبّة، وأنفق عليها حتى أَمْلَق[1]، وحتى مَسَّها الضرُّ الشديد، فقالت الجارية: إنّي لأرثي لك يا مولاي مما أرى بك من سُوء الحال، فلو بِعْتَني واتّسَعْتَ بثَمَني، فلعلّ الله أن يَصْنَعَ لك وأقع أنا بحيث يَحْسُن حالي، فيكون ذلك أصلحَ لكلٍّ واحد منا.

قال: فحمَلها إلى السوق، فعُرِضت على عمر بن عُبيد الله بن مَعْمَر التَّيْمي، وهو أمير البصرة يومئذ، فأعجَبَتْه، فاشتراها بمائة ألف درهم. فلما قبض المولى الثَّمَن وأراد الانصراف، اسْتَعْبَر كلُّ واحدٍ إلى صاحبه باكياً، وأنشأتِ الجارية تقول:

هَنيئاً لكَ المالُ الذي قَدْ حَوَيْتَهُ ... ولم يَبْقَ في كَفَّيَّ غيرُ التَّذَكُّرِ
أقولُ لنفسِي وهي في غَشْيِ كُرْبةٍ ... أقِلِّي فقد بانَ الحبيبُ أو اكْثِرِي
إذا لم يكن للأمرِ عندكِ حِيلَةٌ ... ولم تَجِدِي شيئاً سوَى الصَّبْر فاصبرِي

فاشتدّ بُكاء المولَى، ثم أنشأ يقول:

فلولا قُعودُ الدّهرِ بي عنكِ لم يكن ... يُفَرِّقنا شيءٌ سوَى الموتُ فاعْذُرِي
أَرُوحُ بِهَمٍّ في الفؤاد مُبَرِّحٍ ... أُناجِي به قلباً شديدَ التفكُّرِ

---

(١) أَمْلَق: أنفق ماله حتى افتقر.

عليــــكِ ســـــلامٌ لا زِيـــــارة بيننـــــا　　ولا وَصْـــلَ إلاّ أن يشـــاء ابـــنُ مَعْمَـــرِ

فقال ابن مَعْمَر: قد شِئْتُ، خُذْها ولكَ المال، وانصرِفا راشِدَيْن، فوالله لا كنت سبباً لفرقة مُحِبَّيْن.

١١٩٤ ـ أخبرنا أبو منصور القَزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو القاسم الأَزْهَري، قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم بن عَرَفة، قال: حدثنا محمد بن الحُسين، عن هشام، قال: حدثنا علي بن الْجَهْم، عن أبيه، قال: أصبحتُ ذات يوم وأنا في غاية الضِّيق، فطلبتُ الخادم، فلم أَجِدْه، ثم جاء، فقلتُ: أين كنت؟ قال: كنت في احتيالِ شيء لك وعَلَفٍ لدابّتك، فوالله ما قدرت عليه. قلت: أَسْرِج لي، ورَكِبْت. فلما صِرْت في سوق يحيى إذا أنا بموكب عظيم، وإذا الفضل بن يحيى بن خالد[1]، فلما بَصُر بي، قال: سِرْ، فسِرْنا قليلاً وحجز بيني وبينَه غلام يحمل طبقاً على باب يَصِيح بجارية. فوقف الفضل طويلاً، ثم قال: سِرْ، ثم قال: تَدْري سببَ وقوفي؟ قلتُ: إن رأيتَ أن تُعْلِمَني. قال: كانت لأختي جارية، وكنت أحبّها حباً شديداً، وأستحي من أختي أن أطلبها منها، ففطِنَت أختي لذلك، فلما كان في هذا اليوم لبَّسَتْها وزَيَّنَتْها وبعثت بها إليّ، فما كان من عُمْري يوم أَطْيَب من يومي هذا، فلمّا كان في هذا الوقت جاءني رسول أمير المؤمنين فأَزْعَجني وقطَعَ عليَّ لذتي، فلمّا صِرت إلى هذا المكان دعا هذا الغُلام ـ صاحبُ الطبق ـ باسم تلك الجارية، فارتحتُ لندائه، ووقفت. فقلت: أصابك ما أصاب أخا بني عامر حيث يقول:

وداعٍ دَعـــا إذ نحـــن بـــالخَيـــفِ مِـــن مِنًـــى　　فهيَّـــج أطـــرافَ الفـــؤاد ومـــا يـــدرِي
دعـــا بـــاســـم ليلـــى غيـــرهـــا فكـــأنّمـــا　　أطـــار بليلـــى طـــائـــراً كـــان فـــي صَـــدرِي

فقال لي: اكتُب هذَيْن البَيْتَين. فعَدَلْنا أطلب ورقة أكتب له فيها، فلم أجد، فرهَنتُ خاتمي عند بَقّال وأخذْتُ ورقةً، فكتبتُهما فيها، وأدركتُه بهما. فقال لي: ارجع إلى منزلك، فرَجعت، فقال لي الخادم: أعطِني خاتمك أرهنه على قُوتِك. فقُلت: قد رهَنْته. فما أمسيتُ حتى بعَث إليّ ثلاثين ألف درهم جائزةً، وعشرة آلاف درهم سَلَفاً من رزقٍ أجْراه إليّ.

١١٩٥ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو محمد بن السَّرَّاج، قال: أنبأنا أبو القاسم عبد العزيز بن بُنْدَار الشِّيْرَازي، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن الْأَلَ، قال: أخبرني أحمد بن علي بن حَرْب، عن بعض مشايخه، قال: اختفَى إبراهيمُ بن المهدي زمَن المأمون

---

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك الفارسي، ولي إمْرَة خراسان، وعمِل الوزارة، وكان فيها أسخى من جعفر، وكان على هَناته: شجاعاً مهيباً كثير الغَزْو. مات سنة (٩٢) هـ مسجوناً. انظر: السير ٩/ ٩١، الكامل في التاريخ ٦/ ٢١٠، وشذرات الذهب ١/ ٣٣٠.

عند عمّته، وكانت تُكرِمه غاية الكرَامة، ووكّلَتْ به جارية قد أدّبتها وأنفقَتْ عليها الأموال، وكانت حاذِقة راويةً للشّعر، وكانت قد طُلبت منها بخمسين ومائة ألف درهم، وكانت تَلِي خدمة إبراهيم وتقوم على رأسه، فهَوِيها وكَره طلَبَها من عمّته. فلمّا اشتدّ وَجْده بها وسَكِر أخذَ عُوداً وغنّى بشِعرٍ لها فيها، وهي واقفة على رأسه:

يـــا غَـــزالاً لِـــي إليـــه ... شـــافـــعٌ مـــن مُقْلَتيـــهِ
والـــذي أجلَلْـــتُ خَـــدَّيـ ... ـــهِ فقبَّلْـــتُ يـــدَيْـــهِ
بـــأبـــي وجهَـــك مـــا ... أكثـــرَ حُسَّـــادي عليـــهِ
أنـــا ضَيـــفٌ وجـــزاءُ الضَّـ ... ـيْـــفِ إحســـانٌ إليـــهِ

فسمعت الجارية الشعر وفطِنت لمعناه لرقّتها وظَرْفها، وكانت مولاتها تسألها عن حالها وحاله كلّ يوم، فأخبرتها في ذلك اليوم بما في قلبه منها وبما سمعت منه من الشِّعر والغناء، فقالت لها مولاتها: اذهبي فقد وهبتُك له. فعادَت إليه، فلمّا رآها أعادَ الصوت، فأكبّتْ عليه الجارية، فقبَّلَت رأسه، فقال لها: كُفّي. فقالت: قد وهبَتْني مولاتي لك، وأنا الرسول. فقال: أمّا الآن فنَعم.

١١٩٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا القاضي أبو الطيّب الطَّبَرِي قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا قال: حدثنا عبد الله بن منصور الحارِثي قال: حدثنا أبو إسحاق الطَّلْحِي قال: حدثني عُبيد الله بن القاسم قال: عَشِق التَّيميُّ ـ وهو عبد الله بن أيوب، أبو محمد التيمي الشاعر ـ جاريةً عند بعض النخّاسين، فشكَى وَجْده بها إلى أبي عِيسى بن الرشيد، فقال أبو عيسى للمأمون: يا أمير المؤمنين إنّ التيمي يجِد بجارية لبعض النخّاسين، وقد كتَب إليّ بيتين يسألني فيهما، فقال له: ما كتب به إليك؟ فأنشده:

يـــا أبـــا عِيســـى إليـــكَ المُشْتكَـــى ... وأخـــو الصَّبْـــر إذا عِيـــلَ اشتكَـــى
ليـــس لـــي صَبْـــرٌ علـــى هجـــرانهـــا ... وأَعَـــافُ المَشْـــرَبَ المُشْتَـــرَكـــا

فأمر له بثلاثين ألف درهم، فاشتراها.

١١٩٧ ـ وبلغنا عن المهلَّب بن أبي صُفرة، أنه نظر إلى فتى يكلّم جارية من جواريه، فدعا بالجارية فقال لها: ما حملَك على كلامٍ من رأيت؟ فقالت: يا سيدي.

لأنّ لـــه مِـــن مَحْـــضِ قلبـــي مَـــودّةً ... لهـــا تحـــت أحْنَـــاءِ الضّلُـــوع خُفُـــوقُ
إلـــى غيـــر سُـــوءٍ فـــاعلَمَـــنّ كـــلامَنَـــا ... ولكـــنْ لشـــوقٍ والمحـــبُّ مَشُـــوقُ

فدعا بالفتَى، فقال له: ما حملَك على كلامِ هذه؟ فقال:

لأنّ لهـــا فـــي القلـــب منّـــي محبـــةً ... وفـــي طـــيِّ صَـــدْري لـــوعـــةٌ وحَـــريـــقُ

وإنّـي لأهـواهـا علـى كـلِّ حـالـةٍ وإنِّـي إليهـا مـا حَيِيـتُ أتُـوقُ

فقال المهلب:

لعمـريَ إنِّـي للمحبِّيـن راحِـمٌ وإنِّـي بحِفْـظ العـاشِقيـن حَقِيـقُ
سـأجمـع منكـم شمـلَ وُدٍّ مُبَـدَّدٍ فـإنّـي بمـا قـد تـرجُـوَانِ خَلِيـقُ

ثم وهبَها له، وأمر له بخمسة آلاف دينار.

١١٩٨ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: حدثني عُبيد الله بن أبي الفتح، قال: حدثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارَقُطْني ـ من حفظه مذاكرة ـ قال: كان أبو حامد المرْوَرُّوذِيّ[١] قليلَ الدخول على ابن أبي حامد صاحب بيت المال، وكان في مجلسه رجل من المُتَفَقِّهَة، فغاب عنه أياماً، فسأل عنه، فأُخْبِر أنه مُتشاغل بأمرٍ قد قطَعه عن حضور المجلس، فأحضره وسأله عن حاله، فذكر أنه كان قد اشترَى جاريةً لنفسِه، وأنه انقطعت به النفقة، وضاقت يده في تلك السنة لانقطاع المادّة عنه من بلده، وكان عَليه دَيْن لجماعة مِنَ السُّوقة، فلم يجدْ قضاءً لذلك دُون أنْ باَع الجارية، فلمّا قبض الثمن تذكَّرها وتشوَّق إليها، واستوحَشَ من بُعْدها عنه، حتى لم يمكنه التشاغل بفِقه ولا بغيره من شدّة تعلّق قلبه بها، وذكر أن ابن أبي حامد قد اشتراها.

فأوجبتِ الحالُ مُضِيَّ أبي حامد الفقيه إلى ابن أبي حامد، يسأله الإقالة وأَخْذَ المال من البائع. فمضَى ومعه الرجل، فحِين استأذن على ابن أبي حامد أُذِن له في الحال، فلمّا دخل عليه استقبله وقام إليه، وأكرَمه غاية الإكرام، وسأله عن حاله وما حلّ به، فأخبره أبو حامد بخبر الفقيه وبَيْع الجارية وسأله قَبْضَ المال وردّ الجارية على صاحبها.

فلم يعرف ابن أبي حامد للجارية خَبَراً، ولا كان عنده عِلْمٌ من أمرها، وذاك أن امرأَتَه كانت اشترتها ولم يعلم بذلك، فورَد عليه من ذلك موردٌ تبيَّن في وجهه. ثم قام ودخل على امرأته، فسألها عن جارية اشتُرِيَت من سوق النّخاسين على الصِّفة والنَّعْت، فصادف ذلك أن امرأته كانت جالسة والجارية حاضرة، وهم يُصلحون وجهها، وقد زُيِّنت بالثياب الحِسَان والحُليّ، وما جرَى مجرَى ذلك من الزِّينة. فقالت: يا سيدي هذه الجارية التي التمسْتَ، فسُرَّ بذلك سُروراً تاماً، إذ كانت عنده رغبةٌ في قضاء حاجة أبي حامد وإنجاز ما قصد له، فعاد إلى أبي حامد، وقال له: خِفْتُ ألاّ تكون الجارية في داري، والآن فهي بحمد الله تعالى

(١) في المطبوعة: أبو داود حامد، وهو خطأ، وإنما هو أبو حامد أحمد بن بشر بن عامر المَرْوَرُّوذي، العلاّمة شيخ الشافعية، مُفتي البصرة، صاحب التصانيف، تَفقّه بأبي إسحاق المَرْوَزي، وصنّف «الجامع» في المذهب، وكان إماماً لا يُشقّ غباره، وعنه أخذ فقهاء البصرة، توفي سنة (٣٦٢) هـ. انظر: سير أعلام النبلاء: ١٦/١٦٦ و ١٨٤، والبداية والنهاية ١١/٢٠٩، وشذرات الذهب ٣/ ٤٠.

عندنا، والأمر للشيخ أعزّه الله تعالى في بابها. وأمر بإخراج الجارية إلى الجماعة، فحِين أُخْرِجت تغير وجه الفتى تغيراً شديداً، فعلِم بذلك أنّ الأمر كما ذكره الفقيه من حُبّه لها وصَبابته إليها. فقال له ابن أبي حامد: هذه جاريتُك؟ فقال: نعم، هذه جاريتي. واضطرب كلامه مِن شدّة ما نزل به عند رؤيتها، فقال له: خذْها بارك الله لك فيها.

فجزاه أبو حامد خيراً وتشكَّر له، وسأله قبضَ المال، فإنّه كان قَدْره ثلاثة آلاف درهم، فأبَى أن يأخذَه، وطال الكلام في بابه، فقال له أبو حامد: إنما قصَدْنا نسأل الإقالة، لم نقصد لأخْذِها على هذا الوجه. فقال له ابن أبي حامد: هذا رجلٌ فقيه، وقد باعها لأجلِ حاجته، وقِلّة ذات يده، ومتى أُخذ المال منه خِيف عليه مِنْ أن يَبيعها ممن لا يردّها عليه، فالمال يكون في ذِمّته، فإذا جاءه نفقة من بلده جاز أن يردَّ ذلك.

فوهَب المال له، وكان عليها مِن الحُلِيّ والثياب شيء له قدر كثير، فقال له أبو حامد: إن رأى أيّده الله أن يتفضّل ويُنْفِذ معَ الجارية مَنْ يقبض هذه الثياب والحُلِيّ التي عليها، فما لهذا الفقيه أحدٌ يَنْفُذ به على يدَيه. فقال له: يا سبحان الله! هذا شيء أشغَفْناها[1] به ووهبناه لها، سواء كانت في مِلْكنا أو خَرَجَتْ عن قَبْضَتِنا، لسنا نرجع فيما وهبناه مِن ذلك ولا يجوز.

فعرَف أبو حامد أنّ الوجه ما قاله، فلم يلحّ في ذلك، بل حَسُنَ موقعُه من قلبه وقلب صاحب الجارية، فلمّا أراد أن ينهض ويُودعه، قال ابن أبي حامد: أريد أسألها قبل انصرافها عن شيء. فقال لها: يا جارية، أيّما أَحَبُ إليك، نحن أو مولاك هذا الذي باعَكِ وأنت الآن له؟

فقالت: يا سيدي أمّا أنتم فأَحْسَنَ اللهُ عَوْنَكُم وفعلَ بكم وفَعل، فقد أحسنتم إليّ وأَغْنَيْتُمُوني، وأمّا مولاي هذا فلو ملكتُ منه ما ملَكَه منّي ما بعته بالرَّغائب العظيمة.

فاستَحْسَن الجماعةُ ذلك منها وما هي عليه من العَقْل مَع الصِّبَا، وودّعوه ثم انصرفوا.

ابن أبي حامد: اسمه أحمد بن محمد بن موسى بن النضر، كان صاحبَ بيت المال، وكان ثقةً جواداً، روى عنه الدارقطني وغيره، ومات في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

١١٩٩ ـ أنبأنا أبو عبد الله الحُسين بن محمد بن عبد الوهاب البارِع، قال: حدّثني أبو الجوائز الحسن بن علي الواسِطي الكاتب، قال: حَجَجْت في سنةٍ من بعض السِّنين، فبينما أنا في الطَّوَاف لمحتُ جاريةً، فلم أرَ كحُسْنها، فعَلِقها قلبي، فسألْتُها عن اسمِها، فقالت: اسمي نُعْم، وانتسابي إلى فَهْم. فلم أزل أستَمْتِع بالنظر إليها مدّة إقامَتِنا بمكة، فلمّا فارَقْنا مكة لم أدرِ أيَّ صَوْبٍ سلكت، فقلت:

---

(١) أشغفناها: الشَّغف: المحبة، أي وهبه لها، فتعلَّقت نفسُها به.

قـــل للظّلُـــومِ ألاَ هَلُمَّـــي ... للحكـــمِ إنْ أنكَـــرْت ظُلْمِـــي
ومِـــــنَ البليـــــة أن يَبِيـ ... ـــتَ حبيبُ جسْمِـي وهـو خَصْمِـي
أو أن يُـــرَى نَجْمـــي وقـــد ... نـــاديتُـــه مُغْـــرًى بـــرَجْمِـــي
خَـــوْدٌ تُصيـــب ســـوادَ قلبـــي ... وهـــي للجَمَـــرات تَـــرْمـــي[1]
وكـــمِ التَقَـــتْ أنفـــاسُنـــا ... فـــي حَـــوْمـــةِ الحجـــر الأحَـــمِّ[2]
عنـــد استـــلام الـــرُّكْـــنِ آ ... وِنَـــةً وسُحْـــبُ الـــدَّمْـــع تَهْمِـــي
فمَحَـــوْتُ مـــا سَطَـــرَتْ مَـــلاَ ... ثِمُهـــا علـــى عَمْـــدٍ بِلَثْمِـــي
أَثْبَـــتُّ يـــومَ النَّفْـــرِ سَهْـ ... ـمَـكِ فـي الفـؤاد وطـاش سَهْمِـي

قال: وازدادَ وَجْدي بها وكَلَفي بحُسْنِها، فقال لي بعض من آنَس به: لو تزوجتَ لسكن ما بك، فتأبّيْتُ عليه، ثم مِلْتُ إلى ما قال رَجاء الإفاقة. فاستعَنْتُ بامرأة على ارتياد امرأةٍ أتزوجها، فجاءَتْني بعْد أيامٍ، فقالت: قد حَصّلت لك امرأةً تُلائم مُرادك حُسْناً وبَيْتاً، فاستحضَرْت وليَّها وتزوجْتُها، فلَمّا زُفَّتْ إليّ تأمّلْتُها، فإذا هي صاحِبتي، فقضيت العجبَ من حُسْن الاتفاق.

أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب، قال: كان أبو الجوائز أديباً شاعراً، حسَن الشِّعر في المدِيح والأوصاف والغزَل، وعلَّقْتُ عنه أخباراً وحكايات وأناشيدَ، وسمعته يقول: وُلدت في سنة اثنتين وخمس وثلاثمائة.

فصل: فإن قال قائل: قد ذكرتَ علاج العاشِق بتحصيل المعشُوق إنْ كان مُباحاً، ورَجَّيْتَه بأنّ ذلك يمكن، وقد اتفق لجماعة، فما تقول في عِشْقِ مَنْ لا سبيل إلى تحصيله، كذات الزَّوْج أم مُحَرّم على التأبِيد كالأمرد، فهل لهذا الأمر مِنْ علاج؟ مع أنّه قد أنحَفَ الجسَد وأدامَ السَّهرَ وقارب بصاحِبه مرتبة الجنون.

فالجواب: أنّ العلاج الكُلّي في جَميع أمراض العِشْق الحِمْية، وإنّما تقع الحِمْية بالعَزْم الجازم على هَجْر المحبوب، فإنْ حصَلَتْ هذه الحِمْية حَسُنَت المُعالجة، والعِلاج حينئذ يقعُ للظاهر والباطن، فليَبْتَدِىء المريض باللُّجُوء إلى الله سبحانه، وليُكْثِر من الدعاء، فإنه مضطر، وهو يُجيب المضطر إذا دعاه، ثم لِيَتَعالج، فإنّ الأسباب لا تُنافي التَّوَكّل والدعاء.

---

(١) الخود: المرأة الشابّة.
(٢) حَوْمَة الشيء: معظمه. الأحَم: الأسود.

فصل: اعلم أنّ بدَن العاشِق إذا نَحُف أسرَعَتْ فيه الحَرارة إلهاباً وإحراقاً، فينبغي أن يستعمِل التَّرْطِيبات كشَمّ البنفْسَج واللينوفر، ودُخول الحمّام من غيرِ طُوْل مُكْثٍ فيه، والنوم الطويل، والتَّغَذّي بالأغذية الرَّطْبة، ولينظُرْ إلى الماء الصَّافي في الرِّياض النَّضِيرة، وليحدِّث بالنوادر المُضْحِكَة.

فصل: ومِنَ المعالجات: السَّفَر، فإنه بالسَّفر يتحقّق البعد عن المَحْبُوب، وكلّ بعيد عن البَدَن يُؤَثِّر بُعده في القلب، فليصبر على مَضَض الشَّوْق في بداية السَّفَر صَبْرَ المُصاب في بداية مُصيبته، ثم إنّ مَرَّ الأيام يُهَوِّن الأمر.

١٢٠٠ ـ قال زُهير بن الْحُبَاب الكَلْبي:

إذا مـــا شِئْـــتَ أن تَسْلُـــوَ حبيبـــاً ... فـــأَكْثِـــرْ دُونـــه عَـــدَدَ الليـــالِـــي
فمـــا سَلَّـــى حبيبـــك غيـــرُ نَـــأْيٍ ... ولا أبْلَـــى جَـــدِيـــدك كـــابتِـــذالِ

١٢٠١ ـ وقال امرؤ القيس:

وإنـــك لـــم تَقْطَـــع لُبَـــانـــة عـــاشـــقٍ ... بمثـــل غُـــدوٍّ أو رَوَاح مُـــؤَوَّبِ[1]

ومعنى مَأُوب: أنّه غَذَّ السير حتى يَؤُوب صاحبه عند الليل، يقول: تكون استراحته بالليل.

فصل: وكذلك كل ما يشغل القلب من المعاش والصِّناعة، فإنّه يُسلي، لأنّ العِشق شُغْل الفارغ، فهو يمثّل صورة المَعْشُوق في خلوته لشوقه إليها، فيكون تمثيله لها إلقاءً في باطنه، فإذا تشاغل بما يُوجب اشتغال القلب بغير المحبُوب دَرَس الحُبُّ ودَثَر العشقُ، وحصل التناسي.

فصل: ومن ذلك استعراض النساء للتزويج، والجواري للتَّسَرِّي، وليطلب الحسَن الفائق، فإنه يُسْلِي، وقد وصَف الحُكماء الحُسْن والملاحة.

١٢٠٢ ـ فأنبأنا أحمد بن علي المجلي، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن المُهْتَدِي قال: أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسَن بن المأمون، قال: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي، قال: قال أعرابيّ: إذا حَسُن خُفْيا المرأة حَسُنت. وخفياها: كلامُها، ووطأتها على الأرض.

---

(١) اللبانة: الحاجة من غير فاقة ولكن من همّة والبيت ينسب أيضاً لعلقمة الفحل، انظر ديوان ص ٥٥، طبع دار الكتاب العربي.

قال: ويقال: أحسن ما تكون المرأة: غِبَّ[1] بنائها، وغِبَّ نفاسها، وغِبَّ المطر.

قال: وشباب المرأة ما بين ثلاث عشرة إلى عشرين، فإذا بلغت الثلاثين فقد كَهَّلت، فإذا بلغت الأربعين فقد شَهَّلت، فإذا بلغت الخَمْسين فطلِّق طلِّق.

قال أحمد بن يحيى: الشَّهْلة: العجوز.

١٢٠٣ ـ وقد قيل: لا تكون المرأة حسناء حتى: يَبْيَضّ منها أربعة: وهي: اللون، وبياض العَيْن، والأسنان، والأظفار. ويَسْوَدّ منها أربعة: وهي شعر الرأس، وشعر الحاجبَيْن، وأشْفَار العينَيْن، وسواد العَيْن. ويحمَرّ منها أربعة: اللسان، والشفتان، والوجنات، وثَمّ[2]. ويتسع منها أربعة: الجَبْهة، والرَّاحتان، والوَرِكان، والصَّدْر. ويَضِيق منها أربعة: خَرْق[3] الأنفِ، وخَرْق الأذنَيْن، ومَشَق[4] الفم، وثَمّ. ويَطُول منها أربعة: القامَة، والعُنق، والقصب[5]، والأصابع. ويضْخُم منها أربعة: السَّاقان، والوَرِكان، والعَجُز، والرَّكَب: وهو مَنْبِت العانَة. ويقصُر منها أربعة: خُطاها، وطرْفُها، ولسانُها، وذِكْرُها.

١٢٠٤ ـ وكانت هند بنت عتبة تقول: النساء أغلال[6]، فليتخيَّر الرجل غُلاًّ ليده.

فصل: هذا ما ذكر فيما يتعلق بالْحُسن، والحسن عند المُحِبّ ما يقع بقلبه، فليجهد في استعراض النساء والجواري، فالغالب حصول ما يَغلب على ما عنده. فإن لم يحصل له أدام التتبّع، فإنَّ النفس لا تقف على شيء ولا تُقيم على حال، فرُبَّ ثانٍ محا الأول.

١٢٠٥ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار:

وأخبرتنا شُهدة، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد:

قالا: أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا أبو عمر بن حَيّويه، قال: حدثنا ابن المَرْزُبان، قال: أخبرني أبو بكر العامِري، قال: حدثني الحُسين بن علي مولى بني أمية، عن أبيه، قال: خرجْتُ إلى الشام، فلما كنت بالشَّراة[7] ودَنا الليل إذا قَصْرٌ، فهَوَيْتُ إليه[8]، فإذا بين باب القصر امرأة لم أرَ مثلها قط هيبةً وجمالاً، فسلَّمْتُ عليها، فردَّت، ثم قالت: مَن

---

(١) يقال: جئته غب الأمر: أي بعده.

(٢) ثمّ: كناية عن الفرج.

(٣) خَرْق الأنف: ثقب الأنف.

(٤) المَشَق: الطول مع الرِّقة.

(٥) القصَب: عظام اليدَين والرجلَين.

(٦) الأغلال: القيود.

(٧) الشَّرَاة: اسم منطقة.

(٨) هوَيْتُ إليه: قصدته واتجهت نحوه.

أنت؟ قلتُ: رجل من بني أمية من أهل الحجاز. فقالت: مرحباً بك وحيّاك الله، انزل فأنت في أَهْلِك. قلتُ: ومَن أنت؟ عافاك الله. قالت: امرأة من قومك.

فأمرَتْ لي بمنزل وقِرَى، وبِتُّ في خير مَبِيت، فلمّا أصبحتُ أرسَلَتْ إليَّ: كيف أصْبَحْت؟ وكيف كان مَبِيتك؟ قلتُ: خيرَ مَبِيت، والله ما رأيتُ أكرمَ منكِ، ولا أشرفَ مِن فِعالك، قالت: فإنّ لي إليك حاجة، تمضي حتى تأتي ذلك الدَّيْر ـ ديْراً أشارت إليه ـ فتجيء فائتِ ابنَ عمّي فيه وهو زَوْجي، قد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدَّيْر، فهجَرني فلزِمها، فتنظر إليه، فتُخْبره عن مَبيتك وعمّا قلتُ لك، فقلتُ: أفعل ونُعْمَى عَيْن.

فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الدَّيْر، فإذا أنا برجل في فِنائِه جالس، كأجمل ما يكون من الفِتيان، فسلّمْتُ فردّ، وساءَلني فأخبرتُه مَن أنا، وأين بِتُّ، وما قالت لي المرأة. فقال: صدَقَتْ، أنا رجل من قومِك مِنْ آل الحارث بن حكيم، ثم صاح: يا قُسْطا، فخرجت إليه نصرانِيّة عليها ثياب حَبْر وزنانير، ما رأيتُ قَبْلها مثلها، ولا بعدها أحسن منها، فقال: هذه قُسْطَا وتلك أرْوَى، وأنا الذي أقول:

تبـدلـتُ قُسْطَـا بعـد أَرْوَى وحبِّهـا ... كذاك لعَمْري الحبُّ يَذْهَبُ بالحُبِّ

١٢٠٦ ـ وبالإسناد قال ابنُ خلف: وحدثني يزيد بن محمد، قال: أخبرني محمد بن سَلّام الْجُمَحِي، قال: أرادت عَزّة أن تعرف ما لها عند كُثَيِّر، فتنكَّرت له ومَرَّت به مُتَعَرِّضة فقام فاتبعها فكلّمها، فقالت له: وأين حُبّك لعزة؟ فقال: أنا الفداءُ لك، لو أنَّ عَزّة أَمَةٌ لي لوهَبْتُها لك، قالت: وَيْحَك لا تفعل، قد بلغني أنّها لك في صِدْق المَوَدّة، ومَحْضِ المحبة والهوَى، على حسْب الذي كنت تُبدي لها مِنْ ذلك وأكثر، وبعد، فأين قولُك:

إذا وصلتنـا خُلّـةٌ كـي نُـزيلهـا ... أَبَيْنَـا وقُلْنـا الحـاجِبِيّـةُ أولُ

فقال كثير: بأبي أنت وأمي، اقصِري عن ذِكرها واسمعي ما أقول لك:

هــل وصْـلُ عـزّةَ إلاّ وَصْـلُ غـانِيـة ... فـي وَصْـل غـانيـةٍ مِـنْ وَصْلهـا بَـدَلُ!

قالت: فهل لك في المُخَالّة؟ قال لها: فكيف لي بذلك؟ قالت له: فكيف بما قلته في عَزّة وسيَّرْته إليها؟ قال: اقْلِبْه فيتحول إليك ويصير لك. قال: فسَفَرَتْ عن وجهها عند ذلك، وقالت: أغدْراً وانتِكَاثاً يا فاسق، وإنك لها هنا يا عدوّ الله! قال: فبُهت وأَبْلَس ولم يَنطق وتَحَيّر وخجل. فقالت: قاتَل الله جَمِيلاً حيث يقول:

لَحـى اللّـهُ مَـن لا ينفـعُ الـوُدُّ عنـده ... ومَــنْ حَبْلــه إن مُــدّ غيــرُ متيــنِ
ومَــن هــو ذُو وجهَيْــن ليــس بـدائـمٍ ... علـى العهــدِ حَــلاّفٌ بكــلِّ يميــنِ

فأنشأ كُثَيِّر بانخِزَال وحَصْرٍ وانكسارٍ يَعْتَذِر إليها ويَتَنَصّل مما كان منه، ويتمَثّل بقول جَميل، ويُقال: بل سرَقه مِن جميل ونحله نفسَه، فقال:

ألا ليتنـي قَبْـل الـذي قلـتُ شِيـب لـي ... مـن المـذعِـف القـاضـي وسُـمِّ الـذُّرارِح[1]
فمِـتُّ ولـم تعلَـم علـيَّ خِيـانـةً ... ألا رُبَّ بـاغـي الـرِّبـح ليس بـرابـح
فـلا تحمِليهـا واجْعَليهـا جِنـايـةً ... تَـرَوَّحْـتُ منهـا فـي مِيـاحـة مـائـح[2]
أَبُـوء بـذنبـي إنّنـي قـد ظلمتُهـا ... وإنّـي ببـاقـي سِـرِّهـا غيـرُ بـائـح[3]

١٢٠٧ ـ وروى الهيثم بن عدي، عن ابن عباس قال: طلّق النَّمِرُ بن توْلب امرأةً ثم جزع عليها حتى خِيف على عَقْله، ومكث أياماً لا يَطْعم ولا ينام، فلامه عشيرتُه وصبَّروه وذكروا له امرأة يُقال لها: دَعْد جميلةً، فتزوَّجها، فشغَلَتْه عن ذكر امرأته الأولى، وفيها يقول:

أَهِيـم بِـدَعْـدٍ مـا حَيِيـتُ فـإن أمُـتْ ... فيـا حـرَّتـا ممـن يهيـمُ بهـا بعـدي!

١٢٠٨ ـ وبلغنا: أنّ رجلاً قصَد عُمر بن أبي ربيعة، فقال له: قد قلتُ بيتين فأجِزْهما:

سـألـتُ المُحِبِّيـن الـذيـن تَجَشَّمـوا ... أعاجيبَ هذا الحُبِّ في سالف الدَّهرِ
فقلتُ لهـم: مـا يـذهبُ الحبَّ بعدما ... تمكَّـن مـا بيـن الجـوانِـح والصَّـدْرِ؟

فمكث عُمر أياماً لا يَقْدِر على إجازته، فرأَتْه وليدة[4] له مهموماً، فسألَتْه فأَخْبَرها، فخَطرت ثم رجعَت وهي تقول:

فقـالـوا: دواءُ الحُـبِّ حـبٌّ تُفيـده ... مِـن آخـر أو نـأْيٌ بعيـدٌ علـى الهَجْـرِ
وإلاّ فيـأسٌ تَصْبـرُ النفـسُ بعـدمـا ... رَجَـتْ أمـلاً، واليـأسُ عَـوْنٌ علـى الصّبـرِ

فقال: فرَّجْتِ عنّي.

فصل: ومن أدوية الظاهر: كثرة الجماع، وإن كان لغير المحبوب.

ووجه كونه دواء أنه يُقلِّل الحرارة التي منها ينتشر العِشق، وإذا ضَعُفَتِ الحَرارة الغريزِيّة حصل الفُتور وبَرَد القلبُ، فخمد لَهبُ العِشْق.

١٢٠٩ ـ وقد قال ابن الرّومي:

---

(١) شيب: خُلط ومُزج. المذعف: السمّ الذي يقتل من ساعته. والذرارح: سم قاتل يستخرج من دويبة تدعى: الذريحة.

(٢) تروحت: خرجت. المياحة: الشفاعة.

(٣) أبوء: أُقِر.

(٤) الوَلِيدة: الجارية المولودة التي عاشت بين العرب فتأدّبت بآدابهم، وتخلّقت بأخلاقهم.

وطـــأ مَـــن شِيـــب يُغنيـــك   عـــنِ الحَسْنـــاء فـــي الـــذُّروه

فصل: ومن الأدوية: عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والنَّظَرِ إلى الموتَى، والتفكّر في الموت وما بعده. فإنّ ذلك يُطفِيء نِيران الهوَى، كما أنّ سِماع الغناء واللهو يُقوّيه، فما هو كالضِّدّ يُضعفه. وكذلك مواصلة مجالس التذكر ومُجالسة الزهّاد، وسماع أخبار الصّالحين والمواعظ. وكلّ ذلك يُخرِج الإنسان عن غَلَبة الشَّهوة إلى حَيِّز الحُزن والفكر، وذلك يُضادّ العِشق.

فصل: وقد ذكر قوم أنَّ المتنزهات المُونقة، والمسموعات المُطْرِبة تُسْلي، وهذه ربما زادت في عِشْق قومٍ.

فصول في معالجة الباطن

فصل: أوّل علاج الباطن، وأنْجعه قطْع الطَّمَع باليأس، وقوّة العَزْم على قَهْر الهوَى. فمتى تردّدِ الأمر عند النفس أو ضعف العَزْم لم ينفع دواء أصلاً.

فصل: ومِن ذلك زَجْر الهِمَّةَ الأبيّة عن مواقف الذلّ، واكتساب الرَّذائل، وحِرْمان الفضائل، فمَن لم تكن له همّة أَبِيّة لم يكد يتخلّص من هذه البَلِية، فإنَّ ذا الهِمّة يَأنَفُ[1] أن يملِك رِقَّه شيءٌ، وما زال الهوَى يذلّ أهل العِزّ.

١٢١٠ ـ وقد سبق في كتابنا[2] أنّ الرشيد عَشِق جارية، وامتنعَت عليه فقال:

أَرَى مـــاءً وبـــي عطـــشٌ شـــديـــدُ   ولكـــنْ لا سبيـــلَ إلـــى الـــوُرودِ
أَمَـــا يكفيـــكِ أنّـــك تملِكينـــي   وأنّ النـــاسَ كلهـــم عَبيـــدِي
وأنّـــك لـــو قطَعْـــتِ يـــدي ورِجْلـــي   لقلـــتُ مِـــنَ الـــرضـــا أحسنـــتِ زيـــدِي

١٢١١ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي، قال: أنبأنا أبو نُعَيم الحافظ، قال: حدثنا سليمان بن أحمد الطّبراني، قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد البَرْبَري قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن صالح، قال: حدثنا علي بن صالح، قال: قال هارون الرشيد في ثلاثِ جوارٍ:

ملَـــكَ الثـــلاثُ الغـــانيـــاتُ عِنـــانـــي   وحلَلْـــنَ مِـــنْ قلبـــي بكـــلّ مَكـــانِ
مـــا لـــي تُطـــاوعني البَـــرِيَّـــةُ كلّهـــا   وأُطِيعهُـــنّ وهُـــنَّ فـــي عِصْيـــانِـــي
مـــا ذاك إلاّ أنّ سُلطـــانَ الهـــوَى   وبـــهِ قَـــوِيـــنَ أعـــزُّ مِـــنْ سُلْطَـــانـــي

---

(١) يَأنف: يترفّع ويتنزّه.
(٢) انظر رقم (٧٣٨).

١٢١٢ ـ وقد كان الهوَى غلب الرَّشيد في حبِّ جارية لعيسى بن جعفر، فاحتال له أبو يوسف في تخلِيصها، وقد ذكرنا القصة آنفاً قبل أوراق. وكان يُحِبّ جارية اسمها جَنان، فيقول فيها الشعر، فأزعج ليلةً العباس بن الأحنف في منزله لأجل بيت قاله فيها.

١٢١٣ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أبو بكر الحافظ، قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد، قال: أنبأنا محمد بن عبد الرحيم المازِني، قال: حدثنا محمد بن القاسم الأَنْباري، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدثنا عبد الله بن الرّبيع، قال: حدثنا صاحبٌ لنا، قال: قال هارون الرشيد في الليل بيْتاً، ورام أنْ يَشْفَعَه بآخر فلم يقدِر وامتنَعَ القولُ عليه، فقال: عليَّ بالعباس بن الأَحْنَف، فلما طُرِقَ[1] ذُعِر وفَزِع أهله. فلمّا وقف بين يدَي الرشيد قال: وَجَّهْتُ إليك لبيتٍ قلتُه ورُمْتُ أن أشْفَعه بمثله، فامتنع القولُ عليّ، فقال: يا أمير المؤمنين دَعْني حتى ترجع إليّ نفسي، فإنّي قد تَرَكْتُ عِيالي على حال من القلَق عظيمة، ونالَنِي من الخوْف، ما يتجاوز الحدّ والوصف. فانتَظَر هُنَيّة ثم أنشدَه البيت:

جَنَـــانٌ قـــد رأيْنَـــاهـــا فلـــم نـــر مثلهـــا بَشَـــرا

فقال العباس:

يَـــزيـــدُك وجهُهـــا حسنـــاً إذا مـــا زِدْتـــه نظَـــرَا

فقال له الرشيد: زِدْني، فقال:

إذا مـــا الليـــلُ مـــالَ عليـــكَ بـــالإظـــلام واعْتكـــرَا
ودَجَّ فمـــا تـــرَى قمـــراً فـــأَبْـــرِزْهـــا تـــرى القَمـــرَا[2]

فقال له الرشيد: قد ذَعَرْنَاك وأفزعنا عيالك، فالواجب أنْ نُعْطِيَك دَينك. فأمرَ له بعشرةِ آلاف درهم وصرفه.

١٢١٤ ـ قال المصنف: وقد رُوينا أنَّ الرشيد عَتَب على بعضِ جواريه في أمرٍ، وكان يُحِبّها حباً شديداً، فحلَف ألاّ يدخل حُجْرَتها، فلم تترضَّاه، فقال:

صـــدَّ عنِّـــي إذْ رآنـــي مُفْتَتَـــنْ وأطـــالَ الصـــدّ لَمّـــا أنْ فَطِـــنْ
كـــان مَمْلُـــوكـي فـــأَضْحَـــى مـــالِكـــي إنّ هـــذا مِـــنْ أعـــاجِيـــب الـــزَّمـــنْ

ثم بعثَ إلى أبي العتاهية يأمره أنْ يُجِيزَها، فقال:

---

(١) طُرِق: جِيء بليل.
(٢) دَجَّ: اشتدت ظلمته.

عِـــزَّةُ الحـــبِّ أَرَتْـــه ذِلّتـــي فـــي هـــواه ولـــه وجـــهٌ حسَـــنْ
فلهـــذا صِـــرْتُ مملـــوكـــاً لـــه ولهـــذا شـــاعَ أمـــري وعَلَـــنْ

قال المصنف غفر الله له: وهذا الذلّ لا يحتمله ذو أَنَفَة، فإنّ أهلَ الأنفةِ حَمَلهم طلَبُ علُوّ القدْرِ على قتل النفوس، وإجهاد الأبْدان في طلَب المعالي. ونحن نرى طالب العِلم يسهر ويهجر اللذّات، أَنَفَةً مِن أن يُقال له: جاهل. والمسافر يركب الأخطار لينال ما يرفع قدْره مِن المال. حتى إنّ رُذالة الْخَلْق ربما حملوا كثيراً منَ المشاقّ ليَصير لهم قَدْر. فهذا الساعي يتعب نفسه بالعَدْو، ويَصْبِر عن لذّات الجِماع لينال قدْراً.

١٢١٥ ـ وقد قال القائل:

وكـــلّ امـــرىءٍ قـــاتـــلٌ نفسَـــهُ علـــى أن يُقـــال لـــه إنّـــهُ

فأما مَن لا يأنف مِنَ الذلّ، ويَنقاد لموافقة هواه، فذاك خارج عن المتميِّزين.

١٢١٦ ـ أخبرنا ابن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار قال: أنبأنا الجَوْهري، والتَّنُوخي، والقَزْويني، قالوا: أنبأنا ابن حَيّوَيه قال: أنبأنا ابن المَرْزُبان قال: أنبأنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائِني قال: قال معاويةُ بن أبي سفيان لعَمْرِو بن العاص: ما ألذُّ الأشياء؟ قال: يا أمير المؤمنين مُرْ أَحْداث قريش فليقوموا، فلمّا قاموا، قال: إسقاط المروءة.

يُريد أنّ الرجل إذا لم تهمّه مروءته فعل ما يهوَى، ولم يُبال بلَوْمٍ. وهذه صفات البهائم، فأمّا أرباب الأنفة:

١٢١٧ ـ فكما قال ابن المعتز:

وإنّـي وإنْ حَنّـتْ إليـكِ ضمـائِـري فمـا قَـدْرُ حُبِّـي أنْ يَـذِلّ لـه قَـدْري

١٢١٨ ـ وقال أبو فراس[(١)]:

لقَـد ضَـلَّ مَـن تَحْـوِي هـواه خَـرِيـدةٌ وقَـد ذلّ مَـن تَقْضِـي عليـه كَعـابُ[(٢)]
ولكنّنـــي والحمـــدُ لله حـــازِمٌ أَعِـــزُّ إذا ذلّـــتْ لهـــنّ رقـــابُ

---

(١) هو الأمير أبو فِراس الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني التغلبي، الشاعر، كان رأساً في الفروسية، والجود وبراعة الأدب، كان ابن عبّاد يقول: بُدِىء الشعر بمَلِك وهو امرؤ القيس، وخُتم بملك وهو أبو فِراس، أَسَرَتْه الروم جريحاً، فبقي بقسطنطينيّة أعواماً، ثم فداه سيف الدولة منهم بأموال، وكانت له مَنْبج ثم تملّك حمص، ثم قُتل بناحية تدمر سنة (٣٥٧) هـ وله سبع وثلاثون سنة. انظر: السير ١٦/١٩٦، البداية والنهاية ١١/٢٧٨، النجوم الزاهرة ٤/١٩، وشذرات الذهب ٣/٢٤.

(٢) الخرِيدة: المرأة الجميلة الحييّة. كَعاب وكاعِب: المرأة التي كَعَب ثَدْيُها، أي: نَهَد وظهر.

ولا تملكُ الحسناءُ قلبيَ كلَّهُ ... ولو شَمَلَتها رِقَّةٌ وشبابُ
وأَجْرِي ولا أعطي الهوى فَضْلَ مِقْوَدي ... وأهفُو ولا يخفَى عليّ صوابُ
صبُورٌ ولو لم تَبقَ منّي بَقِيّةٌ ... قَؤُولٌ ولو أنَّ السُّيوفَ جوابُ

١٢١٩ ـ وقال عبد الواحد بن نصر الببّغاء(١):

سَلِ الصّبابة عنّي هل خَلَوْتُ بمن ... أَهْوَى مع الشوقِ إلاّ والعفافُ مَعِي
لا صاحبَتْنِيَ نفسٌ لو هَمَمْتُ بأنْ ... أزمِي بها لَهَوَات الموتِ لم تُطِعِ
تأبَى الدّناءَة لي نفسٌ نفاستُها ... تسعىَ لغير الرِّضا بالرِّيِّ والشِّبعِ
بهمّةٍ ما أظنُّ الحظَّ يُدرِكها ... إلاّ وقد جاوَزَتْ بِي كلَّ ممتنعِ

١٢٢٠ ـ وله:

وقد رامَ هذا الحبُّ أن يسترقّني ... فأنجدَني صَبْرٌ عليَّ جميلُ

١٢٢١ ـ وله:

لا تحسبي أنّ نفسي كالنُّفوسِ إذا ... حَمَّلتُها في هواكِ الضَّيمَ تحتملُ(٢)
وربما بعث التّذكارُ نحوكُمُ ... دمعي فتُنكره الأجْفَانُ والمُقَلُ(٣)
كُوني كما شِئتِ إنْ هَجْراً وإنْ صِلةً ... فليس تُنْكِر صَبْرَ البَازِلِ الإبِلُ(٤)
كم ذُقتُ للدّهر خَطْباً أنتِ أيْسَرُه ... فما ثَنَى عِطف حِلْمي الحادثُ الجَلَلُ

١٢٢٢ ـ وله:

سِوايَ الّذِي تَرمِي المَطامعُ نَبْلُه ... وغيريَ مَنْ بالحرصِ يَسْهُل ذُلُّه
ولو كنتُ مِمن تقبلُ الضَّيمَ نفسُه ... لَجَنَّبْتُ هَجْري مَنْ مُنَى النفسِ وَصْلُه
هوًى سُمْتُ قَلْبِي أنْ يُطاوعَ حُكْمَه ... فبادَرني قبلَ العواذِلِ عَذْلُهُ(٥)
توهَّمني كالعاشِقين يَرُوعني ... تجنُّبُه أو يغتالُ جِدِّيَ هَزْلُهُ
وإنّي لألقاه بسَلْوَةِ زاهدٍ ... وفي يدِه عَقْدُ الفُؤادِ وحَلُّهُ
أُصارِف طَرْفِي في تأمُّل حُسْنه ... وأسْخَطُ ما يُرضِي سوايَ أقَلُّهُ

---

(١) هو شاعر وقته، الأديب، أبو الفرج، عبد الواحد بن نصر بن محمد الببغاء، المخزومي النّصيبي، له ديوان، ومدائح في سيف الدولة، ولُقّب بالببغاء لفصاحته، وقيل: لِلَثْغة في لسانه. توفي سنة (٣٩٨) هـ. انظر: السير ١٧/٩١، تاريخ بغداد ١١/١١، البداية والنهاية ١١/٣٤٠، وشذرات الذهب ٣/١٥٢.

(٢) الضَّيم: الظلم.

(٣) المُقَل: العيون.

(٤) بَزَل البعير: انشق نابُه ذكراً كان أو أنثى، وذلك في السنة الثامنة أو التاسعة.

(٥) سمت قلبي: كلفته، وعرضت عليه.

ولا خيرَ فيمن يملِكُ الحبُّ رأيَه وإن ملكَ القلبَ المتيَّمَ حَبْلُهُ

١٢٢٣ ـ ولأبي عليّ بن الشبل:

وآنَفُ أن تعتاقَ قلبي خَرِيدةٌ بِلَحْظٍ وأنْ يُرْوِي صَدَاي رُضَابُ[١]
وللقلبِ منّي زاجرٌ مِنْ مُروءة يُجَنِّبه طَرْقَ الهوَى فيُجابُ

١٢٢٤ ـ ولمنصور بن الْهَرَوي[٢]:

خُلِقْتُ أَبِيَّ النفسِ لا أَتْبَعُ الهوَى ولا أسْتَقِي إلاّ مِنَ المَشْرَب الأصْفَى
ولا أحمِلُ الأَثقال في طلَبِ الغِنَى ولا أبْتَغي معروفَ مَن سامَنِي خَسْفا[٣]
ولا أتحرَّى العِزَّ فيما يُذِلّني ولا أخطبُ الأعمال كي لا أُرى صَرْفا[٤]
ولستُ على طَبْعِ الذُّباب متَى يُذَدْ عن الشيء يسقطْ فيه وهو يرى الحَتْفَا

١٢٢٥ ـ وله:

كفَى حَزناً أن زارني مَن أحبّه فأعْرَضتُ عنه لا مِلالاً ولا بُغْضا
ولكنَّ نفسي عنه نفسٌ أبِيَّةٌ إذا لم تَنلْ كلَّ المُنَى رَدَّتِ البَعْضَا

فصل: ومما يُذِل العُشّاق تجنّي المَحْبُوب، والتجنّي يحصد المحبّة في القلوب التي لها أنَفة.

١٢٢٦ ـ قال الأعشى:

أرى سَفَهاً بالمرءِ تَعْليقُ قلبهِ بغَانيةٍ خَوْدٍ متى يَدْنُ تَبْعُدِ[٥]

١٢٢٧ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرني علي بن أيوب القُمِّي قال: أنبأنا أبو عُبيد الله المَرْزُباني قال: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني علي بن محمد بن نصر بن بَسّام قال: حدثني خالي أحمد بن حَمْدُون الكاتب قال: كان بين الواثِق وبعض جواريه شرّ، فخرَج كسلانَ، فلم أزَلْ أنا والفَتْح بن خاقان نحتال لنشَاطه، فرآني أُضاحِك الفتح بن خاقان، فقال: قاتل اللّهُ العباسَ بن الأحنف حيث يقول:

عَدْلٌ مِنَ الله أبْكَاني وأضحَكَكُم فالحمدُ للّهِ عَدْلٌ كلُّ ما صَنَعَا

---

(١) تعتاق: تحبُس، تأسر، الصدى: العطش.
(٢) هو منصور بن محمد بن محمد الهَروي، الأزدي، فقيه، أديب، شاعر، تفقّه ببغداد، ومدح القادر بالله العباسي، وتولّى القضاء بهَراة، له ديوان شعر، توفي سنة (٤٤٠) هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٨/ ٢٤٣، ومعجم المؤلفين ٣/ ٩١٩.
(٣) الخسف: الذل.
(٤) صَرْفا: أي مردوداً مدفوعاً مصروفاً عمّا أُريد.
(٥) خَود: المرأة الشابّة.

اليومَ أبكِي على قلبي وأنْدُبه قلبٌ ألحَّ عليه الحبُّ فانصدعَا
للحُبِّ في كلّ عضوٍ لي على حِدَةٍ نوعٌ تفرَّق عنه الصّبر واجتمعَا

١٢٢٨ ـ وقال ابن الدُّمَيْنَة[١]:

أما واللَّهِ ثم اللَّهِ حقّاً يميناً ثم أُتبِعُها يمينا
لقد نَزلَتْ أُميمةُ من فؤادي تِلَاعاً ما أُبِحْنَ ولا رُعِينَا[٢]
ولكنَّ الخَليلَ إذا جفَانَا وآثرَ بالمودّة آخرينَا
صَدَدْتُ تكرُّماً عنه بنفسي وإن كان الفؤادُ به ضَنِينَا

فصل: ومن الأَنفَةِ: الأنفةُ مِن حبّ مَن طبعُه الغَدْر، وهذا أجَلُّ طِباع النساء، وقد ذكَرْنا في غضون كتابنا مِنْ غدرهنّ طَرَفاً. ومن ذلك ما ذكرناه في باب الحِيل والمخاطرات، في قصّة لقمان بن عاد. وذكرناه في باب من قتل معشوقه، وغير ذلك.

١٢٢٩ ـ وقد قال الحكماء: لا تثق بامرأة.

١٢٣٠ ـ وقال الشاعر:

إذا غَدَرَتْ حسناءُ أوْفَتْ بعهدِها ومِنْ عهدها أنْ لا يدومَ لها عهْدُ

١٢٣١ ـ أنشدنا علي بن عُبيد الله، قال أنشدنا أبو محمد التَّمِيمي:

أفِقْ يا فؤادِي مِن غرامِك واستَمِع مقالَةَ مَحْزونٍ عليكَ شَفِيقِ
عَلِقْتَ فتاةً قلبُها متعلّقٌ بغيرِك فاستوثَقْتَ غير وَثِيقِ
وأصبحتَ موثوقاً وراحتْ طليقةً فكَمْ بين موثوقٍ وبين طَلِيقِ

فصل: ومما يُدَاوَى به الباطن: أن يعلمَ الإنسانُ أنَّ زوجته المحبوبة إن ماتَ عنها مالت إلى غيره ونسِيَتْه أسرعَ شيء، وإن كانت تحبّه، لأنّه لا وفاء للنساء.

١٢٣٢ ـ أنبأنا الحُسين بن محمد الدبّاس قال: أنبأنا أبو جعفر بن المُسْلِمَة قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص قال: أنبأنا أحمد بن سُليمان بن داود الطُّوسِي قال: حدثنا الزّبير بن بكّار قال: حدثني محمد بن الضحاك الحُزَامي، عن أبيه، وأحمد بن عُبيد الله، عن عبد الله بن عاصم بن المُنذر بن الزبير ـ ويزيدُ أحدهما على صاحبه ـ قال: تزوَّج عبد الله بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنهما عاتِكة بنت زيد بن عَمْرو بن نُفيل، وكانت حَسْناء جَمْلاء ذات خَلْق بارِع، فشغلَتْه عن مَغازيه، فأمره أبوه بطَلاقها وقال: إنّها قد شَغَلَتْكَ عن مَغازيك، فقال:

---

(١) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد بن الدُّمَينة، أبو السري، شاعر من بني عامر، توفي سنة (١٣٠) هـ. انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٢٣٧، ومعجم المؤلفين ٢/ ٢٥٧.
(٢) التِّلاع: ما علا من الأرض. وهنا استعارة.

يقولُون طَلِّقْها وخيِّمْ مكانَهَا ... مُقيماً عليكَ الهمُّ أَحْلامَ نائمِ
وإنّ فراقي أهلَ بيتٍ جمعتُهمْ ... على كِبَرٍ مِنّي لإحدَى العظائمِ

ثم طلّقها، فمرّ به أبوه وهو يقول:

لم أرَ مثلِي طَلّق العَامَ مثلَها ... ولا مثلَها في غيرِ جُرْم تُطَلَّقُ
لها خُلُق جَزْلٌ ورأيٌ ومَنْصِبٌ ... وخَلْقٌ سَويٌّ في الحياة ومَصْدَقُ[1]

فرقّ له أبوه فراجعها، ثم شهد مع النبيّ ﷺ غزوة الطائف فأصابَه سهمٌ، فمات بعدُ بالمدينة. فقالت عاتِكة تبكيه:

رُزئتُ بخير الناس بعد نبيِّهم ... وبعدَ أبي بكر وما كان قصَّرا[2]
فآليتُ لا تنفكُّ عيني حَزينةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جِلْديَ أغْبَرا[3]
فللّه عَيناً مَنْ رأى مثلَه فتى ... أكَرَّ وأحْمَى في الهِيَاج وأصْبَرا[4]
إذا شُرعت فيه الأسنةُ، خاضَها ... إلى الموتِ حتى يتركَ الرُّمْح أحمرَا

ثم تزوّجها عُمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأَوْلَم، وكان فيمن دعا علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين: دعني أكلِّم عاتكة. فقال: كلِّمها يا أبا الحسن. فأخذَ علي عليه السلام بجانِب الخِدْر ثم قال: يا عُدَيَّة نفسها[5]:

فآليتُ لا تنفكّ عيني قَريرةً ... عليك ولا ينفكُّ جلديَ أصْفَرا

فبكَت. فقال عُمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحَسن؟ كلّ النساء يَفْعَلْن هذا.

ثم قُتِل عنها، ثم تزوّجها الزُّبير، فكانت تخرجُ إلى المسجد وكان يكرَهُ خروجَها ويَتَحَرّج مِن مَنْعها، فخرَجت ليلةً إلى المسجد، وخرَج الزُّبير فسَبقها إلى مكانٍ مظلم مِن طريقها، فلمّا مَرَّت به وضَع يده على بعض جسَدِها فرَجعت تَنْشج، ثم لم تخرج بعدَ ذلك. فقال لها الزبير: ما لَكِ لا تخرجين إلى المسجد كما كنتِ تفعلين؟ فقالت: فسَدَ النّاس. فقال: أنا فعلت ذلك. فقالت: أليس غيركِ يقدر أن يفعلَ مثله! ولم تخرُج حتى قُتِل عنها الزبير[6].

---

(١) الجَزْل: الكريم.
(٢) رُزِئتُ: أي أُصِبت بموت خير الناس.
(٣) آلَيت: حلفت وأقسمت.
(٤) الهياج: الحرب.
(٥) أي: يا عَدُوّة نفسها.
(٦) انظر هذه القصة في الإصابة في تمييز الصحابة ٤/٣٥٦ ـ ٣٥٧.

١٢٣٣ ـ وبالإسناد قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: كان الحَسن بن الحسن خطَب إلى عَمِّه الحُسين بن علي، فقال له الحُسين: يا ابن أخي، قد انتظرتُ هذا منك، انطلِقْ معي.

فخَرج به حتى أدْخله منزله، ثم أخْرَج إليه ابنتَيه فاطمة وسُكَيْنَة رضي الله عنهما، فقال: اختَر. فاختار فاطمة، فزوَّجه إياها، فكان يُقال: فلمّا حضرت الحَسنَ الوفاةُ، قال لفاطمة: إنك امرأة مرغوبٌ فيك، فكأنّي بعبد الله بن عَمْرو بن عثمان، إذا خُرِج بجنازتي قد جاء على فرَس مرجِّلاً[1] جَبِينه لابساً حُلّته يَسير في جانب الناس يتعرَّض لك، فانكِحي مَنْ شِئْتِ سواه، فإنّي لا أدَع منَ الدنيا ورائي همّاً غيرك.

فقالت له: آمن من ذلك. وأثْلَجْته[2] بالأيْمان مِنَ العِتْق والصَّدَقَة لا تتزوّجه.

ومات الحَسن بن الحسن، وخُرِج بجنازته، فوافاه عبدُ الله بن عَمرو بن عثمان في الحال التي وصَف الحسَنُ، وكان يُقال لعبد الله بن عمرو بن عثمان: المُطْرَف[3]، من حُسْنه، فنظر إلى فاطمة حاسِرَةً تضرِب وجهها، فأرسل إليها: إنَّ لنا في وجهك حاجة فارفقي به. فاسترخَتْ يداها، وعُرِف ذلك فيها، وخَمّرت وجهها، فلما حَلَّت[4]، أرسلَ إليها فخطَبها، فقالت: كيف بيَميني التي حلفتُ بها؟

قال: فأرسَل إليها مكان كلّ مملوك مملوكَيْن، ومكان كلّ شيء، فعَوَّضَها مِنْ يمينها، فنكحته، فولدَتْ له محمداً الدِّيباج والقاسم.

١٢٣٤ ـ قال الزُّبير: وحدّثني مُصعب بن عبد الله، قال: زعَموا أنّ حمزة بن عبد الله بن الزبير نظر إلى فاطمة بنت القاسم تبكِي عند رأسه، وهو يموت، فقال لها: أما والله فكأنّي بالأُعَيْرَج طلحة بن عُمر، قد أرسل إليك إذا حَلَلْت، فتَزَوَّجينه!؟

قالت: كلّ مملوك لها حرّ، وكلّ شيء لها في سبيل الله تعالى إنْ تزوجته أبداً.

فلما حلّت، أرسل إليها طلحة بن عُمر: إنّي قد علِمْتُ يَمينك، ولك بكلّ شيء شيئان. فأَصْدَقها ثلاثمائة ألف دِرْهم، فتزوّجته، فولدَت له إبراهيم ورَمْلة.

١٢٣٥ ـ قال الزّبير: وحدثني عُمر بن أبي بكر المَوْصِلي، عن إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهري، قال: كانت أمّ هشام بنت عثمان بن عبد الله عند عبد الرحمن بن عمر بن سهل العامِري، وكان عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن المَخْزُومي صديقاً له، فقال:

---

(١) مُرَجِّلاً: مُسَرِّحاً مُمَشِّطاً.
(٢) أثلجته: فرّحته وطمأنته.
(٣) أصل المُطرف: الرداء الجميل الذي له أعلام.
(٤) أي: أنهت عدّتها.

فدخلتُ عليه وهو يموت، فإذا هو شَكِعٌ[1]، فقلت له: ما يشكعك يا أخي، أمِنَ الموت تَشْكَع؟! قال: والله ما ذاك يُشْكِعُني، ولكنّي أخاف أنْ تزوَّج أمُّ هشام عُمَر بن عبد العزيز ـ وعُمرُ إذْ ذاك والٍ على المدينة ـ. قال: وسِتْرٌ في البيت، فسَمِعْتُ حركةً فيه، فما كان بأوْشَكَ من أنْ كُشِفَ السِّتر، وإذا جَوارٍ قد قُمْنَ بين المرأة، ثم قالت: قد سمعتُ مقالتك يا ابن عُمر، والذي يشغلك، واستغلَظَتْ في اليمين بالنَّذر، وكلّ شيء لها في سَبيل الله عزّ وجلّ، وعِتْق ما تَمْلِك، إن تزوَّجْتُه، فطِبْ نفساً. فقال: الحمدُ لله ما أُبالي متى جاءَني الموت.

قال عبد الله بن عكرمة: فخرَجْتُ إلى المنزل، فوالله ما بلغتُ حتى سمعتُ الصِّياح، وجاءَني الرسول أنْ أدرِك أخاك فقد مات. قال: فجئتُه فقمنا إلى حاجته فرمِح به الظهرُ[2]، وأمّ هشام في الناس، ليس لي همّة إلاّ أنظر كيف تصنع هي وعُمر.

فلمّا كُنّا على القبر التفَت عُمر إلى المأْتَم، فإذا امرأة قد راقت النِّساء طُولاً وجمالاً وهي تضرِب على خدَّيْها ضرْباً شديداً، فقال: من هذه؟ فقيل: ابنة خالتك أيّها الأمير أمّ هشام بنت عثمان. فأرسلَ: أَبْقي في خَدَّيْك، فإنّ لنا فيهما حاجة.

قال: فأتى الخَصِيّ[3] فكلّمها، فنظرتُ إلى يَدَيْها وقد استَرْخَتا، فلم يكن إلاّ أنْ حَلَّت، فأخلَف عليها ما حَلَفت بِهِ وأَرْغَبها وتزوَّجها. وبلغني ذلك فكتبتُ إليها أذكِّرها ما كانَ بلَغَنا مِنْ غَدْرِ النساء، وإنَّا كنّا بين مُصدِّق ومكذِّب، حتى بان لي ذلك فيها، وتمثلتُ لها:

إن لَقِيَــتْ خيــراً فــلا يَهْنِهــا ... وإن عثَــرَتْ فلليَــدَيْــنِ وللفَــم[4]

فكتبَتْ إليّ: قد فهمتُ كتابك، وإنّي لم أجد لي مثلاً إلاّ ما قال أَرْطأة بن سهية:

كـأيِّـنْ تـرى مِـنْ ذاتِ شَجْـو ولَـوْعـةٍ ... طَـوَتْ كَشْحَهَـا بعد الحَنِيـنِ المُـرَجَّـعِ[5]

١٢٣٦ ـ وقال المتوكل الليثي فيما يتعلّق بالسلوّ عن النساء لغَدْرِهِنّ:

وكنَّـا ارتقيْنَـا فـي صُعـودٍ مـنَ الهـوَى ... فلمّـا ارتقينـاه تَبَـتْ وزلّـتِ
وكنّـا عَقَـدْنـا عُقْـدةَ الـوَصْـل بيننـا ... فلمـا تـواثَقْنـا عقَـدْتُ وحَلّـتِ
فـإن سـألَ الـواشُـون فيـم صَـرَمْتَهـا ... فقُـلْ نفـسُ حـرٍّ سَلِيَـتْ فتسلّـتِ[6]

---

(١) الشَّكَع: شدة الضَجَر، والمراد أنه مهمومٌ مكروب.
(٢) أي: اقترب وقت الظهر.
(٣) الخَصِي: الذي سُلَّت خصيتاه ونُزِعتا، وكانوا يتخذونهم خدماً لنسائهم.
(٤) البيت مكسور الوزن.
(٥) الكشح: ما بين السرّة إلى الظهر.
(٦) صَرَمْتها: قطعت حبل وصالها.

١٢٣٧ ـ وقد حُكِي أنّ جعفر بن قُدامة قال: كانَتْ لموسى الهادِي جارية، يقال لها: غادر، من أحسن الناس وَجْهاً وعَيْناً، وكان يُحبّها حباً شديداً، فبينا هي تغنّيه يوماً عرَض له فكر وسهو وتغيّر لونُه. فسأله مَن حضر عن ذلك، فقال: وقع في فكري أنّي أموت وأنَّ أخي هارون يَلِي مكاني ويتزوج جاريتي هذه. فقيل له: يُعِذْكَ الله ويُقَدِّم الكلَّ بين يدَيْك قَبلك.

فأمر بإحضار أخيه وعرَّفه ما خطر له، فأجابه بما يُوجب زوالَ الخاطِر. فقال: لا أرضى حتى تحلِف لي أنّي متى مِتّ لم تتزوجها. فاستوفَى عليه الأيمان مِنَ الحج راجلاً، وطلاقِ الزوجات وعِتْق المماليك، وتَسْبيل ما يملِكه، ثم نهضَ إليها فأَحْلَفها بمثل ذلك.

فما لبث إلاّ نحوَ شهر حتى توفي، فبعثَ هارون يخطُب الجارية، فقالت: كيف يَمِيني ويمينك؟ فقال: أُكَفِّرُ عن الكُلّ وأحُجُّ راجلاً. فتزوجها وزاد شَغَفه بها على شغَف أخيه أنّها كانت تضَع رأسها في حِجْره وتنام، فلا يتحرّك حتى تَنْتَبِه. فبينا هي ذات يوم على ذلك انتبهَت مرعُوبة فَزِعة، فسألها عن ذلك، فقالت رأيتُ أخاكَ الساعة وهو يقول:

أخلَفْـــتِ وَعْـــدي بعـــدَمـــا ... جـــاورتُ سُكَّـــانَ المقـــابـــرْ
ونسيتِنـــي وحَنَثْـــتِ فـــي ... أيمـــانِـــكِ الكَـــذِبِ الفَـــوَاجـــرْ
ونكحْـــتِ غـــادرةً أخِـــي ... صَـــدَق الـــذي سَمَّـــاكِ غـــادِرْ
أمسيـــتُ فـــي أهـــلِ البلَـــى ... وغـــدَوْتِ فـــي الْحُـــور الغَـــرَائـــرْ[1]
لا يَهْنِـــكِ الإلـــفُ الجـــديـ ... ـــدُ ولا تَـــدُرْ عنـــكِ الـــدَّوائـــرْ[2]
ولَحِقْـــتِ بـــي قَبْـــل الصبـــا ... حِ وصِـــرْتِ حيث غـــدوْتُ صـــائـــرْ

والله يا أمير المؤمنين لكأنّي أسمعهما وكأنّما كتبتُهما في قلبي فما أُنْسِيت منها كلمة. فقال لها الرشيد: أَضْغَاثُ أحلامٍ. فقالت: كلاّ. ثم لم تزل تَضْطرب بين يدَيه وتُرْعَد حتى ماتت.

فصل: ومما يُدَاوَى به الباطن أن تفكَّرَ، فتعلم أنّ محبوبك ليس كما في نفسك، فأَعْمِل فِكْرَك في عُيوبه تَسْلُ. فإن الآدمي محشوٌّ بالأنجاس والأَقْذار، وإنما يرَى العاشِق معشوقَه في حال الكَمال، ولا يُصَوِّر له الهوَى عَيْباً، لأنّ الحقائق لا تنكشِف إلاّ مع الاعتِدَال، وسُلطان الهوَى حاكم جائِر يُغطّي المعايِب، فيرَى العاشقُ القَبيحَ مِنْ معشوقه حَسَناً.

١٢٣٨ ـ أخبرنا أبو المُعَمّر الأنصاري، قال: أنبأنا صاعد بن سَيّار، قال: أنبأنا أحمد بن

---

(١) أي: الجميلات الحديثات السّن.
(٢) لا تدُر عنك الدوائر: لا تبعُد عنك الخطوب والمصائب.

أبي سهل الغُوْرَجي، قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ ـ إجازة ـ، قال: حدثني علي بن أحمد الوَزَّان، قال: حدثنا الحَسن بن أبي الحسن، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن يحيى الصُّوْلي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد اليَزِيدي، قال: حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأَصْمعي، عن عمه، قال: قال لي الرشيد: ما حدُّ العِشْق وصِفَتُه؟ فقلت: أن تكون رِيح البَصل من المعشُوق أطيب عند العاشق من ريح المِسْك مع غيره.

١٢٣٩ ـ وقال الحكماء: عين الهوى عوراء.

وبهذا السبب يُعْرِض الإنسان عن زوجته ويُؤْثر عليها الأجنبِيّة، وقد تكون الزوجة أحسن. والسبب في ذلك أنّ عيوب الأجنبية لم تَبِنْ له وقد تَكْشفها المُخالطة، ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجدِيدة وكشفَتْ له المُخالَطةُ ما كان مستوراً، مَلَّ وطلَب أُخْرَى إلى ما لا نهاية له.

١٢٤٠ ـ وقد بلغنا عن المتوكل أنه خرَج يوماً واجِماً، فسأله وزيره عن حاله؟ فقال: في الدار عِشرون ومائة جارية، ما فيهنّ مَن تطلبها نفسي.

قال المصنف: فاستعمال الفكر في بدن الآدمي وما يحوي مِنَ القذارة وما تستر الثياب من المُستقبح يهوّن العِشق.

١٢٤١ ـ ولهذا قال ابن مسعود: إذا أعجبَتْ أحدكم امرأةٌ فليذكر مَنَاتنها[1].

١٢٤٢ ـ وقال بعض الحكماء: من وجَد رِيحاً كريهة من محبوبه سَلاه، وكفَى بالفكر في هذا الأمر دفعاً للعِشْق المقلق.

ولقد بلَغنا أنّ رجلاً عشِق امرأة، فمدّ يده إليها مع طَيْش، فقالت له: تأمَّل أمرك، أتدرِي ما تريد أن تصنع؟ إنّما تريد أن تبولَ في بالوعة، لو شاهدت داخلها لوجدته أنتن مِنَ الكَنِيف[2]! فبرَد وسكن ولم يُعاود.

١٢٤٣ ـ وقال أبو نصر بن نُباتة:

---

(١) قال الألباني في إرواء الغليل ٦/١٩٩: «لم أقف على سنده إلى ابن مسعود، وقد أخرج ابن أبي شيبة (١/٥٢) بإسناد رجاله ثقات نحوه عن إبراهيم في الرجل يرى المرأة فتعجبه، قال: يذكر مناتنها.
وروى عن عبد الله بن حلام، قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعود ـ: من رأى منكم امرأة فأعجبته فليواطىء أهله، فإن الذي معهنّ مثل الذي معهنّ. ورجاله ثقات رجال الشيخين، غير ابن حلام هذا، فأورده ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وأما ابن حبان فأورده في الثقات (١/١٠٥)، ووقع فيه سلام بدل حلام، وهو خطأ من الناسخ».

(٢) الكَنِيف: الحُشّ، مكان قضاء الحاجة.

ما كنت أعرف عَيْبَ مَنْ أحْبَبْتُه ... حتى سَلَوْتُ فصِرتُ لا أشتاقُ
وإذا أفاق الوَجْدُ واندمَل الهوَى ... رأتِ القلوبُ ولم ترَ الأحْدَاقُ

فصل: ولهذا المعنَى الذي أشرتُ إليه شكا خَلْق من العُشّاق معشوقهم، وملّوهم وأعرضوا عنهم، وما كان السبب إلاّ أنّ المخالطة أظهرَت المعايب الآدمية، فنفَروا عنهم ومضى ما مضى منَ القلق ووهن الجاه مَجّاناً!

١٢٤٤ ـ أخبرتنا شُهْدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا أبو موسى السرّاج، قال: أنبأنا عبد الله بن عُمر بن أحمد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الحُسين بن أحمد بن صدقة، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، قال: حدثنا أبو مَعْمر، قال: أملَى علينا سفيان بن عُيَيْنة، عن يحيى بن يحيى الغسَّاني، قال: سمعت عُروة، يُحدّث: أنّ عبد الرحمٰن بن أبي بكر خرج في نفر من قُريش إلى الشام يَمْتارون[1] منه، فمرُّوا بامرأة يُقال لها: ليلى، فذكر من جمالها، فرجَع وقد وقع منها في قلبِه شيء وهو يشبِّب ويقول:

تذكَّرْتُ ليلى والسَّماوَةُ بيننا ... وما لابنَةِ الجُودِيّ ليلى وما لِيَا[2]

زادنا مُصْعَب بيتَيْن مِنَ الشعر ليس مِنْ حديث ابن عُيَيْنَة:

وأنّى تَعَاطَى قلبه حارثيةٌ ... تُدَمِّنُ بُصرَى أو تحلُّ الجوانيَا[3]
وأنَّى تُلاَقِيها بلى ولعلَّها ... إنِ الناسُ حَجُّوا قابِلاً أن تُلاَقيَا[4]

ثم رجع إلى حديث سفيان، قال: فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتتح خالد بن الوليد الشام فصارت إليه.

١٢٤٥ ـ أنبأنا الحُسين بن محمد بن عبد الوهاب قال: أنبأنا أبو جعفر بن المُسْلِمة قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص قال: أنبأنا أحمد بن سلمان بن داود قال: أنبأنا الزّبير بن بكّار قال: حدثني محمد بن الضحاك الحُزَامي، عن أبيه: أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قدِم الشام في تجارة فرأى هناك امرأة يُقال لها: ابنة الجُودِي، على طنفسةٍ لها ولائد[5] فأعجَبَتْه فقال فيها:

---

(١) يَمتارون: أي يشترون ويجمعون الطعام والمؤونة.
(٢) السَّماوة: الأرض المستوية الشاسعة لا حجر بها.
(٣) دمّن القوم الموضع: سوّده وأثروا فيه بالدمن (أبعاد المواشي والدواب). الجوانيا: موضع قرب المدينة.
(٤) قابلاً: السنة المُقبلة القادمة.
(٥) الطُّنفسة: النمرقة فوق الرحل. والولائد: جمع وليدة: وهي الجارية من العجم.

تـــذكَّـــرْتُ ليلـــى والسّمـــاوة بيننـــا ... ومـــا لابْنَـــةِ الْجُـودِيّ ليلـى ومـا ليَـا
وأنَّـــى تعَـــاطَـــى ذِكْـــرَه حـــارِثيَّـــةٌ ... تُـدَمِّـنُ بُصْـرَى أو تَحُـلُّ الْجـوانيَـا
وأنَّـــى تَـــلاَقِيهـــا بلـــى ولعلّهـــا ... إنِ النـاسُ حَجُّـوا قـابـلاً أن تُـلاَقيـا

قال: فلما بعث عُمر بن الخطاب رضي الله عنه جيْشه إلى الشام، قال لصاحب الجيش: إن ظفرت بليلى ابنة الْجُودي عَنْوَة فادْفَعْها إلى عبد الرحمن بن أبي بكر.

فظفر بها، فدفعها إلى عبد الرحمن، فأُعْجِب بها وآثرها على نسائه، حتى شَكَوْنَه إلى عائِشة رضي الله عنها، فعاتَبَتْه على ذلك، فقال: والله كأنّي أَرْشُف بأَنْيابِها حَبَّ الرُّمان. فأصابها وجَعٌ سقط له فُوها، فجَفاها، حتى شكَتْه إلى عائشة، فقالت له عائشة رضي الله عنها: لقد أحبَبْتَ ليلى فأفْرَطت، وأبغضْتَها فأفرطت، فإمّا أن تُنصفها و إما أن تُجَهّزَها إلى أهلها، فجهّزها إلى أهلها.

١٢٤٦ ـ قال: وحدثني عبد الله بن نافع الصائغ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عُروة، عن أبيه، أنّ عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه نفَّل عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الْجُودِيّ حين فتَح دمشق، وكانت بنت مَلك دمشق، ومما يُروى لعبد الرحمن في ليلى بنت الجودي:

يـــاابنـــة الجـــودِي قلبـــي لَبِـــثٌ ... مُستهـــام عنـــدهـــا مـــا يـــؤوبُ[١]
جـــاوَرَتْ أخـــوالَهـــا حـــيَّ عَـــكٌّ ... فلعـــكٌّ مِـــن فـــؤادي نصيـــبُ
ولقـــد لامُـــوا فقلـــتُ ذَرُونـــي ... إنّ مَـــنْ تَلحـــوْن فيهـــا الحبيـــبُ
غُصْـــنُ بـــانٍ مـــا خـــلا الخَصْـــر منهـــا ... ثـــم مـــا أسفـــل ذاك كثيـــبُ

قالت عائشة رضي الله عنها: كُنت أعاتبه في كثرة محبّته لها، ثم صرت أعاتبه في إساءته إليها، حتى ردّها إلى أهلها.

١٢٤٧ ـ حدثني محمد بن أبي نُعيم البَلْخِي قال: حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم النَّحْوي: أن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الضحّاك عامِل المدينة: ابْعَث إليَّ الأحوصَ بن محمد الأنصاري ومَعْبَداً المُغَنّي. فخرجا يقصدان المنازل[٢] ويُقيمان فيها يستلذان، حتى نزلاَ على غدِير ماء وروضة خضراء ببلدٍ أفْيح[٣] وبها رجلٌ من بني مخزوم في قصرٍ له، حتى نزلاَ

---

(١) لَبِثٌ: مُقيم. المُستهام: مَن ذهب فؤاده وسُلِب عقله من الحب أو غيره.
(٢) المنازل: هو المكان الذي يُعَدّ لنزول المسافر يُهيّأ له فيه من الطعام والشراب وما يُعينه على سفره.
(٣) بلد أفيح: واسع.

البلقاء وهي أرض الشام، فأصابهما مطرٌ من الليل وأصبحَتِ الغُدَر[1] مملوءة. فقال الأحوص: لو أَقَمْنا اليوم فتغدّينا على هذه الغُدَر. ففعلا، ورُفِع لهما قصرٌ، فلمّا أكلاَ ووضعا شرابهما فُتح باب القصر، فخرجَتْ جارية بيضاء من أشدّ الناس بياضاً وأحسنهم شَعْراً في يدِها جرّة، فوردت الغدير بتِلك الجرة فاستَقَتْ من ذلك الماء، حتى إذا كانت على خمس أو نحوها ألقتِ الجرّة فكسرتها وقعدت فاندفَعَتْ تغنّي بحِذْق:

يا بيتَ عاتِكة التي أتَغَزّلُ ... حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكَّلُ
إنّي لأمنحك الصّدودَ وإنّني ... قسَماً إليك مع الصُّدودِ لأمْيَلُ

فقال مَعْبد: غِنائي والله! وقال الأحوص: شِعري والله! فلمّا سمعا ذلك منها قاما إليها فسلّما عليها، وسألاها إعادة الصوت فأعادته، فقالا لها: مِنْ أين أنت! فقالت: مكية كنت لآل الوليد، فحجّ هذا المخزومي الذي أنا عنده، فابتاعني من أهلي بخمسين ألف درهم، فنزلتُ مِنْ قلبه أحسَن منزلة، إذ طرَقَتْ عليه ابنة عمّ له فنزلَت أحسن المنازل، وعلا مكانها، فلم يزِدْها إلاّ ارتفاعاً، ولم يزدْني إلاّ اتضاعاً، حتى بلَغَتْ منزلَتها أنْ قالت: لستُ براضية حتى تأمرَها تستقي الماء مِنَ الغدير كلّ يوم جَرّتين، ففَعل، فأنا إذا ذكرتُ ما كنت فيه مِنَ النِّعمة كسرتُ الجرة، وإذا اعترفتُ بالمِلْكة[2] أدَّيْت إليهم جرّتهم مملوءة.

١٢٤٨ ـ حدثني بعض إخواني عن صدِيقٍ له، أنّه عَشِق امرأةً كانت في نهاية الحسن والجمال، وأنّه كان يخاطر بنفسه ليجتمع بها. قال: فقال لي يوماً: والله لو اجتمعتُ بها ثم قُدِّمتُ فضربَتْ عُنقي ما باليت. ثمّ إنّه تزوّجها، فمضَى عليه قليل ثم طلّقها. قال: فمررتُ يوماً أنا وهو في بعض الطريق بحَمْأة[3] مُنْتِنة، فقال لي: يا فلان، والله إنّ فلانة اليوم أقبحُ عندي حالاً من هذه الحمأة!

فصل: وقد يقع السّلوُّ بالشيء الذي لا يُظَنّ، مثل أنْ يحبّ الإنسان المرأة، فإذا بها نسبة لصَدِيق من أصدقائه، فيحتشم ذلك فيَسلوها.

١٢٤٩ ـ أخبرنا محمد بن أبي القاسم، قال: أنبأنا محمد بن أبي نصر الحُمَيْدي، قال: أخبرنا أبو محمد علي بن أحمد، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن إسحاق المُهَلّبي، عن بعض إخوانه، ـ وأظنه أبا الوليد بن الفَرَضي ـ، عن أبي عُمر يوسف بن هارون، قال: خرجتُ يوماً لصلاة الجمعة، فتجاوزتُ نهر قرطبة متفرّجاً إلى رِياض بني مروان، فإذا جارية لم أرَ أجمل

(١) الغُدَر: جمع غدير، وهو القطعة من الماء يتركها السَّيْل.
(٢) أي: أنني مملوكة.
(٣) الحمأة: الطين الأسود المتغيّر.

منها، فسلّمْتُ عليها، فردّت، ثم جَارَيْتُها فرأَيْت أدباً بارعاً، فأخَذَتْ بمجامع قلبي. فقلت: سألتُك بالله أحرّة أم أمَة؟ فقالت: بل أمَة، فقلتُ: ما اسمك؟ فقالت: حُلوة، فلما قرُب وقت الصلاة انصرفت فجعلتُ أقفو أثرَها، فلمّا بلغَتْ رأس القَنْطرة، قالت: إمّا أن تتقدم وإمّا أن تتأخر، فلستُ والله أخطو خطوة وأنت معي. فقلتُ لها: فما ثمنك إن باعك مَنْ أنت له؟ قالت: ثلاثمائة دينار.

قال: فخرجْتُ جمعةً أخرى فوجدتها على العادة، فازداد كَلَفي[1] بها، فرحلتُ إلى عبد الرحمن التُّجِيبي صاحب سَرَقُسْطة[2]، فمدحتُه بالقَصِيدة الميمية المشهورة فيه، وذكرتُ في تَشْبِيبِها حُلوة، وحدّثته مع ذلك بحدِيثي، فوصَلَني بثلاثمائة دِينار ذهباً، سوى ما زوّدني مِن نفقة الطريق مُقبلاً وراجعاً. وعُدْتُ إلى نهر قرطبة فلزِمْتُ الرياض جُمَعاً لا أرَى لها أثراً، وقدِ انطبقَتْ سمائي على أرضي، وضاقَ صدرِي، إلى أن دَعاني يوماً رجلٌ من إخواني، فدخلتُ داره، وأجلسَني في صدرِ مجلسه، ثم قام إلى بعض شأنه، فلم أشعر إلاّ بالستارة المُقابلة لي، وإذا بها قد رُفعت، وإذا بها، فقُلت: حُلوة؟ فقالت: نعم. فقلتُ: أنت مملوكته؟ فقالت: لا والله، ولكنّي أخته.

قال: فكأنّ الله تعالى محا حُبَّها منْ قَلْبي، وقمتُ من فَوْري، فاعتذَرْت إلى صاحب المنزل بعارِض طرَقني وانصرفتُ. وأول قصيدته:

قِفُـوا تَشْهَـدوا بَثِّـي وإنكـار لائِمـي ... علـيّ بكـائي فـي الـرُّسـوم الطَّـوَاسـمِ[3]
أيَـأْمَـنُ أن يغـدو حَـرِيقـاً تنفّسـي ... وإلاّ غـريقـاً فـي الـدّمـوع السـواجـمِ[4]
خـذُوا رأيَـه إن كـان يَتْبـع كـلّ مـن ... يَنُـوح علـى أُلآفـه بـالمـلاوم
فهـذا حَمـام الأيْـكِ يبكـي هَـدِيلَـه ... بُكـائِـيَ فليفـزَع للَـوْم الحمـائـمِ[5]
ومـا هـي إلا فـرقـةٌ تبعـث الأسـى ... إذا نـزلَـت بـالنـاس أو بـالبهـائـم
جـلا نـاظـري مـنْ نـومِـه بعـد خَلْـوة ... متـى كـان منّـي النـوم ضـربـةَ لازمِ

١٢٥٠ ـ ومن شعره:

قـالـوا: اصطبر وهـو شـيء لستُ أعرِفُـه ... مَـن لـيـس يعـرِف صبـراً كيـف يصطبـرُ

---

(١) أي: حبّي وَوَلعي.
(٢) سَرَقُسْطة: بلدة مشهورة بالأندلس، ذات فواكه عذبة، مبنية على نهر كبير. انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٣) الرسوم: الآثار. الطواسم: الطَّوَامِس.
(٤) السواجم: المصبوبة السائلة.
(٥) الأيك: الشجر الملتف الكثير الأغصان، أو هو نوع من الشجر. الهَدِيل: صوت الحَمَام.

أَوْصِ الخليّ بأن يُغْضِي الملاحظَ عن غُرِّ الوجوه ففي إعمالها غَرَرُ[1]
وفائقِ الحسن قتّال الهوَى نظرَتْ عينِي إليه فكان الموتُ والنظرُ
ثم انتصرتُ بعينِي وهي قاتلتي ماذا تُريد بقلبي حين تَنْتَصِرُ
يا شِقَّة النَّفْسِ واصِلْها بِشِقَّتِها فإنّما أنفسُ الأعداء تهتجِرُ
ظلمتِني ثم إنّي جئتُ مُعتذراً يكفِيك أنيَ مظلومٌ ومعتذرُ!

فصل: ومما يداوَى به الباطن: تصوير فقد المحبوب، إمّا بموته أو بفراقٍ يَحْدث عن غير اختيار، أو بنوع مَللٍ، أو بتغيّر حِلْيَته، فيزول ما أوجبَ المِحَن الزائدة على الحدّ التي خسِر بها المحبّ جاهَ الدِّين والدنيا، وكم ممن مات في تلك الحال.

١٢٥١ ـ وقد حُكي أنّ بعض الحكماء قال لغلام له ـ وكان قد عشق جارية ـ: يا فلان لا بد من فراق هذه؟ قال: لا بدّ؟ قال: فاستعجِلْه واربح ما بينهما!

١٢٥٢ ـ وقال كُثيِّر:

أفِقْ قد أفاق العاشِقون وفارَقوا الـ ـهوَى واستمرَّت بالرِّجال المرائرُ
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ به الدّارِ أو مَن غيَّبْتهُ المقابرُ

* * *

ومتى صوَّر الإنسانُ مثل هذه الأشياء وتلمح عواقبها بفكره، سهُل عليه عِلاج ما في قلبه، ومتى مرَّ على وجهه في استلذاذ عِشقه هجَم عليه مِنَ المِحَن ما يُرْبِي على لذته، وربما كان سبب هلكته.

١٢٥٣ ـ أخبرنا المبارك بن عليٍّ، قال: أنبأنا ابن العلاّف، قال: أنبأنا عبد الملك بن بِشران، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، قال: أنبأنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا علي بن الأعرابي، قال: حدثنا علي بن عَمْرُوس: أنّ يزيد بن عبد الملك دخل يوماً بعد موت حُبَابة ـ وكان لها عاشقاً ـ إلى خزانتِها ومقاصِيرها[2]، فطاف بها ومعه جارية مِنْ جواريها، فتمثّلت الجارية:

كفى حَزناً بالوالِه الصَّبِّ أن يرَى مَنازلَ مَنْ يهوَى معطَّلةً قَفْرا

فصاح صيحة وخرَّ مغشيّاً عليه، فلم يفِق إلى أن مضَى مِنَ الليل هُويٌّ[3]، فلم يزَل باقي ليلته باكياً، فلما كان اليوم الثاني وقد انفرَد في بيت يَبكي عليها جاؤوا إليه فوجدوه ميتاً.

---

(١) الخليّ: الخليل والمعشوق. يُغضي الملاحظ: يخفض عيونه. الغرر: الخداع.
(٢) مقاصير: جمع مقصورة، وهي الحجرة.
(٣) هُويٌّ: قسمٌ طويل.

١٢٥٤ ـ أخبرتنا شُهدة بنت أحمد، قالت: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: حدث أبو علي بن شاذان، قال: حدثني أحمد بن سليمان الطُّوسي، قال: حدثنا الزّبير بن بكّار، قال: حدثني هارون بن موسى، قال: حدثني موسى بن جعفر: أن يزيد بن عبد الملك بينا هو مع حُبَابة أسرَّ الناس بها، حذَفها بحبّة رمّان أو بعِنَبة وهي تضحك، فوقَعَت في فِيها فشرقَت فماتت، فأقامت عنده في البيت حتى جَيَّفَتْ، أو كادت تَجَيَّف، ثم خرج فدفنها، فأقام أياماً، ثم خرج حتى وقف على قبرها فقال:

فإن تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تدعِ الصِّبا فباليأس تسلو عنكِ لا بالتَّجَلّدِ

ثم رجَع، فما خرج من منزله حتى خُرج بنَعْشِه(١).

١٢٥٥ ـ أنبأنا عبد الوهاب الحافظ، قال: أنبأنا أبو الحُسين بن عبد الجبار، قال: أنبأنا أحمد بن علي التَّوَّزي، قال: أنبأنا عُمر بن ثابت، قال: أنبأنا أبو الحَسن بن أبي قيس، قال: حدثنا عبد الله بن محمد القرشي، قال: حدثني محمد بن صالح القُرشي، قال: حدثني محمد بن الخطاب الأَزْدي، قال: أنبأنا الوليد بن سلَمة القاضي، عن أبي شراعة حُمَيْد بن هارون الكِنْدي، قال: حدثني يحيى بن أسقوط الكِندي، قال: ماتت حُبَابة فأَحْزَنت يزيد بن عبد الملك، فخرَج في جنازتها فلم تُقِلَّه(٢) رجلاه، فأقام وأمر مَسْلَمة فصلّى عليها، ثم لم يَلْبث بعدها إلاّ يسيراً حتى مات.

١٢٥٦ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت قال: أنبأنا علي بن أيوب القُمِّي قال: أنبأنا محمد بن عِمران المَرْزُباني قال: حدثنا أبو عبد الله الحَكِيمي قال: حدثنا يَموت بن المُزَرّع قال: حدثنا أبو هِفّان قال: كان لأبي دُلَف العِجْلي جارية تسمّى: جنان، وكان يعشقها، وكان لفَرط فُتونه وظَرْفه يُسمّيها: صَدِيقتي، فمِن قوله فيها:

أحبّك يا جنان وأنتِ منّي مكان الرُّوح من جَسد الْجَبانِ
ولو أنّي أقول مكانَ روحي خشيتُ عليكِ بادِرةَ الزّمانِ
وإقدامي إذا ما الخَيْلُ كرَّتْ وهاب كُمَاتُهَا حَرَّ الطِّعانِ(٣)

قال أبو هِفّان: ثم ماتت فرثاها بمراثٍ حسان.

١٢٥٧ ـ أخبرنا أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي الحافظ، قال: أنبأنا الحسن بن علي الْجَوْهري، قال: أنبأنا محمد بن عمران المَرْزُباني، قال: أنبأنا أحمد بن

---

(١) انظر رقم (١٠٩٣) و (١١٨٧).
(٢) تُقِلّه رجلاه: تحمله.
(٣) الكماة: جمع كميّ، وهو الشجاع المقدم الجريء في الحرب.

محمد بن عيسى المَكّي، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن جلّاد، قال: حدثنا الأَصْمَعي، قال: كان الرشيد شديد الحبّ لِهيْلانة، وكانَتْ قبله ليحيى بن خالد، فدَخل يوماً إلى يحيى قبل الخلافة، فلقِيَتْه في ممرٍّ فأخذَتْ بكُمِّه، فقالت: نحن لا يُصِيبنا منك يوم؟ فقال لها: بلى، فكيف السَّبيل إلى ذلك؟ فقالت: تأخذني مِنْ هذا الشيخ، فقال ليحيى: أُحِبّ أن تَهَبَ لي فلانة، فوهَبها له حتى غلَبَتْ عليه، وكانَتْ تكثر أن تقول: هِيَ الآنَةْ[1]، فسمّاها هِيْلَانة، فأقامت عنده ثلاث سنين، ثم ماتت، فوجَد عليها وجْداً شديداً، وأنشد:

قـد قُلْـتُ لمـا ضمَّنُـوكِ الثّـرَى   وجـالـت الحسـرةُ فـي صَـدْرِي
اذهـب فـوالله مـا سَـرَّنـي   بعـدكِ شـيءٌ آخِـرَ الـدَّهـرِ

١٢٥٨ ـ أخبرنا أبو منصور، قال: أنبأنا أحمد بن عليّ، قال: أنبأنا محمد بن علي الأصبهاني، قال: أنبأنا أبو أحمد الحسَن بن عبد الله العَسْكري، عن محمد بن أبي يحيى الصُّوْلي، قال: حدثنا الغلابي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، قال:

لما توفِّيت هِيلانة جارية الرشيد، أمر العباس بن الأحنف أن يرثِيَها، فقال:

يـا مـن تبـاشَـرَتِ القُلـوبُ بمـوتهـا   قَصَـدَ الـزّمـانُ مسـاءَتـي فـرَمـاكِ
أبْغِـي الأنِيـس فـلا أرَى لـيَ مُـؤنسـاً   إلاّ التـرددَ حيـثُ كنـتُ أراكِ
مَلِـكٌ بكـاكِ وطـال بَعْـدَكِ حُـزنُـه   لـو يستطيـعُ بمِلْكِـه لفَـداكِ
يحمِـي الفـؤادَ عـن النِّسـاء حَفيظـةً   كَيـلا يَحُـلَّ حِمَـى الفـؤادِ سـواكِ

فأمر له بأربعين ألف دِرْهم، لكلّ بيت عشرة آلاف درهم، وقال: لَوْ زِدْتنا لزدناك.

فصل: ومن أدوية الباطن: أن يُصَوِّر الإنسان انقضاءَ غَرَضه، أو يُمَثِّل غيره في مقامه، ثم يتلمّح عواقب الحال. أفترَى يُوسف عليه السلام لو زلَّ مَن كان يكون؟! أوَ لم يَبْقَ مدحُه لصَبْره أبدَ الدهر؟! أفترَى ما سمِعْت بماعِز[2]؟ ولا شك أنه في القِيمة معروف، وإن كانت التوبة قد غمَرت ذنبه. ولكن تلمَّح أنت عواقِبَ مَن صبر، ومَن لم يصبر، وأَعْمِل فكرَك في الحالتَين لعلّ هذه العِبْرَة تخرُق حِجاب الهوَى، فتدخل على القلب بغير إذْنٍ فتكشِفُ هذه الغمّة. فالعاقل مَن وزن ما يحتوِي عليه العِشْق من لذّة ونُغْصة، فنُغَصُه كثيرة وأذاه شديد، وهو على الحقيقة يُهين النفسَ التي لا قِيمة لها، وغالب لذّاته محرَّم، ثم هي مَشُوبة بالغُموم،

---

(١) هِي الآنة، أي: هي الآن، ودورها الآن.

(٢) ماعِز هو الصحابي الذي جاء إلى النبيّ ﷺ وأخبره أنّه زنى، فأعرَضَ النبي ﷺ عنه، حتى ثنّى ذلك عليه أربع مرّات. فلمّا شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه رسول الله ﷺ فقال: «أبك جنون؟ قال: لا. قال: فهل أحصنت؟ قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: اذهبوا به فارجموه». رواه البخاري (٧١٦٧ ـ ٧١٦٨)، ومسلم (١٦٩١) وغيرهما.

والهموم، وخوف الفِراق، وفَضيحة الدّنيا وحسَرات الآخرة. فيعلم المُوَازِن بين الأمرَيْن أنّ اللذة مغْمُورة في جَنْب الأذى.

١٢٥٩ ـ قال الببغاء:

وأفضلُ الناسِ مَن لم يرتكِبْ سبباً ... حتى يُميِّزَ ما تَجْنِي عواقبه

١٢٦٠ ـ وقال المُتنبيّ:

مِمَّا أضَرّ بأهل العِشْق أنّهمُ ... هَوَوْا وما عَرَفوا الدّنيا ولا فَطِنُوا
تَفْنَى عيونُهم دمعاً وأنفسُهم ... في إثْرِ كلِّ قَبيح وجهُه حسَنُ
تَحَمَّلُوا حَمَلَتْكُمْ كلُّ ناجِيةٍ ... فكلّ بَيْنٍ عَلَيّ اليومَ مؤتَمَنُ
ما في هَوَادِجكم مِن مُهْجَتِي عِوضٌ ... إنْ مُتُّ شوْقاً ولا فيها لها ثمنُ
سهِرتُ بعد رَحِيلي وحشةً لكم ... ثم استمرَّ مَرِيري وارْعَوَى الوَسَنُ

فصل: ومِن أدوية الباطن: أنْ يعلَم أنّ الابتلاء لظُهور جواهِر الرِّجال، فربما كان ابتلاؤك ليُنْظَر إلى صبرك، فإنْ صبرتَ فربما نقلَك إلى محبّته.

١٢٦١ ـ قال أبو طالب المكي، قال مُريد لأستاذه: قد طُولعتُ بشيء مِنَ المحبّة. قال: يا بُني، هل ابتلاك بمحبوب سِواه فآثرته عليه؟ قال: لا!. قال: فلا تَطْمَع في المحبة، فإنّه لا يعطيها عبداً حتى يَبتليه. وقد قال الشافعي: لا يكون التمكِين إلاّ بعد المَحبّة، فإذا امتُحِن الإنسان فصبر مُكّنَ، ألا ترى أنّ الله تعالى امتحَن إبراهيم ثم مكّنه، وامتحن أيوب ثم مكّن له، فقال: ﴿وآتَيْناه أهلهُ ومثلَهم مَعَهُم﴾ [الأنبياء/ ٨٤]، وامتحن سليمان ثم آتاه مُلْكاً، وكذلك يوسف عليه السلام.

قلت: فمَن نظر في هذا فليَعْلَم أنّ مُدة هذا البلاء خُطوات في مَيدان معاملة، ويا قُرْب النّهاية، فليُصابر هَجِير الصّبر[١]، فما أسرع انقضاء اليوم، وليحذر مِنَ الخسران في موسم البلاء، فربّما ذهب أصلُ البِضاعة!

وليتخايل عند صَبْره خُيلاء فخْره فلْيَزْهُ[٢] بها، فما يُوازن صبرَه عملُ عابد ولا زُهْدُ زاهد، وربما نظر إليه في تلك الحالة نظرَةَ رضا كانتْ غِنَى الأبد، وهذا كلّه في الصَّدمة الأولى، فإنه ربما وقع مَلَل أو سَلو.

فصل: ومِن أدوية الباطن: أن يتفكّر الإنسانُ فيما يُفَوِّته تشاغله بالمعشوق مِنَ الفضائل فإنّ أرباب اليقظة عِشقهم للفضائل منَ العلوم والعفّة، والصِّيانة والكرَم، وغير ذلك من

---

(١) هجير الصبر: أي حرّه.
(٢) يَزْهو: يتفاخر.

الخِلال الممدوحة أوْفَى مِنْ ميلهم إلى شهوات الحسّ، لأنّ شهوات الحسّ حظّ النفس، وتلك الخلال حظ العقل، والنفس الناطقة الفاضلة إلى ما يُؤْثره العقلُ أَمْيَل، وإن جرَّها الطَّبع إلى الشهوات الحسيات. ومِن أعجب ما نُقل إلينا من ذلك:

١٢٦٢ ـ ما أخبرنا به أبو منصور القزّاز، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، قال: قال محمد بن جعفر التَّميمي: حُدِّثْتُ عن أبي بكر بن الأنْبَاري: أنه مضى يوماً في النّخّاسين[١]، وجارية تُعْرَض حسنة كاملة الوَصْف، قال: فوقعَتْ في قلبي، ثم مَضَيْتُ إلى دار أمير المؤمنين الرّاضي، فقال لي: أين كنت إلى الساعة؟ فعرّفته، فأمر بعض أسبابه[٢]، فمضى فاشتراها، وحملها إلى منزلي، فجئت فوجدتها، فعلمتُ الأمر كيف جرَى، فقلتُ لها: كوني فَوْق إلى أن أَسْتَبْرئك، وكُنت أطلب مسألةً قد اختلَّتْ عليَّ، فاشتغل قلبي، فقلت للخادم: خذْها وامضِ بها إلى النخّاس، فليس قدرُها أن تشغل قلبي عن عِلْمي. فأخذها الغلامُ، فقالت: دَعْني أكلّمه بحرفَيْن. فقالت: أنت رجل لك محلّ وعقل، وإذا أخرجتني ولم تُبيِّن لي ذنبي لم آمن أن يظنّ الناس بي ظنّاً قبيحاً، فعرِّفْنِيه قَبْل أن تُخْرجني، فقلتُ لها: ما لكِ عندي عَيْب غير أنكِ شغلْتِني عن عِلْمي، فقالت: هذا أسهل عندي. قال: فبلغَ الرّاضي أمره، فقال: لا ينبغي أن يكون العلمُ في قلبِ أحدٍ أحلَى منه في صدر هذا الرجل.

١٢٦٣ ـ قال محمد بن جعفر: وحدثني عنه أبو الحسن العَرُوْضِي قال: اجتمعت أنا، وهو عند الرّاضي على الطعام، وكان قد عرَف الطَّبّاخ ما يأكل أبو بكر، فكان يَشوي له قَلِيّة[٣] يابسة، فأكلنا نحن من ألوان الطعام وأطايبِه، وهو يُعالج تلك القلية، ثم فرَغْنا وأُتِينا بحلواء، فلم يأكل منها، وقام وقُمْنا إلى الخَيْش[٤]، فنام بين الخَيْشَين ونمنا نحن في خيش نافِس فيه، فلم يشرب ماءً إلى العصر. فلما كان بعد العصر قال لغُلامِ الوَظِيفة، فجاءه بماء منَ الْحُب وترك الماء المُزَمَّل بالثلج، فغاظَنِي أمره، فصُحْتُ: نصيحة. فأمر أمير المؤمنين بإحضاري، وقال: ما نصِيحَتُك؟ فأخبرتُه، وقلت: هذا يا أمير المؤمنين يحتاج أن يُحال بينه وبين تدبِير نفسِه، لأنّه يقتلها ولا يُحْسِن عِشْرتها، فضحِك، وقال: في هذا لذّة، وقد صار إلفاً فلن يضرّه. ثم قلت: يا أبا بكر لِمَ تفعل هذا بنفسك؟ قال: أُبْقِي على حفظي. قلت له: قد أكثر الناس في حِفْظك فكم؟ قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. قال محمد بن جعفر: ولمّا وقع في عِلّةِ الموت أكلَ كلّ شيء كان يشتهي، وقال: هي علّة الموت.

---

(١) النخّاسين: جمع نخّاس، وهو بائع الرقيق.
(٢) أسبابه: جمع سبب، والسبب: اعتلاق قرابة. والمراد بعض أقاربه أو معارفه الخواص.
(٣) القَلِيّة: ما قُلِي وطبخ من اللّحم.
(٤) الخيش: نسيج خشن من الكتان كان يعلق في مجاري الهواء ويرش بالماء فيبرّد ما وراءه.

١٢٦٤ ـ قلت: وفي هذا المعنى الذي ذكرناه قال أبو علي الحسن بن أحمد المَنْطقي:

غَيْري يَشُوقُ فؤادَه حَدَقُ الْمَها ... ويَرُوقه رَوْضُ الخُدودِ بوَرْدِهِ
وإذا تثنَّى خَوْطَ بانٍ لم أكن ... ممن يَقُدُّ حَشَاه مُرْهَفُ قَدِّهِ[١]
لا أنَّ طبْعي مَسَّهُ طَبْعٌ ولا ... أنّي صَفاً يَنْبُو الهوَى عن صَلْدِهِ[٢]
لكنَّ كُنْهِي للمَساعي عاقَنِي ... عن عَسْفِ قلْبي في الْحِسان وكَدِّهِ[٣]
وإذا ابنُ عَزْمٍ لم يقُمْ متجرّداً ... للحادِثاتِ فصارِمٌ في غِمْدِهِ[٤]
والسيفُ سُمِّي في النَّوائِب عُدَّةً ... لمَضَائِه فيهنّ لا لفِرِنْدِهِ[٥]

فصل: ومن أدوية الباطن: أَنَفة النفس الأبية أنْ تكون مقهُورة، فإنّ العاشِق[٦] ذليل مقهور، وكلُّ موافقٍ للهوَى يقع عليه قَتَرَة[٧]، سببُها أنّه قُهِر.

وقد ذكرنا في باب الافتِخار بالعفاف من هذا طرفاً، فليُطالع من هناك.

فصل: ومِن أعظم أدوية الباطن: إعمال الفكر في قُبْح هذِه الحال، والإصغاء إلى سَماع العِظة مِنْ واعظ القَلْب، فإنّه مَن لم يكن له مِن قَلْبه واعظ لم تنفعه المَواعظ. ومِنَ الناس من يَسْمَعُ موعظةً فيَرْعَوِي. ومنهم من يرَى غيره فينتهي، ومنهم من يرَى طاقة شيب فينزع ـ وقد قدّمنا باباً فيمن ذكرَ ربّه فترك ذَنْبَه، فليُطالع ـ، ومنهم من يُنبَّه بمنام فينتبه.

١٢٦٥ ـ أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: أنبأنا أبو حَنيفة المُؤَدِّب، قال: حدثنا المُعَافَى بن زكريا، قال: حدثنا الحُسين بن القاسم الكَوْكَبي، قال: حدثنا عِسْل بن ذَكْوان، قال: حدثنا زياد، عن حماد بن شَفيق، قال: قال أبو سلمَة الغَنَوي، قلت لأبي العتاهية: ما الذي صرفك عن قول الغَزَل إلى قول الزهد؟

قال: إذَن والله أُخبِرُك، إنّي لمّا قُلت:

اللّهُ بَيْني وبين مَوْلاتي ... أَهْدَتْ لي الصُّدودَ والمَلاَلاتِ
منَحْتُها مُهْجَتي وخالِصَتي ... فكان هِجْرانُها مُكَافاتِي

---

(١) الخوط: الغصن الناعم. يقُدّ: يقطع. القَدّ: القامَة.
(٢) الصفا: الصخرة، ينبو: يبعد، الصلد: الحجر الصلب الأملس.
(٣) كنهي: تقديري، ومعرفتي لغاية الأمر ونهايته ووجهته ووقته. العسف: الظلم.
(٤) الصارم: السيف.
(٥) الفِرِنْد: جوهر السيف ووشيه.
(٦) في المطبوعة: العاقل.
(٧) قَتَرَة: الغبرة، والمقصود: لون الغبرة.

هيَّمَنـــي حبُّهَـــا وصيَّـــرَنـــي أُحْـدُوثـةً فـي جَميـع جـاراتِـي

رأيتُ في المنام تلك الليلة كأنَّ آتياً أتاني، فقال: ما أَصَبْتَ أحَداً تُدْخِلُه بينَك وبين عُتْبة يحكم لك عليها بالمَعْصِيةِ إلاّ الله تعالى!!

فانتبهتُ مذعوراً، وتُبت إلى الله تعالى مِن ساعتي مِنْ قول الغزَل.

فصل: فإن قال قائل: فما تقولُ فيمن صَبر عن حبِيبه وبالغ في استعمالِ الصَّبر، غير أنّ خيال الحَبِيب في القلب لا يزول ووَسواس النفس به لا ينقطع؟

فالجواب: أنه إذا كَفَفْت جوارِحك فقد قطَعْت موادَّ الماء الجاري، وسيَنْضب ما حصَل في الوادي مع الزمان، خُصوصاً إنْ طلعَت عليه شمس صَيْف الخَوْف، ومَرَّت به سَمُوم[1] المُراقبة لمن يرَى الباطن، فما أعْجَل ذهابه. ثم استغِث بمن صَبَرْت لأجلِه، وقُل: إلٰهي فعلتُ ما أطقتُ، فاحفَظْ لي ما لا طاقة لي بحفظه.

١٢٦٦ ـ أخبرنا مَوْهُوب بن أحمد، قال: أنبأنا علي بن أحمد البُسْري، قال: أنبأنا أبو طاهر المُخَلِّص، قال: حدثنا أحمد بن نصر، قال: حدثنا علي بن عثمان الْحَرَّاني، قال: حدثنا القاسم بن مَعْن، عن مِسْعر، عن قتادة، عن زُرارة بن أبي أَوْفى، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إنّ الله عزّ وجلّ تجاوز لأمتي عما حدَّثَتْ به أنفسها ما لم تكلَّم به أو تعمل به»[2]. أخرجاه في الصحيحَيْن.

١٢٦٧ ـ أخبرنا عبد الرحمٰن بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر الخَطيب، قال: أنبأنا أبو نُعيم الحافظ، قال: سمعت أبا الحسَن بن القاسم، يقول: سمعت أبا القاسم النقّاش، يقول: سمعت الجُنيد يقول: الإنسانُ لا يُعاب بما في طَبْعه إنّما يُعاب إذا فَعل بما في طبعه.

* * *

(١) السَّمُوم: الرِّيح الحارّة.

(٢) رواه البخاري (٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧)، وأبو داود (٢٢٠٩)، والترمذي (١١٨٣)، والنسائي ٦/١٥٦ ـ ١٥٧، وابن ماجه (٢٠٤٠) و (٢٠٤٤)، وأحمد في المسند ٢/٣٩٨، ٤٢٥، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٩١، والبيهقي في سننه الكبرى ٧/٢٩٨، وابن حبان في صحيحه (٤٣٣٤ ـ ٤٣٣٥).

البَابُ الخَمْسُون

فيهِ وَصايا ومَوَاعِظ وزَوَاجِر

١٢٦٨ ـ أخبرنا ابن أبي منصور، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنبأنا الحَسن بن علي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا الأَوْزَاعي، قال: حدثني يحيى بن أبي كثير، أنّ أبا بكر الصدّيق كان يقول في خُطبته: أَيْن الوُضَاة[1] الحسنة وجوههم؟ أين المُعْجَبون بشَبابهم؟ أين الملوكُ الذين بنُوا المدائن وحَصَّنوها بالحِيطان؟ أين الذين كانوا يعطَون الغلَبة في مواطن الحرْب؟ قد تَضَعْضَع بهمُ الدّهر، فأصبحوا في ظُلمات القبور، الوَحا الوَحا[2] النجا النجا.

١٢٦٩ ـ قال أحمد: وحدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا سعيد قال: حدثني عُبيد الله بن الوليد قال: سمعت ابن حُجَيْرة يُحَدِّث عن أبيه، عن ابن مسعود، أنه كان يقول: إنكم في ممرّ الليل والنهار، في آجالٍ منقُوصة وأعمالٍ محفوظة، والموتُ يأتي بغتة، فمن زَرع خيراً فيُوشك أن يحصد رَغْبة، ومَنْ زرع شَرّاً فيُوشك أن يحصد نَدامة، ولكلّ زارع ما زَرع.

١٢٧٠ ـ أخبرنا إسماعيل بن أحمد، قال: أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب، قال: أنبأنا أبو علي بن شاذان، قال: أنبأنا أبو جعفر بن بُريه، قال: حدثنا أبو بكر القُرشي، قال: حدثنا محمد بن إدريس، عن أبي زكريا التَّيْمي، قال: بينا سُليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أُتي بحجَر مَنْقُور، فطَلَب مَنْ يقرأه، فأُتي بوَهب بن مُنَبِّه، فقرأه فإذا فيه: ابن آدم، إنك لو رأيتَ قُرْبَ ما بقي من أجلِك لزَهِدت في طَويل أَمَلِك، ولرغِبْت في الزيادة مِن عملك، ولقصّرت مِنْ حِرْصك وحِيَلك، وإنّما يلقاك ندَمُك لو قد زَلّت بك قدمُك، وأَسْلمَك أهلُك وحَشَمُك، فبان منكَ الوالدُ والقَرِيب، ورَفَضَك الوَلَد والنَّسِيب، فلا أنت إلى دُنياك عائد، ولا في حسناتِك زائد، فاعمَل ليوم القيامة قبل الحَسْرة والندامة.

١٢٧١ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، قال: أنبأنا علي بن محمد بن العلاّف، قال:

---

(١) الوُضاة: الوضّاءة النيِّرة.

(٢) الوَحا الوَحا: السرعة السرعة. والنجا: النجاه.

أنبأنا علي بن أحمد الحَمامي، قال: أنبأنا محمد بن الحُسين الحَريري، قال: حدثنا بِشر بن موسى، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا يحيى بن عبد الملك، قال: كتبَ الأَوْزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنّه قد أُحِيط بك من كلّ جانب، واعلم أنّه يُسَار بك في كلّ يوم وليلة، فاحذَرِ اللّهَ والقيامَ بين يدَيه، وأن يكون آخر عهدك به، والسلام.

١٢٧٢ ـ أخبرنا المُحَمَّدان ابن عبد الملك وابن ناصر، قالا: أنبأنا أحمد بن الحَسن المُعَدِّل، قال: حدثنا عبد العزيز بن علي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد الحافظ، قال: حدثنا إبراهيم بن نصر، قال: حدثني إبراهيم بن بشّار، قال: سمعت الفُضيل بن عياض يقول: بلَغني أنّ رجلاً كتب إلى داود الطائي(١) أن عِظْني بموعظة.

قال: فكتب إليه: أما بعد، فاجعل الدنيا كيومٍ صُمْتَه عن شهوتك، واجعل فِطْرك الموت فكأن قد، والسلام.

قال: فكتب إليه: زِدني. فكتب إليه: أما بعد، فارْضَ منَ الدنيا باليَسِير مع سلامة دِينك، كما رَضِي أقوامٌ بالكثير مع ذهاب دينهم، والسلام.

١٢٧٣ ـ أخبرنا محمد بن ناصر، قال: أنبأنا المبارك بن عبد الجبار، قال: أنبأنا البَرْمكي، قال: أنبأنا أحمد بن جعفر بن سلَم، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن عبد الخالق، قال: حدثنا يعقوب بن يوسف السُّنّي، قال: حدثنا يحيى بن خالد البزّاز، قال: حدثنا ابن عبد المجيد، قال: حدثني النّعمان بن عبد السلام، عن سُفيان، قال: أوحَى اللّهُ تعالى إلى موسى بن عمران: إنّه ليست عُقوبتي لمن عرَفني واجترأ عليَّ كمَن لم يعرفني.

١٢٧٤ ـ أخبرنا ابن ناصر، قال: أنبأنا أحمد بن علي بن خلَف، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن السُّلمي، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرَّازي، يقول: سمعت محمد بن حاتم التّرمذي، يقول: رأسُ مالِك قلبُك ووقتُك، وقد شغلتَ قلبك بهَواجس الظُّنون، وضَيَّعت أوقاتك بارتكاب ما لا يَعْنِيك، فمتى يربح مَن خسِر رأسَ ماله!

١٢٧٥ ـ أخبرنا محمد بن أبي منصور، والمبارك بن علي، قالا: أنبأنا علي بن محمد العلاَّف، قال: أنبأنا علي بن أحمد الحَمامي، قال: حدثنا جعفر بن محمد الْخُلْدي، قال: حدثنا إبراهيم بن نصر، قال: سمعت إبراهيم بن بشّار يقول: مررت أنا وأبو يوسف

---

(١) هو الإمام، الفقيه، القدوة، الزاهد، أبو سليمان داود بن نُصير الطائي، الكوفي، ولد بعد المائة، وكان من كِبار أئمة الفقه والرأي، برع في العلم على يد أبي حنيفة، ثم أقبل على شأنه، ولزم الصمت، وآثر الخُمول، وفرّ بدينه. توفي سنة (١٦٢) هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢، حلية الأولياء ٧/ ٣٣٥، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٧، شذرات الذهب ١/ ٢٥٦، وتهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٣.

الفَسَوي[1] في طريق الشام فوثب إليه رجلٌ فسَلّم عليه، ثم قال: يا أبا يوسف عِظْني بموعظةٍ أحفظُها عنك. قال: فبكَى، ثم قال: اعلَم يا أخي أنّ اختلاف الليل والنهار ومَمَرَّهما يُسرِعان في هَدْم بدَنِك وفَناء عُمرك وانقضاء أجلِك. فينبغي لك يا أخي أنْ لا تطمَئِنّ حتى تعلم أين مستقرّك ومَصيرك، وساخطٌ ربُّك عليك بمعصيتك وغفلتك أو راضٍ عنك بفضله ورحمته، ابن آدم الضّعيف نُطفة بالأمس وجِيفة غداً، فإن كنت لا ترضَى بهذا فَستَرِد وتعلم وتندم في وقت لا ينفعك الندم.

قال: وبكى أبو يوسف، وبكَى الرجل، وبكيتُ لبكائهما، ووَقعا مغشياً عليهما!

١٢٧٦ ـ ووعظ أعرابيٌ ولدَه فقال: لا الدّهر يَعِظك ولا الأيام تُنذرك، والسّاعات تُعَدُّ عليك، والأنفاس تعدُّ منك، وأحبُّ أمرَيْك إليك أعْوَدُهما بالضرّ عليك!

١٢٧٧ ـ وكتب بعضُ الحكماء إلى أخ له: أمّا بعد: فإنّ الدنيا حُلم، والآخرة يَقظة، والمتوسِّط بينهما الموت، ونحنُ في أضغاث أحلام، والسلام.

* * *

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سمع هذا الكتاب من لفظي سوى جزء من أوله فإنه قرأه عليَّ، فتمَّ له جميع الكتاب سماعاً، صاحبه الشيخ الأجل السيد العالم صلاح الدين أبو علي الحسن بن سيف بن الحسن الشهراباني.

وكتب عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، في شعبان سنة ست وستين وخمسمائة، حامداً الله، ومصلياً على رسوله محمد وآله الطاهرين.

* * *

---

(١) هو الإمام، الحافظ، الحجّة، المحدّث، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفَسَوي، من أهل مدينة فَسَا. مولده في حدود عام (١٩٠) هـ وله: تاريخ كبير جمّ الفوائد، ارتحل إلى الأمصار ولحق الكبار، توفي سنة (٢٧٧) هـ. انظر: السير ١٣/ ١٨٠، وتذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٢، وتهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٥.

المصادر والمراجع

- أحكام النظر إلى المحرمات وما فيه من الآفات، للحافظ ابن حبيب العامري.
- إحياء علوم الدين، للغزالي.
- إرواء الغليل، للألباني.
- الاستيعاب، لابن عبد البر.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري.
- أسنى المطالب، للشيخ محمد الحوت.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.
- الأعلام، للزركلي.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية.
- الأنساب، للسمعاني.
- إيضاح المكنون، للبغدادي.
- البداية والنهاية، لابن كثير.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي.
- التاريخ الكبير، للبخاري.
- تحفة الأشراف، للمزّي.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، للسيوطي.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي.
- التعريفات، للجرجاني.
- تفسير ابن جرير الطبري.
- تفسير ابن حبان.
- تفسير القرطبي.
- تفسير ابن كثير.
- تقريب التهذيب، لابن حجر.
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي.
- تمييز الطيب من الخبيث، للشيباني.

- تنزيه الشريعة المرفوعة، لابن عراق الكناني.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر.
- الثقات، لابن حبان.
- الجامع الصغير، للسيوطي.
- الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم.
- جمع الجوامع، للسيوطي.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي.
- ديوان جميل بثينة، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان ذي الرمة، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان العباس بن الأحنف، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان كثير عزّة، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان المتنبي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- ديوان مجنون ليلى، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.
- الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب.
- روضة العقلاء، لابن حبان.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن الجوزي.
- زاد المسير، لابن الجوزي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر، للهيتمي.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني.
- السنة، لابن أبي عاصم.
- سنن الترمذي.
- سنن الدارمي.
- سنن أبي داود.
- السنن الكبرى، للبيهقي.
- سنن ابن ماجه.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي.
- شرح السنة، للبغوي.
- الشريعة، للآجريّ.

- شعب الإيمان، للبيهقي.
- صحيح البخاري.
- صحيح الجامع الصغير، للألباني.
- صحيح ابن حبان.
- صحيح ابن خزيمة.
- صحيح مسلم.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي.
- ضعيف الجامع الصغير، للألباني.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه.
- فتح الباري، لابن حجر.
- فتح القدير، للشوكاني.
- فردوس الأخبار، للديلمي.
- الفوائد المجموعة، للشوكاني.
- فيض القدير، للمناوي.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي.
- كتاب التوابين، لابن قدامة.
- كتاب الزهد، لأحمد بن حنبل.
- كتاب العقل وفضله، لابن أبي الدنيا.
- كتاب القصاص والمذكرين، لابن الجوزي.
- كشف الخفاء، للعجلوني.
- الكليات، للكفوي.
- اللآلىء المصنوعة، للسيوطي.
- اللباب، لابن الأثير.
- لب اللباب، للسيوطي.
- لسان العرب، لابن منظور.
- لسان الميزان، لابن حجر.
- المجروحين، لابن حبان.
- مجمع الأمثال، للميداني.
- مجمع الزوائد، للهيثمي.
- مجموع الفتاوي، لابن تيمية.

- المحلى، لابن حزم.
- المستدرك، للحاكم النيسابوري.
- مسند أحمد بن حنبل.
- مسند البزار.
- مسند الحميدي.
- مسند الشهاب، للقضاعي.
- مسند الطيالسي، لأبي داود الطيالسي.
- مسند الفاروق، لابن كثير.
- مسند أبي يعلى.
- مصارع العشاق، لابن السراج.
- المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني.
- المطالب العالية من العلم الإلهي، للرازي.
- معالم السنن، للخطابي.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي.
- المعجم الأوسط، للطبراني.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- المعجم الصغير، للطبراني.
- معجم ما استعجم، للبكري.
- معجم المؤلفين، لكحالة.
- المغني، لابن قدامة.
- المفردات، للراغب الأصبهاني.
- المقاصد الحسنة، للسخاوي.
- المنار المنيف في الصّحيح الضعيف، لابن قيم الجوزية.
- المنتظم، لابن الجوزي.
- موارد الظمآن، لابن حبان.
- الموضوعات، لابن الجوزي.
- موطأ مالك.
- ميزان الاعتدال للذهبي.
- نزهة الألباب في الألقاب، لابن حجر.
- النهاية، لابن الأثير الجزري.
- الوافي بالوفيات، للصفدي.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان.
- يتيمة الدهر، للثعالبي.

فهرس الموضوعات